تَصْحِيحُ

حِقْبَةٍ مِنَ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ

مائة سنة بعد وفاته ﷺ

الفترة من سنة ١١ إلى ١١١هـ

تصحيح الأحداث مرتَّبة

الجزء الأول

تأليف

أبي يحيي

محمد بن عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٢م

رقم الإيداع

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ذي المِنَنِ، والإكرام، والجلالِ، والنعمِ السابغةِ والأفضالِ ، مَنَّ سبحانه علينا بمعرفتِه، وجعلنا من خيرِ أُمَّةٍ أُخرجت للناسِ، أُمَّةِ الطاهرِ الأعراقِ، الشريفِ الأخلاقِ، السامي بفضلِه على سائرِ العالمين ﷺ .

نَحْمَدُه، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ تَعَالَى فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلَ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب.

وبعد!

فَإِنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلَامُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فإن من منن الله تعالى على هذه الأمة أن حفظ لها هذا الدينَ، وتعهَّد بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ الحجر. ولكنه سبحانه حفظه بأسباب من أعظمها وأوضحها أن جعل لها سنداً، ولم تكن الأسانيدُ فيمن قبلنا، فوقع التحريفُ في ملتهم وقبلوه، وهذا مرفوضٌ في أمتنا، فلا أمة تعتني بالأسانيد إلا أمة محمد ﷺ، ولا طائفة من طوائف الأمة تعتني به إلا الطائفة المنصورة، طائفة أهل السنة والجماعة، فلا تجد العناية بالأسانيد عند الروافض، ولا الخوارج، ولا الجهمية وأضرابهم، ولا المرجئة.

ولذلك زُيِّف تاريخ مَن قبلنا، وركب المخالفون للسنة سننهم ، فنشروا خلطاً وخبطاً، فيه الكذب على العلماء، والكذب في ذكر أحداث التاريخ، وماضي الأمة المشرق، فسوَّدوه، وقالوا بالباطل، ونسبوه للعلماء - للصحابة فمن بعدهم- أو لأحداث التاريخ.

فصار النشأ يجني ثماراً مُرة، وباطلاً في منهجهم، منسوباً للصدر الأول من هذه الأمة، وهم عافيتها، والنتيجة هي الثمار المرة التي تُجنى الآن.

وكتب التاريخ فيها كثير من الأخبار المزيفة،إذ أن كتَّابَها لم يلتزموا التنقيح، وبيان حال ما أوردوه من ناحية الصحة، والضعف إلا ما ندر.

وإلى ذلك أشار الإمام العراقي في مقدمة«ألفية السيرة النبوية»[1] :

وليعلمِ الطالبُ أنَّ السّيَرَا ... تَجمَعُ ما صحَّ وما قدْ أُنْكرَا

(١) تلك المسماة بـ « نظم الدرر السنية الزكية» ص٢٩.

والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السّيَرْ ... بهِ، وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ.

فكتب السير والتاريخ كثير منها لم يصح سنده، ولا ينبغي اعتماده – وقت الاحتجاج به- بحجة أن العلماء قد دونوه فقد ارتضَوه، كلا فهذا مما يجب التنبيه عليه.

ألا ترى أن ابن كثير يذكر كثيراً منه ثم يضعفه، أو يتكلم على رواته أحياناً، لا سيما إذا رأى أن فيه ما يشين الصحابة، أو أهل العلم؟

وقد أخرج الخطيب البغدادي[1] بسندٍ صحيح من طريق الميموني قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم،والتفسير».

ويُروى:«ليس لها أصل». وهذا محمول على أكثر ما في هذه الكتب، فكان على الآخذ منه قبل الاحتجاج أن ينظر في أسانيدها، لا سيما ما يتعلَّق بالفترة الأولى – صدر الأمة- فإنَّهم عافية الأمَّة، ونصَّ النبيِّ ﷺ على أنَّهم خيرُالقرون، فأفعالهم لها مقام من الاحتجاج، والاستئناس، وأهل البدع يعمدون إلى الوارد عنهم مما يوافق الأهواء فيشيعوه ليُمَرِّروا ما يهوون، ويعارضوا به أهل السنة كما هو واضح.

ويا لله كم من إساءة في كتب التاريخ دُونَت، وقد أُلصقت بصحابي فاضل، أو بعالمٍ ناصح، ولم يصح السند بذلك إليه.

* فالخوارجُ زوَّروا التاريخ فذكروا فيه أن بعض الصحابة رضي الله عنهم خرجوا على أمرائهم الظلمة، وتناقله عنهم أذيالهم الأصاغر، وروَّجوه حتى خربت البلاد من جرَّاء ذلك، ظنّاً من الخوارج أنهم تابعون للصحابة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

(١) في «الجامع لآداب الراوي والسامع»(١٤٩٣).

فبأيديهم وأموالهم خرَّبوا ديارهم، وشرَّدوا أبنائهم ونساءهم، ولا ينكر على الخارجين، إذ يقال: فعلوا ما فعله الصحابة ﷺ فمن بعدهم من الأفاضل فكيف ينكر عليهم فضلاً عن أن يُبدَّعُوا؟![1] فكان الانحراف عن المنهج، والله المستعان.

* وأهل الإنحراف زوَّروا التاريخ وزعموا أن علياً ﷺ شارك في دم عثما أو أعان على ذلك، فكان عليٌ ﷺ يتبرَّأ من ذلك ويعلن بلعن قتلة عثمان في السهل والجبل.

* وبعض الخوارج زوَّروا أشياء على عثمان ﷺ فكان ذلك من أسباب التأليب عليه ثم قتله ملوماً ﷺ.

وهذا من آثار تزوير التاريخ.

* وفي كتب التاريخ تضليل صحابة بعضهم لبعض، ولعن بعضهم لبعض، ولم يحصل.

* ففي كتب التاريخ لعن معاوية لعلي رضي الله عنهما، والعكس، وتضليل بعضهم لبعض مع أن الصحيح عكس هذا!

---

(١) فقد أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٠) بسندٍ صحيح عن حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: ذَكَرَ أَيُّوبُ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالَ: لا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ إِلا قَدْ رُغِبَ لَهُ عَنْ مَصْرَعِهِ وَلا نَجَا فَلَمْ يُقْتَلْ إِلا قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ.

ومع ذلك فإن أهل الأهواء والبدع يستأنسون بخروج ابن الأشعث ومن معه!

* ورد لعن وشتم أبي موسى الأشعري لعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وكذلك من عمرو لأبي موسى بسبب قضية التحكيم التي كانت بين طائفة علي وطائفة معاوية رضي الله عنهما.

* ورد عن بسر بن أرطأة رضي الله عنه مِن قَتله ابني عبيد الله بن عباس فوسوست أمهما، وفي هذا إهانة لأميره معاوية رضي الله عنه، أن يحصل هذا في إمارته، مع أنه لم يصح سند بهذا.

بل هناك شخصيات زُيِّف تاريخها كمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وولده يزيد بن معاوية وغيرهما من الشخصيَّات التي زيِّفت ضمن التاريخ لذي زُيِّف، والله المستعان .

وهل أوضح من ذلك في زماننا من دعوى محمد بن حسان الداعية المعاصر المعروف ، دعواه- على ملأ الدنيا- أن الأمة عاشت الشيعة مع أهل السنة قروناً جنباً إلى جنب لم يكن بينهم تصادم، فمثل هؤلاء زيفوا التاريخ للأمة الإسلامية!

* وأبو إسحاق الحويني الداعي المعروف هو الآخر لما ثار الناس على حاكم دولته فخلعوه ادعى المزور للتاريخ -هذا الحويني- أن ما حصل لم يكن له مثال سابق – يعني في الأمة- يعني أن المظاهرات تغير في السياسة!

* والعدوي ادعى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان لا يعذرُ بالجهل، وغيره ادعى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان من الخارجين على الحكام، والأوضاع الفاسدة.

* الذين يصرخون في بلاد المسلمين بأن عبد الله بن الزبير خرج على الحاكم بينما الحق أنه كان مخروجًا عليه، هذا تزوير للتاريخ، بل إظهار للحقيقة المُبدَّلة.

* وكذلك الذين يصرخون بأن الحسين بن علي رضي الله عنه خرج على حاكمه، ولا والله ماحصل شئ من ذلك، فإنه تزوير لحقيقة التاريخ.

* كم روَّجوا بأن عبد الله بن حنظلة، وعبد الله بن مطيع من الصحابة، وأنهم قد خرجوا على أمرائهم، أراد هؤلاء المزورون أن يُرَسِّخوا في الناس شيئاً يروجوا به مفاهيم، فلا والله ما هما من الصحابة- في الراجح – ولا لهم رؤية للنبي ﷺ أصلاً، والله المستعان.

وهل نَقل الجهال عن الأئمة من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم طعنهم في أمرائهم والخروج عليهم، وتسفيههم، وإساءة الأدب معهم إلا باعتماد على أخبار في التاريخ مزيَّفة بنوا عليها تراهاتهم المعاصرة، ثم عورض بها المنهج السلفي الحق، هل وقع ذلك إلا باعتماد التاريخ المزيف، وعدم تنقيته، وتنقيحه للناس؟ .

والله لقد اعتمدوا خارجاً على حاكمه من كان مخروجاً عليه كعبد الله بن الزبير رضي الله عنه !

فما دام هناك من يُزَوِّر للتاريخ لموافقة هواه فلابد من تصحيح التاريخ لمن يستدل، فيقال لهؤلاء المبطلين وغيرهم ثبِّتوا العرش ثم انقشوا، اثبت أولاً صحة الخبر ثم استأنس به.

يذكِّرنا هؤلاء الذين يروون تذوير التاريخ لمن بعدهم بصنيع الفراعنة الكفار الذين سَطَّروا التاريخ بالصور على الحوائط، وعلى جدر مساكنهم، فلكونهم كفار فلم يذكرا أي إشارة لأحداث الأنبياء على أرض مصر- مع أن على أرض مصر عاش عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

* فعيسى بن مريم ﷺ وله من المعجزات من ولادته بغير أب، وكلامه في المهد، وإجراء المعجزات على يديه كإبراء الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله، وإخباره الناس .

* وموسى بن عمران عليه السلام، نبي من أولي العزم من الرسل، قد حصلت له أحداث عظام من طفولته كيف نجاه الله من فرعو وقومه، وما كان من امرأة فرعون نحوه، وكيف قدَّر الله تعالى إيوائه، ثم كانت المعجات في العصا التي في يديه، ثم الأحداث التي كانت بينه وبين فرعون، ثم إجراء المعجزة من ضرب البحر بعصاه فانفلق له ولمن معه، واتبعه فرعون بغياً وعدوا فإغراق الله له، وتوريث قوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وكلام الله له...إلى غير ذلك .

* وأخوه هارون عليه السلام وماكان بينه وبين قومه من عبادتهم العجل، وكادوا يقتلونه، وما كان لموسى نحو قومهم في أمرهما له بالدخول إلى الأرض المقدسة..

* ويوسف بن يعقوب، وأبوه يعقوب، وإخوته الأحد عشر، وما كان من مكيدتهم له صغيراً، وإلقائه في الجب، ثم بيعه للملك ببخس الدراهم، ثم مكيدة امرأة العزيز له، ثم الزجّ به في السجن بضع سنين ظلماً ، ثم إخراجه عزيزاً على مصر يتحكم في أقوات الناس، وما كان من أمره مع أخوته وأهله، ثم دخولهم مصر أجمعين، ورفع أبويه على العرش وخرورهم له سجداً.

* وإبراهيم عليه السلام وزوجته سارة رضي الله عنها ، وكبت الكافر لما أراد أن يتناولها، ثم ما كان من أمر زوجته الأخرى هاجر رضي الله عنها من إسكانه لها، ومعها ولده نبي الله إسماعيل عليه السلام، ووضعه لها عند بيت الله المحرَّم..

كل هذه الأخبار والتفاصيل لم يُدَوِّن الفراعنة أي منها في تاريخ مصر القديم الذي يدرَّس في المدارس منذ أمدٍ إلى الآن!

لماذا؟

لأن فيه ما يناقض ما هم عليه من الكفر الذي يدعون الناس إليه، وهو عبادتهم من دون الله، وهذا يدلّ على أنهم زيَّفوا التاريخ فكتبوا فيه ما يوافق أهواءهم دون ما يخالفها من الحق ودعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذا يُفقد المصداقية في قَبول ما دوَّنوه من دعاوي الانتصارات والغلبة، على غيرهم، ونحو ذلك مما يناقض أهواءهم .

فكيف يقبل تزييفهم الواضح البين هذا للتاريخ؟

بل هناك أشياء دُوّنت على أنها من التاريخ الإسلامي، وليس هو مِنها.

وقد وضَّح الألباني رحمه الله شيئاً من هذه الحقيقة فقال:

« قد يظن بعضهم أن كل ما يروى في كتب التاريخ، والسيرة، أن ذلك صار جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي، لا يجوز إنكار شيء منه! وهذا جهل فاضح، وتنكُّر بالغ للتاريخ الإسلامي الرائع، الذي يتميَّز عن تواريخ الأمم الأخرى بأنه هو وحده الذي يملك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح، وهي نفس الوسيلة التي يميز بها الحديث الصحيح من الضعيف، ألا وهو الإسناد الذي قال فيه بعض السلف: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[1].

(١) كما أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه»(١/ ١٥) بسنده عن عبد الله بن المبارك قال: «الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ».

وقد سبقه إلى ذلك المعلمي اليماني رحمه الله فقال:

«وهيهات أن يعرف ما هو من الحقّ الذي بلَّغه خاتمُ الأنبياء عن ربّه عزَّ وجلَّ، وما هو من الباطل الذي يُبرَّأ عنه الله ورسوله؛ إلاّ بمعرفة أحوال الرواة.

وهكذا الوقائع التاريخية، بل حاجتها إلى معرفة أحوال رواتها أشدُّ؛ لغلبة التساهل في نَقْلها، على أنّ معرفة أحوال الرجال هي نفسها من أهمّ فروع التاريخ.

وإذ كان لا بدّ من معرفة أحوال الرواة؛ فلا بدّ من بيانها؛ بأن يخبر كلُّ مَن عَرَف حالَ راوٍ بحاله ليعْلَمَه الناسُ.

وقد قامت الأمّة بهذا الفرض كما ينبغي.اهـ[1]

قال الألباني- رحمه الله- :

« ولذلك لما فقدت الأمم الأخرى هذه الوسيلة العظمى امتلأ تاريخها بالسخافات والخرافات، ولا نذهب بالقراء بعيداً، فهذه كتبهم التي يسمونها بالكتب المقدسة، اختلط فيها الحابل بالنابل، فلا يستطيعون تمييزالصحيح من الضعيف مما فيها من الشرائع المنزَّلة على أنبيائهم، ولا معرفة شيء من تاريخ حياتهم، أبد الدهر، فهم لا يزالون في ضلالهم يعمهون، وفي دياجير الظلام يتيهون! فهل يريد منا أولئك الناس أن نستسلم لكل ما يقال:

إنه من التاريخ الإسلامي، ولو أنكره العلماء، ولو لم يرد له ذكر إلا في كتب العجائز من الرجال والنساء؟ !

وأن نكفر بهذه المزية التي هي من أعلى وأغلى ما تميَّز به تاريخ الإسلام؟ !

---

(١) انظر كتاب المعلمي رحمه الله « علم الرجال » (صـ٢).

وأنا أعتقد أن بعضهم لا تخفى عليه المزية ولا يمكنه أن يكون طالب علم بَلَه عالمـًا، ولكنه يتجاهلها ويغضّ النظر عنها ستراً لجهله بما لم يصح منه، فيتظاهر بالغيرة على التاريخ الإسلامي، ويبالغ في الإنكار على من يعرف المسلمين ببعض ما لم يصح منه، بطرا للحق، وغمطَـًا للناس[١]

والله المستعان . [٢]

فلما كان الأمر كذلك حاولت أن أتناول الحقبة الأولى من صدر هذه الأمة، والتي لها تأثير في الاستدلالات، وهي الفترة ما بين السنة الحادية عشر، ةهي بداية خبلفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والسنة الحادية عشر بعد المائة الأولى .

فتتبعت ذلك من الكتب المسانيد والسُّنن والمصنفات والمعاجم، وكتب التاريخ المسندة فأبين حقيقة ما كان فيها بقدر الإمكان، من خلال النظر ف الأسانيد وعللها، وأحكم عليها بما تستحقه صحة أو ضعفـًا، ورتبت ذلك على حسب السنوات وقد أشير إلى مالم يصح أحيانـًا، لا سيما إن كان له مساسـًا بالإساءة إلى صحابي أو مخالفة للحدث الصحيح.

وأنبِّه على أمر مهم:

وهو أن لا أحد يستطيع تزوير التاريخ المتعلِّق بالشريعة، وبالدين الإسلامي، وبحملة الشريعة أبداً ولو اجتمع من بأقطارها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، إلا أنه قد يتم تزييف التاريخ على طائفة من الناس[٣] دون جميع الأمة، لعصمة الأمَّة

(١) أي والله صدق الألباني رحمه الله إنهم ليفعلونه.

(٢) «السلسلة الصحيحة »(٥/ ٣٣١) .

(٣) قد زُيِّف على أقوام وراج عليهم هذا التزييف.

من الضَّلال، إذ لا تجتمع الأمة على ضلالة، ولكون الله قد تعهَّد بحفظ الدين، وحفظ الدين حفظ للتاريخ الذي يتعلَّق به مَعلَم لشخص من حملة الدين، فتنبّه.[١]...

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في هذا، وأن يقبله مني بقبول حسن ، ويجعله خالصاً صواباً ولا يجعل لأحد فيه شيئاً، والحمد لله أوله وآخرة.

كتبه أبو يحيي

محمد بن عبده

بلطيم – كفر الشيخ – مصر

(١) قد زُوِّر التاريخ، فألصق أهل التصوُّف والخرافات تهمة الوهَّابية على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وراجت على طائفة في حقبة من تاريخ المسلمين حتى صار التهمة بالوهابية تساوي التهمة بالزندقة في حقبة تاريخية.

كما أنك تجد الخوارج والمبتدعة اليوم زوَّروا على أشخاص تهمة المدخلية أو الجامية في حِقبة من تاريخ هذه الأمة، رمياً بالألقاب لبعض من نسبوا إليهم هذا اللقب، وهي أُكذوبة صارت قيلة وتُهمة اليوم للأهل العلم ، ومع ذلك قَيَّد الله من ينقد غزل من زوَّر ذلك ويبين هذا الكذب.

السنة الحادية عشرة للهجرة للنبوية

وهي السنة الأولى التي توفي فيها ﷺ

قد بينت في كتابي «صحيح السيرة النبوية» ماذا كان بعد موت رسول الله ﷺ في أمر تأمير أبي بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يُدفن ﷺ. ثم دفنوه ليلة الأربعاء.

اليوم الثاني من بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخطبته

أخرج ابن إسحاق[1] عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَامَ عُمَرُ، فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ مِمَّا وَجَدْتهَا فِي كِتَابِ الله، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ رَسُولَ ل ﷺ سَيُدَبِّرُ أَمْرَنَا، يَقُولُ: يَكُونُ آخِرُنَا وَإِنَّ الله قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هدَى الله رَسُولَهُ ﷺ، فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ الله لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ، وَإِنَّ الله قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ، صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ، ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ، بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ. فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِد الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ الله، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ الله، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله إِلَّا ضَرَبَهُمْ الله بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا

(١) كما في«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٦١) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري فى «تاريخه» (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨) وقد صحح سنده الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٨٩).

عَمَّهُمْ الله بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ الله وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ الله وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ الله.

منع عمر من ذريعة تأسيس شيء دون الإمام(أبي بكر)رضي الله عنهما

أخرج ابن أبي شيبة [١] بسندٍ صحيح عن أَسْلَمَ مولى عمر أَنَّهُ حِينَ بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ كَانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ يَدْخُلَانِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ فَيُشَاوِرُونَهَا وَيَرْتَجِعُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ: «يَا بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ ، وَالله مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكِ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا بَعْدَ أَبِيكِ مِنْكِ ، وَايْمُ الله مَا ذَاكَ بِمَانِعِي إِنِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ عِنْدَكِ ؛ أَنْ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يُحَرَّقَ عَلَيْهِمِ الْبَيْتُ» ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ جَاءُوهَا فَقَالَتْ: تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي وَقَدْ حَلَفَ بِالله لَئِنْ عُدْتُمْ لَيُحَرِّقَنَّ عَلَيْكُمُ الْبَيْتَ وَايْمُ الله لَيَمْضِيَنَّ لِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، فَانْصَرِفُوا رَاشِدِينَ ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَيَّ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهَا فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَايَعُوا لِأَبِي بَكْرٍ.

وفي رواية[٢]: قال أسلم بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّ نَاسًا، يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ فَأَتَاهَا فَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ مَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكِ وَلَا بَعْدَ أَبِيكِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْكِ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَكِ وَايْمُ اللهَّ لَئِنْ بَلَغَنِي ذَلِكَ لَأُحَرِّقَنَّ عَلَيْهِمُ الْبَيْتَ فَلَمَّا جَاءُوا فَاطِمَةَ قَالَتْ: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ، فَتَفَرَّقُوا حَتَّى بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه.

فلولا أن ذلك محرم عندهم يُعاقب عليه لأُنكر على عمر رضي الله عنه.

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٤٣٢).

(٢) أخرجها ابن أبي عاصم في« المذكر والتذكير والذكر » (١٩) بسندٍ صحيح أيضاً.

إجماع من يعتدُّ به على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه [١]

قال ابن كثير [٢]:« وَقَدِ اتَّفق الصَّحابة رضي الله عنهم عَلَى بَيْعَةِ الصِّديق فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، حَتَّى عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ والزُّبير بْن الْعَوَّامِ رضي الله عنهما ».

فأخرج الحاكم [٣]، **والبيهقي** [٤] وهذا لفظه بإسنادٍ صحيح عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ الله ﷺ قَامَ خُطَبَاءُ الأَنْصَارِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَّا فَنُرَى أَنْ يَلِىَ هَذَا الأَمْرَ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ، وَالآخَرُ مِنَّا قَالَ فَتَتَابَعَتْ خُطَبَاءُ الأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الإِمَامَ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ جَزَاكُمُ الله خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَالَحْنَاكُمْ ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِى بَكْرٍ فَقَالَ

---

(١) لأنه قد اشتهر أن علياً رضي الله عنه لم يبايع، ومن ثَم ادُّعى أنه لم يكن راضياً،لأنه كان أولى بها، وهذا كذب أصلع. ولا ينقد هذا الإجماع قول ذاك التائه في زمن أمير المؤمنين عمر:«مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَة فَتَمَّتْ،..» كما في صحيح البخاري(٦٨٣٠) إذ لكل قاعدة شواذ، وهذا من هؤلاء الشواذ، فلا عليك.

ولو كانت فلته فبايعه الأفاضل أهل الحلّ والعقد، فصار إجماعاً ، فماذا؟! وعلى كل مثل هذا التائه لا وزن لرأيه.

(٢) المصدر السابق (٧/ ٩٨).

(٣) في«المستدرك» (٣/ ٨٠).

(٤) فى «الكبرى»(٨/ ١٤٣) وحكاه عنه ابن كثير في«تاريخه»(٧/ ٩٠) .

هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايِعُوهُ ثُمَّ انْطَلَقُوا فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا ﷺ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَخَتَنَهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ : لاَ تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله فَبَايَعَهُ ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ فَقَالَ : ابْنَ عَمَّةِ رَسُولِ الله، وَحَوَارِيَّهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ : لاَ تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله فَبَايَعَاهُ.(١)

وهذا حجة قوية مُلزمة للمخالِفين لأهل السنة من الروافض، في أن أبا بكر الصديق الخليفة بعد رسول الله ﷺ بالإجماع، وأن إمامهم عليًّا ﷺ كان على هذا الرأي، والحمد لله.

تجميع عمر قلوب الناس على أبي بكر رضي الله عنهما

أخرج ابن ماجة(٢) عَنْ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّهِ سُعْدَى الْمُرِّيَّةِ قَالَتْ: مَرَّ عُمَرُ بِطَلْحَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: مَا لَكَ كَئِيبًا؟ أَسَاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا كَانَتْ نُورًا لِصَحِيفَتِهِ، وَإِنَّ جَسَدَهُ وَرُوحَهُ لَيَجِدَانِ لَهَا رَوْحًا عِنْدَ الْمَوْتِ». فَلَمْ

---

(١) وقد أخرج البيهقي عقبه بسندٍ صحيح عن الْحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيِّ قال: سَمِعْتُ ابْنَ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: جَاءَنِي مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ فَسَأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَكَتَبْتُهُ لَهُ فِي رُقْعَةٍ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ يُسَاوِي بَدَنَةً، فَقُلْتُ: يَسْوَى بَدَنَةً. بَلْ هَذَا يَسْوَى بَدْرَةً. وساق له ابن كثير في «تاريخه» طرقاً أخرى.

والبَدْرَة: كيس فيه دراهم عشرة آلاف أو سبعة آلاف. كما في «تاج العروس» (١٠/ ١٤٢).

(٢) برقم (٣٧٩٥) وهو حديث صحيح خرَّجته في كتابي «جامع أحكام الميت».

أَسْأَلْهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُهَا، هِيَ الَّتِي أَرَادَ عَمَّهُ عَلَيْهَا، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ شَيْئًا أَنْجَى لَهُ مِنْهَا، لَأَمَرَهُ »

فشو الكذب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان الوصي بعد رسول الله ﷺ

وبيان تفضيل عليٍّ على أبي بكر وغيره

أخرج البخاري(١)عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺأَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَتْ: مَنْ قَالَهُ؟ «لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَإِنِّي لُمُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَانْخَنَثَ فَمَاتَ فَمَا شَعَرْتُ فَكَيْفَ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ؟».

وفي صحيح مسلم(٢)عن أبي الطُّفَيْلِ عَامِر بْن وَاثِلَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ».

وأخرج البخاري(٣)عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رسول الله ﷺ؟ قَالَ:«أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».(٤)

---

(١) برقم (٤٤٥٩).

(٢) برقم (١٩٧٨).

(٣) برقم (٣٦٧١) .

(٤) وعند البلاذري في«أنساب الأشراف»(١٠/٥٨) :«.. فما منعني أن أسأله عَن الثالث إلا أن يجيبني بعثمان. قلت: فما أنت يَا أبه؟ قَالَ: رجل من المُسْلِمِينَ» .

فهذه الأحاديث تدل على فشو هذه الفرية على عليٍّ رضي الله عنه، فقام الصحابة ومنهم عليٌّ رضي الله عنه بردِّ ذلك.

إنكار عليٍّ رضي الله عنه على من يفضله على أبي بكر ونعته بالمفتري

يؤيِّد ذلك ما أخرجه أحمد [١] بإسنادٍ حسن عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ هَذَا الْمِنْبَرَ فَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَذَكَرَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَذْكُرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أُنَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي الله فِيهَا مَا أَحَبَّ، ثُمَّ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا.

وأخرج أحمد عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «سَبَقَ النَّبِيُّ ﷺ، وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، وَثَلَّثَ عُمَرُ، ثُمَّ خَبَطَتْنَا - أَوْ أَصَابَتْنَا - فِتْنَةٌ، يَعْفُو الله عَمَّنْ يَشَاءُ». [٢]

دليل آخر أن علياً بايع أبا بكر الصديق رضي الله عنه مع من بايع الناس أول الأمر

تقدم ما أخرجه البيهقي [١] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ قَامَ خُطَبَاءُ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ،

---

(١) في «فضائل الصحابة» (٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٢)، ٨٩٥) وفي «الفضائل» (٢٤٢) وهو أثر حسن على أقل الأحوال.

إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَّا، فنَرَى أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ وَالْآخَرُ مِنَّا، قَالَ: فَتَتَابَعَتْ خُطبَاءُ الْأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَإِنَّ الْإِمَامَ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: جزَاكُمُ الله خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ ثُمَّ قَالَ: أَمَا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَافَحْنَاكُمْ ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايِعُوهُ ثُمَّ انْطَلَقوا فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَخَتَنُهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَايَعهُ ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ قَالَ: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ وَحَوَارِيُّهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَايَعهُ.

فها هو عليٌّ رضي الله عنه بَايَعهُ مع البَيْعَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي جَرَتْ فِي السَّقِيفَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ عَلِيًّا بَايَعَهُ بعد بيْعَةَ الْعَامَّةِ بيسير، وذلك في اليوم التالى.

سبب تأخر علي والزبير رضي الله عنهما عن وقت بيعة الناس وبيان أن أبا بكر لم يكن في الخلافة راغباً أصلاً

أخرج موسى بن عقبه [٢] ومن طريقه البيهقي [١] بسندٍ صحيح عن إِبْرَاهِيم بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، كَانَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ

(١) في«الإعتقاد» ص٤٩٠. وقد قال الحافظ ابن كثير في«تاريخه» عقبه:« وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَحْفُوظٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نَضْرَةَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ قِطْعَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ، وَفِيهِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ وَهِيَ مُبَايَعَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِمَّا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ أَوْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ الْوَفَاةِ» .

(٢) كما قال ابن كثير في«تاريخه»(٧/ ٩٠)

عَنْهُمَا ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَسَرَ سَيْفَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَخَطَبَ النَّاسَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: وَاللهِ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْإِمَارَةِ يَوْمًا، وَلَا لَيْلَةً قَطُّ، وَلَا كُنْتُ فِيهَا رَاغِبًا، وَلَا سَأَلْتُهَا اللهَ فِي سِرٍّ، وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَمَا لِي فِي الْإِمَارَةِ مِنْ رَاحَةٍ ، وَلَكِنْ قُلِّدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ طَاقَةٌ، وَلَا يُدَانُ إِلَّا بِتَقْوِيَةِ اللهِ، ولَوَدِدْتُ أَنَّ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهَا مَكَانِي عَلَيْهَا الْيَوْمَ ، فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْهُ مَا قَالَ، وَمَا اعْتَذَرَ بِهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَا غَضِبْنَا إِلَّا لِأَنَّا أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشَاوَرَةِ، وَإِنَّا نَرَى أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ، وَثَانِي اثْنَيْنِ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ شَرَفَهُ وَكُبْرَهُ ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ.(٢)

قال ابن حجر عن الصحابة رضي الله عنه:

«..وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْذِرُونَهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي مُدَّةِ حَيَاةِ فَاطِمَةَ لِشَغْلِهِ بِهَا وَتَمْرِيضِهَا، وَتَسْلِيَتِهَا عَمَّا هِيَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ عَلَى أَبِيهَا ﷺ، وَلِأَنَّهَا لَمَّا غَضِبَتْ مِنْ رَدِّ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهَا فِيمَا سَأَلَتْهُ مِنَ الْمِيرَاثِ رَأَى عَلِيٌّ أَنْ يُوَافِقَهَا فِي الِانْقِطَاعِ عَنْهُ»(٣).

قال البيهقي طيَّب الله ثراه(٤): وَالَّذِي رَوَى أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يُبَايِعْ أَبَا بَكْرٍ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لَيْسَ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ(٥) فَأَدْرَجَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ فِي الْحَدِيثِ

---

(١) في«الكبرى»(٨/ ٢٦٣) و«الاعتقاد» ص٤٣٩.

(٢) وقال ابن كثير عقب ذكره عن مغازي موسى بن عقبة:« إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَلله الْحَمْدُ » .

(٣)«فتح الباري»(٧/ ٤٩٤).

(٤) في«الاعتقاد »ص ٤٩٣.

(٥) أي في رواية عقيل بن خالدعن الزهري في حديث عائشة الذي رواه البخاري (٤٢٤٠) ومسلم (١٧٥٩).

فِي قِصَّةِ فَاطِمَةَ ﵂، وَحَفِظَهُ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فَرَوَاهُ مُفَصَّلًا وَجَعَلَهُ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ مُنْقَطِعًا مِنَ الْحَدِيثِ.(١)

وقال ابن كثير(٢):

« أَمَّا مَا يَأْتِي مِنْ مُبَايَعَتِهِ إِيَّاه بَعْدَ مَوْتِ فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهَا بَيْعَةٌ ثَانِيَةٌ أَزَالَتْ مَا كَانَ قَدْ وَقَعَ مِنْ وَحْشَةٍ بِسَبَبِ الْكَلَامِ فِي الْمِيرَاثِ، وَمَنْعِهِ إِيَّاهم ذَلِكَ بالنَّص عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**». وهذا الحديث قد رواه غير أبي بكر.(٣)

وقال:«وَهَذَا حَقٌّ فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يُفَارِقِ الصِّدِّيقَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ فِي صَلَاةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ خَلْفَهُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ، لَمَّا خَرَجَ الصِّدِّيقُ شَاهِرًا سَيْفَهُ يُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الرِّدَّةِ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ قَرِيبًا» .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ(٤):

«مَنْ تَأَمَّلَ مَا دَارَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ مِنَ الْمُعَاتَبَةِ، وَمِنَ الِاعْتِذَارِ، وَمَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْصَافِ عَرَفَ أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَعْتَرِفُ بِفَضْلِ الْآخَرِ وَأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ مُتَّفِقَةً

---

(١) نعم نعم لله درُّك من إمام هو في رواية معمرعند أبي عوانة في«المستخرج»(٦٦٧٩)
ولفظها:«...قَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: فَلَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ،قَالَ: وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، حَتَّى بَايَعَهُ عَلِيٌّ فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ انْصِرَافَ وجُوهِ النَّاسِ عَنْهُ ضَرَعَ إِلَى مُصَالَحَةِ أَبِي بَكْرٍ...».

(٢) في«البداية والنهاية»(٧/ ٩٠).

(٣) رواه أبو هريرة، وعائشة، وعمر، وأقرَّ ذلك العباس وعليّ ﵃، وقد وساقهم ابن حبان وبوَّب للأحاديث في«صحيحه» (١٤/ ٥٧٥).بباب ذِكْرُ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**» تَفَرَّدَ بِهِ الصِّدِّيقُ ﵁.

(٤) فيما نقله الحافظ في«الفتح»(٧/ ٤٩٥).

عَلَى الِاحْتِرَامِ وَالْمَحَبَّةِ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ الْبَشَرِيُّ قَدْ يَغْلِبُ أَحْيَانًا لَكِنَّ الدِّيَانَةَ تَرُدُّ ذَلِكَ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَقَدْ تَمَسَّكَ الرَّافِضَةُ بِتَأَخُّرِ عَلِيٍّ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَنْ مَاتَتْ فَاطِمَةُ وَهَذَيَانُهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدْفَعُ فِي حجتهم، وَقد صحّح ابن حِبَّانَ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّ عَلِيًّا بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مُسْلِمٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ لَمْ يُبَايِعْ عَلِيٌّ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ قَالَ لَا وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَقَدْ ضَعَّفَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِأَنَّ الزُّهْرِيَّ لَمْ يُسْنِدْهُ وَأَنَّ الرِّوَايَةَ الْمَوْصُولَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَصَحُّ[1] وَجَمَعَ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ بَايَعَهُ بَيْعَةً ثَانِيَةً مُؤَكِّدَةً لِلْأُولَى لِإِزَالَةِ مَا كَانَ وَقَعَ بِسَبَبِ الْمِيرَاثِ كَمَا تَقَدَّمَ وَعَلَى هَذَا فَيُحْمَلُ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ لَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ عَلَى إِرَادَةِ الْمُلَازَمَةِ لَهُ وَالْحُضُورِ عِنْدَهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي انْقِطَاعِ مِثْلِهِ عَنْ مِثْلِهِ مَا يُوهِمُ مَنْ لَا يَعْرِفُ بَاطِنَ الْأَمْرِ أَنَّهُ بِسَبَبِ عَدَمِ الرِّضَا بِخِلَافَتِهِ فَأَطْلَقَ مَنْ أَطْلَقَ ذَلِكَ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ أَظْهَرَ عَلِيٌّ الْمُبَايَعَةَ الَّتِي بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لِإِزَالَةِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ».

وتلخيصُ ما تقدَّم:

أن علياً بايع أبا بكر ر ضي الله عنهما في أول الأمر، ثم انشغل بمرض فاطمة رضي الله عنها وأظهر لها الركون إليها، والبعد عن أبي بكر ثم بايعه ثانية بعد ستة أشهر، بعد موت فاطمة رضي الله عنها، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: أَصَبْتَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا، حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ حيث رجع إلى ما هو حق، وخير، ومطابق لشرع الله عز وجل ووافق الصحابة رضي الله عنهم بالمبايعة للخلافة. وَلَكِنْ لَمَّا حَصَلَ مِنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها عَتْبٌ عَلَى الصِّدِّيقِ بِسَبَبِ مَا كَانَتْ مُتَوَهِّمَةً مِنْ أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ تَعْلَمْ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا**

(١) لم يتعقَّبه بشيء فكأنه أقرَّه.

فَهُوَ صَدَقَةٌ»[١] فَحَجَبَهَا وَغَيْرَهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ وَعَمَّهُ عَنِ الْمِيرَاثِ بِهَذَا النَّصِّ الصَّرِيحِ، كَمَا سَنُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَنْظُرَ عَلِيٌّ زَوْجُهَا فِي صَدَقَةِ الْأَرْضِ الَّتِي بِخَيْبَرَ وَفَدَكَ، فَلَمْ يُجِبْهَا إِلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ فِي جَمِيعِ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ رَسُولُ اللهﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ التَّابِعُ لِلْحَقِّ ﷺ فَحَصَلَ لَهَا - وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنَ الْبَشَرِ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةِ الْعِصْمَةِ - عَتْبٌ وَتَغَضُّبٌ، وَلَمْ تُكَلِّمِ الصِّدِّيقَ حَتَّى مَاتَتْ رضي الله عنها، وَاحْتَاجَ عَلِيٌّ أَنْ يُرَاعِيَ خَاطِرَهَا بَعْضَ الشَّيْءِ، فَلَمَّا مَاتَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَفَاةِ أَبِيهَا ﷺ رَأَى عَلِيٌّ أَنْ يُجَدِّدَ الْبَيْعَةَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه».

قال البيهقي: [٢]

« صَحَّ بِمَا ذَكَرْنَا اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى مُبَايَعَتِهِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَا يَجُوزُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: كَانَ بَاطِنُ عَلِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ فَكَانَ عَلِيٌّ أَكْبَرَ مَحَلًّا وَأَجَلَّ قَدْرًا مِنْ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ يُظْهِرَ لِلنَّاسِ خِلَافَ مَا فِي ضَمِيرِهِ وَلَوْ جَازَ هَذَا فِي اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يَصِحَّ إِجْمَاعٌ قَطُّ، وَالْإِجْمَاعُ أَحَدُ حُجَجِ الشَّرِيعَةِ، وَلَا يَجُوزُ تَعْطِيلُهُ بِالتَّوَهُّمِ » .

وأما فاطمة فلَمْ تَسْمَعْ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَابِ الْمِيرَاثِ مَا سَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَغَيْرُهُ فَكَانَتْ مَعْذُورَةً فِيمَا طَلَبَتْهُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعْذورًا فِيمَا مَنَعَ فَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ عَنْ حُضُورِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تُوُفِّيتْ ثُمَّ كَانَ مِنْهُ تَجْدِيدُ الْبَيْعَةِ وَالْقِيَامُ بِوَاجِبَاتِهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قُعُودُ عَلِيٍّ فِي بَيْتِهِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَاهِيَةِ لِإِمَارَتِهِ .

فَفِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّهُ بَايَعَهُ بَعْدُ وَعَظَّمَ حَقَّهُ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى غَيْرِ مَا قُلْنَا لَكَانَتْ بَيْعَتُهُ آخَرَ خَطَأً وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا بَايَعَهُ ظَاهِرًا وَخَالَفَهُ بَاطِنًا فَقَدْ أَسَاءَ الثَّنَاءَ

---

(١) طرف من حديث أخرجه البخاري (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٧).

(٢) في «الاعتقاد» ص٤٩٣.

عَلَى عَلِيٍّ، وَقَالَ فِيهِ أَقْبَحَ الْقَوْلِ، وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ فِي إِمَارَتِهِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ، قَالُوا: بَلَى قَالَ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ.(١)

وأخرج البخاري(٢) عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

قال البيهقي:

وَنَحْنُ نَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ لَا يَفْعلُ إِلَّا مَا هُوَ حَقٌّ وَلَا يَقُولُ إِلَّا مَا هُوَ صِدْقٌ وَقَدْ فَعَلَ فِي مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَمؤازَرَةِ عُمَرَ مَا يَلِيقُ بِفَضْلِهِ وَعِلْمِهِ وَسَابِقَتِهِ وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِ وَجَمِيلِ نِيَّتِهِ فِي أَدَاءِ النُّصْحِ لِلرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ وَقَالَ فِي فَضْلِهِمَا مَا نَقَلْنَاهُ فِي كِتَابِ الْفَضَائِلِ فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مِنْ قَالَ بِخِلَافِ مَا قَالَ وَفَعَلَ.(٣)

وأخرج البيهقي(٤) بسندٍ صحيح عَنْ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ: أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ مَكَانَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه لَحَكَمْتُ بِمِثْلِ مَا حَكَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فِي فَدَكٍ .فهذا من علماء آل البيت، وأقرَّ ما فعل أبو بكر في فدك، فماذا ؟

ولَوْ عَلِمَ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَنَّ الْحَقَّ فِي غَيْرِ مَا حَكَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ لَرَدَّهُ ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَجْرَاهُ

---

(١) ذكر ذلك البيهقي في«الاعتقاد»ص ٣٥٣ هذا ثابت عن على خرجناه في تحقيقنا لكتاب «المصاحف» لأبن أبي داود وقد صححه غير واحد من أهل العلم.

(٢) برقم (٣٦٧١).

(٣) قاله البيهقي في«الاعتقاد» ص ٤٩٢ بتصرُّف.

(٤) في«الكبرى»(٦/ ٤٩٣) والدارقطني في«فضائل الصحابة»(٤٦).

عَلَى مَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ.

إرضاء أبي بكر فاطمةَ رضي الله عنهما وتطييب خاطرها

أخرج البيهقي[١] عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمَّا مَرِضَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: يَا فَاطِمَةُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ، فَقَالَتْ: أَتُحِبُّ أَنْ آذَنَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرَضَّاهَا وَقَالَ: «وَاللهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ، وَالْمَالَ، وَالْأَهْلَ، وَالْعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَمَرْضَاةِ رَسُولِهِ وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ»، ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيَتْ.[٢]

ولو كان أبو بكر رضي الله عنه مخالفاً، ما صح أن يثني عليٌ رضي الله عنه عليه يوم اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ رضي الله عنه، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَ: أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهِ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتَبَدَّ

---

(١) في «الكبرى» (٦/ ٤٩١).

(٢) **وقال البيهقي عقبه**: هَذَا مُرْسَلٌ حَسَنٌ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ

قال الحافظ بن كثير في «تاريخه»: «هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ عامر الشَّعْبِيَّ سَمِعَهُ مِنْ عَلِيٍّ، أَوْ مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدِ اعْتَرَفَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِصِحَّةِ مَا حَكَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فِي ذَلِكَ» اهـ.

قلت «محمد» ويُشكل عليه- في حالة صحته- ما في صحيح البخاري (٤٢٤٠) من أن أَبا بَكْرٍ أبى أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا مما طلبته من الميراث، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ، فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ.

عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا:أَصَبْتَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا، حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ ».[١]

وفي السنة الحادية عشر توفيت فاطمة رضي الله عنها، بعد رسول الله بستة أشهر كما في صحيح البخاري[٢] عَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وكذلك توفيت في هذه السَّنة: أم أيمن بركة بنت ثعلبة، وهي من حواضن النبي ﷺ، وثبت أن أبا بكر وعمر كانا يزورانها بعد وفاته ﷺ.

ردَّة جماعة من المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ.

لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهﷺ أَقَامُوا هُنَالِكَ، فلمَّا مَاتَ عَظُمَ الْخَطَبُ، واشتدَّ الْحَالُ، وَنَجَمَ النِّفاق بِالْمَدِينَةِ، وارتدَّ مَنِ ارتدَّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَامْتَنَعَ آخَرُونَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكاة إِلَى الصِّديق، ولم يبق للجمعة مقام فِي بَلَدٍ سِوَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ جُوَاثَى مِنَ الْبَحْرَيْنِ أوَّل قَرْيَةٍ أَقَامَتِ الْجُمُعَةَ بَعْدَ رُجُوعِ النَّاس إِلَى الحقِّ.[٣]

أخرج البخاري[٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ:أَوَّلُ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ، بَعْدَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ، فِي مَسْجِدِ عَبْدِ القَيْسِ بجُوَاثَى، يَعْنِي قَرْيَةً مِنَ البَحْرَيْنِ.

شدَّه الأمر على المسلمين وعلى خليفتهم رضي الله عنهم

أخرج خليفة بن خياط[١] وأبو نعيم[٢] وغيرهما بإسنادٍ صحيح عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) وهذا في صحيح البخاري(٤٢٤٠) ومسلم (١٧٥٩).

(٢) برقم(٤٢٤١).

(٣) « البداية والنهاية»(٧/ ٩٢).

(٤) برقم (٤٣٧١).

قالت: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَاشْرَأَبَّ النِّفَاقُ[٣] بِالْمَدِينَةِ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، وَالله لَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ مَا نَزَلَ لَهَاضَهَا» .[٤]

وفي رواية: فَوَالله مَا اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَةٍ إِلَّا طَارَ أَبِي بِحَظِّهَا وَعَنَائِهَا فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ تَقُولُ مَعَ هَذَا: وَمَنْ رَأَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ غَنَاءً لِلْإِسْلَامِ، كَانَ وَالله أَحْوَزِيًّا،[٥] نَسِيجَ وَحْدَهُ، قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا.

مناقشة عمر لأبي بكر في قتال مانعي الزكاة

في الصحيحين[٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى الله»، فَقَالَ: وَالله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ الله قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ ».

---

(١) في«تاريخه» ص ٥١ وابن أبي شيبة (٧/ ٣٤٣) وأحمد في«الفضائل» (٦٨).

(٢) في«صفة النفاق» ص ١٤١وراجع «علل الدارقطني»(١٤/ ٢٣٣).

(٣) اشرأبّ النِّفَاق: يَعْنِي ارْتَفع وَعلا وكل رَافع رَأسه مشرئب.

(٤) هاضها أي : كسرها، الهيض الْكسر بعد جبور الْعظم وَهُوَ أَشد مَا يكون من الْكسر.

(٥) كَانَ وَالله أحوَزيّا رووها بالزاي وَبَعْضهمْ يَرْوِيهَا بِالذَّالِ: أحوَذيّا.قَالَ الْأَصْمَعِي: الأحْوذِيّ المشمّر فِي الْأُمُور القاهر لَهَا الَّذِي لَا يشذّ عَلَيه مِنْهَا شَيْء.«غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٣/ ٢٢٥).

(٦) البخاري(٧٢٨٤) ومسلم(٢٠).

تنفيذ أبي بكر جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه

وقد أمَّره أبو بكر الصديق رضي الله عنه على أعظم جيوش الإسلام جيش مواجهة المرتدين،

وقد أطبق أهل السير على ذلك كلهم يذكره، أن أبا بكر أمَّرَه على هذا الجيش الذي كان فيه كبار الصحابة رضي الله عنهم تحت إمرة أسامة بن زيد .[1]

---

(١) فقد روى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَى أُبْنَى مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ، قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ رَسُولُ اللهإِذَا أَمَّرَ الرَّجُلَ أَعْلَمَهُ، وَنَدَبَ النَّاسَ مَعَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ سَرَوَاتُ النَّاسِ وَخِيَارُهُمْ، وَمَعَهُ عُمَرُ، قَالَ: فَطَعَنَ النَّاسُ فِي تَأْمِيرِ أُسَامَةَ، قَالَ: فَخَطَبَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «**إِنَّ نَاسًا طَعَنُوا فِي تَأْمِيرِي أُسَامَةَ، كَمَا طَعَنُوا فِي تَأْمِيرِي أَبَاهُ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ صَالِحِيكُمْ، فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا**» ، قَالَ: وَمَرِضَ رَسُولُ اللهﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ: «**أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ**» ، قَالَ: فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ الْجُرُفَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، فَقَالَتْ: لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهق ثَقِيلٌ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهﷺ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهﷺ رَجَعَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله بَعَثَنِي وَأَنَا عَلَى غَيْرِ حَالِكُمْ هَذِهِ، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تَكْفُرَ الْعَرَبُ، فَإِنْ كَفَرَتْ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ يُقَاتِلُ، وَإِنْ لَمْ تَكْفُرْ مَضَيْتُ، فَإِنَّ مَعِي سَرَوَاتِ النَّاسِ وَخِيَارَهُمْ، قَالَ: فَخَطَبَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَالله لَأَنْ تَخَطَّفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبْدَأَ بِشَيْءٍ قَبْلَ أَمْرِ رَسُولِ اللهﷺ، قَالَ: فَبَعَثَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى آبِلٍ، وَاسْتَأْذَنَ لِعُمَرَ أَنْ يَتْرُكَهُ عِنْدَهُ، قَالَ: فَأَذِنَ أُسَامَةُ لِعُمَرَ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَجْزِرَ فِي الْقَوْمِ، قَالَ هِشَامٌ: بِقَطْعِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ وَالْأَوْسَاطِ فِي الْقِتَالِ حَتَّى يُفْزِعَ الْقَوْمَ، قَالَ: فَمَضَى حَتَّى أَغَارَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُعْظِمُوا الْجِرَاحَةَ حَتَّى يُرْهِبُوهُمْ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ سَلِمُوا، وَقَدْ غَنِمُوا، قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: مَا كُنْتُ لِأَجِيءَ أَحَدًا بِالْإِمَارَةِ غَيْرَ أُسَامَةَ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قُبِضَ وَهُوَ أَمِيرٌ. قَالَ: فَسَارُوا، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الشَّامِ أَصَابَتْهُمْ ضَبَابَةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَتَرَهُمُ الله بِهَا حَتَّى أَغَارُوا، وَأَصَابُوا حَاجَتَهُمْ. قَالَ:

والذي وقفت عليه في ذلك في صحَّة سنده نظر، وأحسنها إسناداً

ما رواه البيهقي[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللهُ ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ ثُمَّ الثَّالِثَةَ ثُمَّ قِيلَ لَهُ: مَهْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَجَّهَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِ مِائَةٍ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خَشَبٍ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، رُدَّ هَؤُلَاءِ، تُوَجِّهُ هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ وَقَدِ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ جَرَتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَلَا حَلَلْتُ لِوَاءً عَقَدَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَوَجَّهُ أُسَامَةَ فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدونَ الِارْتِدَادَ إِلَّا قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا الرُّومَ فَلَقَوُا الرُّومَ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ وَرَجَعُوا سَالِمِينَ فَثَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

فَقُدِمَ بِنَعْيِ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى هِرَقْلَ وَإِغَارَةِ أُسَامَةَ فِي نَاحِيَةِ أَرْضِهِ خَبَرًا وَاحِدًا، فَقَالَتِ الرُّومُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ بِمَوْتِ صَاحِبِهِمْ أَنْ أَغَارُوا عَلَى أَرْضَنَا. قَالَ عُرْوَةُ: فَمَا رُئِيَ جَيْشٌ كَانَ أَسْلَمَ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ.وهذا سند مرسل.

(١) في«الإعتقاد» ص ٤٨٥ من طريق الْفِرْيَابِيِّ ، ثنا عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ..به.ورجاله معدَّلون إلا أن ثم إشكال في تحديد عباد بن كثير هل هو الرملى الذي هو مقارب الحديث أم البصري المتروك؟ فالذي في«تهذيب الكمال»يروي عن أبي الزناد يروي عنه الفريابي هو البصري، ولكن الحافظ ابن كثير قال في«تاريخه»(٧/ ٩٣) عقبه:« عبَّاد بن كثير هذا أظنه الرملي- لِرِوَايَةِ الْفِرْيَابِيِّ عَنْهُ، وَهُوَ مُتَقَارِبُ الْحَدِيثِ، فأمَّا الْبَصْرِيُّ الثَّقفيّ فَمَتْرُوكُ الْحَدِيثِ وَالله أَعْلَمُ» وبناء عليه فالإسناد حسن،والله أعلم

ظهور الأسود العنسي المتنبئ الكذاب الكاهن
وتحقق رؤيا النبي ﷺ فيه هو ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة

فقد قال:بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ[١] مِنْ ذَهَبٍ، فَفُظِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِي فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ» فَقَالَ عُبَيْدُ الله: «أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِاليَمَنِ وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ».[٢]

ومعنى يخرجان: أي تظهر شوكتهما ودعواهما النبوة ويحاربهما المسلمون بعده ﷺ

.

وقتل جماعة من خيرة الصحابة رضي الله عنهم ....

وقد توفي: في هذه السنة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه الصحابي الجليل المبشر بالجنة،فذكر أنه قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا، وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَنْصَارِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِهِ.

والذي وقفت عليه من ذلك ما أخرجه ابن أبي عاصم[٣] وغيره عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَمَّنْ يُحَدِّثُنِي بِحَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فَأَرْشَدُونِي إِلَى ابْنَتِهِ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَمَّا أَنْزَلَ الله تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ {إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨] اشْتَدَّتْ عَلَى ثَابِتٍ وَغَلَّقَ بَابَهُ وَطَفِقَ يَبْكِي.... وفيه: أن النبيﷺ قال له: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشُ بِخَيْرٍ وَتُقْتَلُ شَهِيدًا وَيُدْخِلُكَ الله عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ**» . فَلَمَّا اسْتَنْفَرَ أَبُو بَكْرٍ

---

(١) سِوَارَيْنِ من ذهب: فَإِنَّمَا يعبر بِالذَّهَب من الذَّاهِب أَي الشَّيْء الْبَاطِل الزائل .

(٢) كما في صحيح البخاري(٧٠٣٣)ومسلم (٢٢٧٤).

(٣) في«المثاني» برقم(١٩٢١) وفي«الجهاد»(٢٢٥) والطبراني(٢/ ٧٠) رقم(١٣٢٠).وإسناده رجاله معدَّلن إلا ابنه ثابت بن قيس بن شماس والظنُّ بها حسن، وللمتن شواهد تشهد لبعض جزئياته، ولذلك قال ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ١٢٤):«لهذا الحديث وهذه القصة شواهد أخر».

ﷺ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ وَالْيَمَامَةِ وَمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ سَارَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِيمَنْ سَارَ، فَلَمَّا لَقُوا مُسَيْلِمَةَ وَبَنِي حَنِيفَةَ هَزَمُوا الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ: مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللهﷺ، فَحَفَرَا لِأَنْفُسِهِمَا حُفْرَةً فَدَخَلَا فِيهِ فَقَاتَلَا حَتَّى قُتِلَا، قَالَتْ: وَرَأَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ بِالْأَمْسِ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَانْتَزَعَ مِنِّي دِرْعًا نَفِيسَةً وَمَنْزِلُهُ أَقْصَى الْعَسْكَرِ، وَعِنْدَ مَنْزِلِهِ فَرَسٌ يَسِيرُ فِي طَوَّلَهُ وَقَدْ أَكْفَى عَلَى الدِّرْعَ بُرْمَةً وَجَعَلَ فَوْقَ الْبُرْمَةِ رَحْلًا فَأْتِ خَالِدًا فَلْيَبْعَثْ إِلَى دِرْعِي فَلْيَأْخُذْهَا فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهﷺ فَأَعْلِمْهُ أَنَّ عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ كَذَا وَلِي مِنَ الْمَالِ كَذَا وَفُلَانٌ مِنْ رَقِيقِي عَتِيقٌ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلُمٌ فَتُضِيعَهُ، فَأَتَى خَالِدًا فَبَعَثَ إِلَى الدِّرْعِ فَوَجَدَهَا كَمَا ذَكَرَ وَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْفَذَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَصِيَّتَهُ وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا جَازَتْ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ ﷺ» .

ويشهد للقصة ما رواه الطبراني[1] بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، جَاءَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَقَدْ تَحَنَّطَ وَنَشَرَ أَكْفَانَهُ، فَقَالَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، وَأَعْتَذِرُ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ فَقُتِلَ، وَكَانَتْ لَهُ دِرْعٌ فَسُرِقَتْ، فَرَآهُ رَجُلٌ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ» ، فَقَالَ: «إِنَّ دِرْعِي فِي قِدْرٍ تَحْتَ الْكَانُونِ، فِي مَكَانِ كَذَا، وَكَذَا، وَأَوْصَاهُ بِوَصَايَا، فَطَلَبُوا الدِّرْعَ فَوَجَدُوهَا، وَأَنْفَذُوا الْوَصَايَا».

(١) في «الكبير» (٢/ ٦٥ رقم (١٣٠٧).

قتل فيروز الديلمي رضي الله عنه الأسودَ العنسيّ

أخرج النسائي عَنْ عَبْدِ الله بن فيروز الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِرَأْسِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ الْكَذَّابِ.(١)

ظهور مسيلمة الكذاب الذي كان قد قدم على رسول الله ﷺ.

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى(١) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ تَسْمِيَةَ بَعْضِ الْكَذَّابِينَ الْمَذْكُورِينَ بِلَفْظِ: « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ كَذَّابًا: مِنْهُمْ مُسَيْلِمَةُ، وَالعَنْسِيُّ، وَالْمُخْتَارُ، وَشَرُّ قَبَائِلِ العَرَبِ بَنُو أُمَيَّةَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ، وَثَقِيفٌ ».(٣)

---

(١) أخرجه النسائي في«الكبرى»(٨٦١٩) والطبراني في«مسند الشاميين»(٨٧٥) وغيرهماعنْ ضَمْرَةَ، عَنِ السَّيْبَانِيِّ وَهُوَ يَحْيَى بْنُ أَبِي عُمَرٍو أَبُو زُرْعَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الدَّيْلَمِيِّ به ورجاله معدَّلون.قال الهيثمي في«المجمع» (٥/ ٣٣٠) : « رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ» . وقد حكى الحافظ في«التلخيص» (٤/ ٢٨٧) عن أبي أَحْمَدَ الْحَاكِمُ فِي الْكُنَى قال: هُوَ وَهْمٌ؛ لِأَنَّ الْأَسْوَدَ قُتِلَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَيْضًا فَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ خُرُوجَ الْأَسْوَدِ صَاحِبِ صَنْعَاءَ بَعْدَهُ، لَا فِي حَيَاتِهِ، وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ: بِأَنَّ رِجَالَهُ ثِقَاتٌ، وَتَفَرُّدُ ضَمْرَةَ بِهِ لَا يَضُرُّهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أُتِيَ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ قَاصِدًا إِلَيْهِ، وَافِدًا عَلَيْهِ، مُبَادِرًا بِالتَّبْشِيرِ بِالْفَتْحِ، فَصَادَفَهُ قَدْ مَاتَ ﷺ .
قُلْت(الحافظ): «وَقَوْلُ أبي أحمد الْحَاكِمِ: إنَّ الْأَسْوَدَ لَمْ يَخْرُجْ فِي حَيَاتِهِ، غَيْرَ مُسَلَّمٍ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ ابْتِدَاءَ خُرُوجِهِ كَانَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: إنَّهُ يَخْرُجُ بَعْدَهُ، اشْتِدَادُ شَوْكَتِهِ، وَاشْتِهَارُ أَمْرِهِ، وَعِظَمُ الْفِتْنَةِ بِهِ، وَكَانَ كَذَلِكَ، وَقِيلَ فِي أَثَرِ ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، إذْ لَيْسَ فِيهِ اطِّلَاعُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ وَتَقْرِيرِهِ ».
قلت «محمد»: أخرجه الطحاوي في «المشكل»(٢٩٦٠) والطوسي في«المستخرج على الترمذي» (١٤٧١) من نفس الطريق وفيه:« أَتَيْنَا رَسُولَ اللهﷺ بِرَأْسِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ الْكَذَّابِ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَرَفْتَ مَنْ نَحْنُ فَإِلَى مَنْ نَحْنُ؟ قَالَ:« **إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ** » فظاهره يدل على أنه التقى بالنبيﷺ وكلمه بعد قدومه برأسه عليه، والله أعلم.

فأخرج البخاري ومسلم[٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ[٥] وَفِي يَدِ رَسُولِ الله ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ الله فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ ليَعْقِرَنَّكَ الله، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ**».

وقد تبع مسيلمة الكذاب خلقٌ كثيرٌ على هذا الضُّلال.

فقد قال أبو رَجَاءٍ: «كُنْتُ يَوْمَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ غُلاَمًا أَرْعَى الإِبِلَ عَلَى أَهْلِي، فَلَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِهِ فَرَرْنَا إِلَى النَّارِ، إِلَى مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ».[٦]

مقتل مسيلمة بن حبيب الحنفي اليمامي الكذاب لعنه الله

على يد وحشي بن حرب رضي الله عنه

أخرج البخاري [١] عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ

---

(١) في«مسنده» (٦٨٢٠).

(٢) كما قال الحافظ في«فتح الباري» (٦/ ٦١٧).

(٣) **قال الحافظ**: قُلْتُ وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي آخِرِ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ بِالْيَمَامَةِ وَالْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ بِالْيَمَنِ ثُمَّ خَرَجَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ فِي بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ وَسَجَاحُ التَّمِيمِيَّةُ فِي بَنِي تَمِيمٍ .

(٤) البخاري(٣٦٢٠) ومسلم (٢٢٧٣).

(٥) وهو خطيب الأنصار.

(٦) كما في صحيح البخاري(٤٣٧٧).

عُبَيْدِ الله بْنِ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ، قَالَ لِي عُبَيْدُ الله بْنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ، نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ، كَأَنَّهُ حَمِيتٌ، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ الله مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ، مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ الله: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: لاَ وَالله، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي العِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلاَمًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الغُلاَمَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ الله عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلاَيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ العَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلاَمُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لاَ يَهِيجُ الرُّسُلَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**آنْتَ وَحْشِيٌّ**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ**» قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي**» قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ، قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ،

(١) البخاري(٤٠٧٢).

قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.قال ابن عمر: « فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَتَلَهُ العَبْدُ الأَسْوَدُ» .

والمقصود: أن العنسي قَتله فَيْرُوز الديلمي فِي مرض وَفَاته ﷺ ، ومسيلمة قَتله وَحشِي قَاتل حَمْزَة فِي خلَافَة الصّديق رضي الله عنه .

والمقصود: أن جيوش أبي بكر الصِّدِّيقِ وَأُمَرَاءه الَّذِينَ بَعَثَهُمْ لِقِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ كانوا جَوَّالينَ فِي الْبِلَادِ يَمِينًا وَشِمَالًا، لِتَمْهِيدِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَقِتَالِ الطُّغَاةِ مِنَ الْأَنَامِ، حَتَّى رُدَّ شَارِدُ الدِّينِ بَعْدَ ذَهَابِهِ، وَرَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَتَمَهَّدَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ، وَصَارَ الْبَعِيدُ الْأَقْصَى كَالْقَرِيبِ الْأَدْنَى.كما أشار ابن كثير رحمه الله .

مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وكانت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين، لا يُختَلَف في سنِّه، وتوفي سنة ثلاث عشرة للهجرة النبوية [١].

استخلاف أبي بكر الصديق عمر رضي الله عنه من بعده

أخرج البخاري[٢] قول عثمان رضي الله عنه :« ثُمَّ اسْتَخْلَفَ الله أَبَا بَكْرٍ، فَوَالله مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ، فَوَالله مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ..

(١) راجع«تاريخ خليفة بن خياط»ص٦٢.

(٢) برقم (٣٨٧٢).

وفي الصحيحين[١] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ أَلاَ تَسْتَخْلِفُ ؟ قَالَ: «إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ الله ﷺ ...».

وأخرج البيهقي[٢] بإسنادٍ جيد عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ هَذَا الْمِنْبَرِ وَقَالَ : خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ مَا شَاءَ الله أَنْ يَذكُرَهُ ثُمَّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ نَاسًا يُفَضِّلونَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، وَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتٍرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَحْدَثْنَا بَعْدَهُمَا أَحْدَاثًا يَفْعلُ الله فِيهَا، أَظُنُّهُ قَالَ: مَا أَحَبَّ.

وأخرج البخاري[٣] عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوُا الله لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ الله، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ الله مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ الله مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ. وتقدم قول عَلِيٍّ رضي الله عنه :سَبَقَ النَّبِيُّ ﷺ، وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، وَثَلَّثَ عُمَرُ، ثُمَّ خَبَطَتْنَا- أَوْ أَصَابَتْنَا- فِتْنَةٌ، يَعْفُو الله عَمَّنْ يَشَاءُ.[٤]

---

(١) البخاري(٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣).

(٢) في«الاعتقاد» ص ٥٠٩، وأخرجه أحمد في«زوائد الفضائل»(٤٨٤) وهذا لفظه و« زوائد المسند» (١٠٥١).

(٣) برقم (٣٦٧٧).

(٤) أخرجه أحمد (٦٦٢،٨٩٥) وفي«الفضائل»(٢٤٢) وهو أثر حسن على أقل الأحوال.

والظاهر أن أبا بكر استخلف عمر رضي الله عنه وزيره، وهما وزيرا النبيِّ ﷺ، فلم يحتج عمر إلى مبايعة من أحد، لأنه كان أميراً بالإستخلاف كيزيد بن معاوية الذي استُخلف من أبيه على ما سيأتي في موطنه، ولم ينازع أحد في إمارة عمر أو يزيد أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم مُطلقاً، وإنما نازع الخوارج ومن تأثر بهم ممن نسب إلى العلم في إمرة يزيد بن معاوية على ما سيأتي بيانه في موطنه إن شاء الله.

نعم الخَلف عمر لأبي بكر رضي الله عنهما

وقد أخرج أحمد[1] بإسناد حسن عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، قَالَ: قَامَ عَلِيٌّ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَمِلَ بِعَمَلِهِ، وَسَارَ بِسِيرَتِهِ، حَتَّى قَبَضَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَعَمِلَ بِعَمَلِهِمَا، وَسَارَ بِسِيرَتِهِمَا، حَتَّى قَبَضَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ ».

وبدأت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

موقعة اليرموك:

شجاعة الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ في هذه الموقعة.

كَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ مُحَلًّى بِفِضَّةٍ

أخرج البخاري عن هشام بن عروةعَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ، قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ اليَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لاَ نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ

(١) برقم (١٠٥٥).

مُقْبِلًا، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: «كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ»[1].

قَالَ عُرْوَةُ: «وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا.

ولما ولي عُمَرُ بن الخطاب إمرةَ المؤمنين، عزل خالدَ بن الوليد عن إمرة الشام وَوَلَّى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ مكانه رضي الله عنهما.

عزل عمر بن الخطاب خالدَ بن الوليد رضي الله عنهما

كَانَ خَالِدٌ أَحَدَ الأُمَرَاءِ بِالشَّامِ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ. وَفَتَحَ بِهَا فُتُوحًا كَثِيرَةً. وَهُوَ وَلِيَ صُلْحَ أَهْلِ دِمَشْقَ وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا فَأَنْفَذُوا ذَلِكَ لَهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ وَوَلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَزَلَ خَالِدًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَوَلَّى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ. فَلَمْ يَزَلْ خَالِدٌ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي جُنْدِهِ يَغْزُو، هذا هو الظاهر، وقد حكاه ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي.

وقد أخرج ابن أبي شيبة[2] وغيره بسند صحيح إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الشَّامِ، وَعَزَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: بُعِثَ عَلَيْكُمْ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، وَنِعْمَ فَتَى الْعَشِيرَةِ**».

ما حصل من اختلاف بسبب عزل عمر خالدًا رضي الله عنهما

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٧٥).

(٢) في «المصنف» (٦/ ٣٨٧) ولكن عبد الملك لم يدرك عمر ولا خالد بن الوليد رضي الله عنهما.

أخرج النسائي[١] بإسناد صحيح[٢]عَنْ نَاشِرَةِ بْنِ سُمَيٍّ الْيَزَنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ: إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَإِنِّي أَمَّرْتُهُ أَنْ يَحْبِسَ هَذَا الْمَالَ عَلَى ضَعَفَةِ الْمُهَاجِرِينَ، فَأَعْطَاهُ ذَا الْبَأْسَ، وَذَا الشُّرَفَ، وَذَا اللِّسَانَ، فَنَزَعْتُهُ، وَأَمَّرْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: «لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ ، وَأَغْمَدْتَ سَيْفًا سَلَّهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَوَضَعْتَ لِوَاءً نَصَبَهُ رَسُولُ الله ﷺ ، وَلَقَدْ قَطَعْتَ الرَّحِمَ، وَحَسَدْتَ ابْنَ الْعَمِّ» فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّكَ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ، حَدِيثُ السِّنِّ، مُغْضَبٌ فِي ابْنِ عَمِّكَ».

والواضح أن عمر رجع عن هذا الاتهام بعد كما بينته في غير هذا الموطن[٣].

فقد أخرج ابن سعد[٤] بسندٍ صحيح عن قَيْسَ بْن أَبِي حَازِمٍ قال:لَمَّا مَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ عُمَرُ: يَرْحَمُ الله أَبَا سُلَيْمَانَ. لَقَدْ كُنَّا نَظُنُّ بِهِ أُمُورًا مَا كَانَتْ.

السنة الرابعة عشرة للهجرة النبوية

أرسل فيها عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الكوفة، وقد طعن فيه أهل الكوفة بعدُ، وشكوه إلى عمر، وغالَوا في افترائهم عليه رضي الله عنه[٥].

وفي صحيح البخاري[٦]عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ:شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ

(١) في«الكبرى» (٨٢٢٥).

(٢) وقد جوَّد سنده الحافظ ابن كثير في«مسند الفاروق» (٢/ ٤٧٨) .

(٣) في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» ص٩٠.

(٤) في«طبقاته»(٧/ ٢٩٢).

(٥) صحح ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ١٧٢) أن ذلك كان في السنة الرابعة عشرة.

(٦) برقم (٧٥٥).

يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا - وَالله - فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ الله ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَالله لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

وأخرج[1] عن سعد رضي الله عنه، يَقُولُ: إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهَّ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي، وَكَانُوا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ، قَالُوا: لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي.

وسيأتي بيان أن عمر رضي الله عنه لما عزله لم يعزله من نقص.

موقعة القادسية

في السنة الخامسة عشرة[2] كان سعد على المسلمين. وكانت كما قال ابن كثير: «كَانَتْ وَقْعَةُ الْقَادِسِيَّةِ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ بِالْعِرَاقِ أَعْجَبُ مِنْهَا».[1]

---

(١) البخاري(٣٧٢٨).

(٢) على ما أرَّخَ خليفة بن خياط ص ٧١.

توجيه عمر رضي الله عنه الناس في هذه الغزوة

أخرج ابن أبي شيبة [٢] بسندٍ لا بأس به عن حَنَشِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُ، قَالَ: قَدِمْنَا مِنَ الْيَمَنِ، نَزَلْنَا الْمَدِينَةَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا عُمَرُ فَطَافَ فِي النَّخْعِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النَّخْعِ، إِنِّي أَرَى الشَّرَفَ فِيكُمْ مُتَرَبِّعًا فَعَلَيْكُمْ بِالْعِرَاقِ وَجُمُوعِ فَارِسَ، فَقُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَلْ الشَّامُ نُرِيدُ الْهِجْرَةَ إِلَيْهَا، قَالَ: لَا بَلِ الْعِرَاقُ، فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهَا لَكُمْ، قَالَ: حَتَّى قَالَ بَعْضُنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦]، قَالَ: فَلَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِرَاقِ، قَالَ: فِيهَا جُمُوعُ الْعَجَمِ وَنَحْنُ أَلْفَانِ وَخَمْسُمِائَةٍ، قَالَ: فَأَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ فَقُتِلَ مِنَ النَّخْعِ وَاحِدٌ، وَكَذَا وَكَذَا رَجُلًا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ ثَمَانُونَ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا شَأْنُ النَّخْعِ، أُصِيبُوا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ، أَفَرَّ النَّاسُ عَنْهُمْ؟ قَالُوا: لَا بَلْ وُلُّوا أَعْظَمَ الْأَمْرِ وَحْدَهُمْ».

عدد المسلمين وما كان بين المسلمين والمشركين في هذه المعركة.

أخرج أبو يوسف [٣] وغيره بإسنادٍ صحيح عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: جَاءَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه حَتَّى نَزَلَ بِالْقَادِسِيَّةِ، وَمَعَهُ النَّاسُ. قَالَ فَمَا أَدْرِي لَعَلَّنَا كُنَّا لَا نَزِيدُ عَلَى سَبْعَةِ آلافٍ أَوْ ثَمَانِيَةِ آلافٍ بَيْنَ ذَلِكَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ سِتُّونَ أَلْفًا، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، مَعَهُمُ الْفُيُولُ. قَالَ فَلَمَّا نَزَلُوا قَالُوا لَنَا: ارْجِعُوا فَإِنَّا لَا نَرَى لَكُمْ عَدَدًا، وَلا نَرَى لَكُمْ قُوَّةً، وَلا سِلاحًا؛ فَارْجِعُوا.

قَالَ: فَقُلْنَا: مَا نَحْنُ بِرَاجِعِينَ.

---

(١) «البداية والنهاية»(/ ٤٣).

(٢) في«المصنف» (٦/ ٥٥٣).

(٣) في كتابه «الخراج» ص٤٠ وابن أبي شيبة (٦/ ٥٥١) والطبري ك قال ابن كثير في«البداية والنهاية» (٧/ ٤٠).

فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ بِنِبَالِنَا وَيَقُولُونَ:« دوك دوك»،

يُشَبِّهُونَهَا بِالْمَغَازِلِ. قَالَ: فَلَمَّا أَبَيْنَا عَلَيْهِمُ الرُّجُوعَ.

قَالُوا: ابْعَثُوا إِلَيْنَا رَجُلاً عَاقِلاً يُخْبِرُنَا مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ مِنْ بِلادِكُمْ فَإِنَّا لَا نَرَى لَكُمْ عَدَدًا، وَلا عُدَّةً. قَالَ: فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: أَنَا لَهُمْ، فَعَبَرَ إِلَيْهِمْ، فَجَلَسَ مَعَ رُسْتَمَ عَلَى السَّرِيرِ، فَنَخَرَ، وَنَخَرُوا حِينَ جَلَسَ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: وَالله مَا زادني مجْلِس هَذَا رِفْعَةً وَلا نَقَصَ صَاحِبَكُمْ، فَقَالَ لَهُ رُسْتَمُ: أَنْبِئُونِي مَا جَاءَ بِكُمْ مِنْ بِلادِكُمْ فَإِنَّا لَا نَرَى لَكُمْ عَدَدًا وَلا عُدَّةً.

فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: كُنَّا قَوْمًا فِي شَقَاءٍ، وَضَلالَةٍ؛ فَبَعَثَ الله فِينَا نَبِيًا فَهَدَانَا الله بِهِ، وَرَزَقَنَا عَلَى يَدَيْهِ فَكَانَ فِيمَا رُزِقْنَا حَبَّةً زَعَمُوا أَنَّهَا تَنْبُتُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ؛ فَلَمَّا أَكَلْنَا مِنْهَا وَأَطْعَمْنَا أَهْلِينَا قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا حَتَّى تُنْزِلُونَا هَذِه الْبِلَاد فنأكل هَذِهِ الْحَبَّةِ. فَقَالَ رُسْتَمُ: إِذَنْ نَقْتُلُكُمْ فَقَالَ: إِنْ قَتَلْتُمُونَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَتَلْنَاكُمْ دَخَلْتُمُ النَّارَ، وَإِلا فَأَعْطُونَا الْجِزْيَةَ، قَالَ فَلَمَّا قَالَ أَعْطُونَا الْجِزْيَةَ صَاحُوا ،وَنَخَرُوا، وَقَالُوا لَا صُلْحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَقَالَ: الْمُغِيرَةُ: أَتَعْبُرُونَ إِلَيْنَا أَمْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ؟ فَقَالَ: رُسْتَمُ: نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ - مُدِلا- قَالَ فَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى عَبَرَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ وَهَزَمُوهُمْ.

وأخرج أبو يوسف[1] أيضاً بسندٍ صحيح عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: كَانَتْ بُجَيْلَةُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ رُبُعَ النَّاسِ. قَالَ وَلَحِقَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ بِالْفُرْسِ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ بَأْسَ النَّاسِ هَاهُنَا لِبُجَيْلَةَ، قَالَ فَوَجَّهُوا إِلَيْنَا سِتَّةَ عَشَرَ فِيلاً، وَإِلَى سَائِرِ النَّاسِ فِيلَيْنِ، قَالَ: وَالله إِن عمر بْن معديكرب يُحَرِّضُ النَّاسَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ كُونُوا أُسْدًا عَنَابِسَةً؛ فَإِنَّمَا الْفَارِسِيُّ تَيْسٌ بَعْدَ أَنْ يُلْقِيَ نَيْزَكَهُ. قَالَ:

(١) ص ٤٢.

وَأَسْوَارٌ[1] مِنْ أَسَاوِرَتِهِمْ لَا تَقَعُ لَهُ نَشَّابَةٌ فَقُلْتُ: اتَّقَاءً يَا أَبَا ثَوْرٍ، وَرَمَاهُ الْفَارِسِيُّ فَأَصَابَ فَرَسَهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَمْرٌو فَاعْتَنَقَهُ، وَذَبَحَهُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، وَأَخَذَ سَلَبَه سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ وَقِبَاءٍ دَيْبَاجٍ وَمِنْطَقَةٍ بِالذَّهَبِ.

قَالَ فَلَمَّا هَزَمَ الله الْمُشْرِكِينَ أُعْطِيَتْ بُجَيْلَةُ رُبُعَ السَّوَادِ فَأَكَلُوهُ ثَلاثَ سِنِينَ، ثُمَّ وَفَدَ جرير إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا جُرَيْرُ إِنِّي قَاسِمٌ مَسْئُولٌ، لَوْلا ذَلِكَ لَسَلَّمْتُ لَكُمْ مَا قَسَمْتُ لَكُمْ؛ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ يُرَدَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَرَدَّهُ جُرَيْرٌ فَأَجَازَهُ عُمَرُ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُمَا بِثَمَانِينَ دِينَارًا.

وفي رواية ابن أبي شيبة [2] من نفس الطريق عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: شَهِدْتُ الْقَادِسِيَّةَ وَكَانَ سَعْدٌ عَلَى النَّاسِ، وَجَاءَ رُسْتُمُ فَجَعَلَ عَمْرَو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيَّ يَمُرُّ عَلَى الصُّفُوفِ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، كُونُوا أُسُودًا أَشِدَّاءَ أَغْنَى شَأْنُهُ ، إِنَّمَا الْفَارِسِيُّ تَيْسٌ بَعْدَ إِنْ يَلَقِي نَيْزَكَهُ ، قَالَ: وَكَانَ مَعَهُمْ إِسْوَارٌ لَا تَسْقُطُ لَهُ نُشَّابَةٌ ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا ثَوْرٍ ، اتَّقِ ذَاكَ ، قَالَ: فَإِنَّا لَنَقُولُ ذَاكَ إِذْ رَمَانَا فَأَصَابَ فَرَسَهُ ، فَحَمَلَ عَمْرٌو عَلَيْهِ فَاعْتَنَقَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ فَأَخَذَ سَلَبَهُ سِوَارَيْ ذَهَبٍ كَانَا عَلَيْهِ وَمِنْطَقَةً، وَقَبَاءَ دِيبَاجٍ، وَفَرَّ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ فَخَلَا بِالْمُشْرِكِينَ فَأَخْبَرَهُمْ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَأَشَارَ إِلَى بَجِيلَةَ، قَالَ: فَرَمَوْا إِلَيْنَا سِتَّةَ عَشَرَ فِيلًا عَلَيْهَا الْمُقَاتِلَةُ، وَإِلَى سَائِرِ النَّاسِ فِيلَيْنِ قَالَ: وَكَانَ سَعْدٌ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ: سَا بَجِيلَةَ ، قَالَ قَيْسٌ: وَكُنَّا رُبْعُ النَّاسِ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ ، فَأَعْطَانَا عُمَرُ رُبْعَ السَّوَادِ فَأَخَذْنَاهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَوَفَدَ بَعْدَ ذَلِكَ جَرِيرٌ إِلَى عُمَرَ وَمَعَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَلَا تُخْبِرَانِي عَنْ مَنْزِلَيْكُمْ هَذَيْنِ؟ وَمَعَ ذَلِكَ إِنِّي لَأَسْلُكُهَا، وَإِنِّي لَأَتَبَيَّنُ فِي وُجُوهِهَا أَيَّ الْمَنْزِلَيْنِ خَيْرٌ؟» قَالَ: فَقَالَ جَرِيرٌ: أَنَا

---

(١) أي قائد من قوَّادهم.

(٢)وابن أبي شيبة(٦/ ٥٥٠) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٦/ ٣٧٩)وسنده صحيح أيضاً.

أُخْبِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا أَحَدُ الْمَنْزِلَيْنِ فَأَدْنَى نَخْلَةً مِنَ السَّوَادِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَمَّا الْمَنْزِلُ الْآخَرُ فَأَرْضُ فَارِسَ وَعَلَيْهَا وَحَرُّهَا، وَبَقُّهَا يَعْنِي الْمَدَائِنَ، قَالَ: فَكَذَّبَنِي عَمَّارٌ فَقَالَ: كَذَبْتَ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: «أَنْتَ أَكْذَبُ»، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: «أَلَا تُخْبِرُونَ عَنْ أَمِيرِي هَذَا أَمَجْرِيٌّ هُوَ؟» قَالُوا: لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِمَجْرِيٍّ وَلَا عَالِمٍ بِالسِّيَاسَةِ فَعَزَلَهُ وَبَعَثَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ.

من المواقف العجيبة التي حصلت في هذه الموقعة

قصة أبي محجن الثقفي

أخرج سعيد بن منصور[1] بسند صحيح عَنْ محمَّدِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ قالَ: أُتِيَ سعدٌ بأبي مِحْجَنٍ يومَ القادسيَّةِ، وقدْ شربَ الخمرَ، فأمرَ بهِ إلى القَيْدِ، وكانتْ بسعدٍ جِرَاحَةٌ فلمْ يخرُجْ يومئذٍ إلى النَّاسِ، قالَ: وَصَعدُوا بهِ فوقَ العُذَيْبِ لينظُرَ إلى النَّاسِ، واستعمَلَ على الخَيْلِ خالدَ بنَ عُرْفُطَةَ، فلمَّا التقى النَّاسُ، قالَ أبو مِحْجَنٍ:

كفَى حزناً أن تُردى الخيلُ بِالْقَنَا ... وأُتركُ مشدوداً عليَّ وثاقيا .

فقالَ لابنةِ خَصَفَةَ امرأةِ سعدٍ: أطلقيني، ولكِ عليَّ إنْ سلَّمَني اللهُ أنْ أرجِعَ حتَّى أضعَ رجلي فى القَيْدِ، وإنْ قُتِلْتُ استرحتُمْ، فحلَّتْهُ حتَّى التَقَى النَّاسُ، قالَ: فوثبَ على فرسٍ لسعدٍ يُقالُ لها البَلْقَاءُ، قالَ: ثمَّ أخذَ رُمْحاً، ثمَّ خرجَ فجعلَ لا يحملُ على ناحيةٍ منَ العدوِّ إلا هزمَهُمْ، وجعلَ النَّاسُ يقولونَ: هذا مَلَكٌ، لما يرونَهُ يصنَعُ، وجعلَ سعدٌ يقولُ: الضَّبْرُ ضَبْرُ البلقاءِ، والطَّعنُ طعنُ أبي مِحْجَنٍ، وأبو مِحْجَنٍ فى القَيْدِ، قالَ: فلمَّا هُزمَ العدوُّ رَجَعَ أبو مِحْجَنٍ حتَّى وضَعَ رجلَهُ فِي القَيْدِ، فأخبرتْ بنتُ خَصَفَةَ سعداً بالَّذي كان مِنْ أمرِهِ، قالَ: فقالَ سعدٌ: واللهِ لا أضربُ بعدَ اليومِ

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٢٥٠٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٩).

رجلاً أبلى اللهُ المسلمينَ على يديهِ ما أبلاهُمْ، قالَ: فخلَّى سبيلَهُ، فقالَ أبو مِحْجَنٍ: قد كنتُ أشربُهَا حيثُ كانَ يُقامُ عليَّ الحدُّ فأطهُرُ منها، فأمَّا إذ بهرجتَنِي فلا والله لا أشربُها أبداً».

مبارزة كانت يوم القادسية

أخرج ابن أبي شيبة [١] بسندٍ صحيح إلى الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ الْعَبْدِيِّ، عَنْ شِبْرِ بْنِ عَلْقَمَةَ،قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقَادِسِيَّةِ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَزَةِ فَذَكَرَ مِنْ عِظَمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ قَصِيرٌ يُقَالُ لَهُ شِبْرُ بْنُ عَلْقَمَةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْفَارِسِيُّ هَكَذَا يَعْنِي احْتَمَلَهُ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَصَرَعَهُ، قَالَ: فَأَخَذَ شِبْرٌ خِنْجَرًا كَانَ مَعَ الْفَارِسِيِّ، فَقَالَ بِهِ فِي بَطْنِهِ هَكَذَا يَعْنِي فَحَصْحَصَهُ، قَالَ: ثُمَّ انْقَلَبَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَ بِسَلَبِهِ إِلَى سَعْدٍ فَقُوِّمَ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا فَنَفَلَهُ سَعْدٌ.

تبليغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمن قتل في وقعة نهاوند

أخرج أبو يوسف [٢]عَنْ مُدْرِكِ بْنِ عَوْفٍ الأَحْمَسِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عُمَرَ إِذْ أَتَاهُ رَسُولُ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَذْكُرُ مَنْ أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ بِنَهَاوَنْدَ؛ فَيَقُولُ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ وَفُلانُ بْنُ فُلانٍ، ثُمَّ قَالَ الرَّسُولُ: وَآخَرُونَ لَا نعرفهم. قَالَ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه لَكِنِ الله يَعْرِفُهُمْ، قَالَ: وَرَجُلٌ شَرَى نَفْسَهُ -يَعْنِي عَوْفَ بْنَ أَبِي حَيَّةَ أَبَا شِبْلٍ الأحمسي- فَقَالَ مدرك بْن عَوْفٍ: ذَاكَ

---

(١) في«المصنف»(٦/ ٥٥٣).

(٢) في«الخراج»ص ٤٥ وابن أبي شيبة (٦/ ٥٥٨) وإسناده صحيح رجاله ثقات ، ومدرك الظن به حسن، فهومختلف في صحبته والراوي عنه قيس بن أبي حازم راوية أبي بكر الصديق، أدرك شيوخ الصحابة الكبار رضي الله عنهم .

والله خَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبَ أُولَئِكَ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الآخِرَةَ بِالدُّنْيَا.

توسعة الله على الناس في زمن عمر رضي الله عنه

أخرج أبو يوسف [١] بسندٍ حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمْتُ من الْبَحْرين بخمسمائة أَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخطاب رضي الله عنه مُمْسِيًا فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْبِضْ هَذَا الْمَالَ. قَالَ: وَكَمْ هُوَ؟ قُلْتُ: خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ: وَتَدْرِي كَمْ خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ مِائَةُ أَلْفٍ، وَمِائَةُ أَلْفٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، قَالَ: أَنْتَ نَاعِسٌ، اذْهَبْ فَبِتِ اللَّيْلَةَ حَتَّى تُصْبِحَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: اقْبِضْ مِنِّي هَذَا الْمَالَ. قَالَ: وَكَمْ هُوَ؟ قُلْتُ: خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ: أَمِنْ طِيبٍ هُوَ؟ قَالَ قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ إِلا ذَاكَ؛ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَالٌ كَثِيرٌ فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نُكِيلَ لَكُمْ كِلْنَا، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعُدَّ لَكُمْ عَدَدْنَا، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَزِنَ لَكُمْ وَزَنَّا لَكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ دون للنَّاس دَوَاوِينَ يُعْطَوْنَ عَلَيْهَا. فَاشْتَهَى عُمَرُ ذَلِك.

موقف عمر بن الخطاب مع ولده عبد الله بن عمر

أخرج ابن أبي شيبة [٢] بسندٍ يحسَّن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: شَهِدْتُ جَلُولَاءَ فَابْتَعْتُ مِنَ الْغَنَائِمِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَقَدِمْتُ بِهَا عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قُلْتُ: ابْتَعْتُ مِنَ الْغَنَائِمِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَالَ: يَا صَفِيَّةُ، احْفَظِي بِمَا قَدِمَ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، عَزَمْتُ عَلَيْكِ أَنْ لَا تُخْرِجِي مِنْهُ شَيْئًا ، قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ طَيِّبٍ ، قَالَ: ذَاكَ لَكَ ، قَالَ: فَقَالَ لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ: أَرَأَيْتَ لَوِ انْطُلِقَ بِي إِلَى النَّارِ أَكُنْتَ مُفْتَدِ قُلْتُ: نَعَمْ وَلَوْ بِكُلِّ شَيْءٍ أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، قَالَ: فَإِنِّي كَأَنَّنِي شَاهِدُكَ يَوْمَ جَلُولَاءَ وَأَنْتَ

---

(١) في «الخراج» ص ٥٦.

(٢) (٦/ ٥٥٦).

تُبَايِعُ وَيَقُولُونَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهﷺ وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَكْرَمُ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ قَالَ: فَإِنْ يُرَخِّصُوا عَلَيْكَ بِمِائَةٍ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَغْلُوا عَلَيْكَ بِدِرْهَمٍ ، وَإِنِّي قَاسِمٌ ، وَسَأُعْطِيكَ مِنَ الرِّبْحِ أَفْضَلَ مَا يَرْبَحُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، أُعْطِيكَ رِبْحَ الدِّرْهَمِ دِرْهَمًا ، قَالَ: فَخَلَّى عَلَى سَبْعَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ دَعَا التُّجَّارَ فَبَاعَهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ، فَأَعْطَانِي ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَبَعَثَ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا إِلَى سَعْدٍ فَقَالَ: اقْسِمْ هَذَا الْمَالَ بَيْنَ الَّذِينَ شَهِدُوا الْوَقْعَةَ ، فَإِنْ كَانَ مَاتَ فِيهِمْ أَحَدٌ فَابْعَثْ بِنَصِيبِهِ إِلَى وَرَثَتِه.

أخرج ابن أبي شيبة [1] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ:«لَمَّا كَانَ حِينَ فُتِحَتْ نَهَاوَنْدُ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ سَبَايَا مِنْ سَبَايَا الْيَهُودِ، قَالَ: وَأَقْبَلَ رَأْسُ الْجَالُوتِ يُفَادِي سَبَايَا الْيَهُودِ ، قَالَ: وَأَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَارِيَةً يَسْرَةً صَبِيحَةً، قَالَ: فَأَتَانِي فَقَالَ: لَكَ أَنْ تَمْشِيَ مَعِي إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ عَسَى أَنْ يُثَمِّنَ لِي بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَدَخَلَ عَلَى شَيْخٍ مُسْتَكْبِرٍ لَهُ تُرْجُمَانٌ فَقَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: سَلْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ، هَلْ وَقَعَ عَلَيْهَا هَذَا الْعَرَبِيُّ؟ قَالَ: وَرَأَيْتُهُ غَارَ حِينَ رَأَى حُسْنَهَا، قَالَ: فَرَاطَنَهَا بِلِسَانِهِ فَفَهِمْتُ الَّذِي قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَبَحْتَ بِمَا فِي كِتَابِكَ بِسُؤَالِكَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ عَلَى مَا وَرَاءَ ثِيَابِهَا، فَقَالَ لِي: كَذَبْتَ مَا يُدْرِيكَ مَا فِي كِتَابِي، قُلْتُ: أَنَا أَعْلَمُ بِكِتَابِكَ مِنْكَ، قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِكِتَابِي مِنِّي؟

قُلْتُ: أَنَا أَعْلَمُ بِكِتَابِكَ مِنْكَ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: فَانْصَرَفْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيَّ رَسُولًا يَعْزِمُهُ لِيَأْتِيَنِي، قَالَ: وَبَعَثَ إِلَيَّ بِدَابَّةٍ قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ لَعَمْرُ اللهِ احْتِسَابًا رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ، فَحَبَسَنِي عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَقْرَأُ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ وَيَبْكِي، قَالَ: وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ وَاللهِ لَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ،

(١) (٦/ ٥٥٨).

قَالَ: فَقَالَ لِي: كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْيَهُودِ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْيَهُودَ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا؟ قَالَ: فَغَلَبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ وَأَبَىٰ أَنْ يُسْلِمَ.

وقعة اليرموك

كَانَتْ وَقْعَةُ الْيَرْمُوكِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ مَضَيْنَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ.

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: هَذَا هو المحفوظ، وأما ما قَالَهُ سَيْفٌ مِنْ أَنَّهَا قَبْلَ فَتْحِ دِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فَلَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ.(١)

بعض ما كان في هذه الموقعة من الأحداث

أخرج البخاري(٢) عَنْ عروة أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ، قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَىٰ عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: «كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ»

قَالَ عُرْوَةُ: «وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَىٰ فَرَسٍ، وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا.

وأخرج ابن أبي شيبة (٣) بسندٍ صحيح عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يُرِيدُ أَنْ يَشْرِيَ نَفْسَهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، وَامْرَأَتُهُ تُنَاشِدُهُ، قَالَ: رُدُّوا هَذِهِ عَنِّي فَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ يُصِيبُهَا الَّذِي أَصَبْتُ مَا نَفِسْتُ عَلَيْهَا، إِنِّي وَالله لَإِنِ اسْتَطَعْتُ لَأَمْضِيَ وَلَوْ يَزُولُ

(١) قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٨).

(٢) برقم (٣٩٧٥).

(٣) في «المصنف» (٤/ ٢٠٧)

هَذَا مِنْ مَكَانِهِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى جَبَلٍ، فَإِنْ غَلَبْتُمْ عَلَى جَسَدِي فَخُذُوهُ، قَالَ قَيْسٌ: فَمَرَرْنَا عَلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ.

وأخرج ابن أبي شيبة [١] بإسنادٍ صحيح عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَة، قَالَ: شَهِدْنَا الْيَرْمُوكَ فَاسْتَقْبَلَنَا عُمَرُ، وَعَلَيْنَا الدِّيبَاجُ، وَالْحَرِيرُ، فَأَمَرَ فَرُمِينَا بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَقُلْنَا: مَا بَلَغَهُ عَنَّا؟ قَالَ: فَنَزَعْنَاهُ وَقُلْنَا: كَرِهَ زِيَّنَا، فَلَمَّا اسْتَقْبَلَنَا رَحَّبَ بِنَا وَقَالَ: «إِنَّكُمْ جِئْتُمُونِي فِي زِيِّ أَهْلِ الشِّرْكِ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ لِمَنْ قَبْلَكُمُ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ.

وأخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عَنْ رَبِيعِ بْنِ عُمَيْلَةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «اخْتَلَفَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَتَفَاخَرَا فَقَالَ الْكُوفِيُّ: نَحْنُ أَصْحَابُ يَوْمِ الْقَادِسِيَّةِ وَيَوْمِ كَذَا وَكَذَا وَيَوْمِ كَذَا، وَقَالَ الشَّامِيُّ: نَحْنُ أَصْحَابُ الْيَرْمُوكِ وَيَوْمِ كَذَا وَيَوْمِ كَذَا، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: كِلَاهُمَا لَمْ يُشْهِدْهُ اللهُ هَلْكَ عَادٍ وَثَمُودَ، لَمْ يُؤَامِرْهُ اللهُ فِيهِمَا لَمَّا أَهْلَكَهُمَا، وَمَا مِنْ قَرْيَةٍ أَحْرَى أَنْ يُرْفَعَ عَنْهَا عَظِيمَةٌ» - يَعْنِي الْكُوفَةَ -

وأخرج ابن أبي شيبة[٣] بسند حسن عَنْ سِمَاكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عِيَاضًا الْأَشْعَرِيَّ، قَالَ: شَهِدْتُ الْيَرْمُوكَ ، وَعَلَيْنَا خَمْسَةُ أُمَرَاءَ:أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَابْنُ حَسَنَةَ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعِيَاضٌ وَلَيْسَ عِيَاضٌ هَذَا بِالَّذِي حَدَّثَ عَنْهُ سِمَاكٌ ، قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ:«إِذَا كَانَ قِتَالٌ فَعَلَيْكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ»، قَالَ: فَكَتَبْنَا إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ جَاشَ إِلَيْنَا الْمَوْتُ، وَاسْتَمْدَدْنَاهُ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْنَا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ كِتَابُكُمْ تَسْتَمِدُّونِي، وَإِنِّي أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْضَرُ جُنْدًا فَاسْتَنْصِرُوهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ

---

(١) في«المصنف» (٥/ ١٥٤).

(٢) في«المصنف»(٦/ ٤٠٧).

(٣) في«المصنف»(٧/ ٧).

نُصِرَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي أَقَلَّ مِنْ عَدَدِكُمْ، فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَقَاتِلُوهُمْ، وَلَا تُرَاجِعُونِي، قَالَ: فَقَاتَلْنَاهُمْ فَهَزَمْنَاهُمْ وَقَتَلْنَاهُمْ فِي أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ قَالَ: وَأَصَبْنَا أَمْوَالًا، قَالَ: فَتَشَاوَرْنَا، فَأَشَارَ عَلَيْنَا عِيَاضٌ أَنْ نُعْطِيَ ثَمَنَ كُلِّ رَأْسٍ عَشَرَةً، قَالَ: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:مَنْ يُرَاهِنُنِي؟ قَالَ: فَقَالَ شَابٌّ: أَنَا إِنْ لَمْ تَغْضَبْ، قَالَ: فَسَبَقَهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَقِيصَتَيْ أَبِي عُبَيْدَةَ تَنْقُزَانِ وَهُوَ خَلْفَهُ عَلَى فَرَسٍ عَرَبِيٍّ.

وأخرج ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «شَهِدْتُ الْيَرْمُوكَ فَأَصَابَ النَّاسُ أَعْنَابًا، وَأَطْعِمَةً، فَأَكَلُوا، وَلَمْ يَرَوْا بِهَا بَأْسًا»[1].

موقف لأسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها

أخرج الطبراني[2] وغيره بسندٍ حسن عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَاجِرٍ، وَعَمْرو بْن مُهَاجِرٍ، عَنْ أَبِيهِمَا أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ بِنْتِ عَمِّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَتَلَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ تِسْعَةً مِنَ الرُّومِ بِعَمُودِ فُسْطَاطِهَا».

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٨).

(٢) في«الكبير»(٢٤/ ١٥) رقم (٤٠٣) وأبو نعيم في«معرفة الصحابة»(٧٥٠٧) من طريق أَحْمَد بْن عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ نَجْدَةَ الْحَوْطِيُّ، ثنا أَبِي، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَاجِرٍ، وَعَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ به. ورجاله مُعدَّلون ليس فيهم أقل ممن يُحَسَّن حديثه.

وقد قال الهيثمي في«المجمع»(٩/ ٢٦٠):« رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ » ، ووالد محمد وعمر حسن الحديث. وأخرجه ابن أبي عاصم في «المثاني» (٣٣٤٩) عن الحوطي بنفس السند، ولكن فيه أنها قتلت سبعة لا تسعة.

وقد توبع إسماعيل بن عياش، تابعه مِسْكِينُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ أخرجه أبو جعفر محمد بن عمرو بن البختري في« مجموع مصنفات أبي البختري» (١٦٩))

إرسال عمر رضي الله عنه النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه إلى أصبهان

أخرج ابن أبي شيبة[1] بسند صحيح عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ شَاوَرَ الْهُرْمُزَانِ فِي فَارِسَ، وَأَصْبَهَانَ وَأَذَرْبِيجَانَ، فَقَالَ:« أَصْبَهَانُ الرَّأْسُ وَفَارِسُ وَأَذَرْبِيجَانَ الْجَنَاحَانِ، فَإِنْ قَطَعْتَ أَحَدَ الْجَنَاحَيْنِ مَالَ الرَّأْسُ بِالْجَنَاحِ الْآخَرِ، وَإِنْ قَطَعْتَ الرَّأْسَ وَقَعَ الْجَنَاحَانِ، فَابْدَأْ بِالرَّأْسِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِالنُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ يُصَلِّي ، فَقَعَدَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: « مَا أَرَانِي إِلَّا مُسْتَعْمِلُكَ»، قَالَ: أَمَّا جَابِيًا فَلَا ، وَلَكِنْ غَازِيًا ، قَالَ: فَإِنَّكَ غَازٍ ، فَوَجَّهَهُ وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنْ يُمِدُّوهُ ، قَالَ: وَمَعَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ، وَحُذَيْفَةُ، وَابْنُ عُمَرَ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ: فَأَرْسَلَ النُّعْمَانُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ إِلَى مَلِكِهِمْ وَهُوَ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْجَنَاحَيْنِ ، فَقَطَعَ إِلَيْهِمْ نَهْرَهُمْ فَقِيلَ لِذِي الْجَنَاحَيْنِ: إِنَّ رَسُولَ الْعَرَبِ هَاهُنَا ، فَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ؟ أَقْعُدُ لَهُ فِي بَهْجَةِ الْمُلْكِ وَهَيْئَةِ الْمُلْكِ أَوْ فِي هَيْئَةِ الْحَرْبِ ، قَالُوا: لَا بَلِ اقْعُدْ لَهُ فِي بَهْجَةِ الْمُلْكِ ، فَقَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ وَوَضَعَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَعَدَ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ سِمَاطِينَ ، عَلَيْهِمُ الْقِرَطَةُ وَأَسَاوِرُ الذَّهَبِ وَالدِّيبَاجُ ، قَالَ: فَأَذِنَ لِلْمُغِيرَةِ فَأَخَذَ بِضَبْعِهِ رَجُلَانِ وَمَعَهُ رُمْحُهُ وَسَيْفُهُ ، قَالَ: فَجَعَلَ يَطْعَنُ بِرُمْحِهِ فِي بُسُطِهِمْ يَخْرِقُهَا لِيَتَطَيَّرُوا حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ: فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ وَالتُّرْجُمَانُ يُتَرْجِمُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَصَابَكُمْ جُوعٌ وَجُهْدٌ فَجِئْتُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ مَرَرْنَاكُمْ وَرَجَعْتُمْ ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنَّا أَذِلَّةً يَطَأُونَا وَلَا نَطَأُهُمْ ، وَنَأْكُلُ الْكِلَابَ، وَالْجِيفَةَ وَأَنَّ اللهَ ابْتَعَثَ مِنَّا نَبِيًّا فِي شَرَفٍ مِنَّا، أَوْسَطَنَا حَسَبًا وَأَصْدَقَنَا حَدِيثًا ، قَالَ: فَبَعَثَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا بَعَثَهُ بِهِ،

وتابعه أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْقُدُّوسِ عن محمد بن مهاجر– وحده– عند أحمد كما في «سؤالات أبي داود»(١٤٧٥) ولكن فيه: قَتَلَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِعَمُودٍ.

(١) في«المصنف»(٦/ ٥٥٩).

فَأَخْبَرَنَا بِأَشْيَاءَ وَجَدْنَاهَا كَمَا قَالَ ، وَأَنَّهُ وَعَدَنَا فِيمَا وَعَدَنَا أَنَّا سَنَمْلِكُ مَا هَاهُنَا وَنَغْلِبُ، وَأَنِّي أَرَى هَاهُنَا بَزَّةً وَهَيْئَةً مَا مِنْ خَلْفِي بِتَارِكِهَا حَتَّى يُصِيبَهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: لَوْ جَمَعْتَ جَرَامِيزَكَ فَوَثَبْتَ فَقَعَدْتَ مَعَ الْعِلْجِ عَلَى سَرِيرِهِ حَتَّى يَتَطَيَّرَ ، قَالَ: فَوَثَبْتُ وَثْبَةً ، فَإِذَا أَنَا مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَجَعَلُوا يَطَأُونِي بِأَرْجُلِهِمْ وَيَجُرُّونِي بِأَيْدِيهِمْ فَقُلْتُ: إِنَّا لَا نَفْعَلُ هَذَا بِرُسُلِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُ عَجَزْتُ أَوِ اسْتَحْمَقْتُ ، فَلَا تُؤَاخِذُونِي، فَإِنَّ الرُّسُلَ لَا يُفْعَلُ بِهِمْ هَذَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ: إِنْ شِئْتَ قَطَعْنَا إِلَيْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ قَطَعْتُمْ إِلَيْنَا ، فَقُلْتُ: لَا بَلْ نَحْنُ نَقْطَعُ إِلَيْكُم، قَالَ: فَقَطَعْنَا إِلَيْهِمْ، فَسَلَسْلُوا كُلَّ خَمْسَةٍ، وَسَبْعَةٍ، وَسِتَّةٍ، وَعَشَرَةٍ، فِي سِلْسِلَةٍ حَتَّى لَا يَفِرُّوا ، فَعَبَرْنَا إِلَيْهِمْ فَصَافَفْنَاهُمْ فَرَشَقُونَا حَتَّى أَسْرَعُوا فِينَا، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ لِلنُّعْمَانِ: إِنَّهُ قَدْ أَسْرَعَ فِي النَّاسِ قَدْ خَرَجُوا قَدْ أَسْرَعَ فِيهِمْ ، فَلَوْ حَمَلْتَ؟ قَالَ النُّعْمَانُ: إِنَّكَ لَذُو مَنَاقِبَ، وَلَكِنْ شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ انْتَظَرَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ وَتُنْزِلَ النَّصْرَ؛ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي هَازٌّ لِوَائِي ثَلَاثَ هَزَّاتٍ، فَأَمَّا أَوَّلُ هَزَّةٍ فَلْيَقْضِ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَلْيَتَوَضَّأْ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلْيَنْظُرِ الرَّجُلُ إِلَى شِسْعِهِ وَرِمَ مِنْ سِلَاحِهِ ، فَإِذَا هَزَزْتُ الثَّالِثَةَ فَاحْمِلُوا ، وَلَا يَلْوِيَنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنْ قُتِلَ النُّعْمَانُ فَلَا يَلْوِيَنَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِنِّي دَاعِي اللهِ بِدَعْوَةٍ، فَأَقْسَمْتُ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَمَا أَمَّنَ عَلَيْهَا، فَقَالَ:اللَّهُمَّ ارْزُقِ النُّعْمَانَ الْيَوْمَ الشَّهَادَةَ فِي نَصْرٍ وَفَتْحٍ عَلَيْهِمْ ، قَالَ: فَأَمَّنَ الْقَوْمُ وَهَزَّ لِوَاءَهُ ثَلَاثَ هَزَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سَلَّ دِرْعَهُ، ثُمَّ حَمَلَ وَحَمَلَ النَّاسُ، قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ صَرِيعٍ، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَذَكَرْتُ عَزْمَتَهُ، فَلَمْ أَلْوِ عَلَيْهِ وَأَعْلَمْتُ عَلَمًا حَتَّى أَعْرِفَ مَكَانَهُ، قَالَ: فَجَعَلْنَا إِذَا قَتَلْنَا الرَّجُلَ شَغَلَ عَنَّا أَصْحَابَهُ قَالَ: وَوَقَعَ ذُو الْجَنَاحَيْنِ عَنْ بَغْلَةٍ لَهُ شَهْبَاءَ فَانْشَقَّ بَطْنُهُ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَيْتُ مَكَانَ النُّعْمَانِ وَبِهِ رَمَقٌ، فَأَتَيْتُهُ بِإِدَاوَةٍ فَغَسَلْتُ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟، فَقُلْتُ: مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، قَالَ: مَا فَعَلَ النَّاسُ؟ قُلْتُ: فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: لله الْحَمْدُ، اكْتُبُوا ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، وَفَاضَتْ نَفْسُهُ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَى

أُمِّ وَلَدِهِ: هَلْ عَهِدَ إِلَيْكِ النُّعْمَانُ عَهْدًا ؛ أَمْ عِنْدَكِ كِتَابٌ؟ قَالَتْ: سَفَطٌ فِيهِ كِتَابٌ ، فَأَخْرَجُوهُ فَإِذَا فِيهِ: إِنْ قُتِلَ النُّعْمَانُ فَفُلَانٌ ، وَإِنْ قُتِلَ فُلَانٌ فَفُلَانٌ ، قَالَ حَمَّادٌ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ: فَحَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ قَالَ: ذَهَبْتُ بِالْبِشَارَةِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ النُّعْمَانُ؟ قُلْتُ: قُتِلَ، قَالَ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ قُلْتُ: قُتِلَ ، قَالَ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ قُلْتُ: قُتِل، فَاسْتَرْجَعَ ، قُلْتُ: وَآخَرُونَ لَا نَعْلَمُهُمْ، قَالَ: لَا نَعْلَمُهُمْ، لَكِنَّ الله يَعْلَمُهُمْ».

فتح بيت المقدس ووقوع طاعون عمواس[1] وما كان فيه

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: ثُمَّ كَانَ فَتْحُ الْجَابِيَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ.

وَقَالَ أَبُو مَعْشَرٍ: ثُمَّ كَانَ عَمَوَاسُ وَالْجَابِيَةُ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ.

ثم كانت سرع في سَبْعَ عَشْرَةَ، ثُمَّ كَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ قَالَ: وَكَانَ فِيهَا طَاعُونُ عَمَوَاسَ-يَعْنِي فَتْحَ الْبَلْدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَمَوَاسَ- فَأَمَّا الطَّاعُونُ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهَا فَكَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.[2]

وَقْعَةُ جَلُولَاءَ

وسميت بذلك لما تجَلَّلها من الشر

أرَّخها ابن كثير رحمه الله أنها كانت في السَّنة السَّادسة عشر للهجرة النبوية.

ولكن ابن حزم أرَّخ قال:« وكانت وقعة جَلولاء سنة ثمان عشرة، وفتح في خلال ذلك السواد وأعمال العراق.

وفتح حُلْوَان، فتحها جرير بن عبد الله البَجَليّ رضي الله عنه حُلْوَان [1]إثْرَ وقعة جَلُولاء »[2].

---

(١) وهو اسم للقرية التي وقع بها طاعون عمواس، وهي قرية معروفة بالشام.

(٢) حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية» (٧/ ٦٧).

بينما أرَّخها خليفة بن خياط[٣] سنة سبعة عشر.

لَمَّا سَارَ كِسْرَى وَهُوَ يَزْدَجِرْدُ بْنُ شَهْرِيَارَ مِنَ الْمَدَائِنِ هَارِبًا إِلَى حُلْوَانَ شَرَعَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فِي جَمْعِ رِجَالٍ وَأَعْوَانٍ وَجُنُودٍ، مِنَ الْبُلْدَانِ الَّتِي هُنَاكَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ مِنَ الْفُرْسِ وَأَمَّرَ عَلَى الْجَمِيعِ مِهْرَانَ، وَسَارَ كِسْرَى إلى حلوان فأقام الْجَمْعُ الَّذِي جَمَعَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَلُولَاءَ، وَاحْتَفَرُوا خَنْدَقًا عَظِيمًا حَوْلَهَا، وَأَقَامُوا بِهَا

فِي العَدد والعُدد وَآلَاتِ الْحِصَارِ، فَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ يُقِيمَ هُوَ بِالْمَدَائِنِ وَيَبْعَثَ ابْنَ أَخِيهِ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ أَمِيرًا عَلَى الْجَيْشِ الَّذِي يَبْعَثُهُ إِلَى كِسْرَى، وَيَكُونَ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ الْقَعْقَاعُ بن عمرو، وعلى الميمنة سعد بْنُ مَالِكٍ وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ أَخُوهُ عُمَرُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَلَى السَّاقَةِ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ الْجُهَنِيُّ.[٤]

فاللهُ أعلم أي ذلك كان، وبنحو ذلك قال خليفة بن خياط[٥].

والذي تقدَّم بصحيح السند أن المسلمين حَصَرُوهُمْ حَتَّى مَا يَجِدُونَ طَعَامًا إِلَّا كِلَابَهُمْ وَسَنَانِيرَهُمْ ، قَالَ: فَتَحَمَّلُوا فِي لَيْلَةٍ حَتَّى أَتَوْا، قَالَ: فَسَارَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ بِالنَّاسِ

---

(١) وحلوان مدينة ليس بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أعمر منها، ولا أكثر خصباً، وجلّ ثمارها التين وهى بقرب الجبل، وليس للعراق مدينة تقرب من الجبل غيرها وربّما سقط بها الثلج فأمّا أعلى جبلها فالثلج يسقط به دائما.

(٢) «رسائل ابن حزم»(٢/ ١٢٩).

(٣) في «تاريخه» ص٧٥.

(٤) «البداية والنهاية»(٧/ ٢١٢).

(٥) في«تاريخه» ص٧٥.

وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ ، قَالَ: وَهِيَ الْوَقْعَةُ الَّتِي جَلُولَاء كَانَتْ ، قَالَ: فَأَهْلَكَهُمُ الله وَانْطَلَقَ فَلُّهُمْ إِلَى نَهَاوَنْدَ ، قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ جَلُولَاءَ أَتَوْا نَهَاوَنْدَ، قَالَ: فَاسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ حُذَيْفَةَ ابْنَ الْيَمَانِ ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ السُّلَمِيَّ[١].

وَكَانَت هَذِه الْوَقْعَة الَّتِي وَقعت على نهاوند وقْعَة عَظِيمَة، وَكَانَ الْمُسلمُونَ يسمونها «فتح الْفتُوح».

عمر رضي الله عنه في الطريق إلى فتح بيت المقدس

ووقع كما أخبر به النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري[٢] عن عَوْف بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: « **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ**....الحديث؟

موقف لعمر بن الخطاب مع أبي عبيدة رضي الله عنهما وهم بالطريق

أخرجه الحاكم[٣] بسندٍ صحيح عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٥٥١) بسندٍ صحيح وقد تقدم

(٢) برقم (٣١٧٦).

(٣) في«المستدرك»(١/ ١٣٠) .

اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَوَّهْ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا الله بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُب الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا الله بِهِ أَذَلَّنَا الله».

وله طريق آخر[1] عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ لَقِيَهُ الْجُنُودُ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ، وَخُفَّانِ، وَعِمَامَةٌ وَهُوَ آخِذٌ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ يَخُوضُ الْمَاءَ، فَقَالَ لَهُ - يَعْنِي قَائِلٌ- ا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَلْقَاكَ الْجُنُودُ وَبَطَارِقَةُ الشَّامِ وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ هَذَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا الله بِالْإِسْلَامِ، فَلَنْ نَبْتَغِيَ الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ».

وهذا موقف له :

أخرج ابن أبي شيبة[2] بسندٍ صحيح عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ وَهُوَ عَلَى الْبَعِيرِ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَكِبْتَ بِرْذَوْنًا يَلْقَاكَ عُظَمَاءُ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ عُمَرُ: «لَا أَرَاكُمْ هَاهُنَا، إِنَّمَا الْأَمْرُ مِنْ هُنَا» وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

موقف آخر :

أخرجه مالك [3] بسند صحيح عن الْقَاسِم قال: سَمِعْتُ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُرِيدُ الشَّامَ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الشَّامِ أَنَاخَ عُمَرُ، وَذَهَبَ لِحَاجَةٍ، قَالَ أَسْلَمُ: فَطَرَحْتُ فَرْوَتِي بَيْنَ شِقَّيْ رَحْلِي، فَلَمَّا فَرَغَ عُمَرُ عَمَدَ إِلَى بَعِيرِي، فَرَكِبَهُ عَلَى الْفَرْوَةِ، وَرَكِبَ أَسْلَمُ بَعِيرَهُ، فَخَرَجَا يَسِيرَانِ حَتَّى لَقِيَهُمَا أَهْلُ الأَرْضِ، يَتَلَقَّوْنَ عُمَرَ، قَالَ أَسْلَمُ: فَلَمَّا دَنَوْا مِنَّا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حلم معاوية»(٢) والحاكم عقب السالف وجعله شاهداً له، وسنده صحيح أيضاً.

(٢) في«المصنف»(٧/ ٩).

(٣) برقم (٩٢٨) رواية محمد بن الحسن الشيباني، وابن أبي شيبة(٧/ ٩).

أَشَرْتُ لَهُمْ إِلَى عُمَرَ، فَجعَلُوا يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، قَالَ عُمَرُ: تَطْمَحُ أَبْصَارُهُمْ إِلَى مَرَاكِبِ مَنْ لا خَلاقَ لَهُمْ، يُرِيدُ مَرَاكِبَ الْعَجَمِ.

وهذا موقف آخر:

أخرجه ابن أبي شيبة [١] عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: جَاءَ بِلَالٌ إِلَى عُمَرَ وَهُوَ بِالشَّامِ وَحَوْلَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ جُلُوسًا فَقَالَ: يَا عُمَرُ، فَقَالَ: «هَا أَنَا عُمَرُ»، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ: إِنَّكَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الله وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله أَحَدٌ، فَانْظُرْ مِنْ عَنْ شِمَالِكَ، وَانْظُرْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَخَلْفِكَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوْلَكَ وَالله إِنْ يَأْكُلُونَ إِلَّا لُحُومَ الطَّيْرِ، فَقَالَ عُمَرُ: «صَدَقْتَ وَالله لَا أَقُومُ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا حَتَّى يَتَكَفَّلُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُدَّيْ طَعَامٍ وَحَظَّهُمَا مِنَ الْخَلِّ وَالزَّيْتِ»، فَقَالُوا: ذَاكَ إِلَيْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ أَوْسَعَ الله الرِّزْقَ وَأَكْثَرَ الْخَيْرَ، قَالَ: «فَنِعْمَ».

موقف آخر:

أخرجه ابن أبي شيبة [٢] بسندٍ صحيح عَنْ أَسْلَمَ، مَوْلَى عُمَرَ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الدَّهَّاقِينَ [٣] فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ طَعَامًا فَأُحِبُّ أَنْ تَجِيءَ فَيَرَى أَهْلُ أَرْضِي كَرَامَتِي عَلَيْكَ وَمَنْزِلَتِي عِنْدَكَ أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ هَذِهِ الْكَنَائِسَ أَوْ هَذِهِ الْبِيَعَ الَّتِي فِيهَا الصُّوَرُ».

---

(١) في «المصنف» (٧/ ٩).

(٢) في «المصنف» (٧/ ١٠).

(٣) الدهاقين، مفردها: دهقان، وهو رئيس القرية.

وقوع الوباء والناس مع أمير المؤمنين إلى الشام سنة ثمان عشرة[١]

أخرج مسلم[٢] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ - نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ.

---

(١) قد أرَّخ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٣٤) أن طاعون عمواس على رأي الجمهور كان عام ثماني عشرة، وقال ابن إسحاق وأبو معشر:طاعون عمواس وعام الرمادة كان في نفس العام .

(٢) برقم (٢٢١٩).

وقعة غريبة وهي رَميُ المغيرةِ بنِ شُعبةَ رضي الله عنه بالزنى

أخرجها ابن أبي شيبة [١] بإسنادٍ صحيح عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ الَّذِي كَانَ، قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اجْتَنِبْ أَوْ تَنَحَّ عَنْ صَلَاتِنَا، فَإِنَّا لَا نُصَلِّي خَلْفَكَ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ فِي شَأْنِهِ، قَالَ: فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ رَقِيَ إِلَيَّ مِنْ حَدِيثِكَ حَدِيثٌ، فَإِنْ يَكُنْ مَصْدُوقًا عَلَيْكَ فَلَأَنْ تَكُونَ مِتَّ قَبْلَ الْيَوْمِ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَإِلَى الشُّهُودِ أَنْ يُقْبِلُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ دَعَا الشُّهُودَ، فَشَهِدُوا، فَشَهِدَ أَبُو بَكْرَةَ وَشِبْلُ بْنُ مَعْبَدٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ، نَافِعٌ، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ شَهِدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ: « أَوَدُ الْمُغِيرَةِ أَرْبَعَةٌ، وَشَقَّ عَلَى عُمَرَ شَأْنُهُ جِدًّا، فَلَمَّا قَامَ زِيَادٌ، قَالَ: «إِنْ تَشْهَدْ إِنْ شَاءَ اللهِ إِلَّا بِحَقٍّ» ثُمَّ شَهِدَ، قَالَ: أَمَّا الزِّنَا فَلَا أَشْهَدُ بِهِ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ أَمْرًا قَبِيحًا، فَقَالَ عُمَرُ: «اللهُ أَكْبَرُ، حُدُّوهُمْ، فَجَلَدُوهُمْ» فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ جَلْدِ أَبِي بَكْرَةَ قَامَ أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ زَانٍ، فَهَمَّ عُمَرُ أَنْ يُعِيدَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «إِنْ جَلَدْتَهُ فَارْجُمْ صَاحِبَكَ، فَتَرَكَهُ فَلَمْ يُجْلَدْ، فَمَا قَذَفَ مَرَّتَيْنِ بَعْدُ».

وفي رواية عن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ:قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو بَكْرَةَ وَصَاحِبَاهُ عَلَى الْمُغِيرَةِ جَاءَ زِيَادٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «رَجُلٌ لَنْ يَشْهَدَ إِنْ شَاءَ اللهُ إِلَّا بِحَقٍّ»،قَالَ: رَأَيْتُ انْبِهَارًا وَمَجْلِسًا سَيِّئًا، فَقَالَ عُمَرُ: «هَلْ رَأَيْتَ الْمِرْوَدَ دَخَلَ الْمُكْحُلَةِ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَأَمَرَ بِهِمْ، فَجُلِدُوا». [٢]

وفي رواية عَنْ أَبِي عُثْمَانَ أيضاً قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَشَهِدَ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَتَغَيَّرَ لَوْنُ عُمَرَ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَشَهِدَ فَتَغَيَّرَ لَوْنُ عُمَرَ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ

(١) في«المصنف»(٥/ ٥٤٥) .

(٢) أخرجها ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٤) بسندٍ صحيح.

فَشَهِدَ فَتَغَيَّرَ لَوْنُ عُمَرَ حَتَّى عَرَفْنَا ذَلِكَ فِيهِ وَأَنْكَرَ لِذَلِكَ. وَجَاءَ آخَرُ يُحَرِّكُ بِيَدَيْهِ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا سَلْخَ الْعِقَابِ؟» وَصَاحَ أَبُو عُثْمَانَ صَيْحَةً تُشَبَّهُ بِهَا صَيْحَةَ عُمَرَ حَتَّى كَرُبْتُ أَنْ يُغْشَى عَلَيَّ. قَالَ: رَأَيْتُ أَمْرًا قَبِيحًا قَالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يُشَمِّتِ الشَّيْطَانَ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَأَمَرَ بِأُولَئِكَ النَّفَرِ فَجُلِدُوا» .[1]

وأخرج البيهقي[2] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، فَذَكَرَ قِصَّةَ الْمُغِيرَةِ قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى عُمَرَ ﷺ، فَشَهِدَ أَبُو بَكْرَةَ، وَنَافِعٌ، وَشِبْلُ بْنُ مَعْبَدٍ، فَلَمَّا دَعَا زِيَادًا قَالَ: رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا، قَالَ: فَكَبَّرَ عُمَرُ ﷺ، وَدَعَا بِأَبِي بَكْرَةَ، وَصَاحِبَيْهِ فَضَرَبَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ، يَعْنِي بَعْدَمَا حَدَّهُ: وَالله إِنِّي لَصَادِقٌ، وَهُوَ فَعَلَ مَا شُهِدَ بِهِ، فَهَمَّ عُمَرُ بِضَرْبِهِ فَقَالَ عَلِيٌّ: لَئِنْ ضَرَبْتَ هَذَا فَارْجُمْ ذَاكَ.

وفي رواية ابن عساكر[3] لما قالوا لعمرَ ما قالوا، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: «سَلْ هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدَ كَيْفَ رَأَوْنِي؟ مُسْتَقْبِلَهُمْ أَوْ مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها، فَإِنْ كَانُوا مُسْتَقْبِلِيَّ فَكَيْفَ لَمْ يَسْتَتِرُوا؟

أَوْ مُسْتَدْبِرِيَّ فَكَيْفَ اسْتَحَلُّوا النَّظَرَ فِي مَنْزِلِي عَلَى امْرَأَتِي؟ وَالله مَا أَتَيْتُ إِلَّا امْرَأَتِي وَكَانَتْ تشبهها... ».

وَأَفَادَ الْبَلَاذِرِيُّ: أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي رُمِيَ بِهَا: أُمُّ جَمِيلِ بِنْتُ مِحْجَنِ بْنِ الْأَفْقَمِ الْهِلَالِيَّةُ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُغِيرَةَ كَانَ تَزَوَّجَ بِهَا سِرًّا، وَكَانَ عُمَرُ لَا يُجِيزُ نِكَاحَ السِّرِّ، وَيُوجِبُ الْحَدَّ عَلَى فَاعِلِهِ، فَلِهَذَا سَكَتَ الْمُغِيرَةُ.

---

(١) أخرجها الطحاي في«شرح معاني الآثار»(٦١٣٤) وسندها صحيح رجاله ثقات، وفي سنده عبد الكريم بن رشيد هو إلى التوثيق أقرب.

(٢) في«الكبرى» (٨/ ٤٠٩) .

(٣) «تاريخ ابن عساكر»(٦٠/ ٣٨).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[١]:

«وَهَذَا لَمْ أَرَهُ مَنْقُولًا بِإِسْنَادٍ، وَإِنَّ صَحَّ كَانَ عُذْرًا حَسَنًا لِهَذَا الصَّحَابِيِّ» .

وقد أرَّخ خليفة بن خياط في «تاريخه» [٢] أن هذه الوقعة كانت سنة سبعة عشر للهجرة.

خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية[٣]

أخرج عبد بن حميد[٤] أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَامَ بِالْجَابِيَةِ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِينَا مَقَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: «**أَكْرِمُوا أَصْحَابِي؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ، ثُمَّ الذين يلونهم،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا، وَيَشْهَدَ عَلَى الشَّهَادَةِ لَا يُسْأَلُهَا، فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مؤمن**» .

---

(١) في«التلخيص الحبير»(٤/ ١٧٦) .

(٢) «تاريخ خليفه بن خياط» ص ٧٥.

(٣) والجابية بلدة بدمشق معروفة بها. نزلها عمر رضي الله عنه ثم صار إلى بيت المقدس فأنفذ صلحهم وكتب لهم به كتابا وكان ذلك في سنة ١٧ على ما قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٥/ ١٧١)وهو ظاهر فعل ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٢٠) .

(٤) برقم (٢٣) وغيره وهو خبر صحيح بطرقه.

عام الرمادة [١] وشدة الحاجة بالناس

وما كان من عمر رضي الله عنه

لَمَّا دخلت السّنة الثَّامِنَة عشرَة أصَاب النَّاس مجاعَة شَدِيدَة فَاسْتَسْقَى لَهُم عمر رضي الله عنه.

أخرج أحمد [٢] بسندٍ صحيح عنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ سَنَةٌ غَلَا فِيهَا السَّمْنُ، وَكَانَ عُمَرُ يَأْكُلُ الزَّيْتَ؛ فَيُقَرْقِرُ بَطْنُهُ، فَيَقُولُ: «قَرْقِرْ مَا شِئْتَ، فَوَالله، لَا تَأْكُلُ السَّمْنَ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ» ثُمَّ قَالَ:«اكْسِرْ عَنِّي حَرَّهُ بِالنَّارِ فَكُنْتُ أَطْبُخُهُ لَهُ فَيَأْكُلُهُ».

وأخرج [٣] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّنِي لَآكُلُ مَعَ عُمَرَ خُبْزًا وَزَيْتًا، وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا وَالله لَتَمَرَنَّ أَيُّهَا الْبَطْنُ عَلَى الْخُبْزِ، وَالزَّيْتِ مَا دَامَ السَّمْنُ يُبَاعُ بِالْأَوَاقِي.

وأخرج معمر [٤] بسندٍ صحيح عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، أَنَّ حَفْصَةَ، وَابْنَ مُطِيعٍ، وَعَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ كَلَّمُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالُوا: لَوْ أَكَلْتَ طَعَامًا طَيِّبًا كَانَ أَقْوَى لَكَ عَلَى الْحَقِّ؟ قَالَ: «أَكُلُّكُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ؟» ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ إِلَّا نَاصِحٌ، وَلَكِنِّي تَرَكْتُ صَاحِبَيَّ عَلَى الْجَادَّةِ، فَإِنْ تَرَكْتُ جَادَّتَهُمْ لَمْ

---

(١) وَسُمِّيَتْ عَامَ الرَّمَادَةِ لِأَنَّ الْأَرْضَ اسْوَدَّتْ مِنْ قِلَّةِ الْمَطَرِ حَتَّى عَادَ لَوْنُهَا شَبِيهًا بالرمادكما قال ابن كثير في «تاريخه» .

(٢) في«الزهد» (٦٣٦).

(٣) في«فضائل الصحابة»(٤٧١) وابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٢٣٨).

(٤) في«الجامع»(٢٠٣٨١ مصنف) ومن طريقة البيهقي(٩/ ٧٣) .

أَدْرِكْهُمَا فِي الْمَنْزِلِ» قَالَ: وَأَصَابَ النَّاسَ سَنَةٌ، فَمَا أَكَلَ عَامَئِذٍ سَمْنًا، وَلَا سَمِينًا حَتَّى أُحْيِيَ النَّاسُ.

استسقاءُ عمر رضي الله عنه بالعباس عمِّ النبي ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، كَانَ إِذَا قَحَطُوا [١] اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ [٢] إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ [٣].

خبر غريب عزى إلى هذا الزمان زمن القحط

أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقيُّ [٤] عَنْ مَالِكٍ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحَطٌ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَسْقِ اللهَ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا؛ فَأَتَاهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْمَنَامِ؛ فَقَالَ ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْقَوْنَ. وَقُلْ لَهُ: عَلَيْكَ الْكَيْسَ الْكَيْسَ. فَأَتَى الرَّجُلُ عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ، فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبُّ مَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

وهذا الخبر ضعيف السند منكر المتن، وإن صححه ابن كثير، وابن حجر عفا الله عنهما. [٥] وقد أفضت في بيان التعقُّبات من ناحية صحة السند، ومن ناحية المتن لو ثبت، ولا يثبت بحال في غير هذا الموطن.. [٦]

---

(١) قحطوا: أصابهم القحط وهو الجدب وقلة المطر.

(٢) نتوسل: نتشفع ونتقرب ونطلب السقيا

(٣) أخرجه البخاري(١٠١٠).

(٤) في «مصنف ابن أبي شيبة»(٦/ ٣٥٦) و«دلائل النبوة»(٧/ ٤٧)وابن عساكر(٤٤/ ٣٤٥).

(٥) في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٣٦ بتحقيقي) و«فتح الباري»(٢/ ٦٠٣).

(٦) فراجع كتابي«لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة»(٣/ ١١٧٩).

فَتْحُ تُسْتَرَ، الْمَرَّةُ الْأُولَى صُلْحًا [١]

وَتُسْتُرُ مِنْ أَرْضِ الْبَصْرَةِ.

واختلف العلماء في تحديد وقتها، فمنهم من قال بأنه كانت سنة سبعة عشر، ومنهم من أرَّخها سنة ستة عشر، كم حكى ذلك ابن كثير رحمه الله .

أخرج سعيد بن منصور[٢] ثنا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب إِلَى أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ بُصْرَةِ، وَبَعَثَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا فَتَحَ أَبُو مُوسَى تُسْتَرَ، كَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ أَنْ يَجْعَلَهَا، مِنْ عَمَلِ الْبَصْرَةِ، وَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ عَمَلِ الْكُوفَةِ، فَسَبَقَ رَسُولُ أَبِي مُوسَى وَهُوَ مِجْزَأَةُ بْنُ ثَوْرٍ أَوْ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ، فَسَأَلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ فِي حَائِطٍ، فَأَتَاهُ، فَلَمَّا رَآهُ كَبَّرَ الرَّسُولُ، فَكَبَّرَ عُمَرُ: فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تُسْتَرُ مِنْ عَمَلِ الْبَصْرَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ ، هِيَ مِنْ عَمَلِ الْبَصْرَةِ» فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ ، قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَرَّبْنَاهُ، فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ، فَقَالَ: «أَلَا أَدْخَلْتُمُوهُ بَيْتًا فَطَيَّنْتُمْ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيفًا، فَلَعَلَّهُ يَرْجِعُ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَشْهَدْ، وَلَمْ آمُرْ، وَلَمْ أَرْضَ إِذْ بَلَغَنِي».

أحداث يوم فتح تستر

من ذلك ما أخرجه سعيد بن منصور[٣] بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:« ارْتَدَّ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ يَوْمَ تُسْتَرَ، فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَسَأَلَنِي، فَقَالَ: مَا فَعَلَ النَّفَرُ؟ فَأَخَذْتُ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَ

---

(١) على ما قاله الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٢٧).

(٢) برقم (٢٥٨٦) وإسناده صحيح رجاله ثقات إن كان محمد بن عبد الله القارئ أدرك زمن عمر.

(٣) برقم (٢٥٨٧).

النَّفَرُ؟ قُلْتُ: قُتِلُوا ، قَالَ: لَأَنْ أَكُونَ أَدْرَكْتُهُمْ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: وَمَا سَبِيلُهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، فَإِنْ فَعَلُوا وَإِلَّا اسْتَوْدَعْتُهُمُ السِّجْنَ ».

وقد وردت عدة روايات تؤيد ما قال ابن كثير أن تستر فتحت مرة صلحاً ومرة كانت عنوة، والتي قيل : إن الهرمزان قد أُسر فيها وبُعث به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال عَطَاء الْخُرَاسَانِيُّ: قَالَ كَانَتْ تُسْتَرُ صُلْحًا وَكَفَرَ أَهْلُهَا، فَغَزَاهُمُ الْمُهَاجِرُونَ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ نِسَاءَهُمْ حَتَّى وَلَدْنَ لَهُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَادِهِمْ مِنْهُمْ، فَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مَنْ سَمَّى مِنْهُمْ فَرَدُّوهُمْ عَلَى جِزْيَتِهِمْ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

سَادَتِهِمْ[1]

وفي كتاب «الزهد» للمعافى بن عمران عَنْ إِسْمَاعِيل بْنِ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى عُمَرَ أَحْمَالٌ مِنْ فَتْحِ تُسْتَرَ مَعَهَا الْهُرْمُزَانُ أَسِيرًا، بَعَثَ بِهِ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ الْمُزَنِيُّ، فَشَاوَرَ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: نَرَى أَنْ يُوضَعَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، قَالَ: مَا هُوَ بِالَّذِي يَأْوِي لِي سَقْفٌ حَتَّى أُقْسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَكَانُوا يَسْتَشِيرُونَهُ، وَيَتَيَمَّنُونَ بِرَأْيِهِ، وَكَانَ مِنَ الْقَوْمِ بِمَكَانٍ، فَأَمَرَهُ وَعَبْدَ الله بْنَ أَرْقَمَ أَنْ يَحْرُسَاهُ وَمَنْ أَتَاهُمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا صَلَّى الْفَجْرَ وَبَزَغَتِ الشَّمْسُ، قَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَكَشَطَ، فَحَارَتْ أَبْصَارُهُمْ، فَبَكَى عُمَرُ، لَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَوْفٍ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا يَوْمُ فَرَحٍ، وَهَذَا يَوْمُ فَتْحٍ؟ قَالَ: بَلْ هَذَا يَوْمُ شِدَّةٍ، وَهَذَا يَوْمُ حُزْنٍ، إِنَّهُ لَمْ يُقْسَمْ هَذَا بَيْنَ قَوْمٍ إِلَّا أَوْرَثَهُمْ عَدَاوَةً، وَشَحْنَاءَ. ثُمَّ دَعَا بِحَسَنٍ

(١) وأخرجه سعيد بن منصور(٢٥٨٨) بسندٍ رجاله ثقات.

وَحُسَيْنٍ فَحَثَا فِي حُجُورِهِمَا حَتَّى مَا أَطَاقَا حَمْلَهُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَضَّلَ عَائِشَةَ، ثُمَّ قَالَ: «عَلَيَّ بِالْبَدْرِيِّينَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ قَسَمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ».[١]

موقفٌ غريبٌ

أخرجه ابن أبي شيبة[٢] بإسنادٍ رجاله ثقات إلى مُطَرِّفِ بْنِ مَالِكٍ[٣]، أَنَّهُ قَالَ: شَهِدْتُ فَتْحَ تُسْتَرَ مَعَ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: فَأَصَبْنَا دَانْيَالَ بِالسُّوسِ، قَالَ: فَكَانَ أَهْلُ السُّوسِ إِذَا أَسَنُّوا أَخْرَجُوهُ فَاسْتَسْقَوْا بِهِ، وَأَصَبْنَا مَعَهُ سِتِّينَ جَرَّةً مُخَتَّمَةً، قَالَ: فَفَتَحْنَا جَرَّةً مِنْ أَدْنَاهَا وَجَرَّةً مِنْ أَوْسَطِهَا، وَجَرَّةً مِنْ أَقْصَاهَا، فَوَجَدْنَا فِي كُلِّ جَرَّةٍ عَشَرَةَ آلَافٍ، قَالَ هَمَّامٌ: مَا أَرَاهُ إِلَّا قَالَ: «عَشَرَةُ آلَافٍ» وَأَصَبْنَا مَعَهُ رَبْطَتَيْنِ مِنْ كَتَّانٍ، وَأَصَبْنَا مَعَهُ رَبَعَةً فِيهَا كِتَابٌ، وَكَانَ أَوَّلُ رَجُلٍ وَقَعَ عَلَيْهِ مِنْ بَلْعَنْبَرَ يُقَالُ لَهُ: حُرْقُوصٌ، قَالَ: أَعْطَاهُ الْأَشْعَرِيُّ الرَّبْطَتَيْنِ وَأَعْطَاهُ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ الرَّبْطَتَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُمَا وَشَقَّهُمَا عَمَائِمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، قَالَ: وَكَانَ مَعَنَا أَجِيرٌ نَصْرَانِيٌّ يُسَمَّى نُعَيْمًا، قَالَ: بِيعُونِي هَذِهِ الرَّبْعَةَ بِمَا فِيهَا، قَالُوا: إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ أَوْ كِتَابُ الله، قَالَ فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا كِتَابُ الله، فَللهَرِهُوا أَنْ يَبِيعُوا الْكِتَابَ، فَبِعْنَاهُ الرَّبْعَةَ بِدِرْهَمَيْنِ، وَوَهَبْنَا لَهُ الْكِتَابَ، قَالَ قَتَادَةُ: فَمِنْ ثَمَّ كُرِهَ بَيْعُ الْمَصَاحِفِ لِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّ وَأَصْحَابَهُ كَرِهُوا بَيْعَ ذَلِكَ الْكِتَابِ، قَالَ هَمَّامٌ: فَزَعَمَ فَرْقَدُ السَّبَخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو تَمِيمَةَ: أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ: «أَنْ تَغْسِلُوا

---

(١) انظر كتاب «الزهد» (٦) للمعافى بن عمران الموصلي المتوفي سنة ١٨٥ برقم (٦)، وإسماعيل بن أبي خالد لم يدرك عمر، فالله أعلم.

(٢) في«المصنف» (٧/ ٤).

(٣) وهو أبو الرباب القشيري قال عنه الذهبي في«تاريخ الإسلام» (٢/ ٧٣٩):« بَصْرِيٌّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَثِقَاتِهِمْ».

دَانْيَالَ بِالسِّدْرِ وَمَاءِ الرَّيْحَانِ، وَأَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يُرِيهِ الْمُسْلِمُونَ».

فتح تكريت من أرض العراق سنة تسع عشر[١]

وقد قيل إن الذي فتحها هو جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، فالله أعلم .

أخرج ابن أبي شيبة[٢] بإسنادٍ حسن إلى أَبِي الْعَلَاءِ، قَالَ:« كُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ تَكْرِيتَ، فَصَالَحْنَاهُمْ عَلَى أَنْ يَبْرُزُوا لَنَا سُوقًا وَجَعَلْنَا لَهُمُ الْأَمَانَ، قَالَ: فَابْرُزُوا لَنَا سُوقًا ، قَالَ: فَقُتِلَ قِسٌّ مِنْهُمْ فَجَاءَ قِسُّهُمْ، قَالَ: أَجَعَلْتُمْ لَنَا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَذِمَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتَكُمْ، ثُمَّ أَخْفَرتُمُوهَا ، فَقَالَ أَمِيرُنَا: إِنْ أَقَمْتُمْ شَاهِدَيْنِ ذَوَيْ عَدْلٍ عَلَى قَاتِلِهِ أَقَدْنَاكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ حَلَفْتُمْ، وَأَعْطَيْنَاكُمُ الدِّيَةَ ، وَإِنْ شِئْتُمْ حَلَفْنَا لَكُمْ، وَلَمْ نُعْطِكُمْ شَيْئًا، قَالَ: فَتَوَاعَدُوا لِلْغَدِ فَحَضَرُوا فَجَاءَ قَسُّهُمْ فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضَ، وَمَا شَاءَ الله أَنْ يَذْكُرَ حَتَّى ذَكَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَوَّلُ مَا يُبْدَأُ بِهِ مِنَ الْخُصُومَاتِ الدِّمَاءُ ، قَالَ: فَيَخْتَصِمُ أَبْنَاءُ آدَمَ فَيَقْضِي لَهُ عَلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ يُؤْخَذُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى صَاحِبِنَا وَصَاحِبِكُمْ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ قَالَ: أَفَلَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِكُمْ عَلَى صَاحِبِنَا حُجَّةٌ أَنْ يَقُولَ: قَدْ أَخَذَ أَهْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ دِيَتَكَ» .

(١) على ما أرَّخ خليفة بن خياط في«تاريخه» ص٧٨.

(٢) في«المصنف»(٦/ ٥٦٢)

وفي نفس السنة أرَّخ خليفة بن خياط خبر أسر عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه [١]، ولكن لم أقف لها على سند ثابت.

أخرجه أبو نعيم [٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَسَرَتِ الرُّومُ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: تَنَصَّرْ، وَإِلَّا أَلْقَيْتُكَ فِي الْبَقَرَةِ مِنْ نُحَاسٍ، قَالَ: افْعَلْ، فَدَعَا بِالْبَقَرَةِ النُّحَاسِ فَمُلِئَتْ زَيْتًا وَغُلِيَتْ وَدَعَا بِرَجُلٍ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى فَأَلْقَاهُ فِي الْبَقَرَةِ فَإِذَا عِظَامُهُ تَلُوحُ فَقَالَ لِعَبْدِ اللهِ: تَنَصَّرْ وَإِلَّا أَلْقَيْتُكَ، فَقَالَ: مَا أَفْعَلُ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِي الْبَقَرَةِ فَكَتَّفُوهُ فَبَكَى، فَقَالُوا: قَدْ جَزِعَ قَدْ بَكَى، قَالَ: رُدُّوهُ قَالَ لَهُ: لَا تَرَى أَنِّي بَكَيْتُ جَزَعًا مِمَّا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي، وَلَكِنِّي بَكَيْتُ حِينَ لَيْسَ لِي إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ يُفْعَلُ بِهَا هَذَا فِي اللهِ، كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْأَنْفُسِ عَدَدُ كُلِّ شَعْرَةٍ فِيَّ، ثُمَّ تُسَلَّطُ عَلَيَّ فَتَفْعَلُ بِي هَذَا، قَالَ: فَأُعْجِبَ مِنْهُ وَأَحَبَّ أَنْ يُطْلِقَهُ قَالَ: قَبِّلْ رَأْسِي وَأُطْلِقُكَ قَالَ: مَا أَفْعَلُ، قَالَ: تَنَصَّرْ وَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي وَأُقَاسِمُكَ مُلْكِي قَالَ: مَا أَفْعَلُ، قَالَ: قَبِّلْ رَأْسِي وَأُطْلِقُكَ، وَأُطْلِقُ مَعَكَ ثَمَانِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: أَمَّا هَذِهِ فَنَعَمْ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، فَأَطْلَقَهُ وَأَطْلَقَ مَعَهُ ثَمَانِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، قَالَ: فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُمَازِحُونَ عَبْدَ اللهِ فَيَقُولُونَ: قَبَّلْتَ رَأْسَ عِلْجٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ: «أَطْلَقَ اللهُ بِتِلْكَ الْقُبْلَةِ ثَمَانِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

نبَّهت على ضعفها لاشتهارها مع نكارة ألفاظها.

---

(١) في «تاريخه» ص ٧٩.

(٢) في «المعرفة» (٤٠٦٧) وغيره، وفي سندها عطاء بن عجلان وهو متروك.

فتح مصر سنة عشرين من الهجرة[١]

نبوءة النبي ﷺقبل موته.

فقد أخرج مسلم[٢] أن أَبَا ذَرٍّ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**...الحديث.

وفي رواية:« فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا.. » أَوْ قَالَ «ذِمَّةً وَصِهْرًا...».

وفي الباب أخبارٌ، وتفاصيل لم أقف فيها على أسانيد ثابتة، تتكلَّم عن تفصيل ما كان في فتحها.

والذِّمَّةُ :هِيَ الْحُرْمَةُ، وَالْحَقُّ، وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الذِّمَامُ .

وَأَمَّا الرَّحِمُ فَلِكَوْنِ هَاجَر أُمُّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ.

وَأَمَّا الصِّهْرُ فَلِكَوْنِ مَارِيَةَ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ.

وأخرج الطبراني [٣]وهو حسن لغيره عن أم سلمة أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ:«**اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ**».

---

(١) على ما أرخ ذلك خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ٧٩، وابن كثير في «البداية والنهاية»(٧/ ٢٤٣). وحكى عن سَيْف قال : فُتِحَتْ مِصْرُ وَإِسْكَنْدَرِيَّةُ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا. وَرَجَّحَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الكامل لقصة بعث عمرو الْمِيرَةَ مِنْ مِصْرَ عَامَ الرَّمَادَةِ، وَهُوَ مَعْذُورٌ فِيمَا رَجَّحَهُ وَالله أَعْلَمُ.

(٢) برقم (٢٥٤٣).

(٣) في«الكبير» (٢٣/ ٣٦٥). وفي سنده يحيي بن أيوب الغافقي، ولكن له شاهد عن حُمَيْد بْن هَانِئٍ الخَوْلاَنِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ الحُبُلِيَّ وَهُوَ عَبدُ الله بْنُ يَزِيدَ، وَعَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ، وَغَيْرُهُمَا

ومما لا يصح في فضل مصر:

* حديث «**مِصْرُ كِنَانَةُ الله فِي أَرْضِهِ، مَا طَلَبَهَا عَدُوٌّ إِلا أَهْلَكَهُ الله**».

قال السخاوي[1]:«لم أره بهذا اللفظ في مصر» .

* ومن ذلك ما رواه عمرو بن العاص حدثني عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **إذا فتح الله عليكم مصر بعدي فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض**، قال أبو بكر: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: **لأنهم في رباط إلى يوم القيامة**» .

* ومن ذلك حديث:«الجيزة روضة من رياض الجنة، ومصر خزائن الله في الأرض».

فهو حديث موضوع[2].

وفي الباب كثيرٌ من مَظَاهر غلو المصريين في بلادِهم، ليرفعوا مكانتها بين البلدان، ولا يجوز أن يكذب على رسول الله ﷺ تعصباً للبلاد ، أو لدفع الناس لمحبة بلدانهم.

يَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ، جُعْدٌ رُؤُوسُهُمْ، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلاَغٌ إِلَى عَدُوِّكُمْ بِإِذْنِ الله، يَعْنِي قِبْطَ مِصْرَ**».

أخرجه أبو يعلى (١٤٧٣) وابن حبان(٦٦٧٧) بسند جيد مرسل يقوي رواية أم سلمةب.وصحح سند كل منهما السيوطي في «حسن المحاضرة»(١/ ١٢)، وفيه تساهل، ولكن لا يمنع تقوية كل منهما بالآخر.

(١)في«المقاصد» (١٠٢٩)

(٢) قال السخاوي في«المقاصد الحسنة» (٣٧٧):« قال شيخنا: هو كذب موضوع، وهو في نسخة نبيط الموضوعة».

فيتبجَّح بعضهم بذكر اسمها مراراً، وتكراراً في القرآن الكريم، وأن نِيلَها هو الوحيد المذكور في إيحائه سبحانه وتعالى لأم موسى عليه السلام: «**فألقيه في اليم**».

ولم يدر هؤلاء الكذابون لبلدهم مصر، أنهم بما صنعوا عارٌ على مصر حيث نسبوا الباطل لشريعتهم تعصُّباً للبلدان، وهذا عار على مصر حيث أنجبت مثل هؤلاء!

وذلك من ثلاثة أوجه:

الأول: إشعارهم أنه لا فضل لهذه البلدة، ولا وصية صحيحة من رسول الله بأهلها إلا في تلك الآثار الواهية.

والثاني: اتهام أهلها بالكذب على رسول الله ﷺ وترويجه لمصالح بلدهم عصبية للقومية الجاهلية التي يدعو إليها إبليس في حديث سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه.[1]

والثالث: أن ترويج ذلك يفتح باباً لأهل البلاد الأخرى من الكذب على الرسول ﷺ وعلى دين الله لصالح بلاده، وقدحصل بالفعل، وكتب فضائل البلدان

---

(١) أعني ما أخرجه النسائي(٣١٣٤) بسندٍ قوي عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ع يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهع: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**».

قد حشيت بالواهي، والضعيف بسبب ذلك، ففتح باب الغلو في فضائل البلدان، والله المستعان.

فمنه ثُرويجُ رواية عن نيل مصر غير صحيحة على شهرتها:

وهي ما رواه عَبْدُ الله بْنُ لَهِيعَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مِصْرُ أَتَى أَهْلُهَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ شَهْرُ بَؤُونَةَ مِنْ أَشْهُرِ الْعَجَمِ الْقِبْطِيَّةِ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ لِنِيلِنَا هَذَا سُنَّةً لَا يَجْرِي إِلَّا بِهَا. فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا ذَاكَ قَالُوا: إِذَا كَانَ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ عَمَدْنَا إِلَى جَارِيَةٍ بِكْرٍ بَيْنَ أَبَوَيْهَا فَأَرْضَيْنَا أَبَوَيْهَا، وَجَعَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَلْيِ، وَالثِّيَابِ أَفْضَلَ مَا يَكُونُ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي هَذَا النِّيلِ. فَقَالَ لَهُمْ عَمْرٌو: إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ. فَأَقَامُوا بَؤُونَةَ، وَالنِّيلُ لَا يَجْرِي لَا قَلِيلًا، وَلَا كَثِيرًا. وَفِي رِوَايَةٍ فَأَقَامُوا بَؤُونَةَ، وَأَبِيبَ، وَمِسْرَى، وَهُوَ لَا يَجْرِي حَتَّى هَمُّوا بِالْجَلَاءِ، فَكَتَبَ عَمْرٌو إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ إِنَّكَ قَدْ أَصَبْتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ، وَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِطَاقَةً دَاخِلَ كِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهَا فِي النِّيلِ. فَلَمَّا قَدِمَ كِتَابُهُ أَخَذَ عَمْرٌو الْبِطَاقَةَ فَفَتَحَهَا فَإِذَا فِيهَا: مِنْ عَبْدِ اللهَّ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نِيلِ مِصْرَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْرِي مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ فَلَا تَجْرِ، وَإِنْ كَانَ لله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ هُوَ الَّذِي يُجْرِيكَ فَنَسْأَلُ لله أَنْ يُجْرِيَكَ. فَأَلْقَى عَمْرٌو الْبِطَاقَةَ فِي النِّيلِ فَأَصْبَحَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَقَدْ أَجْرَى الله النِّيلَ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَطَعَ الله تِلْكَ السُّنَّةَ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى الْيَوْمِ.[1]

(١) أخرجه ابن الجوزي في«المنتظم»(٤/ ٢٩٤) وفي السند ابن لهيعة ، وذكره ابن كثير في «البدية والنهاية»(٧/ ٢٤٦-٢٤٧)بالسند وفيه ذاك المبهم .

ومما ورد في فتح الإسكندرية

ما أخرجه سعيد بن منصور بسندٍ صحيح عَنْ جُنَادَةَ بنِ أبي أميَّةَ: أَنَّهُ كانَ معَ عمروِ بن العاصِ بالإسكندريَّةِ فأمرَ النَّاسَ: لا تقاتِلُوا. فطارَ رعاعُ النَّاسِ فقاتَلُوا فأبصَرَهُمْ عمروٌ فقالَ: يا جُنَادَةَ أدرِكِ النَّاسَ لا يُقْتَلُ أحدٌ منهُمْ عاصِياً[١]، فلمَّا أقبلَ جُنَادَةُ أشرفَ لهُ عمروٌ ثمَّ ناداهُ: أَقُتِلَ أحدٌ منَ النَّاسِ؟ قالَ: لا، قالَ: الحمدُ للهِ.[٢]

وقد أخرج ابن عبد الحكم[٣] بسند ثابت عن الليث بن سعد أنه قال: كان يزيد بن أبي حبيب يقول: مصر كلها صلح إلا الإسكندرية، فإنها فتحت عنوة.[٤]

ولنِيلِها مزايا أعظمها أنه من أنهار الجنة، وله خصائص، ليس مقام تفصيل ذلك هنا.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله[٥] في أحداث في هذه السنة:

تولية عمر بن الخطاب عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ أَبَا هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيَّ رضي الله عنه.

وعَزَلَ عُمَرُ قدامة بن مَظْعُونٍ عَنِ الْبَحْرَيْنِ، وَحَدَّهُ فِي الشَّرَابِ[٦].

يعني ما أخرجه عبد الرزاق والنسائي[1] عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَبُوهُ شَهِدَ بَدْرًا إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، اسْتَعْمَلَ قُدَامَةَ بْنَ مَظْعُونٍ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَهُوَ خَالُ

---

(١) لمخالفته لأمر رسول الله ع.

(٢) صحيح أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٩٥).

(٣) في «فتوح مصر» ص ١٤٣.

(٤) وقد ذكر بن كثير خلف العلماء في ذلك هل فتحت صلحاً أما عنوة (٧/ ٢٤٦).

(٥) في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٧).

(٦) وقصة استعمال عمر لقدامة على البحرين أخرجها البخاري (٤٠١٠).

حَفْصَةَ وَعَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ فَقَدِمَ الْجَارُودُ سَيِّدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى عُمَرَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قُدَامَةَ شَرِبَ فَسَكِرَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ حَدًّا مِنْ حِدُودِ اللهَّ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَرْفَعَهُ إِلَيْكَ فَقَالَ عُمَرُ: «مَنْ يَشْهَدُ مَعَكَ» قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: فَدَعَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: بِمَ أَشْهَدُ؟ قَالَ: لَمْ أَرَهُ يَشْرَبُ وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ سَكْرَانَ فَقَالَ عُمَرُ: « لَقَدْ تَنَطَّعْتَ فِي الشَّهَادَةِ قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَى قُدَامَةَ أَنْ يَقْدِمَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ الْجَارُودُ لِعُمَرَ: أَقِمْ عَلَى هَذَا كِتَابَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ عُمَرُ: «أَخَصْمٌ أَنْتَ أَمْ شَهِيدٌ» قَالَ: بَلْ شَهِيدٌ قَالَ: «فَقَدْ أَدَّيْتَ شَهَادَتَكَ» قَالَ: فَقَدْ صَمَتَ الْجَارُودُ حَتَّى غَدَا عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: أَقِمْ عَلَى هَذَا حَدَّ اللهَّ فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَرَاكَ إِلَّا خَصْمًا، وَمَا شَهِدَ مَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ» فَقَالَ الْجَارُودُ: إِنِّي أُنْشِدُكَ الله، فَقَالَ عُمَرُ: «لَتُمْسِكَنَّ لِسَانَكَ أَوْ لَأَسُوءَنَّكَ» فَقَالَ الْجَارُودُ:أَمَّا وَالله مَا ذَاكَ بِالْحَقِّ أَنْ شَرِبَ ابْنُ عَمِّكَ وَتَسُوءُنِي، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ كُنْتَ تَشُكَّ فِي شَهَادَتِنَا فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنَةِ الْوَلِيدِ فَسَلْهَا، وَهِيَ امْرَأَةُ قُدَامَةَ فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى هِنْدَ ابْنَةِ الْوَلِيدِ يَنْشُدُهَا فَأَقَامَتِ الشَّهَادَةَ عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ عُمَرُ لِقُدَامَةَ: «إِنِّي حَادُّكَ» فَقَالَ: لَوْ شَرِبْتَ كَمَا يَقُولُونَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَجْلُدُونِي، فَقَالَ عُمَرُ: «لِمَ؟» قَالَ قُدَامَةُ: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ المائدة.

فَقَالَ عُمَرُ: «أَخْطَأْتَ التَّأْوِيلَ إِنَّكَ إِذَا اتَّقَيْتَ اجْتَنَبْتَ مَا حَرَّمَ الله عَلَيْكَ» قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «مَاذَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ قُدَامَةَ» قَالُوا: لَا نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ

(١) «مصنف عبد الرزاق»(١٧٠٧٦) في «الكبرى» (٥٢٧٠) وسنده ثابت صحيح على شرط البخاري

مَا كَانَ مَرِيضًا، فَسَكَتَ عَنْ ذَلِكَ أَيَّامًا وَأَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ عَزَمَ عَلَى جَلْدِهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «مَاذَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ قُدَامَةَ» قَالُوا: لَا نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ مَا كَانَ ضَعِيفًا فَقَالَ عُمَرُ: «لَأَنْ يَلْقَى الله تَحْتَ السِّيَاطِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ، وَهُوَ فِي عُنُقِي ائْتُونِي بِسَوْطٍ تَامٍّ» فَأَمَرَ بِقُدَامَةَ فَجُلِدَ فَغَاضَبَ عُمَرُ قُدَامَةَ وَهَجَرَهُ فَحَجَّ وَقُدَامَةُ مَعَهُ مُغَاضِبًا لَهُ، فَلَمَّا قَفَلَا مِنْ حَجِّهِمَا، وَنَزَلَ عُمَرُ بِالسُّقْيَا نَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ: «عَجِّلُوا عَلَيَّ بِقُدَامَةَ فَائْتُونِي بِهِ فَوَالله إِنِّي لَأَرَى آتٍ أَتَانِي» فَقَالَ: سَالِمْ قُدَامَةَ فَإِنَّهُ أَخُوكَ فَعَجَّلُوا إِلَيَّ بِهِ فَلَمَّا أَتَوْهُ أَبَى أَنْ يَأْتِيَ، فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ إِنْ أَبَى إِنْ يَجُرُّوهُ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ عُمَرُ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ صُلْحِهِمَا.

ثم دخلت السنة العشرون للهجرة النبوية

وفي هذا العام سنة عشرين[1] شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى قَالُوا: لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي. فَعَزَلَهُ عَنْهَا وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ الله بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عِتْبَانَ، وَكَانَ نَائِبَ سَعْدٍ. وَقِيلَ: بَلْ وَلَّاهَا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ.

أخرجه البخاري[2] عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَالله «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ الله ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ

(١) على ما قال الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٤٧).

(٢) برقم (٧٥٥).

مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

وَفِي «**صَحِيحِ مُسْلِمٍ**»(١) أَنَّ عُمَرَ بَعَثَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، فَأَثْنَوْا خَيْرًا إِلَّا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَعْدَةَ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ. قَامَ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا لَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، وَلَا يَخْرُجُ فِي السَّرِيَّةِ. فَقَالَ سَعْدٌ:اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ، وَسُمْعَةٍ، فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَدِمْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ.
فَأَصَابَتْهُ دَعْوَةُ سَعْدٍ، فَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا يَرْفَعُ حَاجِبَيْهِ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ، فَيُقَالُ لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَيَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْهُ دَعْوَةُ سَعْدٍ.

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ فِي وَصِيَّتِهِ - وَذَكَرَهُ فِي السِّتَّةِ -: فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ وَلِيَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلَا خِيَانَةٍ.(٢)

وفي هذه السنة من الأحداث

أَجْلَى عُمَرُ يَهُودَ خَيْبَرَ عَنْهَا إِلَى أَذْرِعَاتٍ وَغَيْرِهَا، وفيها أجلى عمر يَهُودَ نَجْرَانَ مِنْهَا أَيْضًا إِلَى الْكُوفَةِ، وَقَسَّمَ خَيْبَرَ، وَوَادِي الْقُرَى، وَنَجْرَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.(٣)

---

(١) برقم(٤٥٣).

(٢) كما في وصيَّة عمر التي أخرجها البخاري(٣٧٠٠).

(٣) كما أرَّخ ذلك ابن كثير رحمه الله في«البدية والنهاية» (٧/ ١١٥).

ففي مسند أحمد[١] بسندٍ على شرط الصحيح عن جَابِر بْن عَبْدِ الله عَنْ عُمَرَ، قَالَ: لَئِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.[٢] وقد روي مرفوعاً ولا إشكال أن يصح مرفوعاً، وموقوفاً.

بل أخرج البخاري[٣] عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه: أَجْلَى اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ اليَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتِ الأَرْضُ حِينَ ظَهَرَ عَلَيْهَا لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَ اليَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتِ اليَهُودُ رَسُولَ الله ﷺ لِيُقِرَّهُمْ بِهَا، أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا»، فَقَرُّوا بِهَا حَتَّى أَجْلاَهُمْ عُمَرُ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ.

وفي هذه السنة: توفي جماعة من الأماجد الأُول: منهم أسيدُ بنُ حُضير، وأنيس بن مرثد، وبلال بن يحيي الحبشي، وأبو الهيثم بن التيهان، وزينب بنت جحش أم المؤمنين، وصفية بنت عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ الذي أسلم يوم الفتح وغيرهم رضي الله عنهم.

ما كان في سنة إحدى وعشرين للهجرة

موقعة نهاوند[٤]

وَكَانَت هَذِه الْوَقْعَة الَّتِي وَقعت على نهاوند وقْعَة عَظِيمَة، وَكَانَ الْمُسلمُونَ يسمونها فتح الْفتُوح.

---

(١) (٢١٥).

(٢) وهذا الحديث بنصه ومن نفس الطريق رواه مسلم (١٧٦٧) ولكن مرفوعً لا موقوفاً.

(٣) برقم (٢٣٣٨) ومسلم (١٥٥١).

(٤) وقد ذكرها ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٥٢) في أحداث السنة الحادية والعشرين.

أخرج ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «أَبْطَأَ عَلَى عُمَرَ خَبَرُ نَهَاوَنْدَ، وَخَبَرُ النُّعْمَانِ فَجَعَلَ يَسْتَنْصِرُ».(١)

وأخرج ابن أبي شيبة (٢) بسندٍ حسن عن عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَى عُمَرَ خَبَرَ نَهَاوَنْدَ، وَابْنَ مُقَرِّنٍ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَنْصِرُ، وَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ اسْتِنْصَارِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذِكْرُ نَهَاوَنْدَ وَابْنِ مُقَرِّنٍ ، قَالَ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ: مَا بَلَغَكُمْ عَنْ نَهَاوَنْدَ وَابْنِ مُقَرِّنٍ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، قَالَ ، فَنَمَى إِلَى عُمَرَ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا ذِكْرُكَ نَهَاوَنْدَ وَابْنَ مُقَرِّنٍ ، فَإِنْ جِئْتَ بِخَبَرٍ فَأَخْبِرْنَا»، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْعِلَّانِيُّ، خَرَجْتُ بِأَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى الله وَرَسُولِهِ حَتَّى نَزَلْنَا مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا ارْتَحَلْنَا إِذَا رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ، فَقُلْنَا: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْعِرَاقِ ، قُلْنَا: فَمَا خَبَرُ النَّاسِ ، قَالَ: الْتَقَوْا فَهَزَمَ الله الْعَدُوَّ وَقُتِلَ ابْنُ مُقَرِّنٍ، وَلَا أَدْرِي وَالله مَا نَهَاوَنْدُ، وَلَا ابْنُ مُقَرِّنٍ، أَتَدْرِي أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ مِنَ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: لَا والله مَا أَدْرِي ، قَالَ: لَكِنِّي أَدْرِي ، فَعَدَّ مَنَازِلَهُ ، قَالَ ارْتَحَلْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَنَزَلْنَا مَوْضِعَ كَذَا، وَكَذَا فَعَدَّ مَنَازِلَهُ ، قَالَ: ذَاكَ يَوْمُ كَذَا، وَكَذَا مِنَ الْجُمُعَةِ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ لَقِيتَ بَرِيدًا مِنْ بُرُدِ الْجِنِّ ، فَإِنَّ لَهُمْ بُرُدًا، قَالَ: فَمَضَى مَا شَاءَ الله، ثُمَّ جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّهُمُ الْتَقَوْا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ».

(١)أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ١٠٢).

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٥٥٧).

وصح إلى مُدْرِكِ بْنِ عَوْفٍ الْأَحْمَسِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عُمَرَ إِذْ أَتَاهُ رَسُولُ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنِ النَّاسِ، قَالَ: فَذَكَرُوا عِنْدَ عُمَرَ مَنْ أُصِيبَ يَوْمَ نَهَاوَنْدَ ، فَقَالُوا: قُتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَآخَرُونَ لَا نَعْرِفُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: لَكِنَّ الله يَعْرِفُهُمْ.(١)

وقال عَبْد الله بْن سَلَامٍ:« لَمَّا كَانَ حِينَ فُتِحَتْ نَهَاوَنْدُ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ سَبَايَا مِنْ سَبَايَا الْيَهُودِ ، قَالَ: وَأَقْبَلَ رَأْسُ الْجَالُوتِ يُفَادِي سَبَايَا الْيَهُودِ.(٢)

ذكر بعض من توفي في هذه السنة (سنة إحدى وعشرين):

خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي قال عنه ﷺ :« **سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله**»(٣).

وقد كان شجاعاً مقداماً رضي الله عنه

ومما ورد في ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة (٤) بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَجَّهَ النَّاسَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَأَتَوْا عَلَى نَهْرٍ، فَجَعَلُوا أَسَافِلَ أَقْبِيَتِهِمْ فِي حِجْرِهِمْ ، ثُمَّ قَطَعُوا إِلَيْهِمْ فَتَرَامَوْا، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَنَكَسَ خَالِدٌ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَرَاءِ، وَكَانَ خَالِدٌ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ يُفَرِّقُ لَهُ رَأْيُهُ ، فَأَخَذْتُ الْبَرَاءَ، فَجَعَلْتُ أُلْحِدُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ، إِنِّي لَا أُفْطِرُ ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَرَاءُ قُمْ ، فَقَالَ الْبَرَاءُ: الْآنَ؟

---

(١) كما عند ابن أبي شيبة (٦/ ٥٥٨) بسندٍ صحيح إلى مدرك وهو مختلف في صحبته كما قال ابن عبد البر..

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٥٨) بسند ثابت.

(٣) ففي صحيح البخاري (٣٧٥٧) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ**».

(٤) في«المصنف»(٦/ ٥٤٧) وابن المبارك في«الجهاد»(١٦٢).

قَالَ: نَعَمْ. الْآنَ ، فَرَكِبَ الْبَرَاءُ فَرَسًا لَهُ أُنْثَى ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَا إِلَى الْمَدِينَةِ سَبِيلٌ ، إِنَّمَا هِيَ الْجَنَّةُ»، فَحَضَّهُمْ سَاعَةً، ثُمَّ مَضَغَ فَرَسَهُ مَضْغَاتٍ ، «فَكَأَنِّي أَرَاهَا تَمْضُغُ ثَدْيَيْهَا» ثُمَّ كَبَسَ عَلَيْهِمْ، وَكَبَسَ النَّاسُ فَهَزَمَ الله الْمُشْرِكِينَ».

وفاته رضي الله عنه :

أخرج ابن المبارك[1] بسند صحيح عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ:«لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ بِفَرَسِي ، وَالسَّمَاءُ تَهُلُّنِي، مُنْتَظِرٌ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ الله»فَلَمَّا تُوُفِّيَ خَرَجَ عُمَرُ عَلَى جَنَازَتِهِ ، فَذَكَرَ قَوْلَهُ، مَا عَلَى نِسَاءِ أَبِي الْوَلِيدِ أَنْ يَسْفَحْنَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنَّ نَقْعًا، أَوْ لَقْلَقَةً».

النَّقْعُ: التُّرَابُ عَلَى الرَّأْسِ، وَاللَّقْلَقَةُ: الصَّوْتُ.

وفي هذه السنة: توفي النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه أمير الجنود يوم نهاوند، وقد فتح الله على يديه فتحًا عظيماً، توفي فيها أيضاً العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه .

وفيها: مات طليحة بن خويلد الذي كان قد ارتدَّ بعد النبي ﷺ وادّعى النُّبُوَّة، ثم عاد إلى الإسلام في زمن عمر واعتمر، ومات على الإسلام.

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى[2] بِإِسْنَادٍ حَسَنه الحافظ ابن

---

(١) في«الجهاد»(٥٣) .

(٢) في«المسند»(٦٨٢٠) .

حجر[١] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ تَسْمِيَةَ بَعْضِ الْكَذَّابِينَ الْمَذْكُورِينَ بِلَفْظِ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا مِنْهُمْ مُسَيْلِمَةُ وَالْعَنْسِيُّ وَالْمُخْتَارُ.

قُلْتُ(الحافظ ابن حجر): وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي آخِرِ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ بِالْيَمَامَةِ وَالْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ بِالْيَمَنِ ثُمَّ خَرَجَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ فِي بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ وَسَجَاحُ التَّمِيمِيَّةُ فِي بَنِي تَمِيمٍ وَفِيهَا يَقُولُ شَبِيبُ بْنُ رِبْعِيٍّ وَكَانَ مُؤَدِّبَهَا:

أَضحَتْ نَبيَّتُنَا أُنْثَى نُطِيفُ بها ... وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ الله ذُكْرَانا.

وَقُتِلَ الْأَسْوَدُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقُتِلَ مُسَيْلِمَةُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَتَابَ طُلَيْحَةُ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ عَلَى الصَّحِيحِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ.

دخلت سنة ثنتين وعشرين للهجرة النبوية.

ذكر فيها عدة فتوحات كانت: منها فتح الري، وقومس، وجرجان، وأذربيجان – على يدي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه -وفتحت البابُ، والسَّدُّ، وفيها عزل عمار بن ياسر رضي الله عنه[٢]، والله أعلم بتفاصيل ذلك.

وفيها: كان أول غزو التُّرك الذي أخبر به النبي ﷺ في قوله.

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ». (١)

(١) في «الفتح»(٦/ ٦١٧) .

(٢) انظر «البداية والنهاية»(٧/ ٢٧٢) .

هذا من علامات نبوته ﷺ.

وقيل: ولد يزيدُ بنُ معاوية في هذه السنة.

وفيها: غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان، وقصد البلد الذي فيه يَزْدَجَرْد ملك الفرس، فالله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين التي فيها وفاة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه.

وفيها: كان فتح فسا، وداربجرد، وَقِصَّةُ سَارِيَةَ بْنِ زُنَيْمٍ رضي الله عنه في غزوه

فَاجْتَمَعَ لَهُ جُمُوعٌ- مِنَ الْفُرْسِ، وَالْأَكْرَادِ- عَظِيمَةٌ، وَدَهَمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ، فَرَأَى عُمَرُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ مَعْرَكَتَهُمْ، وَعَدَدَهُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ النَّهَارِ، وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن أسندوا إِلَيْهِ لَمْ يُؤْتَوْا إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ، فَنَادَى مِنَ الْغَدِ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي رَأَى أَنَّهُمُ اجْتَمَعُوا فِيهَا، خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِصِفَةِ مَا رَأَى، ثُمَّ قَالَ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ الْجَبَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: إِنَّ لله جُنُودًا، وَلَعَلَّ بَعْضَهَا أَنْ يُبَلِّغَهُمْ. قَالَ: فَفَعَلُوا مَا قَالَ عُمَرُ، فَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَفَتَحُوا الْبَلَدَ.

فأخرج البيهقي بسندٍ حسنه الأئمة، وهو كذلك قوي لطرقه-على أقل الأحوال- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، بَعَثَ جَيْشًا ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) أخرجه البخاري(٢٩٢٨) ومسلم (٢٩١٢) من حديث أبي هريرةت.

لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ: الْجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ ، فَهَزَمَهُمُ الله، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ.[1]

وذكر ابن كثير في هذه السنة غزوة الأكراد .

وفيها: أن عمر بَعَثَ سَلَمَةَ بْنَ قَيْسٍ رَسُولًا إِلَى عُمَرَ بِالْفَتْحِ، وَبِالْغَنَائِمِ، فَذَكَرُوا وُرُودَهُ عَلَى عُمَرَ، وَهُوَ يُطْعِمُ النَّاسَ، وَذَهَابَهُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ؛ كَنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قِصَّةِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عَلِيٍّ، وَطَلَبِهَا الْكُسْوَةَ كَمَا يَكْسُو طَلْحَةُ وَغَيْرُهُ أَزْوَاجَهُمْ، فَقَالَ: أَلَا يَكْفِيكِ أَنْ يُقَالَ: بِنْتُ عَلِيٍّ وَامْرَأَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! ثُمَّ ذَكَرَ طَعَامَهُ الْخَشِنَ، وَشَرَابَهُ مِنْ سُلْتٍ، ثُمَّ شَرَعَ يَسْتَعْلِمُهُ عَنْ أَخْبَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَكَيْفَ طَعَامُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ، وَهَلْ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ الَّذِي هُوَ شَجَرَتُهُمْ، وَلَا بَقَاءَ لِلْعَرَبِ دُونَ شَجَرَتِهِمْ؟ وَذَكَرَ عَرْضَهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ السَّفَطَ مِنَ الْجَوْهَرِ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَرُدَّهُ فَيُقَسَّمَ بَيْنَ الْغَانِمِينَ.[2] فالله أعلم بصحة تفاصيل ذلك.

أواخر خلافة عمر رضي الله عنه

أخرج ابن شبة[3] بسندٍ صحيح عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، أَخْبَرَتْهَا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ عُمَرَ، أَذِنَ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَحَجَجْنَ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ رضي الله عنه، قَالَتْ: فَلَمَّا ارْتَحَلَ عُمَرُ رضي الله عنه مِنَ الْحَصْبَةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ

---

(١) أخرجه البيهقي في«الاعتقاد» ص٤٣٠ بإسناد حسن، وقد قال ابن كثير عن بعض طرقه في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٨٠):«إِسْنَادٌ جَيِّدٌ حَسَنٌ »، وقال(٧/ ٢٨١) بعد سياق مجموعة من أسانيده:«هَذِهِ طُرُقٌ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا»، وقال العراقي في«تخريج الإحياء» عن بعض طرقه(٤/ ١٥٤٨) :« إسناد حسن » وكذا حسن إسناده الحافظ في«الإصابة»(٣/ ٥).

(٢) كما ذكر ذلك ابن كثير في«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٢).

(٣) في«تاريخ المدينة»(٣/ ٨٧٣) وابن أبي عاصم في«المثاني»(٨٣).

أَقْبَلَ رَجُلٌ مُتَلَثِّمٌ، وَقَالَ: وَأَنَا أَسْمَعُ: أَيْنَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ؟ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ، وَأَنَا أَسْمَعُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَهُ فَأَنَاخَ فِي مَنْزِلِ عُمَرَ رضي الله عنه ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى:

عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ ... يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمُمَزَّقِ

فَمَنْ يَجْرِ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ ... لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبَقِ

قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا ... فَوَائِحَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَقُلْتُ لَهُمْ: اعْلَمُوا عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ، فَذَهَبُوا فَلَمْ يَرَوْا فِي مُنَاخِهِ أَحَدًا، فَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تَقُولُ: «فَوَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُهُ مِنَ الْجِنِّ حَتَّى إِذَا قُتِلَ عُمَرُ رضي الله عنه » فَنَحَلَ النَّاسُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ شَمَّاخَ بْنَ ضِرَارٍ الْغَطَفَانِيُّ أَوْ أَخَا شَمَّاخٍ.

أخرج أبو يوسف رحمه الله (١) بسندٍ حسن عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأودي قَالَ: شهِدت عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِثَلاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَاقِفًا عَلَىٰ حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ وَهُوَ يَقُولُ لَهُمَا: لَعَلَّكُمَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ.وَكَانَ عُثْمَانُ عَامِلاً عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ، وَحُذَيْفَةُ على مَا رواء دِجْلَةَ مِنْ جَوْخَى، وَمَا سَقَتْ؛ فَقَالَ عُثْمَانُ: حَمَّلْتُ الأَرْضَ أَمْرًا هِيَ لَهُ مطيقة ولوشئت لأَضْعَفْتُ أَرْضِي.

وَقَالَ حُذَيْفَةُ: وَضَعْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُحْتَمِلَةٌ، وَمَا فِيهَا كَثِيرَة فَضْلٍ؛ فَقَالَ عُمَر رضي الله عنه : انْظُرَا لَا تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ، أَمَا لَئِنْ بَقِيتُ لأَرَامِلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ لأَدَعُهُنَّ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى أَحَدٍ بَعْدِي، وَكَانَ حُذَيْفَةُ عَلَى خَتْمِ جَوْخَى وَعُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ عَلَى خَتْمِ أَسْفَلِ الْفُرَاتِ- خَتْمِ الأَعْنَاقِ، قَالَ: وَأَوْصَى عُمَرُ رضي الله عنه فِي وَصِيَّتِهِ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ أَن يُوفى لَهُم بعدهمْ وَلا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ وَأَنْ يُقَاتل من ورائهم.

---

(١) في «الخراج» ص ٤٨ .

وأخرج معمر[١] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «إِنَّا لَوَاقِفُونَ مَعَ عُمَرَ عَلَى الْجَبَلِ بِعَرَفَةَ، إِذْ سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ: يَا خَلِيفَةُ، فَقَالَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ خَلْفِي مِنْ لِهْبٍ: مَا لِهَذَا الصَّوْتِ؟ قَطَعَ اللهُ لَهْجَتَهُ، وَاللهِ لَا يَقِفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَاهُنَا بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا، قَالَ: فَشَتَمْتُهُ وَآذَيْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا رَمَيْنَا الْجَمْرَةَ مَعَ عُمَرَ، أَقْبَلَتْ حَصَاةٌ فَأَصَابَتْ رَأْسَهُ، فَفَتَحَتْ عِرْقًا مِنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْعَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا وَاللهِ لَا يَقِفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ هَاهُنَا أَبَدًا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ ذَلِكَ اللِّهْبِيُّ» ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا حَجَّ عُمَرُ بَعْدَهَا.

دعاء عمر رضي الله عنه بالشهادة في سبيل الله والموت في المدينة المنورة.

أخرج البخاري[٢] عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ». كذا رواه موصولاً.

وأخرجه البخاري معلَّقاً ووصله أبو نعيم[٣] وغيرهما من طريقين عن روح بن القاسم وحفص بن ميسرة زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أبيه(وانفرد روح بقوله «عن أبيه»عند أبي نعيم) ، عَنْ حَفْصَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقُولُ: «اللهُمَّ قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ، وَوَفَاةً فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ» قُلْتُ: وَأَنَّى يَكُونُ هَذَا؟ قَالَ: «يَأْتِي بِهِ اللهُ إِذَا شَاءَ».[٤]

---

(١) برقم (١٩٤٩٩مصنف).

(٢) برقم (١٨٩٠).

(٣) البخاري معلقاً عقب الماضي أبو نعيم في«الحلية»(١/ ٥٣) وعمر بن شبة في«تاريخ المدينة»(٣/ ٨٧٢)

(٤)وفي سنده خلاف على زيد بن أسلم ذكره الدارقطني في«العلل»(٢/ ١٤٠) وقال:« وَالصَّحِيحُ قَوْلُ مَنْ قَالَ عَنْ أُمِّهِ»، وأخرجه ابن سعد في «طبقاته»(٣/ ٣٣١) من طريق مالك عن عمر مرسلاً.

وأخرجه البخاري في«التاريخ الكبير» [١]عن عَبْدِ الله بْنِ عَبْدٍ سَمِعَ عمر ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْقَتْلَ في سَبِيلِكَ، وَوَفَاةً بِبَلْدَةِ رَسُولِكَ».

وأخرج عمر بن شبة[٢]من طريق عَبْدِ الله بْنِ دِينَارٍعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما أَنَّ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ وَفَاتِي فِي سَبِيلِكَ فِي بَلَدِ رَسُولِكَ».

وأخرج[٣]بسندٍ منقطع عن سعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْهُ فِي بَلَدِ رَسُولِكَ» قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَعْجَبُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَا لِعُمَرَ ﷺ مِنَ الله عَنْهُ مِنَ الله مِنَ الْمَنْزِلَةِ حَتَّى طَعَنَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ».

أخرج ابن شبة [٤]عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ عُمَرَ ﷺ أَتَى الْبَطْحَاءَ فَكَوَّمَ كَوْمَةً مِنْ بَطْحَاءَ ثُمَّ طَرَحَ عَلَيْهَا طَرْفَ ثَوْبِهِ وَاسْتَلْقَى، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ كَبِرَتْ سِنِّي وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ» ، ثُمَّ أَتَى الْمَدِينَةَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ، وَفُرِضَتْ لَكُمُ الْفَرَائِضُ، وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ، ثُمَّ صَفَّقَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ شِمَالًا وَيَمِينًا».[٥]

ورواه البلاذري في«أنساب الأشراف»(١٠/ ٤٠٩) من طريق هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَفْصَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ عُمَرَ أَبَاهَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَتْلا ..الأثر.

(١) (٥/ ١٤١).

(٢) في«تاريخ المدينة»(٣/ ٨٧٨) وصحح سنده ابن حجر في«الفتح»(٤/ ١٢٦) .

(٣) المصدر السالف.

(٤) في«تاريخ المدينة المنورة»(٣/ ٨٧٢).

(٥) وسنده صحيح على الخلاف في سماع سعيد من عمرت.

قال ابن كثير[١]:

«فَاسْتَجَابَ الله لَهُ هَذَا الدُّعَاءَ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ هَذَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ الشَّهَادَةِ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ . وَهَذَا عَزِيزٌ جِدًّا، وَلَكِنَّ الله لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى. فَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ ضَرَبَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ فَيْرُوزُ الْمَجُوسِيُّ الْأَصْلِ، الرُّومِيُّ الدَّارِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ صَلَاةَ الصُّبْحِ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ، لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِخِنْجَرٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، فَضَرَبَهُ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ، وَقِيلَ: سِتَّ ضَرَبَاتٍ. إِحْدَاهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِهِ قَطَعَتِ الصِّفَاقَ فَخَرَّ مِنْ قَامَتِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَرَجَعَ الْعِلْجُ بِخِنْجَرِهِ لَا يَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا ضَرَبَهُ، حَتَّى ضَرَبَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَاتَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ عَبْدُ الله بْنُ عَوْفٍ بُرْنُسًا فَانْتَحَرَ نَفْسَهُ، لَعَنَهُ الله، وَحُمِلَ عُمَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَالدَّمُ يَسِيلُ مَنْ جُرْحِهِ- وَذَلِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ- فَجَعَلَ يُفِيقُ ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ، ثُمَّ يُذَكِّرُونَهُ بِالصَّلَاةِ فَيُفِيقُ وَيَقُولُ: نَعَمْ».

رؤيا عمر قبل موته بالبشارة بالشهادة

وقد أخرج ابن سعد[٢] بإسنادٍ صححه الحافظ[٣] عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَى عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّاسَ جُمِعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ عَلا النَّاسَ بِثَلاثَةِ أَذْرُعٍ. قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قُلْتُ: بِمَ يَعْلُوهُمْ؟ قَالَ: إِنَّ فِيهِ ثَلاثُ خِصَالٍ:لا يَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ.

---

(١) في«البدية والنهاية»(٧/ ٢٨٧).

(٢)فى «طبقاته الكبرى» (٣/ ٣٣١-٣٣٢).

(٣)فى «الفتح» (٤/ ١٢٦) ط دار الحديث.

وَإِنَّهُ شَهِيدٌ مُسْتَشْهَدٌ. وَخَلِيفَةٌ مُسْتَخْلَفٌ. فَأَتَى عَوْفٌ أَبَا بَكْرٍ فَحَدَّثَهُ فَبَعَثَ إِلَى عُمَرَ فَبَشَّرَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُصَّ رُؤْيَاكَ. قَالَ فَلَمَّا قَالَ خَلِيفَةٌ مُسْتَخْلَفٌ انْتَهَرَهُ عُمَرُ فَأَسْكَتَهُ.

فَلَمَّا وَلِي عُمَرُ انْطَلَقَ إِلَى الشَّامِ فَبَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ رَأَى عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ. فَدَعَاهُ. فَصَعِدَ مَعَهُ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: اقْصُصْ رُؤْيَاكَ. فَقَصَّهَا.

فَقَالَ:أَمَّا أَلا أَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ فَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَنِي الله فِيهِمْ.وَأَمَّا خَلِيفَةٌ مُسْتَخْلَفٌ فَقَدِ اسْتُخْلِفْتُ فَأَسْأَلُ الله أَنْ يُعِينَنِي عَلَى مَا وَلانِي. وَأَمَّا شَهِيدٌ مُسْتَشْهَدٌ فَأَنَّى لِيَ الشَّهَادَةُ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ لَسْتُ أَغْزُو النَّاسَ حَوْلِي؟

ثُمَّ قَالَ: وَيْلِي وَيْلِي يَأْتِي بِهَا الله إِنْ شَاءَ الله.

وأخرج ابن سعد[1] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ كأني أخذت جواد كَثِيرَةً فَاضْمَحَلَّتْ حَتَّى بَقِيَتْ جَادَّةٌ وَاحِدَةٌ. فَسَلَكْتُهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى جَبَلٍ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ فَوْقَهُ وَإِلَى جَنْبِهِ أبو بكر. وإذا هو يومىء إِلَى عُمَرَ أَنْ تَعَالَ. فَقُلْتُ: إِنَّالله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. مَاتَ وَالله أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقُلْتُ: أَلا تَكْتُبُ بِهَذَا إِلَى عُمَرَ؟ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَنْعِيَ لَهُ نَفْسَهُ.

آخر خطبة خطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أخرجها البخاري[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) في«طبقاته» (٣/ ٣٣٢) .

(٢) برقم (٦٨٣٠).

اليَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ فِي فُلاَنٍ؟ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَوَاللهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ العِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي الحَجَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ عَجَّلْتُ الرَّوَاحَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ الْمِنْبَرِ، فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: لَيَقُولَنَّ العَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ: مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ، فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لاَ أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لاَ يَعْقِلَهَا فَلاَ أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ، ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللهِ: أَنْ لاَ تَرْغَبُوا عَنْ

آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، أَوْ إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ. أَلاَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « **لاَ تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**» ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: وَالله لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الله وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى الله نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ، لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالاَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالاَ: لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمْ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ، فَقُلْتُ: وَالله لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: يُوعَكُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ الله وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ. فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَالله مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ،

فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَالله أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لاَ يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الِاخْتِلاَفِ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ. وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: قَتَلَ الله سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَالله مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا القَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ: أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ.

مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما تبع ذلك حتى تأمَّر عثمان رضي الله عنه

أخرجه البخاري[1] عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: «كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ؟ قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ، قَالَ: قَالاَ: لاَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي الله، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ،

(١) برقم (٢٧٠٠).

فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ الله سُبْحَانَ الله، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ الله، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، - وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ. فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى الله لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلاَمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ يَا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ، مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الحَمْدُ لله، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلاَ خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، {الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ، وَجُبَاةُ المَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ. وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ الله، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ...الخبر.
وسيأتي تمامه إن شاء الله .

أواخر ما قال عمر بعد طعنه رضي الله عنه

أخرج البخاري[1] عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ الله تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ الله جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَالله لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ.

سِنُّه يوم مات رضي الله عنه

اختُلف في سِنِّه يوم مات ما بين خمسة وخمسين أو إحدى وستين.

وقال ابن كثير[2]:«وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ،عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَأَنَّهُ قَالَ: تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَهَذَا أَثْبَتُ الْأَقَاوِيلِ عِنْدَنَا».

مجموع زوجاته وأولاده الذين تُوفِّيَ عنهن

لخص ابن كثير[1] الوارد في ذلك فقال :«قلت: جُمْلَةُ أَوْلَادِهِ، رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ، ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَلَدًا ؛ وَهُمْ زَيْدٌ الْأَكْبَرُ وَزَيْدٌ الْأَصْغَرُ، وَعَاصِمٌ، وَعَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

(١) برقم (٣٦٩٢).

(٢) «البداية والنهاية»(٧/ ٢٨٩).

الْأَكْبَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ- قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَهُوَ أَبُو شَحْمَةَ - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَصْغَرُ، وَعُبَيْدُ الله، وَعِيَاضٌ، وَحَفْصَةُ، وَرُقَيَّةُ، وَزَيْنَبُ، وَفَاطِمَةُ، ﷺ.

وَمَجْمُوعُ نِسَائِهِ اللَّاتِي تَزَوَّجَهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مِمَّنْ طَلَّقَهُنَّ أَوْ مَاتَ عَنْهُنَّ سَبْعٌ، وَهُنَّ جَمِيلَةُ أُخْتُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْأَفْلَحِ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعُونٍ، وَعَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَقُرَيْبَةُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَمُلَيْكَةُ بِنْتُ جَرْوَلٍ، وَأُمُّ حَكِيمِ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ أُخْرَى وَهِيَ مُلَيْكَةُ بِنْتُ جَرْوَلٍ.

وَكَانَتْ لَهُ أَمَتَانِ لَهُ مِنْهُمَا أَوْلَادٌ؛ وَهُمَا فُكَيْهَةُ وَلُهَيَّةُ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي لُهَيَّةَ هَذِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ أُمَّ وَلَدٍ.وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ أَصْلُهَا مِنَ الْيَمَنِ وَتَزَوَّجَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، فَالله أَعْلَمُ .

ذكر من مات في هذه السنة

ذكر المؤرخون كابن كثير رحمه الله جماعة من المشهورين ماتوا في هذه السنة، منهم:

قتادة بن النعمان، والأقرع بن حابس، والحُبَاب بن المنذر- صاحب موقف المشاورة يوم بدر- وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، وعلقمة بن عِلاثة ابن عوف الذي أسلم عام الفتح، وعلقمة بن مجزز بن الأعور الأمير الذي كانت فيه دعابة، وأمر الصحابة رضي الله عنهم أن يوقدوا النار وأن يدخلو فيها، وقد قال ﷺ معلقاً على ذلك : « **إنما الطاعة في المعروف** ».[٢]

(١) المصدر السابق(٧/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه البخاري(٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠)

وعويم بن ساعدة، وغيلان بن سلمة الثقفي الذي أسلَم عام الفتح، والذي قيل : كان على عشر نسوة ، فأمر أن يختار منهن أربعة.

وتوفيت أيضاً في هذه السنة: سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضي الله عنها وغيرهم، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه .

وتوفيت أيضاً: هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين.

وتوفي عُتْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيُّ، هَاجَرَ مَعَ أَخِيهِ لِأَبَوَيْهِ عَبْدِ الله إِلَى الْحَبَشَةِ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعْدَهَا.

ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ

دَفْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَمُبَايَعَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ الستةُ الذين سماهم – وهم أصحاب الشورى ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ.

ففي صحيح البخاري[1] في قصة مقتل عمر:«...فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ والله عَلَيْهِ وَالإِسْلاَمُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَالله عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالاَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَالقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَالله عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ، وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلاَ

(١) برقم (٣٧٠٠).

بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ المِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.

ولذلك قال أحمد[1]: ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم.[2]

كذا عيَّنوا واحداً منهم عقب وفاته مباشرة، لم يمهلوا ثلاثة أيام كما في بعض الكتب.

وإنما اعتمدوا على ما رواه نَافِعٌ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ: أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه غُسِّلَ وَكُفِّنَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ، وَكَانَ شَهِيدًا، وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «إِذَا مِتُّ فَتَرَبَّصُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ، وَلَا يَأْتِيَنَّ الْيَوْمُ الرَّابِعُ إِلَّا وَعَلَيْكُمْ أَمِيرٌ مِنْكُمْ، وَيَحْضُرُ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ مُشِيرًا، وَلَا شَيْءَ لَهُ فِي الْأَمْرِ، وَطَلْحَةُ شَرِيكُكُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ قَدِمَ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ فَأَحْضِرُوهُ أَمْرَكُمْ، وَإِنْ مَضَتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَ قُدُومِهِ فَاقْضُوا أَمْرَكُمْ، وَمَنْ لِي بِطَلْحَةَ؟» فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَا لَكَ بِهِ، وَلَا يُخَالِفُ

---

(١) فيما أخرجه الخلال (٤٠٥) بإسناده عن الإمام أحمد، وقد حكاه ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص (٤٨٢) عن عامة أهل السنة.

وهذا يعني أن الخارجين على عثمان بغاة ظلمة مخالفون لقوله ع من وجه آخر، ومخالفون للإجماع.

(٢) وقد قال ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٢٩٨):« وَمَا يَذْكُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ كَابْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ رجال لا يعرفون أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ خَدَعْتَنِي، وَإِنَّكَ إِنَّمَا وَلَّيْتَهُ لِأَنَّهُ صِهْرُكَ وَلِيُشَاوِرَكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شأنه، وَأَنَّهُ تَلَكَّأَ حَتَّى قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ».إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُخَالِفَةِ لِمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ فَهِيَ مَرْدُودَةٌ عَلَى قَائِلِيهَا وَنَاقِلِيهَا. وَالله عَلَمُ. وَالْمَظْنُونُ بِالصَّحَابَةِ خِلَافُ مَا يتوهم كثير من الرَّافِضَةِ وَأَغْبِيَاءِ الْقُصَّاصِ الَّذِينَ لَا تَمْيِيزَ عِنْدَهُمْ بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها، وسقيمها، ومبادئها، وَقَوِيمِهَا، وَالله الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ»اهـ.

إِنْ شَاءَ الله، فَقَالَ عُمَرُ: «أَرْجُو أَلَّا يُخَالِفَ إِنْ شَاءَ الله، وَمَا أَظُنُّ أَنْ يَلِيَ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ، فَإِنْ وَلِيَ عُثْمَانُ فَرَجُلٌ فِيهِ لِينٌ، وَإِنْ وَلِيَ عَلِيٌّ فَفِيهِ دُعَابَةٌ وَأَحْرِ بِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَإِنْ تُوَلُّوا سَعْدًا فَأَهْلُهَا هُوَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ الْوَالِي، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ خِيَانَةٍ وَلَا ضَعْفٍ، وَنِعْمَ ذُو الرَّأْيِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، مُسَدَّدٌ رَشِيدٌ، لَهُ مِنَ الله حَافِظٌ، فَاسْمَعُوا مِنْهُ» ، وَقَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ: «يَا أَبَا طَلْحَةَ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ طَالَمَا أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِكُمْ، فَاخْتَرْ مِنْهُمْ» ، وَقَالَ لِلْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ: «إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي فَاجْمَعْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ فِي بَيْتٍ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ» ، وَقَالَ لِصُهَيْبٍ: «صَلِّ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَدْخِلْ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ إِنْ قَدِمَ، وَأَحْضِرْ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَقُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَإِنِ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلًا وَأَبَى وَاحِدٌ فَاشْدَخْ رَأْسَهُ أَوِ اضْرِبْ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ، وَإِنِ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ فَرَضُوا رَجُلًا مِنْهُمْ وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ رُءُوسَهُمَا، فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ وَثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ فَحَكِّمُوا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ حَكَمَ لَهُ فَلْيَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَاقْتُلُوا الْبَاقِينَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»، فَخَرَجُوا، فَقَالَ عَلِيٌّ لِقَوْمٍ كَانُوا مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ: «إِنْ أُطِعْ فِيكُمْ قَوْمَكُمْ لَمْ تُؤَمَّرُوا أَبَدًا»، وَتَلَقَّاهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: عُدِلَتْ عَنَّا، فَقَالَ: وَمَا عِلْمُكَ؟ قَالَ: قُرِنَ بِي عُثْمَانُ، وَقَالَ: كُونُوا مَعَ الْأَكْثَرِ، فَإِنْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا، وَرَجُلَانِ رَجُلًا، فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَسَعْدٌ لَا يُخَالِفُ ابْنَ عَمِّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صِهْرُ عُثْمَانَ لَا يَخْتَلِفُونَ فَيُوَلِّيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُثْمَانَ أَوْ يُوَلِّيهَا عُثْمَانُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَلَوْ كَانَ الْآخَرَانِ مَعِي لَمْ يَنْفَعَانِي، بَلْهَ أَنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا أَحَدَهُمَا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: « لَمْ أَرْفَعْكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيَّ مُسْتَأْخِرًا بِمَا أَكْرَهُ، أَشَرْتُ عَلَيْكَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ تَسْأَلَهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ فَأَبَيْتَ، وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنْ تُعَاجِلَ الْأَمْرَ فَأَبَيْتَ، وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ حِينَ

سَمَّاكَ عُمَرُ فِي الشُّورَى أَنْ لَا تَدْخُلَ مَعَهُمْ فَأَبَيْتَ، احْفَظْ عَنِّي وَاحِدَةً: كُلَّمَا عَرَضَ عَلَيْكَ الْقَوْمُ فَقُلْ: لَا، إِلَّا أَنْ يُوَلُّوكَ، وَاحْذَرْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ فَإِنَّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ يَدْفَعُونَنَا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقُومَ لَنَا بِهِ غَيْرُنَا، وَايْمُ الله لَا يَنَالُهُ إِلَّا بِشَرٍّ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ خَيْرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: « أَمَا لَئِنْ بَقِيَ عُثْمَانُ لَأُذَكِّرَنَّهُ مَا أَتَى، وَلَئِنْ مَاتَ لَيَتَدَاوَلُنَّهَا بَيْنَهُمْ، وَلَئِنْ فَعَلُوا لَيَجِدُنِّي حَيْثُ يَكْرَهُونَ.

ولكن هذا إنما أخرجه ابن شبة [1] بإسنادٍ فيه محمد بن فليح وهو إلى الضعف أقرب، وفي المتن أشياء غريبة، والمعتمد ما تقدم في رواية الصحيح .

كذلك ما رُوِي من أن أبا طَلْحَةَ قال: إِنِّي كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ تَدَافَعُوهَا وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنْ تَنَافَسُوهَا، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ بَعْدَ حُضُورِ طَلْحَةَ إِلَى أَنْ فَوَّضَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ مَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى ثَلَاثَةٍ...فهذا مما لم أجد له دليلاً صحيحاً. وَالْمَظْنُونُ بِالصَّحَابَةِ خِلَافُ ما يتكلَّم به من لَا تَمْيِيزَ عِنْدَهُمْ بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، ومبادها وَقَوِيمِهَا، وَالله الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

وكذلك ما يُذكر من أن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ رضي الله عنه نهض يَسْتَشِيرُ النَّاسَ في أمر علي وعثمان ويجمع رأي المسلمين برأي رؤس الناس وأقيادهم جَمِيعًا وَأَشْتَاتًا، مَثْنَى وَفُرَادَى، وَمُجْتَمِعِينَ، سِرًّا وَجَهْرًا، حَتَّى خَلَصَ إِلَى النِّسَاءِ الْمُخَدَّرَاتِ فِي حِجَابِهِنَّ، وَحَتَّى سَأَلَ الْوِلْدَانَ فِي الْمَكَاتِبِ، وَحَتَّى سَأَلَ مَنْ يَرِدُ مِنَ الرُّكْبَانِ وَالْأَعْرَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، فَلَمْ يَجِدِ اثنين يختلفان في تقدم عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، إِلَّا مَا يُنْقَلُ عَنْ عَمَّارٍ وَالْمِقْدَادِ أَنَّهُمَا أَشَارَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ بَايَعَا مَعَ النَّاس عَلَى مَا سنذكره، فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا لَا يَغْتَمِضُ بِكَثِيرِ نَوْمٍ إِلَّا صَلَاةً وَدُعَاءً وَاسْتِخَارَةً، وَسُؤَالًا مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ عنهم، فَلَمْ

(١) في«تاريخ المدينة المنورة» (٣/ ٩٢٤).

يَجِدْ أَحَدًا يَعْدِلُ بِعُثْمَانَ بْنِ عفَّان ﷺ فمع أني لم أقف في ذلك على خبر يثبت[١] فلا أنكر منه، ولا مصادمة للشرع أكثر منه[٢]!

كيف يذهب عبد الرحمن بن عوف لاستشارة الْوِلْدَانَ فِي الْمَكَاتِبِ، ومَنْ يَرِدُ مِنَ الرُّكْبَانِ وَالْأَعْرَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وما دخل هؤلاء، أو النِّسَاءِ الْمُخَدَّرَاتِ فِي حِجَابِهِنَّ، بعد استخلاف عمر لواحد من الستة وقد رضي أهل الحل والعقد بأحدهم، فيذهب الصحابة ﷺ يتوقفون في الأمر حتى يستشيروا الْوِلْدَانَ فِي الْمَكَاتِبِ، وَالْأَعْرَابِ، والنِّسَاء الْمُخَدَّرَاتِ فِي حِجَابِهِنَّ، قبل إبرام الأمر؟!

وهل الأمر يحتاج إلى كل ذلك أصلاً؟

ثم لما راجَ هذا الباطل المنسوب إلى عبد الرحمن بن عوف والصحابة، استدل به الحزبيون لإدخال النساء في المعتركات السياسية الجاهلية، واعتبار آرائهنَّ، ومشاركتهن في أمور الإمارات، فوافق الأهواء، والله المستعان.

رواية أخرى في جمع عبد الرحمن بن عوف ﷺ الناس على عثمان

أخرجها عبد الرزاق[٣] بسند صحيح عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: أَتَانِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ لَيْلَةَ الثَّالِثَةِ مِنْ أَيَّامِ الشُّورَى، بَعْدَمَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ الله، فَوَجَدَنِي نَائِمًا فَقَالَ: أَيْقِظُوهُ، فَأَيَقَظُونِي فَقَالَ: أَلَا أَرَاكَ نَائِمًا، وَالله مَا اكْتَحَلْتُ بِكَثِيرِ نَوْمٍ مُنْذُ هَذِهِ الثَّلَاثِ، اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا - نَاسًا مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ مِنَ

---

(١) لَمْ يَصحْ ذَاكَ عَنْ عَبدِ الرحمنِ بن عوفٍ، وَإِن وُجدَ لَهُ أَسَانِيدٌ فِي بعض الكُتب كـ «تَاريخ بَغداد» (١٢/ ٤٠٩)، و «تَاريخ ابن عَساكر» (٤٩/ ٤٧).

(٢) فالإجماع منعقد على أن لا دخل للنساء في هذا، ولا استشارة منهم، كما أشار إلى نحو ذلك غير واحد من العلماء، ولو كنَّ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، كما قد بينته في غير هذا الموطن.

(٣) برقم(٩٧٧٥).

الْأَنْصَارِ - فَدَعَوْتُهُمْ فَخَلَا بِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامُوا ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِيَ الزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا فَدَعَوْتُهُمْ، فَنَاجَاهُمْ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عَلِيًّا، فَدَعَوْتُهُ فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عُثْمَانَ، فَدَعَوْتُهُ فَجَعَلَ يُنَاجِيهِ، فَمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَذَانُ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى صُهَيْبٌ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ اجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلْ يَا عَلِيُّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ يَا عُثْمَانُ عَهْدُ الله وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺأَنْ تَعْمَلَ بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلَ بِهِ الْخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ: نَعَمْ، فَمَسَحَ عَلَى يَدِهِ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ، ثُمَّ بَايَعَهُ عَلِيٌّ ثُمَّ خَرَجَ، فَلَقِيَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: خُدِعْتَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَوَ خَدِيعَةٌ هِيَ؟..

سبب عدم تعيين عمر رضي الله عنه لواحد بعينه من الستة أصحاب الشورى

هو ما أخرجه مسلم[1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَقَالُوا : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَالَ: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالُوا: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ: «أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الْكَفَافُ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ الله ﷺ»، قَالَ عَبْدُ الله: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ الله ﷺ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ.

(١) برقم (١٨٢٣).

سبب عدم إدخاله سعيد بن زيد رضي الله عنه

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة في أصحاب الشورى

سبب ذلك والله أعلم أنه من تمام ورعه لم يذكر فيهم سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ خَشِيَ أَنْ يُرَاعَى فَيُوَلَّى لِكَوْنِهِ ابْنَ عَمِّهِ، فَلِذَلِكَ تَرَكَهُ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ.

وأما ولده عبد الله بن عمر فلقد كان خليقاً بالإمارة، عقل ووعي ودين وخلق وحكمة...إلخ. ولكن عمر رضي الله عنه قال:

«..وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ». (١)

بل لما قتل عثمان كادت البيعة أن تنعقد له بطلبهم منه قبولها، بل هدَّدوه إن لم يقبلها – لم يطلبها هو – فرفض رضي الله عنه. (٢)

---

(١) كما تقدم في رواية البخاري.

(٢) فأخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٤/ ١١٣) وأخرجه أحمد في «الفضائل» (١٧٠٤).بسندٍ صحيح عن سَلام بْن مِسْكِينٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يُحَدِّثُ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَالُوا لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ: إِنَّكَ سَيِّدُ النَّاسِ وَابْنُ سَيِّدٍ فَاخْرُجْ نُبَايِعْ لَكَ النَّاسَ. قَالَ: إِنِّي وَالله لَئِنِ اسْتَطَعْتُ لا يُهَرَاقُ فِي سَبَبِي مِحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ. فَقَالُوا: لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ عَلَى فِرَاشِكَ. فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ قَوْلِهِ الأَوَّلِ. قَالَ الْحَسَنُ: فَأَطْمَعُوهُ وَخَوَّفُوهُ فَمَا اسْتَقْبَلُوا منه شيئاً حتى لحق بالله.

مسير ابن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة لجمع قلوب الناس على عثمان رضي الله عنه

أخرج ابن سعد[١] بسندٍ حسن عَنْ أَبِي وَائِلٍ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ سَارَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكُوفَةِ ثَمَانِيًا حِينَ اسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَاتَ فَلَمْ نَرَ يَوْمًا أَكْثَرَ نَشِيجًا مِنْ يَوْمَئِذٍ ، وَإِنَّا اجْتَمَعْنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَلَمْ نَأْلُ عَنْ خَيْرِنَا ذِي فُوقٍ، فَبَايَعْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، فَبَايِعُوهُ».

ردُ فرية عن عثمان رضي الله عنه

وأما ما أخرجه ابن سعد[٢] عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا بُويعَ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَخَطَبَهُمْ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وَإِنَّ بَعْدَ الْيَوْمِ أَيَّامًا، وَإِنْ أَعِشْ تَأْتِكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ، وَسَيُعَلِّمُنَا الله».

وفي بعض الروايات: «أنه لَمَّا خَطَبَ أَوَّلَ خُطْبَةٍ أُرْتِجَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ حَتَّى قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أول مركب صعب، وإن أعش فستأتيكم الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا»[٣].

---

(١) في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٦٣).

(٢) في «طبقاته» (٣/ ٦٢)

(٣) ذكر هذا اللفظ ابن كثير في «البداية النهاية» (٧/ ٢٩٩).

فمما لا يصح له سند، ولا يقبله العقل، ففي سنده محمد بن عمر الواقدي وهو متروك، وقد قال ابن كثير[١]: « لَمْ أَرَ هَذَا بِإِسْنَادٍ تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَيْهِ».

أول حكومة حكم فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه

فأخرج عبد الرزاق وغيره[٢] بسندٍ صحيح من طريق الزهري عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ - وَلَمْ نُجَرِّبْ عَلَيْهِ كِذْبَةً قَطُّ - قَالَ: حِينَ قُتِلَ عُمَرُ انْتَهَيْتُ إِلَى الْهُرْمُزَانِ وَجُفَيْنَةَ وَأَبِي لُؤْلُؤَةَ وَهُمْ نَجِيٌّ، فَبَغَتُّهُمْ فَثَارُوا وَسَقَطَ مِنْ بَيْنَهُمْ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ، نِصَابُهُ فِي وَسَطِهِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَانْظُرُوا بِمَا قُتِلَ عُمَرُ؟ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهُ خِنْجَرًا عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: فَخَرَجَ عُبَيْدُ الله بْنُ عُمَرَ مُشْتَمِلًا عَلَى السَّيْفِ حَتَّى أَتِي الْهُرْمُزَانَ فَقَالَ: اصْحَبْنِي حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى فَرَسٍ لِي - وَكَانَ الْهُرْمُزَانُ بَصِيرًا بِالْخَيْلِ - فَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَلَاهُ عُبَيْدُ الله بِالسَّيْفِ فَلَمَّا وَجَدَ حَرَّ السَّيْفِ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَتَى جُفَيْنَةَ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - فَدَعَاهُ فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُ عَلَاهُ بِالسَّيْفِ فَصُلِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَتَى ابْنَةَ أَبِي لُؤْلُؤَةَ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ تَدَّعِي الْإِسْلَامَ - فَقَتَلَهَا، فَأَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَهْلِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِالسَّيْفِ صَلْتًا فِي يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لَا أَتْرُكُ فِي الْمَدِينَةِ سَبْيًا إِلَّا قَتَلْتُهُ وَغَيْرَهُمْ - وَكَأَنَّهُ يُعَرِّضُ بِنَاسٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - فَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: أَلْقِ السَّيْفَ، وَيَأْبَى وَيَهَابُونَهُ أَنْ يَقْرَبُوا مِنْهُ، حَتَّى أَتَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: أَعْطِنِي السَّيْفَ يَا ابْنَ أَخِي، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ ثَارَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَتَنَاصَيَا حَتَّى حَجَزَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا وُلِّيَ عُثْمَانُ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي فَتَقَ فِي الْإِسْلَامِ مَا فَتَقَ - يَعْنِي

(١) في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٩٩).

(٢) برقم (٩٧٧٥).

عُبَيْدَ الله بْنَ عُمَرَ - فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ: أَقُتِلَ عُمَرُ أَمْسَ وَتُرِيدُونَ أَنْ تُتْبِعُوهُ ابْنَهُ الْيَوْمَ؟ أَبْعَدَ الله الْهُرْمُزَانَ وَجُفَيْنَةَ قَالَ: فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا لله، قَدْ أَعْفَاكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ، وَلَكَ عَلَى النَّاسِ مِنْ سُلْطَانٍ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ وَلَا سُلْطَانَ لَكَ، فَاصْفَحْ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَلَى خُطْبَةِ عَمْرٍو، وَوَدَى عُثْمَانُ الرَّجُلَيْنِ وَالْجَارِيَةَ .

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ قَالَ: يَرْحَمُ الله حَفْصَةَ إِنْ كَانَتْ لَمِمَّنْ شَجَّعَ عُبَيْدَ الله عَلَى قَتْلِ الْهُرْمُزَانِ وَجُفَيْنَةَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الله بْنُ ثَعْلَبَةَ- أَوْ قَالَ: ابْنُ خَلِيفَةَ الْخُزَاعِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ الْهُرْمُزَانَ رَفَعَ يَدَهُ يُصَلِّي خَلْفَ عُمَرَ.

والمقصود:

أن عُثْمَان رضي الله عنه ودى أُولَئِكَ الْقَتْلَى مِنْ مَالِهِ، لِأَنَّ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ، إِذْ لَا وَارِثَ لَهُمْ إِلَّا بَيْتُ الْمَالِ، وَالْإِمَامُ يَرَى الْأَصْلَحَ فِي ذَلِكَ، وَخَلَّى سَبِيلَ عُبَيْدِ الله.(١)

وممن تُوُفِّيَ في هذه السنة(سنة أربع وعشرين)من المشهورين: سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنُ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيُّ وَيُكَنَّى بِأَبِي سُفْيَانَ، كَانَ يَنْزِلُ قُدَيْدًا وَهُوَ الَّذِي اتَّبَعَ رَسُولَ الله ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ وَعَبْدَ الله بْنَ أُرَيْقِطٍ الدِّيلِيَّ حِينَ خَرَجُوا مِنْ غَارِ ثَوْرٍ قَاصِدِينَ الْمَدِينَةَ فَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لَمَّا جَعَلُوا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ مائة مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، فَطَمِعَ أَنْ يَفُوزَ بِهَذَا الْجُعْلِ فَلَمْ يُسَلِّطْهُ الله عَلَيْهِمْ كما بيَّنا في «صحيح السيرة النبوية».

(١) من كلام ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٠).

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ، إلى سنة سبعٍ وعشرين

ذكروا فيها عدَّة فتوحات، ولم أقف على أسانيد في ذلك، ويلفت النظر ما أورده المؤرخون في السنة السابعة والعشرين ما كان في وَقْعَةِ جُرْجِيرَ وَالْبَرْبَرِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا قَصَدَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا إِفْرِيقِيَّةَ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ الله بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَفِي جَيْشِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ، صَمَدَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الْبَرْبَرِ جُرْجِيرُ فِي عِشْرِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ فِي مِائَتَيْ أَلْفٍ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ أَمَرَ جَيْشَهُ فَأَحَاطُوا بِالْمُسْلِمِينَ هَالَةً، فَوَقَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَوْقِفٍ لَمْ يُرَ أَشْنَعَ مِنْهُ وَلَا أَخْوَفَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ: فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَلِكِ جُرْجِيرَ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى بِرْذَوْنٍ، وَجَارِيَتَانِ تُظِلَّانِهِ بِرِيشِ الطَّوَاوِيسِ، فَذَهَبْتُ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعِيَ مَنْ يَحْمِي ظَهْرِي وَأَقْصِدُ الْمَلِكَ، فَجَهَّزَ مَعِي جَمَاعَةً مِنَ الشُّجْعَانِ، قَالَ فَأَمَرَ بِهِمْ فَحَمَوْا ظَهْرِي وذهبت حتى خرقت الصُّفُوفَ إِلَيْهِ- وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنِّي فِي رِسَالَةٍ إِلَى الْمَلِكِ- فَلَمَّا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ أَحَسَّ مِنِّي الشَّرَّ فَفَرَّ عَلَى بِرْذَوْنِهِ، فَلَحِقْتُهُ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي، وَذَفَفْتُ عَلَيْهِ بِسَيْفِي، وَأَخَذْتُ رَأْسَهُ فَنَصَبْتُهُ عَلَى رَأْسِ الرُّمْحِ وَكَبَّرْتُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْبَرْبَرُ فَرِقُوا وَفَرُّوا كَفِرَارِ الْقَطَا، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ فَغَنِمُوا غَنَائِمَ جَمَّةً وَأَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَسَبْيًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ بِبَلَدٍ يُقَالُ لَهُ سُبَيْطِلَةُ- عَلَى يَوْمَيْنِ مِنَ الْقَيْرَوَانِ- فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَوْقِفٍ اشْتَهَرَ فِيهِ أَمْرُ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه وَعَنْ أَبِيهِ وَأَصْحَابِهِمَا أَجْمَعِينَ.

ولم أقف في ذلك على أسانيد ثابتة، وإن كان يتغنَّى بمثلها القصاص.[1]

---

(١) أخرج الزبير بن بكار في« الأخبار الموفقيات » (٥٥) بإسناده قصة عن عَبْد الله بْن عَبَّاسٍ ت قال: خَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي سَرْحٍ فِي غَزْوَةِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ جُرْجِيرَ مَلِكِ الْغَرْبِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ نَصْرَانِيٌّ، وَكَانَ يُذْكَرُ بِعَقْلٍ، قُلْتُ لِعَبْدِ الله بْنِ سَعْدٍ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ مَنْ يُكَلِّمُهُ، فَبَعَثَنِي

وقد أغنى الله الصحابي عبد الله بن الزبير عن رفعة قدره بمثل ذلك، والله أعلم.

وفي هذه السنة عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ الله بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ- وَكَانَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ- وَهُوَ الَّذِي شَفَعَ لَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ حِينَ كَانَ أَهْدَرَ رَسُولُ الله ﷺ، دَمَهُ. وَكَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ ثُمَّ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَأَبَاحَ دَمَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ.

وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا نقِم عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه.[1]

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ففيها ذكر ابن جرير فتح قبرص تَبَعًا لِلْوَاقِدِيِّ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ غَرْبِيٌّ بِلَادِ الشَّامِ فِي الْبَحْرِ، مُخْلَصَةٌ وَحْدَهَا، وَلَهَا ذَنَبٌ مُسْتَطِيلٌ إِلَى نَحْوِ السَّاحِلِ مِمَّا يَلِي دِمَشْقَ، وَغَرْبِيُّهَا أَعْرَضُهَا، وَفِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ، وَمَعَادِنُ، وَهِيَ بَلَدٌ جَيِّدٌ.[2]

وَكَانَ فَتْحُهَا عَلَى يَدَيْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَكِبَ إِلَيْهَا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَهُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ .

بِنْتُ مِلْحَانَ .. حِينَ نَامَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: « **نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي**

وَبَعَثَ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ، وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَعَبْدَ الله بْنَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ. قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ: وَأَنَا أَسَنُّ الْقَوْمِ ... فذكر قصه إرسال الرسل إلي هذا الملك .

وفي سنده عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِيُّ ذاهب الحديث.

ونحو ذلك أخرجه ابن الجوزي في«المنتظم»(٤/ ٣٤٤) وفي سنده من هو لين الحديث، والله أعلم.

(١) وهذا في قول الواقدي وأبي معشر، حكاه عنهما ابن كثير في «تاريخه»(/ ٣٠٣) .

(٢) كما ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية»(٧/ ٣٠٤).

سَبِيلِ الله، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله» - كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»، فَرَكِبَتِ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ. (١)

فَكَانَتْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَمَاتَتْ بِهَا، وَكَانَتِ الثانية عبارة عن غزو قُسْطَنْطِينِيَّةَ بَعْدَ هَذَا كَمَا سَنَذْكُرُهُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَكِبَ الْبَحْرَ فِي مَرَاكِبَ فَقَصَدَ الْجَزِيرَةَ المعروفة بقبرص وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه لَهُ فِي ذَلِكَ.

قصة غريبة لأبي الدرداء رضي الله عنه

وأخرج سعيد بن منصور (٢) وغيره بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مَدَائِنُ قُبْرُس، وَقَعَ النَّاسُ يَقْتَسِمُونَ السَّبْيَ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ وَيَبْكِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَتَنَحَّى أَبُو الدَّرْدَاءِ، ثُمَّ احْتَبَى بِحَمَائِلِ سَيْفِهِ، فَجَعَلَ يَبْكِي، فَأَتَاهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ؟ أَتَبْكِي فِي يَوْمٍ أَعَزَّ الله فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ وَأَذَلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ، فَضَرَبَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا جُبَيْرُ بْنَ نُفَيْرٍ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى الله إِذَا تَرَكُوا أَمْرَهُ، بَيْنَا هِيَ

(١) أخرجه البخاري(٢٧٨٨)ومسلم (١٩١٢).

(٢) برقم (٢٦٦٠) وأبو إسحاق في«السيرة»(١٠٨) أحمد في«الزهد»(٧٦٣) ابن أبي الدنيا في«العقوبات»(٢) وأبو نعيم في«الحلية»(١/ ٢١٦) وابن الجوزي في «ذم الهوى»ص ٢١١.

أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى النَّاسِ، لَهُمُ الْمُلْكُ حَتَّى تَرَكُوا أَمْرَ الله، فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى، وَإِنَّهُ إِذَا سُلِّطَ السِّبَاءُ عَلَى قَوْمٍ فَقَدْ خَرَجُوا مِنْ عَيْنِ الله ، لَيْسَ لله بِهِمْ حَاجَةٌ».

وفي رواية[1]:«...قَالَ:يَا جُبَيْرُ! بَيْنَا هَذِهِ الأُمَّةُ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ، إِذْ عَصَوُا اللهَ، فَلَقُوا مَا تَرَى، مَا أَهْوَنَ العِبَادَ عَلَى اللهِ إِذَا هُمْ عَصَوْهُ.

وهذا دليل على أنهم في فتح قبرص قَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَسَبَوْا سَبَايَا كَثِيرَةً، وَغَنِمُوا مَالًا جَزِيلًا جيداً.

وفي هذه السنة ذكر المؤرخون أن عثمان بن عفان رضي الله عنه تزوج نَائِلَةَ بِنْتَ الْفُرَافِصَةِ الْكَلَبِيَّةَ حَيْثُ دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه ، لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَتْ: إِنْ تَقْتُلُوهُ أَوْ تَدَعُوهُ، فَقَدْ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ بِرَكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا الْقُرْآنَ، وهي التي تفاجعت عليه لما قتل وألقت بنفسها عليه لكي لا يقتل، وسيأتي تفصيل ذلك في مقتله إن شاء الله، وسيأتي في وفاته رضي الله عنه .

والذي وقفت عليه ما أخرجه ابن شبة[2] ثنا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:«تَزَوَّجَ عُثْمَانُ رضي الله عنه نَائِلَةَ بِنْتَ الْفُرَافِصَةِ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ ضَمْضَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ جَنَابٍ الْكَلْبِيَّةَ وَكَانَ أَبُوهَا نَصْرَانِيًّا، فَأَمَرَ ضَبًّا ابْنَهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا أَرَادُوا حَمْلَهَا إِلَيْهِ قَالَ لَهَا أَبُوهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّكِ تَقْدَمِينَ عَلَى نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ هُمْ أَقْدَرُ عَلَى الطِّيبِ مِنْكِ، فَاحْفَظِي عَنِّي خَصْلَتَيْنِ: تَكَحَّلِي وَتَطَيَّبِي بِالْمَاءِ حَتَّى يَكُونَ رِيحُكِ كَرِيحِ شَنٍّ أَصَابَهُ مَطَرٌ، فَلَمَّا حُمِلَتْ كَرِهَتِ الْغُرْبَةَ، وَحَزِنَتْ لِفِرَاقِ أَهْلِهَا، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

---

(١) أخرجه ابن عساكر في«تاريخه»(٤٧/ ١٨٦) من نفس الطريق الماضي.

(٢) في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٨١) .

أَلَسْتَ تَرَى يَا ضَبُّ بِالله أَنَّنِي ... مُصَاحِبَةٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَرْكُبَا

إِذَا قَطَعُوا حَزَنًا تَخُبُّ رِكَابُهُمْ ... كَمَا زَعْزَعَتْ رِيحٌ يَرَاعًا مُثَقَّبَا

لَقَدْ كَانَ فِي أَبْنَاءِ حِصْنِ بْنِ ضَمْضَمٍ ... لَكَ الْوَيْلُ مَا يُغْنِي الْخِبَاءَ الْمُطَنَّبَا

فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى عُثْمَانَ قَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَوَضَعَ لَهَا سَرِيرًا حِيَالَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، فَوَضَعَ عُثْمَانُ رضي الله عنه قَلَنْسُوَتَهُ فَبَدَا الصَّلَعُ فَقَالَ: «يَا بِنْتَ الْفُرَافِصَةِ لَا يَهُولَنَّكِ مَا تَرَيْنَ مِنْ صَلَعٍ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ مَا تُحِبِّينَ، فَسَكَتَتْ، فَقَالَ: «إِمَّا أَنْ تَقُومِي إِلَيَّ وَإِمَّا أَنْ أَقُومَ إِلَيْكِ؟» فَقَالَتْ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الصَّلَعِ، فَإِنِّي مِنْ نِسَاءٍ أَحَبُّ بُعُولَتِهِنَّ إِلَيْهِنَّ السَّادَةُ الصُّلْعُ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِمَّا أَنْ تَقُومِي إِلَيَّ وَإِمَّا أَنْ أَقُومَ إِلَيْكِ، فَوَالله مَا تَجَشَّمْتُ مِنْ جَنَبَاتِ السَّمَاوَةِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، بَلْ أَقُومُ إِلَيْكَ، فَقَامَتْ فَجَلَسَتْ إِلَى جَنْبِهِ، فَمَسَحَ رَأْسَهَا وَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «اطْرَحِي عَنْكِ رِدَاءَكِ» فَطَرَحَتْهُ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اطْرَحِي خِمَارَكِ» ، فَطَرَحَتْهُ، ثُمَّ قَالَ: «انْزَعِي عَنْكِ دِرْعَكِ» ، فَنَزَعَتْهُ، ثُمَّ قَالَ: «حُلِّي إِزَارَكِ» ، قَالَتْ: ذَاكَ إِلَيْكَ، فَحَلَّ إِزَارَهَا فَكَانَتْ مِنْ أَحْظَى نِسَائِهِ عِنْدَهُ.[1]

وفي كتاب الخرائطي[2] من نفس الطريق تَزَوَّجَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ أُخْتَ نَائِلَةَ بِنْتِ الْفُرَافِصَةِ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْكُوفَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً، فَأَخْبِرْنِي عَنْ حَسَبِهَا وَجَمَالِهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا حَسَبُهَا فَإِنَّهَا ابْنَةُ الْفُرَافِصَةِ، وَأَمَّا جَمَالُهَا فَإِنَّهَا بَيْضَاءُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنْ كَانَتْ لَهَا أُخْتٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَدَعَا الْفُرَافِصَةَ، فَقَالَ لَهُ: زَوِّجْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ الْفُرَافِصَةُ لِابْنِهِ ضَبٍّ

(١) وما أدري هل سَعِيد بْن عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ يدرك زواج عثمان بنائلة بنت الفرافصة أم لا، وعَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ هو عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي سكت عنه ابن أبي حاتم، ولا أعرفه، وهو غريب المعنى،

(٢) «اعتلال القلوب»(١/ ١٦٩)

وَكَانَ مُسْلِمًا، وَالْفُرَافِصَةُ نَصْرَانِيٌّ: زَوِّجْ أُخْتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَزَوَّجَهُ نَائِلَةَ وَحَمَلَهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى عُثْمَانَ وَضَعَ الْقَلَنْسُوَةَ عَنْ رَأْسِهِ، وَبَدَا الصَّلَعُ.... فالله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر المؤرخون أن في هذه السنة عَزَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ عن البصرة، بعد عمالة سِتِّ سِنِينَ وَقِيلَ ثَلَاثٍ، وَأَمَّرَ عَلَيْهَا عَبْدُ الله بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَهُوَ ابْنُ خَالِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ جُنْدِ أَبِي مُوسَى وَجُنْدِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العاص وله من العمر خمس وعشرن سَنَةً، فَأَقَامَ بِهَا سِتَّ سِنِينَ، وكان هذا مما أخذه الخوارج بعدُ على ما سيأتي في ذكر قيام الخوارج عليه رضي الله عنه، فالله أعلم متى كان ذلك، وبكل حال حصل ذلك، والله أعلم .

وَفِيهَا وَسَّعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَنَاهُ بالقَصَّة- وَهِيَ الْكِلْسُ - كَانَ يُؤْتَى بِهِ مِنْ بَطْنِ نَخْلٍ والحجارة المنقوشة، وجعل عمده حجارة مرصصة، وَسُقُفَهُ بِالسَّاجِ، وَجَعَلَ طُولَهُ سِتِّينَ وَمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَعَرْضَهُ خَمْسِينَ وَمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَجَعَلَ أَبْوَابَهُ سِتَّةً، عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ(١).

ولما أمر عمر بن الخطاب بتوسيع المسجد النبوي في خلافته قال للعامل: «كِنّ الناس من المطر، وإياك أن تُحمِّر أو تصفِّر فتفتن الناس» (٢).

وسعه من ثلاث جهات وبقيت الجهة الرابعة كما هي لم يوسَّع من جهتها خشية أن تدخل الحجرة التي دفن فيها رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه.

---

(١) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٠٥).

(٢) علَّقه البخاري تعليقاً مجزوماً به، فانظر «فتح الباري» (١/ ٦٧١).

توسعة عثمان رضي الله عنه للمسجد النبوي

لما كثر الناس قام عثمان بتوسعة المسجد.والذي ثبت في هذا ما أخرجه البخاري[١] عن نَافِع، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ، وَسَقْفُهُ الجَرِيدُ، وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ: وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ بِاللَّبِنِ وَالجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَبًا، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً: وَبَنَى جِدَارَهُ بِالحِجَارَةِ المَنْقُوشَةِ، وَالقَصَّةِ[٢] وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ». [٣]

وفي هذه السنة[٤]:

حجَّ عثمانُ بنُ عفان بالناس، وضرب لَهُ بِمِنًى فُسْطَاطًا فَكَانَ أَوَّلَ فُسْطَاطٍ ضَرَبَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى، وَأَتَمَّ الصَّلَاةَ عَامَهُ هَذَا، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وصلى خلفه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه درءًا للخلاف.

أخرج البخاري[٥] عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن يَزِيدَ، قال: صَلَّى بِنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقِيلَ: ذَلِكَ لِعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

---

(١) برقم (٤٤٦).

(٢)القصة: هي الجص بلغة أهل الحجاز، وقال الخطابي:«تشبه الجص وليست به»، حكاه عنه الحافظ فى «الفتح» (١/ ٦٧٣).

(٣) الساج: نوع من الخشب معروف يؤتى به من الهند.

(٤) على ما أرَّخ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٠٥).

(٥) برقم (١٠٨٤).

بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ»، فَلَيْتَ حَظِّي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ.

أخرج ابن أبي شيبة[1] عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ،قَالَ:صَلَّى عُثْمَانُ بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَالَ عَبْدُ الله: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمَ الطُّرُقُ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ.قَالَ الأَعْمَش : فَحَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ ، أَنَّ عَبْدَ الله صَلَّى بَعْدُ أَرْبَعًا ، فَقِيلَ لَهُ : عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ ، ثُمَّ تُصَلِي أَرْبَعًا، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ الله :الْخِلاَفُ شَرّ.

دخلت سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

في هذه السنة عزل عثمان بن عفان أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي كان مصرَّاً على شرب الخمر، عزله عن الكوفة ويبدوا أن عثمان كان يوليه ذلك للكفاءة التي يمتلكها في أمور القيادة.

فأخرج البخاري أَنَّ عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالاَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ

(١)أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٦٧٨) وأبو داود (١٩٦٢) بسندٍ صحيح، وعند ابن أبي شيبة وغيره:«الخلاف أشدّ»،يعني:التفريط فيما رأيت رسول ع يفعله أهون من الخلاف، فإنه يكون سبباً لذهاب الريح والفشل، لاسيما إذا كان الخلاف لأميرٍ، وهو الذى يقول عنه شيخ الإسلام فى «مجموع الفتاوى»(٢٢/ ٤٣٦): « وَيَسُوغُ أَيْضًا أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ الْأَفْضَلَ لِتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ خَوْفًا مِنْ التَّنْفِيرِ عَمَّا يَصْلُحُ كَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاءَ الْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِ إبْرَاهِيمَ؛ لِكَوْنِ قُرَيْشٍ كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَخَشِيَ تَنْفِيرَهُمْ بِذَلِكَ وَرَأَى أَنَّ مَصْلَحَةَ الِاجْتِمَاعِ والائتلاف مُقَدَّمَةٌ عَلَى مَصْلَحَةِ الْبِنَاءِ عَلَى قَوَاعِدِ إبْرَاهِيمَ».اهـ ثم ذكر أثر ابن مسعوت:«الخلاف شر» .

الوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ - قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ - فَانْصَرَفْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: « إِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ ؟ قُلْتُ: لاَ، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ، كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَالله مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ»[1].

وأخرج مسلم [2]عن حُضَيْن بْن الْمُنْذِرِ أَبي سَاسَانَ، قَالَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُتِيَ بِالْوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ، فَشَهِدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا حُمْرَانُ أَنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَشَهِدَ آخَرُ أَنَّهُ رَآهُ يَتَقَيَّأُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأْ حَتَّى شَرِبَهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، قُمْ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: قُمْ يَا حَسَنُ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا، فَكَأَنَّهُ وَجَدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الله بْنَ جَعْفَرٍ قُمْ فَاجْلِدْهُ، فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَعُدُّ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ: أَمْسِكْ، ثُمَّ قَالَ: «جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ»، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، وَعُمَرُ ثَمَانِينَ» .

---

(١) برقم (٣٦٩٦)

(٢) برقم (١٧٠٧).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَقَطَ خَاتَمُ النَّبيّ ﷺ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بِئْرِ أَرِيسٍ، وَهِيَ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ مِنْ أَقَلِّ الْآبَارِ مَاءً، فَلَمْ يُدْرَكْ خَبَرُهُ بَعْدَ بَذْلِ مَالٍ جَزِيلٍ، وَالِاجْتِهَادِ فِي طَلَبِهِ، حَتَّى السَّاعَةَ، فَاسْتَخْلَفَ عُثْمَانُ بَعْدَهُ خاتماً من فضة، ونقش عليه محمداً رَسُولُ الله، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ ذَهَبَ الْخَاتَمُ.(١)

أخرج البخاري ومسلم(٢)عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «اتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ،

فَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ، حَتَّى وَقَعَ مِنْهُ فِي بِئْرِ أَرِيسٍ، نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ عامل عثمان رضي الله عنه وَأَبِي ذَرٍّ بِالشَّامِ خلاف، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ أَنْكَرَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَعْضَ الْأُمُورِ.

أخرجه البخاري(٣)عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَقُلْتُ: مَا أَنْزَلَكَ بِهَذِهِ الأَرْضِ؟ قَالَ: « كُنَّا بِالشَّأْمِ فَقَرَأْتُ: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ، وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: ٣٤] قَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا هَذِهِ فِينَا، مَا هَذِهِ إِلَّا فِي أَهْلِ الكِتَابِ، قَالَ: قُلْتُ: «إِنَّهَا لَفِينَا وَفِيهِمْ».

وَكَانَ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَقْتَنِي مَالًا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَيَمْنَعُ أَنْ يَدَّخِرَ فَوْقَ الْقُوتِ، وَيُوجِبُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِالْفَضْلِ، وَيَتَأَوَّلُ قَوْلَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» [التوبة: ٣٤] فَيَنْهَاهُ مُعَاوِيَةُ عَنْ إِشَاعَةِ ذَلِكَ فَلَا يَمْتَنِعُ، فَبَعَثَ يَشْكُوهُ إِلَى عُثْمَانَ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٠٧).

(٢) البخاري(٥٨٧٣) ومسلم (٢٠٩١) واللفظ له .

(٣) برقم (٤٦٦٠).

أَبِي ذَرٍّ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، فَقَدِمَهَا فَلَامَهُ عُثْمَانُ عَلَى بَعْضِ مَا صَدَرَ مِنْهُ، وَاسْتَرْجَعَهُ فَلَمْ يَرْجِعْ فَأَمَرَهُ بِالْمَقَامِ بِالرَّبَذَةِ - وَهِيَ شَرْقِيُّ الْمَدِينَةِ -.

خروج أبي ذر رضي الله عنه وقصده أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه

أخرج ابن حبان[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الصَّامِتِ: قَدِمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ مِنَ الشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، افْتَحِ البَابَ حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ، أَتَحْسَبُنِي مِنْ قَومٍ يَقْرَءُونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّيْنَ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيْقَةِ [٢]، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْعُدَ لَمَا قُمْتُ، وَلَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَكُونَ قَائِماً لَقُمْتُ مَا أَمْكَنَتْنِي رِجْلَايَ، وَلَوْ رَبَطَّتني عَلَى بَعِيرٍ لَمْ أُطلِقْ نَفْسِي حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِى تُطْلِقُنِي، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَأْتِي الرَّبْذَةَ فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهَا، فَإِذَا عَبْدٌ يَؤُمُّهُمْ فَقَالُوا: أَبُو ذَرٍّ، فَنَكَصَ العَبْدُ، فَقِيْلَ لَهُ: تَقَدَّمْ، فَقَالَ: أَوْصَانِي خَلِيْلِي بِثَلَاثٍ: « **أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ مُجَدَّعِ الْأَطْرَافِ، وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ جِيرَانَكَ فَأَنِلْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَتَيْتَ الْإِمَامَ وَقَدْ صَلَّى كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا فَهِيَ لَكَ نَافِلَةٌ**».

ما حصل لأبي ذر رضي الله عنه لما خرج من عند الأمير

وأخرج ابنُ أبي عاصم[٣] بإسنادٍ صحيح عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، لَقِيَهُ رَكْبٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا ذَرٍّ، قَدْ بَلَغَنَا الَّذِي

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٩٦٤) بإسنادٍ صحيحٍ، وهذا لفظه، وهو فى «صحيح مسلم» (١٠٦٧)، وابن ماجة (١٧٠) مختصراً ليس بهذا الطول، والله أعلم.

(٢) الخليقة: أي البهائم.

(٣) فى «السنة» (١٠٧٩) بإسنادٍ صحيحٍ رجاله ثقات.

صُنِعَ بِكَ، فَاعْقِدْ لِوَاءً يَأْتِكَ رِجَالٌ مَا شِئْتَ. قَالَ: مَهْلًا مَهْلًا يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«**سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعِزُّوهُ، مَنِ الْتَمَسَ ذُلَّهُ ثَغَرَ ثُغْرَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ**».

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: زَادَ عُثْمَانُ النِّدَاءَ الثالث يوم الجمعة على الزوراء.

فأخرج البخاري(١)عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: «كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى المِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه، وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ».

والزَّوْرَاءُ: مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ .

وأنكر ابنُ عمر رضي الله عنه هذا الأذان فقَالَ:«الْأَذَانُ الْأَوَّلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِدْعَةٌ» (٢).

بصرف النظر عن مراد ابن عمر بما قال، هل يريد البدعة اللغوية أم الشرعية.

وفي رواية عنه(٣) رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ أَذَّنَ بِلَالٌ ، فَإِذَا فَرَغَ النَّبِيُّ – عليه السلام – مِنْ خُطْبَتِهِ أَقَامَ الصَّلَاةَ» ، وَالْأَذَانُ الْأَوَّلُ بِدْعَة » .

وفي هذه السنة سنة ثلاثين(٤)

توفي من الصحابة المشهورين أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه .(٥)

---

(١) أخرجه البخاري(٩١٢).

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في«المصنف» (١/ ٤٧٠).

(٣) أخرجها الطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٣٢) المخَلِّص في «المخلصيات» (٢٥٦٠).

(٤) على ما حكى ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٠٧) .

(٥) وقد اختلف في سنة وفاة أُبي بنِ كعب تذكره الواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٣٨١) ط الكتب العلمية ثم رجح أنه مات في خِلافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ سَنَةَ ثَلاثِينَ. قال:وَهُوَ أَثْبَتُ الأَقَاوِيلِ عِنْدَنَا. وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَمَرَهُ أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ. واستدل بما صح سنده عَنْ مُحَمَّدٍ

فأخرج ابن سعد [١] بسندٍ حسن عَنْ جُنْدُبِ بْنُ عَبْدِ الله الْبَجَلِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ فَدَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا النَّاسُ فِيهِ حَلَقٌ يَتَحَدَّثُونَ. فَجَعَلْتُ أَمْضِي الْحَلَقَ حَتَّى أَتَيْتُ حَلْقَةً فِيهَا رَجُلٌ شَاحِبٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ كَأَنَّمَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ. قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هَلَكَ أَصْحَابُ الْعُقْدَةِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَلا آسَى عَلَيْهِمْ. أَحْسِبُهُ قَالَ مِرَارًا. قَالَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَتَحَدَّثَ بِمَا قُضِيَ لَهُ. ثُمَّ قام. قال فسألت عنه بعد ما قَامَ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ. قَالَ فَتَبِعْتُهُ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ فَإِذَا هُوَ رَثُّ الْمَنْزِلِ رَثُّ الْهَيْئَةِ. فَإِذَا رَجُلٌ زَاهِدٌ مُنْقَطِعٌ يُشْبِهُ أَمْرُهُ بَعْضهُ بَعْضًا. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ثُمَّ سَأَلَنِي: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: أَكْثَرُ مِنِّي سُؤَالا. قَالَ لَمَّا قال ذَلِكَ غَضِبْتُ. قَالَ فَجَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ وَرَفَعْتُ يَدَيَّ. هَكَذَا وَصَفَ. حِيَالَ وَجْهِهِ فَاسْتَقْبَلْتُ الْقِبْلَةَ. قَالَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ نَشْكُوهُمْ إِلَيْكَ إِنَّا نُنْفِقُ نَفَقَاتِنَا وَنُنْصِبُ أَبْدَانَنَا وَنُرْحِلُ مَطَايَانَا ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ فَإِذَا لَقِينَاهُمْ تَجَهَّمُوا لَنَا وَقَالُوا لَنَا. قَالَ فَبَكَى أُبَيٌّ وَجَعَلَ يَتَرَضَّانِي وَيَقُولُ: وَيْحَكَ لَمْ أَذْهَبْ هُنَاكَ. قَالَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعَاهِدُكَ لَئِنْ أَبْقَيْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لأَتَكَلَّمَنَّ بِمَا سَمِعْتُ مِنَ رَسُولِ الله لا أَخَافُ فِيهِ لَوْمَةَ لائِمٍ. قَالَ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ انْصَرَفْتُ عَنْهُ وَجَعَلْتُ أَنْتَظِرُ الْجُمُعَةَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَإِذَا السِّكَكُ غَاصَّةٌ مِنَ النَّاسِ لا أَجِدُ سِكَّةً إِلا يَلْقَانِي فِيهَا النَّاسُ. قَالَ قُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟

قَالُوا: إِنَّا نَحْسَبُكَ غَرِيبًا. قَالَ قُلْتُ: أَجَلْ. قَالُوا: مَاتَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ. قَالَ جُنْدُبٌ: فَلَقِيتُ أَبَا مُوسَى بِالْعِرَاقِ فحدثته حديث أبي قال: وا لهفاه! لَوْ بَقِيَ حَتَّى تُبَلِّغَنَا مَقَالَتُهُ.

بْنِ سِيرِينَ أَنَّ عُثْمَانَ جَمَعَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِيهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي جَمْعِ الْقُرْآنِ.

(١) في«طبقاته»(٣/ ٣٨١).

وتوفي في هذه السنة حاطب بن أبي بلتعة ﵁ وهو الذي كَتَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يُعْلِمُهُمْ بِعَزْمِ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ، فَعَذَرَهُ رَسُولَ الله ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ، ثُمَّ بَعَثَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِرِسَالَةٍ إِلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الإسكندرية.

وتوفي الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن مظعون أخو عثمان بن مظعون، وعبد الله بن كعب بن عمرو المازني، وغيرُهم ممن شهدوا بدراً ﵃.

ثم دخلت سنةُ إحدى وثلاثين

فَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ ذات الصَّواري في البحر من ناحية الإسكندرية، وأميرُها ابن أبي سَرح[١] وهو عَبْدِ الله بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ القُرَشيّ العامريّ، أَبُو يحيى أخو عثمان من الرّضاعة

وفيها قتل كسرى ملك الفرس(واسمه يَزدَجِرد) واختلفوا في صفة قتله على صور، ولم أقف في ذلك على إسنادٍ ثابت، وهو آخر ملوك الفرس، فلا ملك في الدنيا بعده على الإطلاق، وذكروا ما كان عليه من الحلي قد نقل إلى أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفان فأنفقه في سبيل الله، وقد بشر النبي ﷺ بذلك .

فقد أخرج البخاري[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ الله**».

وفي رواية مسلم[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ مَاتَ كِسْرَى، فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ الله**» .

---

(١) وقد أرَّخها بعضُهم سنة أربع وثلاثين

(٢) برقم (٦٦٣٠).

وهو الذي أرسل النبي ﷺ إليه بكتابه فمزقه، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزَّق كل ممزَّق.

ففي الصحيح[٢] أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، مَعَ عَبْدِ الله بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ«فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: «فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ».

فوقع الأمر كذلك، والحمدلله.

وفي هذه السنة فتح ابنُ عامرٍ فتوحاتٍ كثيرةً علي ما هو مسطر في كتب التاريخ.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

قيل فِيهَا: غَزَا مُعَاوِيَةُ بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ الْمَضِيقَ مَضِيقَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ عَاتِكَةُ، وفي هذه السنة مات جماعةٌ من أعيان الصحابة رضي الله عنهم.

العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وَوَالِدُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَافْتَدَى نَفْسَهُ بِمَالٍ، وَافْتَدَى ابْنَيْ أَخَوَيْهِ؛ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَمَّا أُسِرَ وَشُدَّ فِي الْوَثَاقِ وَأَمْسَى النَّاسُ أُرِّقَ رَسُولُ، ﷺ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَالَكَ؟ فَقَالَ: «**إِنِّي أَسْمَعُ أَنِينَ الْعَبَّاسِ فِي وَثَاقِهِ فَلَا أَنَامُ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَلَّ مِنْ وَثَاقِ الْعَبَّاسِ حَتَّى سَكَنَ أَنِينُهُ، فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ**» .

---

(١) برقم (٢٩١٨).

(٢) برقم (٢٩٣٩).

ثُمَّ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ.

وكان من أجود قريش، وقد روى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلعَبَّاسِ: « **هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا وَأَوْصَلُهَا**» (١).

ودفع عنه النبي ﷺ الزكاة وقال لعمر رضي الله عنه :«**يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟**». (٢) وكان عمر رضي الله عنه يستسقي به كما تقدم ذكر ذلك.

وممن توفي في هذه السنة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو الحبر المعَلَّم غنيٌّ عن التعريف، كنيف ملئ علماً كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣).

وروى البخاري في التاريخ الصغير (٤) بإسناد لا بأس به عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن عَبد الله بْن مسعود، عَن أَبِيهِ قال: لَمَّا حَضَرَ عَبد الله الْوَفَاةُ قال لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبَهْ أَوْصِنِي، قال: ابْكِ مِنْ خَطِيئَتِكَ.

أَوْصَى عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه إِلَى الزُّبَيْرِ رضي الله عنه وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ آخَى بَيْنَهُمَا فَأَوْصَى إِلَيْهِ وَإِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ: هَذَا مَا أَوْصَى عَبْدُ الله بن مسعود. إن حدث به حدث فِي مَرَضِهِ إِنَّ مَرْجِعَ وَصِيَّتِهِ إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَإِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ وَإِنَّهُمَا فِي حِلٍّ وَبِلٍّ فِيمَا وَلِيَا مِنْ ذَلِكَ وَقَضَيَا مِنْ ذَلِكَ لا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِي شَيْءٍ

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٩) والنسائي في«الكبرى»(٨١٧٤) وغيرهما بسندٍ حسن.

(٢) هذا لفظ مسلم(٩٨٣).

(٣) أخرج ابن سعد في «طبقاته»(٣/ ١١٥) وغيره بسندٍ صحيح عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ عِنْدَ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه إِذْ جَاءَ رَجُلٌ نَحِيفٌ قَلِيلٌ. فَجَعَلَ عُمَرُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَهَلَّلُ وجهه ثم قال: كنيف مليء علما. كُنَيْفٌ مُليء علما. كنيف مليء عِلْمًا. فَإِذَا هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ.

(٤) وساق إسناده المزي في «تهذيب الكمال» ترجمة عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وحكم عليه ابن حجر في«تهذيبه».

مِنْهُ. وَإِنَّهُ لا تُزَوَّجُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ إِلا بِعِلْمِهِمَا وَلا يُحْجَرُ ذَلِكَ عَنِ امْرَأَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيَّةِ.

وممن توفي في هذه السنة:

عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وأبو ذر الغفاري(جندب بن جنادة) ...

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وثلاثين للهجرة

ذكر المؤرخون أن هذه السنة كانت بداية التأليب والقدح في عثمان ﷺ وفي إمارته، وفي عمَّاله، والحط عليهم...وكانوا هم الظالمين، وكان هو ﷺ البار الراشد، في كل ما تصرَّف فيه على سبيل الإجمال والتفصيل.

ودليل هذا ما رواه عَبْدُ الله بْنُ حوَالَة ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ تَحْتَ دَوْمَةٍ، وَهُو يَكتُبُ النَّاسَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ الله بْنَ حوالَةَ؛أَكْتُبُكَ؟**» قُلْتُ: مَا خَارَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي، قَالَ: فَرَأَيْتُ فِي الكِتَابِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمَا لَا يُكْتَبَانِ إِلَّا فِي خَيْرٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَكَتَبَنِي، فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ الله بْنَ حوالَةَ، كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنَةٍ تَكُونُ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِيُّ البَقَرِ، والَّتِي بَعْدَهَا فِيْهَا كَنَفْخَةِ أَرْنَبٍ؟**» فَقُلْتُ: مَا خَارَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي، وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «**اتبعْ هَذَا، فَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الحَقِّ**» ، قَالَ: فَلَحِقْتُ الرَّجُلَ، فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ فَلفته، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله؛ هَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ.(١)

وفي خلافة عثمان:

جمع المصحف بين دفَّتيه كما هو الآن:

---

(١) صحيح أخرجه ابن أبي عاصم فى «المثاني» (٢٢٩٦) بإسنادٍ صحيح، ورواه في«السنة» (١٢٩٢مختصراً).

وسبب ذلك ما أخرجه البخاري[١] أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ »، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ

وفي رواية[٢]: زَيْدِ بْن ثَابِتٍ قَالَ: « فَقَدْتُ آيَةً مِنَ الأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا المُصْحَفَ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي المُصْحَفِ».

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين للهجرة

قال ابن كثير:[٣] وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وَكَانَ جُمْهُورُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ- وَهُمْ فِي مُعَامَلَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِحِمْصَ

(١) برقم (٤٩٨٧).

(٢) في صحيح البخاري برقم (٤٠٤٩).

(٣) في«البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩-٣٢٠).

مَنْفِيُّونَ عَنِ الْكُوفَةِ، وَثَارُوا عَلَى سعيدَ بن العاص أَمِيرِ الْكُوفَةِ، وَتَأَلَّبُوا عَلَيْهِ، وَنَالُوا مِنْهُ وَمِنْ عُثْمَانَ، وَبَعَثُوا إِلَى عُثْمَانَ مَنْ يُنَاظِرُهُ فِيمَا فَعَلَ وَفِيمَا اعْتَمَدَ مَنْ عَزْلِ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَوْلِيَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ، وَأَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أن يعزل عماله ويستبدل أئمة غَيْرَهُمْ مِنَ السَّابِقَيْنَ وَمِنَ الصَّحَابَةِ، حتَّى شقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ جِدًّا، وَبَعَثَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ فَأَحْضَرَهُمْ عِنْدَهُ لِيَسْتَشِيرَهُمْ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَمِيرُ الشَّامِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَمِيرُ مِصْرَ، وَعَبْدُ الله بْنُ سَعْدِ ابْنِ أبي سرح أمير المغرب، وسعيد بن الْعَاصِ أَمِيرُ الْكُوفَةِ، وَعَبْدُ الله بْنُ عَامِرٍ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ فَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا حَدَثَ مِنَ الْأَمْرِ وَافْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ، فَأَشَارَ عَبْدُ الله بْنُ عَامِرٍ أَنْ يَشْغَلَهُمْ بِالْغَزْوِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، فَلَا يَكُونُ هَمُّ أَحَدِهِمْ إِلَّا نَفْسَهُ، وما هو فيه من دبر دَابَّتِهِ وَقَمْلِ فَرْوَتِهِ فَإِنَّ غَوْغَاءَ النَّاسِ إِذَا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يغني وتكلموا بما لَا يُرْضِي وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ، وَأَشَارَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بِأَنْ يَسْتَأْصِلَ شَأْفَةَ الْمُفْسِدِينَ وَيَقْطَعَ دَابِرَهُمْ، وَأَشَارَ مُعَاوِيَةُ بِأَنْ يَرُدَّ عُمَّالَهُ إِلَى أَقَالِيمِهِمْ وَأَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَا تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهُمْ أَقَلُّ وَأَضْعَفُ جُنْدًا.

وَأَشَارَ عَبْدِ الله بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ بِأَنْ يَتَأَلَّفَهُمْ بِالْمَالِ فَيُعْطِيَهِمْ مِنْهُ مَا يَكُفُّ بِهِ شَرَّهُمْ، وَيَأْمَنُ غَائِلَتَهُمْ، وَيَعْطِفُ بِهِ قُلُوبَهُمْ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَامَ فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّكَ قَدْ رَكَّبْتَ النَّاسَ مَا يَكْرَهُونَ فَإِمَّا أَنْ تَعْزِلَ عَنْهُمْ مَا يَكْرَهُونَ، وَإِمَّا أن تقدم فتنزل عمالك على ما هُمْ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ كَلَامًا فِيهِ غِلْظَةٌ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ فِي السِّرِّ بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيُبَلِّغَ عَنْهُ مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ لِيَرْضَوْا مِنْ عُثْمَانَ بِهَذَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَرَّرَ عُثْمَانُ عُمَّالَهُ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَتَأَلَّفَ قُلُوبَ أُولَئِكَ بِالْمَالِ، وَأَمَرَ بأن يبعثوا إلى الْغَزْوِ إِلَى الثُّغُورِ، فَجَمَعَ بَيْنَ الْمَصَالِحِ كُلِّهَا، وَلَمَّا رَجَعَتِ الْعُمَّالُ إِلَى أَقَالِيمِهَا امْتَنَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ

مِنْ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَلَبِسُوا السِّلَاحَ وَحَلَفُوا أَنْ لَا يُمَكِّنُوهُ من الدخول فيها حَتَّى يَعْزِلَهُ عُثْمَانُ وَيُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْجَرَعَةُ، وَقَدْ قَالَ يومئذٍ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ: وَالله لَا يُدْخِلُهَا عَلَيْنَا مَا حَمَلْنَا سُيُوفَنَا، وَتَوَاقَفَ النَّاسُ بِالْجَرَعَةِ.

وَأَحْجَمَ سَعِيدٌ عَنْ قِتَالِهِمْ وَصَمَّمُوا عَلَى مَنْعِهِ.

وقد أخرج مسلم[1] عن جُنْدُبٍ رضي الله عنه: جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقُلْتُ: لَيُهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءٌ، فَقَالَ ذَاكَ الرَّجُلُ: «كَلَّا، وَالله» قُلْتُ: بَلَى، وَالله قَالَ: «كَلَّا، وَالله» قُلْتُ: بَلَى، وَالله قَالَ: «كَلَّا، وَالله إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ الله ﷺ حَدَّثَنِيهِ» قُلْتُ: بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ، تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَلَا تَنْهَانِي، ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ، فَإِذَا الرَّجُلُ حُذَيْفَةُ.

والظاهر أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَسَرَ الْفِتْنَةَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَكَتَبُوا إِلَى عُثْمَانَ أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري بذلك،فَأَجَابَهُمْ عُثْمَانُ إِلَى مَا سَأَلُوا إِزَاحَةً لِعُذْرِهِمْ، وَإِزَالَةً لِشُبَهِهِمْ، وَقَطْعًا لِعِلَلِهِمْ.[2]

ويذكر المؤرخون بداية عمل عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً فأظهر الإسلام، وَروَّج أن النبي ﷺ كَانَ قد أَوْصَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلِيٌّ خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: فَهُوَ أَحَقُّ بِالْإِمْرَةِ مِنْ عُثْمَانَ، وَعُثْمَانُ مُعْتَدٍ فِي وِلَايَتِهِ مَا لَيْسَ لَهُ.

فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهي عَنِ الْمُنْكَرِ.

---

(١) برقم (٢٨٩٣).

(٢) كما جزم بذلك ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٢٠).

فَافْتُتِنَ بِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَكَتَبُوا إِلَى جَمَاعَاتٍ مِنْ عَوَامِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، فتمالأوا عَلَى ذَلِكَ، وَتَكَاتَبُوا فِيهِ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْإِنْكَارِ عَلَى عُثْمَانَ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَنْ يُنَاظِرُهُ وَيَذْكُرُ لَهُ مَا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْلِيَتِهِ أَقْرِبَاءَهُ وَذَوِي رَحِمِهِ وَعَزْلِهِ كِبَارَ الصَّحَابَةِ. فَدَخَلَ هَذَا فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَجَمَعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ نُوَّابَهُ مِنَ الْأَمْصَارِ

فَاسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ....

ثم دخلت سنةُ خمسٍ وعشرينَ

ذكر المؤرخون نقض أهل الإسكندرية الْعَهْدَ، وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ معويل الْخَصِيَّ فِي مَرَاكِبَ مِنَ الْبَحْرِ فَطَمِعُوا فِي النُّصْرَةِ وَنَقَضُوا ذِمَّتَهُمْ، فَغَزَاهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ في ربيع الأول، فَافْتَتَحَ الْأَرْضَ عَنْوَةً وَافْتَتَحَ الْمَدِينَةَ صُلْحًا، فالله أعلم بحقيقة هذا فلم أقف لذلك على سند.

وذكر المؤرخون في هذه السنة عَزَلَ عُثْمَانُ سَعْدًا عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّى الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ – أخاه لأمه- مَكَانَهُ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا نُقِمَ عَلَى عُثْمَانَ، واتخذه الخوارج سبباً في التأليب عليه كما سيأتي.

وَفِيهَا وَجَّهَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَبْدَ الله بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ لِغَزْوِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَاسْتَأْذَنَهُ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فِي غَزْوِ إِفْرِيقِيَّةَ فَأَذِنَ لَهُ. ذكر ذلك ابن كثير وغيره، فالله أعلم

بداية اشتدادِ التأليبِ على عثمان وعيبه على الملأ والنيل منه رضي الله عنه

ذكر المؤرخون مآسي من سوء أدب الخوارج مع عثمان، وسأذكر من ذلك ما وقفت عليه من أسانيد ثابتة، ولا عجب فهذا دأبهم.

الْحَرَكَةُ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ رضي الله عنه وَأَوَّلُ الْوُثُوبِ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ

قطعهم عليه الخطبة- قبَّحهم الله-وهو يخطب

أخرج ابن شبة [١] بسندٍ حسن عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَفَّانَ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ: نَسْأَلُ كِتَابَ الله، قَالَ:« أَوَمَا لِكِتَابِ الله طَالِبٌ غَيْرُكَ؟ قَالَ: فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ أَنْ يَقْعُدَ فَأَبَى، فَحُصِبَ وَحَصَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الثَّانِيَةُ قِيلَ لَهُ قُمْ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَحْصِبُونِي، فَقَالُوا: إِنْ حَصَبُوكَ حَصَبْنَاهُمْ، فَقَالَ: إِنِّي أَسْأَلُكَ كِتَابَ الله. فَقَالَ: أَمَا لِكِتَابِ الله طَالِبٌ غَيْرُكَ؟ قَالَ: فَحُصِبَ فَحَصَبَهُمُ الْآخَرُونَ، فَنَزَلَ ابْنُ عَفَّانَ بَرِمًا يَكَادُ يَحْمِلُ رَأْسَهُ، يَرْعَشُ قُلْتُ لِلْحَسَنِ: وَمَا سِنُّكَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعَ عَشْرَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ » .

وفي رواية [٢] بإسنادٍ صحيح عن الْحَسَن قَالَ: خَرَجَ عُثْمَانُ رضي الله عنه يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ تِلْقَاءِ الْيَسَارِ فَقَالَ: أَسْأَلُكَ كِتَابَ الله. فَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَلَيْسَ عِنْدَكَ كِتَابُ الله؟» قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا فَنَهَاهُ، فَقَامَ مَعَهُ رَجُلٌ وَقَامَ مَعَ هَذَا رَجُلٌ آخَرُ، وَقَامَ مَعَ هَذَا رَجُلٌ وَقَامَ مَعَ هَذَا رَجُلٌ آخَرُ، حَتَّى كَثُرُوا، ثُمَّ تَحَاصَبُوا حَتَّى مَا أَرَى أَدِيمَ النَّاسِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مَعَهُ مُصْحَفٌ بَعَثَتْهُ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَصَعِدَ سُورَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ نَادِى النَّاسَ: «أَلَا إِنَّ هَذَا يَنْهَاكُمْ عَمَّا تَفْعَلُونَ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَكَانَ شِيَعًا» [٣].

وأخرج [٤] بسندٍ صحيح عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «رَأَيْتُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ رضي الله عنه

---

(١) في«تاريخ المدينة المنورة» (٣/ ١١٠٨) .

(٢) أخرجها ابن شبة في«تايخ المدينة»(٣/ ١١٠٩) بإسنادٍ صحيح .

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

تَحَاصَبُوا حَتَّى مَا أَرَى جِلْدَ السَّمَاءِ، وَرُفِعَ مُصْحَفٌ مِنْ إِحْدَى الْحُجَرِ فَقِيلَ: يَعْلَمُهُ مَنْ عَرَفَ أَنَّ مُحَمَّدًا بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَكَانَ شِيَعًا» [١].

فيا لله- قبَّحهم الله-

ثم دخلت سنةُ خمسٍ وثلاثين- والتي فيها مقتلُ عثمانُ رضي الله عنه

اشتد فيها التأليب على عثمان من الخوارج وأساءوا الأدب معه، والصحابة وأفاضل القوم يدافعون ، وحصلت مناوشات، بين الخوارج وبين عثمان، ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ، وكان للصحابة رضي الله عنهم مواقف مشرِّفة، كما كان للخوارج- أخزاهم الله- مواقف مخزية، تظاهروا بالحق وإرادة كتاب الله وهو رضي الله عنه أعلم بالحق منه، ولكنهم سفهاء.

موقف عبد الله بن سلام رضي الله عنه

أخرج ابن شبة [٢] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: بَيْنَمَا عُثْمَانُ رضي الله عنه يَخْطُبُ النَّاسَ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: لَا يَمْنَعُكَ مَكَانُ ابْنِ سَلَامٍ أَنْ تَسُبَّ نَعْثَلًا فَإِنَّهُ مِنْ شِيعَتِهِ، قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ قُلْتَ الْقَوْلَ الْعَظِيمَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْخَلِيقَةِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ.

---

(١) وفي رواية عن الحسن أخرجها أبو موسى بن المديني في«اللطائف»ص ١٣٩ بسندٍ حسن عن الحسن يقول: خرج علينا عثمان رضي الله عنه يخطب فقطعوا عليه خطبته وتراموه بالبطحاء حتى ما أبصر أديم السماء، فسمعت صوتاً من بعض حجر النبي ع قالوا: هذا صوت أم المؤمنين أم سلمة بوهي تقول: ألا إن نبيكم ﷺ قد برئ ممن فرق دينه واحتزب، وتلت هذه الآية: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء} .

(٢) (٣/ ١١١٠).

موقف جَهجَاه- قبَّحهُ اللهُ -

أخرج ابن شبة[١] بسندٍ صحيح إلى سُلَيْمَان بْنِ يَسَارٍ أَنَّ جَهْجَاهًا دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه فَانْتَزَعَ عَصَا النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يَتَخَصَّرُ بِهَا ، فَكَسَرَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ، فَأَخَذَتْهُ فِي رُكْبَتِهِ الْأَكَلَةُ.

انتصاب الصحابة رضي الله عنهم للدفاع عن عثمان رضي الله عنه

١- موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه في الدفاع عن عثمان:

أخرجه الخلال[٢] بسندٍ صحيح عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ:« جَاءَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَكَلَّمَنِي، فَإِذَا هُوَ يَأْمُرُنِي فِي كَلَامِهِ بِأَنْ أَعْيَبَ عَلَى عُثْمَانَ، فَتَكَلَّمَ كَلَامًا طَوِيلًا وَهُوَ امْرُؤٌ فِي لِسَانِهِ ثِقَلٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْضِي كَلَامَهُ فِي سَرِيحٍ، فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ، قُلْتُ: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ الله ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، وَإِنَّا وَاللهِ مَا نَعْلَمُ عُثْمَانَ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا جَاءَ فِي الْكَبَائِرِ شَيْئًا، وَلَكِنْ هُوَ هَذَا الْمَالُ، فَإِنْ أَعْطَاكُمُوهُ رَضِيتُمْ، وَإِنْ أَعْطَاهُ أُولِي قَرَابَتِهِ سَخِطْتُمْ، إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا كَفَارِسَ والرُّوم، لَا يَتْرُكُونَ لَهُمْ أَمِيرًا إِلَّا قَتَلُوهُ، قَالَ: فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِأَرْبَعٍ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا نُرِيدُ ذَلِكَ» .

وفي رواية[٣]:إن أعطاكُمُوه رضيتُم وإن أَعْطَي أولي قرابتَه سَخطُتم ... الأثر.

---

(١) في«تاريخ المدينة»(٣/ ١١١٢) وله طرق أخرى.

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (٥٤٦ وما بعدها) وأحمد في «الفضائل» (٦٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ١٥٩- ١٦٠) وله طرق عنه أسانيدها صحيحة كالشمس.

(٣) للطبراني (١٢/ ٨٥) رقم (١٣١٣٢) وفي «مسند الشاميين» (١٧٦٤).

٢- دفاع عثمان رضي الله عنه عن نفسه:

أخرج البخاري[١] أَنَّ عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيّ بْنِ الخِيَارِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالاَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ- قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ- فَانْصَرَفْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: « إِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ؟ قُلْتُ: لاَ، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ، كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَالله مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ» .

٣-عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

أخرج ابن أبي شيبة وغيره[٢] بسندٍ حسن عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الله بْنَ سَلاَمٍ، يُنْشِدُ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه وَيُخْبِرُ أَنَّهُ إِنْ تَرَكُوهُ

(١) برقم (٣٦٩٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة(٤/ ١١٧٧) والدولابي في«الكنى»(٥٠٤).

أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّهُ يَمُوتُ، فَحَصَبَهُ النَّاسُ حَتَّى أَدْمَوْا وَجْهَهُ، فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا يُوسُفَ؟ مَا شَأْنُكَ؟ فَأَخْبَرَهُ مَا فَعَلَ بِهِ النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ لِعُثْمَانَ: إِنَّكَ لَفِي كِتَابِ الله الْخَلِيفَةُ الْمَظْلُومُ الْمَقْتُولُ. قَالَ عَامِرٌ: فَقُلْتُ لِأَبِي مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَانٍ فَقَالَ: «**لَيَطْلَعَنَّ مِنْ هَذَا الْمُنْقَبِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ، فَقُلْتُ: هَنِيًّا مَرِيًّا».

واتهموه بالتعصب- يا ويحهم-

أخرج ابن شبة[1] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: بَيْنَمَا عُثْمَانُ رضي الله عنه يَخْطُبُ النَّاسَ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: لَا يَمْنَعُكَ مَكَانُ ابْنِ سَلَامٍ أَنْ تَسُبَّ نَعْثَلًا فَإِنَّهُ مِنْ شِيعَتِهِ، قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ قُلْتَ الْقَوْلَ الْعَظِيمَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْخَلِيقَةِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ.

٤- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

أخرج ابن شبة [2] بسندٍ حسن لما وَقَفَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ: أَفِيمَ قَتْلُكُم تَرَكْتُمُوهُ وَهُوَ فِي خَطِيئَتِهِ حتى إذا تَطَهَّرَ مِنْهَا قَتَلْتُمُوهُ فجعَلُوا يُقَرِّعُونَهُ بِالرِّمَاحِ حَتَّى سَقَطَ لِجَنْبِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: هَلُمَّ فَاقْتُلُونِي فَلَقَدْ أَصَابَتْ أُمِّي اسْمِيَ إِذَنْ إِذْ سَمَّتْنِي سَعْدًا. وَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ فَنَهَاهُمْ وَقَالَ: يَا عِبَادَ الله اتَّخَذْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ بُدْنًا؟ وَخَرَجَ سَعْدٌ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي فَرَرْتُ بِدِينِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنَا أَفِرُّ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ».

---

(١) في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١١٠).

(٢) في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٢٨).

٥- موقف الحسن بن علي رضي الله عنه

وهو ما رواه ابن شبة [١] عن كِنَانَة مَوْلَى صَفِيَّةَ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ يَحْمِلُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا جَرِيحًا مِنْ دَارِ عُثْمَانَ رضي الله عنه .

٦- وهذا موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

أخرج ابن شبة [٢] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا أُلِحَّ عَلَى عُثْمَانَ بِالرَّمْيِ أَتَيْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه فَقُلْتُ: يَا عَمِّ أَهْلَكَتْنَا الْحِجَارَةُ. فَقَالَ: انْطَلِقْ يَا ابْنَ أَخِي فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ مَعِي فَلَمْ يَزَلْ يَرْمِي مَعَهُ حَتَّى فَتَرَ مَنْكِبَاهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي اجْمَعْ إِلَيْكَ حَشَمَكَ وَمَنْ كَانَ مِنْكَ بِسَبِيلٍ ، ثُمَّ لِيَكُنْ هَذَا شَأْنَكُمْ.

وفي رواية [٣]:عن إسحاق بن راشد عن أبي جعفر عن أبان بن عثمان أنه أتى علياً فقال يا عم أهلكتنا الحجارة فجاء علي حتى دخل فلم يزل يرميهم بيمينه حتى وهنت ثم لم يزل يرميهم بشماله حتى وهنت فقال يا ابن أخي اجمع حشمك وأفعل كما تراني .

وكان علي رضي الله عنه من أدفع الناس عن عثمان رضي الله عنه

أخرج ابن أبي خيثمة [٤] بسندٍ قوَّاه الذهبي [٥] عَنْ عَلِيّ بْنِ حُسَيْن؛ قَالَ: قَالَ لِي مَرْوَان بْنُ الْحَكَمِ: مَا كَانَ فِي الْقَوْم أحدٌ أَدْفَعَ عَنْ صَاحِبِنَا؛ - يَعْنِي: عُثْمَان بْنَ عَفَّان

---

(١) في«تاريخ المدينة»(٤/ ١٢٧٥).

(٢) في«تاريخ المدينة المنورة»(٤/ ١٢٢٠).

(٣) أخرجها ابن عساكر في«تاريخه» (٣٩/ ٣٦٩).

(٤) في«تاريخه»(٣٩٠١) وابن عساكر في«تاريخه»(٢/ ٤٣٨).

(٥) في«تاريخ الإسلام»(٢/ ٢٥٢) .

- مِنْ صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي: عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قُلْتُ: فَمَا بَالُكُمْ تَسُبُّوهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؟ قَالَ: لا يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ إِلاَّ بِذَاكَ .

٧- إنكار جابر بن عبد الله ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما على الخارجي المحتج بالقرآن.

أخرج سعيد بن منصور وغيره[١] بسندٍ صحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله، يَقُولُ: بَعَثَنَا عُثْمَانُ فِي خَمْسِينَ رَاكِبًا، وَأَمِيرُنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى ذِي خَشَبٍ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي عُنُقِهِ مُصْحَفٌ، مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، تَذْرِفُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَأْمُرُنَا أَنْ نَضْرِبَ بِهَذَا - يَعْنِي السَّيْفَ - عَلَى مَا فِي هَذَا، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: «اجْلِسْ فَنَحْنُ قَدْ ضَرَبْنَا بِهَذَا عَلَى مَا فِي هَذَا قَبْلَكَ أَوْ قَبْلَ أَنْ تُولَدَ» قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُمْ حَتَّى رَجَعُوا قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ وَجَدُوا كِتَابًا إِلَى ابْنِ سَعْدٍ[٢] وَالله أَعْلَمُ.

وهذا يدل على أن عثمان رضي الله عنه كان يبعث البعوث لمناصحة الخوارج، ولكن دون جدوى، والله المستعان.

٨- موقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

أخرجه أحمد[٣] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ: قَاتِلْهُمْ، فَوَالله لَقَدْ أُحِلَّ لَكَ قِتَالُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: وَالله لَا أُقَاتِلُهُمْ أَبَدًا، قَالَ: فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ صَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ أَمَرَ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الدَّارِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: مَنْ كَانَتْ لِي عَلَيْهِ طَاعَةٌ فَلْيُطِعْ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ.

---

(١) في«سننه»(٢٩٣٥) وابن شبة في«تاريخ المدينة»(٤/ ١١٣٤).

(٢) يعني الكتاب المزوَّر على عثمانت وقد ذكرنا تبرئته من هذا الكتاب.

(٣) في«الفضائل»(٧٧٢) .

٩- موقف أبي هريرة رضي الله عنه

أخرج الآجري[١] بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه يَوْمَ الدَّارِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، طَابَ أَوْ ضَرَبَ فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، «أَيَسُرُّكَ أَنْ يُقْتَلَ النَّاسُ جَمِيعًا وَإِيَّايَ مَعَهُمْ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَ: «فَإِنَّكَ وَاللهِ إِنْ قَتَلْتَ رَجُلًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا قَتَلْتَ النَّاسَ جَمِيعًا» قَالَ: فَرَجَعْتُ وَلَمْ أُقَاتِلْ قَالَ الْأَعْمَشُ: وَكَانَ أَبُو صَالِحٍ إِذَا ذَكَرَ مَا صُنِعَ بِعُثْمَانَ بَكَى. قَالَ الْأَعْمَشُ: كَأَنِّي أَسْمَعُهُ يَقُولُ: هَاهْ ، هَاهْ.

٨- موقف أم المؤمنين صفية رضي الله عنها .

فأخرج ابن الجعد[٢]بإسنادٍ صحيح إلى كِنَانَة قَالَ: كُنْتُ أَقُودُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ لِتَرُدَّ عَنْ عُثْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقِيَهَا الْأَشْتَرُ فَضَرَبَ وَجْهَ بَغْلَتِهَا حَتَّى مَالَتْ، فَقَالَتْ: رُدُّونِي لَا يَفْضَحُنِي هَذَا الْكَلْبُ قَالَ:فَوَضَعْتُ خَشَبًا بَيْنَ مَنْزِلِهَا وَبَيْنَ مَنْزِلِ عُثْمَانَ، يَنْقُلُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ.

٩- وموقف أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها ذكرته في غير هذا الموطن.

وبدأوا في ترويج الكذب والشائعات- وهي أساليب الخوارج إلى اليوم مع الحكام –وكثرة الطعن عليه [٣]حتى انتهى الأمر إلى قتله رضي الله عنه :

ترويج الخوارج وكذبهم على عائشة رضي الله عنها :

أخرج ابن أبي شيبة[٤]بسندٍ صحيح عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَ: قَالَتْ: «حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ تَرَكْتُمُوهُ كَالثَّوْبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ، ثُمَّ قَرَّبْتُمُوهُ فَذَبَحْتُمُوهُ كَمَا

---

(١) في«الآجري»(١٤٤٤).

(٢) في«الجعديات»(٢٦٦٦).

(٣) والروايات في الطعن عليه كثيرة جداً، الإسهاب فيها يطول جداً ربما يحتاج إلى مصنف مستقلّ.

(٤) في«المصنف» (٦/ ٣٦٣).

يُذْبَحُ الْكَبْشُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا».

قَالَ: فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: أَنْتِ كَتَبْتِ إِلَى أُنَاسٍ تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ، قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «لَا، وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا»، قَالَ الْأَعْمَشُ: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا.(١)

ترويجهُم الكذبَ على عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخرج ابن أبي شيبة (٢) بسندٍ صحيح عن مُنْذِر الثَّوْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةَ، قَالَ: فَنَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ عُثْمَانَ فَقَالَ: مَهْ، فَقُلْنَا لَهُ: كَانَ أَبُوكَ يَسُبُّ عُثْمَانَ ، قَالَ: مَا سَبَّهُ، وَلَوْ سَبَّهُ يَوْمًا لَسَبَّهُ يَوْمَ جِئْتُهُ وَجَاءَهُ السُّعَاةُ، فَقَالَ: خَيِّرْ كِتَابَ اللهِ فِي السُّعَاةِ، فَاذْهَبْ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَخَذْتُهُ فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ، فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ضَعْهُ مَوْضِعَهُ ، فَلَوْ سَبَّهُ يَوْمًا لَسَبَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

---

(١) مع أن عائشة بلما ذكرها الَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: « وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًا، فَوَالله مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يُنْتَهَكَ مِنْ عُثْمَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا قَدِ انْتُهِكَ مِنِّي مِثْلُهُ، حَتَّى والله لَوْ أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ لَقُتِلْتُ، يَا عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِي تَعْلَمُ، فَوَالله مَا احْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَجَمَ النَّفَرُ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي عُثْمَانَ فَقَالُوا لَهُ قَوْلًا لَا يَحْسُنُ مِثْلَهُ، وَقَرَءُوا قِرَاءَةً لَا يَحْسُنُ مِثْلُهَا، وَصَلُّوا صَلَاةً لَا يُصَلَّى مِثْلُهَا، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصَّنِيعَ إِذَا هُمْ وَالله مَا يُقَارِبُونَ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلِ: {اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ١٠٥] فَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ » أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ٥٦ بسندٍ ثابت عَنْ عُرْوَةَ، عَنْها.

(٢) في «المصنف» (٧/ ٥٢٤).

شهادة الأفاضل لعثمان رضي الله عنه

وأخرج أحمد [١] بإسناد يحسن عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَشْرَفَ عُثْمَانُ مِنَ الْقَصْرِ، وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: أَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ حِرَاءٍ إِذِ اهْتَزَّ الْجَبَلُ فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْكُنْ حِرَاءُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» وَأَنَا مَعَهُ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ. قَالَ: أَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِذْ بَعَثَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ، إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ:«هَذِهِ يَدِي، وَهَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ فَبَايَعَ لِي؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: أَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بِهَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَسْجِدِ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ؟**» فَابْتَعْتُهُ مِنْ مَالِي فَوَسَّعْتُ بِهِ الْمَسْجِدَ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: وَأَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ، قَالَ:«**مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً؟**» فَجَهَّزْتُ نِصْفَ الْجَيْشِ مِنْ مَالِي؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، وَأَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رُومَةَ يُبَاعُ مَاؤُهَا ابْنَ السَّبِيلِ، فَابْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي فَأَبَحْتُهَا لِابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ.

كل هذا يقوله عثمان رضي الله عنه ليُثنيهم عن جَهلهم، وضَلالهم وسُوء أدبهم.

تهديدهم لعثمان رضي الله عنه بالقتل

أخرج أبو داود [٢] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ، وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ، مَنْ دَخَلَهُ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَى الْبَلَاطِ، فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ آنِفًا، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمُ الله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ

---

(١) برقم (٤٢٠) وله شواهد وطرق أخرى.

(٢) برقم (٤٥٠٢).

إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ»، فَوَالله مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ، وَلَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلًا مُنْذُ هَدَانِي الله، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا، فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي؟

وأخرج أحمد(١) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَشْرَفَ عُثْمَانُ مِنَ الْقَصْرِ، وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: أَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ حِرَاءٍ إِذِ اهْتَزَّ الْجَبَلُ فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ، ثُمَّ قَالَ:«اسْكُنْ حِرَاءُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ» وَأَنَا مَعَهُ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ قَالَ: أَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِذْ بَعَثَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ، إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: « **هَذِهِ يَدِي، وَهَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ فَبَايَعَ لِي؟** فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: أَنْشُدُ بِاللهَّ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بِهَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَسْجِدِ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ؟**» فَابْتَعْتُهُ مِنْ مَالِي فَوَسَّعْتُ بِهِ الْمَسْجِدَ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: وَأَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ، قَالَ: «**مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً؟**» فَجَهَّزْتُ نِصْفَ الْجَيْشِ مِنْ مَالِي؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، وَأَنْشُدُ بِالله مَنْ شَهِدَ رُومَةَ يُبَاعُ مَاؤُهَا ابْنَ السَّبِيلِ، فَابْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي فَأَبَحْتُهَا لِابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ.

لقاء من لقاءات الخوارج مع عثمان رضي الله عنه

وأخرج ابن أبي شيبة (٢) بسند صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعَ عُثْمَانُ أَنَّ وَفْدَ أَهْلِ مِصْرَ قَدْ أَقْبَلُوا ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَكَانَ فِي قَرْيَةٍ خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، قَالَ: أَرَاهُ قَالَ:وَكَرِهَ أَنْ يَقْدُمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، أَوْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: ادْعُ

(١) برقم (٤٢٠) وراجع تمام تخريجي له في تحقيقي لـ «البداية والنهاية»(٧/ ٣٣٣).

(٢) في«المصنف»(٧/ ٥٢٠) وعبد الله بن أحمد في«الفضائل»(٧٦٥) والبزار في«البحر الزخار»(٣٨٩) وابن حبان(٦٩١٩) وغيرهم.

بِالْمُصْحَفِ، فَدَعَا بِالْمُصْحَفِ فَقَالُوا: افْتَحِ السَّابِعَةَ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ سُورَةَ يُونُسَ السَّابِعَةَ ، فَقَرَأَهَا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩] قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَا حَمَيْتَ مِنَ الْحِمَى آللهُ أَذِنَ لَكَ بِهِ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرِي؟ فَقَالَ: أَمْضِهِ ، أُنْزِلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَأَمَّا الْحِمَى فَإِنَّ عُمَرَ حَمَى الْحِمَى قَبْلِي لِإِبِلِ الصَّدَقَةِ ؛ فَلَمَّا وُلِّيتُ زَادَتْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ فَزِدْتُ فِي الْحِمَى لِمَا زَادَ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ ؛ أَمْضِهِ ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَهُ بِالْآيَةِ فَيَقُولُ: أَمْضِهِ ، نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا وَالَّذِي يَلِي كَلَامَ عُثْمَانَ يَوْمَئِذٍ فِي سِنِّكَ ، يَقُولُ أَبُو نَضْرَةَ: يَقُولُ لِي ذَلِكَ أَبُو سَعِيدٍ، قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: وَأَنَا فِي سِنِّكَ يَوْمَئِذٍ؛ قَالَ: وَلَمْ يَخْرُجْ وَجْهِي أَوْ لَمْ يَسْتَوِ وَجْهِي يَوْمَئِذٍ، لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً ؛ ثُمَّ أَخَذُوهُ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا مَخْرَجٌ، فَعَرَفَهَا فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟ فَأَخَذُوا مِيثَاقَهُ ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَكَتَبُوا عَلَيْهِ شَرْطًا، قَالَ: وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ ، أَنْ لَا يَشُقُّوا عَصًا وَلَا يُفَارِقُوا جَمَاعَةً مَا أَقَامَ لَهُمْ بِشَرْطِهِمْ أَوْ كَمَا أَخَذُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟

فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ لَا يَأْخُذَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَطَاءً ، فَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَلِهَذِهِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَرَضُوا، وَأَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاضِينَ، فَقَامَ فَخَطَبَ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي مَا رَأَيْتُ وَفْدًا هُمْ خَيْرٌ لِجَوْبَاتِي مِنْ هَذَا الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَيَّ ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ هَذَا الْوَفْدِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ زَرْعٌ فَلْيَلْحَقْ بِزَرْعِهِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ ضَرْعٌ فَلْيَحْتَلِبْ، أَلَا إِنَّهُ لَا مَالَ لَكُمْ عِنْدَنَا، إِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ، وَلِهَذِهِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَغَضِبَ النَّاسُ وَقَالُوا: هَذَا مَكْرُ بَنِي أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ الْوَفْدُ الْمِصْرِيُّونَ رَاضِينَ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ إِذْ بِرَاكِبٍ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ وَيَسُبُّهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ لَكَ لَأَمْرًا مَا شَأْنُكَ؟

قَالَ: أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ فَفَتَّشُوهُ فَإِذَا بِكِتَابٍ عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ، عَلَيْهِ خَاتَمُهُ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ أَنْ يَصْلُبَهُمْ أَوْ يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَأَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: أَلَمْ تَرَ إِلَى عَدُوِّ الله، أَمَرَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا، وَالله قَدْ أُحِلَّ دَمُهُ قُمْ مَعَنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَا وَالله، لَا أَقُومُ مَعَكُمْ، قَالُوا: فَلِمَ كَتَبْتَ إِلَيْنَا، قَالَ:لَا وَالله مَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَهَذَا تُقَاتِلُونَ أَوْ لِهَذَا تَغْضَبُونَ، وَانْطَلَقَ عَلِيٌّ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى قَرْيَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ لَهُ فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ فَقَالُوا: كَتَبْتَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: أَنْ تُقِيمُوا عَلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ يَمِينِي: بِالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا كَتَبْتُ وَلَا أَمْلَيْتُ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ وَقَدْ يُنْقَشُ الْخَاتَمُ عَلَى الْخَاتَمِ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ وَالله أَحَلَّ الله دَمَكَ، وَنَقَضَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، قَالَ: فَحَصَرُوهُ فِي الْقَصْرِ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: فَمَا أَسْمَعُ أَحَدًا رَدَّ السَّلَامَ إِلَّا أَنْ يَرُدَّ رَجُلٌ فِي نَفْسِهِ ؛ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِالله، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ رُومَةَ بِمَالِي لِأَسْتَعْذِبَ بِهَا ، فَجَعَلْتُ رِشَائِي فِيهَا كَرِشَاءِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ فَقِيلَ: نَعَمْ ، فَقَالَ: فَعَلَامَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أُفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ؟ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِالله؛ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَرْضِ فَزِدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قِيلَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مُنِعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِالله هَلْ سَمِعْتُمْ نَبِيَّ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرَ كَذَا وَكَذَا شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِ ، وَذَكَرَ أَرَى كِتَابَةَ الْمُفَصَّلِ ، قَالَ: فَفَشَا النَّهْيُ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: مَهْلًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفَشَا النَّهْيُ وَقَامَ الْأَشْتَرُ، فَلَا أَدْرِي يَوْمَئِذٍ أَمْ يَوْمًا آخَرَ ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ قَدْ مَكَرَ بِهِ وَبِكُمْ ، قَالَ: فَوَطِئَهُ النَّاسُ حَتَّى لَقِيَ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ إِنَّهُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى فَوَعَظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ ، فَلَمْ تَأْخُذْ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ ، وَكَانَ النَّاسُ تَأْخُذُ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُونَهَا ، فَإِذَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَأْخُذْ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ ، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ وَوَضَعَ الْمُصْحَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ: فَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَ

عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: لَقَدْ أَخَذْتَ مِنِّي مَأْخَذًا أَوْ قَعَدْتَ مِنِّي مَقْعَدًا مَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ لِيَأْخُذَهُ أَوْ لِيَقْعُدَهُ ، قَالَ: فَخَرَجَ وَتَرَكَهُ ، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ الله ، فَخَرَجَ وَتَرَكَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ «الْمَوْتُ الْأَسْوَدُ» فَخَنَقَهُ وَخَنَقَهُ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ: وَالله مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ هُوَ أَلْيَنُ مِنْ حَلْقِهِ ، وَالله لَقَدْ خَنَقْتُهُ حَتَّى رَأَيْتُ نَفَسَهُ مِثْلَ نَفَسِ الْجَانِّ تَرَدَّدَ فِي جَسَدِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ آخَرُ ، فَقَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ الله وَالْمُصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ فَاتَّقَاهُ بِيَدِهِ فَقَطَعَهَا فَلَا أَدْرِي أَبَانَهَا ، أَوْ قَطَعَهَا فَلَمْ يُبِنْهَا ، فَقَالَ: أَمَّا وَالله إِنَّهَا لَأَوَّلُ كَفٍّ خَطَّتِ الْمُفَصَّلَ ، وَحُدِّثْتُ فِي غَيْرِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ التُّجِيبِيُّ فَأَشْعَرَهُ بِمِشْقَصٍ ، فَانْتَضَحَ الدَّمُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧] وَإِنَّهَا فِي الْمُصْحَفِ مَا حُكَّتْ ، وَأَخَذَتْ بِنْتُ الْفُرَافِصَةِ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ حُلِيَّهَا فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ ، فَلَمَّا أَشْعَرَ أَوْ قُتِلَ تَجَافَتْ أَوْ تَفَاجَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَاتَلَهَا الله، مَا أَعْظَمَ عَجِيزَتَهَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّ أَعْدَاءَ الله لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الدُّنْيَا.

وفي رواية ابن شبَّة[1] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: خَطَبَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ فَقَالَ:« إِنَّ رَكْبًا نَزَلُوا ذَا الْحُلَيْفَةِ وَإِنِّي خَارِجٌ إِلَيْهِمْ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَخْرُجَ فَلْيَخْرُجْ قَالَ: فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ- يَعْنِي أَبَا سَعِيدٍ- قَالَ: فَأَتَيْنَاهُمْ فَإِذَا هُمْ فِي حَظَائِرَ سُقُفٍ أَبْصَرْنَاهُمْ مِنْ خِلَالِ الْحَائِطِ، وَإِذَا شَابٌّ قَاعِدٌ فِي حِجْرِهِ الْمُصْحَفُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ: {مَا أَنْزَلَ الله لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آلله أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى الله تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩] « فَقَالَ: «إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه حَمَى حِمًى، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ زَادَتْ فَزِدْتُ فِي الْحِمَى، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَرْعَى فَلْيَرْعَ،

(١) في«تاريخ المدينة المنورة»(٣/ ١١٢٨) من نفس طريق الذي قبله، ولكن في سنده من لم أعرفه الآن.

أَتُوبُ إِلَى الله وَأَسْتَغْفِرُهُ». فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنْتَ. ثُمَّ قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ عَلَى بَيْتِ الله إِذْنٌ؟ قَالَ: «كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْجِهَادَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِكُمْ فَقَدْ أَذِنَّا لِلنَّاسِ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحُجَّ فَلْيَحُجَّ، أَتُوبُ إِلَى الله وَأَسْتَغْفِرُهُ» . فَقَالُوا: وَالله لَقَدْ أَحْسَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فِي خِصَالٍ سَأَلُوهُ عَنْهَا فَتَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَالَ: «فَانْفِرُوا وَتَفَرَّقُوا» ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَكْبًا كَانُوا فِي نَفْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّكْبِ، وَالله إِنْ قَالُوا إِلَّا حَقًّا وَإِنْ سَأَلُوا إِلَّا حَقًّا» . فَرَجَعُوا إِلَيْهِ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «مَا رَجَّعَكُمْ إِلَيَّ بَعْدَ إِعْطَائِكُمُ الْحَقَّ؟» قَالُوا: كِتَابُكَ. قَالَ: «وَيْلَكُمْ لَا تُهْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ وَتُهْلِكُوا أُمَّتَكُمْ، وَالله إِنْ كَتَبْتُهَا وَلَا أَمْلَيْتُهَا» . فَقَالَ الْأَشْتَرُ: إِنِّي وَالله أَسْمَعُ حَلِفَ رَجُلٍ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ مُكِرَ بِهِ وَمُكِرَ بِكُمْ قَالَ: فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَوَطِئُوهُ حَتَّى ثَقُلَ ثِقَلًا قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ: أَفِيمَ قَتَلْتُمُوهُ تَرَكْتُمُوهُ وَهُوَ فِي خَطِيئَتِهِ. . . . . تَطَهَّرَ مِنْهَا قَتَلْتُمُوهُ فجَعَلُوا يُقَرِّعُونَهُ بِالرِّمَاحِ حَتَّى سَقَطَ لِجَنْبِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: هَلُمَّ فَاقْتُلُونِي فَلَقَدْ أَصَابَتْ أُمِّي اسْمِيَ إِذَنْ إِذْ سَمَّتْنِي سَعْدًا. وَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ فَنَهَاهُمْ وَقَالَ: يَا عِبَادَ الله اتَّخَذْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ بُدْنًا؟ وَخَرَجَ سَعْدٌ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي فَرَرْتُ بِدِينِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنَا أَفِرُّ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ».

قال الحافظ ابن كثير[1]:

« وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَارِيخِهِ بِأَسَانِيدِهِ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لَمَّا وَجَدُوا ذَلِكَ الْكِتَابَ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى أَمِيرِ مِصْرَ، فِيهِ الْأَمْرُ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ، وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ، وَبِقَطْعِ أَيْدِي بَعْضِهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ، مُتَأَوِّلًا قَوْلَهُ

(١) في«البداية والنهاية» (٧/ ٣٤٠-٣٤١).

تَعَالَى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أليم» [المائدة: ٣٣] وَعِنْدَهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ﷺ مِنْ جُمْلَةِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَفْتَاتَ عَلَى عُثْمَانَ وَيَكْتُبَ عَلَى لِسَانِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، وَيُزَوِّرَ عَلَى خَطِّهِ وَخَاتَمِهِ، وَيَبْعَثَ غُلَامَهُ عَلَى بَعِيرِهِ، بَعْدَ مَا وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ عُثْمَانَ وَبَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى تَأْمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِصْرَ، بِخِلَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِهَذَا لَمَّا وَجَدُوا هَذَا الْكِتَابَ عَلَى خِلَافِ مَا وَقَعَ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ مِنْ عُثْمَانَ، أَعْظَمُوا ذَلِكَ، مَعَ مَا هُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ فَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَطَافُوا بِهِ على رؤوس الصَّحَابَةِ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ آخَرُونَ، حَتَّى ظَنَّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنَّ هَذَا عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ ﷺ، فَلَمَّا قِيلَ لِعُثْمَانَ ﷺ فِي أَمْرِ هَذَا الْكِتَابِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ وَجُمْهُورِ الْمِصْرِيِّينَ، حَلَفَ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ، أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ هَذَا الْكِتَابَ وَلَا أَمَلَاهُ عَلَى مَنْ كَتَبَهُ، وَلَا عَلِمَ بِهِ، فَقَالُوا لَهُ: فَإِنَّ عَلَيْهِ خَاتَمَكَ.

فَقَالَ: إِنَّ الرَّجل قَدْ يُزَوَّرُ عَلَى خَطِّهِ وَخَاتَمِهِ قَالُوا: فَإِنَّهُ مَعَ غُلَامِكَ وَعَلَى جَمَلِكَ.

فَقَالَ: وَاللهِ لَمْ أشعر بشئ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالُوا لَهُ - بَعْدَ كُلِّ مَقَالِهِ - إِنْ كُنْتَ قَدْ كَتَبْتَهُ فَقَدْ خُنْتَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ كَتَبْتَهُ بَلْ كُتِبَ عَلَى لِسَانِكَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ فَقَدْ عَجَزْتَ، وَمِثْلُكَ لَا يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ، إِمَّا لِخِيَانَتِكَ، وَإِمَّا لِعَجْزِكَ، وَهَذَا الَّذِي قَالُوا بَاطِلٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَإِنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّهُ كَتَبَ الْكِتَابَ، وَهُوَ لَمْ يَكْتُبْهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَأَى ذَلِكَ مَصْلَحَةً لِلْأُمَّةِ فِي إِزَالَةِ شَوْكَةِ هَؤُلَاءِ الْبُغَاةِ الْخَارِجِينَ عَلَى الْإِمَامِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ عَلِمَ بِهِ فَأَيُّ عَجْزٍ يُنْسَبُ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَزُوِّرَ عَلَى لِسَانِهِ؟ وَلَيْسَ هُوَ

بِمَعْصُومٍ بَلِ الْخَطَأُ وَالْغَفْلَةُ جَائِزَانِ عَلَيْهِ ﷺ، وَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ الْبُغَاةُ مُتَعَنِّتُونَ خَوَنَةٌ، ظَلَمَةٌ مُفْتَرُونَ، وَلِهَذَا صَمَّمُوا بَعْدَ هَذَا عَلَى حَصْرِهِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ، حَتَّى مَنَعُوهُ الْمِيرَةَ وَالْمَاءَ وَالْخُرُوجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وتهددوه بالقتل، ولهذا خاطبهم بما خَاطَبَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْسِعَةِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مُنِعَ مِنْهُ، وَمِنْ وَقْفِهِ بِئْرَ رُومَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مُنِعَ مَاءَهَا، وَمِنْ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ: « **لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ، النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ** »[1] وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ نَفْسًا، وَلَا ارْتَدَّ بَعْدَ إِيمَانِهِ، وَلَا زَنَى فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، بَلْ وَلَا مَسَّ فَرْجَهُ بِيَمِينِهِ بَعْدَ أَنْ بَايَعَ بِهَا رَسُول الله ﷺ، وفي رِوَايَةٍ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ بِهَا الْمُفَصَّلَ.

ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ مِنْ فَضَائِلِهِ وَمَنَاقِبِهِ مَا لَعَلَّهُ يَنْجَعُ فِيهِمْ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَالرُّجُوعِ إِلَى الطَّاعَةِ لله وَلِرَسُولِهِ وَلِأُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، فَأَبَوْا إِلَّا الِاسْتِمْرَارَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَالْخُرُوجِ مِنْ عِنْدِهِ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَالُ، وَضَاقَ المجال، ونفذ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَاسْتَغَاثَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ فَرَكِبَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ وَحَمَلَ مَعَهُ قِرَبًا مِنَ الْمَاءِ فَبِالْجَهْدِ حَتَّى أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ بَعْدَ مَا نَالَهُ مِنْ جَهَلَةِ أُولَئِكَ كَلَامٌ غَلِيظٌ، وَتَنْفِيرٌ لِدَابَّتِهِ، وَإِخْرَاقٌ عَظِيمٌ بَلِيغٌ، وَكَانَ قَدْ زَجَرَهُمْ أَتَمَّ الزَّجْرِ، حتَّى قَالَ لَهُمْ فِيمَا قَالَ: وَالله إِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ لَا يَفْعَلُونَ كَفِعْلِكُمْ هَذَا بِهَذَا الرَّجُلِ، وَالله إِنَّهُمْ لَيَأْسِرُونَ فَيُطْعِمُونَ وَيَسْقُونَ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ حَتَّى رَمَى بِعِمَامَتِهِ فِي وَسَطِ الدَّارِ.

وَجَاءَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رَاكِبَةً بَغْلَةً وَحَوْلَهَا حَشَمُهَا وَخَدَمُهَا، فَقَالُوا مَا جَاءَ بِكِ؟ فَقَالَتْ: إِنْ عِنْدَهُ وَصَايَا بَنِي أُمَيَّةَ، لِأَيْتَامٍ وَأَرَامِلَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذَكِّرَهُ بِهَا، فَكَذَّبُوهَا

(١) وهذا جزء من حديث أخرجه البخاري(٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦).

فِي ذَلِكَ وَنَالَهَا مِنْهُمْ شِدَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَطَعُوا حِزَامَ الْبَغْلَةِ وندَّت بِهَا، وَكَادَتْ أَوْ سَقَطَتْ عَنْهَا، وَكَادَتْ تُقْتَلُ لَوْلَا تَلَاحَقَ بِهَا النَّاسُ فَأَمْسَكُوا بِدَابَّتِهَا.(١)

وَوَقَعَ أَمْرٌ كَبِيرٌ جِدًّا، وَلَمْ يَبْقَ يَحْصُلُ لِعُثْمَانَ وَأَهْلِهِ مِنَ الْمَاءِ إِلَّا مَا يُوصِلُهُ إِلَيْهِمْ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فِي الْخُفْيَةِ لَيْلًا، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَمَّا وَقَعَ هَذَا أَعْظَمَهُ النَّاسُ جِدًّا، وَلَزِمَ أَكْثَرُ النَّاسِ بُيُوتَهُمْ، وَجَاءَ وَقْتُ الْحَجِّ فَخَرَجَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى الْحَجِّ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكِ لَوْ أَقَمْتِ كَانَ أَصْلَحَ، لَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَهَابُونَكِ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ أُشِيرَ عَلَيْهِمْ بِرَأْيٍ فَيَنَالَنِي مِنْهُمْ مِنَ الْأَذِيَّةِ مَا نَالَ أُمَّ حَبِيبَةَ، فَعَزَمَتْ عَلَى الْخُرُوجِ» .

قلت وكثير من ذلك وبنحوه صحيح الأسانيد كم بيَّنا في موطنه.

سبب امتناع عثمان رضي الله عنه عن مطاوعة الخوارج في خلع نفسه من الإمارة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يطمعون في الإمارات ولا الرياسات أصلاً، والخوارج طلبوا من عثمان خلع نفسه من الحكم، فأبى، ويرجع اختياره لعدم المطاوعة في ذلك إلى سببين رئسين:

الأول: استشارة بعض أهل الفضل، فأشاروا عليه بعدم خلع نفسه:

أخرج ابن شبة(٢) بسندٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: اسْتَشَارَنِي عُثْمَانُ رضي الله عنه وَهُوَ مَحْصُورٌ فَقَالَ: مَا تَرَى فِيمَا يَقُولُ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ؟ قُلْتُ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَخْلَعَ هَذَا الْأَمْرَ وَتُخَلِّيَ

(١) الذي وقفت عليه من ذلك ذكرته قبل في موقفها.

(٢) في«تاريخ المدينة المنورة»(٤/ ١٢٢٣).

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ أَمُخَلَّدٌ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: لَا قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ، هَلْ يَزِيدُونَ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوكَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَهَلْ يَمْلِكُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: «فَإِنِّي لَا أَرَى أَنْ تَسُنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، كُلَّمَا سَخِطُوا أَمِيرًا خَلَعُوهُ، وَلَا أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصًا أَلْبَسَكَهُ الله».

والثاني: إرشاد النبي ﷺ له قبل.

فأخرج أحمد[1] بسند صحيح عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ، أَقْبَلَتْ إِحْدَانَا عَلَى الْأُخْرَى، فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامٍ كَلَّمَهُ، أَنْ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ، وَقَالَ: « **يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي** » ثَلَاثًا، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَ كَانَ هَذَا عَنْكِ؟ قَالَتْ: نَسِيتُهُ، وَالله فَمَا ذَكَرْتُهُ. قَالَ: فَأَخْبَرْتُهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمْ يَرْضَ بِالَّذِي أَخْبَرْتُهُ حَتَّى كَتَبَ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ بِهِ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ بِهِ كِتَابًا.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وغيرهما[2] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي**» ، قُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَ: «**لَا**» . قُلْتُ: عُمَرُ؟ قَالَ: «**لَا**» .

---

(١) برقم(٢٤٥٦٦).

(٢)« مصنف ابن أبي شيبة»(٦/ ٣٦١) و«مسند أحمد»(٢٤٢٥٣) من طريق قيس عن أبي سهلة مولى عثمان بن عفان ت، والظن به حسن، وقد أدرك قيس بن أبي حازم العشرة المبشرين بالجنة، ويشهد له ما قبله، وكنت قد قويته لرواية قيس بن أبي حازم إياه عن عائشة مباشرة بغير واسطة

قُلْتُ: ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ قَالَ: «**لَا**» . قَالَتْ: قُلْتُ: عُثْمَانُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» ، فَلَمَّا جَاءَ، قَالَ: «**تَنَحَّيْ**» . فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ:« لَا، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ.

وضوح الحق من كونه مع عثمان رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد بإسنادٍ حسن[١] من طريق أبي حبيبة أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ فِيهَا، وَأَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَسْتَأْذِنُ عُثْمَانَ فِي الْكَلام فَأَذِنَ لَهُ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلافًا** – أَوْ قَالَ: **اخْتِلافًا وَفِتْنَةً** –» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ**» –وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ.

وفي رواية: قال ﷺ: «**اتَّبِعُوا هَذَا وَأَصْحَابَهُ**» قَالَ[٢]: فَأَسْرَعْتُ حَتَّى عَيِيتُ فَلَحِقْتُ الرَّجُلَ، فَقُلْتُ هَذَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «هَذَا» فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.[٣]

وأخرج ابن أبي عاصم[١] بسند صحيح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ حَوَالَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ بِجُبِّ رُومَةَ وَهُوَ يَكْتُبُ النَّاسَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عَبْدَ الله

أخرجه الخلال في«السنة»(٤١٩) ، وليس بمستبعد أن يكون قيس رواه عن عائشة بواسطة ثم سمعه منها بغير واسطة فإنه سمع منها.

(١)وقال ابن كثير في «تاريخه» (٧/ ٣٦٨):«**إسناده جيد حسن**»،وقد أخرجه أحمد وراجع تحقيقي له في «البداية والنهاية».

(٢) مرة البهزي: هو راوى الحديث.

(٣)أخرجها أحمد بإسنادٍ لا بأس به إن شاء الله، وله طريق آخر بنحوه أخرجه الترمذي (٤٧٠٤) وآخر فراجع تحقيقي للبداية والنهاية (٧/ ٣٦٩).

بْنَ حَوَالَةَ، أَكْتُبُكَ؟» فَقُلْتُ: مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: «أَكْتُبُكَ؟» فَقُلْتُ: مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: فَرَأَيْتُ فِي الْكِتَابِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمَا لَا يُكْتَبَانِ إِلَّا فِي خَيْرٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ فَاكْتُبْنِي قَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ حَوَالَةَ، كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنَةٍ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي الْبَقَرِ، وَالَّتِي بَعْدَهَا كَنَفْخَةِ أَرْنَبٍ؟» فَقَالَ: مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، فَقَالَ لِي: «**اتَّبِعْ هَذَا، فَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ عَلَى الْحَقِّ**» . قَالَ: فَلَحِقْتُ الرَّجُلَ، فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ، فَلَفَتُّهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه .

سبب منع عثمان رضي الله عنه من حمل السلاح للدفاع عنه.

سبب ذلك أن عثمان رضي الله عنه رأى رؤيا مفادها أنه سيقتل ، فانضم إلى ذلك الأحاديث المتقدِّمة، فانعقد تمام اليقين عنده أنه سيقتل، ولا يغني حذر من قدر.

أعني: ما أخرجه ابن أبي شيبة[٢] عَنِ امْرَأَةِ عُثْمَانَ قَالَتْ: «أُغْفِيَ عُثْمَانُ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ يَقْتُلُونَنِي»، قُلْتُ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ»، قَالَ: «قَالُوا: أَفْطِرْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ «أَوْ» قَالُوا: إِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَااللَّيْلَةَ ».

وتقدم أن عثمان لَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: « لَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ.

---

(١) في«السنة»(١٢٩٤) .

(٢) وهو خبر ثابت أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٣٦٢) والحاكم في«المستدرك » (٣/ ١١٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٥٧) وانظر «علل الدارقطني» (٣/ ٦٦) وعند ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) شاهد له عن ابن عمر رضي الله عنه .

فهو منعهم لئلا يهراق الدم بسببه، وما فائدته وهو أيقن بالسنة، وما رآه من رؤيته الصادقة أنه مقتول؟

وقد أخرج الآجري بسندٍ حسن عن الْأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه يَوْمَ الدَّارِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، طَابَ أَوْ ضَرَبَ فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . «أَيَسُرُّكَ أَنْ يُقْتَلَ النَّاسُ جَمِيعًا وَإِيَّايَ مَعَهُمْ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَ: «فَإِنَّكَ وَالله إِنْ قَتَلْتَ رَجُلًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا قَتَلْتَ النَّاسَ جَمِيعًا» قَالَ: فَرَجَعْتُ وَلَمْ أُقَاتِلْ (١).

وفي «**الطبقات الكبرى**» (٢)بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا ذُكِرَ مَا صُنِعَ بِعُثْمَانَ بَكَى. قَالَ فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ يَقُولُ هَاهْ هَاهْ يَنْتَحِبُ (٣).

وأخرج ابن أبي شيبة(٤)بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرٍ(٥)، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَعْظَمَكُمْ غِنًى عِنْدِي مَنْ كَفَّ سِلَاحَهُ وَيَدَهُ».

وأخرج(٦)بسند صحيح عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ: اخْرُجْ فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِنَّ مَعَكَ مَنْ قَدْ نَصَرَ الله بِأَقَلَّ مِنْهُ، وَالله وَقِتَالُهُمْ لَحَلَالٌ، قَالَ: فَأَبَى وَقَالَ:«مَنْ كَانَ لِي عَلَيْهِ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ فَلْيُطِعْ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ أَمَّرَهُ يَوْمَئِذٍ،وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ صَائِمًا.

---

(١)«الشريعة»(١٤٤٤)

(٢) (٣/ ٥٩).

(٣) أي يبكي بصوت مسموع،

(٤) في«المصنف»(٧/ ٥١٥).

(٥)و عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزى ولد على عهد رسول الله ع، وهو من رجال البخاري ومسلم

(٦) المصدر السابق (٧/ ٥١٦).

وأخرج[١] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْصَارُ بِالْبَابِ ، قَالُوا: إِنْ شِئْتَ أَنْ نَكُونَ أَنْصَارَ الله مَرَّتَيْنِ، قَالَ:«أَمَّا قِتَالٌ فَلَا».

وأخرج[٢] بسند صحيح إلى مُنْذِرِ بْنِ يَعْلَى، قَالَ: كَانَ يَوْمَ أَرَادُوا قَتْلَ عُثْمَانَ أَرْسَلَ مَرْوَانُ إِلَى عَلِيٍّ أَلَّا تَأْتِي هَذَا الرَّجُلَ فَتَمْنَعُهُ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَبْرَءُوا دُونَكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فَأَخَذَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ بِكَتِفَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَالله مَا يَزِيدُونَكَ إِلَّا رَهْبَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ بِعِمَامَتِهِ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ.

وأخرج ابن أبي عاصم[٣] بسندٍ يحسن عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُثْمَانَ قَالَ:«مَا كُنْتُ لِأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ خَلَفَ رَسُولَ الله ﷺ فِي أُمَّةٍ تَهْرَاقَةِ الدِّمَاءِ» .

إشاعة أن محمد بن أبي بكر الصديق قتل عثمان رضي الله عنه أو أساء إليه.

الذي وقفت عليه من ذلك لا يصح له سند.

وقد وردت إساءة محمد بن أبي بكر، وأخذه بلحية عثمان رضي الله عنه، فذكره أن والده كان يكرمها، ولم أقف على شيء ثابت السند به.

فعند ابن أبي شيبة[٤] بسندٍ فيه مبهم فَقَامَ الْأَشْتَرُ فَانْطَلَقَ ، فَمَكَثْنَا فَقُلْنَا: لَعَلَّ النَّاسَ ؛ ثُمَّ جَاءَ رُوَيْجِلٌ كَأَنَّهُ ذِئْبٌ ، فَاطَّلَعَ مِنَ الْبَابِ ثُمَّ رَجَعَ، ثُمَّ جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُثْمَانَ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ بِهَا حَتَّى سَمِعْتَ وَقْعَ أَضْرَاسِهِ وَقَالَ: مَا أَغْنَى عَنْكَ مُعَاوِيَةُ، مَا أَغْنَى عَنْكَ ابْنُ عَامِرٍ، مَا أَغْنَتْ عَنْكَ

(١) السابق(٧/ ٥١٦).

(٢) السابق(٧/ ٥١٧).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في«الأوائل»(١٢٣) .

(٤) في«المصنف» (٧/ ٥١٤)

كُتُبُكَ ، فَقَالَ: أَرْسِلْ لِي لِحْيَتِي يَا ابْنَ أَخِي، أَرْسِلْ لِي لِحْيَتِي يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ اسْتَعْدَى رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ بِعَيْنِهِ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ حَتَّى وَجَأَ بِهِ فِي رَأْسِهِ فَأَثْبَتَهُ ثُمَّ مَرَّ ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ وَالله حَتَّى قَتَلُوهُ » .

وأخرج خليفة بن خياط[١] عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَنْبَأَنِي وَثَّابٌ قَالَ: بَعَثَنِي عُثْمَانُ فَدَعَوْتُ لَهُ الْأَشْتَرَ فَقَالَ: مَا يُرِيدُ النَّاسُ؟ قَالَ: ثَلَاثٌ لَيْسَ مِنْ إِحْدَاهُنَّ بُدٌّ. قَالَ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: يُخَيِّرُونَكَ بَيْنَ أَنْ تَخْلَعَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ فَتَقُولَ: هَذَا أَمْرُكُمْ فَاخْتَارُوا مَنْ شِئْتُمْ، وَبَيْنَ أَنْ تُقِصَّ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَاتِلُوكَ. فَقَالَ: أَمَّا أَنْ أَخْلَعَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ فَمَا كُنْتُ لِأَخْلَعَ سِرْبَالًا سَرْبَلَنِيهِ الله، وَأَمَّا أَنْ أُقِصَّ لَهُمْ مِنْ نَفْسِي، فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَيَّ بَيْنَ يَدَيَّ قَدْ كَانَا يُعَاقِبَانِ، وَمَا يَقُومُ بَدَنِي بِالْقِصَاصِ، وَأَمَّا أَنْ يَقْتُلُونِي، فَوَالله لَئِنْ قَتَلْتُمُونِي لَا تَحَابُّونَ بَعْدِي أَبَدًا، وَلَا تُصَلُّونَ بَعْدِي جَمِيعًا أَبَدًا، وَلَا تُقَاتِلُونَ بَعْدِي عَدُوًّا جَمِيعًا أَبَدًا. قَالَ: وَجَاءَ رُوَيْجِلٌ كَأَنَّهُ ذِئْبٌ فَاطَّلَعَ مِنْ بَابٍ وَرَجَعَ، وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ بِهَا حَتَّى سَمِعْتَ وَقْعَ أَضْرَاسِهِ، فَقَالَ: مَا أَغْنَى عَنْكَ مُعَاوِيَةُ، وَمَا أَغْنَى عَنْكَ ابْنُ عَامِرٍ، وَمَا أَغْنَتْ عَنْكَ كُتُبُكَ. قَالَ: أَرْسِلْ لِحْيَتِي يَا ابْنَ أَخِي. قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ اسْتَعْدَى رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ بِعَيْنِهِ - يَعْنِي أَشَارَ إِلَيْهِ - فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ فَوَجَأَ بِهِ رَأْسَهُ. قُلْتُ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَعَاوَرُوا عَلَيْهِ وَالله حَتَّى قَتَلُوهُ.

ولكن في سنده وثاب مولى عثمان بن عفان لم أقف فيه على جرح أو تعديل.

ولم أقف على شيء ثابت فى الباب فى شأن كيفية قتله ﷺ ،وقتلة من قتله إلا ما أخرجه خليفة بن خياط[٢]، عن الحسن أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته- أي بلحية

(١) في «تاريخه»ص١٧٠ والطبري في«تاريخه»(٢/ ٦٦٤)

(٢) فى «تاريخه»(ص ١٧٢) ط. دار القلم

عثمان -، فقال عثمان:لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدتَ مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده، فخرج وتركه». وإسناده صحيح.[١]

قلت«محمد»:وما أعلم صح عن محمد بن أبي بكر مِن فعله مع عثمان غير هذا.

وبه جزم ابن كثير وردَّ على ما يُرْوَى من أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ طَعَنَهُ بِمَشَاقِصَ في أذنه حتى دخلت في حَلْقِهُ فقال[٢]:

«وَالصَّحِيحُ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَأَنَّهُ اسْتَحْيَى وَرَجَعَ حِينَ قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: لَقَدْ أَخَذْتَ بِلِحْيَةٍ كَانَ أَبُوكَ يُكْرِمُهَا. فَتَذَمَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَغَطَّى وَجْهَهُ وَرَجَعَ وَجَاحَف دُونَهُ فَلَمْ يُفِدْ،وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا».

وأما ما أخرجه الطبراني[٣]عن سَيَّاف عُثْمَان أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: ارْجِعْ يَا ابْنَ أَخِي فَلَسْتَ بِقَاتِلِي. قَالَ: وَكَيْفَ عَلِمْتَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ أُتِيَ بِكَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ سَابِعِكَ فَحَنَّكَكَ وَدَعَا لَكَ بِالْبَرَكَةِ. ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ سَوَاءً.ثُمَّ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: أَنْتَ قَاتِلِي. قَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ يَا نَعْثَلُ؟

---

(١)وقد أخرجه ابن شبه فى «تاريخ المدينة» (٢٣٢٩) بنفس الإسناد، وفيه قول الحسن بتسمية ابن أبي بكر محمد بن أبي بكر... فذكره.

(٢) في«البداية والنهاية»)٧/ ٣٣٩).

(٣) في«الكبير» (١/ ٨٣) رقم (١١٨)

قَالَ: لِأَنَّهُ أُتِيَ بِكَ رَسُولُ الله ﷺ، يَوْمَ سَابِعِكَ لِيُحَنِّكَكَ وَيَدْعُوَ لَكَ بِالْبَرَكَةِ، فَخَرِيتَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: فَوَثَبَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَوَجَأَهُ بِمَشَاقِصَ كَانَتْ فِي يَدِهِ. فلا يصح.[١]

الوارد في قتل محمد بن أبي بكر

أخرج ابن سعد[٢] من طريق أبي الأشهب قال: أخبرنا الحسن قال: « لما أدركوا بالعقوبة قتلة عثمان بن عفان قال: أخذ الفاسق بن أبي بكر، قال أبو الأشهب: وكان الحسن لا يسميه باسمه، إنما كان يسميه الفاسق، قال: فأخذ فجعل فى جوف حمار ثم أحرق عليه.

وأبو الأشهب هذا لا أعرف حاله.

ومحمد بن أبي بكر لم يدرك من حياة النبي ﷺ إلا خمس ليال من ذي القعدة، وذي الحجة والمحرم وصفر وأوائل شهر ربيع الأول، ولا يبلغ ذلك أربعة أشهر، ومات أبو بكر وعمره أقل من ثلاث سنين ولم يكن له صحبة من النبي ﷺ ولا قرب من أبيه إلا كما يكون لمثله من الأطفال، كما جزم بذلك شيخ الإسلام.[٣]

---

(١)قال ابن كثير فى «البداية» (٧/ ٣٤٠): «وهذا حديثٌ غريب جداً» . اهـ

قلت«محمد» : وفيه مبارك بن فضالة يدلس، وسياف عثمان لم أعرفه.

وقد نبه الهيثمي فى «المجمع» (٩/ ٤٩) على تدليس مبارك بن فضالة، وأن محمد بن خالد بن خداش يغرب» .

فلا يصح هذا الخبر.

(٢) فى «طبقاته» (٣/ ٨٣)

(٣) فى «منهاج السنة» (٤/ ١٦٩) ط. دار الحديث.

وكذلك ما أخرجه ابن شبة [١] ثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، قال: أخبرني أبي أن عبد الله بن عمر وافق المسور بن مخرمة رضي الله عنهما بالسُّوق فقال المسور: والله لنقتُلنه، فقال عبد الله: إنما تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما غضبتم على ملك قتلتموه - يريد عثمان رضي الله عنه ».

فهذا لا يصح سنده وإن كان رجاله مُعدَّلون، فإن والد يوسف اسمه يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، لا أعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً، بل كان يعلم الغناء ويتخذ القيان، وترك عمر بن عبد العزيز مجالسته لما ولي الخلافة، وقال له: «تركناك حين تركنا لبس الخَزّ». [٢] ثم هناك إشكال في سماعه من ابن عمر رضي الله عنه. [٣]

---

(١) في «تاريخ المدينة المنورة» (٤/ ١١٧٥).

(٢) لكن يشكل على هذا أن أحمد قال عنه: «لا بأس به»، كذا حكى عنه الميموني، راجع «الجامع لعلوم الإمام أحمد» (١٦/ ٥٦٢)، وقد ذكر له الذهبي في «تاريخ الإسلام» قصة غريبة أنه مات ووضع على المغسل وعرج بروحه ثم تحرك وعاش بعدها، وقد حكى العلائي في «جامع التحصيل» (ص ٩١٤) عن أبي حاتم، وهو في «المراسيل» (٩٢٣)، قال: «عن أبي هريرة مرسل»، وقال عقبه - أي العلائي -: «وكذلك عن ابن عباس وابن عمر ولم يدركهما». قاله في «التهذيب». يعني -تهذيب المزي- ولم أجد هذا فيه، لكن قول الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣٤١)، وكذا في «السير» (٥/ ٣٧٠): «سمع ابن عمر وأبا سعيد»، وقول ابن حبان في «المشاهير» (٥٨٠): «كان يعقوب ممن جالس ابن عمر». مشكل، وبكل حال لا يُقبل مثل هذا من يعقوب هذا، فإنه مما يستنكر لغرابته - والله أعلم -، ولو كان فإنما هو من المسور تهديد لا فعل، فلم يشارك صحابي واحد في دم عثمانت كما نص على ذلك ابن كثير وغيره من العلماء، والله أعلم.

(٣) فقد قال أبو حاتم في «المراسيل» ص٢٤٨: «عن أبي هريرة مرسل» فتعقبه العلائي وقال في «جامع التحصيل» (٩١٤): « قلت وكذلك عن ابن عباس وابن عمر لم يدركهما قاله في التهذيب» قلت «محمد»: ولم أقف على هذا في «التهذيب». وقد قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/

مدَّة حصارهم لعثمان ﷺ وتحديد الأيام التي قتل فيها وبعض ما حصل فيها

أخرج ابن أبي شبة[١] بسندٍ حسن عن الْحَسَن البصري قَالَ: عَمِلَ عُثْمَانُ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يُنْكِرُونَ مِنْ عَمَلِهِ شَيْئًا، حَتَّى جَاءَ فَسَقَةٌ فَحَلُّوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ قَالَ: فَادَّهَى وَالله أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي شَأْنِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ أَعْطِنَا كِتَابَ الله. قَالَ الْحَسَنُ:لَا تَتَوَالَهُ يَا فَاسِقُ، مَا يُدْرِيكَ مَا كِتَابُ الله فَقَالَ: اجْلِسْ لَكَ كِتَابُ الله. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عُثْمَانَ ﷺ فَتَرَامَوْا بِحَصَى الْمَسْجِدِ حَتَّى لَا يُرَى أَدِيمُ السَّمَاءِ مِنَ الْغُبَارِ، وَبَعَثَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَكَانَ شِيَعًا فَلَمْ يَلْتَفِتُوا وَحَصَبُوهُ وَأَقَامُوا عَلَى حِصَارِهِ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جُمُعَةٍ [٢]لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَقَتَلَهُ أَسْوَدَانُ بْنُ حُمْرَانَ وَهُوَ مِنْ تُجِيبَ، وَعِدَادُهُ فِي مُرَادٍ - أَوْ مِنْ مُرَادٍ وَعِدَادُهُ فِي تُجِيبَ- وَانْتَهَبُوا مَتَاعَهُ وَقَالُوا: يَحِلُّ دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ مَالُهُ؟

في اليوم الذي قتل فيه

أخرج البلاذري[٣] بسندٍ صحيح عَنِ ابْن الحنفية قَالَ: لما كَانَ اليوم الَّذِي أرادوا فِيهِ قتل عُثْمَان أرسل مَرْوَان إِلَى عَلِي ألا تأتي هَذَا الرجل فتمنعه فإنهم لَنْ يبرموا أمرًا دونك ولو كنت بمنقطع التراب، قَالَ: فقام عَلِي ليأتيهم فأخذ ابْن الحنفية بكتفيه-

---

٣٤١):«سَمِعَ ابن عُمَر»وقال ابن حبان في«مشاهير علماء الأمصار» برقم (٥٨٠).:«كان يعقوب ممن جالس ابن عمر»، فالله أعلم.

(١) في«تاريخ المدينة المنورة»(٤/ ١٢٣٠).

(٢) حكى ابن كثير في«البدية والنهاية»(٧/ ٣٤٥) أنه قتل يوم جمعة بلا خلاف.

(٣) في«أنساب الأشراف»(٥/ ٥٨٧).

أَوْ قَالَ بحقوية- وَقَالَ: والله مَا يريدونك إلا رهينة، فجلس وأرسل إليهم بعمامته ينهاهم عَنْهُ.

والظاهر أن ابنه محمد بن الحنفية ردَّه لكونه خاف عليه في هذه المرة، وقد ردَّهم مراراً كما بينا في موطن آخر

وقد أخرج ابن عساكر[١] بسنده عن ابن الحنفية قال لما جاء الركب من مصر بعث عثمان إلى علي ردهم قال وكان قد ردهم مرتين خرج يتوكأ علي حتى انتهى إلى الباب فإذا الزحام فرمى بعمامته في الدار أمانا وقال:« اللهم إني أشهدك أني لم أقتل ولم أمالئ» .

والله أعلم

وقد ورد أن قتل عثمان كان في أيام التشريق كما أخرج ذلك ابن أبي شيبة[٢]بسندٍ صحيح عن أبي عُثْمَانَ، أَنَّ عُثْمَانَ بن عفان رضي الله عنه قُتِلَ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

واستظهر ابن كثير[٣]أن الصحيح المشهورأنه قتل يوم الجمعة لثمانٍ عشرة خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ..

فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا، لِأَنَّهُ بُويِعَ لَهُ فِي مُسْتَهَلِّ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

---

(١) في«تاريخه»(٣٩/ ٣٧٠)

(٢) في«المصنف»(٧/ ٥٢٥) وأحمد في«مسنده» (٥٤٦).

(٣) في«البداية النهاية»(٧/ ٣٤٥)

فَأَمَّا عُمُرُهُ ﷺ: فَإِنَّهُ جَاوَزَ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ: توفي عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر، وقيل: أربع وثمانون سنة، وقال قتادة: توفي عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ أَوْ تِسْعِينَ سَنَةً.

المهم أن هؤلاء المنافقين- قبَّحهم الله- قتلوه في هذه الأيام قبل أن يرجع الأفاضل

من الحج فيجابهوهم.

فراسة حذيفة ﷺ بشأن عثمان ﷺ وقتلته

أخرج ابن أبي شيبة[1] بسندٍ صحيح عَنْ جُنْدُبِ الْخَيْرِ ﷺ، قَالَ: أَتَيْنَا حُذَيْفَةَ حِينَ سَارَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى عُثْمَانَ فَقُلْنَا: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ سَارُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ: «يَقْتُلُونَهُ وَالله» ؛ قَالَ: قُلْنَا: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ وَالله» ، قَالَ: قُلْنَا: فَأَيْنَ قَتَلَتُهُ؟ قَالَ: «فِي النَّارِ وَالله».

وقتل عثمان ﷺ والله المستعان

أول معرفة على بن أبي طالب ﷺ بقتله:

أخرج ابن شبة[2] بسندٍ حسن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَابِرٍ،عَنِ الْحَسَنِ البصري قَالَ: إِنِّي لَفِي حَلْقَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِذْ جَاءَتِ الصَّيْحَةُ مِنْ دَارِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ». وقد ذكرنا أنه لعن قتلة عثمان في السهل والجبل.

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٥١٦).

(٢) في«تاريخ المدينة»(٤/ ١٢٢٩) والدولابي في«الكنى» (٨٨٥)..

أول معرفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بقتله

وقد أخرج ابن أبي شيبة[١] بسندٍ صحيح عن إبراهيم بن سعدقَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بِمِنًى مَحْلُوقًا رَأْسُهُ يَبْكِي ، يَقُولُ: «مَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَبْقَى حَتَّى يُقْتَلَ عُثْمَانُ » .

نهب الخوارج مال عثمان رضي الله عنه بعدما قتلوه- قبَّحهم الله-

أخرج ابن شبة[٢] بسندٍ لا بأس به عن الْحَسَنُ قَالَ: عَمِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يُنْكِرُونَ مِنْ عَمَلِهِ شَيْئًا، حَتَّى جَاءَ فَسَقَةٌ فَحَلُّوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ قَالَ: فَادَّهَى وَالله أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي شَأْنِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ أَعْطِنَا كِتَابَ الله.قَالَ الْحَسَنُ: أَلَا تَتَوَالَهُ يَا فَاسِقُ، مَا يُدْرِيكَ مَا كِتَابُ الله فَقَالَ: اجْلِسْ لَكَ كِتَابُ الله. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَتَرَامَوْا بِحَصَى الْمَسْجِدِ حَتَّى لَا يُرَى أَدِيمُ السَّمَاءِ مِنَ الْغُبَارِ، وَبَعَثَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَكَانَ شِيَعًا فَلَمْ يَلْتَفِتُوا وَحَصَبُوهُ وَأَقَامُوا عَلَى حِصَارِهِ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جُمُعَةٍ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَقَتَلَهُ أَسْوَدَانُ بْنُ حُمْرَانَ وَهُوَ مِنْ تُجِيبَ، وَعِدَادُهُ فِي مُرَادٍ- أَوْ مِنْ مُرَادٍ وَعِدَادُهُ فِي تُجِيبَ- وَانْتَهَبُوا مَتَاعَهُ وَقَالُوا: يَحِلُّ دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ مَالُهُ؟ وَأَقَامُوا عَلَى حِصَارِهِ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جُمُعَةٍ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَقَتَلَهُ أَسْوَدَانُ بْنُ حُمْرَانَ وَهُوَ مِنْ تُجِيبَ، وَعِدَادُهُ فِي مُرَادٍ-أَوْ مِنْ مُرَادٍ وَعِدَادُهُ فِي تُجِيبَ- وَانْتَهَبُوا مَتَاعَهُ وَقَالُوا: يَحِلُّ دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ مَالُهُ ؟

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٥٢٩).

(٢) في«تاريخ المدينة المنورة » (٤/ ١٢٣٠).

وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، ويقال: أربعة عشر يوماً حكاه خليفة ابن خياط[١] وساق أسانيده عن السلف في الخلا في سنه يوم مات أنها بين ثنتين وثمانين وستة وثمانين سنة.

من كلام الصحابة رضي الله عنهم والأفاضل لما قتل عثمان رضي الله عنه

أخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عن وَائِلٍ، قال: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ قَالَ أَبُو مُوسَى: إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ فِتْنَةٌ بَاقِرَةٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ، لَا نَدْرِي أَنَّى تُؤْتَى، تَأْتِيكُمْ مِنْ مَأْمَنِكُمْ وَتَدَعُ الْحَلِيمَ كَأَنَّهُ ابْنُ أَمْسِ، قَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ وَانْتَصَلُوا رِمَاحَكُمْ .

وفي رواية ابن شبة [٣] بإسنادٍ صحيح عنه قال حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه : «هَذِهِ حَيْضَةٌ مِنْ حَيْضَاتِ الْفِتَنِ، وَبَقِيَتِ الرَّدَاحُ الْمُطْبِقَةُ الَّتِي مَنْ مَاجَ بِهَا مَاجَتْ بِهِ، وَمَنْ أَشْرَفَ بِهَا أَشْرَفَتْ لَهُ» .

كأنه يقول تجتنب الفتن هذه كما تجتنب لحائض من النسوان، والله أعلم .

قول عليٍّ وعائشة رضي الله عنهما

وأخرج سعيدبن منصور[٤] بسندٍ صحيح عن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أنه قال لِابْنِ عَبَّاسٍ: تَذْكُرُ يَوْمَ كُنْتُ فِيهِ عَنْ يَمِينِ عَلِيٍّ، وَأَنْتَ عَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ الْمِرْبَدِ ؟ سَمِعَ ضَجَّةً مِنْ قِبَلِ

(١) في«تاريخه» ص١٠٥.

(٢) أخرجه في«المصنف»(٧/ ٥٢٤).

(٣) في«تاريخ المدينة»(٣/ ١٢٤٥).

(٤) في«سننه»(٢٩٤٣) وأحمد في«فضائل الصحابة»(٧٣٣)

الْمِرْبَدِ فَبَعَثَ رَسُولًا لَيَنْظُرَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ عَائِشَةَ تَلْعَنُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ وَالنَّاسُ يُؤَمِّنُونَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «وَأَنَا أَلْعَنُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ» فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَعَمْ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَمَا أَنَا وَابْنُ عَبَّاسٍ بِذَوَيْ عَدْلٍ؟[١]

وهذا حذيفة رضي الله عنه

وأخرج الدينوري [٢]عَنْ حُذَيْفَةَ؛ قَالَ: أَوَّلُ الْفِتَنِ قَتْلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَآخِرُ الْفِتَنِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ.

وأخرجه ابن أبي شيبة وابن شبة[٣] بإسنادٍ عال حسن عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ يَوْمَ الدَّارِ كَانَتْ فِتْنَةً- يَعْنِي قَتْلَ عُثْمَانَ-؟ فَإِنَّهَا أَوَّلُ الْفِتَنِ وَآخِرُهَا الدَّجَّالُ

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ، قَالَ لَمَّا جَاءَ قَتْلُ عُثْمَانَ قَالَ حُذَيْفَةُ: «الْيَوْمَ نَزَلَ النَّاسُ حَافَّةَ الْإِسْلَامِ، فَكَمْ مِنْ مَرْحَلَةٍ قَدِ ارْتَحَلُوا عَنْهُ» قَالَ: وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْهُذَيْلِ: «وَاللهِ لَقَدْ جَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَنِ الْقَصْدِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وُعُورَةً، مَا يَهْتَدُونَ لَهُ وَمَا يَعْرِفُونَهُ».

وفي رواية عنه عند ابن شبة[٥] إسنادُها حسنٌ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه إِذْ أَتَاهُ نَعْيُ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ تَرَكَ النَّاسُ حَافَّةَ الْإِسْلَامِ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ جَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَنِ الْقَصْدِ حَتَّى لَقَدْ حَالَ دُونَهُ وُعُورَةٌ، مَا يُبْصِرُونَ الْقَصْدَ وَلَا يَهْتَدُونَ لَهُ» ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي هُذَيْلٍ:

---

(١) لأنهما كانا يردَّان على من نال من عثمان ت .

(٢) في «المجالسة» (٢٨٦) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٤٤٧)

(٣) انظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٦٤) و«تاريخ المدينة» لابن شبة (٤/ ١٢٤٧).

(٤) في «لمصنف» (٧/ ٥١٦).

(٥) في «تاريخ المدينة المنورة» (٣/ ٩٤٣).

كَمْ ظَعَنُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَظْعَنَةٍ وَقَالَ: «إِنَّمَا كَانَ مَثَلُ الْإِسْلَامِ أَيَّامَ عُمَرَ مَثَلُ امْرِئٍ مُقْبِلٍ لَمْ يَزَلْ فِي إِقْبَالٍ، فَلَمَّا قُتِلَ أَدْبَرَ فَلَمْ يَزَلْ فِي إِدْبَارٍ» . وَقَالَ: «كَأَنَّ عِلْمَ النَّاسِ كَانَ مَدْسُوسًا فِي حِجْرِ عُمَرَ، وَالله لَا أَعْرِفُ رَجُلًا لَا تَأْخُذُهُ فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ إِلَّا عُمَرَ» . وَقَالَ: «مَا يَحْبِسُ الْبَلَاءَ عَنْكُمْ فَرَاسِخَ إِلَّا مَوْتَةٌ فِي عُنُقِ رَجُلٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ» يَعْنِي عُمَرَ.

وهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

وفي صحيح البخاري[1] عَنْ قَيْسِ بن أبي حازم قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فِي مَسْجِدِ الكُوفَةِ يَقُولُ: «وَالله لَقَدْ رَأَيْتُنِي، وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الإِسْلاَمِ، قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ، وَلَوْ أَنَّ أُحُدًا ارْفَضَّ لِلَّذِي صَنَعْتُمْ بِعُثْمَانَ لَكَانَ».

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ سَعِيدٌ لِعَظْمِ قَتْلِ عُثْمَانَ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا قَالَ بن التِّينِ قَالَ سَعِيدٌ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ

وقوع ما حذَّر منه أصحاب الفراسات رضي الله عنهم من الفُرقة

ورد في ذلك ما أخرجه الخلال [2] عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ سَلاَمٍ :لاَ تَقْتُلُوا عُثْمَانَ، فَوَالله لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لاَ تُصَلُّون جَمِيعًا أَبَدًا.

وفي رواية الآجري[3] عَنِ ابْنِ أَخِي عَبْدِ الله بْنِ سَلَام قَالَ: لَمَّا أُرِيدَ عُثْمَانُ جَاءَ عَبْدُ الله بْنِ سَلَامٍ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ فِي نُصْرَتِكَ قَالَ: اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ :« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ كَانَ لِي اسْمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

(١) برقم (٣٨٦٢).

(٢) في«السنة»(٤٣٩) وابن أبي شيبة(٧/ ٥٢٤).

(٣) في«الشريعة»(١٤٤٢) وفي سنده مجهول.

فُلَانًا ، فَسَمَّانِي رَسُولُ الله ﷺ عَبْدَ الله، وَنَزَلَتْ فِيَّ آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ: نَزَلَتْ فِيَّ {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأحقاف: ١٠] وَنَزَلَتْ فِيَّ {قُلْ كَفَى بِالله شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد: ٤٣] إِنَّ لله سَيْفًا مَغْمُودًا عَنْكُمْ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ جَاوَرَتْكُمْ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، الَّذِي نَزَلَ فِيهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، فالله، الله فِي هَذَا الرَّجُلِ أَنْ تَقْتُلُوهُ، فَوَاللهَّ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ؛ لَتَطْرُدُنَّ جِيرَانَكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلْيُسَلَّنَّ سَيْفُ الهالْمَغْمُودُ عَنْكُمْ فَلَا يُغْمَدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وأخرج ابن أبي شيبة[١] بسند صحيح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ، قَالَ لَمَّا جَاءَ قَتْلُ عُثْمَانَ قَالَ حُذَيْفَةُ: «الْيَوْمَ نَزَلَ النَّاسُ حَافَّةَ الْإِسْلَامِ ، فَكَمْ مِنْ مَرْحَلَةٍ قَدِ ارْتَحَلُوا عَنْهُ».

أخرج ابن شبة[٢] بإسنادٍ حسن عَنْ يَزِيدَ بْنِ صُوحَانَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ نَقَرَتِ الْقُلُوبُ مَنَاقِرَهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَتَآلَفُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

وأخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ صحيح عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ يَوْمَ الدَّارِ كَانَتْ فِتْنَةً يَعْنِي قَتْلَ عُثْمَانَ فَإِنَّهَا أَوَّلُ الْفِتَنِ وَآخِرُهَا الدَّجَّالُ.

وفي رواية[١]: أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قَتْلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ خَيْرًا فَلَيْسَ لِي فِيهِ نَصِيبٌ، وَإِنْ كَانَ قَتْلُهُ شَرًّا فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَالله لَئِنْ كَانَ قَتْلُهُ خَيْرًا لَتَحْلُبُنَّهُ لَبَنًا، وَلَئِنْ كَانَ قَتْلُهُ شَرًّا لَتَمْتَصُّنَّ بِهِ دَمًا.

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٥١٦).

(٢) في«تاريخ المدينة المنورة» (٤/ ١٢٣٧) وأبو سليمان هو خليد بن عبد الله العصري.

(٣) في«المصنف»(٧/ ٢٦٤).

وذكر ابن كثير إسناداً ثابتاً أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ، كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ وَهُوَ يُنَاجِي امْرَأَتَهُ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَسَأَلَهُمَا فَقَالَا: خَيْرٌ. فَقَالَ: إِنَّ شَيْئًا تُسِرَّانِهِ دُونِي مَا هُوَ بِخَيْرٍ. قَالَ: قُتِلَ الرَّجُلُ. يَعْنِي عُثْمَانَ. قَالَ: فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِمَعْزِلٍ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَهُوَ لِمَنْ حَضَرَهُ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَهُوَ لِمَنْ حَضَرَهُ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، الْيَوْمَ نَفَرَتِ الْقُلُوبُ بِأَنْفَارِهَا، الْحَمْدُ لله الَّذِي سَبَقَ بِيَ الْفِتَنَ، قَادَتَهَا وَعُلُوجَهَا، الْحَظِيُّ مَنْ تَرَدَّى بَعِيرُهُ، فَشَبِعَ شَحْمًا وَقَلَّ عَمَلُهُ.

وجعل له طريقاً آخر منقطعاً.(٢)

أخرج ابن أبي شيبة(٣) بسندٍ صحيح عن وَائِلٍ، يَقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ قَالَ أَبُو مُوسَى: إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ فِتْنَةٌ بَاقِرَةٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ، لَا نَدْرِي أَنَّى تُؤْتَى، تَأْتِيكُمْ مِنْ مَأْمَنِكُمْ(٤) وَتَدَعُ الْحَلِيمَ كَأَنَّهُ ابْنَ أَمْسِ، قَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ وَانْتَصِلُوا رِمَاحَكُمْ.(٥)

بل عثمانُ نفسه رضي الله عنه نبَّهَهُم – قبَّحهم الله- على مثله.

أخرج ابن أبي شيبة بسندٍ حسن عن أبي لَيْلَى الْكِنْدِيَّ، يَقُولُ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ اطَّلَعَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَحْصُورٌ فَقَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَقْتُلُونِي وَاسْتَعْتِبُونِي ، فَوَالله لَئِنْ قَتَلْتُمُونِي لَا تُقَاتِلُونَ جَمِيعًا أَبَدًا وَلَا تُجَاهِدُونَ عَدُوًّا أَبَدًا ، لَتَخْتَلِفُنَّ حَتَّى تَصِيرُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ {يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي} [هود: ٨٩] أَنْ يُصِيبَكُمْ

---

(١) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٦٣) وفي سنده من لم أعرفه.

(٢) انظر «البداية والنهاية»(٧/ ٣٤٩).

(٣) في«المصنف»(٧/ ٥٢٤).

(٤) أي تأتيكم الفتنة من المكان الذي تأمنون منه، أو تظنون أنكم آمنون منه .

(٥) كأنه يرهبهم من التدابر وقطع الأرحام ونشوب الحرب بينهم .

مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ قَالَ: وَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: الْكَفَّ الْكَفَّ ، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ لَكَ فِي الْحُجَّةِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ » .

وفي رواية(١) عَنْ أَبِي لَيْلَى الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَوْلايَ أَمْسِكُ دَابَّتَهُ وَقَدْ أَحَاطَ النَّاسُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْنَا مِنْ دَارِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ يَا قَوْمِ لَا تَقْتُلُونِي إِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُونِي كُنْتُمْ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

والحسن البصري رحمه الله.

قال الحسن: قَالَ: قَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: «لَا تَقْتُلُونِي، فَوَالله لَئِنْ قَتَلْتُمُونِي لَا تَقْتَسِمُونَ فَيْئًا جَمِيعًا أَبَدًا، وَلَا تُصَلُّونَ جَمِيعًا أَبَدًا» قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: «وَالله لَئِنْ صَلَّى الْقَوْمُ جَمِيعًا إِنَّ قُلُوبَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ» (٢).

نعم!

قتل عثمان واختلف الناس، لم تكن للناس غازية ولا صائفة حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة أربعين، وهي سنة الجماعة. فأغزى معاوية الصوائف وشتاهم بأرض الروم، ستة عشر صائفة، تصيف بها وتشتو، ثم تقفل وتدخل معقبتها. ثم أغزاهم معاوية ابنه يزيد في سنة خمس وخمسين، في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ في البر والبحر، حتى أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها. ثم قفل.

---

(١) أخرجها ابن أبي حاتم في«تفسيره»(١١١٥٤).

(٢) وسنده حسن أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة»(٤/ ١١٨٩).

وسيأتي تفصيل ذلك.

والمقصود: حصل بقتله تَفرُّق، وتشتيت شمل، وعاثت الأمة في دمائها، وتمزَّقت إرباً إرباً من جرَّاء قتله سنوات وفتحت الفتن على الأمة من يومها إلى يوم الناس هذا كما سيأتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما ورد عن الْحَسَن البصريِّ رحمه الله:لَوْ كَانَ قَتْلُ عُثْمَانَ هُدًى لَاحْتَلَبَتْ بِهِ الْأُمَّةُ لبناً، ولكنه كان ضلالاً فَاحْتَلَبَتْ بِهِ الْأُمَّةُ دَمًا.(١)

ودارت رحى الإسلام كما قال النبيﷺ

فأخرج أحمد(٢) بسندٍ صحيح عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « **تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ عَلَى رَأْسِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ هَلَكُوا، فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ بَقُوا، يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ سَنَةً**».(٣)

---

(١) أخرجه الدينوري في«المجالسة» (٢٤٣) بسنده عن الحسن رحمه الله.

وقد أخرج الخلال في«السنة»(٤٣٨) واللالكائي في«أصول الاعتقاد»(٢٥٨٥)وغيرهما بسندٍ منقطع عن أبي مُوسَى رضي الله عنه قال: إِنْ قَتْلَ عُثْمَانَ لَوْ كَانَ هُدًى لاَحْتَلَبَتْ بِهِ الأَمَةُ لَبَنًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ضَلاَلَةً ، فَاحْتَلَبَتْ بِهِ الأَمَةُ دَمًا.

(٢) برقم (٣٧٠٧).ورجاله ثقات وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من أبيه في الراجح كما بينته في غير هذا الموطن.وتابعه البراء بن ناجية عند أبي داود(٤٢٥٤).

(٣) والصوب «خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ» وقد قال ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٨٠):« وَكَأَنَّ هَذَا الشَّكَّ مِنَ الرَّاوِي، وَالْمَحْفُوظُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ:« خمْسٍ وَثَلَاثِينَ». فَإِنَّ فِيهَا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ، عَلَى الصَّحِيحِ. وَقِيلَ: سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ» .

قال الخطابي:«رَحَى الْإِسْلَامِ كِنَايَةٌ عَنِ الْحَرْبِ شَبَّهَهَا بِالرَّحَى الَّتِي تَطْحَنُ الْحَبَّ لِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ تَلَفِ الْأَرْوَاحِ».

وَالْمَعْنَى:تَزُول الرَّحَى عَن استقرارها. فَإِن كَانَت الرِّوَايَة سنة خمس فَفِيهَا قدم أهل مصر وحصروا عُثْمَان، وَإِن كَانَت سنة سِتّ فَفِيهَا خرج طَلْحَة وَالزُّبَيْر إِلَى الْجمل، وَإِن كَانَت سنة سبع فَفِيهَا كَانَت صفّين، فتغيرت الْأَحْوَال فِي هَذِه الْأَشْيَاء ثمَّ استقام الْملك إِلَى انْقِرَاض ملك بني أُميَّة وعادت الْفِتَن (١).

كيفية مقتله رضي الله عنه

أخرج ابن شبة وابن أبي داود وغيرهما بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أَسِيدٍ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه ضَرَبُوهُ بِالسَّيْفِ عَلَى يَدِهِ فَوَقَعَتْ عَلَى (فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فَمَدَّ يَدَهُ وَقَالَ: «وَالله إِنَّهَا لَأَوَّلُ يَدٍ خَطَّتِ الْمُفَصَّلَ». (٢)

وأخرج الطبراني (٣) بسندٍ يحسن عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: « لَمَّا ضَرَبَ الرَّجُلُ يَدَ عُثْمَانَ قَالَ: إِنَّهَا لَأَوَّلُ يَدٍ خَطَّتِ الْمُفَصَّلَ».

وتقدم مما صح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: سَمِعَ عُثْمَانُ رضي الله عنه : أَنَّ وَفْدًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَدْ أَقْبَلُوا، فَخَرَجَ فَتَلَقَّاهُمْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ قَالَ فِي آخِرِهِ:ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ، يُقَالُ: الْمَوْتُ الْأَسْوَدُ ، فَخَنَقَهُ وَخَنَقَهُ ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَلْيَنَ مِنْ حَلْقِهِ ، لَقَدْ خَنَقْتُهُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَفَسِهِ يَتَرَدَّدُ فِي جَسَدِهِ كَأَنَّهَا

---

(١) وانظر «عون المعبود»(١١/ ٢٤٥) .

(٢) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة»(٤/ ١٣٠٩)وابن أبي داود في «المصاحف» ص ٣٣ بتحقيقي.

(٣) في«الكبير» (١/ ٨٤) برقم(١١٩)وغيره.

نَفْسُ جَانٍّ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَفِي يَدِهِ السَّيْفُ ، فَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ الله عَزَّ وَجَلَّ ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَاتَّقَاهَا بِيَدِهِ فَقَطَعَهَا ، لَا أَدْرِي أَبَانَهَا أَمْ لَمْ يَقْطَعْهَا وَلَمْ يَبْنِهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ التُّجِيبِيُّ فَأَشْعَرَهُ مِشْقَصًا فَانْتَضَحَ الدَّمُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧] فَإِنَّهَا لَفِي الْمُصْحَفِ مَا حَكَتْ »... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ(١).

الاستنكار على من كان يتكلَّم في حق عثمان رضي الله عنه

فقد ذهب بعضهم إلى ابن عمر رضي الله عنه وأرادوا منه طعناً في عثمان رضي الله عنه.(٢)

وكلَّموا أسامَةُ أنْ يُكَلِّمَ عثمانَ رضي الله عنه فيما أخذوُه عليهِ، قالَ: «إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنِّى لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ، إِنِّى أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَاباً لاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ». (٣)

وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ:«يَا عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ؛ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِى تَعْلَمُ، فَوالله مَا احْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى نَجَمَ الَّذِيْنَ طَعَنُوا عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه فَقَالُوا قَوْلاً لَا نُحْسِنُ مِثْلَهُ، وَقَرَأُوا قِرَاءَةً لَا نَقْرَأُ مِثْلَهَا..(١)

---

(١) وهذا لفظ الآجري في«الشريعة»(١٤٧٣) واللفظ عند ابن أبي شيبة(٧/ ٥٢٠).

(٢) في صحيح البخاري (٣٦٩٨) عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ، فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ، قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوؤُكَ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ الله بِأَنْفِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ، فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ قَالَ: هُوَ ذَاكَ، بَيْتُهُ أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ع، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوؤُكَ، قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ الله بِأَنْفِكَ، انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ.

(٣) كما في صحيح البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

وقالت أمُّ سلمةَ رضي الله عنها لما اختلفَ النَّاسُ على عثمانَ رضي الله عنه وهوَ يخطُبُ وتحاصَبُوا-: «إنَّ نبيَّكُمْ ﷺ ...الأثر. وقد تقدَّم. فهذا من الطعن عليه.

والظاهر أن بعض الأفاضل كانوا يأخذون على عثمان مآخذ، وبعضهم يود أن يخلع نفسه، وبعضهم كان ينهى عن ذلك.

فأخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: لَمَّا ذَكَرُوا مِنْ شَأْنِ عُثْمَانَ الَّذِي ذَكَرُوا أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ أَحْدَثَ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ فَمَا تَأْمُرُونِي؟ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ الرُّومِ وَفَارِسَ إِذَا غَضِبُوا عَلَى مَلِكٍ قَتَلُوهُ، قَدْ وَلَّاهُ الله الَّذِي وَلَّاهُ فَهُوَ أَعْلَمُ؛ لَسْتُ بِقَائِلٍ فِي شَأْنِهِ شَيْئًا.

وأخرج هو وغيره[٣] بسندٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ لِي عُثْمَانُ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ: مَا تَقُولُ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ؟ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يُرِيدُونَ خَلْعِي، فَإِنْ خُلِعْتُ تَرَكُونِي، وَإِنْ لَمْ أُخْلَعْ قَتَلُونِي، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ خُلِعْتَ أَتُرَاكَ مُخَلَّدًا فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَهَلْ يَمْلِكُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ تُخْلَعْ، أَيَزِيدُونَ عَلَى قَتْلِكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ تَسُنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ فِي الْإِسْلَامِ كُلَّمَا سَخِطَ قَوْمٌ عَلَى أَمِيرٍ خَلَعُوهُ، وَلَا تَخْلَعُ قَمِيصًا قَمَّصَكَهُ الله.

والظاهر- والله أعلم-

---

(١) وهو حديث صحيح ثابت لا مطعن فيه. أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٦٧)، وأبو داود فى «الزهد»(٣٣٢).

(٢) في«المصنف»(٧/ ٥٢٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥١٥) وابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٤٨).

أن أهل الفضل كلهم ندموا على ما كان من كلام لهم في حق عثمان في صورة مآخذ أو آراء في إدارته استغلَّها الخوارج- كما هي عادتهم في كل زمان- لبغيتهم الخبيثة قبَّحهم الله.

ولا يظن في أهل الفضل إلا أنهم قد ندموا، فهم ما قصدوا ما حصل أبداً.

وهل قال ابن عمر رضي الله عنه: «والله ما نعلم عثمان فعل شيئًا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئًا ولكن هو هذا المال إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطى أولي قرابته سخطتم»[(١)].

إلا لأنهم أخذوا عليه مآخذ في تقسيمه للمال، بل ماله.

وَعَنْ عبدِ الله بنِ عُكيمٍ[(٢)] التابعيِّ الجليلِ قالَ حينَمَا قُتلَ عثمانُ: « لا أعينُ على قتلِ خليفةٍ بعدَ عثمانَ أبداً،قالَ:فقيلَ لهُ:وأعنتَ على دَمِهِ؟ قالَ:إنِّي أعدُّ ذكرَ مساوئِهِ عوناً على دَمِهِ» [(٣)].

دفن عثمان رضي الله عنه

قد ورد عن عَبْدِ الله بْنِ فَرُّوخَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه دُفِنَ فِي ثِيَابِهِ بِدِمَائِهِ، وَلَمْ يُغَسَّلْ، ولم يصح بذلك سند فيما وقفت عليه.[(٤)] وهو غير معقول، ولذلك صحح ابن كثير أن جماعة من خدمه قامُوا بتغسيله وتكفينه، وقيل: إن الزبير صلى عليه ودفنه، كان أوصى إليه، والسند بذلك

---

(١) صحيح أخرجه الخلال في «السنة» (٥٤٦، ٥٤٩) وغيره بإسنادٍ صحيح.

(٢) وهو قد أدرك زمان النبي ﷺ وقيل: إن له صحبة.

(٣) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة والفسوي فى«المعرفة»(١/ ٥٨) وغيرهما.

(٤) فقد أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند »(٥٣١) وفي«زوائد الفضائل»(٨١٠) بسندٍ فيه لين.

منقطع[١]، وما يُذكر من أن عُثْمَان رضي الله عنه أَقَامَ مَطْرُوحًا عَلَى كُنَاسَةِ بَنِي فُلَانٍ ثلاثا فأتاه اثني عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ وَمَعَهُمْ مِصْبَاحٌ فَحَمَلُوهُ عَلَى بَابٍ وَإِنَّ رَأْسَهُ تَقُولُ عَلَى الْبَابِ طَقْ طَقْ حَتَّى أَتَوْا بِهِ الْبَقِيعَ فَصَلَّوْا عَلَيْهِ، فلم أقف على شيء ثابت في هذا.

وما ورد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: كُنْتُ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَغْفِرَ لِي ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ الله، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَقُولُ كَمَا تَقُولُ، قَالَ: إِنِّي كُنْتُ قَدْ أَعْطَيْتُ الله عَهْدًا إِنْ قَدَرْتُ أَنْ أَلْطِمَ وَجْهَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَطَمْتُهُ، فَلَمَّا قُتِلَ وَوُضِعَ عَلَى سَرِيرٍ فِي الْبَيْتِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، دَخَلْتُ كَأَنِّي أُصَلِّي، فَوَجَدْتُ خَلْوَةً، فَرَفَعْتُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَلَطَمْتُهُ، وَتَنَحَّيْتُ وَقَدْ يَبِسَتْ يَمِينِي، فَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ سَوْدَاءُ، كَأَنَّهَا عُودُ شِيزٍ، فلم يصح به سند فيما وقفت عليه.[٢]

وما يذكر من أن مُعَاوِيَة رضي الله عنه اعْتَنَى فِي أَيَّامِ إِمَارَتِهِ بِقَبْرِ عُثْمَانَ، وَرَفَعَ الْجِدَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَقِيعِ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَدْفِنُوا مَوْتَاهُمْ حَوْلَهُ حَتَّى اتَّصَلَتْ بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فمما لم أقف له على إسناد، ولا يليق بمعاوية رضي الله عنه أن يفعل هذه المخالفة التي هي

(١) أخرجه أحمد بسند منقطع كما بينته في تحقيقي لـ«لبداية والنهاية»(٧/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في«أصول الإعتقاد»(٢٣٦٣) بسند فيه قريب والد الأصمعي وهو غير محمود الرواية.وله طريق آخر عندالبخاري في«التاريخ الكبير» كما قال الحافظ في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٤٧) ومن طريق البخاري أخرجه ابن عساكر(٣٩/ ٤٤٦) وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة .

ذريعة الغلو، وحاشا للصحابة ﷺ أن يسكتوا على هذا لو حصل، والله المستعان.

كَيْفَ وَقَعَ قَتْلُ عُثْمَانَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ﷺ ؟

وجَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَبْلُغُ الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِهِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَكُونُوا يُحَاوِلُونَ قَتْلَهُ عَيْنًا، بَلْ طَلَبُوا مِنْهُ أَحَدَ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ إِمَّا أَنْ يَعْزِلَ نَفْسَهُ، أَوْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، أَوْ يَقْتُلُوهُ، فَكَانُوا يَرْجُونَ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَى النَّاسِ مَرْوَانَ، أَوْ أَنْ يَعْزِلَ نَفْسَهُ وَيَسْتَرِيحَ مِنْ هَذِهِ الضَّائِقَةِ الشَّدِيدَةِ.

وَأَمَّا الْقَتْلُ فَمَا كَانَ يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَقَعُ، وَلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ يجترءون عَلَيْهِ إِلَى مَا هَذَا حَدُّهُ، حَتَّى وَقَعَ مَا وَقَعَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

الثَّانِي:أَنَّ الصَّحَابَةَ مَانَعُوا دُونَهُ أَشَدَّ الْمُمَانَعَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا وَقَعَ التَّضْيِيقُ الشَّدِيدُ، عَزَمَ عُثْمَانُ عَلَى النَّاسِ أَنَّ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ وَيُغْمِدُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَفَعَلُوا[1]، فَتَمَكَّنَ أُولَئِكَ مِمَّا أَرَادُوا، وَمَعَ هَذَا مَا ظَنَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ يُقْتَلُ بِالْكُلِّيَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ لَمَّا اغْتَنَمُوا غَيْبَةَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ، وَلَمْ تَقْدِمِ الْجُيُوشُ مِنَ الْآفَاقِ لِلنُّصْرَةِ، بَلْ لَمَّا اقْتَرَبَ مَجِيئُهُمْ، انْتَهَزُوا فُرْصَتَهُمْ، قَبَّحَهُمُ اللهُ، وَصَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

---

(١) وتقدم بيان ذلك بالأسانيد.

الرَّابِعُ:أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجُ كَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْ مُقَاتِلٍ مِنَ الْأَبْطَالِ، وَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي الثُّغُورِ وَفِي الْأَقَالِيمِ فِي كُلِّ جِهَةٍ.

ومع هذا كان كثير من الصحابة اعْتَزَلَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَلَزِمُوا بُيُوتَهُمْ، وَمَنْ كَانَ يَحْضُرُ مِنْهُمُ الْمَسْجِدَ لَا يَجِيءُ إِلَّا وَمَعَهُ السَّيْفُ، يَضَعُهُ عَلَى حَبْوَتِهِ إِذَا احْتَبَى، وَالْخَوَارِجُ مُحْدِقُونَ بِدَارِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَرُبَّمَالو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذَلِكَ، وَلَكِنَّ كِبَارَ الصَّحَابَةِ قَدْ بَعَثُوا أَوْلَادَهُمْ إلى الدار يحاجفون عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، لِكَيْ تَقْدَمَ الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجئ النَّاسَ إِلَّا وَقَدْ ظَفِرَ أُولَئِكَ بِالدَّارِ مِنْ خَارِجِهَا، وَأَحْرَقُوا بَابَهَا، وَتَسَوَّرُوا عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَسْلَمَهُ وَرَضِيَ بِقَتْلِهِ، فَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَضِيَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، بَلْ كُلُّهُمْ كَرِهَهُ، وَمَقَتَهُ، وَسَبَّ مَنْ فَعَلَهُ (١).

وقد أخرج خليفة بن خياط(٢) قال حدثنا عبد الأعلى بن الهيثم قال حدثني أبي قال:قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال:لا، كانوا أعلاجاً من أهل مصر.

ثم حكى ابن كثير عن الذهبي في آخر ترجمة عثمان رضي الله عنه وفضائله بَعْدَ حكايته هذا الكلام أَنَّ:

«الَّذِينَ قَتَلُوهُ أَوْ أَلَّبُوا عَلَيْهِ قَتَلُوا إِلَى عَفْوِ الله وَرَحْمَتِهِ، وَالَّذِينَ خُذِلُوهُ خَذَلُوا وَتَنَغَّصَ عَيْشُهُمْ، وَكَانَ الْمُلْكُ بَعْدَهُ فِي نَائِبِهِ مُعَاوِيَةَ وبنيه، ثُمَّ فِي وَزِيرِهِ مَرْوَانَ وَثَمَانِيَةٍ

(١) من كلام ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»(٧/ ٣٥٤).

(٢) في«تاريخه» ص ١٠٥.

مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، اسْتَطَالُوا حَيَاتَهُ وَمَلُّوهُ مَعَ فَضْلِهِ وَسَوَابِقِهِ، فَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ مَنْ هُوَ مِنْ بَنِي عَمِّهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً، فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ. وَهَذَا لفظه بحروفه». اهـ

وهذا استقراءٌ صحيحٌ إن شاء اللهُ، والجزاءُ مِن جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، وهو المتوقع من الله تعالى حقاً لأمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وَزَوْجُ الِابْنَتَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشُّورَى، وَأَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَصَتْ لَهُمُ الْخِلَافَةُ مِنَ السِّتَّةِ، ثُمَّ تَعَيَّنَتْ فِيهِ بِإِجْمَاعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﷺ، وثَالِثَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، الْمَأْمُورِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ...إلخ

وقد أخرج عبد الرزاق[1] بسندٍ صحيح عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عُثْمَانَ التَّيْمِيَّ عَنْ صَلَاةِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله قَالَ: إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ عَنْ صَلَاةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: «لَأَغْلِبَنَّ اللَّيْلَةَ النَّفَرَ عَلَى الْحِجْرِ يُرِيدُ الْمَقَامَ قَالَ: «فَلَمَّا قُمْتُ إِذَا رَجُلٌ يَزْحَمُنِي مُتَقَنِّعًا».

قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ، فَصَلَّى، فَإِذَا هُوَ يَسْجُدُ سُجُودَ الْقُرْآنِ، حَتَّى إِذَا قُلْتُ: «هَذَا هُوَ أَذَانُ الْفَجْرِ، أَوْتَرَ بِرَكْعَةٍ لَمْ يُصَلِّ غَيْرَهَا ثُمَّ انْطَلَقَ».

وأخرج الخلال[2] وغيره بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَتْ نَايِلَةُ بِنْتُ الْفُرَافِصَةِ: «إِنْ تَقْتُلُوهُ، أَوْ تَدَعُوهُ، فَقَدْ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ فِي رَكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا الْقُرْآنَ، يَعْنِي عُثْمَانَ».

---

(١) برقم (٤٦٥٣).

(٢) في «السنة» برقم (٤٢٨) والآجري في «الشريعة» (١٤٦١).

وقد كان حسن السيرة في الرعيَّة ينظر في مصالحها رضي الله عنه.

فأخرج أحمد [١] بسندٍ صحيح عنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ:سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُقِيمُ الصَّلاةَ، وَهُوَ يَسْتَخْبِرُ النَّاسَ، يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَأَسْعَارِهِمْ.

ذكر من توفي في خلافة عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين ما ذكره الذهبي رحمه الله[٢]:

- أَنَسُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيُّ النَّجَّارِيُّ، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا رضي الله عنه.

- وأَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ، أَخُو عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيِّانِ، شَهِدَ بدراً.

- وخُبَيْبُ بن يساف بن عتبة الْأَنْصَارِيُّ أَحَدُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وسَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيُّ، يُقَالُ لَهُ صُحْبَةٌ، كَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ الْمَذْكُورِينَ، وَالْفُرْسَانِ الْمَشْهُورِينَ، وَلَّاهُ عُمَرُ قَضَاءَ الْكُوفَةِ، ثُمَّ وَلِيَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ إمرة على قتال الترك، فقتل ببلنجر.

- عَبْدُ الله بْنُ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسٍ الْقُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ، هَاجَرَ هُوَ وَأَخُوهُ قَيْسٌ إِلَى الحبشة وكان من سادات الصحابة، وهو القائل: يا رسول الله فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ: «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**» [٣].

---

(١) برقم(٥٤٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٨٠ فما بعدها).

(٣) وحديثه في صحيح البخاري(٧٠٨٩) مسلم (٢٣٥٩).

- أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَحَدُ نقباء ليلة العقبة، وقيل إنه فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ وَالله أَعْلَمُ.

-الْمُسَيَّبُ بْنُ حَزْنِ بْنِ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيُّ، شَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَهُوَ وَالِدُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ سَيِّدِ التَّابِعِينَ .

- مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ الْأَنْصَارِيُّ شَهِدَ بَدْرًا، وَضَرَبَ يَوْمَئِذٍ أَبَا جَهْلٍ بِسَيْفِهِ فَقَطَعَ رِجْلَهُ.

- مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، وُلِدَ لِأَبِيهِ وَهُوَ بِالْحَبَشَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ خَيْبَرَ..وغيرهم

خِلَافَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

هو أول من أسلم وآمن بالنبي ﷺ من الصبيان.[1] صاحب المناقب والفضائل العليَّة، وَهَاجَرَ عَلِيٌّ بَعْدَ خُرُوجَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ بِقَضَاءِ دُيُونِهِ وَرَدِّ وَدَائِعِهِ، ثُمَّ يَلْحَقُ بِهِ، فَامْتَثَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، ثُمَّ هَاجَرَ كما بينته في كتابي«صحيح السيرة النبوية».

وشَهِدَ عَلِيٌّ بَدْرًا وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِيهَا، فقد بَارَزَ يومئذٍ، فَغَلَبَ

---

(١) ففي مصنَّف عبد الرزاق(١٨٦٧٨)بسندٍ صحيح عن ابن عباس في ذكر مناظرته للخوارج قال لهم : «..أَخْبِرُونِي مَا تَنْقِمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺوَخَتَنِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ع مَعَهُ؟...» وهي حجة قوية لإثبات أوليَّه إسلام علي رضي الله عنه، وفيه ردٌ لى ما قاله ابن كثير في«البداية والنهاية» (٧/ ٣٨٤) حيث قال:« وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَوَّل مَنْ أَسْلَمَ وَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ إِلَيْهِ.وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ أَوْرَدَهَا ابْنُ عَسَاكِرَ كَثِيرَةٌ مُنْكَرَةٌ لَا يصح شئ مِنْهَا وَالله أَعْلَمُ» .

وَظَهَرَ وَفِيهِ وَفِي عَمِّهِ حَمْزَةَ وَابْنِ عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثَّلَاثَةِ - عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ - نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى «**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**» .

وَشَهِدَ عَلِيٌّ أُحُدًا وَكَانَ عَلَى الميمنة ومعه الراية بعده مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وباشر هو وفاطمة مداواة وَشَهِدَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. وَشَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَشَهِدَ خَيْبَرَ وَكَانَتْ لَهُ بِهَا مَوَاقِفُ هَائِلَةٌ، وَمَشَاهِدُ طَائِلَةٌ، مِنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، ويحبه الله ورسوله**» فبات الناس يذكرون أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَدَعَا عَلِيًّا- وَكَانَ أَرْمَدَ- فَدَعَا لَهُ، وَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ فَلَمْ يَرْمَدْ بَعْدَهَا، فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَفَتَحَ الله عَلَى يَدَيْهِ، وَقَتَلَ مَرْحَبًا الْيَهُودِيَّ، وَشَهِدَ الْفَتْحَ وَحُنَيْنًا وَالطَّائِفَ، وَقَاتَلَ فِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ قِتَالًا كَثِيرًا، وَاعْتَمَرَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى تَبُوكَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وتولى شأن غسل النبي ﷺ.

ذِكْرُ بَيْعَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بالخلافة

ابتداءً!

علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أحق أهل الأرض مِن أُمَّة محمد ﷺ بالإمَامَة في ذلك الوقت.

قال ابن بطال رحمه الله[1]:

«لاخلاف بين الأمَّة أن عَلياً أحَقُّ بالإمَامَة مِن جَمِيعِ أهْل زمَانَه» .

قال المهلَّب رحمه الله:

(١) في«شرح البخاري» (٥/ ٢٩٠).

«إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَنْقُلْ أَنَّ عَائِشَةَ وَمَنْ مَعَهَا نَازَعُوا عَلِيًّا فِي الْخِلَافَةِ وَلَا دَعَوْا إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ لِيُوَلُّوهُ الْخِلَافَةَ».(١)

وأخرج الخلال(٢)بإسنادٍ صحيح عن أبي صالح، قال:«كان الحادي يحدو بعثمان، وهو يقول: إن الأمير بعده عليّ... وفى الزبير خلف رضي.

قال: فقال كعب: لا ولكنه صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - فقيل لمعاوية: إن كعباً يسخر بك، يزعم أنك تلي هذا الأمر، فأتاه فقال: يا أبا إسحاق وكيف وهاهنا عليٌّ والزبير وأصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال: أنت صاحبها » .

فدل هذا على أن المعروف عند الجميع تقديم علي رضي الله عنه .

وقد نقل الحافظ (٣)**تلخيص ابنِ شبَّة لموقعةِ الجملِ، وفيه:**

«إن أحداً لم ينقل أن عائشة رضي الله عنها ومن معها نازعوا علياً رضي الله عنه فى الخلافة، ولا دعوا إلى أحدٍ منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على عليٍّ رضي الله عنه أنه لم يسلِّم قتلة عثمان رضي الله عنه ولم يقصّ منهم، وكان علي رضي الله عنه ينتظر من أولياء عثمان رضي الله عنه أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحدٍ بعينه أنه ممن قتل عثمان رضي الله عنه اقتصَّ منه ...» .

قلت«**محمد**» والظن بمن هو دون علي رضي الله عنه أن لا يتوانى في ذلك لحظة ولكن بحكمة بسبب الظروف المحيطة بالفعل، وإلا فقد قرنا بصحيح السند أنه لعن قتلة عثمان في السهل والجبل.

---

(١) حكاه الحافظ في«الفتح»(١٣/ ٥٦).

(٢)فى «السنة»(٣٤٨، ٧٠٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٣) وغيرهما.

(٣) فى «الفتح» (١٣/ ٥٦).

وقد قيل: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ طَلْحَةُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَكَانَتْ شَلَّاءَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ - لَمَّا وَقَى بِهَا رَسُولَ الله ﷺ - فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: وَالله إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ، وَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَعِمَامَةُ خَزٍّ وَنَعْلَاهُ فِي يده، توكأ عَلَى قَوْسِهِ، فَبَايَعَهُ عَامَّةُ النَّاس.

ولم أقف على أسانيد بذلك، ولا يلزم مبايعة الجميع، فإذا بايع جماعة قبل مبايعة أحد لزم مبايعة.

وقد أخرج اليزيدي في«أماليه»[1]عن جرير بن حازم قال لما قدم طلحة والزبير رحمهما الله البصرة يطالبان بدم عثمان رضي الله عنه لقيهما عبد الله بن حكيم المجاشعي بالمربد بكتب كتبها إليهم طلحة يؤلبهم على عثمان رضي الله عنه فقال له ابن حكيم أتعرف هذه الكتب قال نعم قال فما حملك على التأليب عليه بالأمس والطلب بدمه اليوم وقد دعاك علي عليه السلام والزبير معك فعرض عليكما أن بايعا، وبايعتماه ثم جئتما ناكثين تقاتلانه؟

فقال طلحة: إنما عرض علينا ذلك حين اجتمع له الناس وعرفنا أنا إن أبينا عليه بيعته أنه قاتلنا فبايعنا كرهاً ولم نجد في دم عثمان وما صنعنا به شيئاً غير التوبة والطلب بدمه.

وفي إسناده من لم أعرفه، وجرير لم يدرك الحدث، وفي معنى الأثر نكارة.

وما يُذكَرمن أن الزُّبَيْرَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّمَا بَايَعْتُ عَلِيًّا واللجّ على عنقي والسلام، ثم راح إلى مكة فأقام أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ

(١) ص ١٠٧.

وأيضاً: لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ بَيْعَةِ عَلِيٍّ دَخَلَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرُءُوسُ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَطَلَبُوا مِنْهُ إِقَامَةَ الْحُدُودِ، وَالْأَخْذَ بِدَمِ عُثْمَانَ. فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَهُمْ مَدَدٌ وَأَعْوَانٌ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ يَوْمَهُ هَذَا، فَطَلَبَ مِنْهُ الزُّبَيْرُ أَنْ يُوَلِّيَهُ ...ولم أقف على شيء ثابت في ذلك.

وقد ذكروا أشياء كثيرة في كتب التاريخ، وهي تحتاج إلى تثبيت أسانيد.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَصَدَ قُسْطَنْطِينُ بْنُ هِرَقْلَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَلْفِ مَرْكَبٍ، فَأَرْسَلَ الله عَلَيْهِ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَغَرَّقَهُ الله بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَمَنْ مَعَهُ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلا الملك في شر ذمة قَلِيلَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ صِقِلِّيَةَ عَمِلُوا لَهُ حَمَّامًا فَدَخَلَهُ فَقَتَلُوهُ فِيهِ، وَقَالُوا: أَنْتَ قَتَلْتَ رِجَالَنَا.[1] ولم أقف في ذلك على شيء ثابت.

كراهية علي ﷺ تولي الإمارة

أخرج الخلال[2] بسندٍ حسن عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، فَقَامَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قُتِلَ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلَا نَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ، أَقْدَمَ مَشَاهِدًا وَلَا أَقْرَبَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «لَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي وَزِيرٌ خَيْرٌ مِنِّي أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا» ، فَقَالُوا: لَا وَالله مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ. قَالَ: فَفِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي بَيْعَتِي أَنْ تَكُونَ خَفِيًّا، وَلَا

---

(١) والملك قُسْطَنْطِينُ هذا هو الذي كان قائد الروم حين أسروا عبد الله بن حذافة فأسرته الروم، وأن عمر كتب إِلَى قسطنطين يتوعده بأن يغزوه بنفسه إن لم يخل سبيل عَبْد الله بْن حذافة فخلاه فمات عَبْد الله فِي أيام عُثْمَان بْن عَفَّان، وقد تقدَّم أن هذا كله لا يصح به سند كما تقدَّمت الإشارة إليه.

(٢) في«السنة»(٦٢٣) وفي رواية الآجري في«الشريعة»(١٢١٥):«قال أَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ »

تَكُونَ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». قَالَ: فَقَامَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ: فَلَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُشْغَبَ عَلَيْهِ، وَأَبَى هُوَ إِلَّا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا دَخَلَ جَاءَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَبَايِعُوا وَبَايَعَ النَّاسُ.

ثُمَّ دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَقَدْ تَوَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه الْخِلَافَةَ، وَوَلَّى عَلَى الْأَمْصَارِ نُوَّابًا.

وبعض الناس لم يبايعوا علياً واشترطوا تسليم قتلة عثمان أولاً لأنه قتل مظلوماً، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، ومعه طلحة والزبير، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم.

وفي هذه السنة توفي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

إمامٌ خبيرٌ بمكامن الفتن والشرّ، حتى كان عمر رضي الله عنه يسأله عن أسماء المنافقين، فسأله: هل سماني النبي ﷺ لك في المنافقين ؟

أخرج ابن شبَّة [1] بسندٍ حسن عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا حُذَيْفَةُ جَعَلَ يَقُولُ: «أَيُّ اللَّيْلِ هَذَا؟» ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، مَا شَهِدْتُ، وَلَا قَتَلْتُ وَلَا مَالَأْتُ عَلَى قَتْلِهِ».

سبب النزاع والخلاف بين طائفة علي وطائفة معاوية رضي الله عنهما.

وابتداءُ وقعة الجمل:

قال ابن كثير: وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيًّا أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: وَالله إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ

(١) في «تاريخ المدينة المنورة» (٤/ ١٢٤٨).

مِنِّي وَأَفْضَلُ، وَأَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ وَأَمْرُهُ إِلَيَّ؟ فَقُولُوا لَهُ: فَلْيُسَلِّمْ إِلَيَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ وَأَنَا أُسَلِّمُ لَهُ أَمْرَهُ.

فَأَتَوْا عَلِيًّا فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحَدًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّام عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ[١].

من احتجاجات معاوية في عدم مبايعته لعلي رضي الله عنه:

احتج معاويةُ رضي الله عنه كاتبُ وحي رب العالمين وخالُ المؤمنين ملك الإسلام - فى إصراره على عدم مبايعة علي رضي الله عنه باحتجاجات.

منها: ما ذكره ابن كثير[٢] أن معاوية رضي الله عنه قال:«لا أبايع علياً حتى يُسلمني قتلة عثمان، فإنه قُتل مظلوماً، وقد قال الله-عز وجل-:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} الإسراء:٣٣.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ما زلت موقناً أن معاوية سَيلي الملك والسلطان من هذه الآية[٣].

وقد ورد عن معاوية رضي الله عنه أنه قال:«وَاللهِ مَا حَمَلَنِي عَلَى الْخِلَافَةِ إِلَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِي: «**يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ**» ولهذا شواهد[١].

---

(١) وقال الحافظ فى «الفتح» (١٣/ ٨٦) ط. دار المعرفة: «ذكر يحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ البخاري فى كتاب «صفين» فى تأليفه بسندٍ جيدٍ عن أبي مسلم ...» فذكره.

(٢) كما في«البداية والنهاية»(٨/ ١٨٢).

(٣) ولكن أخرجه الطبراني فى «الكبير» (١٠/ ٣٢٠) رقم (١٠٦١٣) بنحوه، وقال الهيثمي فى «المجمع» (٧/ ٢٣٦) عن إسناده: «فيه من لم أعرفه».

فله شاهد من حديث معاوية رضي الله عنه:

فأخرج أحمد[٢] بإسنادٍ حسن عن أبي أُمَيَّةَ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ، يُحَدِّثُ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، أَخَذَ الْإِدَاوَةَ بَعْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ يَتْبَعُ رَسُولَ الله ﷺ بِهَا، وَاشْتَكَى أَبُو هُرَيْرَةَ، فَبَيْنَا هُوَ يُوَضِّئُ رَسُولَ الله ﷺ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ يَتَوَضَّأ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْرًا فَاتَّقِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَاعْدِلْ**» ، قَالَ: فَمَازِلْتُ أَظُنُّ أَنِّي مُبْتَلًى بِعَمَلٍ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى ابْتُلِيتُ .

قلت «محمد» وما يذكر في كتب التاريخ من أن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَامَتْ فِي النَّاسِ تَخْطُبُهُمْ وَتَحُثُّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِطَلَبِ دَمِ عُثْمَانَ، وَذَكَرَتْ مَا افْتَاتَ بِهِ أُولَئِكَ مِنْ قَتْلِهِ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ وَشَهْرٍ حرام، ولم يراقبوا جِوَارَ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ سَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ.

فَاسْتَجَابَ النَّاسُ لَهَا،وَطَاوَعُوهَا عَلَى مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَمْرِ بالمصلحة، وقالوا لها: حيثما سِرْتِ سِرْنَا مَعَكِ..فلم أقف على سندٍ صحيح بهذا.

---

(١)أخرجه البيهقي فى «الدلائل» (٢٨٠٣) وفى إسناده إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، وهو: «ضعيف» .

وأخرجه أحمد (٤/ ١٠١)، والأسانيد بهذا الحديث كلها غير سالمة، وحصل مني سهو عند تعليقي على «البداية والنهاية» فجزمت لإسناد أحمد بالصحة، وما انتبهتُ من إرسال فيه، غفر الله الزلل. وقد ساق الذهبي فى «السير» (٣/ ١٣١) طرقاً بنحو الخبر، وقال: « ضعيفة تحتمل» ، وإلى هذا أومأ البيهقي – أعني إلى التقوية –، فقال فى «الدلائل» عقب إخراج بعض طرقه: « إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف، إلا أن للحديث شواهد»، وحكاه ابن كثير فى «تاريخه» (٨/ ٢٩٨) عنه كالمقر له، وزاد طرقاً له أخرى.

(٢) برقم (١٦٩٣٣) وأبو يعلى (٧٣٨٠) .

والظاهر: أنها ذهبت لتصلح، فتاجر الذين يزايدون بوجودها في صفوف معاوية فكان ما كان، ولذا خاطب من احتج بها وادعى أنها تحث الناس للقتال، وتحرِّضهم على ذلك،[١] ولما وقع ما لم تكن تتوقعه- فضلاً عن أن تدعوا الناس إليه- ندمت جداً كما سيأتي بيانه في موطنه.

والحاصل:أن الناس اجتمعوا قاصدين البصرة إلى معاوية، وفتنوا بمسير عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، والذي أعلمه حسب الروايات الصحيحة أنه لم يكن من أعيان الصحابة رضي الله عنهم في صفوف معاوية إلا :

طلحة بن عبيد الله ،والزبير بن العوام، وعبد الله ابنه، وعمرو بن العاص وعبدالله ابنه- ولم يكن يقاتل – وأبو غادية الذي ورد ذكره في قتل عمار رضي الله عنهم كما سيأتي بيانه.

وأما صفوف علي فكان فيهم عدد كثير جداً أعلاهم قدراً عمار بن ياسر، الذي قد قال النبي ﷺ:« **وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**» [٢]. والحسن بن علي، وغيرهم.

وقد اعتزل هذه الفتن كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم :

منهم:أسامة بن زيد رضي الله عنه :

أخرج البخاري عن حَرْمَلَة مولى أسامة بن زيد قَالَ: أَرْسَلَنِي

---

(١) ومن هنا قال عمار بن ياسر للناس الذين فتنوا بوجودها: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَالله إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ع فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ» أخرجه البخاري(٧١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري(٤٤٧) ومسلم (٢٩١٦).

أُسَامَةُ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: «لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ»(١).

ومنهم: أبو بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه:

أخرج البخاري(٢) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**».

وقد كان يحذر رضي الله عنه من ذلك:

أخرج البخاري وغيره(٣) عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟، قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله - عليه السلام - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله - عليه السلام - يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قَالَ فَقُلْتُ: أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ الله هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ».

ومنهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

أخرج مسلمعن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ

(١) برقم (٧١١٠).

(٢) برقم (٤٤٢٥) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨) واللفظ له.

فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ**»(١).

ومنهم: محمد بن مسلمة رضي الله عنه وغيره لحديث سمعه من النبي ﷺ.

هكذا، تقدم أن الناس في أمر عثمان لما خرج عليه الخوارج السفهاء انقسم الناس إلى فرق:

فرقة مع عثمان قلباً وقالباً، وفرقة ضدَّه قلباً وقالباً، وفرقة ثالثة لها عليه مآخذ يرددونها، لكن لا يرون قتله، وأخرى رابعة اعتزلت كل ذلك.

ونجم عن ذلك ما كان من قتال بعد بين طائفة علي وطائفة معاوية تفرُّق الناس أيضاً: قسم مع علي، وآخر مع معاوية يطالبون بدم عثمان لكونه قتل مظلوماً، وطائفة ثالثة اعتزلت كل هذا.

فلم يبصرالخوارج سفهاء الأحلام كل هذه المفاسد، التي دارت فيها رحى الإسلام إلى يوم الناس هذا، بالسنن السيئة التي يحملون وزرها إلى يوم القيامة، لكونهم أول من سنُّوا الخروج على الحكام.

عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الطريق إلى البصرة

أخرج أحمد(٢) بإسنادٍ صحيح عن قَيْسٌ قَالَ : لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتِ الْكِلَابُ، قَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي

(١) برقم (٢٩٦٥).

(٢) برقم (٢٤٢٥٤).

إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ، فَيُصْلِحُ الله عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟**».

والظاهر أنها لما ذهبت إلى البصرة قتل من الفريقين حول جملها قتلى كثيرة ونجت بعد ما كادت، والله المستعان.

فقد أخرج ابن أبي شيبة[١] بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«**أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الأَدْبَبِ ، يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرَةٌ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ**»[٢].

وأصحاب السير يذكرون قتلى كثير حول جملها وهي عليه في الهودج، ولذا سميت موقعةُ الجمل، لوجود جمل عائشة رضي الله عنها ثمَّ، ولكن هناك تفاصيل وتفريعات لم أقف لها على أسانيد ثابتةٍ.

وأما ما يذكر في الكتب من أن عائشة رضي الله عنها عَزَمَتْ عَلَى الرُّجُوعِ فَأَتَاهَا عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْمَاءَ الْحَوْأَبُ، وَجَاءَ بِخَمْسِينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَشَهِدُوا وَحَلَفُوا عَلَى صِدْقِ عَبْدِ الله.فلا أعلم أنكر منه، إذ يظهر الصحابي أنه شهد زوراً، أو شهد شهادة زور في الاسلام، وهو لا يُعتمد ولم أقف له على سند ثابت!

---

(١) في«المصنف» (١٥/ ٢٦٤) ط عوامة.

(٢) وسنده وإن كان صحيحاً، وصححه القرطبي كما في«التذكرة» إلا أن أبا حاتم وأبا زرعة قالا:«هذا حديث منكر» راجع علل ابن أبي حاتم (٢٧٨٧)وراجع كتابي«الفوائد النيرة»(١٢٨٠).

إرسال على بن أبي طالب رضي الله عنه لاستفزاز أهل الكوفة وغيرهم للقتال

أخرج البخاري[١] عن أبي وَائِلٍ شقيق بن سلمة قال: دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّارٍ، حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيٌّ إِلَى أَهْلِ الكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، فَقَالاَ: مَا رَأَيْنَاكَ أَتَيْتَ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدَنَا مِنْ إِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الأَمْرِ مُنْذُ أَسْلَمْتَ؟[٢] فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَا رَأَيْتُ مِنْكُمَا مُنْذُ أَسْلَمْتُمَا أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمَا عَنْ هَذَا الأَمْرِ»[٣] وَكَسَاهُمَا حُلَّةً حُلَّةً[٤]، ثُمَّ رَاحُوا إِلَى المَسْجِدِ.

وفي رواية[٥] عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي مَسْعُودٍ، وَأَبِي مُوسَى، وَعَمَّارٍ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: مَا مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا لَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ فِيهِ غَيْرَكَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْكَ شَيْئًا مُنْذُ صَحِبْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَعْيَبَ عِنْدِي مِنَ اسْتِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ عَمَّارٌ: «يَا أَبَا مَسْعُودٍ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْكَ وَلاَ مِنْ صَاحِبِكَ هَذَا شَيْئًا مُنْذُ صَحِبْتُمَا النَّبِيَّ ﷺ أَعْيَبَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمَا فِي هَذَا الأَمْرِ» فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُوسِرًا: يَا غُلاَمُ هَاتِ حُلَّتَيْنِ، فَأَعْطَى إِحْدَاهُمَا أَبَا مُوسَى وَالأُخْرَى عَمَّارًا، وَقَالَ: رُوحَا فِيهِ إِلَى الجُمُعَةِ.

---

(١) برقم (٧١٠٢).

(٢) أي :إسراعك في استنفار الناس لقتال بعضهم بعضاً.

(٣)إبطائكما عن هذا الأمر:وهو نصرة الإمام الحق.

(٤) كساهما: أعطاهما والمعطي هو أبو مسعود ت، والحلة: ثوبين من نوع واحد أو إزارا ورداء.

(٥) في صحيح البخاري(٧١٠٥).

نهي الحسن بن علي رضي الله عنه والده عن الذهاب والقتال

أخرج عبد الله بن أحمد[١] بسندٍ صحيح عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: قَالَ: عَلِيٌّ رضي الله عنه لِابْنِهِ الْحَسَنِ يَوْمَ الْجَمَلِ:«يَا حَسَنُ، لَيْتَ أَبَاكَ مَاتَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً» قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: يَا أَبَتِ قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا. قَالَ: «يَا بُنَيَّ لَمْ أَرَ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا».

موقف أخيه محمد بن على بن أبي طلب ابن الحنفية مع أبيه

أخرج ابن سعد[٢] بإسنادٍ حسن عَنْ مُنْذِرٍ الثوري قال:سمعت محمد ابن الْحَنَفِيَّةَ يَقُولُ. وَذَكَرَ يَوْمَ الْجَمَلِ قَالَ: لَمَّا تَصَافَفْنَا أَعْطَانِي عَلِيٌّ الرَّايَةَ فَرَأَى مِنِّي نُكُوصًا لَمَّا دَنَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَأَخَذَهَا مِنِّي فَقَاتَلَ بِهَا. قَالَ فَحَمَلْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. فَلَمَّا غَشِيْتُهُ قَالَ: أَنَا عَلَى دِينِ ابن أَبِي طَالِبٍ.فَلَمَّا عَرَفْتُ الَّذِي أَرَادَ كَفَفْتُ عَنْهُ.فَلَمَّا هُزِمُوا قَالَ عَلِيٌّ: لا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَلا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا. وَقُسِمَ فَيْؤُهُمْ بَيْنَهُمْ مَا قُوتِلَ بِهِ مِنْ سِلاحٍ أَوْ كُرَاعٍ. وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مَا أَجْلَبُوا بِهِ عَلَيْنَا مِنْ كُرَاعٍ أَوْ سِلاحٍ.

ذِكْرُ مَسِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

مِنْ المدينة إلى البصرة (العراق)

يذكر أصحاب السير هنا مناوشات، وتحريض من عائشة على القتال لقتلة عثمان ولم أقف على شيء ثابت في هذا، بل الأليق أن يكون ترويج الكذابين، وقد بدأ القتال بين الفريقين في موقعة الجمل، وقد اجتمع في صفوف معاوية كثير ظنّاً

(١) في«السنة»(١٣٩٧) .

(٢) في«الطبقات الكبرى»(٥/ ٦٨).

منهم أن عائشة ترى القتال، وخرجت له، فَتُوجِر بمقامها واجتمعوا في مواجهة علي، فكان القتال .والحق كان مع علي رضي الله عنه لأمور:

أولها:قوله ﷺ:« **بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ**» (١).

وقد قتلته طائفة معاوية رضي الله عنه كما سيأتي في موطنه.

ثانيها: قوله ﷺ بشأن الخوارج لما مرقوا:«**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ،فَيَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**».(٢)وقد قتلتهم طائفة علي رضي الله عنه .

ثالثها: الوارد في قوله ﷺ للزبير بن العوام الذي كان في صفوف معاوية:«**لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنتَ لَهُ ظَالِمٌ**» وهذا فيما صححه بعض العلماء، ولنا تنظير على تصحيحه بيناه في كتابنا«التوضيحات الجلية» .

رابعها: تخطئة عائشة رضي الله عنها لنفسها، وندمِها على خروجها لما خرجت له، واعترفت لعمار الابن ياسر رضي الله عنه فيما سيأتي إن شاء الله.

وعائشة رضي الله عنها أخطأت في خروجها ذلك لأدلة:

منها: قولُ عمارٍ؛ إِذْ خَطبَ أَهلَ الكُوفةِ يَستفزَّهم لِيَكونوا مَع عَليَّ رضي الله عنه صَاحبِ الطَائفةِ المُحقةِ، وَقَدْ رَأَى عَائشةَ بِجَملها بَين صُفوفِ مُعاويةَ أَو مَعَهم، قَال عَمارُ المُنصفُ فِى خطبتِه عَن عَائشةَ أمِّ المؤمنينَ:«إِنِّي لأَعْلمُ أَنَّها زَوجتُه- أي نبيكم - فِى الدُنيا وَالآَخِرة، وَلكنَّ اللهَ ابتَلاكُمْ بها ليعلمَ تتبعوهُ أو إيَّاها».(٣)

---

(١) أخرجه مسلم(٢٩١٥)

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٤).

(٣) مَا أَخْرجهُ البُخاريُّ (٣٧٧٢).

وَفى رواية[١] قَال: «إِنَّ عَائشةَ قَدْ سَارتْ إِلى البَصرةِ، وَالله إِنَّها لَزوجةُ نبيِّكُم فِى الدنيا والآخرةِ، وَلكنَّ اللهَ تَبَارك وَتَعالى ابْتَلاكُم لِيعلمَ إِيَّاهُ تُطيعونَ أَمْ هي»، هذا عن رأي عائشة رضي الله عنها ودخولها فى ذاكَ المُعْتَركِ.

فَكَيف بِغَير عَائشةَ رضي الله عنها مِمَّن لا مقارنة بينهُما أصلاً فِى مِثْل هذه الأُمور؟!

ومنها: ما أخرجه الطَبري[٢] بإسنادٍ صَححهُ الحَافظُ[٣] عَن أَبي يَزيدَ المديني قَال: قَال عمَّارُ ابنُ يَاسرٍ رضي الله عنه لِعَائشة رضي الله عنها حِين فَرغ القَومُ - يعني من وقعة الجمل -: يَا أَمَّ المؤمنينَ؛ مَا أَبعد هَذا المَسير مِن العَهدِ الَّذى عُهِدَ إليكِ، قَالت: أَبُو اليَقْظَان؟ قَال: نَعم، قَالتْ: وَالله إِنَّكَ ما علمتُ قوَّالٌ بالحقِ، قَالَ: الحمدُ لله الَّذى قَضَى لي عَلَى لِسَانِك».

ويظهرُ لي واللهُ أعلمُ أنه إما أرادَ العهدَ الذى أخذهُ اللهُ تعالى على النساءِ جميعاً حيثُ قال: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} الأحزاب:٣٣) وهي قد خرجت من بيتها.

أَو العَهدَ الخَاصَّ الَّذى أَخَذهُ رسول الله ﷺ عَلَى أُمهاتِ المُؤمنينَ خاصَّة عَقبَ الحجة الوَحِيدة التى حَججنَها معَهُ: «**هَذه ثُمَّ ظُهور الحصرِ**»، وهي قَد خَرَجَتْ.

فقد أخرجَ الإمامُ أحمدُ[٤] بإسنادٍ حسن- وهو صحيحٌ لشواهِدِه-عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «أَن رسول الله ﷺ لَمَّا حجَّ بنسائِه قال: «**إنما هي هذه الحجةُ ثم الْزَمْنَ ظهورَ الحصرِ**»، أي: لا تَخرُجنَ من البيتِ ولا حتَّى للحجِّ بعد هذِه الحجةِ.

---

(١) برقم(٧١٠٠).

(٢) فِى «تَاريخه» (٣/ ٦١، ٧٦).

(٣) فى «الفتح» (١٣/ ٥٨).

(٤) فِي«المسند» (٢/ ٤٤٦).

أَو أَنَّه قَصَدَ قولَه ﷺ لأمهاتِ المُؤمنين عَلَى وَجه الإِنكارِ عَليهنَّ الخُروج: «...**أيتُكُنَّ تَنْبُح عَليهَا كِلابُ الحوأبِ**».(١)

ومنها: أنها ندمت على خروجها كما تقدَّم في خطابها لعمار بن ياسر رضي الله عنه.

وأخرج ابن عبد البر(٢) معلقاً ووصله ابن عساكر(٣) واللفظ له بإسنادٍ ثابت حسن عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة لابن عمر: «ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيتُ رجلاً قد استولى على أمرك وظننت أنكِ لن تخالفيه، يعني ابن الزبير، قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت، قال: وكانت تقول: إذا مر ابن عمر فأرونيه، فإذا مر قيل لها: هذا ابن عمر، فلا تزال تنظر إليه».

وأصرح من هذا ما رواه الحاكم(٤) بسندٍ حسن عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ ثَكِلْتُ عَشْرَةً مِثْلَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَأَنِّي لَمْ أَسِرْ مَسِيرِي مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ».

ندم الزبير بن العوام رضي الله عنه على قتاله ومشاركته تلك

عَنْ مُطَرِّفِ بن عبد الله بن الشخير قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، مَا جَاءَ بِكُمْ ضَيَّعْتُمُ الْخَلِيفَةَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: «إِنَّا قَرَأْنَاهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

---

(١) وَقَد أَخرَجه أحمد في«المسند» (٦/ ٥٢) بإسنادٍ صحيح، وَقَد نَبَحتْ عَليهَا كِلابُ الحوأبِ وَهِي فى طريقِها إِلى الشام، عند وادي الحوأبِ كما تقدم.

(٢) فى «الاستيعاب» (١/ ٢٧٥).

(٣) فى «تاريخ دمشق» (٣١/ ١١٠).

(٤) في«المستدرك»(٣/ ١٣٨) وهو في كتاب ابن أبي الدنيا في المتمنين(٦٤) أيضًا.

مِنْكُمْ} خَاصَّةً[الأنفال: ٢٥] لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ.(١)

ومن ندم الزبير بن العوام رضي الله عنه

ما أخرجه ابن أبي شيبة(٢) بسندٍ حسن عَنِ الْحَسَنِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ} [الأنفال: ٢٥] قَالَ: لَقَدْ نَزَلَتْ وَلَا نَدْرِي مَنْ يُخْلَفُ لَهَا»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَبَا عَبْدِ الله فَلِمَ جِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّا نُبْصِرُ وَلَكِنَّا لَا نَصْبِرُ».

رؤيا عائشة رضي الله عنها بشأن موقعة الجمل قديماً

أخرج الحاكم (٣) بسندٍ صحيح عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ، رضي الله عنها: «إِنِّي رَأَيْتُنِي عَلَى تَلٍّ وَحَوْلِي بَقَرٌ تُنْحَرُ» فَقُلْتُ لَهَا: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لَتَكُونَنَّ حَوْلَكَ مَلْحَمَةٌ، قَالَتْ: «أَعُوذُ بِالله مِنْ شَرِّكَ، بِئْسَ مَا قُلْتَ» ، فَقُلْتُ لَهَا: فَلَعَلَّهُ إِنْ كَانَ أَمْرًا سَيَسُوءُكِ، فَقَالَتْ: «والله لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ» ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ ذُكِرَ عِنْدَهَا أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه قَتَلَ ذَا الثُّدَيَّةِ، فَقَالَتْ لِي: «إِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ الْكُوفَةَ فَاكْتُبْ لِي نَاسًا مِمَّنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِمَّنْ تَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ» ، فَلَمَّا قَدِمْتُ وَجَدْتُ النَّاسَ أَشْيَاعًا فَكَتَبْتُ لَهَا مِنْ كُلِّ شِيَعٍ عَشَرَةً مِمَّنْ شَهِدَ ذَلِكَ قَالَ: فَأَتَيْتُهَا بِشَهَادَتِهِمْ فَقَالَتْ:«لَعَنَ الله عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، فَإِنَّهُ زَعَمَ لِي أَنَّهُ قَتَلَهُ بِمِصْرَ» (٤).

---

(١) أخرجه أحمد(١٤١٤) والبزار(٣/ ١٩٠ برقم (٩٧٦) والضياء في«المختارة»(٨٧٢) بسند حسن.

(٢) في«المصنف»(٦/ ١٩٥).

(٣) في«المستدرك»(٤/ ١٤).

(٤) برقم (١٩٨٨٩) وسبب لعنها لعمرو أنه قتل أخاها رضي الله عن الجميع.

لقد كان أصحاب الفراسات كحذيفة رضي الله عنه يوضِّحُون الحق الواضح لهم

فأخرج عبد الرزاق[١] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَعَمْرُو بْنُ صُلَيْعٍ الْمُحَارِبِيُّ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ، فَإِذَا هُوَ مُحْتَبٍ عَلَى فِرَاشِهِ يُحَدِّثُ النَّاسَ قَالَ: فَغَلَبَنِي حَيَاءُ الشَّبَابِ، فَقَعَدْتُ فِي أَدْنَاهُمْ، وَتَقَدَّمَ عَمْرٌو مُجْتَثِئًا عَلَى عُودِهِ حَتَّى قَعَدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: حَدِّثْنَا يَا حُذَيْفَةُ، فَقَالَ: «عَمَّ أُحَدِّثُكُمْ؟»، فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي أُحَدِّثُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ قَتَلْتُمُونِي - أَوْ قَالَ: لَمْ تُصَدِّقُونِي -».

قَالُوا: وَحَقٌّ ذَلِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالُوا: فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي حَقٍّ تُحَدِّثُنَاهُ فنقْتُلُكَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ حَدِّثْنَا بِمَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّكَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ أُمَّكُمْ تَغْزُوكُمْ،إِذَا صَدَّقْتُمُونِي؟»، قَالُوا: وَحَقٌّ ذَلِكَ؟ «وَمَعَهَا مُضَرُ مَضَّرَهَا الله فِي النَّارِ، وَأَسَدُ عَمَّانَ، سَلَتَ الله أَقْدَامَهُمْ».

وأخرج الحاكم[٢] بسندٍ حسن عَنْ خَيْثَمَة بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: بَعْضُنَا: حَدِّثْنَا يَا أَبَا عَبْدِ الله مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: لَوْ فَعَلْتُ لَرَجَمْتُمُونِي، قَالَ: قُلْنَا سُبْحَانَ الله أَنَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ بَعْضَ أُمَّهَاتِكُمْ تَأْتِيكُمْ فِي كَتِيبَةٍ كَثِيرٍ عَدَدُهَا، شَدِيدٍ بَأْسُهَا صَدَقْتُمْ بِهِ؟» قَالُوا: سُبْحَانَ الله وَمَنْ يُصَدِّقُ بِهَذَا؟ ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ: «أَتَتْكُمُ الْحُمَيْرَاءُ فِي كَتِيبَةٍ يَسُوقُهَا أَعْلَاجُهَا حَيْثُ تَسُوءُ وُجُوهَكُمْ» ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ مَخْدَعًا.

وتقدَّم قول عمار بن ياسر رضي الله عنه قبل إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم تتبعوه أم هي.

---

(١) في «المصنف» (١٩٨٨٩) وعنه نعيم في «الفتن» (١٩٢).

(٢) في «المستدرك» (٤/ ٥١٧).

وأخرج البزار[١] بسندٍ جوَّدَه الحافظ ابن حجر[٢] عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ حُذَيْفَةَ، إِذْ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَقَدْ خَرَجَ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي فِتْنَتَيْنِ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ وُجُوهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ؟» ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا عَبْدِ الله، وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ، قَالَ: «أَيْ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ إِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ»، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا أَبَا عَبْدِ الله فَكَيْفَ نَصْنَعُ إِنْ أَدْرَكْنَا ذَلِكَ الزَّمَانَ؟، قَالَ: «انْظُرُوا الْفِرْقَةَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى أَمْرِ عَلِيٍّ رضي الله عنه فَالْزَمُوهَا فَإِنَّهَا عَلَى الْهُدَى».

اشتداد القتال حول الجَمل وسُقوط القتلى من الفريقين

لا يشك أحد أن أيادي خفية كانت تُروِّج للقتال، بقصد أو بغير قصد، والله عليم بالسرائر وسيُجازي كل إنسان عما صنع، فعنده تجتمع الخصوم.

حَمِيَ القتالُ من الفريقين فأنفس تُزهَقُ، وأيدٍ تُقطع، وكلهم من المسلمين، بسبب تفاني الناس حول جمل عائشة لأجل الدفاع عن أمِّ المؤمنين.

فهؤلاء يكرهون خروجها وقيامها، لأن القوم يتكثَّرون بها، ويقوون بوجودِها فتنشب الحرب بينهم، والآخرون يتاجرون بوجودها ويشتد ساعدهم لكون أم المؤمنين معهم. ومن هنا وقع القتال، واشرأب النفاق، وفرح الكفار بهذا النزاع الذي يُذهب ريح المسلمين، ولا حول ولا قوة لا بالله.

وأهل الفضل يحاولون الإصلاح، ولكن بلا جَدوى، بل قُتل بعضهم.

أخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ حسن إن شاء الله عَنْ إِسْحَاقِ بْنِ سُوَيْدٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: قُتِلَ مِنَّا يَوْمَ الْجَمَلِ خَمْسُونَ رَجُلًا حَوْلَ الْجَمَلِ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ .

---

(١) في «البحر الزخار» (٢٨١٠)

(٢) في «الفتح» (١٣/ ٨٥).

(٣) في «المصنف» (٧/ ٥٤٦).

فكان همُّ القومِ الدفاعَ عن جمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومقامِها، ومن ثمَّ سُميت بموقعة الجمل، والظاهر من الروايات أن الجمل لما عقر وحمل الهودج بعيداً وفيه عائشة سكن القتال ، وكل منهم وقف واحتجز الفريقان، والله أعلم.

وقد أخرج خليفة بن خياط[١] بسندٍ حسن إلى أبي رجاء - وهو سلمان أبو رجاء ، مولى أبى قلابة الجرمى البصرى – قال: لقدرأيت يوم الجمل يومئذٍ كأنه قنفذ من النِّبْل، ورجل آخذ بالخطام وهو يقول:

نحو بني ضَبَّة أصحابَ الجَمَلْ ..... نُنَازِلُ الموتَ إذا الموتُ نَزَلَ

والموتُ أحلى عندنا مِن العَسَل ..... نبغي ابن عفَّان بأطرافِ الأسلْ

قال: فأقسم بالله ما برح حتى برى قوائم البعير، فسقط، فقالوا :أمنا أمنا، فقال رجلٌ لأبي رجاء: ما صنعت يومئذٍ؟

قال : رميت بأسهم فما أدري ما فعلن.

وأخرج خليفة بن خياط[٢] بسندٍ صحيح عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن سلمة والحارث بن سيد تذاكرا يوم الجمل، فقال الحارث: لا والله ما رأيت مثل يوم الجمل، لقد أشرعوا الرماح في صدورنا، وأشرعناها في صدورهم، حتى لو شاءت الرجال أن تمرّ عليها لمرَّت، فوالله لوددت أني لم أشهد ذلك اليوم، وأن علي كذا.فقال عبد الله بن سلمة: والله ما يسرني أني غبت عن ذلك اليوم، ولا أني غبت عن مشهد شهده علي وأن لي كذا.

---

(١) في«تاريخه» ص ١١٤.

(٢) المصد السابق ص ١١٥.

وأخرج الخطابي في«العزلة»[١] من طريق ابن الأعرابي[٢] بسنده من طريق الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ:« لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَرَأَى عَلِيٌّ ﷺ الرُّءُوسَ تَنْدَرُ أَخَذَ الْحَسَنَ ابْنَهُ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا لله يَا حَسَنُ أَيُّ خَيْرٍ يُرْجَى بَعْدَ هَذَا ».وهذا إسناد رجاله مُعَدَّلون، وحسن لولا تدليس مبارك.

وتقدم قول قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: قَالَ: عَلِيٌّ ﷺ لِابْنِهِ الْحَسَنِ يَوْمَ الْجَمَلِ: «يَا حَسَنُ، لَيْتَ أَبَاكَ مَاتَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً» قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: يَا أَبَتِ قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا. قَالَ: «يَا بُنَيَّ لَمْ أَرَ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا» وهو صحيح تقدم.

موقف عظيم لعمران بن حصين ﷺ يوم الجمل

أخرج ابن سعد بسندٍ [٣]حسن عَنْ حُجَيْرِ بْنِ الرَّبِيعِ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ أَرْسَلَهُ إِلَى بَنِي عَدِيٍّ أَنِ ائْتِهِمْ أَجْمَعَ مَا يَكُونُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ الْعَصْرِ. فَقُمْ قَائِمًا. قَالَ فَقَامَ قَائِمًا فَقَالَ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلامَ وَرَحْمَةَ الله وَيُخْبِرُكُمْ أَنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ. وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ لأَنْ يَكُونَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا يَرْعَى أَعْنُزًا حَضَنِيَّاتٍ فِي رَأْسِ جَبَلٍ حَتَّى يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْمِيَ فِي أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِسَهْمٍ أَخْطَأَ أَوْ أَصَابَ.
فَامْسِكُوا. فِدًى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي. قَالَ فَرَفَعَ الْقَوْمُ رؤوسهم وَقَالُوا: دَعْنَا مِنْكَ أَيُّهَا الْغُلامُ فَإِنَّا وَالله لا نَدَعُ ثُفْلَ رَسُولِ الله ﷺ لِشَيْءٍ أَبَدًا. فَغَدَوْا يَوْمَ الْجَمَلِ فَقُتِلَ بَشَرٌ وَالله كَثِيرٌ حَوْلَ عَائِشَةَ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ كُلُّهُمْ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ. قَالَ وَمَنْ لم يجمع القرآن أكثر.

---

(١) ص ١٤.

(٢) في«المعجم» (٩٠٥)

(٣) في«طبقاته»(٤/ ٢١٦).

قتل طلحة بن عبيد الله الصحابي المبشَّر بالجنة رضي الله عنه

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه صحابي مبشَّر بالجنة، أحد الستَّة أصحاب الشورى الذين توفي عنهم النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وهم راضون. مناقبة كثيرة وجمَّة رضي الله عنه .

قتله مروان بن الحكم، الذي لعنه رسول الله وهو في صلب أبيه كما بينته في غير هذا الموطن كما سيأتي في ترجمته عند ذكر وفاته إن شاء الله.

فأخرج الخلال[١] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ،أَنَّ مَرْوَانَ اعْتَرَفَ أَنَّهُ قَتَلَ طَلْحَةَ.

وأخرج الطبراني[٢] بسند صحيح إلى يَحْيَى بْن بُكَيْرٍ، قَالَ: «قُتِلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه ، يَوْمَ الْجَمَلِ فِي جُمَادَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَسِنُّهُ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً، أَوْ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَالزُّبَيْرُ أَسَنُّ مِنْهُ، وَيُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ» وهو قول الفضل بن دكين.

وقد ورد عن عَبْد الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أنه قال: «لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَرْوَانَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ طَلْحَةَ مَا تَرَكْتُ مِنْ وَلَدِ طَلْحَةَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلْتُهُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ»[٣].

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] بسندٍ صحيح عن قَيْس بن أبي حازم قَالَ: رَمَى مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمَ الْجَمَلِ طَلْحَةَ بِسَهْمٍ فِي رُكْبَتِهِ ؛ قَالَ: فَجَعَلَ الدَّمُ يَغْذُو يَسِيلُ ، قَالَ: فَإِذَا أَمْسَكُوهُ اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا تَرَكُوهُ سَالَ، قَالَ: فَقَالَ: دَعُوهُ، قَالَ: وَجَعَلُوا إِذَا

---

(١) في«السنة»(٨٤٠).

(٢) في«الكبير»(١/ ١١٣ رقم (٢٠٠) .

(٣) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٢٢٣) ولكن سنده منقطع، وله طريق آخر أخرجه البلاذري في«الأنساب»(١٠/ ١٢٧).

(٤) في«المصنف»(٧/ ٥٣٦).

أَمْسَكُوا فَمَ الْجُرْحِ انْتَفَخَتْ رُكْبَتُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ الله، قَالَ: فَمَاتَ ؛ قَالَ: فَدَفَنَّاهُ عَلَى شَاطِئِ الْكِلَاءِ، فَرَأَى بَعْضُ أَهْلِهِ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا تُرِيحُونَنِي مِنَ الْمَاءِ؟ فَإِنِّي قَدْ غَرِقْتُ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَقُولُهَا ، قَالَ: فَنَبَشُوهُ فَإِذَا هُوَ أَخْضَرُ كَالسَّلْقِ فَنَزَفُوا عَنْهُ الْمَاءَ ثُمَّ اسْتَخْرَجُوا فَإِذَا مَا يَلِي الْأَرْضَ مِنْ لِحْيَتِهِ وَوَجْهِهِ قَدْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضُ ، فَاشْتَرَوْا لَهُ دَارًا مِنْ دُورِ آلِ أَبِي بَكْرَةَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ فَدَفَنُوهُ فِيهَا ».

وأخرج خليفة بن خياط[1] بسندٍ حسن عن الجارود بن أبي سبرة قال: نظر مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فرماه بسهم فقتله.

تأول مروان في قتله لطلحة رضي الله عنه

أنه ممن شارك في قتل عثمان رضي الله عنه

أخرج ابن شبة وغيره[2] من طريق يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمٌّ- أَوْ عَمٌّ لِي - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مُتَوَاقِفُونَ إِذْ رَمَى مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بِسَهْمٍ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله، فَشَكَلَ سَاقَهُ بِجَنْبِ فَرَسِهِ، فَقَمَصَ بِهِ الْفَرَسُ مُوَلِّيًا، وَالْتَفَتَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: قَدْ كَفَيْتُكَ أَحَدَ قَتَلَةِ أَبِيكَ.

وهذا غير صحيح، فلم يشارك في دمِ عُثمان أحد من الصحابة رضي الله عنهم قط.

قتل الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله ﷺ

أحد الستة أصحاب الشورى المبشَّر بالجنة

(١) في «تاريخه» ص ١٠٨.

(٢) تاريخ المدينة المنورة» (٤/ ١١٧٠) و«تاريخ خليفة بن خياط» ص١١١.

تقدم أن أشرنا إلى أن الزبير رضي الله عنه ترك القتال، وانصرف، واختلف في سبب ذلك.

فقد ورد في سبب ذلك وهو :

ما رواه حَرْبُ بنُ أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ قَالَ: شَهِدتُ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ لَمَّا رَجَعَ الزُّبَيْرُ عَلَى دَابَّتِهِ يَشُقُّ الصُّفُوفَ، فَعَرَضَ لَهُ ابنُه عَبْدُ الله فَقَالَ: مَالَكَ؟ فَقَالَ: ذَكَرَ لِي عَلِيٌّ حَدِيثاً سَمِعتُهُ مِن رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ:«لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنتَ لَهُ ظَالِمٌ» فَلَا أُقَاتِلُهُ، قَالَ: وَلِلقِتَالِ جِئْتَ؟! إِنَّما جِئتَ لِتُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُصْلِحَ اللهُ هَذَا الأَمْرَ بِكَ، قَالَ: قَدْ حَلَفْتُ أَنْ لَا أُقَاتِلَ، قَالَ: فَأَعْتِقْ غُلَامَكَ جِرجسَ، وَقِفْ حَتَّى تُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ. قَالَ: فَأَعْتَقَ غُلَامَهُ جِرجسَ وَوَقَفَ، فَاخْتَلَفَ أَمْرُ النَّاسِ، فَذَهَبَ عَلَى فَرَسِهِ. (١)

وقال ابن كثير (٢) عن سبب رجوع الزبير عن قتاله ضد عليّ رضي الله عنه :

«وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ إِنَّمَا رَجَعَ عَنِ الْقِتَالِ لَمَّا رَأَى عَمَّارًا مَعَ عَلِيٍّ وَقَدْ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لعمَّار: « **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ** » فَخَشِيَ أَنْ يُقْتَلَ عَمَّارٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

---

(١)وهذا الخبر أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦ وما بعدها)، والبيهقي فى «الدلائل» (٦/ ٤١٥)، والمزي فى « تهذيبه» (١٦/ ٧١- ٧٢) بأسانيد تحتمل التقوية.

وقد قوَّى الألباني فى «الصحيحة» (٢٦٥٩) أصله «لتقاتلنَّه وأنت له ظالم» وتردَّد فى تصحيح أصل القصة، وداخله الشك فى تصحيحها؛ لكونها من رواية عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي عن منجاب.

والحاصل أنه صحح أصل الحديث لطرقه بدون قصة ابن الزبير، وتصحيح البعض للحديث بالقصة ليس بصواب، فإنه إن صح فالحديث بدون قصة عبد الله بن الزبير مع أبيه على نزاع فى التصحيح.

(٢)فى«البداية»(٨/ ١٦).

وَعِنْدِي أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي أَوْرَدْنَاهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُ فَمَا رَجَعَهُ سِوَاهُ، وَيَبْعُدُ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي وَالله أَعْلَمُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الزُّبَيْرَ لَمَّا رَجَعَ يوم الجمل سار فنزل وادياً يقال له وادي السباع، فاتبعه رجل يقال له عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ، فَجَاءَهُ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَتَلَهُ غيلة».

أخرج أحمد بسندٍ صحيح[١] عنْ إبراهيمَ قالَ: جاءَ ابنُ جرموز- قاتلُ الزُّبيرِ - يستأذنُ على عليٍّ فَحَجَبَهُ طويلاً ثمَّ أذنَ لَهُ، فقالَ:

أما أهلُ البلاء فتجْفُوهُمْ، فقالَ عليٌّ رضي الله عنه: «بفيكَ التُّرابُ إِنِّي لأرجُو أنْ أكونَ أنا وطلحةُ والزُّبيرُ مِمَّنْ قالَ اللهُ فيهمْ: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)} الحجر.

وأخرج أحمد[٢] بسندٍ حسن عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ:اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ[٣]، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».[٤]

---

(١)صحيح إلى إبراهيم. أخرجه أحمد فى «الفضائل» (١٢٩٩)، وابن الأعرابي فى «المعجم»(١٧٧٤)، وابن سعد فى «طبقاته»(٣/ ١١٣)، وابن أبي شيبة، وغيرهم.

(٢) برقم (٦٨١).

(٣) ولم يصح هذا القدر مرفوعاً.

(٤) وقد قال ابن كثير في«السيرة »(٤/ ٦٨٠):« يُقَالُ إِنَّ عَمْرَو بْنَ جُرْمُوزٍ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفْسَهُ. وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ عُمِّرَ بَعْدَ عَلِيٍّ حَتَّى كَانَتْ أَيَّامُ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَاسْتَنَابَ أَخَاهُ مُصْعَبًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَاخْتَفَى عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ خَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ أَنْ يَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ.

فَقَالَ مُصْعَبٌ: أَبْلِغُوهُ أَنَّهُ آمِنٌ، أَيَحْسَبُ أَنِّي أَقْتُلُهُ بِأَبِي عَبْدِ الله؟ كَلَّا وَالله لَيْسَا سَوَاءٌ.

وَهَذَا من حلم مُصعب وعقله وَرِيَاسَتِهِ». فالله أعلم .

وقد حكى ابن كثير رحمه الله :أن امْرَأَتهُ عَاتِكَة بِنْتَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أرثته رضي الله عنها وَعَنْهُ قالت:

غَدَرَ ابْنُ جرموزَ بِفَارِسِ بهمةٍ .... يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ معرَّدِ
يَا عَمْرُو لَوْ نبَّهته لوجدتهُ .... لَا طَائِشًا رَعِشَ الْجَنَانِ وَلَا اليدِ
كَمْ غمرةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يثنهِ .... عَنْهَا طِرادٌ يا بن فقْعِ القرْددِ [1]
ثَكِلَتْكَ أمُّك إنْ ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ .... فيمن مضى فيمن يروحُ وَيَغْتَدِي
واللهِ ربِّك إنْ قَتَلْتَ لُمْسلِمًا .... حلَّت عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المتعمِّدِ.

معاتبة ابن عباس لعلي وابن الزبير رضي الله عنهم

أخرج ابن سعد[2] بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَتَى الزُّبَيْرَ فَقَالَ: « أَيْنَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَيْثُ تُقَاتِلُ بِسَيْفِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: فَرَجَعَ الزُّبَيْرُ فَلَقِيَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ فَقَتَلَهُ، فَأَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَلِيًّا فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ قَاتَلَ ابْنِ صَفِيَّةَ؟ قَالَ عَلِيٌّ: إِلَى النَّارِ ».

بيان سلامة نيَّه الزُّبَير وعائشة وطلحة رضي الله عنهم في هذه المواقف

قدْ وَرَدَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِسَلَامَةِ نِيَّةِ الزُّبَيرِ وَطَلحَةَ وَعَائِشَةَ فِي مَوقِعَةِ الجَمَلِ وَأَنَّهُم مَا أَرَادُوا إِلَّا الإِصْلَاحَ خَبَرُ أَبِي حَرْبِ بنِ أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ قَالَ: شَهِدتُ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ لَمَّا رَجَعَ الزُّبَيْرُ عَلَى دَابَّتِهِ يَشُقُّ الصُّفُوفَ، فَعَرَضَ لَهُ ابنُه عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: مَالَكَ؟ فَقَالَ:

---

(١)القردد: الجبل. والفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة.

(٢) في«طبقاته»(٣/ ١١٠) .

ذَكَرَ لِي عَلِيٌّ حَدِيثاً سَمِعتُهُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنتَ لَهُ ظَالِمٌ**» فَلَا أُقَاتِلُهُ، قَالَ: وَلِلقِتَالِ جِئْتَ؟!

إِنَّما جِئتَ لِتُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُصْلِحَ اللهُ هَذَا الأَمْرَ بِكَ، قَالَ: قَدْ حَلَفْتُ أَنْ لَا أُقَاتِلَ، قَالَ: فَأَعْتِقْ غُلَامَكَ جِرجِسَ، وَقِفْ حَتَّى تُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ. قَالَ: فَأَعْتَقَ غُلَامَهُ جِرجِسَ وَوَقَفَ، فَاخْتَلَفَ أَمْرُ النَّاسِ، فَذَهَبَ عَلَى فَرَسِهِ. (١)

والمقصود أن الروايات وأصحاب السير ذكروا رجوع الزبير رضي الله عنه عن القتال مع عليّ رضي الله عنه فالله أعلم، لكن سياق ترجمة وحياة الزبير رضي الله عنه لا يستفاد منها إلا أنه ما خرج إلا للإصلاح جزماً، سواء صح هذا الخبر بذلك أم لا، كما قال بعض رواة حديث أبي هريرة رضي الله عنه فى تخليته للشيطان إذ علمه قراءة آية الكرسي عند النوم، ففيه (٢) :« وَكَانُوا – أي الصحابة –أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ» .

وهي حجة قوية فى تبرئة ساحتهم جميعاً رضي الله عنهم .

أو لم يقل الله تعالى عنهم جميعاً: {وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى} (النساء:٩٥)؟!

---

(١) وهذا الخبر أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦ وما بعدها)، والبيهقي فى «الدلائل» (٦/ ٤١٥)، والمزي فى «تهذيبه» (١٦/ ٧١- ٧٢) بأسانيد تحتمل التقوية.

وقد قوَّى الألباني فى «الصحيحة»(٢٦٥٩) أصله :«لتقاتلنَّه وأنت له ظالم » وتردَّد فى تصحيح أصل القصة، وداخله الشك فى تصحيحها؛ لكونها من رواية عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي عن منجاب.

والحاصل أنه صحح أصل الحديث لطرقها بدون قصة ابن الزبير، وتصحيح البعض للحديث بالقصة ليس بصواب، فإنه إن صح فالحديث بدون قصة عبد الله بن الزبير مع أبيه على نزاع فى التصحيح.وتمام تخريجه والكلام عليه في كتابي«التوضيحات الجلية» .

(٢) أي في روايته كما فى صحيح البخاري (٢٣١١).

وقال ابن كثير[١] عن سبب رجوع الزبير عن قتاله ضد عليّ رضي الله عنه :

«وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ إِنَّمَا رَجَعَ عَنِ الْقِتَالِ لَمَّا رَأَى عَمَّارًا مَعَ عَلِيٍّ وَقَدْ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لعمَّار: «**تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» فَخَشِيَ أَنْ يُقْتَلَ عَمَّارٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ.[٢]

وَعِنْدِي أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي أَوْرَدْنَاهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُ فَمَا رَجَعَهُ سِوَاهُ، وَيَبْعُدُ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي وَالله أَعْلَمُ..

وورد عن عليّ عند ابن أبي شيبة[٣] عن الْمُحَارِبِيِّ، عَنْ لَيْثٍ، قَالَ حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، أَنَّ عَلِيًّا، قَالَ يَوْمَ الْجَمَلِ: اللَّهُمَّ لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ، اللَّهُمَّ لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة[٤] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ فَقُلْتُ: اعْذُرْنِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ لَمْ أَحْضُرِ الْوَقْعَةَ ، فَقَالَ الْحَسَنُ: « مَا تَصْنَعُ بِهَذَا لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَهُوَ يَلُوذُ بِي وَيَقُولُ: يَا حَسَنُ لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ هَذَا بِعِشْرِينَ سَنَةً».

وعند أحمد[٥] بإسنادٍ حسن عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ ». ولم يصح رفعه.

---

(١) فى «البداية والنهاية » (٨/ ١٦).

(٢) وفيه نظر، فإنه كان عالماً من أول الوقت أن عماراً ت في صفِّ علي، في المواجهة له .

(٣) (٧/ ٥٤١).

(٤) كما«بغية الحارث»(٧٥٧) والبلاذري في«أنساب الأشراف»(٢/ ٢٧٣)وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٤مختصراً).

(٥) برقم (٦٨١).

أو لم يقل رسول الله ﷺ عن طلحة رضي الله عنه حينما سأله الأعرابي عمن قضى نحبه، قال: «**هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**». ؟! [١].

وقال: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» - يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ [٢].

وقد كان الزبير جعل أمره إلى علي لما جعل عمر الشورى فى الستة، كما فى صحيح البخاري [٣].

فما كانوا ينازعونه رضي الله عنه فى مثل ذلك وحاشاهم أن يكونوا كذلك رضي الله عنهم أجمعين.

وصيَّة الزبير رضي الله عنه إلى ولده عبد الله بن الزبير وما جرى فيها

أخرجها البخاري [٤] عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: « يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ - يَعْنِي بَنِي عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ - يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ » وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ الله، قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ، خُبَيْبٌ، وَعَبَّادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ، وَتِسْعُ بَنَاتٍ -، قَالَ عَبْدُ الله: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ»، قَالَ: فَوَالله مَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٣) بسندٍ يُحسَّن.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٩٢) بسندٍ حسن.

(٣) برقم (٣٧٠٠).

(٤) برقم (٣١٢٩).

دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: «الله»، قَالَ: فَوَالله مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ، فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه، وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِلَّا أَرَضِينَ، مِنْهَا الغَابَةُ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: «لاَ وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ»، وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ وَلاَ جِبَايَةَ خَرَاجٍ، وَلاَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ فَكَتَمَهُ؟ فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَالله مَا أُرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي، قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ الله بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ: فَقَالَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَلْيُوَافِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ الله بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ الله: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ الله: لاَ، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ الله: لاَ، قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ الله: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، قَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ الله بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ

مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: لاَ، وَاللهِ لاَ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلاَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ، قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَمِائَتَا أَلْفٍ.

مَلل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع أنه كان على الحق

وقد أخرج الفسوي بإسنادٍ صحيح، عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ الْمُصْحَفَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى أَنِّي لَأَرَى وَرَقَهُ يَتَقَعْقَعُ قَالَ ثم قال: اللهم إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطني ثواب مَا فِيهِ، ثمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَأَبْغَضْتُهُمْ وَأَبْغَضُونِي، وَحَمَلُونِي عَلَى غَيْرِ طَبِيعَتِي وَخُلُقِي وَأَخْلَاقٍ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لِي، اللَّهُمَّ فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شراً مني، اللهم أمت قلوبهم موت الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بن سعد راوي الحديث عن شعبة، عن أبي عون الثقفي، عن أبي صالح الحنفي- يَعْنِي أَهْلَ الْكُوفَةِ - [1].

فكان رضي الله عنه باحثاً عن الحق، متجرداً عن الهوى، فلا يجوز لأحدٍ أن ينال منه لأجل حربه مع معاوية رضي الله عنه لأدلة.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا[2]، وغيره بإسنادٍ حسن، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ،

---

(١) أخرجه في «المعرفة» (٢/ ٧٥١) وأبو صالح قد رأى علي بن أبي طالب كما هنا، وصرح ابن أبي حاتم بأنه سمع من علي ت، ولذا صححته فى تحقيقي لـ «البداية والنهاية» (٨/ ١٧٢)، وأثبتُّ السماع له من علي ت فى «الجامع فى ذكر رواة المراسيل» .

(٢) فى «مجابو الدعوة» (٣٦).

أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَلِيٍّ، فَنَهَاهُ سَعْدٌ، فَلَمْ يَنْتَهِ فَقَالَ سَعْدٌ: «أَدْعُو عَلَيْكَ، فَلَمْ يَنْتَهِ فَدَعَا عَلَيْهِ سَعْدٌ فَمَا بَرِحَ حَتَّى جَاءَ بَعِيرٌ نَادٌّ أَوْ نَاقَةٌ نَادَّةٌ، فَخَبَطَتْهُ حَتَّى مَاتَ».

فلولا أن علياً رضي الله عنه كان معذوراً لا يستحق أن يُنال منه، ما استجاب الله عز وجل فيمن نال منه.

وقد أخرج الإمام أحمد[1] وغيره بإسنادٍ صحيح من طريق قرة بن خالد السدوسي، عن أبي رَجَاءٍ العطاردي قال: لَا تَسُبُّوا عَلِيًّا، وَلَا أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ، إِنَّ جَارًا لَنَا مِنْ بَنِي الْهُجَيْمِ قَدِمَ مِنَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: أَلَمْ تَرَوْا هَذَا الْفَاسِقَ ابْنَ الْفَاسِقِ؟ إِنَّ الله قَتَلَهُ- يَعْنِي الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ: فَرَمَاهُ الله بِكَوْكَبَيْنِ فِي عَيْنِهِ، فَطَمَسَ الله بَصَرَهُ.

كذا عاقب الله تعالى سريعاً من نال من علي رضي الله عنه!

والأمر كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

أَقْوَامٌ سَبَقَتْ لَهُمْ سَوَابِقُ وَأَصَابَتْهُمْ فِتْنَةٌ، فَرُدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى الله.[2]

فيا لها من راحة معتقد مسَّكناً الله تعالى وإخواننا به.

بل فى «معجم ابن الأعرابي»[3] بإسنادٍ محتمل للتحسين لطرقه عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ مِمَّنْ قَالَ الله: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر: ٤٧].

---

(١) فى «فضائل الصحابة» (٩٧٢).

(٢) أخرج ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤١) بإسنادٍ صحيح عن أبي نضرة قال: ذكروا علياً وعثمان وطلحة والزبير عند أبي سعيد فقال... فذكره.

(٣) (١٧٧٤)

وكما قال الزبير نفسه ﷺ فيما أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد[١] بإسنادٍ حسن عن ابْن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: أَرْسَلَنِي عَلِيٌّ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ يَوْمَ الْجَمَلِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمَا: إِنَّ أَخَاكُمَا يُقْرِئُكُمَا السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمَا: هَلْ وَجَدْتُمَا عَلَيَّ فِي حَيْفٍ أَوْ فِي اسْتِئْثَارٍ فِي فَيْءٍ أَوْ فِي كَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ: «لَا وَلَا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، وَلَكِنْ مَعَ الْخَوْفِ شِدَّةُ الْمُطَامِعِ».

كذا كانوا يدينون أنفسهم، ويلومونها وإن كانوا أصحاب أجر واحد فيما اجتهدوا فيه ﷺ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

والمقصود:

أنه لا يجوز تناول أحد من أصحاب النبي ﷺ بسوء، فإن ذلك يؤذي رسول الله ﷺ فى قبره فيتأذى الصاحب لصاحبه، والله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ الله لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (التوبة:٦١).

وقد قال الإمام البربهاري[٢]:

«اعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ، وقد آذاه فى قبره».اهـ

عُذْرُ بَعْضِ الصحابة لبعضهم ﷺ:

أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ من طريق أحمد [٣]، وَالطَّبَرَانِيُّ [١] عَنِ الطَّيَالِسِيِّ، كَلاهُما عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَبِي عَونٍ، قَالَ:

---

(١) راجع «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٩٢)و«الفضائل»(١٠١٥).

(٢)فى «شرح السنة» (١٤٨).

(٣)فى «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٦) من طريق أحمد بن خالد الوهبي.

«مَرَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمَ صِفِّيْنَ وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى الأَشْتَرِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ، فَإِذَا حَابِسٌ اليَمَانِيُّ مَقْتُولٌ، فَقَالَ الأَشْتَرُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، حَابِسٌ اليَمَانِي مَعَهُم يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيهِ عَلَامَةُ مُعَاوِيَةَ، أَمَا واللهِ لَقَدْ عَهِدْتُهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَالآنَ هُو مُؤْمِنٌ» .

وَكَانَ حَابِسٌ اليماني رَجُلاً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ أَهْلِ العِبَادَةِ وَالاجْتِهَادِ.(٢)

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ (٣) بِإِسْنَادٍ ثَابِتٍ عَنْ مَكْحُولٍ:«أَنَّ أَصْحَابَ عَلِيٍّ ﷺ سَأَلُوهُ عَنْ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ ﷺ مَا هُمْ؟ قَالَ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ» .

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ الْمُرْوَزِيُّ أَيْضاً (٤): «أَنَّ عَلِيًّا سَمِعَ رَجُلاً يَغْلُو فِي القَوْلِ يَوْمَ صِفِّيْنَ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا. إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّا بَغَيْنَا عَلَيْهِمْ، وَزَعَمْنَا أَنَّهُمْ بَغَوا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ » .**قَالَ الْمُرْوَزِيُّ مُعَلِّقاً عَلَى هَذَا:**

«قَدْ وَلِيَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قِتَالَ أَهْلِ البَغِي، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيْهِم مَا رُوِيَ، وَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَحَكَم فِيهِم بِأَحْكَامِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَكَذَلِكَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ» .

فَعَلِيٌّ ﷺ الَّذِى قَاتَلَهُمْ هُوَ الْمُصَدَّقُ أَمْ مَنْ يَكْذِبُونَ وَيَجْهَلُونَ لَه زَعَمُوا؟!

وَأَخْرَجَ المَرْوَزِيُّ (٥) عَنْ الحَسَنِ بنِ الحَكَمِ النَّخَعِيِّ، عَنْ رِيَاحِ بنِ الحَارِثِ قَالَ: «أَنَا بِوَادِي الظَّبْيِ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَكَادُ تَمَسُّ رُكْبَةَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَأَتَى رَجُلٌ فَقَالَ: كَفَرَ

---

(١) في«الكبير» (٤/ ٣١) رقم (٣٥٦٣)

(٢) وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأحمد بن خالد الوهبي: «صدوق» ، وقد تابعه الطيالسي كما رأيت.

(٣)فى«تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٥)

(٤)السابق (٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤)، وألفاظهم متقاربة ، والطرق يقوي بعضها بعضاً.

(٥)فى «تعيظم قدر الصلاة» (٥٩٨، ٥٩٩).

وَاللهِ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَالَ عَمَّارٌ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، قِبْلَتُنَا وَاحِدَةٌ وَنَبِيُّنَا وَاحِدٌ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مَفْتُونُونَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قِتَالُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الحَقِّ».

وَلَهُ طَرِيْقٌ آخَرُ عِنْدَهُ [1] يَتَقَوَّى بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ بِنَحْوٍ مِنْهُ، وَلَفْظُهُ: «قَالَ عَمَّارُ ابنُ يَاسِرٍ: لَا تَقُولُوا كَفَرَ أَهْلُ الشَّامِ، قُولُوا: فَسَقُوا. قُولُوا: ظَلَمُوا» .

وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَقْلٍ صَحِيْحٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه تَعَرَّضَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه بِسَبٍّ أَو شَتْمٍ، حَتَّى أَثناءَ الحَرْبِ، وَقَدْ نُقِلَ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ تَعَلَّقَ بِهَا مَنْ وَافَقَتْ أَهْوَاءَهُمْ.

وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيَّ وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيًّا أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟ فَقَال: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ وَأَحَقُّ بِالأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُوماً، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ وَأَمْرُهُ إِلَيَّ؟ فَقُولُوا لَهُ: فَلْيُسَلِّمْ إِلَيَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ وَأَنَا أُسَلِّمْ لَهُ أَمْرَهُ، فَأَتَوا عَلِيًّا فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحَداً، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى القِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ .

وَقَدْ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَارِيخِهِ» وَهُوَ يَسُوقُ هَذَا الكَلَامَ:

«مِنْ غَيْرِ وَجهٍ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ ... » وَذَكَرَهُ.

وَقَالَ الحَافِظُ: [2]

«وَقَدْ ذَكَرَ يَحيَى بنُ سُلَيْمَانَ الجَعْفِيُّ أَحَدُ شُيُوخِ البُخَارِيِّ فِي كِتَابِ «صِفِّين» فِي تَأْلِيفِهِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الخَوْلَانِي...فَذَكَر هَذَا الأَثَرَ.

---

(١) برقم (٦٠٠).

(٢) فى «الفتح» (١٣/ ٨٦) ط. المعرفة.

وَهُو يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ ﷺ مَا كَانَ يُنَازِعُ عَلِيًّا عَلَى الإِمَارَةِ أَصْلاً، وَلَمْ يَعْتَرِفْ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ أَحَقُّ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ بِهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُطَالِبُ بِدَمِ عُثْمَانَ، وَعَلِيٌّ رضي الله عنهما يَرَى تَأْخِيْرَ ذَلِكَ حَتَّى يَثْبُتَ أَمْرُ الخِلَافَةِ، فَاتَّهَمَ المَرْضَى سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ عَلِيًّا ﷺ وَوَقَعَتِ الفِتْنَةُ، وَآلَ الأَمْرُ إِلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ مَعْلُومٌ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ [١].

وقد سمى رسول الله ﷺ كلتا الطائفتين مسلمة، لما قال: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ» . [٢]

وقد ورد ما يتعلق بسلامة صدر معاوية ﷺ وخوفه الشديد على المسلمين وذراريهم وحبه الخير لهم وتأسفه الشديد على إلحاق الضرر بهم.

فأخرج البخاري[٣] عن الحسن البصري قال: «لَمَّا سَارَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالْكَتَائِبِ. قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: أَرَى كَتِيبَةً لاَ تُوَلِّي حَتَّى تُدْبِرَ أُخْرَاهَا [١]، قَالَ مُعَاوِيَةُ [٢]: مَنْ لِذَرَارِيِّ

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٥٦): «إن أحدًا لم ينقل إنَّ عَائِشَةَ وَمَنْ مَعَهَا نَازَعُوا عَلِيًّا فِي الْخِلَافَةِ وَلَا دَعَوْا إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ لِيُوَلُّوهُ الْخِلَافَةَ وَإِنَّمَا أَنْكَرَتْ هِيَ وَمَنْ مَعَهَا عَلَى عَلِيٍّ مَنْعَهُ مِنْ قَتْلِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ وَتَرْكِ الِاقْتِصَاصِ مِنْهُمْ وَكَانَ عَلِيٌّ يَنْتَظِرُ مِنْ أَوْلِيَاءِ عُثْمَانَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ فَإِذَا ثَبَتَ عَلَى أَحَدٍ بِعَيْنِهِ أَنَّهُ مِمَّنْ قَتَلَ عُثْمَانَ اقْتَصَّ مِنْهُ فَاخْتَلَفُوا بِحَسَبِ ذَلِكَ وَخَشِيَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِمُ الْقَتْلُ أَنْ يَصْطَلِحُوا عَلَى قَتْلِهِمْ فَأَنْشَبُوا الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ ... » .

(٢) كما في صحيح البخاري في «صحيحه» (٣٦٢٩).

(٣) برقم (٧١٠٩).

الْمُسْلِمِينَ[٣]، أي: من يكفلهم بعد قتل آبائهم.

قال الحافظ:[٤]

«فى هذا الحديث دلالة على رأفة معاوية رضي الله عنه بالرعية وشفقته على المسلمين وقوة نظره فى تدبير الملك ونظره فى العواقب». اهـ

إن ما كان بينهم لم يبلغ دينهم، كما أشار سعد رضي الله عنه فيما رواه طَارِقُ بْنُ شِهَابٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ سَعْدٍ كَلَامٌ ؛ قَالَ: فَتَنَاوَلَ رَجُلٌ خَالِدًا عِنْدَ سَعْدٍ ، قَالَ سَعْدٌ: «إِنَّ مَا بَيْنَنَا لَمْ يَبْلُغْ دِينَنَا». [٥] والاستدلالُ بعمومِهِ لعمومِهِمْ.

وَخُلَاصَةُ حُكْم سبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا قَالَهُ شيخُ الإسْلَامِ[٦]:

« أَمَّا مَنِ اقْتَرَنَ بِسَبِّهِ دَعْوَةُ أَنَّ عَلِيًّا إِلَهٌ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ هُوَ النَّبِيُّ وَإِنَّمَا غَلِطَ جِبْرِيْلُ فِي الرِّسَالَةِ، فَهَذَا لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ، بَلْ لَا شَكَّ فِي كُفْرِ مَنْ تَوَقَّفَ فِي تَكْفِيْرِهِ.

---

(١)وفى رواية: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال» ، وهي عند البخاري برقم (٢٧٠٤)، والمعنى: لا يرى لها طرف لكثرتها، كما لايرى من قابل الجبل طرفه، ويحتمل أن يريد شدة البأس. وفى رواية البخاري: «لا تولي حتى تقتل أقرانها» أخرجها البخاري (٢٧٠٤).

وفى رواية البخاري برقم (٢٧٠٤): «لا تولي حتى تقتل أقرانها».

(٢) وفى الرواية المتقدمة: قال له معاوية رضي الله عنه : «وكان والله خير الرجلين» ، كذا وهو موطن الشاهد.

(٣)وفى الرواية المتقدمة فى«الصحيح» (٢٧٠٤):« أي عمرو! إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم» .

(٤)فى «الفتح» (١٣/ ٨٢) ط. دار الحديث.

(٥)أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٩٩).

(٦)فى «الصارم المسلول» (ص ٥٨٧).

وَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّ القُرْآنَ نَقَصَ مِنْهُ آيَاتٌ وَكُتِمَتْ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ تَأْوِيْلَاتٍ بَاطِنَةً تُسْقِطُ الأَعْمَالَ المَشْرُوْعَةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ يُسَمَّونَ القَرَامِطَةَ والبَاطِنِيَّةَ، وَمِنْهُمُ التَّنَاسُخِيَّةُ وَهَؤُلَاءِ لَا خِلَافَ فِي كُفْرِهِمْ.

وَأَمَّا مَنْ سَبَّهُمْ سَبًّا لَا يَقْدَحُ فِي عَدَالَتِهِمْ وَلَا فِي دِيْنِهِمْ، مِثْلَ وَصْفِ بَعْضِهِمْ بِالبُخْلِ، أَوْ الجُبْنِ، أَوْ قِلَّةِ العِلْمِ، أَوْ عَدَمِ الزُّهْدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا هُو الَّذِي يَسْتَحِقُّ التَّأْدِيْبَ وَالتَّعْزِيْرَ، وَلَا نَحْكُمُ بِكُفْرِهِ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ كَلَامُ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُمْ مِنَ أَهْلِ العِلْمِ.

وَأَمَّا مَنْ لَعَنَ وَقَبَّحَ مُطْلَقاً، فَهَذَا مَحَلُّ الخِلَافِ فِيْهِمْ؛ لِتَرَدُّدِ الأَمْرِ بَيْنَ لَعْنِ الغَيْظِ، وَلَعْنِ الاعْتِقَادِ.

أَمَّا مَنْ جَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَّا نَفَراً قَلِيْلاً لَا يَبْلُغُونَ بِضْعَةَ عَشَرَ نَفْساً، أَوْ أَنَّهُمْ فَسَقُوا عَامَّتُهُمْ، فَهَذَا لَا رَيْبَ أَيْضاً فِي كُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِمَا نَصَّهُ القُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الرِّضَى عَنْهُمْ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، بَلْ مَنْ يَشُكُّ فِي كُفْرِ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّ كُفْرَهُ مُتَعَيِّنٌ».

سكون القتال بين الطائفتين

ذكر ابن كثير[1] تبعاً لغيره تَسَلُّلَ الْجَرْحَى مِنْ بين القتلى فدخلوا البصرة، وَقَدْ طَافَ عَلِيٌّ بَيْنَ الْقَتْلَى فَجَعَلَ كُلَّمَا مر برجل يعرفه ترحم عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يعزُّ عليَّ أَنْ أَرَى قُرَيْشًا صرعى.

وقد مر علىٌّ رضي الله عنه ما ذُكِرَ عَلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله وَهُوَ مَقْتُولٌ فَقَالَ: لَهْفِي عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّا الله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالله لَقَدْ كُنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعر:

فَتًى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ ... إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى ويبعده الفقر

(١) في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٠).

وفي موطن آخر: ذكر أن عَلِيًّا لَمَّا دَارَ بَيْنَ الْقَتْلَى رَآهُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَقَالَ: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا مُحَمَّدٍ، يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ مجدولا تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى الله أَشْكُو عُجَرِي وَبُجَرِي، وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِعِشْرِينَ سَنَةً.

ثم صلى عليٌّ على القتلى من الفريقين، وخصَّ قريش بِصَلَاةٍ مِنْ بَيْنِهِمْ، ثُمَّ جَمَعَ مَا وَجَدَ لأصحاب عائشة في المعسكر وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَمَنْ عَرَفَ شَيْئًا هُوَ لِأَهْلِهِمْ فَلْيَأْخُذْهُ، إِلَّا سِلَاحًا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ عَلَيْهِ سِمَةُ السُّلْطَانِ.

وَكَانَ مَجْمُوعُ مَنْ قُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَشَرَةَ آلَافٍ، خَمْسَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَخَمْسَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، رَحِمَهُمُ الله وَرَضِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ، وبالطبع الجرحى أكثر بكثير. فالله أعلم أي ذلك كان بالضبط، فلم أقف على أسانيد ثابتة بذلك.

وكذلك ما ورد من سؤال بَعْضِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلِيًّا أَنْ يُقَسِّمَ فِيهِمْ أَمْوَالُ أَصْحَابِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية، وَقَالُوا: كَيْفَ يَحِلُّ لَنَا دِمَاؤُهُمْ وَلَا تَحِلُّ لَنَا أَمْوَالُهُمْ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ تَصِيرَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَهْمِهِ؟ فسكت القوم، ولهذا لما دخل البصرة فض فِي أَصْحَابِهِ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ، فَنَالَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَمْسَمِائَةٍ، وَقَالَ: لَكُمْ مِثْلُهَا مِنَ الشام، فتكلم فيه السبائية أيضا ونالوا منه من وراء وراء. والذي يظهر أن هذا الاعتراض كان من الخوارج الذين مرقوا وخرجوا عليه كما سيأتي الجواب عليه في موطنه، والله المستعان.

وَقد ذكر ابن كثير[1] لَمَّا أَرَادَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ الْخُرُوجَ مِنَ الْبَصْرَةِ بَعَثَ إِلَيْهَا عَلِيٌّ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي مِنْ مَرْكَبٍ وَزَادٍ

(١) في «البداية والنهاية» (٨/ ٢١).

وَمَتَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَذِنَ لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إِلَّا أَنْ يُحِبَّ الْمُقَامَ، وَاخْتَارَ لَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْمُعْرُوفَاتِ، وَسَيَّرَ مَعَهَا أَخَاهَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقد أخرج البيهقيُ[1] بسنده عن عائشة حينما سَألت عن الحرورية وقيل لها قَالَتْ: رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا لَقَدْ كَانَ عَلَى الْحَقِّ وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا كَمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا.

ولم أجد في ذلك إسناداً ثابتاً عنها.

إرجاع عائشة رضي الله عنها إلى المدينة

ثم إنه تم إرجاع عائشة رضي الله عنها إلى المدينة، وأرسل معها عليٌّ من يُرجعها إلى المدينة، إلى مأمنها، وَهنا يروَّج حديث أَخْرَجَه أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ بِسَنَدٍ جوَّده الحافظ ابن حجر مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ قَالَ فَأَنَا أَشْقَاهُمْ يَا رَسُولَ الله قَالَ لَا وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا[2].

(١) في«دلائل النبوة»(٦/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧١٩٨) وغيره بسندٍ لا يصح، بل هو منكر، ولو صح لتوفرت الدواعي على نقله.

موقفها مع الأشتر النخعي وهي راجعه من وقعة الجمل

والأشتر هذا هو الذي تفرَّس فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ صغره!

فأخرج الخلال في«السنة»[١] وغيره بسندٍ حسن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عُمَرَ مَعَاشِرَ مَذْحِجٍ ، وَكُنْتُ مِنْ أَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَجْلِسًا، فَجَعَلَ عُمَرُ يَنْظُرُ إِلَى الأَشْتَرِ وَيَصْرِفُ بَصَرَهُ ، فَقَالَ: أَمِنْكُمْ هَذَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ : مَا لَهُ ، قَاتَلَهُ الله ، كَفَى الله أُمَّةَ مُحَمَّدٍ شَرَّهُ ، وَالله إِنِّي لأَحْسَبُ أَنَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ يَوْمًا عَصِيبًا.

قِلَّةُ من حضر هذه الوقعة من الصحابة رضي الله عنهم

جُمْهُورُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم ، وَجُمْهُورُ أَفَاضِلِهِمْ مَا دَخَلُوا فِي فِتْنَةٍ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. [٢]

أخرج أحمد[٣] بسندٍ صحيح عَن مُحَمَّد بن سِيرِين قَالَ هَاجَتْ الْفِتْنَة وَأَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عشرَة آلَاف فَمَا خف فِيهَا مِنْهُم مائَة بل لم يبلغُوا ثَلَاثِينَ.

قال شيخ الإسلام عقب الأثر:« وَهَذَا الْإِسْنَادُ مِنْ أَصَحِّ إِسْنَادٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ مِنْ أَوَرِعِ النَّاسِ فِي مَنْطِقِهِ، وَمَرَاسِيلُهُ مِنْ أَصَحِّ الْمَرَاسِيلِ» .

---

(١) في«السنة»(٨٣٦) .

(٢) في«منهاج السنة النبوية»(٦/ ٢٣٦).

(٣) في«العلل»(٤٧٨٧) ومن نفس الطريق أخرجه الخلال في«السنة»(٧٢٨)عن عبد الله بن أحمد عن أبيه بنفس السند .

وقد أخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ قوي عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمْ يَشْهَدَ الْجَمَلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِلاَّ عَلِيٌّ وَعَمَّارٌ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَإِنْ جَاؤُوا بِخَامِسٍ فَأَنَا كَذَّابٌ.(١)

ومراده من البدريين وإلا فقد كان في الفريق الآخر معاوية وعمرو بن العاص وولده – ولم يكن يقاتل معهم– والله أعلم ، وغيرهم والله الموفق.

وقد وقفت بعد على ما أخرجه خليفة بن خياط(٢) بسند يحسن عن سعيد بن جبير قال: كان مع علي يوم الجمل ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان.

ومن هنا يعلم تهويل القَصَّاص الخارجي محمد بن الحسن الدودو– ذاك المعاصر–(٣): «وكان كذلك مع معاوية رضي الله عنه عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، وكان في أهل الجمل من هو مقطوع بأنه من أهل الجنة، كـ عائشة والزبير وطلحة، وكان في الفئة الأخرى مع علي رضي الله عنه عدد مقطوع بأنهم من أهل الجنة» اهـ.

أما أن معاوية معه عدد كثير فلا، وأما عليٌّ رضي الله عنه فكان معه عدد أكثر لكون الحق كان معه فالكبار والكثرة معه بطبيعة الحال، وإن كان اعتزل جماعة القِتال كلّه.

ذكر من قتل في هذه الموقعة

منهم: طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه كما تقدم ذكره.

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٧) حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن وهو الغداني البصري عن الشعبي به وإسناده صحيح إلى الشعبي.ورجاله ثقات إلا منصور وهو أقرب إلى التوثيق.

(٢) في«تاريخه»

(٣) في كتابه« سلسلة الأسماء والصفات» (١٤/ ٢١).

ومجيء ابن طلحة بعد موت أبيه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام

أخرج ابن سعد[١] بسندٍ يحسَّن عن رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ:إِنِّي لَعِنْدَ عَلِيٍّ جَالِسٌ إِذْ جَاءَ ابْنُ طَلْحَةَ فَسَلَّمَ عَلَى عَلِيٍّ. فَرَحَّبَ بِهِ عَلِيٌّ.فَقَالَ: تُرَحِّبُ بِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ قَتَلْتَ وَالِدِي وَأَخَذْتَ مَالِي؟ قَالَ: أَمَّا مَالُكَ فَهُوَ مَعْزُولٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ. فَاغْدُ إِلَى مَالِكَ فَخُذْهُ. وَأَمَّا قَوْلُكَ قَتَلْتَ أَبِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَبُوكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ الله: «وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» الحجر: ٤٧. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ أَعْوَرُ: الله أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ. فَصَاحَ عَلِيٌّ صَيْحَةً تَدَاعَى لَهَا الْقَصْرُ.قَالَ: فَمَنْ ذَاكَ إِذَا لَمْ نَكُنْ نَحْنُ أُولَئِكَ؟

وفي رواية:عن أبي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ مَوْلَى طَلْحَةَ قَالَ: دَخَلَ عِمْرَانُ بْنُ طَلْحَةَ عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ يَوْمِ الْجَمَلِ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَنِي الله وَأَبَاكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا قَالَ: «إِخْوَانًا على سرر متقابلين » ، وَرَجُلانِ جَالِسَانِ عَلَى نَاحِيَةِ الْبِسَاطِ فَقَالا: الله أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، تَقْتُلُهُمْ بِالأَمْسِ وَتَكُونُوا إِخْوَانًا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: قُومَا إِلَى أَبْعَدِ أَرْضٍ وَأَسْحَقِهَا، فَمَنْ هُمْ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَنَا وَطَلْحَةُ، ثُمَّ قَالَ لِعِمْرَانَ: كَيْفَ أُهْلِكَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ وَلَدِ أَبِيكَ؟
أَمَا إِنَّا لَمْ نَقْبِضْ أَرْضِيكُمْ هَذِهِ السِّنِينَ- أَوْ قَالَ هَذِهِ السَّنَتَيْنِ- وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَهَا إِنْ قَبَضْنَاهَا مَخَافَةَ أَنْ يَخْتَطِفَهَا- أَوْ قَالَ يَنْهَبَهَا- النَّاسُ. يَا فُلانُ اذْهَبْ مَعَهُ إِلَى ابْنِ قَرَظَةَ فَمُرْهُ فَلْيَدْفَعْ إِلَيْهِ أَرْضَهُ وَغَلَّتَهَا لِهَذِهِ السَّنَتَيْنِ- أَوْ قَالَ:السِّنِينَ يا ابن أَخِي ائْتِنَا فِي الْحَاجَةِ إِنْ كَانَتْ لَكَ.[٢]

(١) في «طبقاته»(٣/ ١٦٩) ومن طريقه البلاذري في«أنساب الأشراف»(١٠/ ١٢٩) .

(٢) أخرج ذلك البلاذري في«أنساب الأشراف»(١٠/ ١٢٩).

وأخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح عن أبي نضرة قال: ذكروا علياً وعثمان وطلحة والزبير عند أبي سعيد فقال:«أقوام سبقت لهم سوابق وأصابتهم فتنة فردوا أمرهم إلى الله».

وممن قتل في موقعة الجمل : الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله ﷺ .

ومات في هذه السنة سلما الفارسي ، وقدامة ابن مظعون رضي الله عنهما على ما ذكر خليفة بن خياط في«تاريخة» ص١١٥ .

فِي ذِكْرِ وَقْعَةِ صِفِّينَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ

وسميت بصفين لأن الفريقين تواقفوا قبل الحرب حين تواجه الجمعان في مكان يقال له صفين فسميت بموقعة صِفِّين.وقد ذكرها خليفة بن خياط[1]في أحداث سنة سبع وثلاثين.

قال ابن كثير رحمه الله:

لَمَّا فَرَغَ عليٌّ رضي الله عنه مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَشَيَّعَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ لَمَّا أَرَادَتِ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَّةَ، سَارَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ، قَالَ ابْنُ أَبِي الْكَنُودِ عُبَيْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدٍ: فَدَخَلَهَا عَلِيٌّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، فَقِيلَ لَهُ: انْزِلْ بِالْقَصْرِ الْأَبْيَضِ.فَقَالَ: لَا، إِنَّ عُمَرَ كَانَ يَكْرَهُ نُزُولَهُ، فَأَنَا أَكْرَهُهُ لِذَلِكَ. فَنَزَلَ فِي الرَّحْبَةِ وَصَلَّى فِي الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَحَثَّهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَمَدَحَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِي خُطْبَتِهِ هَذِهِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله- وَكَانَ عَلَى هَمَذَانَ مِنْ زَمَانِ عُثْمَانَ - وَإِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ

(١) في«تاريخه» ص ١١٥.

قَيْسٍ- وَهُوَ لَى نِيَابَةِ أَذْرَبِيجَانَ مِنْ أَيَّام عُثْمَانَ- يَأْمُرُهُمَا أَنْ يَأْخُذَا الْبَيْعَةَ لَهُ عَلَى مَنْ هُنَالِكَ ثُمَّ يُقْبِلَا إِلَيْهِ، فَفَعَلَا ذَلِكَ. فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ، رضي الله عنه، أَنْ يَبْعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، رضي الله عنه، يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله: أَنَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وُدًّا، فَآخُذُ لَكَ الْبَيْعَةَ مِنْهُ. فَقَالَ الْأَشْتَرُ:لَا تَبْعَثْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ هَوَاهُ مَعَهُ.فَقَالَ عَلِيٌّ: دَعْهُ. فَبَعَثَهُ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ يُعْلِمُهُ بِاجْتِمَاعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَيُخْبِرُهُ بِمَا كَانَ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ.فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله أَعْطَاهُ الْكِتَابَ. وَطَلَبَ مُعَاوِيَةُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَرُءُوسَ أَهْلِ الشَّامِ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُبَايِعُوا حَتَّى يَقْتُلَ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، أَوْ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَاتَلُوهُ وَلَمْ يُبَايِعُوهُ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ. فَرَجَعَ جَرِيرٌ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا.

قلت«محمد»:

تقدَّم ثبوت أنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيًّا أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: وَالله إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ، وَأَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ وَأَمْرُهُ إِلَيَّ ؟ فَقُولُوا لَهُ: فَلْيُسَلِّمْ إِلَيَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ وَأَنَا أُسَلِّمُ لَهُ أَمْرَهُ.

فَأَتَوْا عَلِيًّا فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحَدًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّام عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وحصل القتال بين الفريقين.

أحداث سنة سبع وثلاثين للهجرة

قال ابن كثير[1] اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مُتَوَاقِفٌ هُوَ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه ،كُلٌّ مِنْهُمَا فِي جُنُودِهِ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ صِفِّينَ

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٤) .

بِالْقُرْبِ مِنَ الْفُرَاتِ شَرْقِيِّ بِلَادِ الشَّامِ، وَقَدِ اقْتَتَلُوا فِي مُدَّةِ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ كُلَّ يَوْمٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رُبَّمَا اقْتَتَلُوا مَرَّتَيْنِ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَالْمَقْصُودُ أنه لما دخل شهرُ المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة، ووادعة يؤول أَمْرُهَا إِلَى الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ التَّارِيخِ وَغَيْرُهُمْ أَنَّ عَلِيًّا، رضي الله عنه، بَارَزَ فِي يَوْمِ صِفِّينَ وَقَاتَلَ وَقَتَلَ خَلْقًا، حَتَّى ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَتَلَ خَمْسَمِائَةٍ....

وفي هذا قصص وأحوال لم أقف لها على أسانيدَ ثابتةٍ، فأعرضتُ عن ذكرها.

ومنها:ما رواه إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دِيزِيلَ بسنده عَنْ نُمَيْرٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: وَالله لَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَلِيًّا وَهُوَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صِفِّينَ، أَمَا تَخَافُونَ مَقْتَ الله حَتَّى مَتَى.ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو ثُمَّ قَالَ: وَالله مَا سَمِعْنَا بِرَئِيسٍ أَصَابَ بِيَدِهِ مِنَ الْقَتْلِ مَا أَصَابَ عَلِيٌّ يَوْمَئِذٍ، إِنَّهُ قَتَلَ فِيمَا ذَكَرَ الْعَادُّونَ زِيَادَةً عَلَى خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ يَخْرُجُ فَيَضْرِبُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَنْحَنِيَ، ثُمَّ يَجِيءُ فَيَقُولُ: مَعْذِرَةً إِلَى الله وَإِلَيْكُمْ، وَالله لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْلَعَهُ وَلَكِنْ يَحْجِزُنِي عَنْهُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتًى إِلَّا عَلِيٌّ**» قَالَ: فَيَأْخُذُهُ فَيُصْلِحُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ.

وقد قال ابن كثير عقب ذكره(١):«هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ وَحَدِيثٌ مُنْكَرٌ » .

وفي هذه السنة قتل محمدُ بنُ أبي بكرٍ الصديقِ.

ذكر المؤرِّخُون أن علي بْن أَبِي طالب ولَّى فِي هَذِهِ السنة مَالِك بْن الْحَارِث الأشتر النخعي مصر، فمات بالقلزم قبل أن يصل إليها، سُمَّ فِي زبد وعسل، قُدِّم بين يديه

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٤١).وقد وهَّاه السخاوي في«المقاصد الحسنة» (١٣٠٧) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

فأكل منه، فمات[١]، فولى عليٌ مُحَمَّدَ بْن أَبِي بَكْر، فسار إِلَيْهِ عَمْرو بْن الْعَاص فاقتتلوا ، فانهزم مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر، فدخل فِي خربة فيها حمار ميت، فدخل فِي جوفه فأحرق فِي جوف الحمار.وقيل: بل قتله معاوية بن حُدَيج السكونيُّ في المعركة، ويقال: أتى به عمرو بن العاص فقتله صبراً .

والذي قفت عليه ما:

أخرجه خليفة بن خياط[٢]بسندٍ صحيح عن عمرو بن دينار قال: أتى عمرو بن العاص بمحمد بن أبي بكر أسيراً، فقال: هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟

قال: لا، فأمر به فقُتل.

وقد أخرج أبو بكر الشافعي في«الغيلانيات» [٣]بإسنادٍ صحيح عن الْقَاسِم بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ الْحَجَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَكَلَّمَهَا خَالِيَيْنِ لَمْ يَشْهَدْ كَلَامَهُمَا إِلَّا ذَكْوَانُ أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : أَمِنْتَ أَنْ أُخَبِّئَ لَكَ رَجُلًا يَقْتُلُكَ بِقَتْلِكَ أَخِي مُحَمَّدًا ؟

---

(١) والذي وقفت عليه في سبب وفاته ما أخرجه عبد الرزاق(٩٧٧٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣١١) عن الزُّهْرِيّ قَالَ بعث علي الأشتر أميراً على مصر حتى بلغ قلزم فشرب شربة من عسل فكَانَ فِيهَا حتفه فقَالَ عَمْرو بْن العاص: إن لله جنوداً من عسل، وبعث عليٌّ مُحَمَّد بْن أَبِي بكر أميراً على مصر، وخرج قيس بْن سعد قبل المدينة قبل قتل مُحَمَّد .

وسنده صحيح إلى الزهري لولا أنه مرسل .

(٢) في«تاريخه» ص ١١٦.

(٣) برقم(٧٤٣) وله طريق آخر أخرجه الطبراني في«الكبير»(١٩/ ٣١٩) وفي سنده ضعف من قبل على بن زيد بن جدعان .

قَالَ مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتِ. فَكَلَّمَهَا مُعَاوِيَةُ فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ، تَشَهَّدَتْ عَائِشَةُ ثُمَّ ذَكَرَتْ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَالَّذِي سَنَّ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ، وَحَضَّتْ مُعَاوِيَةَ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِمْ..الأثر وسيأتي إن شاء الله.

فدل على أن قتله كان بأمر من معاوية رضي الله عنه وأن الآمر بقتله كان عمر بن العاص رضي الله عنه.

وسيأتي ذلك في أحداثِ سنة ٣٨هـ إن شاء الله.

إنصاف عائشة رضي الله عنها فيمن قتله

أخرج مسلم[١] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ،قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا:«**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**».

احتدام القتال وكثرة القتلى بين الفريقين والله المستعان

أخرج خليفة بن خياط[٢] بسندٍ صحيح إلى محمد بن سيرين قال:افترقوا عن سبعين ألفاً يُعَدُّون بالقصب.

وأخرج[٣] بسندٍ صحيح عنه قال: بلغ قتلى صفين سبعين ألفاً.

---

(١) برقم (١٨٢٨).

(٢) في «تاريخه»ص ١١٧.

(٣) ص ١١٨.

ومما يشتهر ولا إسناد له يصح أن علياً ﷺ نَادَى وَيْحَكَ يَا مُعَاوِيَةُ! ابْرُزْ إِلَيَّ وَلَا تُفني العرب بيني وبينك، فقال له عمرو بن العاص:اغْتَنِمْهُ فَإِنَّهُ قَدْ أُثْخِنَ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: وَالله لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يُقْهَرْ قَطُّ، وَإِنَّمَا أَرَدْتَ قَتْلِي لِتُصِيبَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، اذْهَبْ إِلَيْكَ! فَلَيْسَ مِثْلِي يُخْدَعُ.

وَذَكَرُوا أَنَّ عَلِيًّا حَمَلَ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَوْمًا فَضَرَبَهُ بِالرُّمْحِ فَأَلْقَاهُ إلى الأرض فبدت سؤته فرجع عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَالَكَ يَا أَمِيرَ المؤمنين رجعت عنه؟ فقال: أتدرون ما هو؟قالوا: لا! قال: هذا عمرو بن العاص تلقاني بسؤته فَذَكَّرَنِي بِالرَّحِمِ فَرَجَعْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ عَمْرٌو إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ: احْمَدِ الله وَاحْمَدِ اسْتَكَ. ذكره ابن كثير في«تاريخه»

ولوائح الوضع بادية عليه.

موقف عمار بن ياسر ﷺ في القتال ومنزلته وهو في صفوف عليّ بن أبي طالب ﷺ

عمار بن ياسر ﷺ قد وردت نصوص تفيد أنه كان على الحق، وتقتله الفئة الباغية، وأنه يدعوهم إلى الجنة، من ثم كان الناس كلهم خلفه، وهذا يدل على أن الجميع كان مجتهداً للوصول إلى الحق، باذل الوسع في ذلك.

وأخرج الطبراني[1] عن الأعمش، قال: قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: شهدنا مع عليٍّ صِفِّينَ، وقد وكَّلْنا بفَرَسِه رجُلَين، فكانت إذا كانت من الرجُل غَفْلَةٌ غَمَزَ عليٌّ فرسَه، فإذا هو في عَسْكَر القوم، فيَرْجعُ إلينا وقد خُضِبَ سيفُه دمًا، ويقول إذا رَجَع: يا صحابي، اعْذِروني!اعْذِروني!

(١) في«الكبير»(١٣/ ٤٦١) من طريق عطاء بن أبي مسلم عن الأعمش به.

ورجاله ثقات لولا أن عطاء متكلَّم فيه، ومعناه صحيح أن يحصل منهم ذلك.

وكنَّا إذا توادَعْنا دخلَ هؤلاء في عسكَر هؤلاء، وهؤلاءِ في عسكَر هؤلاء. فكان عمَّارُ بن ياسر عَلَمًا لأصحاب محمَّد ﷺ، لا يسلُكُ عمارٌ واديًا من أودية صِفِّينَ إلاَّ تبعَهُ أصحابُ محمَّد.

وأخرج الترمذي [1] بإسنادٍ رجاله معدَّلون عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا**».

أي: أصلحهما، وأصوبهما، وأقربهما إلى الحق.

أخرج البخاري[2] عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**» قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الفِتَنِ».

والمعنى: عَمَّاراً وَأَصْحَابَهُ يَدْعُونَ أَهْلَ الشَّامِ إِلَى الأُلْفَةِ وَاجتِمَاعِ الكَلِمَةِ.وَأَهْلُ الشَّامِ يُرِيْدُونَ أَنْ يَسْتَأْثِرُوا بِالأَمْرِ دُوْنَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ، وَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ أَوْزَاعاً، عَلَى كُلِّ قُطْرٍ إِمَامٌ يَرْأَسُهُ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى افْتِرَاقِ الكَلِمَةِ، وَاخْتِلَافِ الأُمَّةِ، فَهُوَ لَازِمُ مَذْهَبِهِمْ، وَنَاشِئٌ عَنْ مَسَلْكِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَقْصِدُوْنَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

موقف عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه من الفريقين

عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه كان في صفوف معاوية، ولكنه لم يكن يقاتل.

---

(١) وهو ثابت أخرجه الترمذي(٣٧٩٩) والآجري في«الشريعة» (١٩٧٤) وله شاهد عن ابن مسعود تأخرجه ابن أبي شيبة(٤٠٧).

(٢) برقم (٤٤٧).

وسيأتي بالسند الصحيح قوله ﷺ لمعاوية رضي الله عنهما: «..إِنِّي مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ، إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ**» فَأَنَا مَعَكُمْ، وَلَسْتُ أُقَاتِلُ.

وقد روى إبراهيم بن الحسين بن ديزيل بسنده[١] إلى ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو قَالَ لِأَبِيهِ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَنِي بِطَاعَتِكَ مَا سِرْتُ مَعَكَ هَذَا الْمَسِيرَ[٢].

محاولة الفريقين للإصلاح

وكل منهم يحاول الإصلاح، ولكن دون جدوى، لا يشك أن هناك أياد خفية تفسد...

وأخرج مسلم[٣] عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمَّارٍ: أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شَيْئًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟ فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا، فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ وَأَرْبَعَةٌ**».

وأخرج البخاري[٤] عن الأَعْمَش، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ- شَهِدْتَ صِفِّينَ؟ قَالَ: نَعَمْ- فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ: «اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ

(١) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٤٧)

(٢) ولكن في سنده حفص بن عمران البرجمي لم أقف له على ترجمة.

(٣) برقم (٢٧٧٩).

(٤) برقم (٣١٨١).

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا».

والظاهر أن ذلك كان بعد قضيَّة التحكيم بين الفريقين:

ففي رواية للحديث السالف[1] سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، يَقُولُ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ وَحُكْمُ الْحَكَمَيْنِ سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ ﷺيَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرُدَّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَمْرَهُ لَرَدَدْنَاهُ، وَايْمُ الله مَا وَضَعْنَا سُيوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا مُنْذُ أَسْلَمْنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا إِلَّا أَسْهَلَتْ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ أَلَا، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا نَسُدُّ مِنْهُ خَصْمًا إِلَّا انْفَتَحَ عَلَيْنَا مِنْهُ خَصْمٌ آخِرُ».

تلهُّف عمار بن ياسر رضي الله عنه للموت بعدما رأى ما رأى

لا شك أن المصيبة جلل، وعمار رضي الله عنه يرى أنفساً تُزهق، وأطفالاً تُيتَّم، ومسلمين يصابون ،مع علمه بالأدلة الكثيرة الناهية عن مجرد إشارة الأخ إلى أخيه بحديدة فضلاً عن قتله. إنه لكرب وهو يرى النفاق وقد اشرأب، والكفار مسرورين برؤية المسلمين يقتل بعضهم بعضاً...وقد قال ﷺ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[2]

فأي همّ وكرب أعظم من هذا؟!وكان أمر الله قدراً مقدراً، ووقع ما أخبر به ﷺ في قول أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»[3]

---

(١) عند أبي عوانة في«المستخرج»(٦٨٠٧).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) البخاري(٦٩٣٥)ومسلم (١٥٧).

أخرج ابن أبي شيبة[١] عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ دَعَا عَمَّارٌ بِشَرْبَةِ لَبَنٍ فَشَرِبَهَا ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِي: «**إِنَّ آخِرَ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ**». وسنده بهذا اللفظ يتقوى بشاهد

عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ مَيْسَرَةَ، وَأَبِي البَخْتَرِيِّ، أَنَّ عَمَّارًا يَوْمَ صِفِّينَ جَعَلَ يُقَاتِلُ فَلاَ يُقْتَلُ، فَيَجِيءُ إِلَى عَلِيٍّ، فَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ هَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا هُوَ؟ فَيَقُولَ:أَذْهِبْ عَنْكَ، فَقَالَ ذَلِكَ مِرَارًا، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ، فَقَالَ عَمَّارٌ:إِنَّ هَذِهِ لَآخِرَ شَرْبَةٍ أَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.[٢] وإسناده صحيح له حكم الرفع.

قَتلُ عمار بن ياسر رضي الله عنه

علمنا مما تقدم أن الفئة الباغية هي التي ستقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، ولذلك كان عَلَمًا لهم لما هو معلوم من كلام النبي ﷺ، ولذلك ورد أنه حين قتل اشتد القتال جداً بين الفريقين، لاتضاح الأمر للعيان ، فقوى هجوم طائفة علي رضي الله عنه ،لتيقُّنهم أنهم أولى بالحق.

وقد ضعُف فريق معاوية رضي الله عنه بسبب هذا، فقد دَبَّ النزاع بين أفرادهم، بل وقادتهم بسبب قتل عمَّار رضي الله عنه .

فقد أخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ صحيح عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنَزِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ:

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٥٥٢) وأحمد(١٨٨٨٠) .

(٢) أخرجه أبو يعلى(١٦٢٦).

(٣) في«المصنف»(٧/ ٥٤٧)

أَنَا قَتَلْتُهُ [١]، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونَكَ يَا عَمْرُو ، فَمَا بَالُكَ مَعَنَا؟ قَالَ: إِنِّي مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ، إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« **أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ**» فَأَنَا مَعَكُمْ، وَلَسْتُ أُقَاتِلُ.

فيا لله العجب رسول الله ﷺ يقول:«**إِنَّهُ مَنْ يُعَادِ عَمَّارًا يُعَادِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يُبْغِضْهُ يُبْغِضْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَسُبَّهُ يَسُبَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[٢]

وهذان يتسابقان بالفخر بدعوى كل منهما أنه قتله!!

وأخرج أحمد[٣] بسندٍ حسن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: إِنِّي لَأَسِيرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: يَا أَبَتِ، مَا سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لِعَمَّارٍ: «**وَيْحَكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» ؟ قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌو لِمُعَاوِيَةَ: لَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا تَزَالُ تَأْتِينَا بِهَنَةٍ أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ.

---

(١) ويا قبح ما جاءا يتفاخرا به! فليست والله بمَكرُمة أبداً، وإنه ليذكِّرنا بقول أنس بن مالك رضي الله عنه : قَالَ شبث بن ربعي:«أَنَا أَوَّل من حرر الحرورية» فقَالَ رجل: مَا فِي هذا مدحٌ.أخرجه عنه أبو عروبة في«الأوائل»(١٦٦) والبخاري في «التاريخ الكبير» وغيرهما بسندٍ صحيح.

وهي كمدح عمران بن حطان لابن ملجم – قبَّحه الله- على قتله لعلي بن أبي طالب لخليفة الراشد كما سيأتي في موطنه إن شاء الله.

(٢) أخرجه أحمد(١٦٨٢١) وغيره بسندٍ يحسَّن إن شاء الله لحال الأشتر النخعي في سنده، في الوجه المحفوظ عنه .

(٣) برقم (٦٤٩٩).

قلت وهذا تأويل بعيد منه، وإلا فرسول اللهﷺ قتل حمزة وشهداء أحد فإنه هو الذي جاء بهم إلى أرض المعركة، ولذلك استبعد هذا التأويل **ابن كثير فقال**:[١] «وَهَذَا التأويل الّذي سلكه معاوية رضي الله عنه بَعِيدٌ، ثُمَّ لَمْ يَنْفَرِدْ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو بِهَذَا الْحَدِيثِ بَلْ قَدْ رُوِيَ مِنْ وجوه أخر..عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ: «**تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» وسنده صحيح [٢].

وتقدم قوله ﷺ عن عَمَّارٍ: «**يَا وَيْحَ عَمَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**» ..

وَرَوَى مسلم[٣]أيضا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ: **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**».

وأخرج ابن سعد[٤]بسندٍ جيد عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**».قَالَ عَوْفٌ: وَلَا أَحْسِبُهُ إِلَّا قَالَ: «**وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ**».

قاتل عمار رضي الله عنه

تقدَّم أن رجلين قد قتلا عمَّار بن ياسر وجاءا يختصمان، كلهم يقول أنا قتلته.

ولكن أخرج ابن سعد[١]بسندٍ ثابت عَنْ أَبِي غَادِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَقَعُ فِي عُثْمَانَ يَشْتِمُهُ بِالْمَدِينَةِ قَالَ: فَتَوَعَّدْتُهُ بِالْقَتْلِ قُلْتُ: لَئِنْ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٤٨) بتصرف.

(٢) وقد نبَّه ابن كثير في«البداية النهاية»(٨/ ٥٠) من زاد في هذا الحديث بعد تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ- لَا أَنَالَهَا الله شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ- أنه قَدِ افْتَرَى فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ عَلَى رَسُولِ الله ع، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْهَا إِذْ لَمْ تُنْقَلْ مِنْ طَرِيقٍ تُقْبَلُ وَالله أَعْلَمُ.

(٣) برقم (٢٩١٦).

(٤) في«طبقاته»(٣/ ٢٥١) وفي سنده خيرة أم الحسن البصري وهي معدَّلة.

لأَفْعَلَنَّ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ جَعَلَ عَمَّارٌ يَحْمِلُ عَلَى النَّاسِ. فَقِيلَ هَذَا عَمَّارٌ. فَرَأَيْتُ فُرْجَةً بَيْنَ الرِّئَتَيْنِ وَبَيْنَ السَّاقَيْنِ. قَالَ فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ فَطَعَنْتُهُ فِي رُكْبَتِهِ. قَالَ: فَوَقَعَ فَقَتَلْتُهُ. فَقِيلَ قَتَلْتَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ. وَأُخْبِرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول إِنَّ قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ فِي النَّارِ . فَقِيلَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: هُوَ ذَا أَنْتَ تُقَاتِلُهُ. فَقَالَ: إِنَّمَا قَالَ قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ.

وفي رواية(٢):عَنْ كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ، قَالَ: كُنَّا بِوَاسِطِ الْقَصَبِ عِنْدَ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرٍ قَالَ: فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْغَادِيَةِ، اسْتَسْقَى مَاءً ، فَأُتِيَ بِإِنَاءٍ مُفَضَّضٍ، فَأَبَى أَنْ يَشْرَبَ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ«**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» فَإِذَا رَجُلٌ يَسُبُّ فُلَانًا، فَقُلْتُ: وَالله لَئِنْ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ فِي كَتِيبَةٍ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ إِذَا أَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَالَ: فَفَطِنْتُ إِلَى الْفُرْجَةِ فِي جُرُبَّانِ الدِّرْعِ فَطَعَنْتُهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَإِذَا هُوَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: وَأَيَّ يَدٍ كَفَتَاهُ يَكْرَهُ أَنْ يَشْرَبَ فِي إِنَاءٍ مُفَضَّضٍ، وَقَدْ قَتَلَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ.(٣)

وحكى الحافظ في «الإصابة» عن يعقوب بن شيبة في مسند عمار: حدثنا مسلم ابن إبراهيم، حدثنا ربيعة بن كلثوم بن جبر، حدثنا أبي، قال: كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فقال الآذن: هذا أبو الغادية الجهنيّ، فقال: أدخلوه، فدخل رجل عليه مقطعات، فإذا رجل ضرب من الرجال كأنه ليس من رجال هذه الأمة، فلما أن قعد قال: بايعت رسول اللهﷺ. قلت: بيمينك؟ قال: نعم.

---

(١) في«طبقاته»(٣/ ١٩٧).

(٢) في«زوائد المسند»(١٦٦٩٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في«الإصابة»(٧/ ٢٦٠):« الظنّ بالصحابةفي تلك الحروب أنهم كانوا فيها متأوّلين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس، فثبوته للصحابة بالطريق الأولى». وتمام كلامي على الحكاية في كتابي «نصح الحكام».ص ١٤٢.

قال: وخطبنا يوم العقبة فقال: «**يا أيّها النّاس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام**... الحديث» .

وقال في خبره: وكنا نعدّ عمار بن ياسر فينا حنّانا، فو الله إني لفي مسجد قباء إذ هو يقول: إن نعثلاً فعل كذا- يعني عثمان، قال: فو الله لو وجدتُ عليه أعوانا لوطئته حتى أقتله، فلما أن كان يوم صفّين أقبل يمشي أول الكتيبة راجلاً حتى إذا كان بين الصَّفّين طَعنَ الرجل في ركبته بالرمح وعثر، فانكفأ المغفر عنه فضربه فإذا رأسه، قال: فكانوا يتعجبون منه أنه سمع: «**إنّ دماءكم وأموالكم حرام**»، ثم يقتل عماراً.

وتمام التعليق على هذا الأثر في كتابي«نصح الحكام بين الغلو والتفريط» .

قصة رفع المصاحف وتحكيم كتاب الله

أخرج النسائي[1] بسندٍ صحيح عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ :أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ عَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بِالنَّهْرَوَانِ ، فِيمَ اسْتَجَابُوا لَهُ ، وَفِيمَ فَارَقُوهُ ، وَفِيمَ اسْتَحَلَّ قَتْلَهُمْ ، فَقَالَ : كُنَّا بِصِفِّينَ ، فَلَمَّا اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِأَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ الْمُصْحَفَ، فَادْعُهُ إِلَى كِتَابِ الله، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ، فَجَاءَ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ} فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : أَنَا أَوْلَى بِذَلِكَ، بَيْنَنَا كِتَابُ الله، فَجَاءَتْهُ الْخَوَارِجُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُرَّاءَ ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ

(١) في «الكبرى»(١١٤٤٠)

الْمُؤْمِنِينَ، مَا نَنْتَظِرُ بِهَؤُلاَءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَلَى التَّلِّ، أَلاَ نَمْشِي إِلَيْهِمْ بِسُيُوفِنَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ[١]؟

فَتَكَلَّمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ[٢]، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ ، يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا فَجَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟...الحديث.

وفي صحيح البخاري[٣]عن عَبْد العَزِيزِ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ...الحديث.

وهذا ما أخبر به ﷺ فقال :« **سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا** »[٤].

قِصَّةُ التَّحْكِيمِ

قال ابن كثير[٥]:

---

(١) وهذا أول خروجهم على أميرهم عليّ بن أبي طالب ت.

(٢) أي اتهموا الرأي الذي تُعارِضُونَ به أميرَكم.

وظاهر هذا أن سهل ابن حنيف تكلم بهذا لا أكثروا في الاعتراض على أميرهم علي، ولم يستجيبوا.

(٣) برقم (٤٨٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

(٥) في«البداية والنهاية»(٨/ ٥٦) .

ثُمَّ تَرَاوَضَ الْفَرِيقَانِ بَعْدَ مُكَاتَبَاتٍ وَمُرَاجَعَاتٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا عَلَى التَّحْكِيمِ وَهُوَ أَنْ يُحَكِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمِيرَيْنِ- عَلِيٌّ وَمُعَاوِيَةُ- رَجُلًا مِنْ جِهَتِهِ، ثُمَّ يَتَّفِقَ الْحَكَمَانِ عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَوَكَّلَ مُعَاوِيَةُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَأَرَادَ عَلِيٌّ أَنْ يُوَكِّلَ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ- وَلَيْتَهُ فَعَلَ- وَلَكِنَّهُ مَنَعَهُ الْقُرَّاءُ الْخَوَارِجُ مِمَّنْ ذَكَرْنَا، وَقَالُوا: لَا نَرْضَى إِلَّا بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ.

وَذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ فِي كِتَابِ «الْخَوَارِجِ» لَهُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَشَارَ بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَتَابَعَهُ أَهْلُ الْيَمَنِ، وَوَصَفُوهُ بِأَنَّهُ كَانَ يَنْهَى النَّاسَ عَنِ الْفِتْنَةِ وَالْقِتَالِ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى قَدِ اعْتَزَلَ فِي بَعْضِ أَرْضِ الْحِجَازِ، قَالَ عَلِيٌّ: فَإِنِّي أَجْعَلُ الْأَشْتَرَ حَكَمًا. فَقَالُوا: وَهَلْ سَعَّرَ، الْأَرْضَ إِلَّا الْأَشْتَرُ؟ قَالَ: فَاصْنَعُوا مَا شِئْتُمْ. فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِعَلِيٍّ: وَالله لَقَدْ رَمَيْتَ بِحَجَرٍ، إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا رَجُلٌ مِنْهُمْ يَدْنُو مِنْهُمْ حَتَّى يَصِيرَ فِي أَكُفِّهِمْ، وَيَبْعُدُ عَنْهُمْ حَتَّى يَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ النَّجْمِ، فَإِنْ أَبَيْتَ أَنْ تَجْعَلَنِي حَكَمًا فَاجْعَلْنِي ثَانِيًا أَوْ ثَالِثًا، فَإِنَّهُ لَنْ يَعْقِدَ عُقْدَةً إِلَّا حَلَلْتُهَا، وَلَا يَحُلَّ عُقْدَةً عَقَدْتُهَا إِلَّا عَقَدْتُ لَكَ أُخْرَى مِثْلَهَا أَوْ أَحْكَمَ مِنْهَا. قَالَ: فَأَبَوْا إِلَّا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ. فَذَهَبَتِ الرُّسُلُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - وَكَانَ قَدِ اعْتَزَلَ - فَلَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اصْطَلَحُوا. قَالَ: الْحَمْدُ لله. قِيلَ لَهُ: وَقَدْ جُعِلْتَ حَكَمًا. فَقَالَ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ أَخَذُوهُ حَتَّى أَحْضَرُوهُ إِلَى عَلِيٍّ، رضي الله عنه وَكَتَبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا

هَذِهِ صُورَتُهُ:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ اكْتُبِ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ هُوَ أَمِيرُكُمْ وَلَيْسَ بِأَمِيرِنَا. فَقَالَ الْأَحْنَفُ: لَا تَكْتُبْ إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: امْحُهُ، وَاكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ بِقِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ حِينَ امْتَنَعَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ قَوْلِهِ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله. فَامْتَنَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: اكْتُبْ: هَذَا

مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. فَكَتَبَ الْكَاتِبُ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ؛ قَاضَى عَلِيٌّ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ شِيعَتِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ، وَقَاضَى مُعَاوِيَةُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، إِنَّا نَنْزِلُ عِنْدَ حُكْمِ الله وَكِتَابِهِ، وَنُحْيِي مَا أَحْيَا الله، عَزَّ وَجَلَّ، وَنُمِيتُ مَا أَمَاتَ الله، فَمَا وَجَدَ الْحَكَمَانِ فِي كِتَابِ الله- وَهُمَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - عَمِلَا بِهِ وَمَا لَمْ يَجِدَا فِي كِتَابِ الله، فَالسُّنَّةُ الْعَادِلَةُ الْجَامِعَةُ غَيْرُ الْمُتَفَرِّقَةِ. ثُمَّ أَخَذَ الْحَكَمَانِ مِنْ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَمِنَ الْجُنْدَيْنِ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ عَلَى أَنَّهُمَا آمِنَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَأَهْلِهِمَا، وَالْأُمَّةُ لَهُمَا أَنْصَارٌ عَلَى الَّذِي يَتَقَاضَيَانِ عَلَيْهِ وَيَتَّفِقَانِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ كِلَيْهِمَا عَهْدُ الله وَمِيثَاقُهُ أَنَّهُمْ عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.

قلت«محمد»:ومع أن الهيثم بن عدي نفسه ليس بمحمود الرواية، إلا أن كثيراً مما ذُكر صحيح بالنظر إلى ما أخذه الخوارج على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه كما سيأتي في مناظرة ابن عباس رضي الله عنه لهم إن شاء الله.

ذِكْرُ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ وبعض ما كان في وصفهم

قال ابن كثير[1]: وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ مَرَّ عَلَى مَلَأٍ مَنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ أُدَيَّةَ- وَهِيَ أُمُّهُ، وَهُوَ عُرْوَةُ بْنُ حُدَيْرٍ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ، وَهُوَ أَخُو أَبِي بِلَالٍ مِرْدَاسِ بْنِ حُدَيْرٍ- فَقَالَ: أَتُحَكِّمُونَ فِي دِينِ الله الرِّجَالَ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ عَجُزَ دَابَّةِ الْأَشْعَثِ، فَغَضِبَ الْأَشْعَثُ وَقَوْمُهُ، وَجَاءَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ بَنِي تَمِيمٍ يَعْتَذِرُونَ إِلَى الْأَشْعَثِ مِنْ ذَلِكَ.قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالْخَوَارِجُ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ حَكَّمَ عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ،

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٥٨)

وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ. وَقَدْ أَخَذَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ طَوَائِفُ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ مِنَ الْقُرَّاءِ وَقَالُوا: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله. فَسُمُّوا الْمُحَكِّمِيَّةَ. وَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ مِنْ صِفِّينَ، فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الْكُوفَةِ عَلَى طَرِيقِ هِيتَ، وَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الشَّامِ بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: ذَهَبَ عَلِيٌّ وَرَجَعَ فِي غَيْرِ شَيْءٍ. فَقَالَ عَلِيٌّ: لَلَّذِينَ فَارَقْنَاهُمْ آنِفًا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ.ثُمَّ مَضَى فَجَعَلَ يَذْكُرُ الله حَتَّى دَخَلَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ مِنَ الْكُوفَةِ، وَلَمَّا كَانَ قَدْ قَرُبَ مِنْ دُخُولِ الْكُوفَةِ انْخَزَلَ مَنْ جَيْشِهِ قَرِيبٌ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَهُمُ الْخَوَارِجُ، وَأَبَوْا أَنْ يُسَاكِنُوهُ فِي بَلَدِهِ، وَنَزَلُوا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: حَرُورَاءُ. وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ ارْتَكَبَهَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ فَنَاظَرَهُمْ، فَرَجَعَ أَكْثَرُهُمْ وَبَقِيَ بَقِيَّتُهُمْ، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ هُمُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ** - وَفِي رِوَايَةٍ: « **مِنَ الْمُسْلِمِينَ** » .

وَفِي رِوَايَةٍ: « **مِنْ أُمَّتِي** »- « **فَيَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ** ».

فأخرج مسلم [1] قوله ﷺ: «**سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»

وأخرج مسلم [2] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**».

---

(١) برقم(١٠٦٥)

(٢) برقم (١٠٦٤).

وفي رواية لمسلم أيضاً:عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، سِيمَاهُمْ التَّحَالُقُ قَالَ: «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ** - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - **يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ**».

قال ابن كثير [١]:« فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ، ﷺ، وَفِيهِ الْحُكْمُ بِإِسْلَامِ الطَّائِفَتَيْنِ؛ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ، لَا كَمَا يَزْعُمُهُ فِرْقَةُ الرَّافِضَةِ، أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْجَوْرِ، مِنْ تَكْفِيرِهِمْ أَهْلَ الشَّامِ. وَفِيهِ أَنَّ أَصْحَابَ عَلِيٍّ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَنَّ عَلِيًّا هُوَ الْمُصِيبُ وَإِنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ مُجْتَهِدًا فِي قِتَالِهِ لَهُ وَقَدْ أَخْطَأَ، وَهُوَ مَأْجُورٌ إِنْ شَاءَ الله، وَلَكِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْإِمَامُ الْمُصِيبُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى، فَلَهُ أَجْرَانِ كَمَا ثَبَتَ فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيّ»[٢] مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**».

عدد الخوارج الذين مرقوا على عليٍّ رضي الله عنه وماذا صنعوا ومناظرات الصحابة رضي الله عنهم لهم

وذلك من خلال سياق المرويات الواردة في ذلك:

فأخرج أحمد [٣] بسند حسن عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيِّ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ شَدَّادٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ، مَرْجِعَهُ مِنَ الْعِرَاقِ لَيَالِيَ قُتِلَ عَلِيٌّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ الله بْنَ شَدَّادٍ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ:وَمَا لِي لَا أَصْدُقُكِ؟ قَالَتْ:

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٥٩).

(٢)أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه

(٣) برقم(٦٥٦) وصحح سنده ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٦٢) .

فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَحَكَمَ الْحَكَمَانِ، خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلافٍ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، فَنَزَلُوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حَرُورَاءُ، مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصٍ أَلْبَسَكَهُ الله تَعَالَى، وَاسْمٍ سَمَّاكَ الله تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ انْطَلَقْتَ فَحَكَّمْتَ فِي دِينِ الله، فَلا حُكْمَ إِلا لله تَعَالَى. فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ: أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا أَنِ امْتَلاتِ الدَّارُ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، دَعَا بِمُصْحَفٍ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِي وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوِينَا مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَصْحَابُكُمْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ الله عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنَ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ وَنَقَمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهﷺ: «بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» . فَقَالَ: سُهَيْلٌ لَا تَكْتُبْ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: «**كَيْفَ نَكْتُبُ؟**» فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**» فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله لَمْ أُخَالِفْكَ. فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ قُرَيْشًا. يَقُولُ: الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ» فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعَرِّفُهُ مِنْ كِتَابِ الله مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: قَوْمٌ خَصِمُونَ فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ الله. فَقَامَ خُطَبَاؤُهُمْ فَقَالُوا: وَالله لَنُوَاضِعَنَّهُ كِتَابَ الله، فَإِنْ جَاءَ بِحَقٍّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ.

فَوَاضَعُوا عَبْدَ الله الْكِتَابَ ثَلاثَةَ أَيَّام، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، فِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّاءِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ الْكُوفَةَ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ، إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمِ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَالله مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آلله؟ قَالَ: آلله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ. قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَحَدَّثُونَهُ؟ يَقُولُونَ: ذُو الثُّدَيِّ، وَذُو الثُّدَيِّ. قَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ، وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلَى، فَدَعَا النَّاسَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِثَبَتٍ يُعْرَفُ إِلَّا ذَلِكَ. قَالَتْ: فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: صَدَقَ الله وَرَسُولُهُ قَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَتْ: أَجَلْ، صَدَقَ الله وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ الله عَلِيًّا إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ الله وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ.

ففي هذه الرواية أنهم كانوا ثمانية آلاف، لكن ورد في بعض الروايات أنهم أكثر من هذا العدد كما سيأتي.

قال ابن كثير[1]:« فَفِي هَذَا السِّيَاقِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ عدتهم كانوا ثَمَانِيَةَ آلَافٍ، لَكِنْ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَقَدْ يَكُونُ وَاطَأَهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِمْ آخَرُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا اثْنَيِ

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٦٢) .

عَشَرَ أَلْفًا،أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا.وَلَمَّا نَاظَرَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَبَقِيَ بَقِيَّتُهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ».

قلت«محمد»: وفي رواية ابن عبد البر[١]:«فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ وَبَقِيَ بَقِيَّتُهُمْ فَخَرَجُوا فَقُتِلُوا أَجْمَعِينَ » .

وفي رواية يعقوب الفسوي[٢] بسندٍ حسن عن ابن عباس: « لما اعتَزَلَت الخوارجُ دخلوا داراً وهم ستة آلافٍ، وأجمعوا أن يخرجوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي ﷺ معه. قال: وكان لا يزال يجيئ إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك- يعني علياً- فيقول: دَعُوهُم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلونى، وسوف يفعلون...

وفي آخره:« فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا ».

وفي رواية عبد الرزاق[٣] والطبراني [٤]:«فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَقُتِلُوا».

كذا أن عدد الحرورية حين خرجوا كانوا أربعة وعشرين ألفاً، رجع منهم بعد مناظرة ابن عباس عشرون ألفاً، وبقي أربعة آلاف، فقتلوا.

وسيأتي بإسنادٍ صحيح من حديث أبي وائل الحديث بطوله وفيه:«.. إِنَّهُمْ خَرَجُوا بِحَرُورَاءَ أُولَئِكَ الْعِصَابَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يُنَاشِدُهُمُ الله ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ فَأَتَاهُمْ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ ..» .

---

(١) في«جامع بيان اللعلم وفضله»(١٨٣٤)

(٢) في«المعرفة»(١/ ٥٢٢).

(٣) في«المصنف»(١٨٦٧٨) .

(٤) في«الكبير»(١٠/ ٢٥٧ رقم (١٠٥٩٨) .

ويظهر لي والله أعلم أن مفهوم العدد غير مراد والله أعلم .

سياق آخر في إرسال في نصح عدد من الأفاضل للخوارج ينصحونهم

أخرجه ابن أبي شيبة[1] بسندٍ صحيح عن حَبِيب بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: أَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ، قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ: قُلْتُ: فِيمَ فَارَقُوهُ وَفِيمَا اسْتَجَابُوا لَهُ وَفِيمَا دَعَاهُمْ ، وَفِيمَ فَارَقُوهُ ثُمَّ اسْتَحَلَّ دِمَاءَهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي أَهْلِ الشَّامِ بِصِفِّينَ اعْتَصَمَ مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ بِجَبَلٍ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ بِالْمُصْحَفِ، فَلَا واللهِ لَا يَرُدُّهُ عَلَيْكَ، قَالَ: فَجَاءَ بِهِ رَجُلٌ يَحْمِلُهُ يُنَادِي: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [آل عمران: ٢٣] قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكُمْ ، قَالَ: فَجَاءَتِ الْخَوَارِجُ وَكُنَّا نُسَمِّيهِمْ يَوْمَئِذٍ الْقُرَّاءَ، قَالَ: فَجَاءُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا نَمْشِي إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا ، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَجَاءَ عُمَرُ فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ؟ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ:« بَلَى قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى ، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا، قَالَ « فَانْطَلَقَ عُمَرُ وَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ فَقَالَ: بَلَى قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّهُ رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله

(١) في«المصنف» (٧/ ٥٥٨).

أَبَدًا ، قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺبِالْفَتْحِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ:«نَعَمْ»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذَا فَتْحٌ ، فَقَبِلَ عَلِيٌّ الْقَضِيَّةَ وَرَجَعَ، وَرَجَعَ النَّاسُ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا بِحَرُورَاءَ أُولَئِكَ الْعِصَابَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يُنَاشِدُهُمُ الله،فَأَبَوْا عَلَيْهِ فَأَتَاهُمْ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ فَنَاشَدَهُمُ الله وَقَالَ: عَلَامَ تُقَاتِلُونَ خَلِيفَتَكُمْ ، قَالُوا: نَخَافُ الْفِتْنَةَ، قَالَ: فَلَا تُعَجِّلُوا ضَلَالَةَ الْعَامِ مَخَافَةَ فِتْنَةِ عَامٍ قَابِلٍ؛ فَرَجَعُوا فَقَالُوا: نَسِيرُ عَلَى نَاحِيَتِنَا ، فَإِنَّ عَلِيًّا قَبِلَ الْقَضِيَّةَ، قَاتَلْنَاهُمْ يَوْمَ صِفِّينَ، وَإِنْ نَقَضَهَا قَاتَلْنَا مَعَهُ ، فَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا النَّهْرَوَانَ ، فَافْتَرَقَتْ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ فَجَعَلُوا يُهَدُّونَ النَّاسَ قَتْلًا ، فَقَالَ أَصْحَابُهُمْ: وَيْلَكُمْ مَا عَلَى هَذَا فَارَقْنَا عَلِيًّا فَبَلَغَ عَلِيًّا ، أَمْرُهُمْ فَقَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: أَمَا تَرَوْنَ ، أَتَسِيرُونَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَمْ تَرْجِعُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَلَفُوا إِلَى ذَرَارِيِّكُمْ ، فَقَالُوا: لَا ، بَلْ نَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ، فَذُكِرَ أَمْرُهُمْ فَحَدَّثَ عَنْهُمْ مَا قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ فِرْقَةً تَخْرُجُ عِنْدَ اخْتِلَافِ النَّاسِ تَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ ، عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ فِيهِمْ يَدُهُ كَثَدْيِ الْمَرْأَةِ فَسَارُوا حَتَّى الْتَقَوْا بِالنَّهْرَوَانِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَجَعَلَتْ خَيْلُ عَلِيٍّ لَا تَقُومُ لَهُمْ ؛ فَقَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ لِي فَوَالله مَا عِنْدِي مَا أَجْزِيكُمْ بِهِ، وَإِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ لله فَلَا يَكُنْ هَذَا قِتَالَكُمْ، فَحَمَلَ النَّاسُ حَمْلَةً وَاحِدَةً فَانْجَلَتِ الْخَيْلُ عَنْهُمْ وَهُمْ مُكِبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، فَقَالَ عَلِيٌّ: اطْلُبُوا الرَّجُلَ فِيهِمْ ، قَالَ: فَطَلَبَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوهُ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: غَرَّنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ إِخْوَانِنَا حَتَّى قَتَلْنَاهُمْ، فَدَمَعَتْ عَيْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ: فَدَعَا بِدَابَّتِهِ فَرَكِبَهَا فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى وَهْدَةً فِيهَا قَتْلَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَ يَجُرُّ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى وَجَدَ الرَّجُلَ تَحْتَهُمْ، فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ عَلِيٌّ:الله أَكْبَرُ، وَفَرِحَ النَّاسُ

وَرَجَعُوا، وَقَالَ عَلِيٌّ: لَا أَغْزُو الْعَامَ، وَرَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ وَقُتِلَ، وَاسْتُخْلِفَ حَسَنٌ فَسَارُوا بِسِيرَةِ أَبِيهِ ثُمَّ بِالْبَيْعَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ.(١)

وقد ناصحهم عليٌّ رضي الله عنه نفسه، فراجع كتابي المشار إليه آنفاً.

اعتزال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أمر التحكيم وغيره

أخرج أحمد (٢) بسندٍ صحيح على شرط مسلم – وأصله فيه –(٣) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ أَخَاهُ عُمَرَ انْطَلَقَ إِلَى سَعْدٍ فِي غَنَمٍ لَهُ، خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ: يَا أَبَتِ أَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيًّا فِي غَنَمِكَ، وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْمُلْكِ بِالْمَدِينَةِ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ صَدْرَ عُمَرَ، وَقَالَ: اسْكُتْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**».

فكَانَ سَعْدٌ رضي الله عنه مِمَّنِ اعْتَزَلَ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ فَلَمْ يَكُنْ مَعَ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَأَرَادُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ فَأَبَى وَضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا.

وأخرج أحمد(٤) بسندٍ صحيح لشواهده عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَهُ ابْنُهُ عَامِرٌ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَفِي الْفِتْنَةِ تَأْمُرُنِي أَنْ أَكُونَ رَأْسًا؟ لَا وَاللهِ حَتَّى أُعْطَى سَيْفًا، إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ مُؤْمِنًا نَبَا عَنْهُ، وَإِنْ ضَرَبْتُ بِهِ كَافِرًا قَتَلَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ التَّقِيَّ** » .

---

(١) والظاهر أن الكبار من الصحابة والتابعين ناصحوهم كثيراً، فراجع كتابنا «مناصحة الخوارج ومن تَأَثَّر بهم» .

(٢) برقم (١٤٤١).

(٣) برقم (٢٩٦٥).

(٤) برقم (١٥٢٨).

قال ابن كثير[١]:

«وهذا السياق كان عَكْسُ الْأَوَّلِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ اسْتَعَانَ بِأَخِيهِ عَامِرٍ عَلَى أَبِيهِ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ التَّحْكِيمِ لَعَلَّهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ معاوية وعلى وَيُوَلُّونَهُ فَامْتَنَعَ سَعْدٌ مِنْ ذَلِكَ وَأَبَاهُ أَشَدَّ الْإِبَاءِ وَقَنِعَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكِفَايَةِ وَالْخَفَاءِ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: قَدْ «**أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ**».[٢]

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ هذا يحب الإمارة، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى كَانَ هُوَ أمير السَّرِيَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنه ». وسيأتي ذلك في موطنه إن شاء الله.

وقد ورد في هذا المقام-في أمر التحكيم-أن أبا موسى قال:إِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ. ثُمَّ تَنَحَّى وَجَاءَ عَمْرٌو فَقَامَ مَقَامَهُ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هذا قد قال ما سَمِعْتُمْ، وَإِنَّهُ قَدْ خَلَعَ صَاحِبَهُ، وَإِنِّي قَدْ خلعته كَمَا خَلَعَهُ وَأَثْبَتُّ صَاحِبِي مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ، وَهُوَ أَحَقُّ الناس بمقامه.. وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا مُوسَى تكلم مع عمرو بن العاص رضي الله عنه بِكَلَامٍ فِيهِ غِلْظَةٌ وَرَدَّ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِثْلَهُ.

وما ذَكَره ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ هَانِئٍ- مُقَدَّمَ جَيْشِ عَلِيٍّ- وَثَبَ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ وَقَامَ إِلَيْهِ ابْنٌ لِعَمْرٍو فَضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي كُلِّ وَجْهٍ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَأَمَّا عَمْرٌو وَأَصْحَابُهُ فَدَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِتَحِيَّةِ الْخِلَافَةِ، وَأَمَّا أَبُو مُوسَى فَاسْتَحْيَى مِنْ عَلِيٍّ فَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

وَشُرَيْحُ بْنُ هَانِئٍ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَاهُ بِمَا فَعَلَ أَبُو مُوسَى وَعَمْرٌو، فَاسْتَضْعَفُوا رَأْيَ أَبِي مُوسَى وَعَرَفُوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص.

وأَنَّ عَلِيًّا لَمَّا بَلَغَهُ مَا فَعَلَ عَمْرٌو كَانَ يَلْعَنُ فِي قُنُوتِهِ مُعَاوِيَةَ، وَعَمْرَو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مَسْلَمَةَ، وَالضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، فَلَمَّا بلغ ذلك معاوية كَانَ يَلْعَنُ فِي قُنُوتِهِ عَلِيًّا وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا وَابْنَ عَبَّاسٍ وَالْأَشْتَرَ النَّخَعِيَّ، وَلَا يَصِحُّ هَذَا كما أشار ابن كثير[1]، ولم أقف له على أسانيد ثابتة بذلك.[2]

وما ورد عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ إِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عَلِيٍّ بِشَطِّ الْفُرَاتِ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَزَلِ اخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ حَتَّى بَعَثُوا حَكَمَيْنِ فَضَلَّا وَأَضَلَّا، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَخْتَلِفُ فَلَا يَزَالُ اخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَبْعَثُوا حَكَمَيْنِ ضَلَّا وضلّ من اتّبعهما»[3].

فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَرَفْعُهُ مَوْضُوعٌ وَالله أَعْلَمُ.

إِذْ لَوْ كَانَ هَذَا مَعْلُومًا عِنْدَ عَلِيٍّ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس، كما نطق به هَذَا الْحَدِيثِ، وكيف يروي عن النبي ﷺ تضليلهم، وهو يسميهم المؤمنين ويقول عنهم:«إخوانا بغوا علينا» ؟

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٦٥).

(٢) ثم إن بعض العلماء قد ذكروا حجة لعمرو بن العاصت في طاعته لمعاوية في أن ولاية معاوية صحيحة وطاعته واجبة، فكان يقود الجيوش له إلى أطراف مملكة عليٍّ مصر وغيرها كما سيأتي إن شاء الله .

(٣) أخرجه البيهقي في«الدلائل»(٦/ ٤٢٣) عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، وَحَبِيبِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ.

وَآفَةُ هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى وَهُوَ الْكِنْدِيُّ الْحِمْيَرِيُّ الْأَعْمَى قَالَ ابْنُ مَعِينٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ. كما قال ابن كثير رحمه الله.

الخطاب الذي أرسله أبو موسى قبل قصة التحكيم

أخرج ابن سعد [١] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: كَتَبَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةُ سَلَامٌ عَلَيْكَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَدْ بَايَعَنِي عَلَى الَّذِي قَدْ بَايَعَنِي عَلَيْهِ، وَأُقْسِمُ بِالله: لَئِنْ بَايَعْتَنِي عَلَى مَا بَايَعَنِي عَلَيْهِ لَأَبْعَثَنَّ ابْنَيْكَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْآخَرُ عَلَى الْكُوفَةِ، وَلَا يُغْلَقُ دُونَكَ بَابٌ، وَلَا تُقْضَى دُونَكَ حَاجَةٌ، وَإِنِّي كُتَبْتَ إِلَيْكَ بِخَطِّ يَدِي، فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِخَطِّ يَدِكَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّمَا تَعَلَّمْتُ الْمُعْجَمَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَكَتَبَ إِلَيْهِ مِثْلَ الْعَقَارِبِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ فِي جَسِيمِ أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَا حَاجَةَ لِي فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، قَالَ: فَلَمَّا وَلِيَ أَتَيْتُهُ، فَلَمْ يُغْلَقْ دُونِي بَابٌ، وَلَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ إِلَّا قُضِيَتْ [٢].

---

(١) في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١١١).

(٢) **عقب الذهبي في «السير» (٢/ ٣٩٦) على هذا بما حُقَّ له قوله فقال:** « قُلْتُ: قَدْ كَانَ أَبُو مُوْسَى صَوَّاماً، قَوَّاماً، رَبَّانِيّاً، زَاهِداً، عَابِداً، مِمَّنْ جَمَعَ العِلْمَ وَالعَمَلَ وَالجِهَادَ وَسَلاَمَةَ الصَّدْرِ، لَمْ تُغَيِّرْهُ الإِمَارَةُ، وَلاَ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا» أهـ.

فقبيح – والله – من الحسن البصري ما أخرجه ابن سعد (٤/ ١١٣) بسندٍ صحيح عنه قَالَ: كَانَ الْحَكَمَانِ أَبُو مُوسَى وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَبْتَغِي الدُّنْيَا وَالْآخَرُ يَبْتَغِي الْآخِرَةَ ».

أخشى أن يكون يعرِّض بعمرو بن العاص رضي الله عنه ، وإن كان الله قد قال عن بعضهم: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ آل عمران.

ولا لكن الأدب أن لا نقول كلمة يمكن أن يكون فيها تنقيص لأي منهم رضي الله عنهم أجمعين .

وإنما فعل معاوية رضي الله عنه ذلك لوجهة نظر رأى فيها الصلاح للناس، وهو بكل حال مجتهد له على خطئه لو كان أجر واحد، سلَّم الله صدورنا لأصحاب محمد ﷺ ذوي المناقب العلية، والمنازل المرضية.

ومع مخالفة أبي موسى لمعاوية فقد كان معاوية محترمًا لوجهة نظره:

فأخرج ابن سعد عقب الماضي بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ أَصَابَتْهُ قَرْحَتُهُ، فَقَالَ: هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي، تَحَوَّلْ فَانْظُرْ، قَالَ: فَتَحَوَّلْتُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هِيَ قَدْ سَبَرَتْ - يَعْنِي: قَرْحَتَهُ -، فَقُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ إِذْ دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنْ وُلِّيتَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا فَاسْتَوْصِ بِهَذَا، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَخًا لِي - أَوْ خَلِيلًا أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ - غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي الْقِتَالِ مَا لَمْ يَرَ.

كلام أبي موسى رضي الله عنه حين تفرَّق الحكمان

وقد ثبت بإسنادٍ حسن[1] عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: لَمَّا تَفَرَّقَ أَبُو مُوسَى وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنِ الْحُكُومَةِ، قَدِمَ أَبُو مُوسَى مُعْتَمِرًا، فَكُنْتُ أَطُوفُ أَنَا وَهُوَ بِالْبَيْتِ، إِذَا عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ تُذْكَرُ؟ قَالَ: «مَا هَذِهِ إِلَّا حَيْضَةٌ مِنْ حَيْضَاتِ الْفِتَنِ».

وفي رواية من طريق طاوس بن كيسان اليماني أَنَّ أَبَا مُوسَى رضي الله عنه حِينَ تَفَرَّقَ هُوَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه حِينَ حُكْمِ الْحَكَمَيْنِ فَطَافَ هُوَ وَطَاوُسٌ فَزَعَمَ طَاوُسٌ أَنَّ

وليت الحسن البصري - رحمه الله- تلطَّف كما في موطن آخر في صحيح البخاري(٢٧٠٤) حين قال: اسْتَقْبَلَ وَالله الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَالله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ...الخبر.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في«المصنف» (٣/ ١٣٧).

رَجُلًا اعْتَرَضَ لِأَبِي مُوسَى ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَهَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ تُذْكَرُ؟ قَالَ: مَا هَذِهِ إِلَّا حَيْضَةٌ مِنْ حَيْضَاتِ الْفِتَنِ وَبَقِيَتِ الرَّدَاحُ الْمُطْبِقَةُ، « مَنْ أَشْرَفَ لَهَا أَشْرَفَتْ لَهُ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَالصَّامِتُ خَيْرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، وَالنَّائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْتَيْقِظِ »[1].

تسلل الناس بالليل إلى معاوية ﷺ.

عَنْ مسروقِ بنِ الأجدعِ قالَ:«كنتُ مَعَ أبي موسَى أيامَ الحَكَمَيْنِ وفُسْطَاطِي إلى جانِب فُسْطَاطِهِ، فأصبحَ النَّاسُ ذاتَ يومٍ قدْ لَحِقُوا بمعاويةَ مِنَ اللَّيْلِ، فلمَّا أصبحَ أبُو موسَى رَفَعَ رَفْرَفَ فُسْطَاطِهِ فقالَ: يا مسروقُ بنُ الأجدعِ! قلتُ: لبَّيْكَ أبا موسَى، قالَ: إنَّ الإِمْرَةَ ما ائْتُمِرَ فيهَا، وإنَّ المُلْكَ ما غُلِبَ عليهِ بالسَّيْفِ» .[2]

ولعل لحوق الناس بمعاوية بسبب خلع أبي موسى لعليّ ، وتثبيت عمرو بن العاص لمعاوية، فكأنهم رأوه هو الحاكم الفعلي الذي لم يُخلع ﷺ ، والله أعلم .

خُرُوجُ الْخَوَارِجِ مِنَ الْكُوفَةِ وَمُبَارَزَتُهُمْ عَلِيًّا ﷺ بالعداوة والمخالفة[3] وقتال عليّ إياهم

تقدم بعض سياق أحاديثهم وأفعالهم، وأضف إلى ذلك:

ما أخرج ابن أبي شيبة[1] بسندٍ حسن عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْحُكُومَةُ بِصِفِّينَ وَبَايَنَ الْخَوَارِجُ عَلِيًّا رَجَعُوا مُبَايِنِينَ لَهُ، وَهُمْ فِي عَسْكَرٍ، وَعَلِيٌّ فِي عَسْكَرٍ،

---

(١) أخرجها الفاكهي في«أخبار مكة»(٤/ ١١٢) .

(٢)صحيح. أخرجه ابن سعد فى «طبقاته» (٤/ ١١٣).

(٣) والأحاديث في خروج الخوارج متواترة عن الرسول ع، أولهم ذو الخويصرة التميمي الذي اتَّهم النبي ع بالجَور، وقال له: « **اعدل** » أحاديثهم ذكرتها في كتابي«مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم».

حَتَّى دَخَلَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ مَعَ النَّاسِ بِعَسْكَرِهِ ، وَمَضَوْا هُمْ إِلَى حَرُورَاءَ فِي عَسْكَرِهِمْ ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ ابْنَ عَبَّاسٍ فَكَلَّمَهُمْ فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ مَوْقِعًا، فَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ فَكَلَّمَهُمْ حَتَّى أَجْمَعُوا هُمْ وَهُوَ عَلَى الرِّضَا ، فَرَجَعُوا حَتَّى دَخَلُوا الْكُوفَةَ عَلَى الرِّضَا مِنْهُ وَمِنْهُمْ ، فَأَقَامُوا يَوْمَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ رَجَعَتْ لَهُمْ عَنْ كُرْهٍ ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ الْجُمُعَةُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَخَطَبَ فَذَكَّرَهُمْ وَمُبَايَنَتَهُمُ النَّاسَ وَأَمْرَهُمُ الَّذِي فَارَقُوهُ فِيهِ ، فَعَابَهُمْ وَعَابَ أَمْرَهُمْ ؛ قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ تَنَادَوْا مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ «لَا حُكْمَ إِلَّا لله» فَقَالَ عَلِيٌّ:حُكْمُ الله أَنْتَظِرُ فِيكُمْ ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا يُسْكِتُهُمْ بِالْإِشَارَةِ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى أَتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥].

عدم معاجلة علي رضي الله عنه للخوارج بالقتل

وفي رواية يعقوب الفسوي[٢] بسندٍ حسن عن ابن عباس:« لما اعتَزَلَتِ الخوارجُ دخلوا داراً وهم ستة آلافٍ، وأجمعوا أن يخرجوا على عليٍّ بن أبي طالب وأصحاب النبي ﷺ معه. قال: وكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك- يعني علياً- فيقول: دَعُوهُم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلونى، وسوف يفعلون...وفي آخره:« فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا».

(١) في«المصنف» (٧/ ٥٥٦).

(٢) في«المعرفة»(١/ ٥٢٢).

وفي رواية ابن عبد البر[١]:

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْحَرُورِيَّةُ يَخْرُجُونَ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: جَعَلَ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَوْمُ خَارِجُونَ عَلَيْكَ، قَالَ: دَعْهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ بِالصَّلَاةِ فَلَا تَفْتِنِي حَتَّى آتِيَ الْقَوْمَ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ..الأثر.

وفي مسندِ أحمد[٢] بسندٍ حسن قول عليٍّ رضي الله عنه لهم:«.. قِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمِ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَالله مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آلله؟ قَالَ: آلله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ...

وهو في هذا راشد متبع لهدي رسول الله ﷺ:

فيما رواه ابن أبي عاصم في«السنة» [٣] بسندٍ قوي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «**إِنَّ فِي أُمَّتِي قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ**».

فقوله: فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، دليل على المُراد.

وفي حديث عبد الله بن عمرو فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لما كان ذو الخويصر:«**إِنَّ فِي أُمَّتِي أَخًا لِهَذَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ**»، ثَلَاثًا.[١]

---

(١) برقم(١٨٣٤).

(٢) برقم (٦٥٦).

(٣) برقم (٩٣٦).

وفي روية الطبراني[٢] عن عبد الله بن عَمرو أيضاً، قال: دخَلَ رجلٌ على النبيِّ ﷺ وهو يَقْسِمُ تِبْرًا، فقال: يا محمَّد، اعدِلْ. قال: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! وعِنْدَ مَنْ يُلْتَمَسُ العَدْلُ بَعْدِي؟!**» ثم قال: «**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ مِثْلُ هَذَا، يَسْأَلُونَ بِكِتَابِ اللهِ، وهُمْ أَعْدَاؤُهُ، يَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ، مُحَلَّقَةٌ رُؤُوسُهُمْ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاضْرِبُوا رِقَابَهُم**».

فقوله :«**فإذا خرجوا** ...هو موطن الشاهد.

وسيأتي في قصة قتلهم لعبد الله بن خباب مزيد.

وتبيَّن من ذلك أن علياً رضي الله عنه كان من أخبرِ الناس وأعلمِهم بهم بعد رسول الله ﷺ.

حيث ما خرج لقتالهم إلا بعد أن راسلهم ونصحهم وأطال النفس معهم حتى انقطع عذرهم، لا سيما ورسول الله ﷺ قد قال له نفسه قبلُ يوم خيبر:« **وَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**». [٣]

فكان حريصاً على هدايتهم رضي الله عنه.

مناظرة ابن عباس رضي الله عنه الكبرى للخوارج

أخرج عبد الرزاق[٤] بسندٍ ثابت عن عَبْد الله بْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه ،قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَتِ الْحَرُورِيَّةُ فَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حِدَّتِهِمْ فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(٩٣٤) والفريابي في«فضائل القرآن»(١٩٦) بسندٍ حسن.

(٢) في«الكبير» (١٣/ ٤١٢ رقم (١٤٢٤٩) وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري(٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦).

(٤) برقم (١٨٦٧٨).

لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمَهُمْ، قَالَ: إِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى .

قَالَ: فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ ، قَالَ: فَدَخَلْتُ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ عَلَيْهِمْ نَزَلَ الْوَحْيُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَالله لَنُحَدِّثَنَّهُ ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله وَخَتَنِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ[1] وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله مَعَهُ؟» قَالُوا: نَنْقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ الله وَقَدْ قَالَ الله: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله} [الأنعام: ٥٧]، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: وَقَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ لَئِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ؟قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ. قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ الله الْمُحْكَمِ وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا لَا تُنْكِرُونَ ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ الله فَإِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} [المائدة: ٩٥] إِلَى قَوْلِهِ: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ}

---

(١) في هذا دليل على كونه أول من أسلم، وفيه رد على ابن كثير حيث قال في«البداية والنهاية»(٨/ ١٢٥) الذي فصَّل فقال:« وَأَمَّا عَلِيٌّت، فَإِنَّهُ أَسْلَمُ قَدِيمًا، وَهُوَ دُونَ الْبُلُوغِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ. وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ عَنْهُ وَلَا يَصِحُّ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْغِلْمَانِ.كَمَا أَنَّ خَدِيجَةَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي» .

[المائدة: ٩٥] وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} [النساء: ٣٥] أَنْشُدُكُمُ الله أَحْكُمُ الرِّجَالِ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْنَبٍ ثَمَنُهَا رُبْعُ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلْ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، قَالَ: أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا ، إن قلتم ذلك فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنَّ الله يَقُولُ: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] فَأَنْتُمْ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ فَاخْتَارُوا أَيَّتَهُمَا شِئْتُمْ ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا ، فَقَالَ: «**اكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**» فَقَالُوا: وَالله لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله ، فَقَالَ: «**والله إِنِّي لَرَسُولُ الله حَقًّا وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله**» فَرَسُولُ اللهﷺ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ،أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، «فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَقُتِلُوا».

فعل الخوارج مع عبد الله بن خباب بن الأرت رضي الله عنه

أخرج ابن أبي شيبة[1] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: نَهَى عَلِيٌّ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْطُوا عَلَى الْخَوَارِجِ حَتَّى يُحْدِثُوا حَدَثًا، فَمَرُّوا بِعَبْدِ الله بنِ خَبَّابٍ فَأَخَذُوهُ ، فَمَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تَمْرَةٍ سَاقِطَةٍ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا فَأَلْقَاهَا فِي فِيهِ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَمْرَةُ مُعَاهَدٍ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَهَا؟ فَأَلْقَاهَا مِنْ فِيهِ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى خِنْزِيرٍ فَنَفَحَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خِنْزِيرُ مُعَاهَدٍ ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ الله:أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا هُوَ

(١) في«المصنف»(٧/ ٥٥٤).

أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حُرْمَةً مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: أَنَا ، فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ أَنْ أَقِيدُونَا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: وَكَيْفَ نُقِيدُكَ وَكُلُّنَا قَتَلَهُ، قَالَ: أَوَكُلُّكُمْ قَتَلَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْطُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَاللهِ لَا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ وَلَا يَفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، قَالَ: فَقَتَلُوهُمْ فَقَالَ:اطْلُبُوا فِيهِمْ ذَا الثُّدَيَّةِ، فَطَلَبُوهُ فَأُتِيَ بِهِ ، فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُهُ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ إِلَّا رَجُلًا، قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ بِالْحِيرَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: هَذِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَمَالِي بِهَا مَعْرِفَةٌ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ:صَدَقَ هُوَ مِنَ الْجَانِّ».

ذِكْرُ مَسِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه إِلَى الْخَوَارِجِ

وقتاله لهم، وما كان منه بعد قتلهم

بدأ عليٌّ رضي الله عنه بتعبة الجيش لهم، وذكر ما يرغبهم في قتالهم، بذكر من الأحاديث المرويَّة فيهم، وما للجيش الذي يقتلهم عند الله تعالى، وأن المسير إليهم أولاً أولى.

أخرج مسلم [1] عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، «وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ» فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي

(١) برقم (١٠٦٦).

لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ الله. قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا، حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ: لَهُمْ أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آلله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَقَالَ: إِي، وَالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ».

وفي رواية[1] عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي رَافِعٍ، مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لله، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَصَفَ نَاسًا، إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، «يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَجُوزُ هَذَا، مِنْهُمْ، - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ الله إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَسْوَدُ، إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ أَوْ حَلَمَةُ ثَدْيٍ» فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: انْظُرُوا، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَالله، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ، فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ عُبَيْدُ الله: وَأَنَا حَاضِرُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَقَوْلِ عَلِيٍّ فِيهِمْ».

(١) في صحيح مسلم (١٠٦٦)

وفي رواية[١] وغيره بسندٍ جوَّده ابن كثير[٢] وهو كذلك عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَلِيٍّ وَهُوَ فِي بَعْضِ أَمْرِ النَّاسِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ بَعْضُ ثِيَابِ السَّفَرِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَشَغَلَ عَلِيًّا مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ. قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا- قَالَ أَبِي: لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ - فَمَرَرْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ لِي، وَسَأَلَتْنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا فِيكُمْ يُقَالُ لَهُمُ الْحَرُورِيَّةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: حَرُورَاءُ، فَسُمُّوا بِذَلِكَ الْحَرُورِيَّةَ، فَقَالَ: طُوبَى لِمَنْ شَهِدَ هَلَكَتَهُمْ. فَقَالَتْ: أَمَا وَاللهِ لَوْ سَأَلْتَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَخَبَّرَكُمْ خَبَرَهُمْ. ثُمَّ جِئْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَقَدْ فَرَغَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا قَصَّ عَلَيْنَا، فَأَهَلَّ وَكَبَّرَ، ثُمَّ أَهَلَّ وَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ، فَقَالَ: «**كَيْفَ أَنْتَ وَقَوْمٌ كَذَا وَكَذَا؟**» فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ فَقَالَ: «**قَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ كَأَنَّهَا ثَدْيُ حَبَشِيَّةٌ**» أَنْشُدُكُمُ اللهَ هَلْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ فِيهِمْ فَأَتَيْتُمُونِي فَأَخْبَرْتُمُونِي أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ، فَحَلَفْتُ لَكُمْ أَنَّهُ فِيهِمْ، فَأَتَيْتُمُونِي تَسْتَحْيُونَهُ كَمَا نَعَتُّ لَكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَأَهَلَّ وَكَبَّرَ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ.

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أخبر الناس بهم

أخرج عبد الله[٣] بسندٍ جيد أَنَّ أَبَا الْوَضِيءِ عَبَّادًا حدث قَالَ: كُنَّا عَامِدِينَ إِلَى الْكُوفَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا بَلَغْنَا مَسِيرَةَ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثٍ - مِنْ حَرُورَاءَ،

(١) في«السنة»(٩١٣).

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ٧٦).

(٣) في«زوائد المسند»(١١٨٩)و«زوائد الفضائل»(١٢٣٤) .

شَذَّ مِنَّا نَاسٌ كَثِيرٌ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، فَقَالَ: لَا يَهُولَنَّكُمْ أَمْرُهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ - قَالَ:

فَحَمِدَ الله عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي أَخْبَرَنِي: «أَنَّ قَائِدَ هَؤُلاءِ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ، عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِهِ شَعَرَاتٌ، كَأَنَّهُنَّ ذَنَبُ الْيَرْبُوعِ فَالْتَمِسُوهُ» فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا: إِنَّا لَمْ نَجِدْهُ. فَقَالَ: الْتَمِسُوهُ، فَوَالله مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ ثَلَاثًا.

فَقُلْنَا: لَمْ نَجِدْهُ، فَجَاءَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ: «اقْلِبُوا ذَا اقْلِبُوا ذَا» حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: هُوَ ذَا، قَالَ عَلِيٌّ: الله أَكْبَرُ، لَا يَأْتِيكُم أَحَدٌ يُخْبِرُكُمْ مَنْ أَبُوهُ؟، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ هَذَا مَالِكٌ، هَذَا مَالِكٌ، يَقُولُ عَلِيٌّ: ابْنُ مَنْ هُوَ.

وقد ورد تسمية المخدج هذابـ «شيطان الردهة» ولا يصح السند بذلك.

سجود عليٍّ ﷺ لما رأى العلامة في الخوارج

وردت عدة أدلة مفادها أن علياً ﷺ لما رأى العلامة أنهم المقصودون في حديث النبي ﷺ سجد، وأحسنها[1]:

ما أخرجه البزار[2] عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: قُلْتُ لِشَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ: حَدِّثْنِي عَنْ ذِي الثُّدَيَّةِ، قَالَ: لَمَّا قَاتَلْنَاهُمْ قَالَ عَلِيٌّ ﷺ :اطْلُبُوا رَجُلًا عَلَامَتُهُ كَذَا وَكَذَا فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَقُلْنَا لَهُ لَمْ نَجِدْهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: اطْلُبُوهُ فوالله مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، قَالَ: فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: اطْلُبُوا فَوَالله مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ،

(١) ففي روايتها كلها كلام.

(٢) في «البحر الزخار» (٥٦٤).

فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ،قَالَ: فَرَكِبَ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءُ فَطَلَبْنَاهُ، فَوَجَدْنَاهُ تَحْتَ بُرْدِي فَلَمَّا رَآهُ سَجَدَ»[١].

إشارة النبي ﷺ بمدح عليٍّ رضي الله عنه لقتاله الخوارج

أخرج أحمد[٢] بسندٍ حسن عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا نَنْتَظِرُ رَسُولَ الله ﷺ فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَعْضِ بُيُوتِ نِسَائِهِ، قَالَ: فَقُمْنَا مَعَهُ، فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ، فَتَخَلَّفَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ يَخْصِفُهَا، فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ وَمَضَيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ يَنْتَظِرُهُ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ**».

فَاسْتَشْرَفْنَا وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ:« **لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ**». قَالَ: فَجِئْنَا نُبَشِّرُهُ، قَالَ: وَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ.

وأما الحديث المروي عن عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَى مِنْبَرِكُمْ هَذَا، يَقُولُ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالقَاسِطِينَ وَالمَارِقِينَ [٣].

والمعنيُّ بالناكثين أهل الجمل، وبالقاسطين أهل الشام، وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين، فلا يصح الحديث بهذا السياق، ومعناه منكر.

وقد قال ابن كثير [٤]:

«قَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُقٍ عَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ غَيْرِهِ وَلَا تَخْلُو وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَنْ ضَعْفٍ».[١]

---

(١) وثمَّ طرق أخرى يقطع معها بتقوية إثبات سجود علي تلما رأى العلامة، والله أعلم

(٢) برقم (١١٧٧٣).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٥١٩).

(٤) في«البداية والنهاية» (٨/ ٩١).

وقال العقيلي[٢]:« الْأَسَانِيدُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيٍّ لَيِّنَةُ الطُّرُقِ، وَالرِّوَايَةُ عَنْهُ فِي الْحَرُورِيَّةِ صَحِيحَةٌ ».

ذكر بعض من توفي في هذه السنة من الأعيان

من هؤلاء خباب بن الأرتّ رضي الله عنه، أسلم قديماً قبل دار الأرقم وكان كفار مكة يقومون على تعذيبه، وقد ذهب إلى النبي ﷺ يسأله أن يستنصر لهم، فأرشدهم إلى عدم العجلة، وبشرهم بالنصر كما بينته في كتابي«صحيح السيرة النبوية» (١/ ١٧٧).

وفي الصحيحين[٣] عن أبي وَائِلٍ، قَالَ: عُدْنَا خَبَّابًا، فَقَالَ:«هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا». شهد المشاهد كلها رضي الله عنه مع النبي ﷺ.

ومنهم: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسفينة مولى رسول الله ﷺ، وعبد الله بن بديل، وعبد الله الأرقم بن أبي الأرقم، وعبد الله بن خباب بن الأرت قتلته الخوارج، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، والرُّبيع بنت معوذ رضي الله عنهم.

---

(١) وقد تعرضت للتعليق على الطرق الواردة في هذا الحديث من كل وجه عند تحقيقي لـ«البداية والنهاية»

(٢) في«الضعفاء»(٢/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخاري(٦٤٤٨) ومسلم (٩٤٠).

وممن قتل: عمار بن ياسر رضي الله عنه كما تقدم، وقد أسلم قديماً عذِّب هو وأبوه وأمه وقتلت أمه سمية رضي الله عنها، قتله أبو غادية كما تقدَّم، أو قتله من جاء إلى معاوية وادعى كل منهما أنه قتله، وله فضائل جمَّة:

منها: ما رواه الْأَشْتر، قَالَ: كَانَ بَيْنَ عَمَّارٍ وَبَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كَلَامٌ، فَشَكَاهُ عَمَّارٌ إِلَى رَسُولِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يُعَادِ عَمَّارًا يُعَادِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يُبْغِضْهُ يُبْغِضْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَسُبَّهُ يَسُبَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ .[1]

ومنها: ما رواه هَانِئ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ: دَخَلَ عَمَّارٌ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مُلِئَ عَمَّارٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ**».[2]

عدد قتلى المسلمين يوم صفين

قال ابن كثير رحمه الله: « وَقَدْ قُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي أَيَّامِ صِفِّينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، فَقِيلَ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الشَّام خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا وَمِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا.

وَقِيلَ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَرْبَعُونَ ألفاً – من مائة وعشرين ألفاً – وقيل مِنْ أَهْلِ الشَّام عِشْرُونَ أَلْفًا مِنْ سِتِّينَ ألفاً وبالجملة فقد كان فيهم أَعْيَانٌ وَمَشَاهِيرُ يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهُمْ».[3]

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٨٢١) والأشتر هو مالك بن الحارث له مواقف سوء يوم حصار عثمان ت ، ويوم الجمل، وقد تنكب الحافظ في ترجمته أن يقول شيئاً فاكتفى بكلمة «مخضرم» وقد ذكرت بعض مواقفه المخزية في كتابي«التعليقات الجياد» في ترجمته.

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٤٧) وغيره وهو حديث قوي كما بينته في تخريجي لكتاب «البداية والنهاية»(٨/ ٩٨)

(٣) «البداية والنهاية»(٨/ ٩٩).

قلت «محمد» أخرج خليفة بن خياط[١] بسندٍ صحيح عن محمد بن سيرين قال: افترقوا عن سبعين ألفاً يُعَدُّون بالقصب.

وفي رواية عن ابن سيرين أيضاً قال:«بلغ قتلى صفين سبعين ألفاً».[٢]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وثلاثين

تتابع المؤرخون على أن محمد بن أبي بكر قتل في هذه السنة

أخرجه خليفة بن خياط[٣] بسندٍ صحيح عن عمرو بن دينار قال: أتى عمرو بن العاص بمحمد بن أبي بكر أسيراً، فقال: هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟ قال: لا، فأمر به فقتل.

وقد أخرج أبو بكر الشافعي في«الغيلانيات» [٤]بإسنادٍ صحيح عن الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ الْحَجَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَكَلَّمَهَا خَالِيَيْنِ لَمْ يَشْهَدْ كَلَامَهُمَا إِلَّا ذَكْوَانُ أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: أَمِنْتَ أَنْ أُخَبِّئَ لَكَ رَجُلًا يَقْتُلُكَ بِقَتْلِكَ أَخِي مُحَمَّدًا؟ قَالَ مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتِ. فَكَلَّمَهَا مُعَاوِيَةُ فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ، تَشَهَّدَتْ عَائِشَةُ ثُمَّ ذَكَرَتْ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَالَّذِي سَنَّ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ، وَحَضَّتْ مُعَاوِيَةَ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِمْ..الأثر وسيأتي إن شاء الله. فدل على أن قتله كان بأمر من معاوية رضي الله عنه وأن

---

(١) في «تاريخه»ص١١٧.

(٢) المصدر السابق ١١٨ والسند صحيح إلى ابن سيرين رحمه الله.

(٣) في«تاريخه» ص ١١٦.

(٤) برقم(٧٤٣) وله طريق آخر أخرجه الطبراني في«الكبير»(١٩/ ٣١٩) وفي سنده ضعف من قبل علي بن زيد بن جدعان .

الآمر بقتله كان عمرو بنَ العاص ﷺ، ولعل ذلك كان سبب لعن أخته عائشة لعمرو رضي الله عنهما.

وذكروا أن سبب ذلك أن مُعَاوِيَة بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر وَاسْتَنَابَ مُعَاوِيَةُ عَمْرًا عَلَيْهَا، وَذَلِكَ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ، وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ ﷺ اسْتَنَابَ عَلَيْهَا قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَانْتَزَعَهَا من يد محمد بن أبي حذيفة حين كان استحوذ عليها ومنع عَبْدِ الله بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ من التصرف فيها، حين حصر عثمان - وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص- وعمرو كان هو الذي افتتحها كما قدَّمنا ذكر ذلك.

ثم إن علياً عزل قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبي بكر وقد ندم عليٌّ على عزل قيس بن سعد عنها، وذلك أنه كان كفواً لمعاوية وعمرو، ولما وُلِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ قُوَّةٌ تُعَادِلُ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرًا، وَحِينَ عُزِلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَنْهَا رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ سَارَ إِلَى عَلِيٍّ بِالْعِرَاقِ فَكَانَ مَعَهُ.(١)

ولكن تقد م بصحيح السند عن مسروق قال: فَأَتَيْتُهَا بِشَهَادَتِهِمْ فَقَالَتْ:«لَعَنَ الله عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، فَإِنَّهُ زَعَمَ لِي أَنَّهُ قَتَلَهُ بِمِصْرَ».

وثَمَّ حكايات وقصص في هذا الموقت تركت الانشغال بها لعدم ثبوت السند بذلك .

فالله أعلم بتفاصيل ذلك، فما وقفت عليه بالسند الصحيح بَيَّنته، والله أعلم .

(١) «البداية والنهاية»(٨/ ١٠٠).

ذكر من توفي في هذه السنة

سهل بن حنيف رضي الله عنه شَهِدَ بَدْرًا، وَثَبَتَ يَوْمَ أُحُد، وَحَضَرَ بَقِيَّةَ الْمَشَاهِدِ، وَكَانَ صَاحِبًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ شَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا أَيْضًا غَيْرَ الْجَمَلِ فَإِنَّهُ كَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَمَاتَ سَهْلُ بْنُ حُنيف في سنة ثمان وثلاثين بالكوفة، وصلى عليه علي فكبر خَمْسًا وَقِيلَ سِتًّا وَقَالَ إِنَّه مِنْ أَهْلِ بدر رضي الله عنه.(١)

ومن مات في هذه السنة صفوان بن البيضاء رضي الله عنه وصهيب بن سنان رضي الله عنه أبو يحيي وهو الذي ورد بشأنه خبر مشهور ضعيف عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: « أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَانْتَثَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلًا، وَايْمُ الله، لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِيَ فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضْرِبَكُمْ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، فَافْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَخَلَّيْتُمْ سَبِيلِي، قَالُوا: نَعَمْ، فَفَعَلَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ**»قَالَ: وَنَزَلَتْ {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الله وَالله رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} » .ولا يصح سنده فيما وقفت عليه.(٢) وكان صديقاً لعمر رضي الله عنه مات وقد نيَّف على السبعين، والله أعلم .

وممن مات يضاً في هذه السنة: محمد بن أبي بكر الصديق، وأمه أسماء بنت عميس رضي الله عنهما .

---

(١) ذكره ابن كثير في«البداية والنهاية» (٨/ ١٠٦).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٢٨) وغيره كثيرمن طريق عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ به. وعلي بن زيد ضعيف.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

قال ابن كثير رحمه الله[1]:

«فِيهَا فَرَّقَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ جُيُوشًا كَثِيرَةً فِي أَطْرَافِ مُعَامَلَاتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَأَى بَعْدَ أَنْ وَلَّاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْخِلَافَةَ بَعْدَ اتِّفَاقِهِ هُوَ وَأَبُو مُوسَى عَلَى خَلْعِ عَلِيٍّ وَعَزْلِهِ عَنِ الْأَمْرِ -أَنَّ وِلَايَتَهُ صَحِيحَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتِ الْمَوْقِعَ، فَهُوَ الَّذِي تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيمَا يَعْتَقِدُهُ، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ خَالَفُوا عَلِيًّا فَلَا يُطِيعُونَهُ، وَلَا يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ، فَلَا يَحْصُلُ بِمُبَاشَرَتِهِ مَقْصُودُ الْوِلَايَةِ وَالْإِمَارَةِ،وَالْحَالَةُ هَذِهِ، فَأَنَا أَوْلَى مِنْهُ ؛ إِذْ كَانَتْ كَلِمَةُ أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ مَجْمُوعَةً عَلَيَّ، وَهُمْ طَائِعُونَ لِي، يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِي، وَكَلِمَتِي نَافِذَةٌ فِيهِمْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ جَهَّزَ الْجُيُوشَ إِلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَةِ عَلِيٍّ.

وقد ذكروا بعض المناوشات على أطراف مملكة كل من على ومعاوية رضي الله عنهما ولم أقف لذلك على أسانيد ثابتة.

وَذكر المؤرخون أن فِي هذه السنة: وَجَّهَ مُعَاوِيَةُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَى أَطْرَافِ جَيْشِ عَلِيٍّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ كُلَّ وَاحِدٍ خَمْسِينَ دِرْهَمًا خَمْسِينَ دِرْهَمًا، فَالْتَقَوْا بِتَدْمُرَ فَقَتَلَ حُجْرٌ مِنْ أَصْحَابِ الضَّحَّاكَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ حُجْرٍ رَجُلَانِ، وَغَشِيَهُمُ اللَّيْلُ، فَتَفَرَّقُوا وَانْشَمَرَ الضَّحَّاكَ بِأَصْحَابِهِ فَارًّا إِلَى الشَّامِ...فالله أعلم بأحداث ذلك.

وتوفي في هذه السنة من الأعيان عْدُ الْقَرَظِ مُؤَذِّنُ مَسْجِدِ قُبَاءٍ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهﷺ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ الْخِلَافَةَ وَلَّاهُ أَذَانَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ....

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ١٠٧).

وتوفِّي عُقْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ: أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ، سَكَنَ مَاءَ بَدْرٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَشْهَدِ الْوَقْعَةَ بِبَدْرٍ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقَدْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَكَانَ يَنُوبُ لِعَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الْقِتَالِ.(١)

ثم دخلت سَنَةُ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

فِيهَا كَانَ مَقْتَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

قصه إرسال معاوية بُسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز وهروب عبيد الله بن العباس، وقتل ولديه، فوسوست أمهما.

أخرج ابن عبد البر(٢)،بإسناده عَنْ عَوَانَةَ- وهو ابن الحكم- قَالَ: أَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ تَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ بُسْرَ بنَ أَرْطَاةَ فِي جَيْشٍ، فَسَارُوا مِنَ الشَّامِ

حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، وَعَامِلُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ صَاحِبُ رسول اللهﷺ فَفَرَّ أَبُو أَيُّوبَ وَلَحِقَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه، وَدَخَلَ بُسْرُ الْمَدِينَةَ، فَصَعَدَ مِنْبَرَهَا، فَقَالَ:أَيْنَ شَيْخِي الَّذِي عَهِدْتُهُ هُنَا بِالأَمْسِ؟ يَعْنِي عُثْمَانَ رضي الله عنه - ثُمَّ قَالَ: يا أهل الْمَدِينَةِ، وَالله لَوْلا مَا عَهِدَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةُ مَا تَرَكْتُ فِيهَا مُحْتَلِمًا إِلا قَتَلْتُهُ. ثُمَّ أَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالْبَيْعَةِ لِمُعَاوِيَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ عِنْدِي أَمَانٌ ولا مبايعة حتى تأتونى بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله. فَأُخْبِرَ جَابِرٌ، فَانْطَلَقَ حَتَّى جَاءَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فقال لها: ماذا ترين؟ فإنّي خَشِيتُ أَنْ أُقْتَلَ، وَهَذِهِ بَيْعَةُ ضَلالَةٍ. فَقَالَتْ: أَرَى أَنْ تُبَايِعَ، وَقَدْ أَمَرْتُ ابْنِي عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ أَنْ يُبَايِعَ. فَأَتَى

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ١١٠).

(٢) في«الإستيعاب»(١/ ١٦٣) قَالَ:أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال حدثنا أبو محمد إسماعيل ابن عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ بِبَغْدَادَ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُؤْمِنِ بْنِ حَمَّادٍ، قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ أَبِي شَيْخٍ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ عَوَانَةَ.

جَابِرٌ بسراً فبايعه لمعاوية، وهَدَمَ بُسر دُورَاً بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَبِهَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، فَخَافَهُ أَبُو مُوسَى عَلَى نفسه أن يَقْتُلَهُ فَهَرَبَ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِبُسْرٍ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَقْتُلَهُ، وَقَدْ خَلَعَ عَلِيًّا وَلَمْ يَطْلُبْهُ.

وكتب أبو موسى إلى اليمن: إنَّ خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل من الناس مَن أَبي أن يقر بالحكومة.

ثم مضى بُسر إلى اليمن، وعامل اليمنِ لعليٍّ ﷺ عبيد الله بن العباس، فلما بلغه أمر بُسر فرَّ إلى الكوفة حتى أتى عليًا، واستخلف على اليمن عَبْد الله بن عَبْد المدان الحارثي، فأتى بسر فقتله وقتل ابنه ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس، فقتلهما.(١)

وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

وَقِيلَ: إِنَّهُ ذَبَحَهُمَا بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهِمَا، فَزَاغَ عَقْلُهَا وَوَسْوَسَتْ مِمَّا رَأَتْ، فَكَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَقِفُ فِي الْمَوَاسِمِ مَبْهُوتَةً زَائِغَةَ الْعَقْلِ، تَنْدُبُ وَلَدَيْهَا. وَيُقَالُ: إِنَّ بُسْرًا قَتَلَ فِي مَسِيرِهِ هَذَا خَلْقًا مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ.

ومع تناقل أهل السير والتاريخ لهذا الخبر، وإيراده في كتب الجرح والتعديل

فقد قال ابن كثير رحمه الله(٢):

«هَذَا الْخَبَرُ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ، وَفِي صِحَّتِهِ عِنْدِي نَظَرٌ وَالله تَعَالَى أَعْلَمُ».

---

(٢) في «البداية والنهاية» (٨/ ١١١).

وفي هذا ترويج إساءة لمن جزم جماعة من الصحابة بأنه صحابي رضي الله عنه، وهو بسر بن أرطأة، والصحابة رضي الله عنهم خطوط حمراء، والله أعلم.

وقد شَكَّكَ البَعضُ في صُحبته، والصَّوَاب أنه من صغار الصحابة، كذا رجح الحافظ، فقد ولد قبل وفاة النبي ﷺ.

وقال الواقدي:

ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين، ولم يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً في رواياتنا، ولذلك قال ابن معين: لا يصح له صحبة. هو رجل سوء وأهل المدينة ينكرون سماعه، بينما قال أهل الشام: سمع من النبي ﷺ وهو صغير، وكذا قال أحمد بن حنبل:

«سمع من النبي ﷺ وهو صغير».

وقد عدَّه أبو عمر بن عبد البر، وابن مندة في جملة الصحابة رضي الله عنهم.

وقال ابن قانع، والبارودي، وأبو أحمد العسكري، وأبو سليمان محمد بن عبد الله ابن زبر، والبخاري أنه سمع من سيدنا سيد المخلوقين ﷺ أنه قال: « **اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ** ». (١)

(١) وقد أخرج هذا الحديث أحمد (٤/ ١٨١)، وابن حبان (٩٤٩) من طريق محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس عن أبيه عن بسر بن أرطأة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: .... فذكره

ومحمد بن أيوب هذا قد حكى ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ١٣٥) عن أبي مسهر قال: كان أكبر من أخيه يونس، ومات قبله بقليل، وكان أفقه، وكان يفتي في الحلال والحرام. وانظر: « تعجيل المنفعة» (ص ٥٦).

قلت «محمد» : أخوه يونس ثقة، فحال محمد بن أيوب لا ينزل من درجة من يحسن حديثه على أقل الأحوال.

قال ابن كثير في«تفسيره»:« هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ » .

ولذلك جزم الدارقطني بأن له صحبة .

وفي «أسد الغابة» :

«ولم تكن له استقامة بعد النبي ﷺ».

وقال ابن الأثير:

شهد صفين مع معاوية وكان شديداً على عليٍّ وأصحابه، قال البيهقي في تعقبه على كلام يحيى فيه:

«وإنما قال ذلك يحيى لما ظهر من سوء فعله في قتال أهل الحرة وغيرهم» .

وعلَّلَ ابنُ عبد البر كلام يحيى؛ فقال عقبه:

«وذلك لما ركبه في الإسلام من الأمور العظام» .

الله أكبر ! فيا لله العجب كيف يتتابع هؤلاء العلماء الأجلَّاء على الجزم بجُرمه وهو صحابي، ولم يصح بما ورد مما بنوا عليه سند كما أشار ابن كثير قبل، وقد رأيت أن جلَّ ما ورد من ذلك لا صحَّة له؟!

فهو صحابي، وإن لم تثبت صحبته بالحديث المتقدم:« **اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي** ..» فهي ثابتة بحديث جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ بُسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُقْطَعُ الأَيْدِي فِي الغَزْوِ**»

وقد قال أبو حاتم كما فى «الجرح»(٧/ ١٩٧):«صالح لابأس به، ليس بالمشهور»، وحكى ابن عساكر فى «تاريخه» (١٠/ ١٣٥)، والذهبي فى «تاريخ الإسلام» وفيات ١٣٥، شطر الكلام الأول عن أبي حاتم، وهذا تعديل وارد فيه لا يهمل ، إلا أني لم أجد فى والد أيوب توثيق معتبر.

أخرجه الترمذي[١] وغيره بإسناده قويٍ إلى بُسر بن أرطأة رضي الله عنه كما بينته في كتابي«الفوائد النيرة»[٢].

والحاصل أن الذي رأيته ثابتاً في الباب:

ما أخرجه ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ صحيح عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنِ عَبْدِ الله يَقُولُ: لَمَّا كَانَ عَامُ الْجَمَاعَةِ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ لِيُبَايِعَ أَهْلَهَا عَلَى رَايَاتِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ جَاءَتْهُ الْأَنْصَارُ جَاءَتْهُ بَنُو سُلَيْمٍ فَقَالَ: أَفِيهِمْ جَابِرٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَلْيُرْجَعُوا فَإِنِّي لَسْتُ مُبَايِعَهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ جَابِرٌ، قَالَ: فَأَتَانِي فَقَالَ: نَاشَدْتُكَ الله، إِلَّا مَا انْطَلَقْتَ مَعَنَا فَبَايَعْتَ فَحَقَنْتَ دَمَكَ وَدِمَاءَ قَوْمِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ قُتِلَتْ مُقَاتِلَتُنَا وَسُبِيَتْ ذَرَارِيُّنَا، قَالَ: فَأَسْتَنْظِرُهُمْ إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهَا الْخَبَرَ فَقَالَتْ: «يَا ابْنَ أُمَّ، انْطَلِقْ، فَبَايِعْ وَاحْقِنْ دَمَكَ وَدِمَاءَ قَوْمِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ ابْنَ أَخِي يَذْهَبُ فَيُبَايِعُ».

لكن هذا كما ترى إنما كان عام الجماعة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه بالخلافة لمعاوية لا قبل مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذِكْرُ مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

قال ابنُ كثير: «كان رضي الله عنه قَدِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ، وَخَالَفَهُ جَيْشُهُ مَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمْ، وَنَكَلُوا عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ

(١) برقم (١٤٥٠).

(٢) برقم (١٣٤٣)

(٣) في«المصنف»(٦/ ١٨٨).

أَهْلِ الشَّامِ وَصَالُوا وَجَالُوا يَمِينًا وَشِمَالًا زَاعِمِينَ أَنَّ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ ؛ بِمُقْتَضَى حُكْمِ الْحَكَمَيْنِ فِي خَلْعِهِمَا عَلِيًّا وَتَوْلِيَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ خُلُوِّ الْإِمْرَةِ عَنْ أَحَدٍ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ بَعْدَ التَّحْكِيمِ يُسَمُّونَ مُعَاوِيَةَ الْأَمِيرَ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ أَهْلُ الشَّامِ قُوَّةً ضَعُفَ جَأْشُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَوَهَنُوا، هَذَا وَأَمِيرُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَهُوَ أَعْبَدُهُمْ وَأَزْهَدُهُمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَأَخْشَاهُمْ لله، عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ خَذَلُوهُ وَتَخَلَّوْا عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ الْكَثِيرَ وَالْمَالَ الْجَزِيلَ، فَلَا زَالَ هَذَا دَأْبَهُمْ مَعَهُ حَتَّى كَرِهَ الْحَيَاةَ وَتَمَنَّى الْمَوْتَ ؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْفِتَنِ وَظُهُورِ الْمِحَنِ، فَكَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: مَاذَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا - أَيْ مَا يَنْتَظِرُ - مَا لَهُ لَا يَقْتُلُ؟ ثُمَّ يَقُولُ: وَالله لَتُخَضَّبَنَّ هَذِهِ - وَيُشِيرُ إِلَى لِحْيَتِهِ - مِنْ هَذِهِ. وَيُشِيرُ إِلَى هَامَتِه[1].

وهناك عدة رواياتٍ مفادُها :

أن علياً ﷺ قال: عَهْدٌ مَعْهُودٌ، وَقَضَاءٌ مَقْضِيٌّ لَتُخَضَّبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ - لِلِحْيَتِهِ مِنْ رَأْسِهِ

وأنه قَالَ: قال لِي رَسُولُ الله ﷺ « **مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ** » ؟ قُلْتُ: عَاقِرُ النَّاقَةِ. قَالَ: « **صَدَقْتَ، فَمَنْ أَشْقَى الْآخِرِينَ؟** » قُلْتُ: لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ الله. قَالَ: « **الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ** ».وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى يَافُوخِهِ».قَالَ: فَكَانَ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدِ انْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ فَيُخَضِّبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ. يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ، وأن الأمة ستغدر به....إلخ.

وفي كل الطُّرقِ الوَارِدة في هذا ضعف لا يصح منها شيء، والله أعلم .[2]

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ١١١).

(٢) وقد تكلمت على أسانيدها كلها بإيجاز عند تحقيقي لـ «البداية والنهاية» .

وقد علَّق ابن كثير رحمه الله جزءاً من أثر عن الْأَعْمَش عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ الْأَقْمَرِ قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَالَ: نُبِّئْتُ أَنْ بُسْرًا قَدْ طَلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَالله لَأَحْسَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيَظْهَرُونَ عَلَيْكُمْ، وَمَا يَظْهَرُونَ عَلَيْكُمْ إِلَّا بِعِصْيَانِكُمْ إِمَامَكُمْ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ، وَخِيَانَتِكُمْ وَأَمَانَتِهِمْ، وَإِفْسَادِكُمْ فِي أَرْضِكُمْ وَإِصْلَاحِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ، قَدْ بَعَثْتُ فُلَانًا فَخَانَ وَغَدَرَ، وَبَعَثْتُ فُلَانًا فَخَانَ وَغَدَرَ وَبَعَثَ الْمَالَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، لَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَدَحٍ لَأَخَذَ عِلَاقَتَهُ، اللَّهُمَّ سَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي وَكَرِهْتُهُمْ وَكَرِهُونِي، اللَّهُمَّ فَأَرِحْهُمْ مِنِّي وَأَرِحْنِي مِنْهُمْ. قَالَ: فَمَا صَلَّى الْجُمُعَةَ الْأُخْرَى حَتَّى قُتِلَ، رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ.

وما برز من الإسناد صحيح رجاله ثقات.

والمتيقن أنه قد حَصَل من ذلك أشياء:

فقد أخرج الفسوي[1] بإسنادٍ صحيحٍ عن إبراهيم بن سعد عن شعبة، عن أبي عون الثقفي عن أبي صالح الحنفي، قال: رأيت عليَّ بنَ أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى لأرى ورقه يتقعقع، ثم قال: «اللهم إنهم منعوني أن أقوم فى الأمة بما فيه، فأعطني ثواب ما فيه» . ثم قال:

«اللهم إني قد مللتهم وملُّوني، وأبغضتُهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبيعتي وخُلقي، وأخلاق لم تكن تُعرف لي، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرَّاً مني، اللهم أمت قلوبهم ميت الملح فى الماء» .

قال إبراهيم بن سعد: يعني:أهل الكوفة.

---

(١) فى «المعرفة» (٢/ ٧٥١)وأبو صالح قد رأى علي بن أبي طالب كما هنا، وصرح ابن أبي حاتم بأنه سمع من علي ت،ولذا صححته فى تحقيقي لـ «البداية والنهاية» (٨/ ١٧٢)، وأثبتُّ السماع له من علي ت فى «الجامع فى ذكر رواة المراسيل» .

وأخرج البلاذري[1] بإسنادٍ صحيح إلى زَيْدِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَشْيَاخِهِمْ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا بُويِعَ وَبَلَغَهُ قِتَالُ عَلِيٍّ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ، كَاتَبَ وُجُوهَ مَنْ مَعَهُ مِثْلَ الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَغَيْرِهِ، وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ وَبَذَلَ لَهُمْ حَتَّى مَالُوا إِلَيْهِ وَتَثَاقَلُوا عَنِ الْمَسِيرِ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَكَانَ يَقُولُ فَلا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِهِ وَيَدْعُو فَلا يُسْمَعُ لِدَعْوَتِهِ، فَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ: لَقَدْ حَارَبْتُ عَلِيًّا بَعْدَ صِفِّينَ بِغَيْرِ جَيْشٍ وَلا عَنَاءٍ أَوْ قَالَ: وَلا عَتَادٍ.

وقد تقدم حجة من مال إلى عسكر معاوية وتركه علياً

أن مقتضى تحكيم الحكمين: أن الجميع كتبوا كتاباً بينهم وَبَيْنَ عَلِيٍّ كِتَابًا وَاشْتَرَطوا فِيهِ شرطاً الرضا بتحكيم الرَّجُلَيْنِ عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري لِيَحْكُمَا بِحُكْمِ الْكِتَابِ عَلَيْهِم، فعمرو ثبَّت معاوية، وأبوموسى رضي الله عنه خَلَعَ عليّ، فإعداد علي للجيوش لحرب معاوية ثانياً يعتبر ظلماً وبغياً ونكثاً للعهد، فتخاذل الناس عن طاعة عليّ

فانْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ، وَخَالَفَهُ جَيْشُهُ مَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمْ، وَنَكَلُوا عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ...

لكن الواقع في حاجة إلى أسانيد صحيحة بتفصيل ما حصل من الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص، فالله أعلم .

صِفَةُ مَقْتَلِ عليٍّ رضي الله عنه

هناك عدَّة روايات مفادها أَنَّ ثَلَاثَةً مِنِ الْخَوَارِجِ ؛ وَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُلْجَمٍ الْحِمْيَرِيُّ ثُمَّ الْكِنْدِيُّ حَلِيفُ بَنِي جَبَلَةَ مِنْ كِنْدَةَ، الْمِصْرِيُّ، وَكَانَ أَسْمَرَ حَسَنَ الْوَجْهِ أَبْلَجَ، شَعْرُهُ مَعَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، وَفِي جَبْهَتِهِ أَثَرُ السُّجُودِ.

---

(١) في« أنساب الأشراف»(٢/ ٣٨٣).

وَالْبُرَكُ بْنُ عَبْدِ الله التَّمِيمِيُّ. وَعَمْرُو بْنُ بَكْرٍ التَّمِيمِيُّ أَيْضًا، اجْتَمَعُوا فَتَذَاكَرُوا قَتْلَ عَلِيٍّ إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: مَاذَا نَصْنَعُ بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُمْ؟! كَانُوا مِنْ خَيْرِ النَّاسِ وَأَكْثَرَهُمْ صَلَاةً، وَكَانُوا دُعَاةَ النَّاسِ إِلَى رَبِّهِمْ، لَا يَخَافُونَ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَلَوْ شَرَيْنَا أَنْفُسَنَا فَأَتَيْنَا أَئِمَّةَ الضَّلَالَةِ فَقَتَلْنَاهُمْ فَأَرَحْنَا مِنْهُمُ الْبِلَادَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ ثَأْرَ إِخْوَانِنَا. فَقَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ أَنَا أَكْفِيكُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. وَقَالَ الْبُرَكُ بْنُ عَبْدِ الله: أَنَا أَكْفِيكُمْ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَكْرٍ: أَنَا أَكْفِيكُمْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَتَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا أَنْ لَا يَنْكِصَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ فَسَمُّوهَا، وَاتَّعَدُوا لِسَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ أَنْ يُبَيِّتَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ فِي بَلَدِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ. فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَسَارَ إِلَى الْكُوفَةِ فَدَخَلَهَا، وَكَتَمَ أَمْرَهُ حَتَّى عَنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ هُمْ بِهَا، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي قَوْمٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ الرَّبَابِ وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ قَتْلَاهُمْ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: قَطَامِ بِنْتُ الشِّجْنَةِ. قَدْ قَتَلَ عَلِيٌّ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ أَبَاهَا وَأَخَاهَا، وَكَانَتْ فَائِقَةَ الْجَمَالِ مَشْهُورَةً بِهِ، وَكَانَتْ قَدِ انْقَطَعَتْ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ تَتَعَبَّدُ فِيهِ، فَلَمَّا رَآهَا ابْنُ مُلْجَمٍ سَلَبَتْ عَقْلَهُ، وَنَسِيَ حَاجَتَهُ الَّتِي جَاءَ لَهَا، وَخَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهَا، فَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَادِمًا وَقَيْنَةً، وَأَنْ يَقْتُلَ لَهَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: فَهُوَ لَكِ، وَوَالله مَا جَاءَ بِي إِلَى هَذِهِ الْبَلْدَةِ إِلَّا قَتْلُ عَلِيٍّ. فَتَزَوَّجَهَا وَدَخَلَ بِهَا، ثُمَّ شَرَعَتْ تُحَرِّضُهُ عَلَى ذَلِكَ...وذكروا وصية له كتبها رضي الله عنه.

ولم أقف في ذلك على أسانيد ثابتة إلا ما

أخرجه البلاذري[1] بسندٍ يحسَّن عَن الشَّعْبِيّ قَالَ: حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل علي وأصحاب مُعَاوِيَة، فاصطلح النَّاس عَلَى شيبة

(١) في «أنساب الأشراف» (٢/ ٤٨٨).

بْن عُثْمَان، فلما انقضى الموسم أقام الخوارج مجاورين فَقَالُوا: كَانَ هَذَا البيت معظما فِي الجاهلية، جليل الشأن فِي الإسلام، وقد انتهك هَؤُلاءِ حرمته، فلو أن قوما شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدوا في الأرض، واستحلا حرمة هذا البيت استرحنا واستراحت الأمة، واختار النَّاس لأنفسهم إماما، فقال عبد الرحمان بْن ملجم: أنا أكفيكم عَلِيًّا، وَقَالَ الحجاج بن عبيد الله الصريميّ-وهو البركة: أنا أقتل معاوية. وقال داذويه مولى بني حارثة بْن كعب بْن العنبر- واسمه عَمْرو بْن بكر-: والله مَا عَمْرو بْن العاص بدونهما، فأنا لَهُ فتعاقدوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ إنهم اعتمروا عمرة رجب.

فقدم ابْن ملجم الْكُوفَة وجعل يكتم أمره، فتزوج قطام بنت علقمة من تيم الرباب- وَكَانَ علي قتل أخاها- فأخبرها بأمره، وَكَانَ أقام عندها ثلاث ليال، فقالت له في الليلة الثالثة: لشد مَا أحببت لزوم أهلك وبيتك وأضربت عَن الأمر الَّذِي قدمت لَهُ!

فَقَالَ: إن لي وقتا واعدت عَلَيْهِ أصحابي ولن أجاوزه.

ثُمَّ إنه قعد لعلي فقتله، ضربه عَلَى رأسه، وضرب ابْن عم لَهُ عضادة الباب، فَقَالَ علي- حين وقع بِهِ السيف- فزت ورب الكعبة.

وأخرج [١] بسندٍ صحيح إلى صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ[٢]أنه قَالَ: مكثَ معاويةٌ بالشام وعليٌّ بالعراق وعمرو بن الْعَاصِ بمصر، بعد أن قتل ابْن حديج مُحَمَّد بْن أَبِي بكر الصديق بمصر.

(١) أي البلاذري في«أنساب الأشراف»(٢/ ٤٨٨) .

(٢) وإن كان السند رجاله ثقات، ولكن صالح بن كيسان لم يدرك الحدث، والله أعلم.

ثُمَّ إن نفرًا اجتمعوا عَلَى أن يعدوا عليهم فِي ساعة واحدة فيقتلوهم ليريحوا الأمة منهم زعموا ذلك .

فأما صاحب عليٍّ فقتَله حين خرج لصلاة الصبح، وأما صاحب مُعَاوِيَة فطَعَنَه وَهُوَ دارع- فلم يضرّه، وأما عمرو بن العاص فخرج أمامه خارجةُ بنُ أَبِي خارجة من بني عدي بْن كعب، فظنَّ الرَّجُل أنه عَمْرو بْن العاص، فشد عَلَيْهِ فقتله، ورجع عَمْرو وراءه.

فلمَّا قتل علي تداعى أَهْل الشَّام إِلَى بيعة مُعَاوِيَة، فقال عبد الرحمان بْن خالد بْن الوليد: نحن المؤمنون وَمُعَاوِيَة أميرنا وَهُوَ أمير الْمُؤْمِنِينَ فبايع لَهُ أَهْل الشَّام وَهُوَ بإيليا لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين، فكان مَا بين قتل عُثْمَان وبيعة النَّاس لمعاوية أربع سنين وشهرين وسبع عشرة ليلة.أهـ

وكانت ولاية عليٍّ رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام.(١)

وعلي بن أبي طالب هلكت فيه طائفتان من الغلاة: طائفة مدحته حتى صيَّرته إلهاَ ، وهم الزنادقة الذين ألَّهوه كما فعل النصارى مع عيسى ابن مريم ﷺ، وطائفة النواصب نصبوا له العداء وذمُّوه بكل وجه.

وأما أهل السنة فرضي الله عنهم توسَّطوا مع المذهب الحق، والطائفتان : الأولي والثانية كذبوا، فوضعوا أحاديث، إحداهما في مدحه، الأخرى في ذمِّه، وكلتاهما تتبوَّأ مقعداً من النار، و الله المستعان، والحق وسط.

فكذبوا عليه ليَمدحوه، فرووا له عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَة، قَالَ:

(١) كما قال خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ١٢٠.

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ يَحْمِلُ رَايَتَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ:« **وَمَنْ عَسَى أَنْ يَحْمِلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ يَحْمِلُهَا فِي الدُّنْيَا:عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** ».

وَلَا يَصِحُّ بهذا اللفظ من جميع طرقه كما قال أهل العلم.

والذي صح أنه رضي الله عنه حمل الراية يوم خيبر وأن النبي ﷺ قال:« **لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ- أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ الله عَلَيْهِ**» كما بينا في«صحيح السِّيرة النبوية».

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أغناه الله عن الحاجة إلى الذي لا يصح به سند.

وقد بلغ بهم تحويل أحاديث فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه، وهو من الغلو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كَانَ لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَبْوَابٌ شَارِعَةٌ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ فَقَالَ يَوْمًا: « **سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ** » قَالَ فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ أُنَاسٌ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:« أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَمَرْتُ بِسَدِّ هَذِهِ الْأَبْوَابِ غَيْرَ بَابِ عَلِيٍّ....الحديث.

وهو حديث منكر لا يشك أنه من وضع الروافض كما بينته في تخريجي له في غير هذا الموطن.[1]

سياقٌ آخر لرواية في ضربِ علي رضي الله عنه وانتقال الخبر

أخرج ابن أبي الدنيا[2] بإسناد حسن عن الشعبي قال حدثني زحر بن قيس الجعفيُّ، قال لما كان غداة أصيب علي عليه السلام ركبتُ مَطيَّتي ومَضيتُ نحو المدائن فلما كنت قريبًا منها تلقاني أهلها فقالوا من أين أقبل الرجل؟

(١) في تحقيقي«البداية والنهاية»(٨/ ١٣٧).

(٢) في«مقتل علي»(٩٦).

فقلت من الكوفة قالوا وما الخبر قلت جرح أمير المؤمنين بصلاة الغداة فتلقاه رجلان فضربه أحدهما فأخطأه وضربه الآخر فأصابه بشجَّة قد يموت الرجل مما هو أدنى منها، ويعيش مما هو أكثر منها، فتماروا فيما بينهم فقالوا: والله لو جئتنا بدماغه في ستين صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه قال فدخلت المدائن فمكثت في بعض بيوتها حتى جاء كتاب الحسن بن علي عليهما السلام بما كان من أمره فاتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة قال وكان اللذان ضرباه عبد الرحمن بن ملجم المرادي وشبيبُ بنُ بجرة الأشجعي ضربه شبيبٌ فأخطأه وضربه ابن ملجم على رأسه فقتله، وكان الذي ضربَ مُعاوية رجلٌ من بني الصريم يقال له البرك وأن معاوية حرم بني الصريمِ أعطياتهم حياته.

مدح الخوارج لقاتل علي رضي الله عنه ابن ملجم -قبَّحه الله - وفرحهم بقتله

فِي ذَلِكَ يَقُولُ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ شَاعِرُ الصِّفْرِيَّةِ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانًا

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ بُطُوْنُ الطَّيْرِ قَبْرُهُمُ ... لَمْ يَخْلِطُوا دِيْنَهُم بَغْياً وَعُدْوَانَاً

أَيْ لَا أُفَكِّرُ فِيهِ ثُمَّ أَحْسَبُهُ، بل بمجرد ذكره أحسبه عند الله أوفى البرية ميزاناً

فعارضه الإمام أبو الطيبِ الطَّبريَّ شَاعِرُ أهل السّنة فَقَالَ:

يَا ضَرْبَةً مِن شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا ليبلغ من ذِي الْعَرْش خسرانا

إنّي لأبرأ ممّا أنت تذكره ... عن ابن ملجم الملعون بهتاناً

إِنِّي لأذكره يَوْمًا فألعنه ... لعناً وألعن عمرَانَ بن حِطَّاناً

وهذا معروفٌ بصرف النظر عن ثبوت الأسانيد بذلك، أن الخوارج يفرحون كل الفرح بموت مَن قَتَله إخوانهم من أهل السنة، فقد امتلأت قلوبهم حنقاً عليهم وحقداً، لا سيما وعليٌّ وهو العدو اللدود الأول لهم.. فكيف لا يفرحون بمقتله؟

وحجة من مال إلى عسكر معاوية ومبايعته ما تقدَّم من أنه لما قُتل عليٌّ تداعى أَهْل الشَّام إِلَى بيعة مُعَاوِيَة، فقال عبد الرحمان بْن خالد بْن الوليد: نحن المؤمنون وَمُعَاوِيَة أميرنا وَهُوَ أمير الْمُؤْمِنِينَ فبايع لَهُ أَهْل الشَّام وَهُوَ بإيليا لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين، فكان مَا بين قتل عُثْمَان وبيعة النَّاس لمعاوية أربع سنين وشهرين وسبع عشرة ليلة.[1]

فراسة محمد بن الحنفية ابن علي في ابن ملجم

وآخر ما قال علي رضي الله عنه في شأن ابن ملجم

أخرج ابن سعد [2] بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا ابْنُ مُلْجَمٍ الْحَمَّامَ وَأَنَا وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ جُلُوسٌ فِي الْحَمَّامِ. فَلَمَّا دَخَلَ كَأَنَّهُمَا اشْمَأَزَّا مِنْهُ وَقَالا: مَا أَجْرَأَكَ تَدْخُلُ عَلَيْنَا! قَالَ فَقُلْتُ لَهُمَا: دَعَاهُ عَنْكُمَا فَلَعَمْرِي مَا يُرِيدُ بِكُمَا أَحْشَمُ مِنْ هَذَا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُتِيَ بِهِ أَسِيرًا قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: مَا أَنَا الْيَوْمَ بِأَعْرَفَ بِهِ مِنِّي يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا الْحَمَّامَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّهُ أَسِيرٌ فَأَحْسِنُوا نُزُلَهُ وَأَكْرِمُوا مَثْوَاهُ فَإِنْ بَقِيتُ قَتَلْتُ أو عفوت وإن متُّ فاقتلوه قتلتي وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ الله لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .

---

(١) وقد أخرج ذلك البلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ٤٨٨) من طريق صالح بن كيسان بإسنادٍ رجاله ثقات.

(٢) في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٥).

مكان دفن علي رضي الله عنه

وقال أبو نعيم الأصفهاني(١): سمعت أبا بكر الطَّلحي، يذكر عن مُطَين: أنه كان ينكر أن يكون القبر الذي على النَّجفَ قبر علي- عليه السلام -، قال: ولو علم به زُوَّاره رَجُموه، وإنما هو قبر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

قال سبط بن الجوزي: وقد وهم أبو نعيم ومُطَيّن في هذا، فإن المغيرة بن شعبة مات بالكوفة في الطاعون، ودُفن بجانبها عند خبَّاب بن الأَرَتّ لما نذكر في ترجمته.

ذكر سنِّ أمير المؤمنين

واختلفوا فيه على أقوال: أحدها ثلاث وستون، مثل عمر رسول الله ﷺ، وقال ابن سعد بإسناده إلى ابن إسحاق قال:توفي علي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال الواقدي: وهو الثبت عندنا...ثم ذكر الخلاف في سنِّه يوم مات رضي الله عنه.

خِلَافَةُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بن أبي طالب رضي الله عنهما

قد ورد أن أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ قَالُوا لَهُ: اسْتَخْلِفْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَا وَلَكِنْ أَدَعُكُمْ كَمَا تَرَكَكُمْ رَسُولَ الله ﷺ يَعْنِي بِغَيْرِ اسْتِخْلَافٍ - فَإِنْ يُرِدِ الله بِكُمْ خَيْرًا يَجْمَعْكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ كَمَا جَمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْحَسَنُ - لِأَنَّهُ أَكْبَرُ رضي الله عنهم - وَدُفِنَ كَمَا ذَكَرْنَا بدار الإمارة عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ كَانَ أَوَّلُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ:

---

(١) فيما حكاه سبط بن الجوزي في«مِرآة الزمان»(٦/ ٤٦٨).

ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى كِتَابِ الله وسنَّة نَبِيِّهِ، فَسَكَتَ الْحَسَنُ فَبَايَعَهُ ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ مَاتَ عَلِيٌّ، وَكَانَ مَوْتُهُ يَوْمَ ضُرِبَ عَلَى قَوْلٍ وَهُوَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَقِيلَ إِنَّمَا مَاتَ بَعْدَ الطَّعْنَةِ بِيَوْمَيْنِ، وَقِيلَ مَاتَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَمِنْ يَوْمَئِذٍ ولي الحسنُ بنُ علي، وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى إِمْرَةِ أَذْرَبِيجَانَ، تَحْتَ يَدِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، قَدْ بَايَعُوا عَلِيًّا عَلَى الْمَوْتِ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ أَلَحَّ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى الْحَسَنِ فِي النَّفِيرِ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّام، فَعَزلَ قَيْسًا عَنْ إِمْرَةِ أَذْرَبِيجَانَ، وَوَلَّى عُبَيْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِي نِيَّةِ الْحَسَنِ أَنْ يُقَاتِلَ أَحَدًا، وَلَكِنْ غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ، فَاجْتَمَعُوا اجْتِمَاعًا عَظِيمًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ.[1]

ولم أقف لذلك على إسناد صحيح بهذا السياق وهذا التفصيل.

ولكن بعضه-أعنى اجتماع العدد الكثير على الحسن رضي الله عنه - صحيح كما سيأتي إن شاء الله تعالى. والصحيح أنه رضي الله عنه، آخر الخلفاء الراشدين، ومعاوية رضي الله عنه أول ملوك الإسلام رضي الله عنهم كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال ابن جرير[2]: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويعَ لِمُعَاوِيَةَ بِإِيلِيَاءَ - يَعْنِي لَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ - قَامَ أَهْلُ الشَّام فَبَايَعُوا مُعَاوِيَةَ عَلَى إِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ عِنْدَهُمْ مُنَازِعٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَقَامَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنه لِيُمَانِعُوا بِهِ أَهْلَ الشَّام فَلَمْ يُتِمَّ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ، وَمَا حَاوَلُوهُ، وَإِنَّمَا كَانَ خِذْلَانُهُمْ مِنْ قبل تدبيرهم وَآرَائِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُخَالِفَةِ لِأُمَرَائِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَعَظَّمُوا مَا أَنْعَمَ الله بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مُبَايَعَتِهِمُ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، وَسَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَحَدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَحُلَمَائِهِمْ وَذَوَى آرَائِهِمْ.

---

(١) «البداية والنهاية»(٨/ ١٧٥-١٧٦).

(٢) فيما حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ١٧٧).

سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية

وفِيهَا سَلَّمَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ رضي الله عنهما .

ومما وقفت عليه من روايات صحيحه بشأن هذا ما

أخرجه البخاري[1] عن الحَسَن البصري قال: اسْتَقْبَلَ وَالله الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، **فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَالله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ**: أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ الله بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولاَ لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالاَ لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالاَ: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا، قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

---

(١) برقم (٢٧٠٤).

إثبات أن الحسن بن علي رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين

دليل ذلك ما أخرجه ابن حبان [١] عَنْ سَفِينَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا**» ، قَالَ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه سَنَتَيْنِ، وَعُمَرَ رضي الله عنه عَشْرًا، وَعُثْمَانَ رضي الله عنه اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٍّ رضي الله عنه سِتًّا.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ: قُلْتُ لِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: سَفِينَةُ الْقَائِلُ: أَمْسِكْ؟ قال: نعم.

وقد رواه ابن عساكر [٢] زيادة: فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَجْلِسِ: قَدْ دَخَلَتْ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِينَ سِتَّةُ شُهُورٍ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ.

فَقَالَ: مِنْ ها هنا أُتِيتَ تِلْكَ الشُّهُورَ كَانَتِ الْبَيْعَةُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَايَعَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا أَوِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا..

ولذا قال ابن كثير [٣]: «وَإِنَّمَا كَمَلَتِ الثَّلَاثُونَ بِخِلَافَةِ الْحَسَنِ بن علي، فَإِنَّهُ نَزَلَ عَنِ الْخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَذَلِكَ كَمَالُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مَوْتِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهَذَا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلَّم تسليما وَقَدْ مَدَحَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى صَنِيعِهِ هَذَا وَهُوَ تَرْكُهُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ، وَرَغْبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، وَحَقْنُهُ دِمَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَنَزَلَ عَنِ الْخِلَافَةِ وَجَعَلَ الْمُلْكَ بِيَدِ مُعَاوِيَةَ حَتَّى تَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَى أَمِيرٍ واحد».

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٩٤٣) بسندٍ حسن.

(٢) في «تاريخ دمشق»(١٣/ ٢٦١).

(٣) في«البداية والنهاية»(٨/ ١٧٧).

بعد تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية رضي الله عنهما

أخرج ابن أبي شيبة [١] وغيره بسندٍ حسن عن أبي الْغَرِيفِ، قَالَ: كُنَّا مُقَدَّمَةَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا بِمَسْكَنٍ مُسْتَمِيتِينَ تَقْطُرُ سُيُوفُنَا مِنَ الْجِدِّ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ وَعَلَيْنَا أَبُو الْعَمْرِو ، قَالَ: فَلَمَّا أَتَانَا صُلْحُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ كَأَنَّمَا كُسِرَتْ ظُهُورُنَا مِنَ الْحُزْنِ وَالْغَيْظِ ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكُوفَةَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا يُكَنَّى أَبَا عَامِرٍ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ:«لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا أَبَا عَامِرٍ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ طَلَبَ الْمُلْكِ أَوْ عَلَى الْمُلْكِ ».

وأخرج ابن عبد البر [٢] قال ثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زُهَيْرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ سَارَ الْحَسَنُ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَسَارَ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَالْتَقَوْا، فَكَرِهَ الْحَسَنُ الْقِتَالَ، وَبَايَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْعَهْدَ لِلْحَسَنِ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ: فَكَانَ أَصْحَابُ الْحَسَنِ يَقُولُونَ لَهُ يَا عَارَ الْمُؤْمِنِينَ. فَيَقُولُ: الْعَارُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ.

ولكن في القصة انقطاع من قبل عبد الله بن شوذب، فلم يدرك الحسن بن علي رضي الله عنه ولا هذه الأحداث، بل لم يسمع من الحسن البصري التابعي، وليس له رواية عن صحابي أصلاً .

وهو في ذلك هو البار الراشد الممدوح، وَلَيْسَ يَجِدُ فِي صَدْرِهِ حَرَجًا وَلَا تَلَوُّمًا وَلَا نَدَمًا، بَلْ هُوَ راضٍ بِذَلِكَ مُسْتَبْشِرٌ بِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَاءَ هَذَا خُلُقًا من ذويه وأهله وشيعتهم، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَدٍ وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

---

(١) في«المصنف» (٧/ ٤٧٦) والحاكم (٣/ ١٧٥) والخطيب في «تاريخه»(١٠/ ٣٠٥) .

(٢) في«الاستيعاب»(١/ ٣٨٦) ومن نفس الطريق ابن عساكر(١٣/ ٢٦١).

وَالْحَقُّ فِي ذَلِكَ اتِّبَاعُ السُّنَّةِ وَمَدْحُهُ فِيمَا حَقَنَ بِهِ دِمَاءَ الْأُمَّةِ، كَمَا مَدَحَهُ عَلَى ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ كَمَا تقدَّم فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.[١]

وقد أخرج ابن سعد[٢] بسنده إلى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ وَبَايَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ لِمُعَاوِيَةَ:

مُرْ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَنْ يَخْطُبَ، فَإِنَّهُ حَدِيثُ السِّنِّ عَيِيٌّ، فَلَعَلَّهُ يَتَلَعْثَمُ فَيَتَّضِعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ.

فَأَمَرَهُ فَقَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ فِي خطبته: أيها الناس لو اتبعتم بَيْنَ جَابَلْقَ وَجَابَرْسَ رَجُلًا جَدُّهُ نَبِيٌّ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخِي لَمْ تَجِدُوهُ، وَإِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا بيعتنا معاوية وَرَأَيْنَا أَنَّ حَقْنَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ إِهْرَاقِهَا، وَالله مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»- وَأَشَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ- فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: مَا أَرَدْتَ مِنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أَرَدْتُ مِنْهَا مَا أَرَادَ الله مِنْهَا.

فَصَعِدَ مُعَاوِيَةُ وَخَطَبَ بَعْدَهُ.

ولكن قال ابن كثير[٣]:

«وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ وَقَدَّمْنَا أَنْ مُعَاوِيَةَ عَتَبَ عَلَى أَصْحَابِهِ» .

---

(١) من كلام ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٨/ ١٨٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في«طبقاته» في الجزء المتمم للطبقات(١/ ٣٢٨) ومن طريقه ابن عساكر(١٣/ ٢٧٥). وسنده حسن إلا أن في سنده من فيه تشيُّع يُخشى منه، فإن الأثر فيه ما يخدم بدعة التشيُّع.

(٣) في«البدية والنهاية» (٨/ ٢٠٨) .

من معارضتة ﷺ لمن أنكر عليه

ما أخرجه اللالكائي وغيره بسندٍ صحيح من طريق الطَّيَالِسِيِّ، قَالَ: نا شُعْبَةُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْخِلَافَةَ. فَقَالَ: كَانَتْ جَمَاجِمُ الْعَرَبِ بِيَدِي، يُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ، وَيُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ، فَتَرَكْتُهَا الْتِمَاسَ رَحْمَةِ الله، ثُمَّ ابْتُلِيَ بِهَا نَاسٌ »[١].

وفي رواية[٢]:«... فَتَرَكْتُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله وَحَقْنَ دِمَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ».

وفي رواية[٣]:« ثم أثيرها بأوباش أهل الحجاز » .[٤]

أيام معاوية بن أبي سفيان ﷺ وَمُلْكِهِ

تقدَّم فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْخِلَافَةَ بعده عليه السلام ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا، وَقَدِ انْقَضَتِ الثلاثون بِخِلَافَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ ، فَأَيَّامُ مُعَاوِيَةَ أَوَّلُ الْمُلْكِ، فَهُوَ أَوَّلُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَخِيَارِهِمْ.[١]

---

(١) أخرجه اللالكائيبرقم (٢٧٩٧) وأخرجه البلاذري في«أنساب الأشراف»(٣/ ٤٩) .

(٢) في«الحلية»(٢/ ٣٦).

(٣) في «تاريخ واسط» ص١١٢وابن سعد في«طبقاته» الجزء المتمم(١/ ٣١٩).

(٤) وقد ذكر ابن أبي حاتم في«العلل»(٢٥٧٥) لوالده هذا الأثر بسنده من طريق الطيالسي به قال:« فَأَمْلَى عليَّ أَبِي: هَذَا الحديثُ خطأٌ؛ إِنَّمَا هُوَ:عبد الرحمن بْنُ نُمَير، عَنْ أَبِيهِ؛ حَدَّثَنَا سُلَيمان بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ (يعني الطيالسي) هَكَذَا »أهـ

قلت «محمد»: الذي وقفت عليه من طريق الطيالسي،ومحمد بن جعفر، وكذلك عثمان بن جبلة كما عند الدولابي في«الذرية الطاهرة»(١١٠) ثلاثتهم عن يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، فالله أعلم وما شهدنا إلا بما علمنا، والله أعلم .

منها: ما ذكره ابن كثير أن معاوية رضي الله عنه قال: «لا أبايع علياً حتى يُسلِّمني قتلة عثمان، فإنه قُتل مظلوماً، وقد قال الله – عز وجل –: {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} الإسراء:٣٣.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ما زلت موقناً أن معاوية سَيلي الملك والسلطان من هذه الآية» . (٢)

وقد ورد عنه أنه قال: «والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ: «يا معاوية إن ملكت فأحسن» ، ولهذا شواهد. (٣)

منها قوله ﷺ: «**يا معاوية إن وليتَ أمراً فاتق الله واعدل**» ، قال: فما زلتُ أظنُ أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ . (٤)

تزكية ملك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

أخرج البخاري (٥) عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»، قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذاً يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ».
وتقدم قول ابن كثير رحمه الله أنه أول ملوك الإسلام وخيارهم.

---

(١) المصدر السابق (٨/ ١٨١).

(٢) تقدم.

(٣) تقدمت.

(٤) وهو ثابت تقدم تخريجه.

(٥) برقم (٣٦٤١).

ويؤيده ما أخرجه الخلال[١] بإسنادٍ ثابتٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ: وَهُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَكَانَ هُوَ أَسْوَدَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ: قُلْتُ :أَهُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ عُمَرَ؟ قَالَ: عُمَرُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَهُوَ والله كَانَ أَسْوَدَ مِنْ عُمَرَ. قَالَ : قُلْتُ : هُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ عُثْمَانَ ؟

قَالَ:وَالله إِنْ كَانَ عُثْمَانُ لَسَيِّدًا، وَمُعَاوِيَةُ وَالله كَانَ أَسْوَدَ مِنْهُ .

قَالَ الخلال: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الله،أَيْشِ مَعْنَى السَّيِّدِ؟ قَالَ : السَّيِّدُ:الْحَلِيمُ، وَالسَّيِّدُ :الْمُعْطِي، أَعْطَى مُعَاوِيَةُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَطَايَا مَا أَعْطَاهَا خَلِيفَةٌ كَانَ قَبْلَهُ.

وقد أخرج الخلال [٢] بإسنادٍ صحيح عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ عَرَضَ النَّاسَ عَلَى عَطِيَّةِ آبَائِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ ، فَأَعْطَانِي ثَلاَثَمِائَةِ دِرْهَمٍ.

وأخرج معمر [٣] وغيره بإسنادٍ صحيح عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ أَخْلَقَ لِلْمُلْكِ مِنْ مُعَاوِيَةَ، إِنْ كَانَ النَّاسُ لَيَرِدُونَ مِنْهُ عَلَى وَادِي الرَّحْبِ وَلَمْ يَكُنْ كَالضَّيِّقِ الْحَصِيصِ، الضَّجِرِ الْمُتَغَضِّبِ».

وقد تقدم قوله رضي الله عنه حينما جاءت الكتائب مع الحسن لقتالهم قال الحسن البصري:

« اسْتَقْبَلَ وَالله الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه : إِنِّي لأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ-وَكَانَ

---

(١) فى «السنة» (٦٧٨).

(٢) فى «السنة» (٦٧٦).

(٣) راجع «الجامع» لمعمر(٢٠٩٨٥)، والخلال(٦٧٧)

وَالله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ-أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ..».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:«...فيه دَلَالَةٌ عَلَى رَأْفَةِ مُعَاوِيَةَ بِالرَّعِيَّةِ وَشَفَقَتُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّةِ نَظَرِهِ فِي تَدْبِيرِ الْمُلْكِ...» (١) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه :

«تَشبّثوا بصدغي معاوية، اللَّهمّ لا تُدرِكني سنة ستين» (٢).

والصدغ: هو ما انحَدر من الرأس إلى مركب اللحيين. (٣)

فكأنه قال: الزموا طريقته وسيروا خلفه وكونوا معه.

وأخرج الخلال(٤) بإسنادٍ صحيح عن أبي إسحاق السبيعي قال: « ما رأيتُ بعد مثله» . يعني: معاوية.

*وكان رضي الله عنه وقَّافاً عند حدود الله.

فقد قال للمسور بن مخرمة رضي الله عنه :«وَالله مَعَ ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأُخَيَّرَ بَيْنَ الله وَغَيْرِهِ، إِلَّا اخْتَرْتُ الله عَلَى مَا سِوَاهُ » (٥).

* وكان مع كونه رضي الله عنه خليفة يقوم يعلم الناس الوضوء عملياً.

---

(١) «فتح الباري»(١٣/ ٦٦) .

(٢) أخرجه أبو زرعة فى «تاريخه» ص ١٤، والبيهقي فى «الدلائل» (٦/ ٤٦٦) عن عمير بن هانئ عن أبي هريرةت به. وإسنادٍ صحيح.

(٣)كما قال ابن منظور فى « اللسان» (٨/ ٤٣٩).

(٤) في«السنة» (٦٧٠).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في«المصنف»(٢٠٧١٧) وغيره بسندٍ صحيح عن معاوية ت.

* وكان يعظ الناس وينصحهم ويبين لهم الشرع.

* وكان منصفاً حريصاً على العلم متواضعًا متحَرِّيًا للصواب فى مسائل العلم، ومع كونه خليفة يقوم يقضي بين الناس.

* ومع كونه أميراً على بعض البلاد يفض النزاعات بين المتخاصمين من الأوزاج وآحاد المسلمين ويختار الأصلح لهم ويوفِّق.

* يدافع عن أصل العلم الشرعي ويُحذر من الكذب على الله أو على رسوله ﷺ.

* يحذِّرمن القول فى الدين بغير علم....

وقد ذكرت دلائل كل هذا وغيره في كتابي«شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين» .

وأما ما أخرجه الطبراني[1] عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، عَنْ مُعَاذٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ رَحْمَةً وَنُبُوَّةً، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً، ثُمَّ كَائِنًا مُلْكًا عَضُوضًا، ثُمَّ كَائِنًا عُتُوًّا وَجَبرِيَّةً، وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ، وَالْفُرُوجَ، وَالْخُمُورَ يُرْزَقُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُنْصَرُونَ حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**»

كذل بتسمية مُلك معاوية رضي الله عنه بالمُلك العَضوض أي: يصيب الرَّعية فيه بالعسف والظلم، كأنهم يُعَضُّون فيه عَضًّاً. فمما لا يصح لا سنداً ولا متناً.

---

(١) في «الكبير»(١/ ١٥٦رقم(٣٦٧) .

ففي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، فلا يصح هذا الحديث وإن قال ابن كثير[١]:«إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ» .

فحسبك برجل كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ الله ﷺ[٢] مَعَ غَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ، رضي الله عنهم، وَلَمَّا فُتِحَتِ الشَّامُ وَلَّاهُ عُمَرُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ بَعْدَ أَخِيهِ يَزِيدَ ﷺ، وخال المؤمنين ،وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ**»وقال :«**اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ**» وكلاهما حديث حسن خرَّجته في كتابي المشار.

وقد ذكر المؤرِّخون لهذه الحقبة خُرُوجَ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنْ مُعَاوِيَةَ لَمَّا دَخَلَ الْكُوفَةَ وَخَرَجَ الْحَسَنُ وَأَهْلُهُ مِنْهَا قَاصِدِينَ إِلَى الْحِجَازِ، قَالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ: جَاءَ مَا لَا يَشُكُّ فِيهِ، فَسِيرُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَجَاهِدُوهُ. فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا مِنَ الْكُوفَةِ وَعَلَيْهِمْ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ خَيْلًا مِنَ أَهْلِ الشَّامِ، فَطَرَدُوا الشَّامِيِّينَ، والله أعلم بتفاصيل ما كان، فلم أقف على أسانيد بذلك.

ولكن هذا دأب الخوارج منذ زمن عثمان رضي الله عنه إلى يوم الناس هذا، وسيظلون حتى يخرج في عراضهم الدجال، ويأتي خروجهم أيضاً في سنة اثنتين وأربعين للهجرة.

لا يرضون عن أمير إلا خرجوا عليه،فكيف إذا لم يكونوا راضين عنه[٣]

---

(١) في«البداية والنهاية» (٨/ ١٨١).

(٢) كما في صحيح مسلم.

(٣)وكأنهم يقولون:«لا إمرة » كما تفرَّس فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقد أخرج ابن ماجة[1] بسندٍ حسنٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**».

وَمِنْ أَعْيَانِ مَنْ تُوُفِّيَ فِي هَذَا الْعَامِ:

منهم: رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ: شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا.

ومنهم: رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيُّ، وَهُوَ الَّذِي قيل إنه صَارَعَ النَّبِيَّ ﷺ فَصَرَعَهُ النبي ﷺ، وَكَانَ رُكَانَةُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، فكان صرعه له من المعجزات- ولكن إن صح سنده-

ومنهم: صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ الذي كان قد هَرَبَ يَوْمَ الْفَتْحِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ الَّذِي اسْتَأْمَنَ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ وَكَانَ صَاحِبُهُ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

ومنهم: عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى.

ومنهم: عَمْرُو بْنُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيُّ: كَانَ مِنَ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ

---

(١) برقم (١٧٤) من طريق الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ به. وإسناده حسن.

وقال الحافظ في ترجمة الأوزاعي: قال أبو زرعة الدمشقي: لا يصح للأوزاعي عن نافع شيء وكذا قال عباس عن ابن معين لم يسمع من نافع شيئاً.وبذلك أعله الشيخ مقبل بن هادي الوادعي يرحمه الله في كتابه «أحاديث معلَّة ظاهرها الصحة» (٢٥٧) ، وأما الألباني فأشار إلى العلَّة ولم يعتمِدها فمال إلى تثبيت السند في «الصحيحة» (٢٤٥٥) وقد صحح سنده البوصيري .

قلت «محمد»: ويؤيِّد التقوية أن البخاري روى للأوزاعي عن نافع برقم (٩٧٣) بل فيه:« أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ » وبرقم (١٠٣٢وبرقم ٣٤٤٩) متابعة .

ومنهم :عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى: وَهِيَ أُخْتُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَحَدُ الْعَشَرَةِ، أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ، وَكَانَتْ مِنْ حِسَانِ النِّسَاءِ وَعُبَّادِهِنَّ، تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَتَتَيَّمَ بِهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عَنْهَا فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ آلَتْ أَنْ لَا تَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ- وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا – فَتَزَوَّجَهَا، فلما قُتِلَ عَنْهَا خَلَفَ بَعْدَهُ عَلَيْهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام، فَقُتِلَ عَنْهَا بِوَادِي السِّبَاعِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ يَخْطُبُهَا فَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ. فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ، وَلَوْ تَزَوَّجَتْهُ لَقُتِلَ عَنْهَا أَيْضًا، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ بِلَا زَوْجٍ حَتَّى مَاتَتْ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهَا الله.(١)

ثُمَّ دَخَلَتْ سُنَّةُ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ

قال ابن كثير(٢): وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَتِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ كَانُوا قد عَفى عَنْهُمْ عَلِيٌّ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ، وَقَدْ عُوفِيَ جَرْحَاهُمْ وَثَابَتْ إِلَيْهِمْ قُوَاهُمْ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَقْتَلُ عَلِيٍّ تَرَحَّمُوا عَلَى قَاتِلِهِ ابْنِ مُلْجَمٍ...

وَجَعَلُوا يَحْمَدُونَ الله عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ، ثُمَّ عَزَمُوا عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ وَتَوَافَقُوا على الأمر بالمعروف والنَّهي عَنِ الْمُنْكَرِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

ثم دخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ

ذكر المؤرخون في هذه السنة وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَجُنْدِ الْكُوفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ صَمَّمُوا- كَمَا قَدَّمْنَا-عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الْحِينِ، فاجتمعوا في قريب من ثلاثمائة عليهم المستورد بن علقمة، فجهز الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ جُنْدًا عَلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قيس في ثلاثة آلاف، فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواع في طليعة هي ثلاثمائة

(١) حكاه الحافظ في «البداية والنهاية»(٨/ ١٨٥).

(٢) المصدر السابق.

على عدة الخوارج، فلقيهم أبو الرواع بمكان يقال له المذار:فاقتتلوا معهم فهزمهم الْخَوَارِجُ ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمَتْهُمُ الْخَوَارِجُ، وَلَكِنْ لَمْ يُقْتَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَلَزِمُوا مَكَانَهُمْ فِي مقاتلتهم يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ أَمِيرِ الْجَيْشِ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ عَلَيْهِمْ، فَمَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا فِي آخِرِ نهار غربت فيه الشَّمْسُ، فَنَزَلَ وَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ شَرَعَ فِي مدح أبي الرواع فَقَالَ لَهُ: أَيُّها الْأَمِيرُ إِنْ لَهُمْ شَدَّاتٍ منكرة، فكن أنت ردء النَّاسِ، وَمُرِ الْفُرْسَانَ فَلْيُقَاتِلُوا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ، فَمَا كَانَ إِلَّا رَيْثَمَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى حَمَلَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى مَعْقِلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَانْجَفَلَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، فَتَرَجَّلَ عِنْدَ ذَلِكَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ الْأَرْضَ الْأَرْضَ، فترجل مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالشُّجْعَانِ قَرِيبٌ مِنْ مائتي فارس، منهم أبو الرواع الشاكري، فحمل عليهم المستوردُ بنُ علقمةَ بِأَصْحَابِهِ فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ، وَلَحِقَ بَقِيَّةَ الْجَيْشِ بعض الفرسان فدمَّرهم وَعَيَّرَهُمْ وَأَنَّبَهُمْ عَلَى الْفِرَارِ فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار قِتَالًا شَدِيدًا، وَالنَّاسُ يَتَرَاجَعُونَ فِي أَثْنَاءِ اللَّيل، فَصَفَّهُمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَرَتَّبَهُمْ وَقَالَ: لَا تَبْرَحُوا عَلَى مَصَافِّكُمْ حَتَّى نُصْبِحَ فَنَحْمِلَ عَلَيْهِمْ، فَمَا أَصْبَحُوا حَتَّى هُزِمَتِ الْخَوَارِجُ فَرَجَعُوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا، فَسَارَ مَعْقِلٌ فِي طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواع فِي سِتِّمِائَةٍ فَالْتَقَوْا بِهِمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَثَارَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ فتبارَزُوا سَاعَةً، ثُمَّ حَمَلُوا حملة رجل واحد فصبر لهم أبو الرواع بمن معه، وجعل يدمرهم ويعيرهم ويؤنبهم على الْفِرَارِ وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ فَصَبَرُوا وَصَدَقُوا فِي الثَّبَاتِ حَتَّى رَدُّوا الْخَوَارِجَ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ، فَلَمَّا رَأَتِ الْخَوَارِجُ ذَلِكَ خَافُوا مِنْ هُجُومِ مَعْقِلٍ عليهم فما يكون دون قتلهم شيء، فَهَرَبُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حتَّى قَطَعُوا دِجْلَةَ .(١)

ولم أقف لذلك عَلَّة أسانيد ، فالله أعلم .

(١) المصدر السابق.

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

عمرو بن العاص، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما.

أما عمرو بن العاص رضي الله عنه فصاحب الفتوحات وقيادة الجيوش .

كَانَ رضي الله عنه مَعْدُودًا مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ وَشُجْعَانِهِمْ وَذَوِي آرَائِهِمْ.[1]

أخرج مسلم[2] عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ

---

(١) قال ابن وهب في«الجامع»(٤٠٠):سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَكَانَ مِنْ دُهَاةِ النَّاسِ .

وقال معمر في«الجامع»(٢٠٧٢٦ مصنف) عن الزُّهْرِيِّ، قَالَ:«ثَارَتِ الْفِتْنَةُ وَدُهَاةُ النَّاسِ خَمْسَةٌ، يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ: مُعَاوِيَةُ، وَعَمْرٌو، وَيُعَدُّ مِنَ الْأَنْصَارِ: قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَيُعَدُّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ، وَيُعَدُّ مِنْ ثَقِيفٍ: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ».

(٢) برقم (١٢١) .

أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

وفي رواية عنه بإسنادٍ حسن[1] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ الْوَفَاةُ بَكَى، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله: لِمَ تَبْكِي؟ أَجَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: «لَا، وَالله، وَلَكِنْ مَا بَعْدُ» ، فَقَالَ لَهُ: فَكُنْتَ عَلَى خَيْرٍ، فَجَعَلَ يُذَكِّرُهُ صُحْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَفُتُوحَهُ الشَّامَ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: «تَرَكْتُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، إِنِّي كُنْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْبَاقٍ لَيْسَ فِيهَا طَبَقَةٌ لَا عَرَفْتُ نَفْسِي فِيهَا، كُنْتُ أَوَّلَ شَيْءٍ كَافِرًا، وَكُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ الله، فَلَوْ مِتُّ حِينَئِذٍ لَوَجَبَتْ لِيَ النَّارُ، فَلَمَّا بَايَعْتُ رَسُولَ الله كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ مِنْهُ حَيَاءً، مَا مَلَأْتُ عَيْنَيَّ مِنْ رَسُولِ الله حَيَاءً مِنْهُ، فَلَوْ مِتُّ حِينَئِذٍ قَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لِعَمْرٍو، أَسْلَمَ وَكَانَ عَلَى خَيْرٍ، وَمَاتَ عَلَى خَيْرِ أَحْوَالِهِ فَرُجِيَ لِي الْجَنَّةُ، ثُمَّ تَلَبَّسْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْيَاءَ فَلَا أَدْرِي أَعَلَيَّ أَمْ لِي؟[2] فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَبْكِيَنَّ عَلَيَّ، وَلَا تُتْبِعُونِي نَارًا، وَشُدُّوا عَلَيَّ إِزَارِي، فَإِنِّي مُخَاصِمٌ، وَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، فَإِنَّ جَنْبِيَ الْأَيْمَنَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالتُّرَابِ مِنْ جَنْبِي الْأَيْسَرِ، وَلَا تَجْعَلَنَّ فِي قَبْرِي خَشَبَةً، وَلَا حَجَرًا، وَإِذَا وَارَيْتُمُونِي فَاقْعُدُوا عِنْدِي قَدْرَ نَحْرِ جَزُورٍ وَتَقْطِيعِهَا أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ».

---

(١) أخرجها ابن المبارك في«الزهد»(٤٤٠) ومن طريقه أحمد(١٧٧٨٠)

(٢) وفي رواية ابن عيد الحكم في«فتوح مصر»ص٢٧٠ بسندٍ صحيح قال:«... ثم أصبت إمارات، وكانت فتن، فأنا مشفق من هذا الطبق...الأثر.

وأخرج أحمد[١] بسندٍ صحيح عن أبي نَوْفَلِ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ، قَالَ: جَزِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِنْدَ الْمَوْتِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله ، مَا هَذَا الْجَزَعُ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ: إِنِّي وَالله مَا أَدْرِي أَحُبًّا كَانَ ذَلِكَ، أَمْ تَأَلُّفًا يَتَأَلَّفُنِي، وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا: ابْنُ سُمَيَّةَ، وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ، فَلَمَّا حَدَّثَهُ وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الْغِلَالِ مِنْ ذَقْنِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا، وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ، وَكَانَتْ تِلْكَ هِجِّيرَاهُ حَتَّى مَاتَ .

وأخرج ابن عبد الحكم وغيره[٢] بسند ثابت عن عبد الله بن عمرو أن أباه حين حضرته الوفاة قال: أي بني: إذا مت فكفنِّي في ثلاثة أثواب، ثم أزِّرني في إحداهن، ثم شُقُّوا لي الأرض شقاً، وشُنُّوا عليَّ التُّراب شنًّا، فإني مُخاصم، ثم قال: اللهمَّ إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور فتركنا كثيراً مما أمرتَ، ووقعنا في كثير مما نهيت عنه اللهم لا إله إلا أنت ثم أخذ بإبهامه فلم يزل يرددها حتى فاض.

وأخرج ابن عبد الحكم والحاكم[٣] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي فِرَاسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ عَمْرًا، لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ الله: «إِذَا أَنَا مُتُّ فَاغْسِلْنِي وَكَفِّنِّي وَشُدَّ عَلَيَّ إِزَارِي - أَوْ أَزْرِي - فَإِنِّي مُخَاصِمٌ، فَإِذَا أَنْتَ غَسَّلْتَنِي فَأَسْرِعْ بِي الْمَشْيَ، فَإِذَا أَنْتَ وَضَعْتَنِي فِي الْمُصَلَّى، وَذَلِكَ يَوْمَ عِيدٍ إِمَّا فِطْرٍ أَوْ أَضْحًى فَانْظُرْ فِي أَفْوَاهِ الطُّرُقِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَابْدَأْ فَصَلِّ عَلَيَّ، ثُمَّ صَلِّ الْعِيدَ، فَإِذَا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في«الزهد»(٤٣٩) وأحمد برقم (١٧٧٨١)

(٢) في«فتوح مصر»ص٢٧٢وابن عساكرفي«تاريخه»(٤٦/ ١٩٦) يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ت به .

(٣) «فتوح مصر»ص ٢٧٣ و«مستدرك الحاكم» (٣/ ٥١٢) .

وَضَعْتَنِي فِي لَحْدِي فَأَهِيلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ، فَإِنَّ شِقِّيَ الْأَيْمَنَ لَيْسَ أَحَقَّ بِالتُّرَابِ مِنْ شِقِّي الْأَيَسرِ، فَإِذَا سَوَّيْتُمْ عَلَيَّ التُّرَابَ، فَاجْلِسُوا عِنْدَ قَبْرِي نَحْوَ نَحْرِ جَزُورٍ وَتَقْطِيعِهَا أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ».

وفي هذه السَّنة أيضاً توفي محمد بن مسلمة رضي الله عنه

أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَبْلَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ فِيمَنْ قَتَلَ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّ.

وكان من سادات الصحابة، وَلَهُ وَقَائِعُ عَظِيمَةٌ وَصِيَانَةٌ وَأَمَانَةٌ بَلِيغَةٌ، رضي الله عنه وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ، وَتَرَكَ بَعْدَهُ عَشَرَةَ ذُكُورٍ وَسِتَّ بَنَاتٍ.[1]

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه أَبُو يُوسُفَ الْإِسْرَائِيلِيُّ أحد أحبار اليهود، أسلم حِينَ قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدينة، قال: لما قدم رسول الله الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاس إِلَيْهِ فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ إِلَيْهِ، فلمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ ليس بوجه رجل كذَّاب، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « **أَيُّها النَّاس أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعام، وصَلُّوا الْأَرْحَامَ تَدْخُلُوا الجنَّة بِسَلَامٍ** ».[2]

وهو الذي ظهر بُهت اليهود فيه لما أسلم، وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ له رسول الله بالجنة، وهو ممن يقطع له بدخولها .

ثم دخلت سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ

قال المؤرِّخون: فِيهَا غَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ وَمَعَهُ

---

(١) انظر «البدية والنهاية»(٨/ ١٨٩) .

(٢) وهو حديث صحيح أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد بسندٍ صحيح.

المسلمون وشتوا هنالك..

وَفِيهَا اسْتَلْحَقَ مُعَاوِيَةُ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي هَذِهِ السنة استلحق معاوية زياد بن أَبِيهِ فَأَلْحَقَهُ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا شَهِدَ عَلَى إِقْرَارِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ عَاهَرَ بِسُمَيَّةَ أُمِّ زِيَادٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَّهَا حَمَلَتْ بزياد هذا منه، فَلَمَّا اسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ قِيلَ لَهُ زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يُنْكِرُ هَذَا الِاسْتِلْحَاقَ وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ**».

ولم أقف على ذلك مسنداً الآن ولكن

أخرج مسلم [1] عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: لَمَّا ادُّعِيَ زِيَادٌ لَقِيتُ أَبَا بَكْرَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ؟ إِنِّي سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: سَمِعَ أُذُنَايَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺوَهُوَ يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَى أَبًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ أَبِيهِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**».

وممن توفي في هذه السنة :

أُمُّ حَبِيبَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ معاوية لسنة وَكَانَتْ وَفَاةُ مُعَاوِيَةَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتِّينَ.

وَاسْمُهَا رَمْلَةُ أُخْتُ مُعَاوِيَةَ، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا وَهَاجَرَتْ هِيَ وزوجها عبد الله بْنُ جَحْشٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَتَنَصَّرَ هناك زوجها، ثبتت عَلَى دِينِهَا رضي الله عنها.

وتنصُّر زوجها تولتر نقل المؤرخين له ، المهم أنها ثبتت على دينها رضي الله عنها، وكَانَتْ مِنْ سَيِّدَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنهن والله أعلم

---

(١) برقم (٦٣).

ثم دخلت سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ

ذكر المؤرخون أنه قد فتحت في هذه السنة عدة فتوحات ذكروها ، فالله علم .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ أَحَدُ كُتَّابِ الْوَحْيِ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ هَذَا الْمُصْحَفَ الْإِمَامَ الَّذِي بِالشَّامِ، عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ(١).

قال ابن كثير(٢): وَهُوَ خَطٌّ جَيِّدٌ قَوِّيٌّ جِدًّا فِيمَا رَأَيْتُهُ.

وَقَدْ كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ ذَكَاءً، تَعَلَّمَ لِسَانَ يَهُودَ وَكِتَابَهُمْ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَرَاءِ: تَعَلَّمَ الْفَارِسِيَّةَ مِنْ رَسُولِ كِسْرَى فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَتَعَلَّمَ الْحَبَشِيَّةَ وَالرُّومِيَّةَ وَالْقِبْطِيَّةَ مِنْ خُدَّامِ رَسُولِ الله ﷺ.

والذي وقفت عليه من ذلك ما رواه الترمذيُّ(٣) وغيره زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: إِنِّي وَالله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ.

وفي رواية عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : «**تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ** » قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «**فَتَعَلَّمْهَا** » فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.(٤)

قال الحافظ ابن حجر:«وَقِصَّةُ ثَابِتٍ يُمْكِنُ أَنْ تَتَّحِدَ مَعَ قِصَّةِ خَارِجَةَ بِأَنَّ مِنْ

---

(١) والذي في صحيح البخاري(٤٦٧٩) قول أَبي بَكْرٍ الصديق ت: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، «كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهﷺ »، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ....

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ١٩٢).

(٣) برقم (٢٧١٥).

(٤) أخرجها أحمد (٢١٥٨٧) وقد خرَّجتها فيتحقيقي لكتاب «المصاحف»(٢ ، ٣).

لَازِمِ تَعَلُّم كِتَابَةِ الْيَهُودِيَّةِ تَعَلُّمَ لِسَانِهِمْ وَلِسَانُهُمُ السُّرْيَانِيَّةُ لَكِنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّ لِسَانَهُمُ الْعِبْرَانِيَّةُ فَيَحْتَمِلُ أَنَّ زَيْدًا تَعَلَّمَ اللِّسَانَيْنِ لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى ذَلِك»[١].

قلت«محمد» : نِعم الهمَّة في التعلم، فاجعلوه مثالاً رائعا يا طلاب العلم،وُفِّقتُم.

وقد كان حبر الأمة وترجمان القرآن يجلّه ويحترمه ويبجله، وحسبك بهذا.

فقد كان من الراسخين في العلم:

فقد أخرج ابن سعد بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : أَنَّهُ أَخَذَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بِالرِّكَابِ فَقَالَ: تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الله فَقَالَ:«هَكَذَا نَفْعَلُ بِعُلَمَائِنَا وَكُبَرَائِنَا».[٢]

وأخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ جيد عن عَمَّارٍ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، قَالَ: جَلَسْنَا فِي ظِلِّ الْقَصْرِ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي جِنَازَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالَ: «لَقَدْ دُفِنَ الْيَوْمَ عِلْمٌ كَثِيرٌ».

وأخرج ابن سعد[٤]بسندٍ صحيح عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: لَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَدُفِنَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ.

وأخرج ابن أبي عاصم [٥]بسندٍ صحيح إلى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ زَيْدُ ابْنُ ثَابِتٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:«الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَعَلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ خَلَفًا».

---

(١) في«فتح الباري»(١٣/ ١٨٧).

(٢) في«الطبقات الكبرى»(٢/ ٢٦٠) وله طريق آخر، وفيه زيادة تطرَّقت إليها في كتابي«طالب العلم حقوقه وآدابه» .

(٣) في«المصنف» (٣/ ٤٥) والبيهقي(٦/ ٢١١).

(٤) في«طبقاته»(٢/ ٣٦١)

(٥) في«المثاني»(٣٩٣) والبيهقي في«المدخل»(٩٤).

وأخرج ابن سعد[١] بسند صحيح إلى أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

وكان ذا فُكَاهة في بيته رضي الله عنه.

أخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: «كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ إِذَا خَلَا مَعَ أَهْلِهِ، وَأَرْصَنِهِمْ إِذَا جَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ».

مات في هذه السنة- على الصحيح- وَقَدْ قَارَبَ السِّتِّينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

وفي هذه السنة ماتَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ رضي الله عنه عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، وَلَا عَقِبَ لَهُ، وَفيها مات عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ رضي الله عنه أيضاً.

وفيها وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ الله ﷺ تَحْتَ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا بَعْدَ بَدْرٍ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عُدَّتُهَا عَرَضَهَا أَبُوهَا عَلَى عُثْمَانَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجَتِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَبَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَعَرَضَهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَمَا كَانَ عَنْ قَرِيبٍ حَتَّى خَطَبَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَتَزَوَّجَهَا، فَعَاتَبَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَمَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَتَزَوَّجْتُهَا كما بينته في غير هذا الموطن.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٣] وغيره بإسنادٍ صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: «طلق

---

(١) في «طبقاته» (٢/ ٢٦٠).

(٢) في «المصنف» (٥/ ٢١١).

(٣) في «تفسيره» كما قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٤٢) من طريق أَسْبَاط بْن مُحَمَّدٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ به.

رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} فقيل له: راجعها فإنها صَوَّامة قوَّامة، وهي من أزواجك في الجنة».

تُوفِّيَت عن سِتين سَنة فيما حكاه ابن كثير رحمه الله.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ

فِيهَا شَتَّى الْمُسْلِمُونَ بِبِلَادِ الرُّومِ مَعَ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَقِيلَ: كَانَ أَمِيرُهُمْ غَيْرَهُ. وَالله أَعْلَمُ.(١)

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ :سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، أَحَدُ الْبَكَّائِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي الْقُرْآنِ، شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا

فهو من الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺوَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى تَبُوكَ فَقَالُوا: احْمِلْنَا. وَكَانُوا فُقَرَاءَ. فَقَالَ: لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ. ف تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٦) عن عبد الأعلى، وابن سعد (٨/ ٨٤) عن سعيد بن عامر كلاهما(عبد الأعلى وسعيد)عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً .

وقد ذكر الدارقطني في «العلل» (١٢/ ١٤٨)عن سعيد بن أبي عروبة- الذي اختلف عليه- وقال:«عن قتادة مرسلاً وهو الصحيح» .

ولكن له طرق وشواهد يتقوى بها، ذكرها الألباني في «الصحيحة»(٢٠٠٧) فليراجعها من شاء، وهي لا تعارض صحيح الأحاديث، وإن كان في طرقِها كلها مقال، لكنها يشدّ بعضها بعضاً، إن شاء الله .

(١) فيما حكاه خليفة بن خياط في«تاريخه» ص١٢٧ عن ابن الكلبي، لكن أرَّخ أن ذلك سَنة أربع وأربعين.

الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ. وَكَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ [١]

وفيها مات سُرَاقَةُ بْنُ كَعْبٍ، شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا.

وكذلك مات عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَعْرُوفِينَ وَالْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ كَأَبِيهِ.

وقد كان أميراً على غزو القسطنطينية.

فقد أخرج أبو داود [٢] بسندٍ صحيح عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: « إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ الله نَبِيَّهُ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا » ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ أُثَالٍ - وَكَانَ رَئِيسَ الذِّمَّةِ بِأَرْضِ حِمْصَ - سَقَاهُ شَرْبَةً فِيهَا سُمٌّ فَمَاتَ.

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ لَهُ فِي ذلك ولا يصح،[٣] وغير لائق به رضي الله عنه أن يفعله، ولا دافع لذلك أصلاً.

---

(١) كما قال ابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٣٦٦) .

(٢) برقم (٢٥١٢).

(٣) كما قال ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٨/ ١٩٤).

ثم دخلت سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ

ذكر المؤرِّخون أن فِيهَا شَتَّى الْمُسْلِمُونَ بِبِلَادِ الرُّومِ، وَفِيهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ الله ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ دِيَارِ مِصْرَ وَوَلَّى عليها معاوية بن خديج، فالله أعلم.

وفيها توفي قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيُّ رضي الله عنه قيل كَانَ مِنْ سَادَاتِ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَكَانَ مِمَّنْ حرَّم الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ والإسلام، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَكِرَ يَوْمًا فَعَبِثَ بِذَاتِ مَحْرَمٍ مِنْهُ فَهَرَبَتْ مِنْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ فِي ذلك فقال في ذلك:

رأيت الخمر منقصةً وَفِيهَا ..... مَقَابِحُ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الْكَرِيمَا

فَلَا وَالله أَشْرَبُهَا حَيَاتِي ..... وَلَا أَشْفِي بِهَا أَبَدًا سَقِيمًا.

وَكَانَ إِسْلَامُهُ مَعَ وَفْدِ بَنَى تَمِيمٍ، وَفِي بعض الأحاديث أن رسول الله قَالَ: «**هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ** » وَكَانَ جَوَادًا مُمَدَّحًا كَرِيمًا .(١)

وهو الذي لما أَسْلَمَ، أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ.(٢)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ

ذكر بعض المؤرخين أن فِيهَا غَزَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بِأَهْلِ مِصْرَ الْبَحْرَ.
وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِين

فِيهَا غَزَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ ؛ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَبُو أَيُّوبَ

(١) وإن كان في إسناد هذا نظر، إلا أن بعض أهل العلم حسنه لغيره.

(٢) كما في مسند أحمد (٢٠٦١١) وغيره بسندٍ صحيح .

الْأَنْصَارِيُّ.وقد عدَّ هذا الغزو في مناقب يزيد بن معاوية.

فقد أخرج الْبُخَارِيُّ عن أُمِّ حَرَامٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا**»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «**أَنْتِ فِيهِمْ**»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ**»، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**لاَ**».(١)

فَكَانَ هَذَا الْجَيْشُ أَوَّلَ مَنْ غَزَاهَا، وَمَا وَصَلُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَلَغُوا الْجَهْدَ.

وفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه ذاك الذي أنزل النبي ﷺ عنده لما هاجر إلى المدينة.

وقد أرخ ابن كثير ذكر بعض مناقبه في ذكر وفاته في هذه السنة، وفي سنة اثنتين وخمسين.(٢) بينما أرخ خلفة بن خياط(٣) وفاته سنة خمسين، وقال الحافظ ابن حجر في«التقريب» عن وفاته:«خمسين وقيل بعدها»، وحكى ابن كثير عن الواقدي قال: مَاتَ أَبُو أَيُّوبَ بِأَرْضِ الرُّومِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ: تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ،فالله أعلم .

وَقيل: دُفِنَ عِنْدَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَقَبْرُهُ هُنَالِكَ يَسْتَسْقِي بِهِ الرُّومُ إِذَا قَحَطُوا، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَدْفُونٌ فِي حَائِطِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَلَى قَبْرِهِ مَزَارٌ وَمَسْجِدٌ وَهُمْ يُعَظِّمُونَهُ.(٤)

ولقد شرفه الله بأن نزل رسول الله ﷺ في بيته.

---

(١) أخرجه البخاري(٢٩٢٤).

(٢) «البداية والنهاية»(٨/ ٢٢٥).

(٣) في«تاريخه»ص١٢٩

(٤) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٢٧)، وليس بمستبعد على الروم فعله.

فأخرج مسلم[١] عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لم، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السُّفْلُ أَرْفَقُ**»، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ**»، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ - أَوْ مَا كَرِهْتَ -، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتَى.

وتمام مواقف أبي أيوب رضي الله عنه بشأن إنزال النبي ﷺ عنده في كتابي «صحيح السيرة النبوية».

وصيته رضي الله عنه ودفنه

أخرج ابن سعد[٢] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدٍ بن سيرين قَالَ: شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ بَدْرًا ثُمَّ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزَاةٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِلا هُوَ فِي أُخْرَى إِلا عَامًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْجَيْشِ رَجُلٌ شَابٌّ فَقَعَدَ ذَلِكَ الْعَامَ. فَجَعَلَ بَعْدَ ذَاكَ الْعَامِ يَتَلَهَّفُ وَيَقُولُ: مَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ. وَمَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ.وَمَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ. قَالَ فَمَرِضَ وَعَلَى الْجَيْشِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَأَتَاهُ يَعُودُهُ فَقَالَ:حَاجَتُكَ. قَالَ: نَعَمْ حَاجَتِي إِذَا أَنَا مُتُّ فَارْكَبْ بِي ثُمَّ سُغْ بِي فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغًا.فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَادْفِنِّي ثُمَّ ارْجِعْ.فَلَمَّا مَاتَ رَكِبَ بِهِ ثُمَّ سَارَ بِهِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَمَا وَجَدَ مَسَاغًا ثُمَّ

(١) برقم (٢٠٥٣).

(٢) في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٦٩).

دَفَنَهُ ثُمَّ رَجَعَ.

وله طريق آخر أخرجه أحمد[١] عَنْ أَبِي ظِبْيَانَ، قَالَ: غَزَا أَبُو أَيُّوبَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَدْخِلُونِي أَرْضَ الْعَدُوِّ فَادْفِنُونِي تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ حَيْثُ تَلْقَوْنَ الْعَدُوَّ.

ومن فقهه العالي رضي الله عنه:

أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ**».[٢]

وممَنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ الْحَسَنُ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

سِبْطُ رَسُولِ الله ﷺ ابْنُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَرَيْحَانَتِهِ، وَأَشْبَهِ خَلْقِ الله بِهِ فِي وَجْهِهِ، وُلِدَ لِلنِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَحَنَّكَهُ رَسُولُ الله بِرِيقِهِ وَسَمَّاهُ حَسَنًا، وعَقَّ عنه، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ أَبَوَيْهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا.

وقد أخرج أحمد عن بُرَيْدَةَ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْطُبُنَا، فَجَاءَ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**صَدَقَ الله وَرَسُولُهُ: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن: ١٥] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا**».[٣]

---

(١) برقم (٢٣٥٩٤).

(٢) أخرجه مسلم(٢٧٤٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٩٥) بإسناد جيد على شرط مسلم.

وفي صحيح البخاري[١] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لاَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ » وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ.

وفي صحيح مسلم[٢] عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشْبِهُهُ».

وفي صحيح البخاري[٣] عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا، فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا**».

وأخرج أحمد[٤] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ».والمناقب جمة تُجمع في مصنف مستقل.

وقيل كان كريماً كثير العَطَايا حَسنَ العِشرة رضي الله عنه

فأخرج سعيد بن منصور[٥] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهَا بِعَشَرَةِ آلَافٍ مُتْعَةً لَهَا، فَقَالَتْ:«مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ» فَبَلَغَهُ قَوْلُهَا فَرَاجَعَهَا.

وَقد قيل عنه:كَانَ كَثِيرَ التَّزَوُّجِ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ أَرْبَعُ حَرَائِرَ، وَكَانَ مِطْلَاقًا

وقد قال عبد الله بن أحمد في«العلل»(٤٩٧):« قال أبي: ما أنكر حديث حسين بن واقد، وأبي المنيب، عن ابن بريدة ».

(١) برقم (٣٥٤٢)

(٢) برقم (٢٣٤٣).وهو في صحيح البخاري(٣٥٤٣) أيضاً من نفس الطريق.

(٣) برقم (٣٧٣٥).

(٤) برقم (١٠٩٩٩).

(٥) برقم(١٧٦٣).

مِصْدَاقًا، يقال إنه أحصن سبعين امْرَأَةً، وَذَكَرُوا أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ فِي يَوْمٍ، واحدة من بنى أسد وأخرى من بنى فزارة...

وأن والده علياً رضي الله عنه كان يَقُولُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ: لَا تُزَوِّجُوهُ فَإِنَّهُ مِطْلَاقٌ، فَيَقُولُونَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ خَطَبَ إِلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ لَزَوَّجْنَاهُ مِنَّا مَنْ شَاءَ ابْتِغَاءً فِي صِهْرِ رَسُولِ ﷺ.

فلم أقف على سند ثابت بهذا على شهرته.

وقد رأى رؤيا قبل وفاته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد وابن عساكر[1] بسند صحيح عن عِمْرَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ:

رَأَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ،«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ:إِنْ كَانَ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا فَقَلَّ مَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِهِ.

قَالَ: فَلَمْ يَلْبَثِ الحسن بن علي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حتَّى مَاتَ.

مقتل الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما بالسُّم

أخرج ابن أبي شيبة[2] وغيره بسندٍ قوي عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا

---

(١) أخرجه ابن سعد في«الجزء المتمم»(١/ ٣٣٤) وابن عساكر في«تاريخ ابن عساكر»(١٣/ ٢٨١).

(٢) في«المصنف»(٧/ ٤٧٦) وابن أبي الدنيا في«المحتضرين»(١٣٢) أبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٣٨) وغيرهما كثير.

وعمير بن إسحاق حسن الحديث على أقل الأحوال، فقد وثقه ابن معين - في رواية-، وقال النسائي وغيره:«لا بأس به» وقد روى عنه ابن عون وحسبك به.

وَرَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ نَعُودُهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «سَلْنِي قَبْلَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي» ، قَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئًا ، يُعَافِيكَ الله ، قَالَ: فَقَامَ فَدَخَلَ الْكَنِيفَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ:«مَا خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ حَتَّى لَفَظْتُ طَائِفَةً مِنْ كَبِدِي أُقَلِّبُهَا بِهَذَا الْعُودِ ، وَلَقَدْ سُقِيتُ السُّمَّ مِرَارًا مَا شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ»، قَالَ: فَغَدَوْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ فَإِذَا هُوَ فِي السُّوقِ ، قَالَ: وَجَاءَ الْحُسَيْنُ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: يَا أَخِي ، مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «تُرِيدُ قَتْلَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:«لَئِنْ كَانَ الَّذِي أَظُنُّ، لله أَشَدُّ نِقْمَةً، وَإِنْ كَانَ بَرِيئًا فَمَا أُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ بَرِيءٌ ».

وقد أخرج ابن أبي شيبة[1]عَنْ بِشْرِ بْنِ غَالِبٍ، قَالَ: لَقِيَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ، الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بِمَكَّةَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، «بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ الْعِرَاقَ؟» قَالَ: أَجَلْ ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُمْ قَتَلَةُ أَبِيكَ، الطَّاعِنُونَ فِي بَطْنِ أَخِيكَ، وَإِنْ أَتَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ».

وصيته رضي الله عنه بمكان دفنه

أخرج البلاذري[2]عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ- حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ-:ادْفِنُونِي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ الله ﷺ إِلا أَنْ تَخَافُوا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ شَرٌّ، فَإِنْ خِفْتُمُ الشَّرَّ فَادْفِنُونِي عِنْدَ أمي.

وتوفي الحسن فَلَمَّا أَرَادُوا دَفْنَهُ أَبَى ذَلِكَ مَرْوَانُ، وَقَالَ: لا يدفن مع النبي! أيدفن

وقد قال عبد الله: حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، قال: سئل مالك بن أنس، عن عمير بن إسحاق، فقال: لا أعرفه، وقد حدث عنه رجل وحسبكم به، يعني ابن عون. «العلل» (٤٤٤٢ و٤٤٤٣).

(١) في«المصنف» (٧/ ٤٧٧) وتخريجه وبيان ما فيه من إشكال في كتابي«التوضيحات الجلية».

(٢) في «أنساب الأشراف»(٣٠/ ٦٠) .

عثمان في حُشِ كَوكَب ويُدفَن الحَسن هَاهُنا؟!

فاجتمع بنو هاشم وَبَنُو أُمَيَّةَ، فَأَعَانَ هَؤُلاءِ قَوْمٌ وَهَؤُلاءِ قَوْمٌ، فجاؤا بالسلاح فقال أبو هريرة رضي الله عنه لمروان:

يَا مَرْوَانُ أَتَمْنَعُ الْحَسَنَ أَنْ يُدْفَنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟[1] وَقَدْ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لَهُ وَلأَخِيهِ حُسَيْنٍ: هُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ مَرْوَانُ: دَعْنَا عَنْكَ، لَقَدْ ضَاعَ حَدِيثُ رَسُولِ الله ﷺ لَوْ كَانَ لا يَحْفَظُهُ غَيْرُكَ وَغَيْرُ أَبِي سَعِيدٍ الخدري وإنما أَسْلَمْتَ أَيَّامَ خَيْبَرَ!

قَالَ: صَدَقْتَ أَسْلَمْتُ أَيَّامَ خيبر، ولكني لَزِمْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَلِمَ أكن أفارقه وكنت أسأله وعنيت بِذَلِكَ حَتَّى عَلِمْتُ وَعَرَفْتُ مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ أَبْغَضَ، وَمَنْ قَرَّبَ وَمَنْ أَبْعَدَ، وَمَنْ أَقَرَّ وَمَنْ نَفَى، وَمَنْ دَعَا لَهُ وَمَنْ لَعَنَهُ![2]

فَلَمَّا رَأَتْ عَائِشَةُ السِّلاحَ وَالرِّجَالَ، وَخَافَتْ أَنْ يَعْظُمَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَتُسْفَكَ الدِّمَاءُ قَالَتْ: الْبَيْتُ بَيْتِي وَلا آذَنُ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ أَحَدٌ.

فقال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ لأَخِيهِ: يَا أَخِي إِنَّهُ لَوْ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ لَدَفَنَّاهُ أَوْ نَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ! وَلَكِنَّهُ قَدِ اسْتَثْنَى فَقَالَ: إِلا أَنْ تَخَافُوا الشَّرَّ فَأَيُّ شَرٍّ أَشَدُّ مِمَّا تَرَى؟! فَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ إِلَى جَنْبِ أُمِّهِ.

الوارد في تعيين من وضع السُّمَّ للحسن رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عَنْ أُمِّ مُوسَى أَنْ جَعْدَةَ بِنْتَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ سَقَتِ الْحَسَنَ

---

(١) فيا لله العجب ، كم يقهر سفهاء الأمة حلماءها !

(٢) ثبت أن رسول الله ع لعن الحكم – والد مروان– وما ولد عن غير واحد من الصحابة كما بينته في غير هذا الموطن.

السُّمَّ فَاشْتَكَى مِنْهُ شَكَاةً، قَالَ فكان يوضع تحت طشت وَيُرْفَعُ آخَرُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. (١)

قال ابن كثير (٢):«وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى جَعْدَةَ بِنْتِ الْأَشْعَثِ أَنْ سُمِّي الْحَسَنَ وَأَنَا أَتَزَوَّجُكِ بَعْدَهُ، فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّا وَاللهِ لَمْ نَرْضَكِ لِلْحَسَنِ أَفَنَرْضَاكِ لِأَنْفُسِنَا؟ وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَعَدَمُ صِحَّتِهِ عَنْ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ بِطَرِيقِ الْأُولَى والأحرى».

مَاتَ رضي الله عنه سَنَةَ خَمْسِينَ، وتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ وَهُوَ أَصَحُّ. (٣)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ

في هذه السنة توفي عدد كثير من أصحاب النبي ﷺ،وفيها غزو الروم.

وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ- فِي كِتَابِهِ الْمُنْتَظِمِ - أَنَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ، وَدِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ، وَعَقِيلُ بن أُبي طالب، وعمرو بن أمية الضمري بدري، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ- ولزواجها من النبي ﷺ قصة ذكرتها في صحيح السيرة-، وَأُمُّ شَرِيكٍ الْأَنْصَارِيَّةُ، رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.

وتوفي فيها عبد الرحمن بن سمرة، وعثمان بن أبي العاص الثقفي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وكعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنهم .

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الجزء المتمم للطبقات الكبرى»(١/ ٣٣٨) وفي سنده أم موسى هذه سرية علي بن أبي طالب مجهولة الحال كما يدل على ذلك كلام الدارقطني وابن حجر رحمهما الله .

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٠٩).

(٣) كما هو محكي عن محمد بن الحنفية، انظر«البداية والنهاية»(٨/ ٢١١).

وأرَّخ خليفة بن خليفة[١] أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه توفي في هذه السنة، وكان والياً على الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، واختلفوا فيمن استخلفه: ابنه عروة، أم جرير بن عبد الله البجلي، والصواب الثاني، لأنه هو الذي نعاه يوم مات.

فقد أخرج البخاري[٢] عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الله البجلي، يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ. ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ.

وفي هذه السنة دعا معاوية بن أبي سفيان أهل الشام إلى بيعة ابنه يزيد بن معاوية، فأجابوه وبايعوا يزيد.[٣]

ثم دخلت سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ

فِيهَا كَانَ مَقْتَلُ حُجْرِ بن عدي بن جبل بن الْكُوفِيُّ، وَيُقَالُ لَهُ حُجْرُ الْخَيْرِ، وَيُقَالُ لَهُ حُجْرُ بْنُ الْأَدْبَرِ، لِأَنَّ أَبَاهُ عدياً طعن مولياً فسمي الأدبر، وَهُوَ مِنْ كِنْدَةَ مِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، كان من أهل الزهد والعبادة.

هو مختلف في صحبته وأكثر المحدثين على أن لا صحبة له، وهو الصحيح.

والظاهر أن معاوية رضي الله عنه قتله لتأليبه أو طعنه على الحاكم، وإن كان حجر بن عدي من أهل العبادة والورع والزهد، وهذا مما يدل عليه سياق الأحداث، والله

---

(١) في «تاريخه» ص١٢٨.

(٢) برقم (٥٨).

(٣) ذكره خليفة بن خياط في «تاريخه» ص ١٢٩.

أعلم .

فقد قال ابن سعد [١]: لَمَّا قَدِمَ زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَالِيًا عَلَى الْكُوفَةِ دَعَا بِحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ فَقَالَ: تَعْلَمُ أَنِّي أَعْرِفُكَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكَ عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ يَعْنِي مِنْ حُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ غَيْرُ ذَلِكَ وَإِنِّي أَنْشُدُكَ الله أَنْ تَقْطُرَ لِي مِنْ دَمِكَ قَطْرَةً فَأَسْتَفْرِغَهُ كُلَّهُ ، امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ مَنْزِلُكَ ، وَهَذَا سَرِيرِي فَهُوَ مَجْلِسُكَ وَحَوَائِجُكَ مَقْضَيَّةٌ لَدَيَّ ، فَاكْفِنِي نَفْسَكَ؛ فَإِنِّي أَعْرِفُ عَجَلَتَكَ، فَأَنْشُدُكَ الله يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي نَفْسِكَ وَإِيَّاكَ وَهَذِهِ السَّفَلَةَ وَهَؤُلَاءِ السُّفَهَاءَ أَنْ يَسْتَزِلُّوكَ عَنْ رَأْيِكَ فَإِنَّكَ لَوْ هُنْتَ عَلَيَّ أَوِ اسْتَخْفَفْتَ بِحَقِّكَ لَمْ أَخُصَّكَ بِهَذَا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ حُجْرٌ: قَدْ فَهِمْتُ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَتَاهُ إِخْوَانُهُ مِنَ الشِّيعَةِ فَقَالُوا: مَا قَالَ لَكَ الْأَمِيرُ؟ قَالَ: قَالَ لِي: كَذَا وَكَذَا ، قَالُوا: مَا نَصَحَ لَكَ فَأَقَامَ وَفِيهِ بَعْضُ الِاعْتِرَاضِ ، وَكَانَتِ الشِّيعَةُ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ شَيْخُنَا وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِنْكَارِ هَذَا الْأَمْرِ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ مَشَوْا مَعَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةُ زِيَادٍ عَلَى الْكُوفَةِ، وَزِيَادٌ بِالْبَصْرَةِ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ وَقَدْ أَعْطَيْتَ الْأَمِيرَ مِنْ نَفْسِكَ مَا قَدْ عَلِمْتَ؟ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: تُنْكِرُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَيْكَ وَرَاءَكَ أَوْسَعُ لَكَ فَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ بِذَلِكَ إِلَى زِيَادٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ بِالْكُوفَةِ فَالْعَجَلَ ، فَأَغَذَّ زِيَادٌ السَّيْرَ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ فَأَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله الْبَجَلِيِّ وَخَالِدِ بْنِ عُرْفُطَةَ الْعُذْرِيِّ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ وَإِلَى عِدَّةٍ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ لِيُعْذِرَ إِلَيْهِ وَيَنْهَاهُ عَنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ وَأَنْ يَكُفَّ لِسَانَهُ عَمَّا يَتَكَلَّمُ بِهِ فَأَتَوْهُ فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى شَيْءٍ وَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا غُلَامُ اعْلِفِ الْبَكْرَ قَالَ: وَبَكْرٌ فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: أَمَجْنُونٌ أَنْتَ أُكَلِّمُكَ بِمَا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأَنْتَ تَقُولُ: يَا غُلَامُ اعْلِفِ الْبَكْرَ؟

---

(١) فى «طبقاته» (٦/ ٢١٨) .

فَقَالَ عَدِيٌّ لِأَصْحَابِهِ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا الْبَائِسَ بَلَغَ فِيهِ الضَّعْفُ كُلَّ مَا أَرَى فَنَهَضَ الْقَوْمُ عَنْهُ وَأَتَوْا زِيَادًا فَأَخْبَرُوهُ بِبَعْضٍ وَخَزَنُوا بَعْضًا وَحَسَّنُوا أَمْرَهُ وَسَأَلُوا زِيَادًا الرِّفْقَ بِهِ فَقَالَ: لَسْتُ إِذًا لِأَبِي سُفْيَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الشُّرَطَ وَالْبُخَارِيَّةَ فَقَاتَلَهُمْ بِمَنْ مَعَهُ ثُمَّ انْفَضُّوا عَنْهُ وَأُتِيَ بِهِ زِيَادٌ وَبِأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ. فَقَالَ: إِنِّي عَلَى بَيْعَتِي لِمُعَاوِيَةَ لَا أُقِيلُهَا وَلَا أَسْتَقِيلُهَا ، فَجَمَعَ زِيَادٌ سَبْعِينَ مِنْ وجُوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: اكْتُبُوا شَهَادَتَكُمْ عَلَى حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ فَفَعَلُوا ثُمَّ وَفَدَهُمْ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَبَعَثَ بِحُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ إِلَيْهِ ، وَبَلَغَ عَائِشَةَ الْخَبَرُ فَبَعَثَتْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ تَسْأَلُهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِدَادَهَا جِدَادَهَا لَا تُعِنْ بَعْدَ الْعَامِ أَبْرًا، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا أُحِبُّ أَنْ أَرَاهُمُ وَلَكِنِ اعْرِضُوا عَلَيَّ كِتَابَ زِيَادٍ فَقُرِئَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَجَاءَ الشُّهُودُ فَشَهِدُوا ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ: أَخْرِجُوهُمْ إِلَى عُذْرَى فَاقْتُلُوهُمْ هُنَالِكَ.... وَقَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِرِسَالَةِ عَائِشَةَ وَقَدْ قُتِلُوا ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَ عَزَبَ عَنْكَ حِلْمُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَ: غَيْبَةُ مِثْلِكَ عَنِّي مِنْ قَوْمِي.(١)

وقد ذكر الذهبي(٢) لأن حجر بن عدي عَسْكَرَ فِي ثَلاَثَةِ آلاَفٍ بِالسِّلاَحِ، وَخَرَجَ عَنِ الكُوْفَةِ، ثُمَّ بَدَا لَهُ وَقَعَدَ، فَخَافَ زِيَادٌ مِنْ ثَوْرَتِهِ ثَانِياً، فَبَعَثَ بِهِ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ.

---

(١) وقد روى نحو هذه القصة البلاذري في«أنساب الأشراف»(٥/ ٢٤٢) بإسناده.

وقال في(٥/ ٢٤٥) عند ذكر حجر بن عدي:« وكان حجر وطائفة من أصحابه يجتمعون فِي المسجد بعد شخوص زياد، ويجتمع الناس إليهم، فيذمُّون مُعَاوِيَة ويشتمونه، ويذكرون زيادًا فيتنقصونه ويجدبونه حتى تعلو أصواتهم بذلك ».

(٢) في «السير»(٣/ ٤٦٣).

استشارة معاوية لأهل العلم والفضل

في قتل حجر بن عدي وأصحابه

أخرج صالح فى مسائل أبيه[١] عن أبيه، ومن طريقه ابن عساكر[٢] بسندٍ لا بأس به عن أبي المغيرة، قال: حدثنا شرحبيل بن مسلم، قال: «لما بُعث بحجر بن عدي بن الأدبر وأصحابه من العراق إلى معاوية بن أبي سفيان استشار الناس فى قتلِهم، فمنهم المشير، ومنهم الساكت، فدخل معاوية إلى منزله، فلما صلى الظهر قام فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم جلس على منبره.

فقام المنادي فنادى: أين عمرو بن الأسود العنسي؟ [٣]

فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا إنا بحصن من الله حصين لم نؤمر بتركه، وقولك يا أمير المؤمنين فى أهل العراق، ألا وأنت الراعي ونحن الرعية، ألا وأنت أعلمنا بدائهم، وأقدرنا على دوائهم، وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

قال معاوية: أما عمرو بن الأسود فقد تبرأ إلينا من دمائهم، ورمى بها ما بين عيني معاوية.

ثم قام المنادي فنادى: أين أبو مسلم الخولاني [٤]؟

---

(١) برقم (٧٥١)

(٢) فى «تاريخه» (١٢/ ٢٢٤)

(٣) وهو من كبار التابعين ثقة، قد قال عنه ضمرة بن حبيب: «من أراد أن ينظر إلى هدي نبيه ﷺ فلينظر إلى هدي عمرو بن الأسود» .

(٤) وهو إمام ثقة عابد من كبار التابعين، وكان معاوية رضي الله عنه يريد أن يستأنس برأيه، وينظر هل يعترض أم لا، أولئك أهل العلم والورع أهل مشورة معاوية رضي الله عنه .

فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فلا والله ما أبغضناك منذ أحببناك، ولا عصيناك منذ أطعناك، ولا فارقناك منذ جامعناك، ولا نكثنا بيعتنا منذ بايعناك، سيوفنا على عواتقنا، إن أمرتنا أطعناك، وإن دعوتنا أجبناك، وإن سبقتنا أدركناك، وإن سبقناك نظرناك، ثم جلس. ثم قام المنادي فقال: أين عبد الله بن مخمر الشرعبي[1]؟

فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: وقولك يا أمير المؤمنين فى هذه العصابة من أهل العراق إن تُعاقبهم فقد أصبت وإن تعفو فقد أحسنت.

فقام المنادي فنادى: أين عبد الله بن أسد القسري؟ [2]

فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ رعيتك وولايتك وأهل طاعتك، إن تعاقبهم فقد جنوا على أنفسهم العقوبة، وإن تعفوا فإن العفو أقرب للتقوى، يا أمير المؤمنين؛ لا تطع فينا من كان غشوماً لنفسه، ظلوماً بالليل، نؤوماً من عمل الآخرة، ... يا أمير المؤمنين؛ إن الدنيا قد انخشعت أوتادُها، ومالت بها عمادُها، وأحبها أصحابُها، واقترب منها ميعادُها، ثم جلس.

فقلت [3] لشرحبيل - ابن مسلم الخولاني -: فكيف صنع؟

قال: قتل بعضاً واستحيا بعضاً، وكان فيمن قتل حجر بن عدي بن الأدبر، قال: قدم لتضرب عنقه فقال: لا تطلقوا عني حديداً وادفنوني وما أثار الثرى من

---

(١)عند ابن عساكر: عبد الله بن محمد الشرعبي، وذكر ابن ماكولا فى«الإكمال» (٧/ ٢٢٧) عبد الله بن مخمر الشرعبي عامل يزيد بن معاوية على حمص، وكان قاضياً فى زمن عبد الملك لقي أبا الدرداء ت، فالله أعلم.

(٢)وفى بعض الكتب: يزيد بن أسد القسري، وقد ذكر فى الصحابة.

(٣) القائل: أبو المغيرة شيخ أحمد بن حنبل.

دمي فإني ألتقي أنا ومعاوية بالجادة.

قال أبو المغيرة: كان ابن عياش لا يكاد يحدث بهذا الحديث إلا بكى بكاءً شديداً » . والإسناد لا بأس به كما قلت.

رجاله معدلون لا يقل أحد منهم رتبة عن رتبة من يحسن حديثه، ورواية إسماعيل بن عياش صحيحة عن أهل بلده، وهذه منها.

وقد قال ابن العربي في ذكر الأسباب التي حملت معاوية ﷺ على قتله لحجر بن عدي، قال [١] عن حُجْر:

«... مشهور بالخير قُتل صبراً أسيراً بقول زياد: وبعثت إليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله، قلنا: قد علمنا قتل حجر كلنا، واختلفنا، فقائل يقول: قتله ظلماً، وقائل يقول: قتله حقاً، فإن قيل: الأصل قتله ظلماً إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله، قلنا: الأصل أن قتل الإمام بالحق، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل، ولو كان ظلماً محضاً لمابقي بيت إلا لعن فيه معاوية، وهذه مدينة السلام دارخلافة بني العباس، وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس، مكتوب على أبواب مساجدها:خير الناس بعد رسول الله ﷺ معاوية».اهـ [٢]

قتل حجر بن عدي بن الأدبر

أخرج ابن أبي شيبة [٣] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ:لَمَّا انْطُلِقَ بِحُجْرٍ إِلى مُعَاوِيَةَ، قَالَ:السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ:وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

---

(١) في «العواصم من القواصم» (ص ٢١٩).

(٢) وقد ذكرت أدلة تصحيح فعل معاوية وتأييد العُلَماء لهذا المنهج في كتابي«شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين» ط الأولى ١٣٥.

(٣) في«المصنف»(٢/ ٢٦٣)

لَأَقْتُلَنَّكَ،قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِهِ لِيُقْتَلَ، فَقَالَ:«دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ»فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، فَقَالَ:«لَا تَرَوْنَ أَنِّي خَفَّفْتُهُمَا جَزَعًا، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُطَوِّلَ عَلَيْكُمْ» ثُمَّ قُتِلَ.

أخرج ابن حبان[١]من نفس طريق ابن أبي شيبة عَن ابن سِيرِينَ ولفظه:«قَالَ لَمَّا انْطُلِقَ بِحُجْرٍ إِلَى مُعَاوِيَة بْن أبي سُفْيَان قَالَ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا قَالَ: نَعَمْ قَالَ: لأقْتُلَنَّكَ قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِهِ لِيُقْتَلَ فَقَالَ دَعُونِي لأصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَجوز فيهمَا ثمَّ قَالَ لَا تَرَوْنَ أَنِّي خَفَّفْتُهُمَا جَزَعًا وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُطَوِّلَ عَلَيْكُمْ ثُمَّ قُتِلَ رَحِمَهُ الله».

ومما يدل على أن معاوية ما قَتَلَه إلا لتأليبه:

ما أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني[٢]بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: رَأَيْتُ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ: «بَيْعَتِي لَا أُقِيلُهَا وَلَا أَسْتَقِيلُهَا، سَمَاعُ الله وَالنَّاسِ».

وفي رواية[٣]:عنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ غُسْلِ الشَّهِيدِ حَدَّثَ بِحَدِيثِ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: قَالَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ، لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ: «لَا تُغَسِّلُوا عَنِّي دَمًا،وَلَا تُطْلِقُوا عَنِّي حَدِيدًا، وَادْفِنُونِي فِي ثِيَابِي، فَإِنِّي أَلْتَقِي أَنَا وَمُعَاوِيَةُ عَلَى الْجَادَّةِ غَدًا».

حُجَة معاوية رضي الله عنه في قتلهم مع ندمه بعد رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر[٤]بسندٍ جوَّده الحافظ ابن حجر[١] إلى أبي بكر بن عَيَّاش قَالَ

---

(١) في«الثقات»(٤/ ١٧٦).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة»(٦/ ١٩٨) و«معجم الطبراني الكبير»(٤/ ٣٤) و«مستدرك الحاكم»(٣/ ٤٦٩).

(٣) في«المصنف» (٢/ ٤٥٧) وسندها صحيح.

(٤) في«تاريخ دمشق»(١٢/ ٢٣١).

دخل عبد الله بن يزيد بن أَسد على مُعَاوِيَة فِي مَرضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَكَلمهُ بِشَيْء فَقَالَ لَهُ رحم الله أَبَاك إِن كَانَ لنا ناصحاً، نهانى عَن قتل حجر بن عدى انْتهى.

وأخرج أحمد [٢] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: أَقَتَلْتَ حُجْرًا؟ فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي وَجَدْتُ قَتْلَ رَجُلٍ فِي صَلَاحِ النَّاسِ خَيْرًا مِنِ اسْتِحْيَائِهِ فِي فَسَادِهِمْ.

وأخرج البلاذري [٣] بإسنادٍ حسن عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا حَجَّ أَتَى بَابَ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللهُ يَسْتَأْذِنُ فَلَمْ تَأْذَنْ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا ذَكْوَانُ غُلامُهَا حَتَّى أَذِنَتْ لَهُ، فَذَكَرَتْ أَمْرَ حَجَرٍ، فَقَالَ: خَشِيتُ فِتْنَةً فَكَانَ قَتْلُهُ خَيْرًا مِنْ حَرْبٍ تُهْرَاقُ فِيهَا الدِّمَاءُ وَتُسْتَحَلُّ الْمَحَارِمُ، فَدَعِينِي يَفْعَلُ الله بِي مَا يَشَاءُ، فَقَالَتْ: نَدَعُكَ وَالله، نَدَعُكَ وَالله.

وهناك رواية لا تثبت وجب التنبيه عليه لئلا يحتج بها خارجي

أخرجها ابن أبي شيبة [٤] عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: «أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: أَقَتَلْتَ حُجرًا وَأَصْحَابَهُ؟ مَا خِفْتَ أَنْ أُقعد لَكَ رجلا فيقتلك؟ قال: ما كنت لتفعلين وأنا فِي بَيْتِ أَمَانٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: الْفَتْكُ قَيْدُ الْإِيمَانِ، كَيْفَ أَنَا فِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكِ، وفي حوائجك؟ قالت: صالح. قَالَ: فَدَعِينَا وَإِيَّاهُمْ حَتَّى نَلْقَى رَبَّنَا» .

هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ، لِضَعْفِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ.

لكن قولهﷺ: «**الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ**» ثابت من وجه آخر.

---

(١) في«تعجيل المنفعة» (٢/ ٣٦٨) ط دار البشائر.

(٢) كما في«البداية والنهاية» (٨ / ٢٢٢) والسند صحيح.

(٣) في« أنساب الأشراف»(٥/ ٢٦٤).

(٤) كما في «إتحاف الخيرة المهرة»(١/ ١٢٧).

حزن بعض الصحابة ﷺ وبعض التابعين على قتل حجر بن عدي

فأخرج ابن أبي شيبة[١] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: «كَانَ ابْنُ عُمَرَ فِي السُّوقِ فَنُعِيَ إِلَيْهِ حُجْرٌ فَأَطْلَقَ حَبْوَتَهُ، وَقَامَ وَعَلَيْهِ النَّحِيبُ».

وتقده قول عائشة، وندم معاوية ﷺ نفسه، ولعلَّه ندمَ لكونه لم يختر له عقوبة أهون من القتل، والله أعلم .

وَقد قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ أَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: دَخَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: مَا حَمَلَكَ عَلَى قَتْلِ أَهْلِ عَذْرَاءَ، حُجراً وَأَصْحَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي قتلهم صلاحاً للأمة، وفي مقامهم فساداً للأمة، فقالت: سمعت رسول الله يَقُولُ:«سَيُقْتَلُ بِعَذْرَاءَ أُنَاسٌ يَغْضَبُ الله لَهُمْ وَأَهْلُ السَّماء» .

قال ابن كثير[٢]:« هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ مُنْقَطِعٌ».

قَالَ أَبُو أَحْمَد الحاكم فِي « الكني» : لَمَّا بلغ الربيع بن زياد- من خيارالتابعين- مقتل حُجْر بن عدي، دعا فَقَالَ: اللَّهم إن كَانَ للربيع عندك خير، فاقبضه إليك وعجل، فزعموا أَنَّهُ لَمْ يبرح من مجلسه حَتَّى مات، رحمة الله.[٣]

وحكى الحافظ ابن كثير عن ابن الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظِمِ»أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَكَابِرِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله الْبَجَلِيُّ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ، وَحَارِثَةُ بْنُ

---

(١) في«المصنف»(٣/ ٦٤).

(٢) في«البداية والنهاية» (٨/ ٢٢١) بعد سياقه بسنده عن يعقوب.

(٣) حكاه عنه الذهبي في«تاريخ الإسلام»(٢/ ٤٨٧).

النُّعْمَانِ، وَحُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَنِيسٍ، وَأَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ الثَّقَفِيُّ، رضي الله عنهم.

فجرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال :قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ**»، وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ، يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَةَ، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.(١)

وقَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي.(٢)

وأما جَعْفَرُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ فهو الذي أسلم قبيل فتح مكة ورسول الله والجيش معه في الطريق إليها.

وكان أبو سفيان هذا وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ الله ﷺ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ. قَالَ: «**لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ**»(٣).

فَلَمَّا أَخْرَجَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ، فَقَالَ: وَالله لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَآخُذَنَّ بِيَدِ ابْنَيَّ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه البخاري(٤٣٥٦) ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٣٥) ومسلم (٢٤٧٥).

(٣) وقد كَانَ أَبُو سُفْيَانَ هَذَا يُؤْذِي رَسُولَ الله ع أَذًى كَثِيرًا.

رَسُولَ الله ﷺ رَقَّ لَهُمَا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا وَأَسْلَمَا....[١] كما بينته مفصلاً في كتابي«صحيح السيرة النبوية» .

وأما حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه فهو صحابي قديم ممن شهد بدراً.

فكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِالْمَقَاعِدِ يَتَحَدَّثَانِ بَعْدَ خَيْبَرَ[٢] .وَأَنَّهُ رَآهُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ.وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَمِعَ قِرَاءَتَهُ فِي الْجَنَّةِ.

وقد أخرج معمر[٣] وغيره بسندٍ على شرط الشيخين عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ فَقُلْتُ:مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: كَذَلِكَ الْبِرُّ، قَالَ: وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ** ».

وَأَمَّا سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيُّ أَبُو الْأَعْوَرِ الْعَدَوِيُّ.

فَهُوَ غنيٌ عن التعريف، أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وهو راوي حديث

---

(١) هذا لفظ الطبراني في« الكبير»(٨/ ٩) وراجع كتابي «صحيح السيرة النبوية» .

(٢) أعني ما أخرجه ابن أبي عاصم في«المثاني»(١٩٦١) من طريق الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الله بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِتقَالَ: « مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ ع وَمَعَهُ رَجُلٌ جَالِسٌ بِالْمَقَاعِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ أَجَزْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ انْصَرَفَ النَّبِيُّ ع فَقَالَ: «**هَلْ رَأَيْتُ الَّذِي كَانَ مَعِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ**».وقد صححه الحافظ في«الإصابة»(١/ ٧٠٧) وهو كذلك.

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ: وَرَوَاهُ الزُّبَيْدِيُّ، وَشُعَيْبٌ، وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمْرَةَ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيَّ تمَرَّ بِرَسُولِ الله ع وَهُوَ نَجِيُّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

(٣) برقم (٢٠١١٩مصنف).

العشرة، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَأُخْتُهُ عَاتِكَةُ زَوْجَةُ عُمَرَ، وَأُخْتُ عُمَرَ فَاطِمَةُ زَوْجَةُ سَعِيدٍ. أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ، وَهَاجَرَا، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

وَلَمْ يَذْكُرْهُ عُمَرُ فِي أَهْلِ الشُّورَى لِئَلَّا يُحَابَى بِسَبَبِ قَرَابَتِهِ مِنْ عُمَرَ فَيُوَلَّى، فَتَرَكَهُ لِذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِالْجَنَّةِ فِي جُمْلَةِ الْعَشَرَةِ، كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَدِّدَةُ الصَّحِيحَةُ، وَلَمْ يَتَوَلَّ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ وِلَايَةً، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ بِالْكُوفَةِ، وَقِيلَ: بِالْمَدِينَةِ. وَهُوَ الْأَصَحُّ.

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً.(١)

وَحُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ، وقد تقدمت قصته.

وَعَبْدُ الله بْنُ أَنِيسٍ رضي الله عنه **له** فضائلُ، وقد اشتهر في فضله أنه قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي، وَهُوَ بِعُرَنَةَ، فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ، قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ إِقْشَعْرِيرَةً**» قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْإِقْشَعْرِيرَةِ فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أُومِئُ بِرَأْسِي الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ، وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِهَذَا، قَالَ: أَجَلْ أَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَرَآنِي فَقَالَ: «**أَفْلَحَ الْوَجْهُ**» قَالَ:

---

(١) ذكره ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٢٤).

قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «**صَدَقْتَ**» قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ الله ﷺ فَدَخَلَ بِي بَيْتَهُ فَأَعْطَانِي عَصًا، فَقَالَ: «**أَمْسِكْ هَذِهِ عِنْدَكَ يَا عَبْدَ الله بْنَ أُنَيْسٍ**» قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسِكَهَا، قَالُوا: أَوَلَا تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَتَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: «**آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتَخَصِّرُونَ يَوْمَئِذٍ**» قَالَ: فَقَرَنَهَا عَبْدُ الله بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَصُبَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا. (١)

ولكنه لا يصح لجهالة ابن عبد الله بن أنيس، وقد أغنى الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم جميعاً عن الاستدلال لفضائلهم بما لا يصح والحمد لله.

وَأما أَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ الثَّقَفِيُّ رضي الله عنه.

فكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ بِالزِّنَى هُوَ وَأَخُوهُ زِيَادٌ، وَمَعَهُمَا شِبْلُ بْنُ مَعْبَدٍ، وَنَافِعُ بْنُ الْحَارِثِ، فَلَمَّا تَلَكَّأَ زِيَادٌ فِي الشَّهَادَةِ جَلَدَ عُمَرُ الثَّلَاثَةَ الْبَاقِينَ، ثُمَّ اسْتَتَابَهُمْ فَتَابُوا إِلَّا أَبَا بَكْرَةَ فَإِنَّهُ صَمَّمَ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَقَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اشْفِنِي مِنْ هَذَا الْعَبْدِ. فَنَهَرَهُ عُمَرُ وَقَالَ لَهُ: اسْكُتْ لَوْ كَمَلَتِ الشَّهَادَةُ لَرَجَمْتُكَ بِأَحْجَارِكَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ خَيْرَ هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ(٢)، وَكَانَ مِمَّنِ اعْتَزَلَ الْفِتَنَ، فَلَمْ يَحْضُرْ شَيْئًا مِنْهَا.

فقد أخرج البخاري(٣) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ،

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٠٤٧).

(٢) تقدم تخريج القصة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) برقم (٤٤٢٥).

قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ:«**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**».ولا يعلم أنه شارك في أي من الفتن رضي الله عنه.

وفي هذه السنة تُوُفِّيَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةُ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ سَنَةَ سَبْعٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَكَانَ ابْنَ أُخْتِهَا أُمِّ الْفَضْلِ لُبَابَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ: تَزَوَّجَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ. أَخْرَجَاهُ. وَثَبَتَ فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » عَنْهَا أَنَّهُمَا كَانَا حَلَالَيْنِ. وَقَوْلُهَا مُقَدَّمٌ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ.(١)

وكانت وصولة للرحم تقية شدية في الصدع بالحق لا تخشى في الله لومة لائم رضي الله عنها.

أخرج ابن سعد(٢) بإسنادٍ صحيح يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ قَالَ: تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ فَبَلَغَهَا ذَلِكَ فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعْذِلُهُ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعَظَتْنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ؟ ذَهَبَتْ وَالله مَيْمُونَةُ وَرَمَى بِحَبْلِكَ عَلَى غَارِبِكَ أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لله وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحِمِ.

أخرج ابن أبي شيبة(٣) وغيره بإسنادٍ صحيح عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ: أَنَّ ذَا قَرَابَةٍ لِمَيْمُونَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَتْ مِنْهُ رِيحَ شَرَابٍ، فَقَالَتْ: «إِنْ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيَحُدُّونَكَ أَوْ يُطَهِّرُونَكَ لَا تَدْخُلْ عَلَيَّ بَيْتِي أَبَدًا».

---

(١) وقد تعرَّضت لهذا في غير هذا الموطن.

(٢)فى «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٣٨). هذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات، وجعفر ثقة إلا فى حديثه عن الزهري .... على الراجح ـ وهذا ليس منه.

(٣) في«المصنف»(٥/ ٥٢٥).

وقد ماتت ميمونة رضي الله عنها بسرف وصلى عليها ابن اختها ابن عباس رضي الله عنه.

وممن أرَّخ وفاتها في هذه السنة خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ١٣٤ .

وفي صحيح البخاري[١] عن عَطَاء قَالَ: حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ جِنَازَةَ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلاَ تُزَعْزِعُوهَا، وَلاَ تُزَلْزِلُوهَا، وَارْفُقُوا فَإِنَّهُ «كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعٌ، كَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ، وَلاَ يَقْسِمُ لِوَاحِدَةٍ».

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ

فيهَا غَزَا بِلَادَ الرُّومِ وَشَتَّى بِهَا سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ، فَمَاتَ هُنَالِكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجُنْدِ بَعْدَهُ عَبْدَ الله بْنِ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِيَّ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ الْغَزْوِ بِبِلَادِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ، وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.[٢]

وقيل إن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه توفي في هذه السنة، وتقدم التعليق على هذا في أحداث سنة تسعة وأربعين.

وَفِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي مُوسَى الأشعري عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه

وَقَدِ اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ مَعَ مُعَاذٍ عَلَى الْيَمَنَ، وَاسْتَنَابَهُ عُمَرُ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَفَتَحَ تُسْتَرَ، وَشَهِدَ خُطْبَةَ عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ، وَوَلَّاهُ عُثْمَانُ الْكُوفَةَ، وَكَانَ أَحَدَ الْحَكَمَيْنِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مِنْ قُرَّاءِ الصَّحَابَةِ وَفُقَهَائِهِمْ، وَكَانَ أَحْسَنَ الصَّحَابَةِ صَوْتًا فِي زَمَانِهِ.

---

(١) برقم (٥٠٦٧) ومسلم (١٤٦٥) .

(٢) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٢٥).

وقد أخرج ابن أبي داود فيما ذكر الحافظ[١]، وأبو نعيم[٢] وأبو عوانة[٣] من طريق عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَمَا سَمِعْتُ صَوْتَ صَنْجٍ وَلَا بَرْبَطٍ كَانَ أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ».

قال الحافظ: سنده صحيح.

وأخرج ابن سعد[٤] بسندٍ قوي ثابت عن أنس بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ قَامَ لَيْلَةً يُصَلِّي فَسَمِعَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ صَوْتَهُ. وَكَانَ حُلْوَ الصَّوْتِ. فَقُمْنَ يَسْتَمِعْنَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ إِنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَسْتَمِعْنَ. فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُكُنَّ تَحْبِيرًا وَلَشَوَّقْتُكُنَّ تشويقاً.

وفي الصحيح[٥] قوله ﷺ **«يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»**

وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ[٦] أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا مِنَ الصَّحَابَةِ:

عَبْدُ الله بْنُ الْمُغَفَّلِ الْمُزَنِيُّ وَكَانَ أَحَدَ الْبَكَّائِينَ، وَأَحَدَ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ عُمَرُ إِلَى الْبَصْرَةِ لِيُفَقِّهُوا النَّاسَ، وهو أول منْ دَخَلَ تُسْتَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ فَتَحِهَا.

لَكِنِ الصَّحِيحُ مَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُسَدَّدٍ أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتِّينَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ فَالله أَعْلَمُ.

---

(١) في «الفتح» (٩/ ٩٣).

(٢) في «الحلية» (١/ ٢٥٨).

(٣) في «المستخرج» (٣٩١٩).

(٤) في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٨١).

(٥) البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣)

(٦) فيما حكاه عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٨)

وَفِيهَا تُوُفِّيَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أَبُو نُجَيدٍ الْخُزَاعِيُّ، أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ عَامَ خَيْبَرَ وَشَهِدَ غَزَوَاتٍ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، اسْتَقْضَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ على البصرة فحكم له بِهَا، ثُمَّ اسْتَعْفَاهُ فَأَعْفَاهُ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وقد كانت الملائكة تسلم عليه حتى اكتوى .

ففي صحيح مسلم[1] عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ «جَمَعَ بَيْنَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ يَنْزِلْ فِيهِ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ، وَقَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، حَتَّى اكْتَوَيْتُ، فَتُرِكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ».

وممن توفي في هذه السنة كعبُ بنُ عجرةَ رضي الله عنه .

نزلت فيه آية الفِدْيَةِ، فَقَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً، وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً، حُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: «**مَا كُنْتُ أُرَى الوَجَعَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى - أَوْ مَا كُنْتُ أُرَى الجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى- تَجِدُ شَاةً؟**....الحديث.[2]

وكذلك توفي فيها: هَانِئُ بْنُ نِيَارٍ أَبُو بردة البلوي خَالُ البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه الْمَخْصُوصُ بِذَبْحِ الْعَنَاقِ وَإِجْزَائِهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَضَاحِيِّ[3]، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا وَكَانَتْ رَايَةُ بَنِي حَارِثَةَ مَعَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ رضي الله عنه .

---

(١) برقم (١٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري(١٨١٦).

(٣) فَقد قَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنِّي نَسَكْتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلاَةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ اليَوْمَ يَوْمُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ شَاتِي أَوَّلَ مَا يُذْبَحُ فِي بَيْتِي، فَذَبَحْتُ شَاتِي وَتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الصَّلاَةَ، قَالَ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا جَذَعَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتَجْزِي عَنِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**»أخرجه البخاري(٩٥٥) ومسلم (١٩٦١).

وقد أرَّخ خليفة بن خياط [١] في هذه السنة وفاة أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه ، وعمران بن حصين رضي الله عنه بالبصرة .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ

فِيهَا غَزَا عبد الرحمن بن أم الحكم بِلَادَ الرُّومِ وَشَتَّى بِهَا، وَفِيهَا افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ وَعَلَيْهِمْ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ جَزِيرَةَ رُودِسَ فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشدَّ شيء عَلَى الْكُفَّارِ، يَعْتَرِضُونَ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ وَيَقْطَعُونَ سَبِيلَهُمْ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُدِرُّ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ وَالْأُعْطِيَاتِ الْجَزِيلَةَ، وَكَانُوا عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنَ الْفِرِنْجِ، يبيتون في حصن عظيم عنده فِيهِ حَوَائِجُهُمْ وَدَوَابُّهُمْ وَحَوَاصِلُهُمْ، وَلَهُمْ نَوَاطِيرُ عَلَى الْبَحْرِ يُنْذِرُونَهُمْ إِنْ قَدِمَ عَدُوٌّ أَوْ كَادَهُمْ أحد، وما زالوا كذلك حتى كانت إمرة يزيد بن معاوية بعد أبيه، فحولهم مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ، وَقَدْ كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَزِرَاعَاتٌ غَزِيرَةٌ. [٢]

وَفِيهَا تُوُفِّيَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ، من الأمراء الفاتحين وَكَانَ نَائِبَ زِيَادٍ بن أبي سفيان عَلَى خُرَاسَانَ.

وفيها توفي رويفع بْنُ ثَابِتٍ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَلَهُ آثَارٌ جَيِّدَةٌ فِي فَتْحِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

وفي هذه السنة أيضاً تُوُفِّيَ زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَيُقَالُ لَهُ: زياد بن أبيه وزياد بن سُمَيَّةَ - وَهِيَ أُمُّهُ - فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مَطْعُونًا.

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَقُولُ لَهُ: إِنِّي قَدْ ضَبَطْتُ لك العراق

---

(١) في «تاريخه» ص ١٣٤.

(٢) ذكره الحافظ في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٩).

بشمالي ويميني فارغة، فارع لي ذلك، وَهُوَ يُعَرِّضُ لَهُ أَنْ يَسْتَنِيبَهُ عَلَى بِلَادِ الحجاز أيضاً، فلما بلغ أهل الحجاز جاؤوا إلى عبد الله بن عمر فَشَكَوْا إِلَيْهِ ذَلِكَ، وَخَافُوا أَنْ يَلِيَ عَلَيْهِمْ زِيَادٌ، فَيَعْسِفَهُمْ كَمَا عَسَفَ أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَقَامَ ابْنُ عُمَرَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا عَلَى زِيَادٍ وَالنَّاسُ يُؤَمِّنُونَ، فَطُعِنَ زِيَادٌ بِالْعِرَاقِ فِي يَدِهِ فَضَاقَ ذَرْعًا بِذَلِكَ.(١)

وَاسْتَشَارَ شُرَيْحًا الْقَاضِيَ فِي قطع يَدِهِ، فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: إِنِّي لَا أَرَى ذلك، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَجَلِّ فُسْحَةٌ لقيت الله أجذم قد قطعت يدك خوفاً مِنْ لِقَائِهِ، وَإِنْ كَانَ لَكَ أَجَلٌ بَقِيتَ فِي النَّاسِ أَجْذَمَ فَيُعَيَّرُ وَلَدُكَ بِذَلِكَ.

فَصَرَفَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ شُرَيْحٌ مِنْ عِنْدِهِ عَاتَبَهُ بَعْضُ النَّاسِ: وَقَالُوا: هَلَّا تَرَكْتَهُ فَقَطَعَ يَدَهُ؟ ! فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ».(٢)

---

(١) وهذا عن ابن عمر ما أَنكَره، فمنهج أهل السنة الدعاء للأمراء لا الدعاء عليهم الذي هو من سيمة الخوارج كما بينته في كتابي «غصة الخوارج المارقين» والذي صحت أسانيده عن ابن عمر بخلافه

من أنه لما بلغه أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بُويِعَ لَهُ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا».

أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ١٩٠) بسندٍ صحيح.

وعَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ** » ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بالله تَعَالَى، أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ، وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَيْلَمٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. أخرجه أحمد(٥٠٨٨) بسندٍ صحيح.

(٢) المرفوع منه حديث قوي أخرجه الترمذي(٥١٢٨) وغيره وتمام تخريجه في حقيقي لـ«البداية والنهاية» (٨/ ٢٣٠).

لكنَّ القصَّةَ بهذا السياقِ لم أقف لها على سندٍ ثابتٍ.

ومثلها في النكارة أنه لَمَّا بَلَغَ خَبَرُ مَوْتِهِ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ:

«اذْهَبْ إِلَيْكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ، فَلَا الدُّنْيَا بَقِيَتْ لَكَ، ولا الآخرة أدركت، كيف يجزم له ابن عمر بذلك بغير دليل لديه، أيَتَقَوَّل ابن عمر على الله»؟!

وقد ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ خبر وجب التنبيه على عدم ثبوته.

قَالَ: « جَمَعَ زِيَادٌ أَهْلَ الْكُوفَةِ، فَمَلَأَ مِنْهُمُ الْمَسْجِدَ وَالرَّحْبَةَ وَالْقَصْرَ لِيَعْرِضَهُمْ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنْ عَلِيٍّ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَإِنِّي لَمَعَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَالنَّاسُ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ، قَالَ: فَهَوَّمْتُ تَهْوِيمَةً، فَرَأَيْتُ شَيْئًا أَقْبَلَ طَوِيلَ الْعُنُقِ، مِثْلَ عُنُقِ الْبَعِيرِ، أَهْدَبَ أَهْزَلَ، فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ:أَنَا النَّقَادُ ذُو الرَّقَبَةِ، بُعِثْتُ إِلَى صَاحِبِ الْقَصْرِ.فَاسْتَيْقَظْتُ فَزِعًا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَلْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ؟ قَالُوا: لَا.فَأَخْبَرْتُهُمْ. قَالَ: وَيَخْرُجُ عَلَيْنَا خَارِجٌ مِنَ الْقَصْرِفَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ يَقُولُ لَكُمُ: انْصَرِفُوا فَإِنِّي عَنْكُمْ مَشْغُولٌ.وَإِذَا الْفَالِجُ قَدْ ضَرَبَهُ.[1]

وفيها توفي وَصَعْصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ الدَّارِمِيُّ

كَانَ سَيِّدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي الْإِسْلَامِ، يُقَالُ: إِنَّهُ أَحْيَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَوْءُودَةً.

يُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا أَحْيَى الْمَوْءُودَةَ أَنَّهُ ذَهَبَ فِي طَلَبِ نَاقَتَيْنِ شَرَدَتَا لَهُ. قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا فِي اللَّيْلِ أَسِيرُ إِذَا أَنَا بِنَارٍ تُضِيءُ مَرَّةً وَتَخْبُو أُخْرَى، فَجَعَلْتُ لَا أَهْتَدِي إِلَيْهَا،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في«المحتضرين» (١٢١)وفي حديثه أَبُو الْمُقَوِّمِ الْأَنْصَارِيُّ يَحْيَى بْنُ ثَعْلَبَةَ ضعف الدارقطني، وفي إسناده من لم أعرفه.

فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَكَ عَلَيَّ إِنْ أَوْصَلْتَنِي إِلَيْهَا أَنْ أَدْفَعَ عَنْ أَهْلِهَا ضَيْمًا إِنْ وَجَدْتُهُ بِهِمْ. قَالَ: فَوَصَلْتُ إِلَيْهَا، وَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ يُوقِدُ نَارًا، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مُجْتَمِعَاتٌ، فَقُلْتُ: مَا أَنْتُنَّ؟ فَقُلْنَ: إِنَّ هَذِهِ امْرَأَةٌ قَدْ حَبَسَتْنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ، تَطْلُقُ وَلَمْ تَخْلُصْ. فَقَالَ الشَّيْخُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ: وَمَا خَبَرُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنِّي فِي طَلَبِ نَاقَتَيْنِ شَرَدَتَا لِي. فَقَالَ: قَدْ وَجَدْتُهُمَا، إِنَّهُمَا لَفِي إِبِلِنَا. قَالَ: فَنَزَلْتُ عِنْدَهُ. قَالَ: فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْتُ إِذْ قُلْنَ: وَضَعَتْ. فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ كَانَ ذَكَرًا فَارْتَحِلُوا، وَإِنْ كَانَ أُنْثَى فَلَا تُسْمِعْنَنِي صَوْتَهَا. فَقُلْتُ: عَلَامَ تَقْتُلُ وَلَدَكَ وَرِزْقُهُ عَلَى الله؟ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهَا. فَقُلْتُ: أَنَا أَفْتَدِيهَا مِنْكَ وَأَتْرُكُهَا عِنْدَكَ حَتَّى تَبِينَ عَنْكَ أَوْ تَمُوتَ. قَالَ: بِكَمْ؟ قُلْتُ. بِإِحْدَى نَاقَتَيَّ. قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَبِهِمَا. قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَزِيدَنِي بَعِيرَكَ هَذَا، فَإِنِّي أَرَاهُ شَابًّا حَسَنَ اللَّوْنِ. قُلْتُ: نَعَمْ، عَلَى أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي. قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ، رَأَيْتُ أَنَّ الَّذِي صَنَعْتُهُ نِعْمَةٌ مِنَ الله مَنَّ بِهَا عَلَيَّ هَدَانِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْتُ للهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَجِدَ مَوْءُودَةً إِلَّا افْتَدَيْتُهَا كَمَا افْتَدَيْتُ هَذِهِ. قَالَ: فَمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ حَتَّى أَحْيَيْتُ مِائَةَ مَوْءُودَةٍ إِلَّا أَرْبَعًا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

ولكن لا يصح سنده.[1]

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْمَذْكُورِينَ جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ الْغَسَّانِيُّ مَلِكُ نَصَارَى الْعَرَبِ.

وهو صاحب القصة المشهورة التي رواها الواقدي: شَهِدَ الْيَرْمُوكَ مَعَ الرُّومِ أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ وَطِئَ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ بِدِمَشْقَ، فَلَطَمَهُ ذَلِكَ الْمُزَنِيُّ، فَرَفَعَهُ أَصْحَابُ جَبَلَةَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالُوا: هَذَا

(١) أخرجه الطبراني في«الكبير»(٨/ ٩١) رقم (٧٤١٢) ولكن في سنده طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الرَّبَعِيُّ لا يعرف . وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وَقال البُخاري: لا يصح حديثه.

لَطَمَ جَبَلَةَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَلْيَلْطِمْهُ جَبَلَةُ.فَقَالُوا: أَوَمَا يُقْتَلُ؟ ! قَالَ:لَا. قَالُوا: فَمَا تُقْطَعُ يَدُهُ؟! قَالَ:لَا، إِنَّمَا أَمَرَ الله بِالْقَوَدِ. فَقَالَ جَبَلَةُ أَتَرَوْنَ أَنِّي جَاعِلٌ وَجْهِي بَدَلًا لِوَجْهِ مُزَنِيٍّ جَاءَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ؟ بِئْسَ الدِّينُ هَذَا.ثُمَّ ارْتَدَّ نَصْرَانِيًّا، وَتَرَحَّلَ بِأَهْلِهِ حَتَّى دَخَلَ أَرْضَ الرُّومِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ فَشَقَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ لِحَسَّانَ: إِنَّ صَدِيقَكَ جَبَلَةَ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ:لَطَمَهُ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ. فَقَالَ: وَحُقَّ لَهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ فَضَرَبَهُ بِهَا.(١)

وقد ذكر خليفة بن خياط(٢) أن زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية رضي الله عنه مات في تلك السنة، واستخلف على البصرة سمرة بن جندب رضي الله عنه.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ

قَدَمَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُبَيْدُ الله بْنَ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَكْرَمَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ نُوَّابِ أَبِيهِ عَلَى الْبِلَادِ، فَأَخْبَرَهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ وَلَّاهُ إِمْرَةَ خُرَاسَانَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَلَقِيَ التُّرْكَ هُنَاكَ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَهَزَمَهُمْ هَزِيمَةً فَظِيعَةً، بِحَيْثُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَعْجَلُوا امْرَأَةَ الْمَلِكِ أَنْ تَلْبَسَ خُفَّيْهَا، فَلَبِسَتْ وَاحِدَةً وَتَرَكَتِ الْأُخْرَى، فَأَخَذَهَا الْمُسْلِمُونَ فَقَوَّمُوا جَوْرَبَهَا بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَغَنِمُوا مَعَ ذَلِكَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، وَأَقَامَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ بِخُرَاسَانَ سَنَتَيْنِ.(٣)

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان:

أسامةُ بنُ زيد بن حارثة رضي الله عنه مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ وَابْنُ مَوْلَاهُ، وَحِبُّهُ وَابْنُ حِبِّهِ، وَأُمُّهُ بَرَكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاةُ رَسُولِ الله ﷺ وَحَاضِنَتُهُ، وَلَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ الْإِمْرَةَ

(١) ذكرها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٨/ ٢٣٠).

(٢) في«تاريخه» ص ١٣٤.

(٣) «البداية والنهاية»(٨/ ٢٣٥).

بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمْرَتِهِ، فَقَالَ: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**». (١) وفضائله كثيرة جداً.

وَثَبَتَ فِي الصحيح (٢) عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُجْلِسُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ، وَيُجْلِسُ أُسَامَةَ عَلَى فَخْذِهِ الْأُخْرَى وَيَقُولُ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا** ». وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا جمَّة، تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعُمْرُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وتقدمت قيادته لجيش قتال المرتدين بعد رسول الله ﷺ في إمارة أبي بكر رضي الله عنه.

وفي هذه السنة توفي ثَوْبَانُ بْنُ بُجْدُدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وهو مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. أَصْلُ ثَوْبَانَ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَصَابَهُ سِبَاءٌ، فَاشْتَرَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَعْتَقَهُ، فَلَزِمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَفَرًا وَحَضَرًا.

وفيها توفي الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه، فارسُ الإسلام كان له موقفٌ عظيمٌ يوم غزوةِ ذي قَرَد، حيث ولَّى الكفار هَارِبِينَ، فَلَمَّا أصبحوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ**...» (٣)

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، أَبُو قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ، حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: «**بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ**». (٤)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ: تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - يَعْنِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ - بِالْمَدِينَةِ

(١) أخرجه البخاري(٤٢٥٠) ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) البخاري(٣٧٤٧).

(٣) كما في صحيح مسلم وقد ذكرت الرواية بطولها في كتابي «صحيح السيرة النبوية».

(٤) أخرجه مسلم(٢٩١٥).

عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.[١]

وممن توفي في هذه السنة حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى رضي الله عنه ذو المناقب والخلال الكريمة، والمناقب العليَّة في الجاهلية والإسلام.

ففي الصحيح [٢]عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ**».

وفي صحيح البخاري[٣] قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ العَطَاءَ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، إِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ، الَّذِي قَسَمَ الله لَهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ رَحِمَهُ الله .

أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ، وَكَانَ قَدْ عُمِّرَ دَهْرًا طَوِيلًا، مات وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. وَالله أَعْلَمُ.

وفيها توفيت سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ الْقُرَشِيَّةُ الْعَامِرِيَّةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها .

تزوجها رسول الله ﷺ بَعْدَ خَدِيجَةَ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي

---

(١) «البداية والنهاية»(٨/ ٢٣٦).

(٢) البخاري(١٤٣٦) .

(٣) برقم (٢٧٥٠).

سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَبِرَتْ هم رسول الله بِطَلَاقِهَا، وَيُقَالُ إِنَّهُ طَلَّقَهَا، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُبْقِيَهَا فِي نِسَائِهِ وَتَهَبَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ حَتَّى أنزل الله: «وَإِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً» ١٢٨ الآية.

وَكَانَتْ ذَاتَ عِبَادَةٍ وَوَرَعٍ وَزَهَادَةٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ.

ما من امرأة أحب إلى أن أكون في مسلاخها غير أَنَّ فِيهَا حِدَّةً تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ.(١)

ثمَّ دخلت سنةُ خمسٍ وَخمسينَ

فيها عزلَ مُعاوِية عبدَ الله بْنِ غَيْلَانَ عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا عُبَيْدَ الله بنَ زيادٍ كان سبب عزل معاويةَ بن غيلانَ عن البصرة أَنَّه كَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ فَحَصَبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ، فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ مَتَى بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قَطَعْتَ يَدَهُ فِي هَذَا الصُّنْعِ فَعَلَ بِهِ وَبِقَوْمِهِ نَظِيرَ مَا فَعَلَ بِحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ، فَاكْتُبْ لَنَا كِتَابًا أَنَّكَ قَطَعْتَ يَدَهُ فِي شُبْهَةٍ، فَكَتَبَ لَهُمْ فَتَرَكُوهُ عِنْدَهُمْ حيناً ثم جاؤوا مُعَاوِيَةَ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ نَائِبَكَ قَطَعَ يَدَ صاحبنا في شبهة فأقدنا منه، قال: لَا سَبِيلَ إِلَى الْقَوْدِ مِنْ نُوَّابِي وَلَكِنِ الدية، فأعطاهم الديةَ وَعَزَلَ ابْنَ غَيْلَانَ، وَقَالَ لَهُمُ: اخْتَارُوا مَنْ تريدون، فَذَكَرُوا رِجَالًا فَقَالَ: لَا! وَلَكِنْ أُوَلِّي عَلَيْكُمُ ابْنَ أَخِي عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ، فَوَلَّاهُ.. ولم أقف على سند بهذا، فالله أعلم.

ذِكْرِ مَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الأعيان في هذه السنة:

أرقم بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ رضي الله عنه، أسلم قديماً، يقال سابع سبعة، وكانت دَارُهُ كَهْفًا لِلْمُسْلِمِينَ يَأْوِي إِلَيْهَا رَسُولُ الله وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ الصَّفَا.

---

(١) كما في صحيح مسلم (١٤٦٣).

مات ﷺ وَلَهُ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

وفيها توفي سعد بن أبي وقاص ﷺ خال النبي ﷺ ،أول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ثلث الإسلام ، مستجاب الدعوة، جمع النبي ﷺ له بين أبويه فقال له: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

كم تحمَّل في سبيل الله من مشقة وعناء ﷺ، مناقبه جمَّة لا يتسع المقام لذكرها.

مات ﷺ، كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ لَا يَكَادُ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ.

وقد جاوز الثمانين.

وفي هذه السنة توفي فضالة بن عبيد الأنصاري ﷺ، وكعب بن عمرو أبو اليسر، وقد قيل إنه هو الذي أسر العباس ﷺ، وقيل هو آخر من مات من أهل بدر.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ

وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ، فَفِيهَا شَتَّى جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بِأَرْضِ الروم، وقيل عبد الرحمن بن مسعود، ويقال فيها غزا في البحر يزيد بن سمرة، وَفِي الْبَرِّ عِيَاضُ بْنُ الْحَارِثِ. وَفِيهَا اعْتَمَرَ مُعَاوِيَةُ فِي رَجَبٍ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَفِيهَا وَلَّى مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بِلَادَ خُرَاسَانَ، وَعَزَلَ عَنْهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ.[1]

(١) «البداية والنهاية»(٨/ ٢٤٩)..

وقد أرخ خليفة بن خياط وفاة جويرية بنت الحارث المصطلقية أم المؤمنين رضي الله عنها.

توطيد معاوية رضي الله عنه البيعة من بعده لولده يزيد

وما كان في ذلك من الأحداث أول فعل معاوية رضي الله عنه في ذلك [1]:

أخرج أبو يعلى [2] بسندٍ يُحَسَّن إن شاء الله عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى عَامِلِ المَدِينَةِ أَنْ أَفِدْ إِلَيَّ مَنْ شَاءَ، قَالَ: فَوَفَدَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ، فَاسْتَأْذَنَ، فَجَاءَ حَاجِبُ مُعَاوِيَةَ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: هَذَا عَمْرٌو قَدْ جَاءَ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِهِمْ إِلَيَّ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَاءَ يَطْلُبُ مَعْرُوفَكَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَلْيَكْتُبْ مَا شَاءَ فَأَعْطِهِ مَا سَأَلَكَ، وَلاَ أَرَاهُ، قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ الحَاجِبُ، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ اكْتُبْ مَا شِئْتَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ الله أَجِيءُ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأُحْجَبُ عَنْهُ؟ أُحِبُّ أَنْ أُلْقَاهُ، فَأُكَلِّمَهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْحَاجِبِ: عِدْهُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا إِذَا صَلَّى الغَدَاةَ فَلْيَجِئْ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى مُعَاوِيَةُ الغَدَاةَ أَمَرَ بِسَرِيرٍ، فَجُعِلَ فِي إِيوَانٍ لَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ النَّاسَ عَنْهُ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلاَّ كُرْسِيٌّ وُضِعَ لِعَمْرٍو، فَجَاءَ عَمْرٌو، فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى الكُرْسِيِّ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: حَاجَتَكَ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْبَحَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَاسِطَ الحَسَبِ فِي قُرَيْشٍ، غَنِيًّا عَنِ المَالِ،غَنِيًّا إِلَّا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَإِنِّي

---

(١) ذكر ذلك ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٥٠)في نفس السنة، فقال:«وَفِيهَا دَعَا مُعَاوِيَةُ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ وَلَدِهِ أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى هَذَا فِي حَيَاةِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ

(٢) في «المسند» (٧١٤٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٤٩): «رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَسْتَرْعِ عَبدًا رَعِيَّةً إِلاَّ وَهُوَ سَائِلُهُ عَنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ: كَيْفَ صَنَعَ فِيهَا وَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - عليه السلام - بِمَنْ تَسْتَخْلِفُ عَلَيْهَا، قَالَ: فَأَخَذَ مُعَاوِيَةَ رَبْوَةٌ وَنَفَسٌ فِي غَدَاةٍ قَرٍّ حَتَّى عَرِقَ وَجَعَلَ يَمْسَحُ العَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ ثَلاَثًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَحَمِدَ اللهَ،وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ امْرُؤٌ نَاصِحٌ، قُلْتَ بِرَأْيِكَ، بَالِغٌ مَا بَلَغَ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ ابْنِي وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَابْنِي أَحَقُّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، حَاجَتَكَ، قَالَ: مَا لِي حَاجَةٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لَهُ أَخُوهُ: إِنَّمَا جِئْنَا مِنَ المَدِينَةِ نَضْرِبُ أَكْبَادَهَا مِنْ أَجْلِ كَلِمَاتٍ قَالَ: مَا جِئْتُ إِلاَّ لِكَلِمَاتٍ، قَالَ: فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ، قَالَ: وَخَرَجَ لِعَمْرٍو، مِثْلُهُ.

استقرارُ أمرِ مُعاوية رضي الله عنه على أن يكون الأمرُ بعده لابنه يزيدَ [١]

لما بدأ معاويةُ رضي الله عنه أن يُمَهِّد الأمر من بعده ليزيد أنكر ذلك عبدُ الرحمنِ بنِ أبي بكر. ثم إن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استعمل مروان على الحجاز فخطب فجعل يذكر يزيدَ بنَ معاويةَ لكي يبايَع له بعد أبيه. [٢]

وفي رواية [٣]: «أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم أن يبايع الناس ليزيد».

وفي رواية [٤]: «قال مروان في خطبته: إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر».

---

(١) ويزيد بن معاوية القول فيه وسط جماعة يحطُّون عليه، وآخرون يمدحونه المدح العالي، والصواب أمره وسط، له وعليه، كما أشار إلى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤١٠، ٤/ ٤٨٣)

(٢)كما في رواية البخاري (٤٨٢٧).

(٣)عند ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (١٧٨٥).

(٤)عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥٩).

وفى رواية [١] عن محمد بن زياد قال: «قدم زياد المدينة فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر أهل المدينة أمير المؤمنين معاوية حَسُن نظره بكم وإنه جعل لكم مفزعاً تفزعون إليه: يزيد بن معاوية.

وفي رواية: فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً. [٢]

وفى رواية [٣]: «قال له: أهرقلية؟ إن أبا بكر والله ما جعلها فى أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية فى ولده إلا رحمة وكرامة لولده».

وفى رواية [٤]: «لقد جئتم بها هرقلية وقوقية [٥]تبايعون لأبنائكم».

وفى رواية [٦] قال: «يا معشر بني أمية اختاروا منَّا ثلاثة سنن، سنة رسول الله ﷺ أو سنة أبي بكر، أو سنة عمر، إن هذا الأمر قد كان وفى أهل بيت رسول الله – عليه السلام – من لو ولاه لكان لذلك أهلاً، ثم كان أبو بكر بعده فكان فى أهل بيته من

---

(١)عند ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (١٧٨٧).

(٢) كما في رواية البخاري (٤٨٢٧).

(٣) عند ابن أبي حاتم.

(٤) عند ابن أبي خيثمة

(٥) **هرقلية: نسبة إلى هرقل، وقوقية**: نسبة إلى ملك يقال له قوق، وكلاهما من ملوك الروم، وعبد الرحمن رضي الله عنه يريد أن يقول: إن سنة البيعة للأبناء هي: سنة الروم الكفار لا سنة أبي بكر وعمر، فإن سنة قيصر: إقامة الولد مقام الوالد، ومروان يقصد أصل استخلاف الأمير بصرف النظر عن كونها للإبن أو غيره، فالنبي ﷺ استخلف أبا بكر بالإشارة عليه بالصلاة وغيرها، وأبو بكر استخلف عمر صريحاً، وعمر استخلف واحداً من الستة أصحاب الشورى، فيبدو أن الجهة التي أنكرها عبد الرحمن رضي الله عنه غير الجهة التي دَعا إليها مروان.

(٦) عند ابن أبي خيثمة (١٧٨٧).

لو ولاه لكان لذلك أهلاً فولى عمر، وكان فى أهل بيت عمر من لو ولاه لكان لذلك أهلاً، فجعلها فى نفر من المسلمين، ولكن أردتم أن تجعلوها قيصرية كلما هلك قيصر كان قيصر، فقال مروان: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه [١]، فقال مروان: إن هذا الذى أنزل الله فيه: قال تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ} الأحقاف ١٧.

وفى رواية [٢] قال مروان: «ألست الذى قال لوالديه: أفٍ لكما؟».

فقالت عائشة [٣] من رواء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن [٤]إلا أن الله أنزل عُذري».

وفى رواية: لما قال له مروان: «ألست الذى قال لوالديه: أفٍ لكما [٥]،قال عبد الرحمن: ألستَ ابنَ اللَّعين الذى لَعن رسولَ الله – عليه السلام – أباك؟

قال: وسَمعتهما عائشة فقالت: يا مروان أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟

---

(١) أي: امتنعوا من الدخول خلفه إجلالاً لعائشة – رضي الله عنها –.

(٢)عند ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٥) وابن أبي خيثمة

(٣) في رواية البخاري (٤٨٥٧).

(٤) تعني شيئاً يُشينهم ويُذمهم، فإنها قالت:«إلا الله أنزل عذري» في نفس الرواية، وأنزل الله آيات أخرى تتعلَّق بأبي بكر وبأُمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فلا متعلَّق فيها للروافض به، كما لا متعلَّق فيه لإنكار أن قوله تعالى: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ (٤٠)} التوبة نزلت في أبي بكر، وليس كما قال، وقد رَدَّ الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٠٩) على التعلُّق بالخبر الذي بين أيدينا.

(٥)يعني الآية، وهذه رواية ابن أبي حاتم.

كذبت ما فينا نزلت، ولكن نزلت فى فلان بن فلان. [١] وفى رواية [٢]: «فغضبت عائشة وقالت: والله ما فيه هو، ولو شئت أن أسميه لسميته، ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنه».

وفى رواية [٣] قالت: «كذبت إنما أنزل ذلك فى فلان، وأشهد أن الله لعن أباك على لسان نبيه ﷺ وأنت يومئذٍ فى صلب أبيك فأنت فى فضض لعنة الله». [٤]

ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلِّمها حتى انصرف. [٥]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - وَلَمْ يُجَرَّبْ عَلَيْهِ كَذْبَةٌ قَطُّ - ذَكَرَ عَنْهُ حِكَايَةً أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتْ بَيْعَةُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِمَرْوَانَ: جَعَلْتُمُوهَا وَالله هِرَقْلِيَّةً وَكِسْرَوِيَّةً - يَعْنِي جَعَلْتُمْ مُلْكَ الْمَلِكِ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ وَلَدِهِ- فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَنْزَلَ الله فِيكَ«وَالَّذِي قَالَ

---

(١)وشدَّة عائشة وعبد الرحمن رضي الله عنهما هنا على مروان الأمير ومخاطبته بهذه اللهجة، لأنهما مما يحتمل منهما ذلك، وإلا فاحترام الأمراء هو السنة كما بيَّنَّا في غير هذا الموطن، ولكن في ذلك الوقت قد كان الأُمراء يحتملون العلماء والصحابة ويصبرون عليهم فيحلمون عليهم إذا انبسطوا إليهم في الأغلب كما أشار ابن الجوزي. فراجع «الآداب الشرعية»(١/ ١٧٦) لابن مفلح الحنبلي، والقاضي عياض كما في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٥/ ٢٦٩).

(٢)عند ابن أبي خيثمة (١٧٨٥).

(٣)عند ابن أبي خيثمة.

(٤) وفي هذا الخبر الثابت تصحيح غلط الإمام ابن كثير في«تاريخه»(٨/ ٢٦٠):« وَيُرْوَى أَنَّهَا بَعَثَتْ إِلَى مَرْوَانَ تَعْتِبُهُ وَتُؤَنِّبُهُ وَتُخْبِرُهُ بِخَبَرٍ فِيهِ ذَمٌّ لَهُ وَلِأَبِيهِ لَا يَصِحُّ عَنْهَا» !

(٥)كما هي رواية ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٥) وكلها روايات ثابتة بالقصَّة.

لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ» [الأحقاف: ١٧] فقالت عائشة: مَا أَنْزَلَ الله فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْزَلَ عُذْرِي.(١)

محاولةُ أخذِ البَيعةِ من الكبارِ ليزيد

وروى البلاذري(٢) بسندٍ صحيح عَنْ صَالِحِ بْن كَيْسَانَ قَالَ: مات مُعَاوِيَةُ والوليدُ أميرٌ على مَكَّةَ والمدينةِ، وكان على مكة من قبله أخوه لأمه عبد الرحمن بْن نبيه، فكتب إليه يزيد يأمره أن يأخذ بيعة حسين بن علي وعبدِ الله بْن الزبير، فاستضعفه فِي ذلك فعزله، وأمَّر عمرو بْن سَعِيد الأشدق على المدينة ومكة، وأمَره أن يبعث إليه بابْن الزُّبَيْرِ فِي جامعة ولايؤخِّره، وبعث فِي ذلك النعمان بْن بشير وابن مسعدة الغفاري، وابن عضاه الأشعري، وبعث معهم بجامعة من فضة لتبرَّ يمينه، فلما قَدِمُوا قَالَ قائل وهو يُسمِع ابْن الزُّبَيْرِ ذلك:

خُذْهَا فليسَت للعزيزِ بسُبّة ... وفيها مَقَال لامرئٍ مُتَذَلِّل

فأبى أن يخرج معهم وقال: قولوا ليزيد يجعل يمينَه هذه من أيمانه التي يجب عليه أن يكفِّرها».

رأي الثلاثة: عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وابن عمر في استخلاف يزيد

أخرج أبو نعيم (٣) بسندٍ صحيح عن الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، أُخْبِرَ «أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدَ الله ابْنَ الزُّبَيْرِ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَائِذِينَ بِالْكَعْبَةِ مِنْ بَيْعَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ مَكَّةَ تَلَقَّاهُ

(١) ذكره ابن كثير(٨/ ٢٦٠)ما برز من الإسناد صحيح.

(٢) في «أنساب الأشراف» (٨١٢).

(٣) في «الحلية» (١/ ٣٣٠).

عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ بِالتَّنْعِيمِ فَضَاحَكَهُ مُعَاوِيَةُ وَسَأَلَهُ عَنِ الْأَمْوَالِ، وَلَمْ يَعْرِضْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي بَلَغَهُ، ثُمَّ لَقِيَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَتَفَاوَضَا مَعَهُ فِي أَمْرِ يَزِيدَ، ثُمَّ دَعَا مُعَاوِيَةُ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهُ: هَذَا صَنِيعُكَ أَنْتَ، اسْتَزْلَلْتَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، وَسَنَنْتَ هَذَا الْأَمْرَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ ثَعْلَبٌ رَوَّاغٌ لَا تَخْرُجُ مِنْ جُحْرٍ إِلَّا دَخَلْتَ فِي آخَرَ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «لَيْسَ بِي شِقَاقٌ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أُبَايِعَ رَجُلَيْنِ، أَيُّكُمَا أُطِيعُ بَعْدَ أَنْ أُعْطِيَكُمَا الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ؟ فَإِنْ كُنْتَ مَلَلْتَ الْإِمَارَةَ فَبَايِعْ لِيَزِيدَ، فَنَحْنُ نُبَايِعُهُ مَعَكَ». (١)

ثم قَامَ مُعَاوِيَةُ حِينَ أَبَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ حَدِيثَ النَّاسِ ذَاتُ غَوْرٍ (٢)، وَقَدْ كَانَ بَلَغَنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَحَادِيثَ وَجَدْتُهَا كَذِبًا، وَقَدْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا وَدَخَلُوا فِي صُلْحِ مَا دَخَلَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ». (٣)

---

(١) فهذا منهج عبد الله بن الزبير، ونصُ قوله، امتنع عن مبايعته فقط حتى لا يكون بايع لإمامين، وإنما هو إمام واحد، فلو بايع معاوية له أو استخلفه فلا إشكال عند ابن الزبير رضي الله عنه في دخوله في طاعته، والصحابة رضي الله عنهم على هذا النسق، فمتى كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه خارجاً على يزيد أصلاً؟

وهذا منهجه يُفصِح عنه إفصاحاً، ولم يكن ابن الزبير رضي الله عنه متلوّناً كشيوخ الضلالة المتلونين اليوم، الذين أقرُّوا وأفصحوا بمنهج أهل السنة، ثم خالفُوه وخَرَجَوا على أئمتهم !

وأنا أعلم أن لا بأس عند أهل الأهواء والبدع من القول بذلك إن كان فيه تمشية لبدعهم، ودفاعاً عن ضُلَّال شيوخهم! فما أقبحَ الهوي، نعوذ بالله منه.

(٢) لعل معناها كذب أو بعيد عن الحقيقة.

(٣) فها هم عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وابن عمر بشهادة معاوية دخلوا فيما دخلت فيه الأمة، فمتى كان خروج هؤلاء ونزع اليد من الطاعة؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين.

إشاعة غريبة عجيبة

فقد أخرج ابن سعد[١] بإسنادٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ لَيَقْتُلَنَّ ابْنَ عُمَرَ. فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ تَلَقَّاهُ النَّاسُ وَتَلَقَّاهُ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ فيمن تلقاه فقال: أيهن مَا جِئْتَنَا بِهِ. جِئْتَنَا لِتَقْتُلَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ! قَالَ: وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَمَنْ يقول هذا ومن يقول هذا؟ ثلاثا. كأنه ينكر.

وأخرج عقبها عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ لَيَقْتُلَنَّ ابْنَ عُمَرَ. قَالَ فَجَعَلَ أَهْلُنَا يَقْدُمُونَ عَلَيْنَا. وَجَاءَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَدَخَلا بَيْتًا وَكُنْتُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ. فَجَعَلَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ يَقُولُ: أَفَتَتْرُكُهُ حَتَّى يَقْتُلَكَ؟ وَالله لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلا أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي لَقَاتَلْتُهُ دُونَكَ. قَالَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَفَلا أَصْبِرُ فِي حَرَمِ الله؟ قَالَ وَسَمِعْتُ نَجِيَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ فَلَمَّا دَنَا مُعَاوِيَةُ تَلَقَّاهُ النَّاسُ وَتَلَقَّاهُ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ فَقَالَ: أيهن ما جئتنا به. جئت لِتَقْتُلَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ! قَالَ: وَالله لا أقتله.

وهذا يدل على أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما قال إنه سيقتل ابن عمر، وأنها كانت إشاعة، كما يحصل فى كل زمان نحو الأمراء، إشاعات لا حقيقة لها، والحمد لله، والله أعلم.

وقد أرَّخ خليفة بن خياط أخذ معاوية رضي الله عنه بالبيعة ليزيد سنة إحدى وخمسين، ولعل الأصوب ما ذكرناه هنا، والله أعلم .

وأخرج بسنده[٢] لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد، حج فقدم مكة في نحو من ألف رجل، فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر،

---

(١) في «طبقاته» (٤/ ١٨٣).

(٢) في «تاريخه» ص١٣١ .

فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنَه يزيدَ فقال: من أحق بهذا الأمر منه؟ ثم ارتحل فقدم مكة فقضى طوافه، ودخل منزله، فبعث إلى ابن عمر، فتشهد وقال: أما بعد يا بن عمر فإنك قد كنت تحد ثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وأن تسعى في فساد ذات بينهم، فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت أنت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث عملوا الخيار، وأنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم فقال: يرحمك الله، فخرج ابن عمر. وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فتشهد وأخذ في الكلام، فقطع عليه كلامه فقال: إنك والله لوددت أنَّا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لنفرنها عليك جذعه ثم وثب فقام. فقال معاوية: اللهم اكفنيه بما شئت، ثم قال: على رسلك أيها الرجل لا تشرفن بأهل الشام فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك. ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال: يا بن الزبير عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما، فتكلم ابن الزبير فقال: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها، وهلم ابنك فلنبايعه، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمع؟ لأيكما نطيع؟ لا نجمع البيعة لكما والله أبداً.

ثم قام فراح معاوية فصعد المنبر فحمد ولكن هذ أخرجه خليفة بن خياط من طريق النعمان بن راشد عن الزهري عن ذكوان مولى عائشة به.

والنعمان بن راشد سيئ الحفظ ، وقد خالف فيما روي المروي عن الثقات، فهذه الرواية منكرة، وهي خلاف مذهب ابن عمر رضي الله عنه وطريقته.

بل أخرج خليفة بن خياط نفسه في «تاريخه» بسندٍ صحيح عن أَيُّوب عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَطَبَ مُعَاوِيَةُ، فَذَكَرَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: والله لَيُبَايِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ الله فأخبره، فبكى ابن عمر، فقدم معاوية مكة، فنزل بذي طوى، فخرج إليه عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ تَقْتُلُ عَبْد الله بْنَ عُمَرَ إن لم يبايع ابنك؟ فقال: أأنا أَقْتُلُ ابْنَ عُمَرَ! والله لا أَقْتُلُهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَفَاةَ أُمِّ حَرَام بِنْتِ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةِ امْرَأَةِ عبادة بن عُبادة بْنِ الصَّامِتِ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي لَمْ يَذْكُرِ الْعُلَمَاءُ غَيْرَهُ أَنَّهَا تُوُفِّيَتْ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا مَعَ معاوية حين دخل قبرص، وقصتها بغلتها فماتت هناك وقبرها بقبرص، وَالْعَجَبُ أَنَّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ أَوْرَدَ فِي تَرْجَمَتِهَا حَدِيثَهَا الْمُخَرَّجَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي قَيْلُولَةِ، النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهَا، وَرُؤْيَاهُ فِي مَنَامِهِ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ الْبَحْرِ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله، وَأَنَّهَا سَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ نام فرأى كذلك، فقالت: ادعو الله أن يجعلني منهم، فقال: « **لا! أنت من الأوَّلين**».[1]

وهم الذين فتحوا قبرص فَكَانَتْ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْآخِرِينَ الَّذِينَ غَزَوْا بِلَادَ الرُّومِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُمْ أَبُو أَيُّوبَ.[2]

ثم دخلت سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ أَخُو عُبَادَةَ وَسَهْلٍ ابْنَيْ

(١) أخرجه البخاري(٢٧٨٨) ومسلم (١٩١٢).

(٢) قاله الحافظ في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٥٢).

حُنيف، بَعَثَهُ عُمَرُ لِمَساحَةِ خَرَاجِ السَّوَادِ بِالْعِرَاقِ، وَاسْتَنَابَهُ عُمَرُ عَلَى الْكُوفَةِ...
حكاه ابن كثير[١] وقال:

«وَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَرَّخَ وَفَاتَهُ بِهَذِهِ السَّنَةِ سِوَى ابْنِ الجوزي والله أعلم».

وحكى عن الواقدي قال:وَفِي شَوَّالِهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ الَّذِي حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، لِأَنَّهُ صَارَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ الْمَدِينَةِ.

ثم دخلت سنةُ ثمانٍ وخمسين

في هذه السنة توفي يَزِيد بْنُ شَجَرة، وهو مختلف في صحبته ، حديثه قال :سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« مَا تَقَدَّمَ رَجُلٌ خُطْوَةً إِلَّا اطَّلَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الْحُورَ الْعِينَ وَإِنْ تَأَخَّرَ اسْتَتَرْنَ عَنْهُ وَإِنِ اسْتُشْهِدَ كَانَ أَوَّلُ نَفْحَةٍ مِنْ دَمِهِ كَفَّارَةَ خَطَايَاهُ وَيُنَزَّلُ إِلَيْهِ اثْنَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَتَنْفُضَانِ عَنْهُ التُّرَابَ ، وَتَقُولَانِ: مَرْحَبًا؛ فَقَدْ آنَ لَكَ ، وَيَقُولُ: مَرْحَبًا فَقَدْ آنَ لَكُمَا »، ولكن الحديث لا يصح.[٢]

قال ابن كثير[٣]: وَفِيهَا وَلَّى مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الثَّقفي، ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ، وَأُمُّ الْحَكَمِ هِيَ أُخْتُ مُعَاوِيَةَ، وَعَزَلَ عَنْهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ، فَوَلَّى ابْنَ أُمِّ الْحَكَمِ عَلَى شُرْطَتِهِ زَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ، وَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ فِي أَيَّامِ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ، وَكَانَ رَئِيسَهُمْ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ حَيَّانُ بن ضبيان السُّلَمِيُّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه هناد في«الزهد»(١٨٥) والطبراني في«الكبير» .

(٣) في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٥٤).

جَيْشًا فَقَتَلُوا الْخَوَارِجَ جَمِيعًا[1]، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أُمِّ الْحَكَمِ أَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ طَرِيدًا، فَرَجَعَ إِلَى خَالِهِ مُعَاوِيَةَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ،

فَقَالَ: لَأُوَلِّيَنَّكَ مِصْرًا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَوَلَّاهُ مِصْرَ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا تَلَقَّاهُ مُعَاوِيَةُ بن خديج عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ مِصْرَ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إلى خالك معاوية، فلعمري لا ندعك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتك في إخواننا أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَرَجَعَ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ إِلَى معاوية ولحقه معاوية بن خديج وافداً على معاوية، فلما دخل عليه وجده عِنْدَهُ أُخْتَهُ أُمَّ الْحَكَمِ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّذِي طَرَدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ مِصْرَ، فَلَمَّا رَآهُ مُعَاوِيَةُ قَالَ: بخ بخ، هَذَا معاوية بن خديج، فقالت أم الحكم: لأمر حبابه، تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ، فَقَالَ معاوية بن خديج: عَلَى رِسْلِكِ يَا أُمَّ الْحَكَمِ، أَمَا وَالله لَقَدْ تزوجتِ فَمَا أُكرمتِ، وولدتِ فَمَا أنجبتِ، أَرَدْتِ أَنْ يَلِيَ ابْنُكِ الْفَاسِقُ عَلَيْنَا فَيَسِيرَ فينا كما سار في إخواننا أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَمَا كَانَ الله لِيُرِيَهُ ذَلِكَ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَضَرَبْنَاهُ ضَرْبًا يُطَأْطِئُ مِنْهُ رأسه- أو قال لضربنا ما صاصا منه- وإن كره ذلك الجالس- يعني معاوية- فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ فَقَالَ: كُفِّي.

فالله أعلم بما حصل فلم أقف لذلك على إسناد.

وفي هذه السنة توفي شداد بن أوس رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو الذي دخل على النبي ﷺ وهو على فراش الموت وعائشة مسندته إلى صدرها ـ وأخذت منه السواك وهيأته لرسول الله ﷺ.

وتقدم قوله رضي الله عنه لِمَرْوَانَ: جَعَلْتُمُوهَا وَالله هِرَقْلِيَّةً وَكِسْرَوِيَّةً - يَعْنِي جَعَلْتُمْ

---

(١) وقال في(٨/ ٢٥٤):« وَجَرَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فُصُولٌ طَوِيلَةٌ بَيْنَ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ وَالْخَوَارِجِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كثيرا وجماً غَفِيرًا، وَحَبَسَ مِنْهُمْ آخَرِينَ، وَكَانَ صَارِمًا كَأَبِيهِ مقداماً في أمرهم وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ » .

مُلْكَ الْمُلْكِ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ وَلَدِهِ- فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَنْزَلَ الله فِيكَ«وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ» [الأحقاف: ١٧] فقالت عائشة: مَا أَنْزَلَ الله فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْزَلَ عُذْرِي.(١)

وممن توفي في هذه السنة عبيد الله بن عباس رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ، ابن عم النبي ﷺ قيل كان أصغر من أخيه عبد الله بن عباس بسنة، أمهما وأم أخيهما الثالث الفضل وغيرهم: لبَابَة بنت الْحَارِث الْهِلَالِيَّة رضي الله عنها أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

وفيها توفيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **أحب** الناس إلى رسول الله ﷺ، تكنَّت بابن اختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، لم ينزل عليه الوحي على النبي ﷺ في لحاف امرأة غيرها،تَزَوَّجَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَحَظِيَتْ عِنْدَهُ.

وَلَمَّا تَكَلَّمَ فِيهَا أَهْلُ الْإِفْكِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ غَارَ الله لَهَا، فَأَنْزَلَ لَهَا بَرَاءَتَهَا فِي عَشْرِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ تُتْلَى عَلَى تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ، أعلم النساء بالشرع والطب

قال عُرْوَةَ بن الزبير ابن اختها قَالَ: لَقَدْ صَحِبْتُ عَائِشَةَ رَحِمَهَا الله حَتَّى قُلْتُ قَبْلَ وَفَاتِهَا بِأَرْبَعِ سِنِينَ أَوْ خَمْسٍ: لَوْ تُوُفِّيَتِ الْيَوْمَ مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ فَاتَنِي مِنْهَا ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَعْلَمَ بِآيَةٍ أُنْزِلَتْ وَلَا بِفَرِيضَةٍ وَلَا بِسُنَّةٍ وَلَا أَعْلَمَ بِشِعْرٍ وَلَا أَرْوَى لَهُ ، وَلَا بِيَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَلَا بِنَسَبٍ وَلَا بِكَذَا وَلَا بِكَذَا وَلَا بِقَضَاءٍ وَلَا بِطِبٍّ مِنْهَا. فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّهْ ، الطِّبُّ مِنْ أَيْنَ عِلْمْتِيهِ؟. فَقَالَتْ: كُنْتُ أُمَرِّضُ فَيُنْعَتُ لِيَ الشَّيْءُ وَيَمْرَضُ الْمَرِيضُ فَيُنْعَتُ لَهُ فَيَنْتَفِعُ فَأَسْمَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فَأَحْفَظُهُ. قَالَ عُرْوَةُ: فَلَقَدْ ذَهَبَ عَنِّي عَامَّةُ عِلْمِهَا لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ.(٢)

---

(١) ومعناه صحيح كما تقدم بيانه.

(٢) وقد خرَّجته في كتابي«رسالة إلى العاملين في الحقل الطبي» .

ومع كل المناقب الرفيعة فقد كانت من التواضع بمقام.

ولما قال لها ابن عباس: «...وَأَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، جَاءَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ للهِ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ الله يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ، إلا يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَقَالَتْ: دَعْنِي مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا...[1]

ولقد ألِّفت في مناقبها المؤلَّفات رضي الله عنها.

وَكَانَ عُمْرُهَا يَوْمَئِذٍ(يوم وفاتها) سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً ؛ لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَعُمْرُهَا ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ عُمْرُهَا عَامَ الْهِجْرَةِ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ. فَالله أَعْلَمُ.[2]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الْحُطَيْئَةُ الشَّاعِرُ

وَاسْمُهُ جَرْوَلُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَالِكٍ، وقيل: أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَأَسْلَمَ فِي زَمَنِ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْهِجَاءِ، والله أعلم .

وتوفي في هذه السنة قيس بن سعد بن عبادة الْخَزْرَجِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ كَأَبِيهِ، لَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ حَدِيثٌ، وَهُوَ الْقِيَامُ لِلْجِنَازَةِ.لما مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ:إِنَّهَا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٠) بسندٍ جيد عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) كما قال ابن كثير في«البداية النهاية»(٨/ ٢٣٣) وقد نوهت على دليل ذلك في كتابي«همم صغار الأمَّة» يسر الله إخراجه.

جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا**». (١)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ كَانَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرَطِ مِنَ الأَمِيرِ». (٢)

وَحَمَلَ لِوَاءَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ، وله ترجمة حافلة، حَرِى بأن تُفرد شَخصيتُه بالكتابة كأبيه رضي الله عنهما.

تنبيه على خبر بشأنه رضي الله عنه لا يثبت:

أخرج ابن عساكر (٣) عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ قَدِمَ قَيْسُ بْنُ سعد على معاوية فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: وَأَنْتَ يَا قَيْسُ تُلْجِمُ عَلَيَّ مَعَ مَنْ أَلْجَمَ؟ أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كنت أحب أن لا تأتيني هَذَا الْيَوْمَ إِلَّا وَقَدْ ظَفِرَ بِكَ ظُفْرٌ مِنْ أَظَافِرِي مُوجِعٌ، فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ: وَأَنَا وَاللهِ قَدْ كُنْتُ كَارِهًا أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمُقَامِ فَأُحَيِّيَكَ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: وَلِمَ؟ وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا حَبْرٌ مِنْ أحبار اليهود؟ فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ: وَأَنْتَ يَا مُعَاوِيَةُ كُنْتَ صَنَمًا مِنْ أَصْنَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَارِهًا، وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَائِعًا، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللَّهمّ غَفْرًا، مُدَّ يَدَكَ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: إِنْ شِئْتَ. زِدْتَ وَزِدْتُ.

فهذا منقطع لم يسمع ابن عيينة من الصحابة رضي الله عنهم، مع نكارة في متنه!

كيف يخاطب الصحابي أميره بهذا، فيقول له: « **وَأَنْتَ يَا مُعَاوِيَةُ كُنْتَ صَنَمًا مِنْ أَصْنَامِ الْجَاهِلِيَّةِ**» فيعيِّره بذنب مضى قد هدمه الإسلام، إذ الإسلام يجب ما قبله؟!

---

(١) كما في صحيح البخاري(١٣١٢) ومسلم (٩٦١).

(٢) أخرجه البخاري(٧١٥٥).

(٣) في«تاريخ دمشق»(٤٩/ ٣٩٩).

ويقول له:« **دَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ كَارِهًا، وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَائِعًا** » يخرجه من الإسلام، وهل كان اطلع على قلبه، ولمعاوية من المناقب والمحاسن ما يفرد في كتاب ربما أكثر من قيس نفسه، رضي الله عنهما.

وفي هذه السنة توفي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ الْمُزَنِيُّ رضي الله عنه صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، شَهِدَ الحديبية، وكان هو الذي كان يَرْفَعُ أَغْصَانَ الشَّجَرَةِ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ تَحْتَهَا، وَكَانَتْ مِنَ السَّمُرِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[الفتح: ١٨] وَقَدْ وَلَّاهُ عُمَرُ إِمْرَةَ الْبَصْرَةِ فَحَفَرَ بِهَا النَّهْرَ الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ، فَيُقَالُ نَهْرُ مَعْقِلٍ، كان جريئاً ناصحاً لأميره.

ومعقلُ بن يسار رضي الله عنه من الصحابة الذين كذب عليهم وأُلصق به بدعة الخروج على السلطان، ولعلهم عدُّوا كل من مات في هذه السنة كلهم ممن خرج على حاكمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحاصل ما كان من شأنه رضي الله عنه:

ما أخرجه ابن سعد[1] قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ زِيَادٍ الأَشْجَعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَحَمَلَ لِوَاءَ قَوْمِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ. وَكَانَ شَابًّا ظَرِيفًا وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَبَعَثَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ. بِبَيْعَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.فَقَدِمَ الشَّامَ فِي وَفْدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاجْتَمَعَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ وَمُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الَّذِي يُعْرَفُ بِمُسْرِفٍ. قَالَ فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ لِمُسْرِفٍ وَقَدْ كَانَ آنَسَهُ وَحَادَثَهُ إِلَى أَنْ ذَكَرَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. فَقَالَ: إِنِّي خَرَجْتُ كَرْهًا بِبَيْعَةِ هَذَا الرَّجُلِ. وَقَدْ كَانَ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

(١) في«الطبقات الكبرى»(٤/ ٢١٢-٢١٣).

خُرُوجِي إِلَيْهِ. رَجُلٌ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَنْكِحُ الْحُرُمَ. ثُمَّ نَالَ مِنْهُ فَلَمْ يَتْرُكْ. ثُمَّ قَالَ لِمُسْرِفٍ: أَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ ذَلِكَ عِنْدَكَ. فَقَالَ مُسْرِفٌ: أَمَّا أَنْ أَذْكُرَ ذَلِكَ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمِي هَذَا فَلا وَاللهِ لا أَفْعَلُ. وَلَكِنْ للهِ عَلَيَّ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ أَلا تُمْكِنِّي يَدَايَ مِنْكَ وَلِي عَلَيْكَ مَقْدِرَةٌ إِلا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ. فَلَمَّا قَدِمَ مُسْرِفٌ الْمَدِينَةَ أَوْقَعَ بِهِمْ أيام الحرة. كان مَعْقِلٌ يَوْمَئِذٍ صَاحِبَ الْمُهَاجِرِينَ فَأَتَى بِهِ مُسْرِفٌ مأسوراً فقال له: يا مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ أَعَطِشْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ. فَقَالَ: خُوضُوا لَهُ شَرْبَةً بِلَوْزٍ.

فَخَاضُوا لَهُ فَشَرِبَ فَقَالَ لَهُ: أَشَرِبْتَ وَرَوِيتَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَمَا وَاللهِ لا تَسْتَهْنِي بِهَا. يَا مُفَرِّجُ قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ.

قَالَ ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ. ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ:

قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ فَقَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ عُنُقَهُ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا كُنْتُ لأَدَعَكَ بَعْدَ كَلامٍ سَمِعْتُهُ مِنْكَ تَطْعَنُ فِيهِ عَلَى إِمَامِكَ. قَالَ فَقَتَلَهُ صَبْرًا. وَكَانَتِ الْحَرَّةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ فَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَلا تِلْكُمُ الأَنْصَارُ تَنْعَى سَرَاتَهَا ... وَأَشْجَعُ تَنْعَى مَعْقِلَ بْنَ سِنَانٍ.

وهذا لا يصح سنده، بل هو ضعيف جداً من قبل محمد بن عمر الواقدي، وهو متروك، بل الظاهر أن معقل رضي الله عنه مات قبل تولية يزيد بن معاوية رضي الله عنه.

فلماذا الكذب على الصحابة رضي الله عنهم بدعوى أنه خرج على إمامه، واغتيابه؟

ولقد جرَّمتُ نسبة الخروج على الأمراء إليه في كتابي«إلقاء القمامة في أفواه القائلين بخروج الصحابة» فالحمد لله.

وممَّن توفِّي فِي هَذِهِ السَّنة: أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر حافظ

الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم حديثا، مشهور كناه النبي ﷺ «أبا هر» المحبَّب هو وأمه لعباد الله المؤمين، له مع أمه برّ عجيب رضي الله عنه تناولناه في كتابنا «الصحيح من بر الوالدين وفقه التعامل معهما». له مع طلب العلم على شبع بطنه أحوال.

أسلم بعد خيبر بعد ما فرغوا من القتال. وتناوُل شخصيته بالكتابة يحتاج إلى سفر كبير. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

دخلت سنة ستين من الهجرة النَّبوِّية

وفي هذه السنة أحداث عظام في هذه الأمة مما لم يكن مثلها لا قبل ولا بعد

والظاهر أن النبي ﷺ أخبر عن هذه السنة ، وقد دلَّنا على ذلك أخبار:

فمنها: ما رواه عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يمْشِيَ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي سَنَةُ السِّتِّينَ ، وَيْحَكُمْ، تَمَسَّكُوا بِصُدْغَيْ مُعَاوِيَةَ ، اللهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ» . وَهُمَا إِنَّمَا يَقُولَانِ مِثْلَ هَذَا الشَّيْءِ سَمِعَاهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.(١)

والمعنى: أنه يقول: اتبعوا رأي معاوية رضي الله عنه وسيرته، لا تحيدوا عما فى رأسه من اختيار لكم..

وعند أبي زرعة فى الرواية: قال: «فتوفي أبو هريرة فيها أو قبلها بسنة» .

وقد أورد ابن كثير الحديث تحت باب: إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْفِتَنِ بَعْدَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه .

ولعلَّ هذا مما أَخبر به رسول الله ﷺ أبا هريرة على وجه أن يخبر به في ظروف

---

(١) أخرجه أبو زرعة فى «تاريخه» ص ٢٣١ مختصراً، والبيهقي فى «الدلائل» (٦/ ٤٦٦) وأبو العباس الأصم فى «الثاني من حديثه» (١٠٦)، وأبو العباس العبيدي فى «إمتاع الأسماع» (١٢/ ٢٣٢، ١٤/ ١٤٠) عن عمير بن هانئ به . وبعضهم يرويه مختصراً. وإسناده صحيح رجاله ثقات.

وبطريقة معينة، ففعل أبو هريرة ما أُذن له في تبليغه، وعلى الوجه المأذون له فيه.

فقد أخرج البخاري[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: « حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ» .

قال ابن كثير[٢]:«وَهَذَا الْوِعَاءُ الَّذِي كَانَ لَا يَتَظَاهَرُ بِهِ هُوَ الْفِتَنُ وَالْمَلَاحِمُ وَمَا وَقَعَ بَيْنَ النَّاس مِنَ الْحُرُوبِ وَالْقِتَالِ، وَمَا سَيَقَعُ الَّتِي لَوْ أَخْبَرَ بِهَا قَبْلَ كَوْنِهَا لَبَادَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَرَدُّوا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ: لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّكُمْ تَقْتُلُونَ إِمَامَكُمْ وَتَقْتَتِلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالسُّيُوفِ لَمَا صَدَّقْتُمُونِي».

وأخرج البخاري[٣]عن سَعِيدٍ الأُمَوِيّ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فَسَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ، يَقُولُ: «**هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**»، فَقَالَ مَرْوَانُ: غِلْمَةٌ[٤]؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِي فُلاَنٍ، وَبَنِي فُلاَنٍ.

وفي رواية[٥]:قال عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ:أَخْبَرَنِي جَدِّي، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَمَعَنَا مَرْوَانُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ يَقُولُ: «**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**» فَقَالَ مَرْوَانُ: لَعْنَةُ الله عَلَيْهِمْ غِلْمَةً. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلاَنٍ،

---

(١) برقم (١٢٠).

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٧٨).

(٣) برقم(٣٦٠٥) .

(٤)غلمة:جمع قلة غلام وهو هنا من طر شاربه والمراد أنهم لم يخبروا الأمور بعد فيكون منهم سفاهة وطيش وإضرار بالأمة.

(٥) في صحيح البخاري(٧٠٥٨) أيضاً.

وَبَنِي فُلاَنٍ، لَفَعَلْتُ. فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَرْوَانَ حِينَ مُلِّكُوا بِالشَّأْمِ، فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا قَالَ لَنَا : عَسَى هَؤُلاَءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟ قُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ.

فهذا مشعر بأن النبي ﷺ قد قال في هذا شيئاً، ولم يكن من الحكمة في ذلك الوقت أن يخبر أبو هريرة به على الوجه الذي يعلمه ، كما أخبر ﷺ حذيفة بأسماء المنافقين ولم يخبر حذيفة بأسمائهم، والله أعلم .

بعض ما كان في هذه السنة من الأحداث

فِيهَا أَخَذَ مُعَاوِيَةُ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ مِنَ الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا صُحْبَةَ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ إِلَى دِمَشْقَ، وَفِيهَا مَرِضَ مُعَاوِيَةُ مَرَضَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فِي رَجَبٍ مِنْهَا.(١)

وقد ورد أَنَّ مُعَاوِيَةَ: لَمَّا مَرِضَ مَرْضَتَهُ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا، دَعَا ابْنَهُ يَزِيدَ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ كَفَيْتُكَ الرِّحْلَةَ وَالرِّجَالَ، وَوَطَّأْتُ لَكَ الْأَشْيَاءَ، وَذَلَّلْتُ لَكَ الْأَعْدَاءَ، وَأَخْضَعْتُ لَكَ أَعْنَاقَ الْعَرَبِ، وَإِنِّي لَا أَتَخَوَّفُ أَنْ يُنَازِعَكَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اسْتَتَبَّ لَكَ إِلَّا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ ؛ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ – كَذَا قَالَ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ قَدْ تُوُفِّيَ قَبْلَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ بِسَنَتَيْنِ كَمَا قَدَّمْنَا – فَأَمَّا ابْنُ عُمَرَ فَرَجُلٌ قَدْ وَقَذَتْهُ الْعِبَادَةَ، وَإِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ غَيْرُهُ بَايَعَكَ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَا يَدَعُونَهُ حَتَّى يُخْرِجُوهُ، فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْكَ فَظَفِرْتَ بِهِ فَاصْفَحْ عَنْهُ، فَإِنَّ لَهُ رَحِمًا مَاسَّةً، وَحَقًّا عَظِيمًا، وَأَمَّا ابْنُ أَبِي بَكْرٍ فَرَجُلٌ إِنْ رَأَى أَصْحَابَهُ صَنَعُوا شَيْئًا صَنَعَ مِثْلَهُ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا فِي النِّسَاءِ وَاللَّهْوِ، وَأَمَّا الَّذِي يَجْثُمُ لَكَ جُثُومَ الْأَسَدِ، وَيُرَاوِغُكَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ، وَإِذَا أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ وَثَبَ، فَذَاكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَإِنْ هُوَ فَعَلَهَا بِكَ فَقَدَرْتَ عَلَيْهِ فَقَطِّعْهُ إِرْبًا إِرْبًا.

ولكن لا أرى يَصح بهذا سند فيما وقفت عليه ولا يليق بمعاوية رضي الله عنه أن يتكلَّم

(١) «البداية النهاية»(٨/ ٢٨٨).

بمثل الكلام.[١]

والذي يظهر أن معاوية بن أبي سفيان اجتهد بنظره فاختار ولده للإمارة لخبرته في الحروب وسياسة الناس وقد كان أميراً في الحروب وتحت إمرته الصحابة الكبار رضي الله عنهم، وهو من أهل الاجتهاد، ولم يكن اختياره نابعاً من عصبية لولده يزيد، وحاشاه رضي الله عنه من ذلك، ومعاوية يعلم أن من الصحابة من هم أتقى وأعلم وأفضل من يزيد، ولكن رأى باجتهاده أن يزيد ولده مؤهَّلاً لهذه المهمة،والله أعلم.

وصية معاوية رضي الله عنه

لا أعلم سنداً صحيحاً يحمل لنا وصية معاوية رضي الله عنه لولده أو لغيره رضي الله عنه.

وقد قال البلاذري[٢] حدثني عباس بْن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة وغيره قالوا: لما حضرت مُعَاوِيَة الوفاة وذلك فِي سنة ستين كان يزيد غائبًا، فدعا مُعَاوِيَةُ الضحاكَ بْنَ قَيسٍ الفهري، وكان على شُرطِه، ومسلمَ بن عقبة بن رباح بْن أسعد المري، فأوصي إليهما فَقَالَ: بلغا يزيد وصيتي، وكتب فيها: يا بني انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب عنك من وجوههم، وانظر أهل العراق، وإن سألوك أن تعزل عنهم فِي كل يوم عاملًا فافعل، فإن عزل

---

(١) وقد ذكر ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٢٨٨-٢٨٩) سنداً عند الطبري مِنْ طَرِيقِ أَبِي مِخْنَفٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا مَرِضَ مَرْضَتَهُ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا، دَعَا ابْنَهُ يَزِيدَ... وأبو مخنف لوط بن يحيي متروك.

وأخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف»(٥/ ١٤٤) حدثني عن عبد الحميد بْن حبيب عَنْ أشياخه قالوا: لما أخذ مُعَاوِيَة البيعة ليزيد على أهل الحجاز وقدم الشام قَالَ له: يا بني إني قد وطأت لك الأمور وأخضعت لك أعناق العرب...وفي إسناده أشياخ مبهمون، فلا يصح أيضاً.

(٢) في «أنساب الأشراف» (٥/ ١٤٦).

عامل أهون عليك من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فإنهم بطانتك وعيبتك فإذا رابك من عدو شيء فانتصر بهم ثم ردَّهم إلى بلادهم فإن هم أقاموا فِي غيرها فسدت أخلاقهم.

ولا يصح سند بهذا، والله أعلم.

إنصافُ معاويةَ رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

وهو على فراش الموت

أخرج ابن أبي عاصم[1] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَبِهِ قُرْحَتُهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي، ادْنُ فَانْظُرْ» فَرَأَيْتُهَا مَبْسُورَةً، فَدَعَا يَزِيدَ فَقَالَ: «إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ لِي أَخًا فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ لِي أَخًا غَيْرَ أَنِّي وَإِيَّاهُ اخْتَلَفْنَا فَرَأَيْتُ الْقِتَالَ وَلَمْ يَرَهُ».

وفاة معاوية رضي الله عنه

قال الطبري:« وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ هَلَكَ فِي رَجَبٍ مِنْهَا، وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ اسْتِقْلَالًا مِنْ جُمَادَى سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ حِينَ بَايَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ باذرج، فذلك تسع عشرة سنة وثلاث أَشْهُرٍ، وَكَانَ نَائِبًا فِي الشَّامِ عِشْرِينَ سَنَةً تقريباً، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ: وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ ثَمَانِيًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ».[2]

---

(١) في«الآحاد والمثاني»(٥١٧).

(٢) حكاه عنه ابن كثير في «البداية والنهاية»(٨/ ٢٨٩).

وقال أبو مسهر: أقام عشرين سنة إلا أشهراً، وكانت وفاته سنة ستين.[١]

بشارة هند بنت عتبة رضي الله عنهما بإنجابها معاوية قبل زواجها من أبيه أبي سفيان

أخرج الآجري وابن عساكر[٢] بسنده عَنْ حُمَيْدِ بْنِ مُنْهِبٍ قَالَ: كَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ عِنْدَ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَكَانَ الْفَاكِهُ مِنْ فتيَانِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ لِلضِّيَافَةِ يَغْشَاهُ النَّاسُ عَلَى غَيْرِ إِذْنٍ، فَخَلَا ذَلِكَ الْبَيْتُ يَوْمًا وَاضْطَجَعَ الْفَاكِهُ وَهِنْدٌ فِيهِ فِي وَقْتِ الْقَائِلَةِ ثُمَّ خَرَجَ الْفَاكِهُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، وَأَقْبَلَ رَجُلٌ كَانَ يَغْشَاهُ فَوَلَجَ الْبَيْتَ، فَلَمَّا رَأَى الْمَرْأَةَ، يَعْنِي هِنْدًا وَلَّى هَارِبًا وَأَبْصَرَهُ الْفَاكِهُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْبَيْتِ، فَأَقْبَلَ إِلَى هِنْدٍ فَضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ عِنْدَكِ ؟

قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، وَلَا انْتَبَهْتُ حَتَّى أَنْبَهْتَنِي؛ قَالَ لَهَا: الْحَقِي بِأَبِيكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا النَّاسُ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: يَا بُنَيَّةُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكِ فَأَنْبِئِينِي نَبَأَكِ ، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ عَلَيْكِ صَادِقًا دَسَسْتُ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ فَتَنْقَطِعُ عَنْكِ الْقَالَةُ ، وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا حَاكَمْتُهُ إِلَى بَعْضِ كُهَّانِ الْيَمَنِ، فَحَلَفْتُ لَهُ بِمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّهُ لَكَاذِبٌ عَلَيْهَا. فَقَالَ عُتْبَةُ لِلفَاكِهِ: يَا هَذَا إِنَّكَ قَدْ رَمَيْتَ ابْنَتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَحَاكِمْنِي إِلَى بَعْضِ كُهَّانِ الْيَمَنِ ، فَخَرَجَ الْفَاكِهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، وَخَرَجَ عُتْبَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِهِنْدٍ ، وَنِسْوَةٌ مَعَهَا ، فَلَمَّا شَارَفُوا الْبِلَادَ قَالُوا: غَدًا نَرِدُ عَلَى الْكَاهِنِ ، فَتَنَكَّرَتْ حَالُ هِنْدٍ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهَا ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: إِنِّي قَدْ أَرَى مَا بِكِ مِنْ تَنَكُّرِ الْحَالِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَكْرُوهٍ عِنْدَكِ ، فَأَلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ

---

(١) كما روى ذلك عنه أبو زرعة في«تاريخه» رقم (١٠٥).

(٢) أخرجه الآجري في«الشريعة»(٥/ ٢٤٧١ رقم(١٩٦٤) وابن عساكر في«تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٦٨).

نُشْهِدَ النَّاسَ مَسِيرَنَا ، قَالَتْ: لَا وَاللهِ يَا أَبَتَاهُ مَا ذَاكَ لِمَكْرُوهٍ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ إِنَّكُمْ تَأْتُونَ بَشَرًا يُخْطِئُ وَيُصِيبُ ، وَلَا آمَنُهُ أَنْ يَسِمَنِي مَيْسَمًا يَكُونُ عَلَيَّ سُبَّةً فِي الْعَرَبِ ، قَالَ: إِنِّي سَوْفَ أَخْتَبِرُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَمَرِكِ فَضَفَرَ بِفَرَسٍ حَتَّى أَدْلَى ثُمَّ أَخَذَ حَبَّةً مِنْ حِنْطَةٍ فَأَدْخَلَهَا فِي أَحْلِيلِهِ وَأَوْكَأَ عَلَيْهَا بِسَيْرٍ ، فَلَمَّا وَرَدُوا عَلَى الْكَاهِنِ أَكْرَمَهُمْ وَنَحَرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا تَغَدَّوْا ، قَالَ لَهُ عُتْبَةُ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكَ فِي أَمَرٍ وَإِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبْئًا أَخْتَبِرُكَ بِهِ؛ فَانْظُرْ مَا هُوَ؟

قَالَ: تَمْرَةٌ فِي كَمَرَةٍ ، قَالَ: أُرِيدُ أَبْيَنَ مِنْ هَذَا؛ قَالَ: حَبَّةٌ مِنْ بُرٍّ فِي إِحْلِيلِ مُهْرٍ؛ قَالَ: صَدَقْتَ ، انْظُرْ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ، فَجَعَلَ يَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ فَيَضْرِبُ لَعَلَّهَا كَنَفُهَا وَيَقُولُ: انْهَضِي، حَتَّى دَنَا مِنْ هِنْدَ فَضَرَبَ لَعَلَّهَا كَنَفُهَا وَقَالَ: انْهَضِي غَيْرَ وَسْخَاءٍ وَلَا زَانِيَةٍ وَلَتَلِدْنَ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ: مُعَاوِيَةُ، فَوَثَبَ إِلَيْهَا الْفَاكِهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا ، فَنَثَرَتْ يَدَهَا مِنْ يَدِهِ وَقَالَتْ: إِلَيْكَ فَوَاللهِ لَأَحْرِصَنَّ عَلَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِكَ ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو سُفْيَانَ فَجَاءَتْ بِمُعَاوِيَةَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

ولكن هذا لا يصح به سند، فحُمَيْدُ بْنُ مِنْهَبٍ لا أعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد قيل له صحبة ولا يصح ذلك، وفيه زَحْرُ بْنُ حِصْنٍ– وتصحف عند الآجري إلى عمر بن زحر بن حصن،وفي «البداية والنهاية»[1]:«عَمُّ أَبِي زَحْر بْن حِصْنٍ» وصوابه ما عند ابن عساكر وهو عم والد زَكَرِيَّا بن يحيى بن عمر بن حصين فعلاً[2]:- قال الذهبي في«الميزان»(٣): «لا يعرف».

---

(١) (٨/ ٢٨٩).

(٢) فقد قال الخطيب في «تاريخ بغداد»(٨/ ٤٥٨):« قدم بَغْدَاد، وَحدث بها عَنْ عم أبيه زحر بْن حصن ».

(٣) في«ميزان الاعتدال»(٢/ ٦٩).

وقد أخرج الدينوري وغيره عَنْ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ؛ قَالَ: رَأَى بَعْضُ مُتَفَرِّسِيِّ الْعَرَبِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَظُنُّ هَذَا الْغُلامَ سَيَسُودُ قَوْمَهُ. فَقَالَتْ هِنْدُ: ثَكِلْتُهُ إِنْ كَانَ لا يَسُودُ إِلا قَوْمَهُ. (١)

وصالح بن حسان متروك.

وأخرج ابن عساكر (٢) بسنده عن الشَّافعي قَالَ أبو هريرة: رأيت هنداً بِمَكَّةَ كَأَنَّ وَجْهَهَا فِلْقَةُ قَمَرٍ، وَخَلْفَهَا مِنْ عجيزتها مثل الرجال الْجَالِسِ، وَمَعَهَا صَبِيٌّ يَلْعَبُ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَرَى غُلَامًا إِنْ عَاشَ لَيَسُودَنَّ قَوْمَهُ، فَقَالَتْ هِنْدُ: إِنْ لَمْ يَسُدْ إِلَّا قَوْمَهُ فَأَمَاتَهُ الله.

ولا يصح هذا ، فبين الشافعي والحدث مفاوز، وفي السند الحسن بن علي بن الأشعث المصري الأظهر جهالة حاله.

وقال ابن سعد(٣) حدثنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي سَيْفٍ قَالَ: نَظَرَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمًا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ فَقَالَ لِهِنْدَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا لَعَظِيمُ الرَّأْسِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ أَنْ يَسُودَ قَوْمَهُ. فَقَالَتْ هِنْدُ: قَوْمَهُ فَقَطْ؟ ثَكِلْتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً وَكَانَتْ هِنْدُ تَحْمِلُ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ وَتَقُولُ:

إِنَّ بُنَيَّ مُعْرِقٌ كَرِيمْ ... مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمْ

لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لَئِيمْ ... وَلَا بِطُحْرُورٍ وَلَا شَئُومْ

صَخْرُ بَنِي فِهْرٍ بِهِ زَعِيمْ ... لَا يُخْلِفُ الظَّنَّ وَلَا يَخِيمْ

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٣١١) وابن عساكر في «تاريخه» (٥٩/ ٦٥)

(٢) في «تاريخه» (٧٠/ ١٧٤).

(٣) في «طبقاته» (٥٦) الجزء المتمم للكتاب ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٩/ ٦٦).

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا وَلَّاهُ مِنَ الشَّامِ خَرَجَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِهِنْدَ: كَيْفَ رَأَيْتِ؟ صَارَ ابْنُكِ تَابِعًا لِابْنِي فَقَالَتْ: إِنِ اضْطَرَبَ حَبْلُ الْعَرَبِ فَسَتَعْلَمْ أَيْنَ يَقَعُ ابْنُكَ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ ابْنِي.

وهذا سند معضل، لا يصح.

وأحسن ما في الباب مما وقفت عليه

ما أخرجه البغوي وغيره عَنْ أَبَانَ بنِ عُثْمَانَ قال : كَانَ مُعَاوِيَةُ وَهُوَ غُلاَمٌ يَمْشِي مَعَ أُمِّهِ هِنْدٍ، فَعَثَرَ، فَقَالَتْ: قُمْ، لاَ رَفَعَكَ اللهُ-وَأَعْرَابِيٌّ يَنْظُرُ-.

فَقَالَ: لِمَ تَقُوْلِيْنَ لَهُ؟ فَوَاللهِ إِنِّيْ لأَظُنُّهُ سَيَسُوْدُ قَوْمَهُ.

قَالَتْ: لاَ رَفَعَهُ إِنْ لَمْ يَسُدْ إِلاَّ قَوْمَهُ.(١)

وهو منقطع بين أبان بن عثمان وبين هذا الزمان الذي كان فيه معاوية صغيراً، ولكن يحتمل أن يكون معاوية رضي الله عنه حكاه لأبان بن عثمان بن عفان، ورجاله كلهم ثقات معدلون، وهذا أصح شيء مما ورد في ذلك، والله أعلم .

تلخيص حياةِ معاوية رضي الله عنه في الإمارات

كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة، وكان رعيته يحبونه .

قال ابن كثير رحمه الله(٢): لَمْ يَزَلْ رضي الله عنه نَائِبًا عَلَى الشَّامِ فِي الدَّوْلَةِ الْعُمَرِيَّةِ وَالْعُثْمَانِيَّةِ مُدَّةَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَافْتَتَحَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وعشرين جزيرة قبرص وَسَكَنَهَا الْمُسْلِمُونَ قَرِيبًا مِنْ ستِّين سَنَةً فِي أَيَّامِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ، وَلَمْ تَزَلِ الْفُتُوحَاتُ وَالْجِهَادُ قَائِمًا عَلَى سَاقِهِ فِي أَيَّامِهِ فِي بِلَادِ الرُّومِ وَالْفِرِنْجِ وَغَيْرِهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ

(١) أخرجه البغوي في«معجم الصحابة»(٢١٨٣) وابن عساكر في «تاريخه»(٥٩/ ٦٥).

(٢) في«البداية والنهاية» (٨/ ٢٩٢).

الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ مَا كَانَ، لَمْ يَقَعْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَتْحٌ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا عَلَى يَدَيْهِ وَلَا عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ، وَطَمِعَ فِي مُعَاوِيَةَ مَلِكُ الروم بعد أن كان قد أخشاه وَأَذَلَّهُ، وَقَهَرَ جُنْدَهُ وَدَحَاهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ الرُّومِ اشْتِغَالَ مُعَاوِيَةَ بِحَرْبِ عَلِيٍّ تَدَانَى إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ وَطَمِعَ فِيهِ، فكتب معاوية إليه: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ وَتَرْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ يَا لَعِينُ لَأَصْطَلِحَنَّ أَنَا وَابْنُ عَمِّي عَلَيْكَ وَلَأُخْرِجَنَّكَ مِنْ جَمِيعِ بِلَادِكَ، وَلَأُضَيِّقَنَّ عَلَيْكَ الْأَرْضَ بِمَا رَحُبَتْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ خَافَ مَلِكُ الرُّومِ وَانْكَفَّ، وَبَعَثَ يَطْلُبُ الْهُدْنَةَ.[1]

ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِ التَّحْكِيمِ مَا كَانَ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ إِلَى وَقْتِ اصْطِلَاحِهِ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ كما تقدم، فانعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرَّعَايَا عَلَى بَيْعَتِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ كَمَا قَدَّمْنَا، فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَقِلًّا بِالْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ، وَالْجِهَادُ فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ قَائِمٌ، وَكَلِمَةُ اللهِ عَالِيَةٌ.

وَالْغَنَائِمُ تَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فِي رَاحَةٍ وَعَدْلٍ، وَصَفْحٍ وَعَفْوٍ.

وقد كان حليماً وقُوراً منقاداً للحق والخير، ودلَّ على ذلك أثران :

الأول: أخرجه ابن المبارك[2] بسندٍ صحيح عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ قَالَ: « قَدِمَ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ أَبْيَضُ وَأَبَضُّ النَّاسِ وَأَجْمَلُهُمْ، فَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَيَعْجَبُ لَهُ، ثُمَّ يَضَعُ أُصْبُعَهُ عَلَى مَتْنِهِ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا عَنْ مِثْلِ الشِّرَاكِ، فَيَقُولُ: بَخٍ بَخٍ، نَحْنُ إِذًا خَيْرُ النَّاسِ إِنْ جُمِعَ لَنَا

---

(١) لكن لم أقف على سند ثابت بذكر هذه القصة بين معاوية وبين ملك الروم، مع أن وقوعها غير مُستبعد.

(٢) في «الزهد» (٥٧٦).

خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سَأُحَدِّثُكَ إِنَّا بِأَرْضِ الْحَمَّامَاتِ وَالرِّيفِ، فَقَالَ عُمَرُ: سَأُحَدِّثُكَ مَا بِكَ، إِلْطَافُكَ نَفْسَكَ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ، وَتَصَبُّحُكَ حَتَّى تَضْرِبَ الشَّمْسُ مَتْنَكَ، وَذَوُو الْحَاجَاتِ وَرَاءَ الْبَابِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا ذَا طُوًى أَخْرَجَ مُعَاوِيَةُ حُلَّةً فَلَبِسَهَا، فَوَجَدَ عُمَرُ مِنْهَا رِيحًا كَأَنَّهُ رِيحُ طِيبٍ، فَقَالَ: يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ فَيَخْرُجُ حَاجًّا تَفِلًا حَتَّى إِذَا جَاءَ أَعْظَمَ بُلْدَانِ الله: حَرَمَهُ، أَخْرَجَ ثَوْبَيْهِ كَأَنَّهُمَا كَانَا فِي الطِّيبِ فَلَبِسَهُمَا، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّمَا لَبِسْتُهُمَا لِأَنْ أَدْخُلَ فِيهِمَا عَلَى عَشِيرَتِي أَوْ قَوْمِي، وَالله لَقَدْ بَلَغَنِي أَذَاكَ هَهُنَا وَبِالشَّامِ، وَاللهُ يَعْلَمُ لَقَدْ عَرَفْتُ الْحَيَاءَ فِيهِ، وَنَزَعَ مُعَاوِيَةُ الثَّوْبَيْنِ، وَلَبِسَ ثَوْبَيْهِ اللَّذَيْنِ أَحْرَمَ فِيهِمَا » .

الثاني: أخرجه معمر[(١)] بسندٍ صحيح عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ- حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: سَلَّمْتُ عَلَيْهِ- ثُمَّ قَالَ: «مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأَئِمَّةِ يَا مِسْوَرُ؟»قَالَ: قُلْتُ: ارْفُضْنَا مِنْ هَذَا، أَوْ أَحْسِنْ فِيمَا قَدِمْنَا لَهُ، قَالَ: «لَتُكَلِّمَنَّ بِذَاتِ نَفْسِكَ» قَالَ: فَلَمْ أَدَعْ شَيْئًا أَعِيبُهُ بِهِ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِهِ، قَالَ:«لَا أَبْرَأُ مِنَ الذُّنُوبِ فَهَلْ لَكَ ذُنُوبٌ تَخَافُ أَنْ تَهْلَكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرْهَا الله لَكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا يَجْعَلُكَ أَحَقَّ بِأَنْ تَرْجُوَ الْمَغْفِرَةَ مِنِّي، فَوَالله لَمَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله، وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي تُحْصِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَلِي، وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يَقْبَلُ الله فِيهِ الْحَسَنَاتِ، وَيَعْفُو فِيهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، **وَالله مَعَ ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأُخَيَّرَ بَيْنَ الله وَغَيْرِهِ، إِلَّا اخْتَرْتُ الله عَلَى مَا سِوَاهُ**»قَالَ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ لِي مَا قَالَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ خَصَمَنِي، فَكَانَ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

الثالث: أخرجه أبو داود[(٢)] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ

(١) في«الجامع»(٢٠٧١٧مصنف).

(٢) برقم(٤٨٨٨).

رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**» فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا».

قال ابن كثير[١]:

« يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ جَيِّدَ السِّيرَةِ، حَسَنَ التَّجَاوُزِ، جَمِيلَ الْعَفْوِ، كَثِيرَ السِّتْرِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى».

وقد رُوِيَتْ أخبارٌ في آخر ما قال، وآخر أفعاله ماثبت منها شيء فأعرضنا عنها.

حلم معاوية رضي الله عنه وعلاقته الطيبةُ بالحسين رضي الله عنه

أخرج ابن سعد[٢] بسند ه إلى مسافع بن شيبة. قال: لَقِيَ الحُسَيْنُ مُعَاوِيَةَ بِمَكَّةَ عِنْدَ الرَّدْمِ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ، فَأَنَاخَ بِهِ، ثُمَّ سَارَّهُ طَوِيْلاً، وَانْصَرَفَ، فَزَجَرَ مُعَاوِيَةُ الرَّاحِلَةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ يَزِيْدُ: لاَ يَزَالُ رَجُلٌ قَدْ عَرَضَ لَكَ، فَأَنَاخَ بِكَ.

قَالَ: دَعْهُ، لَعَلَّهُ يَطلُبُهَا مِنْ غَيرِي، فَلاَ يُسوِّغُهُ، فَيَقتُلُهُ.

وليس بصريح في أنه كان يطلب الإمارة، لعلَّه كان يَطلُب شَيئًا آخر، والله أعلم.

ولم يكن الحسين ممن يطلب الإمارات، وكيف يطلب الإمارة لنفسه وأحاديث النبي ﷺ كثيرة في النهي عن طلب الإمارة، وأن من طلبها وكل إليها، ولقد خير جده ﷺ بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله تعالى وهو بضعة من رسول اللهﷺ؟

وأخرجه البلاذري[٣] عن الْمَدَائِنِيِّ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ عَنْ مُسَافِعِ بْنِ شَيْبَةَ

---

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٠١).

(٢) في«الطبقات الكبرى» في الجزء المفقود(٤٣٤) .

(٣)في«أنساب الأشراف»(٥/ ٥٨).

قَالَ: حَجَّ مُعَاوِيَةُ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الرَّدْمِ [١]، أَخَذَ الْحُسَيْنُ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ فَأَنَاخَ بِهِ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ سَارَّهُ طَوِيلا ثُمَّ انْصَرَفَ، وَزَجَرَ مُعَاوِيَةُ رَاحِلَتَهُ وَسَارَ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: يُنِيخُ بِكَ الْحُسَيْنُ وَتَكُفُّ عَنْهُ وَهُوَ ابن علي بن أَبِي طَالِبٍ، وَتُسْرِعُهُ عَلَى مَا تَعْلَمُ، فَقَالَ معاوية: دعني من عليّ، فو الله مَا فَارَقَنِي حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يَقْتُلَنِي، وَلَوْ قَتَلَنِي مَا أَفْلَحْتُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ مِنْ بَنِي هاشم ليوما عصيبًا.

وظاهر الإسناد الصحة.

من أواخر ما قال معاوية رضي الله عنه قبل موته

أخرج ابن أبي الدنيا [٢] بإسنادٍ جيد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: مَرِضَ مُعَاوِيَةُ مَرَضًا شَدِيدًا، فَنَزَلَ عَنِ السَّرِيرِ، وَكَشَفَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ، وَجَعَلَ يُلْزِقُ ذَا الْخَدِّ مَرَّةً بِالْأَرْضِ، وَذَا الْخَدِّ مَرَّةً بِالْأَرْضِ، وَيَبْكِي وَيَقُولُ:« اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ: {إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨] . اجْعَلْنِي مِمَّنْ تَشَاءُ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ».

ثم مات رضي الله عنه وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَمَانِيًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ وَهُوَ الْأَشْهَرُ

وَمِمَّنْ ذُكِرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ سِتِّينَ - (صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ) أَبُو عَمْرٍو، وَأَوَّلُ مَشَاهِدِهِ الْمُرَيْسِيعُ، وَكَانَ فِي السَّاقَةِ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ الذي رماه أهل الإفك بأم المؤمنين فَبَرَّأَهُ الله وَإِيَّاهَا مِمَّا قَالُوا، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَنَامُ نَوْمًا شَدِيدًا حَتَّى كَانَ رُبَّمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَسْتَيْقِظُ، فشكته زوجته إلى النبي ﷺ.

---

(١) منطقة عند مكة.

(٢) في«المحتضرين»(٣٤٠) ومن طريقه ابن عساكر في«تاريخه»(٥٩/ ٢٢٦) .

فأخرج أبو داود[1] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ، يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ، وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، قَالَ وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتُهَا، قَالَ: فَقَالَ: «**لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتِ النَّاسَ**»، وَأَمَّا قَوْلُهَا: يُفَطِّرُنِي، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَا أَصْبِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ يَوْمَئِذٍ: «**لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا**»وَأَمَّا قَوْلُهَا: إِنِّي لَا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ، لَا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، قَالَ:«**فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ**».

وفي هذه السنة توفي أبو مسلم الخولاني عبد بن ثُوَب الخولاني مِنْ خَوْلَانَ بِبِلَادِ الْيَمَنِ.

دَعَاهُ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ إِلَى أَنْ يَشْهَدَ أَنَّه رَسُولُ اللهَّ فَقَالَ لَهُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهَّ؟ فَقَالَ: لَا أَسْمَعُ، أَشْهَدُ أَنَّ محمَّداً رَسُولُ الله، فَأَجَّجَ لَهُ نَارًا وَأَلْقَاهُ فِيهَا فَلَمْ تضرَّه، وَأَنْجَاهُ الله منها فَكَانَ يُشَبَّهُ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، ثُمَّ هَاجَرَ فَوَجَدَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ مَاتَ، فَقَدِمَ عَلَى الصِّدِّيقِ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ وَقَالَ لَهُ عُمَرُ: الْحَمْدُ لله الَّذِي لم يمتني حتى أرى في أُمَّة محمَّد مِنْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

ولكن هذه الرواية على شهرتها لا يصح لها سندٌ فيما وقفت عليه.

(١) برقم (٢٤٥٩).

إمارة يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ

من الحوادث والفتن

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتِّينَ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ، فَكَانَ يَوْمَ بُويِعَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأَقَرَّ نُوَّابُ أَبِيهِ عَلَى الْأَقَالِيمِ، لَمْ يَعْزِلْ أحداً منهم، وهذا من ذكائه.[١]

بلوغ الخبر ابن عمر بتأمير يزيد بن معاوية وقوله

أخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: بَلَغَ ابْنَ عُمَرَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بُويِعَ لَهُ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنا».

وأخرج ابن سعد[٣] بسندٍ صحيح عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى يُسَيْرِ رَجُل مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حين اسْتُخْلِفَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ. قَالَ: يَقُولُونَ إِنَّ يَزِيدَ لَيْسَ بِخَيْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَلا أَفْقَهِهَا فِقْهًا وَلا أَعْظَمِهَا فِيهَا شَرَفًا وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ وَلَكِنْ وَالله لأَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَفَرَّقَ. أَرَأَيْتَكُمْ بَابًا لَوْ دَخَلَ فِيهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَسِعَهُمْ أَكَانَ يَعْجِزُ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَوْ دَخَلَ فِيهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لا. قَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ:

كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لا أُهْرِيقُ دَمَ أَخِي وَلا آخُذُ مَالَهُ أَكَانَ هَذَا يَسَعُهُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَذَلِكَ مَا أَقُولُ لكم.

---

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٢٢) .

(٢) في«المصنف» (٦/ ١٩٠).

(٣) « طبقاته» (٧/ ٤٧)، أخرجه البخاري في تاريخه وخليفة بن خياط.

ثم قال: قال رسول الله ﷺ :«**لا يَأْتِيكَ مِنَ الْحَيَاءِ إلا خير**».

تصحيح

قد أورد ابن كثير[١] رحمه الله قصة بعث عمرو بن سعيد البعوث إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه[٢] في زمن يزيد بن معاوية، وهو خطأ غير صحيح لأن عبد الله بن الزبير لم يشهر نفسه في أمر الخلافة في زمن يزيد أصلاً، ولم يخرج عليه حاشا وكلَّا.

فقد أخرج البلاذري[٣] بسندٍ صحيح عَنْ نافع أن ابْن الزُّبَيْرِ لم يدع له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع: كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى.

---

(١) في«البداية والنهاية» (٩/ ١٠٧) فقال:« وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ أَيَّام يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَنَهَاهُ أَبُو شُرَيْحٍ»وسيأتي التنبيه عليه أيضاً في أحداث سنة ٦٩ هـ إن شاء الله.

(٢)أعني ما أخرجه البخاري(١٠٤) ومسلم (١٣٥٤) عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ: - وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ- ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ، أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺالغَدَ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: « **إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِالله اليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ** »فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ لاَ يُعِيذُ عَاصِيًا وَلاَ فَارًّا بِدَمٍ وَلاَ فَارًّا بِخَرْبَةٍ.

(٣) في«أنساب الأشراف»(٩٠٨) .

وأخرج البخاري[١] بسندٍ صحيح عن بُرد مَولَى آل الزبير قَالَ:إنه لم يزل ابنُ الزبير لا يدعو بالخلافة، حتى هلك يزيد.

حقيقة ما حصل أول ما تَولَّى يزيد

أخرج البلاذري[٢]بسندٍ صحيح عَنْ صَالِحِ بْن كَيْسَانَ قَالَ: مات مُعَاوِيَة والوليد أمير على مَكَّة والمدينة، وكان على مكة من قبله أخوه لأمه عبد الرحمن بْن نبيه، فكتب إليه يزيد يأمره أن يأخذ بيعة حسين بن علي وعبدِ الله بْن الزبير، فاستضعفه فِي ذلك فعزله، وأمَّر عمرو بْن سَعِيد الأشدق على المدينة ومكة، وأمَره أن يبعث إليه بابْن الزُّبَيْرِ فِي جامعة ولايؤخِّره، وبعث فِي ذلك النعمان بْن بشير وابن مسعدة الغفاري، وابن عضاه الأشعري، وبعث معهم بجامعة من فضة لتبرَّ يمينه، فلما قَدِمُوا قَالَ قائل وهو يُسمِع ابْن الزُّبَيْرِ ذلك:

خُذْهَا فليسَت للعزيزِ بسُبّة ... وفيها مَقَال لامرئٍ مُتَذَلِّل

فأبى أن يخرج معهم وقال: قولوا ليزيد يجعل يمينه هذه من أيمانه التي يجب عليه أن يكفرها».

فهذا ما حصل، وقد حكاه أيضاً غير صالح بن كيسان.

أخرجه ابن أبي عاصم [٣] بسندٍ صحيح عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ بِقَيْدٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَجَامِعَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَأْتِيَنِّي فِيهِ» فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ:

---

(١) في«تاريخه الكبير»(٢/ ١٣٤).

(٢) في «أنساب الأشراف» (٨١٢).

(٣) في«الآحاد والمثاني»(٥٨٥).

وَلَا أَلْيَنُ لِغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ .... حَتَّى يَلِينَ لِضِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

وهذا ما صرَّح به شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره كما بينته في كتابي«إلقاء القمامة في أفواه القائلين بخروج الصحابة».

قال شيخ الإسلام(١):«إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَزِيدَ مَا جَرَى مِنَ الْفِتْنَةِ، وَاتَّبَعَهُ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ إِظْهَارُهُ طَلَبَ الْأَمْرِ لِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَايَعَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِلَّا أَهْلَ الشَّامِ. وَلِهَذَا إِنَّمَا تُعَدُّ وِلَايَتُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ يَزِيدَ، وَأَمَّا فِي حَيَاةِ يَزِيدَ فَإِنَّهُ امْتَنَعَ عَنْ مُبَايَعَتِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بَذَلَ الْمُبَايَعَةَ لَهُ، فَلَمْ يَرْضَ يَزِيدُ إِلَّا بِأَنْ يَأْتِيَهُ أَسِيرًا، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا فِتْنَةٌ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ مَنْ حَاصَرَهُ بِمَكَّةَ، فَمَاتَ يَزِيدُ وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بَايَعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمْ» .

سبب دعوى البعض خروج عبد الله بن الزبيرعلى يزيد

أعلم-أن سببَ وجود دعوى بعض أهل العلم خروجه على يزيد ما تقدم مما رواه ابن أبي عاصم بسندٍ صحيح عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِقَيْدٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَجَامِعَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَأْتِيَنِّي فِيهِ» فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ:

وَلَا أَلْيَنُ لِغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ ... حَتَّى يَلِينَ لِضِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

ومن أسباب ذلك أيضاً:

(١) في«منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٢٣).

ما رواه أحمد [١] عن صَخْر، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، جَمَعَ بَنِيهِ حِينَ انْتَزَى(٢) أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَخَلَعُوا يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ بِبَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الْغَادِرُ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ» وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِالله تَعَالَى، أَنْ يُبَايِعَ الرَّجُلُ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَيْلَمًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ».

ووجه الدلالة قوله: «انْتَزَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَخَلَعُوا يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ .. » أي أن ابن الزبير كان مع مَن خلعوا يزيد.

وهذا خطأ لا يصح هذا اللفظ كما بينت ، بل لا يصح أن صحابياً واحداً خرج على إمامه، إنما هذه من ترويجات الخوارج- قبحهم الله وقبَّح الكذب كله- وقد حررت شذوذ هذه اللفظة، وأثبتُّ عدم صحتها .

فلوازم ذلك خطيرة مع أنه لا دليل عليه بل حَرَرْتُ جميع ذلك وبينت بطلانه في كتابي «إلقاء القمامة» .

وإني لأتحدِّى بقوة اللهِ أن يأتي أحدُهم بسَنَدٍ ثَابِت يَدُلُّ على خُرُوج أحد من

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٠٩) والبيهقي (٨/ ٢٧٥) من طريق صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه بهذا اللفظ: «انْتَزَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَخَلَعُوا يَزِيدَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ .. » أي أن ابن الزبير كان مع من خلعَ يزيد، ورجاله ثقات إلا أن لفظه معلول، ولعلَّ لذلك روى مسلم (١٧٣٥) سنده في الشواهد ولكن لم يسق لفظه، ففي سنده صخر بن جويرية وإن كان ثقة إلا أن القطان قال: «ذهب كتابه ثم وجده فتُكُلِّم فيه لذلك» وقال ابن معين: «إنما يتكلم فيه لأنه يقال إن كتابه سقط» وقال أبو داود: «تُكلِّم فيه» ثم قد خالفه في اللفظ أساطين العلم كما بيَّنت ذلك في كتابي «إلقاء القمامة في أفواه القائلي بخروج الصحابة».

الصحابة رضي الله عنهم .

وإنما أبى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن يأتي يزيد بن معاوية مقيداً كما أمر، فحصلت مناوشات في الكلام بينهما، فروج أهل الباطل ومن لا تحقيق عندهم أن عبد الله بن الزبير قد خرج على يزيد، ولم يكتفوا بذلك بل قالوا إن الحسين بن علي رضي الله عنه خرج على يزيد بن معاوية، وهو أيضاً مما لا صحة له.

تصحيح

قال الواقدي: وَلَّى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ شُرْطَةَ الْمَدِينَةِ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ فَتَتَبَّعَ أَصْحَابَ أَخِيهِ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ، فَضَرَبَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا حَتَّى ضَرَبَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ ضَرَبَ أَخَاهُ الْمُنْذِرَ بْنَ الزبير، وانه لابد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة، فضرب المنذر بن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن عبد الله بن الزبير، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جلدة، وفرَّ منه عبد الرحمن بن عثمان التيمي، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة.

ثُمَّ جَاءَ الْعَزْمُ مِنْ يَزِيدَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فِي تَطَلُّبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ وَإِنْ بَايَعَ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ إِلَيَّ فِي جَامِعَةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مِنْ فِضَّةٍ تَحْتَ بُرْنُسِهِ، فَلَا تُرَى إِلَّا أَنَّهُ يُسْمَعُ صَوْتُهَا، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ مَنَعَ الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيَّ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ بِأَهْلِ مَكَّةَ، وَكَانَ نَائِبَ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَلَيْهَا، فَحِينَئِذٍ صَمَّمَ عَمْرٌو عَلَى تَجْهِيزِ سَرِيَّةٍ إِلَى مَكَّةَ بِسَبَبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَاسْتَشَارَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ: مَنْ يَصْلُحُ أَنْ نَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ لِأَجْلِ قِتَالِهِ؟ فقال لَهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ: إِنَّكَ لَا تَبْعَثُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ أَنكَى لَهُ مِنِّي، فَعَيَّنَهُ عَلَى تِلْكَ السَّرِيَّةِ وَجَعَلَ عَلَى مَقْدُمَتِهِ أُنيس بْنَ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيَّ فِي سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ، إِنَّمَا عَيَّنَهُمَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ نَفْسُهُ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد، فَعَسْكَرَ أُنَيْسٌ بِالْجُرْفِ وَأَشَارَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ أَنْ لَا يَغْزُوَ مَكَّةَ وَأَنْ يَتْرُكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِهَا، فَإِنَّهُ عَمَّا قَلِيلٍ إِنْ لَمْ يُقْتَلْ يَمُتْ، فَقَالَ أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ: وَاللهِ لَنَغْزُوَنَّهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ مَنْ رغم.

فقال مروان: والله إن ذلك ليسرُّني.

فَسَارَ أُنَيْسٌ وَاتَّبَعَهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ فِي بَقِيَّةِ الْجَيْشِ- وَكَانُوا أَلْفَيْنِ - حتَّى نَزَلَ بِالْأَبْطَحِ، وَقِيلَ بِدَارِهِ عِنْدَ الصَّفَا، وَنَزَلَ أُنَيْسٌ بِذِي طَوًى، فَكَانَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَيُصَلِّي وَرَاءَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَرْسَلَ عَمْرٌو إِلَى أَخِيهِ يَقُولُ لَهُ: بَرَّ يَمِينَ الْخَلِيفَةِ، وأتهِ وَفِي عُنُقِكَ جَامِعَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَلَا تَدَعِ النَّاسَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاتَّقِ اللهَ فَإِنَّكَ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ.

فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ لِأَخِيهِ: مَوْعِدُكَ الْمَسْجِدُ.

وَبَعَثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَبْدَ اللهِ بْنَ صَفْوَانَ بْنِ أميَّة فِي سَرِيَّةٍ فاقتَتلوا مع عمرو بن أنيس الْأَسْلَمِيِّ فَهَزَمُوا أُنَيْسًا هَزِيمَةً قَبِيحَةً، وَتَفَرَّقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ أَصْحَابُهُ وَهَرَبَ عَمْرٌو إِلَى دَارِ ابْنِ عَلْقَمَةَ، فَأَجَارَهُ أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَلَامَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَقَالَ: تُجِيرُ مَنْ فِي عُنُقِهِ حُقُوقُ النَّاسِ؟ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِكُلِّ مَنْ ضَرَبَهُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَابْنَهُ فَإِنَّهُمَا أَبَيَا أَنْ يَسْتَقِيدَا مِنْ عَمْرٍو، وَسَجَنَهُ وَمَعَهُ عَارِمٌ، فَسُمِّيَ سِجْنَ عَارِمٍ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ مَاتَ تَحْتَ السِّيَاطِ.

وكل هذا لم يثبت به سند فيما وقفتُ عليه. وإنما ذكره ابن سعد في «طبقاته» بلا سند، وعنه حكى ابن كثير رحمه الله[1] فأردَ التنبيه على عدم ثبوته، فالله المستعان.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٥/ ١٤١) و«البداية والنهاية» (٨/ ٣٢٢-٣٢٣).

قِصَّةُ الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة وكيفية مقتله[١]

الحسين هو بن على ابن أبي طالب رضي الله عنه وعن أبيه، سيد شباب أهل الجنة ، أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فالنبي ﷺ جده، وكان الحسين رضي الله عنه أشبه الناس به ﷺ كما سيأتي في قول أنس بن مالك رضي الله عنه .وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالوَسْمَةِ، وهو نبتٌ يميلُ إلى سوادٍ يُصبغ به، عَاصَرَ رَسُولَ الله ﷺ وَصَحِبَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَهُوَ عَنْهُ راضٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا. ثُمَّ كَانَ الصِّدِّيقُ يُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَكَذَلِكَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَصَحِبَ أَبَاهُ وَرَوَى عَنْهُ، وَكَانَ مَعَهُ فِي مَغَازِيهِ كُلِّهَا، فِي الْجَمَلِ وَصِفِّينَ، وَكَانَ مُعَظَّمًا مُوَقَّرًا، ولم يزل فِي طَاعَةِ أَبِيهِ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه .

ولد في السنة السادسة للهجرة، وله ترجمة حافلة حري أن تفرد بالتأليف.

وَقَدْ كَثُرَ وُرُودُ الْكُتُبِ عَلَيْهِ من بلاد العراق يعدونه إِلَيْهِمْ - وَذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُمْ مَوْتُ مُعَاوِيَةَ وَوِلَايَةُ يَزِيدَ، وهذا ما يدل عليه كلام الحسين نفسه حينما نصحه بعض الصحابة رضي الله عنه بالرجوع .

فأخرج ابن الأعرابي [١] وغيره بسندٍ حسن عن الشَّعْبِيّ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ،

---

(١) تبويب ابن كثير قال:« **قِصَّةُ الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة وكيفية مقتله**». وهذا غلط ، ولا يليق بالحسين أن يطلب الإمارة أصلاً، بل هم الذين طلبوه للإمارة وكتبوا له كتباً كما سيأتي بيانه مفصلاً.وكيف يطلب الحسين رضي الله عنه الإمارة، وقد نهى ﷺ عنها وقال:«**إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ** » أخرجه البخاري(٧١٤٩)، ولذلك لم يعترض معترض على الحسين حين خرج من مكة بهذا الحديث مع كثرة المعترضين على خروجه من مكة.

أَنَّهُ كَانَ بِمَالِهِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ لَيَالٍ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: الْعِرَاقَ، وَإِذَا مَعَهُ طَوَابِيرُ[٢] وَكُتُبٌ، فَقَالَ: هَذِهِ كُتُبُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ، فَقَالَ: لَا تَأْتِهِمْ، فَأَبَى قَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ - عليه السلام - فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ وَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا، وَإِنَّكُمْ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ الله- عليه السلام - لَا يَلِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَدًا، وَمَا صَرَفَهَا الله عَنْكُمْ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ، فَاعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ وَبَكَى وَقَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ الله مِنْ قَتِيلٍ».

وقد حكى ابن كثير[٣] عن ابن جرير قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ الرَّازِيُّ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثَنَا عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ، ثَنَا حُصَيْنٌ أَنَّ الْحُسَيْنَ بَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ: إِنَّ مَعَكَ مِائَةَ أَلْفٍ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ فَذَكَرَ قِصَّةَ مَقْتَلِ مُسْلِمٍ

وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات، استند إليه

---

(١) في «المعجم» لابن الأعرابي (٢٤٠٩) والآجري في «الشريعة» (١٦٦٨) وغيره، وقد حسَّنه العراقي أيضاً في «تخريج الإحياء» (١/ ٦٩٩) وهو كذلك.

(٢) وفي بعض الكتب- وهي الأصح-: «وَإِذَا مَعَهُ طَوَامِيرُ كُتُبٍ» كما عند الآجري في «الشريعة» (١٦٦٨)، أي: صُحُفٌ فيها عهود وكتابات، وأما طوابير، فتصحيف -تصحف عليَّ في بعض كتبي فاللهم غفراً- فلم يكن معه عدد أصلاً، وهذا يدل على أنه ما ذهب لقتال أصلاً، ولو ذهب لقتال أو لخروج على أمير لخرج بجيش مُلائم لقوة من هو خارج عليه، كما حصل من أخيه الحسن، فقد سَارَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالكَتَائِبِ كما في صحيح البخاري (٧١٠٩).

إنما كتب أهل العراق إليه بالبيعة فغرُّوه، وغرَّرُوا به، وخدَعوه حتى ذهب إليهم، فلما أتاهم انفضوا عنه!

(٣) في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤٤).

ابن كثير فقال [١]:« لَمَّا تَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ إِلَى الْحُسَيْنِ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَكَرَّرَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَجَاءَهُ كِتَابُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ وَقَعَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ مَا وَقَعَ من قتل مسلم بن عقيل، والحسين لا يعلم بشئ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِمْ، فَاتَّفَقَ خُرُوجُهُ مِنْ مَكَّةَ أيام التروية قبل مقتل مسلم بِيَوْمٍ وَاحِدٍ - فَإِنَّ مُسْلِمًا قُتِلَ يَوْمَ عَرَفَةَ - ولما استشعر الناس خروجه أَشْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَحَذَّرُوهُ مِنْهُ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ بِعَدَمِ الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَمَرُوهُ بِالْمُقَامِ بِمَكَّةَ، وَذَكَّرُوهُ مَا جَرَى لِأَبِيهِ وَأَخِيهِ مَعَهُمْ».

قلت«محمد» يشير إلى ما أخرجه عبد الرزاق [٢] بسندٍ صحيح عن طاووس عن ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: اسْتَشَارَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ بِالْخُرُوجِ بِمَكَّةَ قَالَ: فَقُلْتُ: لَوْلَا أَنْ يُزْرَى بِي أَوْ بِكَ لَنَشَبْتُ يَدِي فِي رَأْسِكَ، قَالَ: فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنْ يَسْتَحِيلَ بِي، يَعْنِي مَكَّةَ، قَالَ: يَقُولُ طَاوُوسٌ:وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ تَعْظِيمًا لِلْمَحَارِمِ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَبْكِيَ لَبَكَيْتُ.

وأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ،عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ شَرِيْكٍ،عَنْ بِشْرِ بْنِ غَالِبٍ، قَالَ: «لَقِيَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِالحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيْدُ العِرَاق، قَالَ:أَجَلْ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ قَتَلَةُ أَبِيْكَ، الطَّاعِنُونَ فِي

(١) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة(٧/ ٤٧٧).

بَطْنِ أَخِيْكَ، وَإِنْ أَتَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ».[١]

وَقد حكى ابن كثير[٢]عن الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الله أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ هِشَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَنِ الحسين أنه قال لِعَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ ألفاً يحلفون بالطلاق والعتاق إنهم معي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَتَخْرُجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَأَخْرَجُوا أَخَاكَ؟

قَالَ هِشَامٌ: فَسَأَلْتُ مَعْمَرًا عَنِ الرَّجُلِ فَقَالَ: هُوَ ثِقَةٌ.[٣]

قَالَ الزُّبَيْرُ: وَقَالَ عَمِّي: وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاس أَنَّ ابْنَ عبَّاس هُوَ الَّذِي قَالَ هَذَا.

وَقَدْ سَاقَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ هَذَا سياقاً حسناً مبسوطاً.

فقال: أنبأنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ لُوطِ بن يحيى العامري، عن محمد بن بشير الْهَمْدَانِيِّ وَغَيْرِهِ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنُ الْحَجَّاجِ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عن هاورن بن عيسى عن يونس بن إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ.

---

(١) لولا أن فى صحة سنده نظراً، وقد عزاه الحافظ ابن كثير فى «تاريخه»(٨/ ٣٣٥) ليعقوب بن سفيان، عن الحميدي، عن سفيان، عن عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب، قال...فذكره بنحو من ألفاظه.

وبشر بن غالب هو الأسدي، كما فى «طبقات المحدثين»(٣٤١) لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، ويظهر جهالة حالة، والله أعلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٩٥) ط عوامة، ثنا أبو الأحوص، عن عبيد الله والصواب: عبد الله.كما عند ابن عساكر فى «تاريخه» (١٤/ ٢٠٣) و «البداية والنهاية» ابن شريك به، عن بشر المذكور.

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٣٦ وما بعدها).

(٣) وما زال في السند انقطاع.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ قَدْ حَدَّثَنِي أَيْضًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِطَائِفَةٍ فَكَتَبْتُ جَوَامِعَ حَدِيثِهِمْ فِي مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ.

قَالُوا: لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ مُعَاوِيَةَ ليزيد كان حسين مِمَّنْ لَمْ يُبَايِعْ لَهُ، وَكَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ يكتبون إليه يَدْعُونَهُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ،كل ذلك يأبى عليهم، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الْحَنَفِيَّةِ يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ فَأَبَى، وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم، فقال له الحسين: إِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بِنَا، ويستطيلوا بنا، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا، فَأَقَامَ حُسَيْنٌ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ، مَرَّةً يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ، وَمَرَّةً يجمع الإقامة عنهم.

فَجَاءَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله! إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، وَإِنِّي عَلَيْكُمْ مشفق، وقد بلغني أَنَّه قد كَاتَبَكَ قَوْمٌ مِنْ شِيعَتِكُمْ بِالْكُوفَةِ يَدْعُونَكَ إِلَى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ بِالْكُوفَةِ: وَالله لَقَدْ مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، وَمَنْ فَازَ بِهِمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَاللهِ ما لهم نيات وَلَا عَزْمٌ عَلَى أَمْرٍ، وَلَا صَبْرٌ عَلَى السيف.

قال: وقدم المسيب بن عتبة الْفَزَارِيُّ فِي عِدَّةٍ مَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ بَعْدَ وَفَاةِ الْحَسَنِ، فَدَعَوْهُ إِلَى خَلْعِ مُعَاوِيَةَ وَقَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا رَأْيَكَ وَرَأْيَ أَخِيكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُعْطِيَ اللهُ أَخِي عَلَى نِيَّتِهِ فِي حُبِّهِ الْكَفَّ، وَأَنْ يُعْطِيَنِي عَلَى نِيَّتِي فِي حُبِّي جِهَادَ الظَّالِمِينَ وَكَتَبَ مَرْوَانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنِّي لَسْتُ آمَنُ أَنْ يَكُونَ حُسَيْنٌ مَرْصَدًا لِلْفِتْنَةِ، وَأَظُنُّ يَوْمَكُمْ مِنْ حُسَيْنٍ طَوِيلًا.

فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْحُسَيْنِ: إِنَّ مَنْ أَعْطَى الله صَفْقَةَ يَمِينِهِ وَعَهْدِهِ لَجَدِيرٌ بِالْوَفَاءِ، وَقَدْ أُنْبِئْتُ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ دَعَوْكَ إِلَى الشِّقَاقِ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ مَنْ قَدْ جَرَّبْتَ قَدْ أَفْسَدُوا عَلَى أَبِيكَ وَأَخِيكَ، فَاتَّقِ الله وَاذْكُرِ الْمِيثَاقَ، فَإِنَّكَ مَتَى تَكِدْنِي أَكِدْكَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ:أَتَانِي كِتَابُكَ وَأَنَا بِغَيْرِ الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي جَدِيرٌ، وَالْحَسَنَاتُ لَا يَهْدِي لَهَا إِلَّا الله، وَمَا أَرَدْتُ لَكَ مُحَارَبَةً وَلَا عَلَيْكَ خِلَافًا، وَمَا أَظُنُّ لِي عِنْدَ الله عذراً فِي تَرْكِ جِهَادِكَ، وَمَا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ مِنْ وِلَايَتِكَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:إن أثرنا بأبي عبد الله إلا شراً.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ أَيْضًا فِي بَعْضِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ فِي رَأْسِكَ نَزْوَةً فَوَدِدْتُ أَنِّي أُدْرِكُهَا فَأَغْفِرَهَا لَكَ.

قَالُوا: فلما احتضر مُعَاوِيَةُ دَعَا يَزِيدَ فَأَوْصَاهُ بِمَا أَوْصَاهُ بِهِ، وقال له: انظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله، فإنَّه أَحَبُّ النَّاس إِلَى النَّاسِ، فصِلْ رَحِمَهُ، وَارْفُقْ بِهِ، يَصْلُحْ لَكَ أَمْرُهُ، فَإِنْ يَكُنْ منه شيء فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكْفِيَكَهُ الله بِمَنْ قَتَلَ أَبَاهُ وَخَذَلَ أَخَاهُ.

وَتُوُفِّيَ مُعَاوِيَةُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ سِتِّينَ، وَبَايَعَ النَّاسُ يَزِيدَ، فَكَتَبَ يَزِيدُ مَعَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ أُوَيْسٍ الْعَامِرِيِّ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، إِلَى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عَلَى الْمَدِينَةِ:أَنِ ادْعُ النَّاسَ فَبَايِعْهُمْ، وَابْدَأْ بِوُجُوهِ قُرَيْشٍ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَنْ تَبْدَأُ بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهِدَ إِلَيَّ فِي أَمْرِهِ الرِّفْقَ بِهِ وَاسْتِصْلَاحَهُ.

فَبَعَثَ الْوَلِيدُ مِنْ سَاعَتِهِ نِصْفَ اللَّيْلِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُمَا بوفاة معاوية، ودعاهما إلى البيعة ليزيد بن معاوية، فقالا: إلى أن نُصْبِحُ وَنَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَوَثَبَ الْحُسَيْنُ فخرج وخرج معه ابن الزبير وقالا: هُوَ يَزِيدُ الَّذِي نَعْرِفُ، وَالله مَا حَدَثَ له عزم وَلَا مُرُوءَةٌ.

وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ أَغْلَظَ لِلْحُسَيْنِ فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فنزعها مِنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: إِنْ هِجْنَا بِأَبِي عبد الله إلا شرًّا.

فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ- أَوْ بَعْضُ جُلَسَائِهِ- اقْتُلْهُ، فقال:إن ذلك لدم مضنون به مصون فِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ.

قَالُوا:وَخَرَجَ الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ لَيْلَتِهِمَا إِلَى مَكَّةَ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَغَدَوْا عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ، وَطُلِبَ الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ فَلَمْ يُوجَدَا، فَقَالَ الْمِسْوَرُ بْنُ مخرمة: عجل الحسين وابن الزبير يلفته ويرجيه لِيَخْلُوَ بِمَكَّةَ، فَقَدِمَا مَكَّةَ فَنَزَلَ الْحُسَيْنُ دَارَ الْعَبَّاسِ، وَلَزِمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجْرَ، وَلَبِسَ الْمَعَافِرِيَّ وَجَعَلَ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ يَغْدُو وَيَرُوحُ إِلَى الْحُسَيْنِ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْدَمَ الْعِرَاقَ، وَيَقُولُ: هُمْ شِيعَتُكَ وَشِيعَةُ أَبِيكَ، وكان ابن عباس ينهاه عن ذلك، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ مُطِيعٍ: إِنِّي فِدَاؤُكَ وَأَبِي وَأُمِّي، فَأَمْتِعْنَا بِنَفْسِكَ وَلَا تَسِرْ إِلَى الْعِرَاقِ، فَوَالله لَئِنْ قَتَلَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَيَتَّخِذُونَا عَبِيدًا وَخَوَلًا.

قَالُوا: وَلَقِيَهُمَا عَبْدُ الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وابن أَبِي رَبِيعَةَ بِالْأَبْوَاءِ مُنْصَرِفِينَ مِنَ الْعُمْرَةِ فَقَالَ لَهُمَا ابْنُ عُمَرَ: أُذَكِّرُكُمَا الله إِلَّا رَجَعْتُمَا فَدَخَلْتُمَا فِي صَالِحِ مَا يَدْخُلُ فِيهِ النَّاسُ، وتنظرا فإن اجتمع الناس عليه فلم تشذا، وإن افترقوا عَلَيْهِ كَانَ الَّذِي تُرِيدَانِ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لِلْحُسَيْنِ: لَا تَخْرُجْ فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنيا وَالْآخِرَةِ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ، وَإِنَّكَ بَضْعَةٌ مِنْهُ وَلَا تَنَالُهَا - يَعْنِي الدُّنْيَا - وَاعْتَنَقَهُ وَبَكَى وَوَدَّعَهُ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: غَلَبَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بِالْخُرُوجِ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَأَى فِي أَبِيهِ وَأَخِيهِ عبرة، فرأى مِنَ الْفِتْنَةِ وَخِذْلَانِ النَّاسِ لَهُمَا مَا كَانَ ينبغي له أن لا يَتَحَرَّكَ مَا عَاشَ، وَأَنْ يَدْخُلَ فِي صَالِحِ مَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ خَيْرٌ.

وقال له ابن عبَّاس: وأين تريد يا بنَ فَاطمة؟ فقال: العراق وشيعتي، فقال: إني لكاره لوجهك ذَا تَخْرُجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَطَعَنُوا أَخَاكَ حَتَّى تَرَكَهُمْ سَخْطَةً وَمَلَالَةً لَهُمْ؟ أُذَكِّرُكَ الله أَنْ تَغْرُرَ

بِنَفْسِكَ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخدري: غلبني الحسين على الخروج، وقلت لَهُ: اتَّقِ اللهَّ فِي نَفْسِكَ وَالْزَمْ بَيْتَكَ وَلَا تَخْرُجْ عَلَى إِمَامِكَ.

وَقَالَ أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ: بَلَغَنِي خُرُوجُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَأَدْرَكْتُهُ بِمَلَلٍ فَنَاشَدْتُهُ الله أَنْ لَا يَخْرُجَ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي غَيْرِ وَجْهِ خُرُوجٍ، إِنَّمَا خَرَجَ يَقْتُلُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: لَا أَرْجِعُ.

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله: كَلَّمْتُ حُسَيْنًا فَقُلْتُ: اتَّقِ الله وَلَا تَضْرِبِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فَوَالله مَا حُمِدْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ فَعَصَانِي.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَوْ أَنَّ حُسَيْنًا لَمْ يَخْرُجْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ.

وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عبد الرحمن: وقد كَانَ يَنْبَغِي لِحُسَيْنٍ أَنْ يَعْرِفَ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنْ شَجَّعَهُ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ: إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَبِقَوْلِ ابن الزبير: الحق بهم فإنهم ناصروك.

وقال له ابن عبَّاس: لا تبرح الحرم فإنهم إن كانت بهم إليك حَاجَةٌ فَسَيَضْرِبُونَ إِلَيْكَ آبَاطَ الْإِبِلِ حَتَّى يُوَافُوكَ فَتَخْرُجَ فِي قُوَّةٍ وَعُدَّةٍ.

فَجَزَاهُ خَيْرًا وَقَالَ: أَسْتَخِيرُ الله فِي ذَلِكَ.

وَكَتَبَتْ إِلَيْهِ عَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تُعَظِّمُ عَلَيْهِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَ، وَتَأْمُرُهُ بِالطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَتُخْبِرُهُ أنه إن لم يفعل إِنَّمَا يُسَاقُ إِلَى مَصْرَعِهِ.

وَتَقُولُ:أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ أَنَّهَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« **يُقْتَلُ الْحُسَيْنُ بِأَرْضِ بابل**» فلما قرأ كتابها قال: فلابد لي إذا من مصرعي ومضى.

وأتاه بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فقال له: يا بن عم قَدْ رَأَيْتَ مَا

صَنَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِأَبِيكَ وَأَخِيكَ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَبِيدُ الدُّنْيَا، فَيُقَاتِلُكَ مَنْ قَدْ وَعَدَكَ أَنْ يَنْصُرَكَ، وَيَخْذُلُكَ مَنْ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَنْصُرُهُ، فَأُذَكِّرُكَ اللهَ فِي نَفْسِكَ.

فَقَالَ: جَزَاكَ الله يا بن عم خيراً، مهما يقضي الله مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إنا لله وإنا إليه راجعون، نحتسب أبا عبد الله عند الله.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ كتاب يحذره أهل العراق ويناشده الله إن شخص إِلَيْهِمْ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا، وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ وَأَنَا ماضٍ لَهُ، وَلَسْتُ بِمُخْبِرٍ بِهَا أَحَدًا حَتَّى أُلَاقِيَ عَمَلِي.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ نَائِبُ الْحَرَمَيْنِ: إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُلْهِمَكَ رُشْدَكَ، وَأَنْ يَصْرِفَكَ عَمَّا يُرْدِيكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى الشخوص إلى العراق، وإني أعيذك الله من الشقاق، فإنك إن كُنْتَ خَائِفًا فَأَقْبِلْ إِلَيَّ، فَلَكَ عِنْدِي الْأَمَانُ وَالْبِرُّ وَالصِّلَةُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ: إِنْ كُنْتَ أردت بِكِتَابِكَ بِرِّي وَصِلَتِي فَجُزِيتَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يُشَاقِقْ مَنْ دَعَا إِلَى اللهَّ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَيْرُ الْأَمَانِ أَمَانُ اللهَّ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللهَّ مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي الدُّنْيَا، فَنَسْأَلُ الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده.

قالوا: وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عبَّاس يخبره بخروج الحسين إلى مكة، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنوه الخلافة، وعندك منهم خبر وتجربة، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ الْقَرَابَةِ، وَأَنْتَ كَبِيرُ أَهْلِ بَيْتِكَ وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ، فَاكْفُفْهُ عَنِ السَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ».

وهذا وإن كان في السند نظر ، لكن بعضه صحيح كما تقدم ، وإن كان ليس بهذا التفصيل الدقيق، والله أعلم .

الوارد في فرح بعض الصحابة بخروج الحسين رضي الله عنه إلى العراق

أعني أن عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ حَرَّضَ الحُسَيْنَ عَلَى الخُرُوجِ لِأَهْلِ العِرَاقِ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: مَا أَدْرِي مَا تَرَكْنَا لِهَؤُلَاءِ القَوْمِ وَنَحْنُ أَبْنَاءُ المُهَاجِرِيْنَ، وَوُلَاةُ هَذَا الأَمْرِ دُوْنَهُمَ ... ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: قرَّت عَيْنُكَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ.

هَذَا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ لَا يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَيُؤَيِّدُ كذبه:

أن الصحيح عنهم بخلافه!

فقد أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ شَرِيْكٍ، عَنْ بِشْرِ بْنِ غَالِبٍ، قَالَ: «لَقِيَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيْدُ العِرَاق، قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ قَتَلَةُ أَبِيْكَ، الطَّاعِنُونَ فِي بَطْنِ أَخِيْكَ، وَإِنْ أَتَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ».[1]

---

(١) لولا أن فى صحته نظر، وقدعزاه الحافظ ابن كثير فى «تاريخه» (٨/ ٣٣٥) ليعقوب بن سفيان، عن الحميدي، عن سفيان، عن عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب، قال ... فذكره بنحو من ألفاظه.

وبشر بن غالب هو الأسدي، كما فى «طبقات المحدثين» (٣٤١) لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، ويظهر جهالة حاله، والله أعلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٩٥) ط عوامة، ثنا أبو الأحوص، عن عبيد الله (والصواب: عبد الله) كما عند ابن عساكر فى «تاريخه»(١٤/ ٢٠٣)، و«البداية والنهاية» ابن شريك به، عن بشر هذا.

ولا أعلم صحابياً واحداً أيَّد فعل الحسين رضي الله عنه، أو قرَّت عينه بذلك، بل تقدم بالأسانيد الصحيحة عن عبد الله بن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما إنكارهم عليه الذهاب، ولو أيَّدوه لذهبوا معه.

ومن الأدلة على أن الحسين لم يكن ذاهباً لقتال أصلاً، ولا لخروج على حاكم، ولا سعياً في فتن تروق فيها الدماء، كما هو لازم كلام الجهال، أو المفتونين الذي يروجون ما يتستَّرون خلفه لتسويغ سعيهم في الفتن، والدفاع عمن وقعوا فيها، حاشا وكلَّا.

فهذا باطل من وجوه:

منها: أن لا أحد ممن نهوه عن الذهاب إلى العراق ذكَّره بأحاديث النهي عن الخروج على الحكام، كما في نصحهم لمن أرادوا منعهم من الخروج[1] وهي أحاديث كثيرة نص غير واحد من أهل العلم على تواترها.[2]

---

(١) فنص نهي عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ تعَبْدَ اللهِ بْنَ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ في صحيح مسلم (١٨٥١) ونهيه لحَشَمَه وَوَلَدِه عن خلع يزيد في صحيح البخاري(٧١١١)، ونص نهي جُنْدَب بْن عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ عَسْعَسَ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ حدَّثهم بحديث يردع عن الدماء والسعي في الفتن وإسالة الدماء كما في صحيح مسلم (٩٧)، وكلام ابن عباس مع الخوارج مشهور.

(٢) قال الشوكاني في«السيل»(١/ ٩٦٥):« لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة ولم يظهر منهم الكفر البواح والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة ».

وقال الأثرم في«ناسخ الحديث»ص ٢٥٦:« تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فكثرت عنه، وعن الصحابة والأئمة بعدهميأمرون بالكف، ويكرهون الخروج، وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة، ومذهب الحرورية وترك السنة» والتواتر ثابت بالأدلة ذكرناها في غير هذا المقام.

فلو رأوه خارجاً على إمام لذكروا الأحاديث الصريحة في منعه، ولكان أولى من تذكيرهم إياه، باتباع النبي ﷺ في اختياره ما عند الله عما في الدنيا.

ومنها: لو كان الحسين رضي الله عنه خارجاً لقتال، أو لخروج على حاكم لن يخرج بأهل بيته فحسب، بل كان يأخذ معه من المقاتلين نحو مما أخذ أخوه الحسن رضي الله عنه من الكتائب أمثال الجبال عند ذهابه إلى معاوية لقتاله.(١) وقد ذكروا في كتب السير أن من كانوا معه تسع عشر رجلاً ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم .

فأخرج الطبراني(٢) بسندٍ صحيح عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَاللهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَهْلُ بَيْتٍ يُشْبِهُونَ» . قَالَ سُفْيَانُ: «وَمَنْ يَشُكُّ فِي هَذَا؟»

ومنها: لو كان خارجا لطلب إمارةٍ أو سلطانٍ أو مُلكٍ لذكَّره مَن نهوه عن مسيره بأحاديث النهي عن طلب الإمارة كقوله ﷺ: «**إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ**».(٣) ونحو ذلك من الأحاديث.بل لو خرج الحسين رضي الله عنه لأجل ذلك لكان قدحاً فيه لمخالفته لنص كلام جدِّه ﷺ رضي الله عنه وحاشاه.

ومنها: لو كان ذاهباً لخروج على سلطان لذمُّوه بأقبح الذم كما ذموا وقبَّحوا من خرج على حاكمه، بل ولقاتلوه للمنع كما فعلوا مع من خرج على إمامه، أما ولم يكن من ذلك فعُلم أنه لم يكن خارجاً على إمام، وقد كانوا صدَّاعين بالحق لا يخافون في الله لومة لائم.

ومنها: لو كان الحسين رضي الله عنه خارجاً على إمام مهما كان هذا الإمام لقتله

---

(١) كما في رواية البخاري(٢٧٠٤).

(٢) في«الكبير»(٣/ ١١٨رقم (٢٨٥٤).

(٣) أخرجه البخاري(٧١٤٩) ومسلم (١٧٣٣).

الصحابة أو نوقشت مسألة قتله لأن النبي ﷺ قال: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا**».(١)

وقال:« إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».(٢) وغير ذلك من الأدلة.

كيف ولم يرض أحد من أهل الفضل إطلاقاً بقتله، ولا الإعتداء عليه بوجه من الوجوه، ولا حتى يزيد بن معاوية نفسَه.(٣)

ولا يقال إن الحسين كان خارجاً ولكن لم يقتلوا الحسين ولا أحد أشار بهذا لمنزلته الحسين رضي الله عنه ومكانته الرفيعة، لأن هذا يتعارض مع قوله:« فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ » .

بل إن ابن عمر رضي الله عنه بكَّتَ أهل العراق أن قُتِلَ الحسينُ فيهم فقال لرجل سأله عن دم البعوض؟ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**هُمَا**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٣)أخرج البلاذري في «أنساب الأشراف»(٣/ ٢١٩) بسند حسنٍ إلى المغيرة بن مقسم الضبى قال: قَالَ يزيد- حين قتل الْحُسَيْن-: «لعن الله ابْن مرجانة لقد وجده بعيد الرحم منه».

وأخرج (٣/ ٢٢٠) بسندٍ صحيح إلى الوليد بْن مسلم عَن أَبِيهِ، قَالَ: لما قدم برأس الْحُسَيْن عَلَى يزيد بْن مُعَاوِيَة، وأدخل أهله الخضراء بدمشق تصايحن بنات معاوية ونساءه فجعل يزيد يقول:

يَا صيحة تحمد من صوائح ... مَا أهون الموت عَلَى النوائح

إذا قضى الله أمرًا كَانَ مفعولاً، قد كنا نرضَى مِن طاعةِ هَؤُلاءِ بدون هَذَا.

رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».[١]

ومن ذلك: وما عقد الصحابة رضي الله عنهم مناظرات للحسين لمنعه كما عقدوا للخوارج مناظرات لمنعهم مما أرادوا.[٢]

ومنها: أن لا أحد أساء للحسين في القول كما في قولهم للخوارج فمنهم من قال عنهم :« كلاب النار» و«شر قتلى تحت أديم السماء »ومنهم من سمَّاهم:«الفاسقين».

ولذلك قال شيخ الإسلام:

« وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي يَأْمُرُ فِيهَا بِقِتَالِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ لَمْ تَتَنَاوَلْهُ ؛ فَإِنَّهُ رضي الله عنه لَمْ يُفَرِّقِ الْجَمَاعَةَ، وَلَمْ يُقْتَلْ إِلَّا وَهُوَ طَالِبٌ لِلرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ، أَوْ إِلَى الثَّغْرِ، أَوْ إِلَى يَزِيدَ، دَاخِلًا فِي الْجَمَاعَةِ، مُعْرِضًا عَنْ تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ. وَلَوْ كَانَ طَالِبُ ذَلِكَ أَقَلَّ النَّاسِ لَوَجَبَ إِجَابَتُهُ إِلَى ذَلِكَ، فَكَيْفَ لَا تَجِبُ إِجَابَةُ الْحُسَيْنِ إِلَى ذَلِكَ؟! وَلَوْ كَانَ الطَّالِبُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ مَنْ هُوَ دُونَ الْحُسَيْنِ لَمْ يَجُزْ حَبْسُهُ وَلَا إِمْسَاكُهُ، فَضْلًا عَنْ أَسْرِهِ وَقَتْلِهِ».[٣]

وقال[٤]:

« وَلَمْ يَكُنْ هُوَ حِينَ قُتِلَ طَالِبًا لِلْوِلَايَةِ، وَلَا كَانَ مَعَهُ جَيْشٌ يُقَاتِلُ بِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ قَدْ رَجَعَ مُنْصَرِفًا وَطَلَبَ أَنْ يُرَدَّ إِلَى يَزِيدَ ابْنِ عَمِّهِ، أَوْ أَنْ يُرَدَّ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ

---

(١) أخرجه البخاري(٥٩٩٤).

(٢) ناظرهم على ا، وناظرهم ابن عباس رضي الله عنه فرجع منهم آلاف فدخلوا في عسكر عليًا رضي الله عنه فراجع كتابي «**مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم**» .

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٨٦).

(٤) المصدر السالف(٦/ ٣٤٠).

يَسِيرَ إِلَى الثَّغْرِ، فَمَنَعَهُ أُولَئِكَ الظَّلَمَةُ مِنَ الثَّلَاثَةِ حَتَّى يَسْتَأْسِرَ لَهُمْ، فَلَمْ يُقْتَلْ رضي الله عنه وَهُوَ يُقَاتِلُ عَلَى وِلَايَةٍ، بَلْ قُتِلَ وَهُوَ يَطْلُبُ الدَّفْعَ عَنْ نَفْسِهِ لِئَلَّا يُؤْسَرَ وَيُظْلَمَ»

وهنا يأتي تنبيه مهم :

وهو بيان خطأ دعوى أن الحسين بن علي رضي الله عنه خرج على يزيد للمطالبة بدم أبيه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه !(١)

وهذا كلام غريب عجيب بل بعيد جدًا عن كبد الحقيقة غط من قائله.

ويبدوا أن قائل هذا لما اعتقد أن الحسين رضي الله عنه خرج على يزيد ، وعلم تواتر الأحاديث عن النبي ﷺ والآثار عن السلف في المنع من منازعة الأمراء أو الخروج عليهم، فأراد أن يبرئ ساحة الحسين وأن يُخَرِّج له وجهًا كما كان لمعاوية وجهة في القتال ضدَّ طائفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمطالبة بدم عثمان، فخرَّج تخريجًا أن الحسين رضي الله عنه لم يكن خارجًا على يزيد منازعًا له، وإنما كان خارجًا للمطالبة بدم أبيه علي بن أبي طالب، وهو كلام عاري عن التحرير والحقيقة.

فنقول وبالله التوفيق ملخَّصًا: إن الحسين بن علي رضي الله عنه لم يخرج على إمام من أئمة المسلمين أصلًا، فلا الحسين ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم قد خرجوا على إمام من أئمة المسلمين كما بيَّنَّاه محرَّرًا.

ولذلك لم يذكِّره صحابي واحد ممن نهوه عن الخروج إلى العراق بأحاديث السمع والطاعة المتواترة عن رسول الله ﷺ.

وإنما الذي حصل: خدعه أهل الكوفة الذين ذمَّهم الصحابة وحذَّره ابن عباس رضي الله عنه وغيره من الخروج إليهم، مُشيرًا إليه أن لا يَعتَدَّ ببيعتهم ولا بكتبهم التي كتبوا بها إليه.

---

(١) وقع هذا في كلام بعض المعاصرين كالشيخ محمد بن هادي المدخلي، والأخ مزمِّل فقيري وغيرهما.

وإنما كتبوا إليه كتبًا فأوهموه أن لا إمام لديهم، فخرج إليهم فكانت النتيجة المعروفة، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

* وما الدليل على أنه ﷺ خرج إليهم مطالبًا بدم أبيه علي بن أبي طالب ﷺ أصلًا، ولم يقل أحد من أهل العلم بذلك في كتاب فيما وقفت عليه؟

* دماء ماذا وقد قتل علي بن أبي طالب منذ عشرين سنة، وذلك سنة أربعين للهجرة النبوية، قتله ابن ملجم قبَّحه الله، وقُتل الخبيث بعد موت علي بن أبي طالب؟

* كيف وقد تنازل الحسن قبله بالخلافة لمعاوية ﷺ والد يزيد والأمر قد انتهى؟

* وهل كان دماء علي بن أبي طالب عند يزيد أصلًا أو عند أهل الكوفة، أم كان عند الخارجي ابن ملجم الذي قد اقتُص منه بما فعل؟

كراهية الحسين ﷺ للفتن والبلايا

أخرج الآجري[1] بإسنادٍ لا بأس به عَنْ كَثِيرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: لَمَّا أُحِيطَ بِالْحُسَيْنِ ﷺ قَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْأَرْضُ؟

فَقِيلَ: كَرْبَلَاءُ فَقَالَ:

«صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ، هِيَ أَرْضُ كَرِبٍ وَبَلَاءٍ».

الوارد عن الحسين ﷺ آخر ما قال

أخرج ابن عساكر[1] بسند فيه إبهام عن أبي مَعْشَرٍ نَجِيح، عَنْ بعض مشيخته: أن الحسين قَالَ حِينَ نَزَلُوا كَرْبَلَاءَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الأرض؟

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في«المثاني» (٤٢٤) والآجري ي«الشريعة»(١٦٦٦) وغيرهما.

قالوا: كربلاء، قال: كرب وبلاء، قال: وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا عُمَرُ، اخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى ثَلَاثٍ؛ إِمَّا تَتْرُكُنِي أَنْ أَرْجِعَ، أَوْ تُسَيِّرُنِي إِلَى يَزِيدَ فَأَضَعُ يَدِي فِي يَدِهِ فَيَحْكُمُ فِي ما رأى، فَإِنْ أَبَيْتَ فَسَيِّرْنِي إِلَى التُّرْكِ فَأُقَاتِلُهُمْ حَتَّى أَمُوتَ. فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ بِذَلِكَ، فَهَمَّ أَنْ يُسَيِّرَهُ إِلَى يَزِيدَ، فَقَالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ جَوْشَنٍ- كَذَا قَالَ، وَالْأَصَحُّ: شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ: لَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ. وَأَبْطَأَ عُمَرُ بن سعد عن قتاله، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ شِمْرَ الْمَذْكُورَ، فَقَالَ: إِنْ تَقَدَّمَ عُمَرُ وَقَاتَلَ وَإِلَّا فَاقْتُلْهُ وَكُنْ مَكَانَهُ، وَكَانَ مَعَ عُمَرَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أهل الكوفة، فقالوا: يعرض عليكم ابْنُ بِنْتِ رَسُول الله ﷺ ثَلَاثَ خِصَالٍ، فَلَا تَقْبَلُونَ مِنْهَا شَيْئًا؟! وَتَحَوَّلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ فَقَاتَلُوا.

وأما ما أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] من طريق خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: «لَمَّا وُضِعَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ يَدَيْ يَزِيدَ، وَعِنْدَهُ أَبُو بَرْزَةَ جَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ عَلَى لِثَتِهِ وَيَقُولُ: يُفَلِّقْنَ هَامًا. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: ارْفَعْ قَضِيبَكَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَلْثَمُهُ». فخالد بن يزيد أحاديثه كلها لا يُتَابَع عليها لا إسناداً ولا متناً، وقال الذهبي: [٣]

« ولم أر لهم فيه قولا، بل غفلوا عنه، وهو عندي ضعيف» .

---

(١) في«تاريخه»(١٤/ ٢٢٠).

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٦٢).

(٣) في«الميزان»(١/ ٦٤٧) .

وحكى[١] عن ابن أَبِي الدُّنْيَا قال: حَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، عَنِ الْحُمَيْدِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ، سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: لَمَّا جِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ جَعَلَ يَزِيدُ يَطْعَنُ بِالْقَضِيبِ. قَالَ: سُفْيَانُ: وَأَخْبِرْتُ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يُنْشِدُ عَلَى إِثْرِ هَذَا:

سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى ... وَبِنْتُ رَسُولِ الله لَيْسَ لَهَا نَسْلُ.

وسالم بن أبي حفصة ليس بثقة، ولا يحتج به وهو غالي في التشيُّع، وهذا مما يوافق بدعته.

فلم يأت فيما أعلم أن يزيد بن معاوية أمر بقتل الحسين أو رضي بذلك أو أساء إليه ميتاً، وإنما الإساءة كانت من عبيدالله بن زياد حيث نكت في ثنايتاه بالقضيب كما سيأتي في موطنه.

كلام شيخ الإسلام في براءة يزيد بن معاوية من دم الحسين

قال[٢]: «إِنَّ يَزِيدَ لَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ النَّقْلِ، وَلَكِنْ كَتَبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ أَنْ يَمْنَعَهُ عَنْ وِلَايَةِ الْعِرَاقِ. وَالْحُسَيْنُ ﷺ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ يَنْصُرُونَهُ وَيَفُونَ لَهُ بِمَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، فَلَمَّا قَتَلُوا مُسْلِمًا وَغَدَرُوا بِهِ وَبَايَعُوا ابْنَ زِيَادٍ، أَرَادَ الرُّجُوعَ فَأَدْرَكَتْهُ السَّرِيَّةُ الظَّالِمَةُ، فَطَلَبَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى يَزِيدَ، أَوْ يَذْهَبَ إِلَى الثَّغْرِ، أَوْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ، فَلَمْ يُمَكِّنُوهُ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَسْتَأْسِرَ لَهُمْ، فَامْتَنَعَ، فَقَاتَلُوهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا مَظْلُومًا ﷺ، وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ أَظْهَرَ التَّوَجُّعَ عَلَى ذَلِكَ، وَظَهَرَ الْبُكَاءُ فِي دَارِهِ، وَلَمْ يَسْبِ لَهُ حَرِيمًا أَصْلًا، بَلْ أَكْرَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَجَازَهُمْ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى بَلَدِهِمْ».

---

(١) في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٦٢).

(٢) في «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٤٧٢).

قال ابن كثير[١]:«يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَكْثَرُ مَا نُقِمَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ شُرْبُ الْخَمْرِ، وَإِتْيَانُ بَعْضِ الْفَوَاحِشِ» .

قلت:«**محمد**» :«لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤوسهم إلى يزيد، فسرّ بقتله أَوَّلًا وَحَسُنَتْ بِذَلِكَ مَنْزِلَةُ ابْنِ زِيَادٍ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى نَدِمَ! فَكَانَ يَقُولُ: وَمَا كَانَ عَلَيَّ لَوِ احْتَمَلْتُ الْأَذَى وَأَنْزَلْتُهُ فِي دَارِي وَحَكَّمْتُهُ فِيمَا يُرِيدُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ وَكَفٌ وَوَهْنٌ فِي سُلْطَانِي، حِفْظًا لِرَسُولِ اللهﷺ، وَرِعَايَةً لِحَقِّهِ وَقَرَابَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لعن الله ابن مرجانة فإنه أحرجه وَاضْطَرَّهُ، وَقَدْ كَانَ سَأَلَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ أَوْ يَأْتِيَنِي أَوْ يَكُونَ بِثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ المسلمين حتى يتوفاه الله، فلم يفعل، بل أبى عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ، فَبَغَّضَنِي بِقَتْلِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَزَرَعَ لِي فِي قلوبهم العداوة فَأَبْغَضَنِي الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ بِمَا اسْتَعْظَمَ النَّاسُ مِنْ قتلي حسيناً، مالي ولابن مرجانة قبحه الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ».

فهذا مما لم أقف على سند ثابت بهذا.

وَلَمَّا خَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ طَاعَتِهِ وَخَلَعُوهُ وَوَلَّوْا عَلَيْهِمُ ابْنَ مُطِيعٍ وَابْنَ حَنْظَلَةَ، لَمْ يَذْكُرُوا عَنْهُ- وَهُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لَهُ - إِلَّا مَا ذَكَرُوهُ عَنْهُ من شرب الخمر وإيتانه بَعْضَ الْقَاذُورَاتِ، لَمْ يَتَّهِمُوهُ بِزَنْدَقَةٍ كَمَا يَقْذِفُهُ بِذَلِكَ بَعْضُ الرَّوَافِضِ، بَلْ قَدْ كَانَ فَاسِقًا والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقع الْهَرْجِ كَمَا وَقَعَ زَمَنَ الْحَرَّةِ، فَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَرُدُّهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَأَنْظَرَهُمْ ثَلَاثَةَ أيام، فلما رجعوا قاتلهم وغير ذلك، وقد كان في قتال أهل الحرة كفاية، ولكن تجاوز الحد بإباحة المدينة ثلاثة أيام، فوقع بسبب ذلك شر عظيم.[٢]

---

(١) في«البداية والنهاية» (٩/ ٢٣).

(٢) المصدر السالف(٩/ ٢٣-٢٤).

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلت هذه السنة والحسين رضي الله عنه سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق.

تفصيل مقتله رضي الله عنه (١)

تقدَّم حكاية ابن كثير عن ابن جرير قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ الرَّازِيُّ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثَنَا عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ، ثَنَا حُصَيْنٌ أَنَّ الْحُسَيْنَ بَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ: إِنَّ مَعَكَ مِائَةَ أَلْفٍ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ

قَالَ حُصَيْنٌ: فَحَدَّثَنِي هِلَالُ بن يساف أن ابن زياد أمر النَّاس أن يأخذوا مَا بَيْنَ وَاقِصَةَ إِلَى طَرِيقِ الشَّامِ إِلَى طريق البصرة حفظاً فَلَا يَدَعُونَ أَحَدًا يَلِجُ وَلَا أَحَدًا يَخْرُجُ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشئ حَتَّى أَتَى الْأَعْرَابَ فَسَأَلَهُمْ عَنِ النَّاسِ فَقَالُوا: وَالله لَا نَدْرِي، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَلِجَ وَلَا تَخْرُجَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ يَسِيرُ نَحْوَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَتَلَقَّتْهُ الْخُيُولُ بِكَرْبَلَاءَ فَنَزَلَ يُنَاشِدُهُمُ الله وَالْإِسْلَامَ، قَالَ: وَكَانَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ وَحُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ، فَنَاشَدَهُمُ الله وَالْإِسْلَامَ أَنْ يُسَيِّرُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ فَيَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، فَقَالُوا لَهُ: لا! إلا أن تنزل عَلَى حُكْمِ ابْنِ زِيَادٍ(٢)، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ من معهم الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ الْحَنْظَلِيُّ ثُمَّ

---

(١) من نقل ابن كثير من «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤٤) بالأسانيد.

(٢) وقال ابن كثير(٨/ ٣٧١):« كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ إِجَابَتُهُ إِلَى مَا سَأَلَ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا، فَإِذَا ذُمَّتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ تذم الأمة كلها بكمالها ونتهم عَلَى نَبِيِّهَا ﷺ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَلَا كَمَا سَلَكُوهُ، بل أكثر الأئمة قَدِيمًا وَحَدِيثًا كَارِهٌ مَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِ أَصْحَابِهِ، سِوَى شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَبَّحَهُمُ الله، وَأَكْثَرُهُمْ كَانُوا قَدْ كَاتَبُوهُ لَيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ ».

النَّهْشَلِيُّ عَلَى خَيْلٍ، فَلَمَّا سَمِعَ مَا يَقُولُ الْحُسَيْنُ قَالَ لهم: أَلَا تتقون الله؟

أَلَا تَقْبَلُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَا يَعْرِضُونَ عَلَيْكُمْ، والله لو سألتكم هَذَا التُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ مَا حَلَّ لَكُمْ أَنْ تردوهم فأبوا إلا حُكْمِ ابْنِ زِيَادٍ؟ فَضَرَبَ الْحُرُّ وَجْهَ فَرَسِهِ وانطلق إلى الحسين، فَظَنُّوا أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ لِيُقَاتِلَهُمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ قَلَبَ تُرْسَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ كَرَّ على أصحاب ابن زياد فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ ثُمَّ قُتِلَ رَحِمَهُ الله.

وَذُكِرَ أَنَّ زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ الْبَجَلِيَّ لَقِيَ الْحُسَيْنَ وَكَانَ حَاجًّا فَأَقْبَلَ مَعَهُ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ابن أبي مخرمة الْمُرَادِيُّ وَرَجُلَانِ آخَرَانِ، وَهَمَا عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ ومعن السلمي، وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ يُكَلِّمُ مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ بَرُودٍ، فَلَمَّا كَلَّمَهُمُ انْصَرَفَ فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ له عمرو الطهوي بسهم بين كتفيه، فَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّهْمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِجُبَّتِهِ، فَلَمَّا أَبَوْا عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى مَصَافِّهِ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ، فِيهِمْ لِصُلْبِ عَلِيٍّ خَمْسَةٌ، وَمِنْ بَنِي هَاشِمٍ سِتَّةَ عَشَرَ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيم حَلِيفٌ لَهُمْ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَلِيفٌ لهم، وابن عم ابن زياد.

وقال حصين: حدثني سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ قَالَ: إِنَّا لَمُسْتَنْقَعُونَ فِي الْمَاءِ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَارَّهُ فَقَالَ لَهُ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ ابْنُ زِيَادٍ جُوَيْرِيَةَ بْنَ بَدْرٍ التَّميمي وَأَمَرَهُ إِنْ لَمْ تُقَاتِلِ الْقَوْمَ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَكَ.

قَالَ: فَوَثَبَ إِلَى فَرَسِهِ فَرَكِبَهَا ثُمَّ دَعَا بِسِلَاحِهِ فَلَبِسَهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى فَرَسِهِ، وَنَهَضَ بِالنَّاسِ إليهم فقاتلوهم فجيء بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَقُولُ بِقَضِيبِهِ فِي أَنْفِهِ وَيَقُولُ: إن أبا عبد الله كان قد شمط.

قال: وجيء بنسائه وبناته وأهله قال: وكان أحسن شيء صَنَعَهُ أَنْ أَمَرَ لَهُمْ بِمَنْزِلٍ فِي مكانٍ معتزلٍ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا، وَأَمَرَ لَهُمْ بِنَفَقَةٍ وكسوة.

قال: وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر - أو ابن أبي جعفر - فأتيا رجلاً من طئ فلجآ إليه مستجيران به، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا وَجَاءَ بِرَأْسَيْهِمَا حَتَّى وَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ زِيَادٍ، قَالَ: فهمَّ ابْنُ زِيَادٍ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَأَمَرَ بِدَارِهِ فَهُدِمَتْ.

وقد أخرج نفس الرواية البلاذري[1] بإسنادٍ صحيح، قال: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْن العوام، عَن حصين:

أن أَهْل الْكُوفَةِ كتبوا إِلَى الْحُسَيْن: إنا معك ومعنا مائة ألف سيف.

فبعث الحسين إليهم مسلم بن عقيل فنزل بالكوفة في دار هانئ بْن عروة، فبعث إِلَيْهِ ابْن زياد فأتي به فضربه بقضيب كان معه ثم أمر به فكتف وضربت عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أناس كثير.

قَالَ حصين: فحدثني هلال بْن إساف قال: ثم إنهم لقد تفرقوا عنه فلما قلت الأصوات فقيل كذا لابن زياد: مَا نرى مَعَهُ كبير أحد. فأمر فرفعت جرادي فِيهَا النار حَتَّى نظروا فَإِذَا ليس مَعَ مسلم إِلا قدر خمسين فَقَالَ ابْن زياد للناس: تميزوا أرباعا فانطلق كُلّ قوم إِلَى رأس ربعهم فنهض إِلَيْهِمْ قوم قاتلوا مَعَ مسلم فجرح مسلم جراحة وقتل ناس من أصحابه، ولجأ مسلم إِلَى دار من دور كندة، فجاء رجل إِلَى مُحَمَّد بْن الأشعث وَهُوَ جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك، فقال ابن الأشعث لابن زياد: إنه قَالَ لي: إن مسلماً فِي دار فلان. فَقَالَ: ائتوني بِهِ. فدخل ابن الأشعث عَلَيْهِ وَهُوَ عند امرأة قد أوقدت نارًا فهي تغسل عَنْهُ الدم، فَقَالُوا لَهُ: انطلق إِلَى الأمير.

فَقَالَ عفوا. قَالُوا: مَا نملك ذَلِكَ. فانطلق معهم فلما رآه أمر بِهِ فكتف وَقَالَ:

---

(١) في «أنساب الأشراف» (٣/ ٢٢٤).

أجئت يَا ابْن حلية لتنزع سلطاني؟ وأمر بِهِ فضربت عنقه. قَالَ: وحلية أم مسلم بْن عقيل وهي أم ولد. ثم أمر ابن زياد بأخذ مَا بين واقصة إِلَى طريق الشَّام إِلَى طريق الْبَصْرَة.

وأقبل الْحُسَيْن وَهُوَ لا يشعر بِشَيْءٍ حَتَّى لقي الأعراب فسألهم فَقَالُوا:

والله مَا ندري غير أنا لا نقدر عَلَى أن نخرج أَوْ نلج. فانطلق يسير نحو الشام إلى يزيد، فلقيته جنود بكربلاء فناشدهم الله.

وَكَانَ بعث إِلَيْهِ عمر بْن سَعْدٍ، وشمر بْن ذي الجوشن وحصين بن تميم، فناشدهم اللهَّ أن يسيروه إِلَى يزيد فيضع يده فِي يده فَقَالُوا: لا إِلا عَلَى حكم ابْن زياد! وَكَانَ فيمن بعث إِلَيْهِ الحر بْن يزيد الحنظلي فَقَالَ لهم: يَا قوم لو سألتكم هَذَا الترك والديلم مَا حل لكم أن تمتنعوا منه!

فأبوا إِلا أن يحملوه عَلَى حكم ابْن زياد، فركب الحر وصار مَعَ الْحُسَيْن، ثُمَّ كر عَلَى أصحاب ابْن زياد فقاتلهم فقتل منهم رجلين ثُمَّ قتل.

وذكر وا أن زهير بْن القين العجلي لقي الْحُسَيْن وكان حاجا فأقبل معه.

قالوا: وأخرج إليه ابن زياد، ابنَ أبي حريرة المرادي وعمرو بْن الحجاج ومعنا السُّلمي.

قَالَ حصين: فحدثني سعد بْن عبيدة، قَالَ: إن أشياخنا من أَهْل الْكُوفَةِ لوقوف عَلَى تل يبكون ويقولون: اللَّهُمَّ أنزل عَلَيْهِ نصرك. فقلت:

يا أعداء الله ألا تنزلون فتنصرونه؟!

قَالَ: وأقبل الْحُسَيْن يكلِّم مَن بعث إِلَيْهِ ابْن زياد، وإني لأنظر إِلَيْهِ وعليه جُبَّة بُرد، فلما أبوا مَا قَالَ لهم انصرف إلى مصافه، وإنهم لمائة رجل أَوْ قريب من مائة،

فِيهِمْ من صُلب علي خمسة، وستة عشر من الهاشميين، وفيهم رجل من سليم حليفاً لهم ورجل من كنانة حليفاً لهم.

قَالَ حصين: وأخبرني سعد بْن عبيدة، قَالَ: إنا لمستنقعون فِي الماء مَعَ عمر بن سعد إذ أتاه رجلٌ فساره فَقَالَ: بعث إِلَيْك ابْن زياد ابن حويزة بن بدر التَّمِيمِيّ وأمره إن أنت لم تقاتل أن يضرب عنقك. قَالَ: فخرج فوثب عَلَى فرسه ثم دعا بسلاحه فصار إليهم فقاتلهم فقتلهم فجيء برأس الْحُسَيْن إِلَى ابْن زياد، فوضع بين يديه وجعل ينكته بقضيب لَهُ ويقول: أرى أبا عَبْد الله قد كَانَ شمط.

وأمر ببناته ونسائه فكان أحسن مَا صنع بهن أن أمر لهن بمنزل في مكان معتزل فأجرى عليهن رزقا وأمر لهن بكسوة ونفقة.

ولجأ ابنان لعبد الله بْن جعفر إِلَى رجل من طيّئ فضرب أعناقهما وأتى ابْن زياد برؤسهما! فهمَّ ابن زياد بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت.

قَالَ حصين: فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة وكأنما متلطخ الحوائط بالدماء من صلاة الصبح إِلَى ارتفاع الشمس.

عدد من قتل مع الحسين رضي الله عنه

أخرج خليفة بن خياط[1] بسنده عن ابن الحنفية قال «قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا كلهم قد ارتكض في بطن فاطمة».[2]

---

(١) في «تاريخه» ص ١٤٦.

(٢) وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٨٠٥) ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا ... عبد السلام بن عاصم الرازي، ثنا يحيى بن الضريس و (٢٨٥٥) ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو نعيم كلاهما (أبو نعيم ويحيي) عن فطر بن خليفة، عن منذر الثوري قال: كنا إذا ذكرنا حسيناً ومن قتل معه، قال محمد بن الحنيفة: ... فذكره. وهذا إسناد رجاله ثقات.

وفي رواية الطبراني[١] عَنِ الْحَسَنِ أيضاً قَالَ: «قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَاللهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَهْلُ بَيْتٍ يُشْبِهُونَ».

قَالَ سُفْيَانُ: «وَمَنْ يَشُكُّ فِي هَذَا؟ ».وسنده صحيح .

وهذا مما يؤكد أنه ما خرج لقتال ولا لخروج على إمام أصلاً، إذ لو ذهب لقتال لجمع لهم جيشاً كما جمع أخوه الحسن كتائب أمثال الجبال قبل أن يتنازل لمعاوية رضي الله عنهما.

ما حدث بعد قتله رضي الله عنه

قطع رأسه وحمل إلى عبيد الله بن زياد قبَّحه الله فجعل ينكت في ثناياه بقضيب في يده –قبحه الله –.

وقد أخرجه البخاري[٢] من طريق مُحَمَّدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ،أُتِيَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ أَنَسٌ: «كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللهﷺ ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالوَسْمَةِ.

أخرج البزار[٣] بسندٍ صحيح من نفس الطريق أيضاً عَنْ مُحَمَّدٍ، عَن أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا أُتِيَ زِيَادٌ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَفْتِلُهُ بِقَضِيبٍ، أَوْ يُقَلِّبُهُ بِقَضِيبٍ فَقَالَ: إِنْ كَانَ جَمِيلا قَالَ أَنَسٌ فَقُلْتُ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقَبِّلُهُ، أَوْ يَلْثِمُهُ.

وسيأتي عقاب الله لعبيد الله بن زياد على فعلته تلك ، عند وفاته إن شاء الله.

وفطر بن خليفة ثقة أيضاً ـ على الراجح ـ لكنه رُمي بالتشيع، لكن يشهد له.

(١) في «الكبير»(٣/ ١١٨) رقم (٢٨٥٤).

(٢) برقم (٣٧٤٨).

(٣) في «المسند» (٦٧٣٤).

الوارد عن النبي ﷺ أنه أخبر بقتل الحسين في تربة معيَّنة

أخرج أحمد [١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ مَلَكَ الْمَطَرِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: « **امْلِكِي عَلَيْنَا الْبَابَ، لَا يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ** »، قَالَ: وَجَاءَ الْحُسَيْنُ لِيَدْخُلَ فَمَنَعَتْهُ، فَوَثَبَ فَدَخَلَ فَجَعَلَ يَقْعُدُ عَلَى ظَهَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى مَنْكِبِهِ، وَعَلَى عَاتِقِهِ، قَالَ: فَقَالَ الْمَلَكُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «**أَتُحِبُّهُ؟**» قَالَ: « نَعَمْ »، قَالَ: « **أَمَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيه** » فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَجَاءَ بِطِينَةٍ حَمْرَاءَ، فَأَخَذَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ فَصَرَّتْهَا فِي خِمَارِهَا. قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء.

وله شاهد:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا عَائِشَةُ، أَلَا أُعَجِّبُكِ؟ لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ مَلَكٌ آنِفًا مَا دَخَلَ عَلَيَّ قَطُّ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا مَقْتُولٌ، وَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ تُرْبَةً يُقْتَلُ فِيهَا، فَتَنَاوَلَ الْمَلَكُ بِيَدِهِ، فَأَرَانِي تُرْبَةً حَمْرَاءَ** » [٢].

وهذا إسناد منقطع. فإن سعيد بن أبي هند لا يعرف له سماع من أم سلمة ولا عائشة؛ بل لم يسمع من أبي هريرة وأبي موسى رضي الله عنهما اللذان قد تأخرت وفاتهما عن وفاة أم سلمة وعائشة.

ولهذا الحديث شواهدأخرى تعرَّضت لها في غير هذا الموطن، وبينت أنها كلها لا يصح منها شيء. [٣]

وبالجملة: فإن صحة هذا الحديث مستبعدة، ولا يصح لطرقه أيضاً لكثرة

---

(١) برقم(١٣٥٣٩).

(٢) أخرجه الطبراني في«الكبير»(٣/ ١٠٧).

(٣) انظر كتابي «الفوائد النيرة»(١٣٣١).

دواعي نقله باستفاضة وبأسانيد سالمة من هذا الضعف الذي سلف، إن كان رسول الله ﷺ قاله، لا سيما في خضم فتنة مقتل الحسين رضي الله عنه ووجود مناصريه بكثرة، والله أعلم.

رؤيا ابن عباس رضي الله عنه فيها حزن النبي ﷺ على قتل ولده

أخرج أحمد[١] بسندٍ قواه الحافظ ابن كثير[٢] وهو كذلك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ بِنِصْفِ النَّهَارِ وَهُوَ قَائِمٌ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، بِيَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ، لَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ فَأَحْصَيْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَوَجَدُوهُ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ».

نُوَاحُ الجنِّ على الحُسَين رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد[٣] بسندٍ رجاله معدَّلون من طريق حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: «سَمِعْتُ الْجِنَّ يَبْكِينَ عَلَى حُسَيْنٍ قَالَ: وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ سَمِعْتُ الْجِنَّ تَنُوحُ عَلَى الْحُسَيْنِ رضي الله عنه».

وقد رُوِي عن حَمَّاد بْن سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ مَيْمُونَةَ، قَالَتْ: «سَمِعْتُ الْجِنَّ تَنُوحُ عَلَى الْحُسَيْنِ رضي الله عنه». [٤]

ولعل الأصوب أنه عن أم سلمة وهي رواية الأكثر.

---

(١) برقم (٢٥٥٣).

(٢) في «البداية والنهاية» (٨/ ٣٦٨).

(٣) في «فضائل الصحابة» (١٣٧٣) وابن أبي عاصم في «المثاني» (٤٢٥).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «المثاني» (٤٢٦).

وفي رواية أم سلمة[١] زيادة: وَهُنَّ يَقُلْنَ- تعني الجن-:

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ ظُلْمًا حُسَيْنًا ... أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ

كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ ... مِنْ نَبِيٍّ وَمُرْسَلٍ وَقَبِيلِ

قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لَسَانِ ابْنِ دَاوُدَ .... وَمُوسَى وَصَاحِبِ الْإِنْجِيلِ.

وَكَانَ مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه يَوْمَ الجمعة، يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ.

مبالغات الشيعة في عاشوراء قتل الحسين رضي الله عنه

قال ابن كثير[٢]:وَلَقَدْ بَالَغَ الشِّيعَةُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَوَضَعُوا أَحَادِيثَ كثيرة كذبا فَاحِشًا، مِنْ كَوْنِ الشَّمْسِ كَسَفَتْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتِ النُّجُومُ وَمَا رُفِعَ يَوْمَئِذٍ حَجَرٌ إِلَّا وُجِدَ تَحْتَهُ دَمٌ، وَأَنَّ أَرْجَاءَ السَّمَاءِ احْمَرَّتْ، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب ضرب بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا أَحْمَرَ، وَأَنَّ الْحُمْرَةَ لَمْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ يَوْمِئِذٍ، ونحو ذلك. وَرَوَى ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ الْمُعَافِرِيِّ أَنَّ الشَّمْسَ كَسَفَتْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتِ النُّجُومُ وَقْتَ الظُّهْرِ، وَأَنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ لَمَّا دَخَلُوا بِهِ قَصْرَ الْإِمَارَةِ جَعَلَتِ الْحِيطَانُ تَسِيلُ دَمًا، وَأَنَّ الْأَرْضَ أَظْلَمَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ يُمَسَّ زعفران ولا ورس بما كَانَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا احْتَرَقَ مَنْ مَسَّهُ، وَلَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا ظَهَرَ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيطٌ، وَأَنَّ الْإِبِلَ الَّتِي غَنِمُوهَا مِنْ إِبِلِ الْحُسَيْنِ حِينَ طَبَخُوهَا صَارَ لَحْمُهَا مِثْلَ الْعَلْقَمِ.

---

(١) أخرجها ابن عساكر في«تاريخه»(١٤/ ٢٤٠).

(٢) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٦٩).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ منها شيء.

مكان قبر الحسين رضي الله عنه

وَأَمَّا قَبْرُ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه فَقَدِ اشتهر عند كثير من الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ فِي مَشْهَدِ عَلِيٍّ.

بِمَكَانٍ مِنَ الطَّفِّ عِنْدَ نَهْرِ كَرْبَلَاءَ، فَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ فَالله أَعْلَمُ.

وَقَدْ ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفي أَثَرُهُ حَتَّى لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلَى تَعْيِينِهِ بِخَبَرٍ.

وَقَدْ كَانَ أَبُو نُعَيْمٍ، الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْرِفُ قبر الحسين.(١)

تصحيح مفهوم خاطئ أن مكان قبر الحسين في مصر

ويجدر بنا أن ننبه على وهم كبير راج على كثير من العامة، والجهَّال بشأن كثير من القبور المزعوم أنها قبور صالحين، ورَوَّجَ لذلك سدنة أموال النذور لأصحاب القبور قبَّحهم الله.

قال الحافظ ابن كثير: (٢)

«ادَّعَتِ الطَّائِفَةُ الْمُسَمَّوْنَ بِالْفَاطِمِيِّينَ الَّذِينَ مَلَكُوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَبْلَ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ سِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، أَنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَدَفَنُوهُ بِهَا وَبَنُوا عَلَيْهِ الْمَشْهَدَ الْمَشْهُورَ بِهِ بِمِصْرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ تَاجُ الْحُسَيْنِ، بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ.

---

(١) « البداية والنهاية»(٨/ ٣٧١).

(٢) فى « البداية والنهاية» (٨/ ٣٧٢) بتحقيقي.

وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا أَصْلَ لَذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُرَوِّجُوا بِذَلِكَ بُطْلَانَ مَا ادَّعَوْهُ مِنَ النَّسَبِ الشَّرِيفِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَبَةٌ خَوَنَةٌ، وَقَدْ نصَّ عَلَى ذَلِكَ الْقَاضِي الْبَاقِلَانِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، فِي دَوْلَتِهِمْ فِي حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ، كَمَا سَنُبَيِّنُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ في مواضعه إن شاء الله تعالى» .

قلت(ابن كثير)[1]: والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا، فإنهم جاؤوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور، وقالوا: هذا رأس الحسين، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم» .

ومن قبله الإمام القرطبي صاحب «التفسير» قال[2]:

«وما ذكر أنه أي رأس الحسين رضي الله عنه في عسقلان في مشهد هناك، أو في القاهرة، فشيء باطل لا يصح ولا يثبت» .

وقال شيخ الإسلام[3]:

« الْأَمْكِنَة الْمَشْهُورَة عِنْدَ النَّاسِ بِمِصْر وَالشَّام:أَنَّهَا مَشْهَدُ الْحُسَيْنِ وَأَنَّ فِيهَا رَأْسَهُ. كَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ. وَإِفْكٌ وَبُهْتَانٌ ».

وقال[4]:

« أَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَمْ يُحْمَلْ رَأْسُهُ إلَى مِصْرَ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَكَذَلِكَ لَمْ يُحْمَلْ إلَى الشَّامِ وَمَنْ قَالَ إنَّ مَيِّتًا مِنْ الْمَوْتَى نَفِيسَةَ أَوْ غَيْرِهَا تُجِيرُ الْخَائِفَ وَتُخَلِّصُ الْمَحْبُوسَ وَهِيَ

---

(١) وقد سقط هذا الجزء من بعض النسخ المطبوعة، حتى من النسخة التي علقت عليها.

(٢) في «التذكرة» ص ٧٠٥ بتحقيقي، ط. الصفا والمروة.

(٣) في «الفتاوى» (٢٧/ ٤٨٩).

(٤) في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٩٠).

بَابُ الْحَوَائِجِ: فَهُوَ ضَالٌّ مُشْرِكٌ».

وقال شيخ الإسلام[١] عن القبور المكذوبة:

« مشهد الرأس الذى بالقاهرة، فإن المصنفين فى مقتل الحسين اتفقوا على أن الرأس ليس بمصر، ويعلمون أن هذا كذب، وأصله أنه نُقل من مشهد بعسقلان، وذلك المشهد بني قبل هذا بنحو من ستين سنة فى أواخر المائة الخامسة، وهذا بُني فى أثناء المائة السادسة بعد مقتل الحسين رضي الله عنه بنحو خمسمائة عام، والقاهرة بنيت بعد مقتل الحسين بنحو ثلثمائة عام »

وقال فى نفس الموطن[٢]:

«وقد حدثني الثقات، طائفة عن ابن دقيق العيد، وطائفة عن أبي محمد عبد الملك بن خلف الدمياطي، وطائفة عن أبي بكر محمد بن أحمد القسطلاني، وطائفة عن أبي عبد الله القرطبي صاحب «التفسير»كل هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير، كل يحدثني عمن حدثه من هؤلاء: أنه كان ينكر أمر هذا المشهد،ويقول: إنه كذب، وليس فيه رأس الحسين ولا شيء منه، والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: «إنما فيه نصراني...».اهـ

وفي موطن آخر:[٣]

« الْمَشْهَدُ الْمَنْسُوبُ إلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ- رَضِيَ الله عَنْهُمَا- الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْمَعْرُوفِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَرْجِعُ إلَيْهِمْ الْمُسْلِمُونَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لِعِلْمِهِمْ وَصِدْقِهِمْ.وَلَا يُعْرَفُ عَنْ عَالِمٍ مُسَمًّى مَعْرُوفٍ بِعِلْمِ وَصِدْقٍ أَنَّهُ

(١) فى «اختياراته»(ص ١٤٣، ١٤٤).

(٢) ص ١٤٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٥١).

قَالَ: إنَّ هَذَا الْمَشْهَدَ صَحِيحٌ. وَإِنَّمَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ قَوْلًا عَمَّنْ لَا يُعْرَفُ عَلَى عَادَةِ مَنْ يَحْكِي مَقَالَاتِ الرَّافِضَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ. فَإِنَّهُمْ يَنْقُلُونَ أَحَادِيثَ وَحِكَايَاتٍ وَيَذْكُرُونَ مَذَاهِبَ وَمَقَالَاتٍ. وَإِذَا طَالَبْتهمْ بِمَنْ قَالَ ذَلِكَ وَنَقَلَهُ؟ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِصْمَةٌ يَرْجِعُونَ إلَيْهَا. وَلَمْ يُسَمُّوا أَحَدًا مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ فِي نَقْلِهِ وَلَا بِالْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ؛ بَلْ غَايَةُ مَا يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ: أَنْ يَقُولُوا:

أَجْمَعَتْ الطَّائِفَةُ الْحَقَّةُ. وَهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ الطَّائِفَةُ الْحَقَّةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ الْمُؤْمِنُونَ وَسَائِرُ الْأُمَّةِ سِوَاهُمْ كُفَّارٌ». (١)

أما رأسه رضي الله عنه

فالْمَشْهُورُ بَيْنَ أَهْلِ التَّارِيخِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ أَنَّهُ بَعَثَ بِهِ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَعِنْدِي أَنَّ الْأَوَّلَ أَشْهَرُ. (٢)

ثم اختلفوا في المكان الذي دفن فيه خلافاً لا دليل لترجيح فيه لكونهم لم يكونون يهتمون بأماكن الدفن، بخلاف أصحاب الغلو بعد، فإن هذا سوقهم، قبَّح الله الغلو.

حزنُ الصحابةِ وتبكيتهم أهل بلدٍ قُتل الحسين رضي الله عنه فيهم

أخرج البخاري (٣) عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «هُمَا

(١) وراجع تتمة كلامه، فإنه طويل، وليت القوم يعلمون، بل يعقلون !

وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم لا تجعلها صيحة فى وادٍ، ولا نفخةً فى رماد .

(٢) قاله ابن كثير في «البداية والنهاية»(٨/ ٣٧١) .

(٣) برقم (٥٩٩٤).

رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

فيا لله بأي وجه يقابل ربه أو النبي ﷺ -إذا التقى به- مَن قتل ابن النبي ﷺ ولا ابن نبي على وجه الأرض غيره، سيد شباب أهل الجنة، أبوه مَن ؟أمه من؟ جده مَن ﷺ وهو ريحانته من الدنيا وحبه؟ جدته لأمِّه مَن؟ خديجة أم المؤمنين؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وإلى اليوم مفاسد يوم عاشوراء ظاهرة غلو وهوس أشد مما عند اليهود والنصاري.

أخرج الترمذي[1] بإسنادٍ حسن عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ تَعْنِي بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَنَالَتْ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّيَ مَعَهُ المَغْرِبَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ المَغْرِبَ فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ، فَسَمِعَ صَوْتِي، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا، حُذَيْفَةُ**»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا حَاجَتُكَ غَفَرَ الله لَكَ وَلِأُمِّكَ**»؟ قَالَ: «**إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

ذكر بعض من ثُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَان .

الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا وَمَعَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قُتِلُوا جَمِيعًا بِكَرْبَلَاءَ.

وَقُتِلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَبْطَالِ وَالْفُرْسَانِ.

جَابِرُ بْنُ عَتِيكِ بْنِ قيس رضي الله عنه أبو عبد الله الأنصاري السلمي، شهد بدراً .

---

(١) برقم(٣٧٨١).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ قَالَ: وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً.[١]

حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٢] عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرَو رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: إِنِّي كَثِيرُ الصِّيَامِ أَفَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ فَقَالَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ ».

وأخرج الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الكبير»[٣] بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ كما قال ابن كثير[٤] من طريق محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي عن أبيه قَالَ: « كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فَأَضَاءَتْ لِي أَصَابِعِي حَتَّى جَمَعْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مَتَاعٍ كَانَ لَلْقَوْمِ» .

وممن توفي في هذه السنة الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأمه رضي الله عنه .

أَسْلَمَ الْوَلِيدُ هَذَا يَوْمَ الْفَتْحِ، وَقَدْ بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ فَظَنَّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا خَرَجُوا لَقِتَالِهِ فَرَجَعَ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُول الله ﷺ فَأَرَادَ أَنْ يُجَهِّزَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا، فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ فَجَاءَ مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ ليعتذروا إليه ويخبرونه بِصُورَةِ مَا وَقَعَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِي الوليد يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ

---

(١) « البداية والنهاية»(٨/ ٣٨١).

(٢)صحيح البخاري برقم (١٩٤٣) و مسلم (١١٢١) .

(٣) «التاريخ الكبير»(٣/ ٤٦).

(٤) في«البداية والنهاية»(٨/ ٣٨١) وهو كما قال وقد وقع مني خطأ في تحقيقي للخبر هناك وقلت:« في إسناده ضعف» اغتراراً بقول الحافظ في محمد بن حمزة :«مقبول» ثم ظهر لي أن محمد صدوق يحسن حديثه.

فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ ٤٩ : ٦ الآية.[١]

وممن توفي في هذه السنة أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها .

هِنْدُ بِنْتُ أبى أمية حذيفة كَانَتْ أَوَّلًا تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ فَمَاتَ عَنْهَا، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَقَدْ كَانَتْ سَمِعَتْ مِنْ زَوْجِهَا أَبِي سَلَمَةَ:حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ.قال:« **مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله ﷺ ....[٢]

وَكَانَتِ مِنْ حِسَانِ النِّسَاءِ وَعَابِدَاتِهِنَّ .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وستين

يقال: فيها قدم وفد المدينة النبويّة عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجَازَهُمْ بِجَوَائِزَ سَنِيَّةٍ، ثُمَّ عَادُوا مِنْ عِنْدِهِ بِالْجَوَائِزِ فَخَلَعُوهُ وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله بْنَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ جُنْدًا فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ.[٣]

وقد ذكر خليفة بن خياط[٤] أن فيها نقض أهل كابل، وأخذوا أبا عبيدة بن زياد بن أبي سفيان أسيراً، فسار يزيد بن زياد بن أبي سفيان فهجم على العدو، فقاتلوه

---

(١) أخرجه أحمد(١٨٤٥٩)والطبراني(٣/ ٢٧٤ رقم (٣٣٩٥) وفي إسناده ضعف ولكن محتمل للتقوية بالشواهد .

(٢) أخرجه مسلم (٩١٨).

(٣) قاله الحافظ بن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٥).

(٤) في«تاريخه»ص١٤٧.

فقُتل يزيد بن زياد وقُتل معه زيد بن جدعان أبو علي بن زيد بن جدعان الفقيه، وصلة ابن أشيم أبو الصهباء العدوي وابنه، وعمرو بن قتيبة، وبديل بن نعيم العدوي، وعثمان بن آدم العدوي، ورجال من أهل الصدق.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ

بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ كَانَ إِسْلَامُهُ حِينَ اجْتَازَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مُهَاجِرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ كُرَاعِ الْغَمِيمِ، فَلَمَّا كَانَ هُنَاكَ تَلَقَّاهُ بُرَيْدَةُ فِي ثَمَانِينَ نَفْسًا مِنْ أَهْلِهِ فَأَسْلَمُوا، وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْعِشَاءِ وَعَلَّمَهُ ليلتئذٍ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْمَدِينَةَ بَعْدَ أُحد فشهد معه الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا فُتِحَتِ الْبَصْرَةُ نَزَلَهَا وَاخْتَطَّ بِهَا دَارًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى غَزْوِ خُرَاسَانَ فَمَاتَ بِمَرْوَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. ذَكَرَ مَوْتَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي هذه السنة.[1]

وفيها توفي الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ أَبُو يَزِيدَ الثَّوْرِيُّ الْكُوفِيُّ. أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ

أخرج ابن أبي شيبة [2] بسندٍ حسن إلى بَكْرِ بْنِ مَاعِزٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ إِذَا رَأَى الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ مُقْبِلًا قَالَ: «بَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ، أَمَّا وَالله لَوْ رَآكَ رَسُولُ الله ﷺ لَأَحَبَّكَ».

وفيها توفي عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ أَبُو شِبْلٍ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ كَانَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ ابْنِ

---

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية» (٩/ ٦-٧) .

(٢) «المصنف» (٧/ ٢٢٧) و بَكْرِ بْنِ مَاعِزٍ وإن لم يرو عن ابن مسعود، لكنه روي عن الربيع بن خثيم، فمحتمل أنه سمعه بواسطة الربيع، فيكون أخبره بقول ابن مسعود له، فلا يبعد تثبيته، ذلك أني كنت قد حكمت على الأثر في تحقيقي لـ «البداية والنهاية » (٩/ ٧) بالانقطاع لسند آخر منقطع عند ابن سعد في«طبقاته» (٦/ ٢١٩) ولم أكن وقفت على سند ابن أبي شيبة وعزاه الحافظ في « الفتح» (١١/ ٣٠٦) للزهد لأحمد وهو فيه برقم (٢٠٠٣) وقال:« بِسَنَدٍ جَيِّدٍ» .

مَسْعُودٍ وَعُلَمَائِهِمْ وَكَانَ يُشَبَّهُ بِابْنِ مَسْعُودٍ، وهو راويته.

وفيها توفي عمرو بن حزم رضي الله عنه.

وفيها تُوُفِّيَتِ الرَّبَابُ بِنْتُ أنيف امْرَأَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِذْ هُمْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ أَوْ فِي الْجُمُعَةِ عَلَى زَوْجِهَا الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ ابْنِ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ

فَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ:وَكَانَ سَبَبَهَا أَنَّ أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وَوَلَّوْا عَلَى قُرَيْشٍ عَبْدَ الله بْنَ مُطِيعٍ، وَعَلَى الْأَنْصَارِ عَبْدُ الله بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرُوا ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: قَدْ خَلَعْتُ يَزِيدَ كَمَا خَلَعْتُ عِمَامَتِي هَذِهِ، وَيُلْقِيهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: قَدْ خَلَعْتُهُ كَمَا خَلَعْتُ نَعْلِي هَذِهِ، حتى اجتمع شئ كَثِيرٌ مِنَ الْعَمَائِمِ وَالنِّعَالِ هُنَاكَ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى إِخْرَاجِ عَامِلِ يَزِيدَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ابن عم يزيد.

فَبَلَغَ يَزِيدَ فَجَهَّزَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بجموع كَثِيرَة ، فكان ما سيأتي بيانه مفصَّلاً.

أخرج ابن سعد[1] بسندٍ حسن عَنْ نَافِعٍ قَالَ: ضُرِبَ مَرْوَانُ يَوْمَ الدَّارِ ضَرْبَةً جَدَّتْ أُذُنَيْهِ فَجَاءَ رَجُلٌ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَجْهَزَ عَلَيْهِ. قَالَ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: سُبْحَانَ اللهَّ تُمَثِّلُ بِجَسَدِ مَيِّتٍ! فَتَرَكَهُ. قَالُوا فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَسَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ يَطْلُبُونَ بِدَمِ عُثْمَانَ خَرَجَ مَعَهُمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا قِتَالا شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى انْكِشَافَ النَّاسِ نَظَرَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله وَاقِفًا فَقَالَ: وَالله إِنْ دَمُ

(١) في«طبقاته»(٥/ ٢٨-٢٩).

عُثْمَانَ إلا عِنْدَ هَذَا. هُوَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ وَمَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ. فَفَوَّقَ لَهُ بِسَهْمٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَتَلَهُ. وَقَاتَلَ مَرْوَانُ أَيْضًا حَتَّى ارْتُثَّ فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ عَنَزَةَ فَدَاوَوْهُ وَقَامُوا عَلَيْهِ. فَمَا زَالَ آلُ مَرْوَانَ يَشْكُرُونَ ذَلِكَ لَهُمْ. وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَتَوَارَى مَرْوَانُ حَتَّى أُخِذَ لَهُ الأَمَانُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَمَّنَهُ. فَقَالَ مَرْوَانُ: مَا تُقِرَّنِي نَفْسِي حَتَّى آتِيَهُ فَأُبَايِعَهُ. فَأَتَاهُ فَبَايَعَهُ. ثُمَّ انْصَرَفَ مَرْوَانُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى وَلِيَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْخِلافَةَ فَوَلَّى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْمَدِينَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ عَزَلَهُ. وَوَلَّى سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ثُمَّ عَزَلَهُ. وَأَعَادَ مَرْوَانَ ثُمَّ عَزَلَهُ.

وَأَعَادَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَعَزَلَهُ. وَوَلَّى الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى مَاتَ مُعَاوِيَةُ. وَمَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ مَعْزُولٌ عَنِ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ وَلَّى يَزِيدُ بَعْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ الْمَدِينَةَ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. فَلَمَّا وَثَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَيَّامَ الْحَرَّةِ أَخْرِجُوا عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَبَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا إِلَى الشَّامِ وَفِيهِمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَأَخَذُوا عَلَيْهِمُ الأَيْمَانَ أَلا يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ وَإِنْ قَدَرُوا أَنْ يَرُدُّوا هَذَا الْجَيْشَ الَّذِي قَدْ وُجِّهَ إِلَيْهِمْ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ أَنْ يَفْعَلُوا. فَلَمَّا اسْتَقْبَلُوا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُسَائِلُهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا فَجَعَلَ مَرْوَانُ يُخْبِرُهُ وَيُحَرِّضُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: مَا تَرَوْنَ؟ تَمْضُونَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ تَرْجِعُونَ مَعِي؟

فَقَالُوا: بل نمضي إلى أمير المؤمنين. وَقَالَ مَرْوَانُ مِنْ بَيْنَهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأَرْجِعُ مَعَكَ.

فَرَجَعَ مَعَهُ مُؤَازِرًا لَهُ مُعِينًا لَهُ عَلَى أَمْرِهِ حَتَّى ظُفِرَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقُتِلُوا وَانْتُهِبَتِ الْمَدِينَةُ ثَلاثًا. وَكَتَبَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بِذَلِكَ إِلَى يَزِيدَ. وَكَتَبَ يَشْكُرُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَيَذْكُرُ مَعُونَتَهُ إِيَّاهُ وَمُنَاصَحَتَهُ وَقِيَامَهُ مَعَهُ. وَقَدِمَ مَرْوَانُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الشَّامَ فَشَكَرَ ذَلِكَ لَهُ يَزِيدُ وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ. فَلَمْ يَزَلْ مَرْوَانُ بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَانَ عَقَدَ لابْنِهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بِالْعَهْدِ بَعْدَهُ. فَبَايَعَ لَهُ النَّاسُ وَأَتَتْهُ بَيْعَةُ الآفَاقِ

إِلا مَا كَانَ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَهْلِ مَكَّةَ[١]..وسيأتي مزيد .

وقبل الخوض فيما جرى في المدينة نسرد بعض ما جاء في حرمتها وحرمة أهلها، وبالله التوفيق.

فأخرج البخاري[٢] عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: « **لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ** » .

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٣] عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يريد أحد الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ - أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ** » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ[٤] عَنْ سَعْدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: « **مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ الله كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**» .

وأخرج أَحْمَدُ[٥] بإسنادٍ صحيح إلى السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ الله وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ والنَّاس أَجْمَعِينَ، لَا**

---

(١) المقصود أن عبد الله بن الزبير لم يخلع يزيد ، وإنما خالفه في أنه أبى أن يأتيه في القيد، أما أن يكون عبد الله بن الزبير رضي الله عنه خلع يزيد مع من خلعوه فلا، ولم يحصل منه شيء، فقد أخرج البلاذري بسندٍ صحيح عَنْ نافع أن ابْن الزُّبَيْرِ لم يدع له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع: كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى.وأخرج البخاري في«تاريخه الكبير» بسندٍ صحيح عن بُرد مَولَى آل الزبير قَالَ:لم يزل ابنُ الزبير لا يدعو بالخلافة، حتى هلك يزيد.وتقدَّم تخريج ذلك.

(٢) برقم (١٨٧٧) في كتاب فضائل المدينة باب إثم من كاد أهل المدينة.

(٣) برقم (١٣٦٣).

(٤) برقم (١٣٨٧)

(٥) برقم (١٦٥٥٧).

يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا » .

وأخرج أحمد[١] بسندٍ صحيح عَنِ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ،وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ».

وأخرج أحمد والطبراني وغيرهما [٢] بسند حسن عن مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَالَ: «**مَنْ أَخَافَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى جَنْبَيْهِ**».

وفي فضل سكناها وتحريمِها:

ما أخرجه مسلم[٣] عن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا**»، وَقَالَ:«**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وأخرج أحمد[٤] وغيره بسندٍ صحيح على شرط البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: « **مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا**».

---

(١) برقم (١٦٥٥٩).

(٢) في «فضائل الصحابة» (١٤٢١) «المعجم الأوسط»(١٠٨٩) بإسنادحسن.ومعناه ليس بمستغرب.

وأخرجه الدارقطني كما في«البداية والنهاية»(٩/ ١٤) وفي سنده سعيد بن عبد الحميد بن جعفر لم أهتد إلى ترجمته، وأخشى أن يكون مصحفاً ، وثَمَّ إشكال في اسم بعض رجاله

(٣) برقم (١٣٦٣).

(٤) في«المسند» (٥٤٣٧).

استدلال من يلعن يزيد بن معاوية

قد تقدم قريباً حديثُ السائب بن خلاد في لعن من أخاف أهل المدينة .

قال ابن كثير[١]:«وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّرْخِيصِ فِي لَعْنَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ اخْتَارَهَا الْخَلَّالُ وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ وانتصر لذلك أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ، وجوز لعنته.

وَمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ آخَرُونَ وَصَنَّفُوا فِيهِ أَيْضًا لِئَلَّا يُجْعَلَ لَعْنُهُ وَسِيلَةً إِلَى أَبِيهِ أَوْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَحَمَلُوا مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفَاتِ عَلَى أَنَّهُ تَأَوَّلَ وَأَخْطَأَ، وَقَالُوا: أَنَّه كَانَ مَعَ ذَلِكَ إِمَامًا فَاسِقًا، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه عَلَى أَصَحِّ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ وَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِثَارَةِ الفتنة، ووقع الهرج وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن، وغير ذلك مما كان واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا».

وضع الأخبار في الطعن على يزيد بن معاوية

إنَّ مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ يزيد لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْحَرَّةِ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَجَيْشِهِ، فَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، بحجة أنه كَانَ يَرَى أَنَّهُ الْإِمَامُ وَقَدْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَهُ، فَلَهُ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، كَمَا أَنْذَرَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَمُسْلِمِ بْنِ عقبة كما تقدَّم، وقد جاء في الصَّحيح[٢]: « **مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ**

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٤) .

(٢) في صحيح مسلم(١٨٥٢).

بَيْنَكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ».وأنه قال في ذلك شعراً...

فمما لا أعلم فيه سنداً ثابتاً أنه فرح بذلك، وإلا فنص حديث السائب بن خلاد المتقدِّم استدل به على جواز لعنه، وإلا فكثير من العوام لا سيما الخوارج ممن يكذب ويروِّج الأكاذيب على من لا يرضون من الأمراء ليشنِّعوا بذلك عليهم، وأكاذيب أخرى لمن رضوا عنه، وهذا إلى يوم الناس هذا على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، هذا دأبهم، والله المستعان.

قال ابن كثير[1]: وَمَا ذُكِرَ عَنْهُ وَمَا قِيلَ فِيهِ وَمَا كَانَ يُعَانِيهِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْقَبَائِحِ وَالْأَقْوَالِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُمْهَلْ بَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ، وَقَتْلِ الْحُسَيْنِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَصَمَهُ الله الَّذِي قَصَمَ الْجَبَابِرَةَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا.

وَقَدْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلْقٌ مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي وَقْعَةِ الْحَرَّةِ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُمْ.

فَمِنْ مَشَاهِيرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.[2]

عَبْدُ الله بْنُ حَنْظَلَةَ أَمِيرُ المدينة في وقعة الحرة، ومعقل بن سنان وعبيد الله بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنهم، وَمَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ».اهـ

قلت «محمد»: ليس منهم صحابي رضي الله عنه إلا معقل بن سنان، وعبد الله بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، ولكونهما ماتوا في زمن الحرَّة اعتقد من لا إدراك عنده أنهما كانا ممن خرج على يزيد بن معاوية مع من خرج من أهل المدينة، ولا والله ما خرج صحابيٌّ واحد

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٥).

(٢) عد ابن كثير-رحمه الله- عبد الله بن حنظلة من الصحابة رضي الله عنه فيه نظر سيأتي، وإن كان صح أنه من الخارجين على أمرائهم، ولذلك أنكر عليه الصحابة كما بينته في كتابي«إلقاء القمامة في أفواه القائلين بخروج الصحابة».

على أميره، وحاشاهم.

أما معقل بن سنان الذي ورد عنه ما أخرجه ابن سعد[1] من طريق الواقدي قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ زِيَادٍ الأَشْجَعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَحَمَلَ لِوَاءَ قَوْمِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ. وَكَانَ شَابًّا ظَرِيفًا، وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَبَعَثَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ بِبَيْعَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

فَقَدِمَ الشَّامَ فِي وَفْدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاجْتَمَعَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ وَمُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الَّذِي يُعْرَفُ بِمُسْرِفٍ. قَالَ فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ لِمُسْرِفٍ، وَقَدْ كَانَ آنَسَهُ وَحَادَثُهُ إِلَى أَنْ ذَكَرَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. فَقَالَ: إِنِّي خَرَجْتُ كَرْهًا بِبَيْعَةِ هَذَا الرَّجُلِ. وَقَدْ كَانَ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خُرُوجِي إِلَيْهِ. رَجُلٌ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَنْكِحُ الْحُرُمَ. ثُمَّ نَالَ مِنْهُ فَلَمْ يَتْرُكْ. ثُمَّ قَالَ لِمُسْرِفٍ: أَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ ذَلِكَ عِنْدَكَ. فَقَالَ مُسْرِفٌ: أَمَّا أَنْ أَذْكُرَ ذَلِكَ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمِي هَذَا فَلا وَاللهِ لا أَفْعَلُ. وَلَكِنْ للهِ عَلَيَّ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ أَلا تُمْكِنِّي يَدَايَ مِنْكَ وَلِي عَلَيْكَ مَقْدِرَةٌ إِلا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ. فَلَمَّا قَدِمَ مُسْرِفٌ الْمَدِينَةَ أَوْقَعَ بِهِمْ أيام الحرة. كان مَعْقِلٌ يَوْمَئِذٍ صَاحِبَ الْمُهَاجِرِينَ فَأُتِيَ بِهِ مُسْرِفٌ مأسوراً فقال له: يا مَعْقِلَ بْنَ سِنَانٍ أَعَطِشْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ. فَقَالَ: خُوضُوا لَهُ شَرْبَةً بِلَوْزٍ.

فَخَاضُوا لَهُ فَشَرِبَ فَقَالَ لَهُ: أَشَرِبْتَ وَرَوِيتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا وَاللهِ لا تَسْتَهْنِي بِهَا.

يَا مُفَرِّجُ قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ.

ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ: قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ فَقَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ عُنُقَهُ ثُمَّ قَالَ:

---

(١) في «طبقاته الكبرى»(٤/ ٢١٢)

وَالله مَا كُنْتُ لأَدَعَكَ بَعْدَ كَلامٍ سَمِعْتُهُ مِنْكَ تَطْعَنُ فِيهِ عَلَى إِمَامِكَ.قَالَ فَقَتَلَهُ صَبْرًا.
وَكَانَتِ الْحَرَّةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ فَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَلا تِلْكُمُ الأَنْصَارُ تَنْعَى سَرَاتَهَا...وَأَشْجَعُ تَنْعَى مَعْقِلَ بْنَ سِنَانٍ.

وهذا في سنده الواقدي كما ترى ، وهو متروك.

وأما عبدُ الله بنُ زيد رضي الله عنه فمات زَمن الحرَّة- في إمارة يزيد- ولكنه كان ينهى عن الخروج على الأمراء.

فقد أخرج البخاريُّ عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ:« لَمَّا كَانَ زَمَنُ الحَرَّةِ أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ:إِنَّ ابْنَ حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى المَوْتِ، فَقَالَ:لاَ أُبَايِعُ عَلَى هَذَا أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ».[1]

وأما عدّ ابن كثير عبد الله بن حنظلة من الصحابة رضي الله عنهم.

فليس من الصحابة رضي الله عنهم كما بينت في الموطن المشار إليه، وإن كان خرج على إمامه.

أخرج البخاري ومسلم[2] من طريق وُهَيْبِ بن خالد، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: « لَمَّا كَانَ زَمَنُ الحَرَّةِ أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى المَوْتِ، فَقَالَ:لاَ أُبَايِعُ عَلَى هَذَا أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ».

وهذا فيه أن ابن حنظلة كان خارجاً على يزيد زمن الحرة ،هذا صريح.[3]

كذا رواه وهيب بن خالد،وتابعه محمد بن فليح[1] وسليمان بن بلال[2] ثلاثهم

---

(١) أخرجه البخاري(٢٩٥٩) ومسلم(١٨٦١) .

(٢) البخاري برقم (٢٩٥٩) ومسلم (١٨٦١).

(٣) لكن سيأتي تحرير أن ابن حنظلة ليس صحابياً.

عن عمرو بن يحيي المازني به.بذكر خروج ابن حنظلة.[٣]

وخالفهم الدَّرَاوَرْدِيُّ[٤]فرواه عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ عَبْدَ الله ابْنَ زيد قُتل يَوْم الْحَرَّة فَأتى فَقيل هَذَا ابن حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى الْمَوْتِ قَالَ لَا أُبَايِعُ عَلَى هَذَا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ.

كذا رواه الدراوردي بإثبات أن عبد الله بن زيد المازني الصحابي رضي الله عنه قتل يوم الحَرَّة .

والدراوردي لا تقاوم روايته رواية وهيب وحده، فكيف إذا انضاف إلى رواية وهيب رواية وسليمان بن بلال، ومحمد بن فليح – وإن كان فيه مقال –كلاهما بغير إثبات أن عبد الله بن زيد قتل يوم الحرَّة ؟[٥]

وقد أخرج الفسوي[٦]من طريق وهيب بن خالد ...به، وفيه:أن عبد الله بن زيد قيل له زمن الحرّة:ها ذاك حنظلة أو ابن حنظلة يبايع الناس، قال: على أي شيء؟قيل:الموت،قال:على أي شيء ؟ قيل :على الموت.قال: لا أبايع على هذا أحداً

---

(١) عند ابن عساكر في «تاريخه» (٢٧/ ٤٢٨).

(٢)عند البخاري برقم (٤١٦٧).

(٣) وصحح الذهبي في«تاريخ الاسلام»(٢/ ٥٨٥) والحافظ في «الإصابة»(٤/ ٥٨) طريق وهيب هذا .

(٤) كما في رواية البخاري في «التاريخ الأوسط»(١/ ١٢٤).

(٥) وقد رواه أحمد (١٦٤٦٣)عن مؤمِّل عن وُهَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:قِيلَ لِعَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ يَوْمَ الْحَرَّةِ: هَلُمَّ إِلَى ابْنِ حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ، قَالَ:عَلَامَ يُبَايِعُهُمْ؟ قَالُوا: عَلَى الْمَوْتِ، قَالَ: «لَا أُبَايِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ».

كذا ليس فيه أن عبدَ الله بن زيد قُتل يوم الحرَّة أصلاً .

(٦) في «المعرفة» (١/ ١٠٣).

بعد رسول الله ﷺ.

ليس فيه أن عبد الله بن زيد الصحابي رضي الله عنه قتل يوم الحَرَّة، ولا في أيٍّ من الطُرق أنه رضي الله عنه كان مشتركاً مع من خرجوا على يزيد.

والتلخيص:أن المحفوظ في هذا الخبر رواية من روى أن ابن حنظلة كان يبايع الناس على الموت ،لا أن عبد الله بن زيد الصحابي رضي الله عنه قتل في الحَرَّة.

هكذا من ذكره من تأثروا بمذهب الخوارج فيمن خرج من الصحابة رضي الله عنهم، ولا ينكر أنه خرج ولكنه ليس له صحبه كما بيت، والله المستعان.

تحذير الصحابة رضي الله عنهم من الخروج على يزيد وخلعه

الصحابة رضي الله عنهم لما خلع الناس يزيد بن معاوية الذي كان مستخلفاً بعهدٍ من أبيه معاوية رضي الله عنه هَبُّوا لنهي الناس عن ذلك، وحذَّروهم، ولكن أهل الأهواء والبدع لا يحترمون أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

وهذه نخبة مما صح سنده مما ورد في ذلك :

*** عبد الله بن عمر رضي الله عنه:**

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ، حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:«**يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ،وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ القِتَالُ..(١)

وعَنْ نَافِعٍ،قَالَ:جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ:اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ:إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ،أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُهُ:

---

(١) أخرجه البخارى(٧١١١) ومسلم وقد تقدَّم .

سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».(١)

وتقدم أنه لما أتته بيعة يزيد قال :«إن كان خيراً رضينا وإن كان شراً صبرنا».

بل أنكر ابن عمر رضي الله عنه ما هو أدني من الخروج بالسلاح-طريقة قعدية الخوارج -على الذين يؤلِّبون علي الحاكم باللسان،ويغتابونه، ويتكلمون في منكر الأمراء وأعراضهم في غيابه وعدم وجود أحد من عمَّاله:

فأخرج الفريابي(٢) بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ،قَالَ:دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَوَقَعُوا فِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَنَاوَلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الله:هَذَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ عِنْدِي أَتَقُولُونَ هَذَا فِي وُجُوهِهِمْ؟ قَالُوا:لَا بَلْ نَمْدَحُهُمْ وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:هَذَا النِّفَاقُ عِنْدَنَا.

فما أحراه أن يخاطَب به قعدية الخوارج اليوم، ولكن مالهم والاستئناس بفعل الصحابة؟!

*** وهذا ابن عباس رضي الله عنه :**

أخرج خليفة بن خياط(٣) بسند صحيح عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَأَلَ عَنهم وَهُوَ بِالطَّائِف فَقيل لَهُ استعملوا عَبْد الله بْن مُطِيع عَلَى قُرَيْش وَعبد الله بْن حَنْظَلَة عَلَى الْأَنْصَار فَقَالَ أميران!هلك الْقَوْم.

وفي لفظ في رواية ابن عساكر(٤)عن عكرمة أن ابن عباس سأل عنهم يعني أهل

---

(١) أخرجه مسلم(١٨٥١).

(٢) في «صفة النفاق» (٦٢) .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه»ص ٢١٣.

(٤) في«تاريخ دمشق»(٢٧/ ٤٣١).

الحَرَّة وهو بالطائف فقيل..

وفي حديث يعقوب فقالوا له:استعملوا ابن مطيع على قريش،وعبد الله بن حنظلة على الأنصار، فقال: أميران! هلك القوم.

*** وهذا عبد الله بن زيد رضي الله عنه :**

أخرج البخاري عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ،عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ:« لَمَّا كَانَ زَمَنُ الحَرَّةِ أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ:إِنَّ ابْنَ حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى المَوْتِ، فَقَالَ:لاَ أُبَايِعُ عَلَى هَذَا أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ ». (١)

موقف يسير- ويقال أسير- بن جابر رضي الله عنه حين استُخلف يزيد

أخرج ابن سعد(٢)عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ:دَخَلْنَا عَلَى أُسَيْرٍ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حين اسْتُخْلِفَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ. قَالَ: يَقُولُونَ إِنَّ يَزِيدَ لَيْسَ بِخَيْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَلا أَفْقَهِهَا فِقْهًا وَلا أَعْظَمِهَا فِيهَا شَرَفًا وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ وَلَكِنْ وَالله لأَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَفَرَّقَ. أَرَأَيْتَكُمْ بَابًا لَوْ دَخَلَ فِيهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَسِعَهُمْ أَكَانَ يَعْجِزُ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَوْ دَخَلَ فِيهِ؟قَالَ:قُلْنَا:لا. قَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لا أُهْرِيقُ دَمَ أَخِي وَلا آخُذُ مَالَهُ أَكَانَ هَذَا يَسَعُهُمْ؟قَالَ:قُلْنَا: نَعَمْ.قَالَ: فَذَلِكَ مَا أَقُولُ لكم.

*** وهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :**

أخرج البلاذري(٣)بسند صحيح عن أبي نَضْرَة قَالَ:دَخَل أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَوْمَ

---

(١) أخرجه البخاري(٢٩٥٩) ومسلم(١٨٦١) .

(٢) في«الطبقات الكبرى» (٧/ ٤٧).

(٣) في «أنساب الأشراف»(٨٦٤) وابن عساكر(٢٠/ ٣٩٤) .

الْحَرَّةِ غَارًا فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَفِي عُنُقِهِ سَيْفٌ،فَوَضَعَ أَبُو سَعِيدٍ سَيْفَهُ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بُؤْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ وَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ،فَقَالَ:أَنْتَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ؟قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي غَفَرَ الله لَكَ.(١)

وفي رواية بسندٍ صحيح(٢)عن أبي نَضرة يحدث قَالَ:دخل أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ يَوْم الْحَرَّة غارا فَدخل عَلَيْهِ رجل ثمَّ خرج، فَقَالَ لرجل من أهل الشَّام:أدلُّك عَلَى رجل تقتله!

فَلَمَّا انْتهى الشَّامي إِلَى بَاب الْغَار،وَقَالَ لأبي سعيد-وَفِي عَنق أَبِي سعيد السَّيْف - اخْرُج إِلَيّ،قَالَ:لَا،وَإِن تدخل عَلِيّ أَقْتُلْك،فَدخل الشَّامي،فَوضع أَبُو سعيد السَّيْف ،وَقَالَ : بؤ بإثمي وإثمك وَكن من أَصْحَاب النَّار،وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمين.فَقَالَ:أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ أَنْت؟قَالَ:نعم،قَالَ فَاسْتَغْفر لي،قَالَ:غفر الله لَك.

---

(١) والحمد لله أنه لم يقتل، إذاً لعدَّه المُحَوشون القماشون خارجاً على إمامه، ولو شاء هؤلاء الجهال الذين عدُّوا كل من أصب في زمن الحره خارجاً على إمامه، لو شاءوا لدللتهم على ما يفرحون به، أعني قول خليفة بن خياط في «تاريخه» ص ٢٢٥، وقد عَدَّ مَن قُتل يوم الحرة فقال:

« أُصِيب من الْأَنْصَار مائَة رجل وَثَلَاثَة وَسَبْعُونَ رجلاً وَجَمِيع من أُصِيب من قُرَيْش وَالْأَنْصَار ثَلَاث مائَة رجل وَسِتَّة رجال ..

فقد عدُّوا من قُتل صبراً كمعقل بْن سِنَان الْأَشْجَعِيّ وَمُحَمّد بْن أَبِي حُذَيْفَة الْعَدوي **ممن** خرجوا على الأمراء.

فما دام لا أحد يطالبهم بصحة الأسانيد وتحرير الأقوال، فليقولوا ما شاءوا !

فيا ضَعف الورع، وقُبحَ الجهل والهوى! ويا حُمرة الخجل، وصدق رسول الله لما قال كما في الصحيح برقم (٣٤٨٤):« **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** ».

(٢) أخرجها خليفة بن خياط في «تاريخه» ص ٢١٤.

*** وهذا جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه**

أخرج مسلم [١] عن جُنْدَب بْن عَبْدِ الله الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ [٢] فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ، فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «**كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) برقم (٩٧).

(٢) ويظهر لي من السياق أن نصيحة جندب رضي الله عنه تلك كانت في هذا التوقيت زمن المقاتلة بين أهل الشام والمدينة عند خروجهم على يزيد بن معاوية وخلعه، والله أعلم .

*** وأيضاً من النساء زينب بنت أم سلمة ربيبة النبيﷺ (١).**

أخرج خليفة بن خياط[٢] بسند صحيح عن الْحسن قَالَ أُصِيب ابْنا زَيْنَب يَوْم الْحَرَّة فحُمِلا إِلَيْهَا فَقَالَت: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون،مَا أعظم الْمُصِيبَة عَلَيَّ فيهمَا، ولهي فِي هَذَا أعظم عَلِيّ مِنْهَا فِي هَذَا، أما هَذَا فَبسط يَده، فقاتل حَتَّى قتل، فَأَنا أَخَاف عَلَيْهِ ، وَأما هَذَا فَكف يَده حَتَّى قتل فَأَنا أَرْجُو لَهُ.[٣]

تحرك جيش الشام بتوجيه يزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة المرِّي إلى المدينة

في رواية الطبراني[٤] وَجَّهَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ الْمري فِي جَيْشِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ سَارَ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ: فَدَخَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَدِينَةَ وَهَرَبَ مِنْهُ يَوْمِئِذٍ بَقَايَا أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ ، وَعَبَثَ فِيهَا وَأَسْرَفَ فِي الْقَتْلِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ مَاتَ وَاسْتَخْلَفَ حُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ الْكِنْدِيَّ، وَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ بَرْذَعَةِ الْحِمَارِ، احْذَرْ خَدَائِعَ قُرَيْشٍ، وَلَا تُعَامِلْهُمْ إِلَّا بِالنِّفَاقِ، ثُمَّ بِالْقِطَافِ، فَمَضَى حُصَيْنٌ حَتَّى وَرَدَ مَكَّةَ، فَقَاتَلَ بِهَا ابْنَ

---

(١) وكانت زَيْنَب ابْنَة أُمِّ سَلَمَةَ، إِذَا ذُكِرَتِ امْرَأَةٌ بِفِقْهٍ ذُكِرَتْ زَيْنَبُ كما ورد ذلك في أثر لَيْلَى ابْنَةِ الْعَجْمَاءِ الصحيح الذي أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٠٠٠).

وقال بكر بن عبد الله المزني أخبرني أبو رافع قال:كنت إذا ذكرت امرأة بالمدينة فقيهة ذكرت زينب بنت أبي سلمة وقال سليمان، وفي رواية قال:«وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة».

(٢) في «تاريخه» ص ٢١٤.

(٣) يا ليت ذكورنا اليوم يتعلمون منها .

(٤) في«الكبير»(١٣/ ٩٢) .

الزُّبَيْرِ أَيَّامًا، وَضَرَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فُسْطَاطًا فِي الْمَسْجِدِ، فَكَانَ فِيهِ نِسَاءٌ يَسْقِينَ الْجَرْحَى وَيُدَاوِينَهُمْ، وَيُطْعِمْنَ الْجَائِعَ وَيَكْتُمْنَ إِلَيْهِنَّ الْمَجْرُوحَ، فَقَالَ حُصَيْنٌ: مَا يَزَالُ يَخْرُجُ إِلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ الْفُسْطَاطِ أَسَدٌ كَأَنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ عَرِينِهِ، فَمَنْ يَكْفِينِيهِ؟، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: أَنَا، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَضَعَ شَمْعَةً فِي طَرْفِ رُمْحِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ طَعَنَ الْفُسْطَاطَ، فَالْتَهَبَ نَارًا، وَالْكَعْبَةُ يَوْمَئِذٍ مُؤَزَّرَةٌ بِالطَّنَافِسِ، وَعَلَا أَعْلَاهَا الْحُمْرَةُ، فَطَارَتِ الرِّيحُ بِاللهَبِ عَلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَاحْتَرَقَ فِيهَا يَوْمَئِذٍ قَرْنَا الْكَبْشِ الَّذِي فُدِيَ بِهِ إِسْحَاقُ، قَالَ: وَبَلَغَ حُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ مَوْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَهَرَبَ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ...

وفي سند القصة نظر

ولكن أخرج خليفة بن خياط[1] بسندٍ صحيح إلى ابن جريج قال: اتخذ ابن الزبير المسجد حصناً، فكانت فيه الفساطيط والخيام، فحرَّق رجل من أهل الشام باب بي جمح، ففشى الحريق حتى أخذ في باب الكعبة فاحترقت.

قال ابن جريج فسمعت ابن أبي عمار يقول: نادى رجل من أهل الشام على ضفة زمزم، هلك الفرقان- أو قال الفريقان- والذي نفس محمد بيده .

قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة:فاعتزل ابن الزبير في ناحية دار الندوة في تلك الناحية، فجعل يقول:يا رب يا رب، لو علمت أن هذا كائن، يا رب يا رب، قد رقَّت حشوة الكعبة، وضعف بناؤها حتى إن الطَّير لتقَع عليها فتتناثر حجارتها.

فهذا مما وقفتُ عليه مما صح سنده في أمر تحريق البيت.

وأما ما ورد من أن النعمان بن بشير رضي الله عنه وهمام بن قبيصة النميري لما دعوا عبد الله بن الزبير لبيعة يزيد بن معاوية قال لهما: «أتأمراني ببيعة رجل يشرب الخمر

(١) في«تاريخه» ص ١٥٦.

ويدع الصلاة، ويتبع الصيد؟!...» فهذا مما لا يصح له سند فيما وقفتُ عليه.[١]

من المفاسد التي حصلت بالمدينة من جرَّاء خلع يزيد بن معاوية

من تأمَّل ما حصل لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه ونُهب مال جابر بن عبد الله، وقتل بعض أولاد الأفاضل من الصحابة وغيرهم، ومآسى تدمى لها القلوب، وقتل عدد من أهل المدينة، والله المستعان.

وإخافة أهل المدينة، وهي حرم حرَّم النبي ﷺ القتال فيها.

ففي صحيح البخاري[٢] إشَارَة النبي ﷺ بِيَدِهِ إِلَى المَدِينَةِ، وقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ**....

وفي صحيح مسلم[٣] قوله ﷺ «**إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا**».

وقوعُ الغلاءِ وقلَّة الأقوات واشتدَّ الأمرُ

فأخرج مسلم[٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ لَيَالِيَ الْحَرَّةِ، فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا آمُرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا- أَوْ**

---

(١) فقد أخرجه خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ١٥٦- ١٥٧ وفي سنده بقية بن عبد الرحمن، ولا أعرفه لا هو ولا أباه، ثم هو مخالف للصواب الوارد عنه .

(٢) برقم (٢٨٨٩).

(٣) برقم (١٣٦٣).

(٤) برقم (١٣٧٤).

شَهِيدًا- يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا».

وفي رواية عن أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمُهْرِيِّ،أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ وَشِدَّةٌ، وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَتْنَا شِدَّةٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْقُلَ عِيَالِي إِلَى بَعْضِ الرِّيفِ..الخبر.

وأخرج[1] عَنْ يُحَنَّسَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فِي الْفِتْنَةِ، فَأَتَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ، يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الله: اقْعُدِي لَكَاعِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

ودخلت سنة أربع وستين

فيها هلك يزيد بن معاوية.

أخرج الختلي في«الديباج» [2] قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ الله بْنُ أَبِي مَذْعُورٍ[3]، حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مُعَاوِيَةُ: اتَّقُوا الله، فَإِنَّهُ لا يَقِينَ لِمَنْ لا يَتَّقِي الله .وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِالله.

وَكَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا لَمْ أَجْنِهِ وَلَمْ أُرِدْهُ، وَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ.

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: آمَنْتُ بِالله الْعَظِيمِ.

---

(١) أي الإمام مسلم (١٣٧٧).

(٢) «كتاب الديباج» رقم (١٤٥). والكتاب لإسحاق بن إبراهيم بن سنين أبو القاسم الخَتْلي المتوفى ٢٨٣هـ.

(٣) وعَبْدُ الله بْنُ أَبِي مَذْعُورٍ لم أعرفه، وفي السند إبهام.

أقام في الخلافة بعد أبيه أربع سنوات ونصف لم يتمها كما قال أبو مسهر.[١]

وفي هذه السنة:

دعى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لنفسه بالخلافة

فقد أخرج البلاذري[٢] بسندٍ صحيح عَنْ نافع أن ابْن الزُّبَيْرِ لم يدع له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع: كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى.

وأخرج البخاري[٣] بسندٍ صحيح عن بُرد مَولَى آل الزبير قَالَ:
لم يزل ابنُ الزبير لا يدعو بالخلافة، حتى هلك يزيد.

فكُ الحصار عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وانشقاق الخوارج عنه وموقفهم المخزي كالعادة المستمرة فيهم

فهم كما قال سَعِيدُ بْنُ حَرْبٍ الْعَبْدِيُّ قَالَ : كُنْتُ جَلِيسًا لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ زَمَنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَفِي طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رُءُوسُ الْخَوَارِجِ نَافِعُ بْنُ الأَزْرَقِ وَعَطِيَّةُ بْنُ الأَسْوَدِ وَنَجْدَةُ فَبَعَثُوا أَوْ بَعْضُهُمْ شَابًّا إِلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ لِعَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَيْتُهُ حِينَ مَدَّ يَدَهُ وَهِيَ تَرْجُفُ مِنَ الضَّعْفِ

(١) كما روى ذلك عنه أبو زرعة في«تاريخه»(١٠٧).

(٢) في«أنساب الأشراف»(٩٠٨) .

(٣) في«تاريخه الكبير»(٢/ ١٣٤).

فَقَالَ : وَالله مَا كُنْتُ لأُعْطِى بَيْعَتِى فِى فُرْقَةٍ وَلاَ أَمْنَعُهَا مِنْ جَمَاعَةٍ.[١]

وهذا يؤيِّد قولَ ابنِ كثير: [٢]

«وقد كان الْتَفَّ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُدَافِعُونَ عَنْهُ، مِنْهُمْ نَافِعُ ابْنُ الْأَزْرَقِ، وَعَبْدُ الله بْنُ إِبَاضٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ رؤوسهم.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي الْخِلَافَةِ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ لِأَنَّكُمْ قَاتَلْتُمْ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ وَلَمْ تَعْلَمُوا رَأْيَهُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ- وَكَانُوا يَنْتَقِصُونَ عُثْمَانَ - فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فسألوه عن عثمان فأجابهم فيه بما يسوؤهم، وَذَكَرَ لَهُمْ مَا كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالسِّيرَةِ الْحَسَنَةِ، والرُّجوع إِلَى الحقِّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَفَرُوا عَنْهُ وَفَارَقُوهُ وَقَصَدُوا بِلَادَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، فَتَفَرَّقُوا فِيهَا بِأَبْدَانِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَمَسَالِكِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُنْتَشِرَةِ، الَّتِي لَا تَنْضَبِطُ وَلَا تَنْحَصِرُ، لِأَنَّهَا مُفَرَّعَةٌ عَلَى الْجَهْلِ وَقُوَّةِ النُّفُوسِ، وَالِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ » .

وسبقه إلى ذلك خليفة بن خياط المتوفي سنة ٢٤٠ هـ [٣] حاكياً إياه عن ابن عياش قال:لما مات يزيد بن معاوية، انصرف مع الحصين[٤]، وانصرف مَن انصرف من أصحاب ابن الزبير.قالت الخوارج بعضها لبعض: ألا تسألونه عن عثمان ما قوله فيه؟

---

(١)إسناده صحيح إلى سعيد. أخرجه البخاري فى «التاريخ الأوسط»(١/ ١٦٤)، والبيهقي فى «الكبرى» (٨/ ٣٣٤)، ولا أعلم فى سعيد هذا جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) في«البداية والنهاية»(٩/ ٣١).

(٣) في «تاريخه» ص ١٥٧.

(٤) الذي قيل: إنه كان محاصراً لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه في مكة لكونه لم يرض أن يأتي يزيداً مقيَّداً في الأغلال.

فأتوه فقالوا له:ما قولك في عثمان؟

فالتفت فرأى في أصحابه قلَّة، فقال: روحوا إلى العشيَّة، وأمر أصحابه أن يحضروا، وحضرت الخوارج، فقالوا: ما قولُك في عثمان؟

فقال : أتولاه حياً وميتاً، قالوا : بريء الله منك.

ثم انصرفوا، فخرج نجدَه باليمامة، وخرج نافعُ بنُ الأزرق بالبصرة،وتفرَّقت الخوارج .

نبذه عن يزيد بن معاوية صاحب الإمارة من سنة ٦٠ إلى ٦٤ هـ كانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر[١]

وقد انقسم الناس في أمر يزيد بن معاوية إلى طرفان ووسط، فخصومه يكذبون عليه ويزيدون ويغالون في ذمِّه-كعادة أمثالهم نحو الأمراء المكروهين لديهم- واتهموه بتعاطي شرب الخمر وغيره من الفواحش وتُقابلهم طائفة تكذب له وتُغالي في مدحه والثناء عليه، والحقُّ وسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء.

وقد ذكر البلاذري[٢] لما قتل الحسين بن علي وكتب يزيد إِلَى ابْن الحنفية يعلمه أن قد أحب رؤيته وزيارته إياه ويأمره بالإقبال إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْد الله ابنه:

لا تأته فإني غير آمنه عليك.فخالفه ومضى إِلَى يزيد، فلما قدم عليه، أمر به فأنزل نزلًا وأجرى عليه ما يصلحه ويسعه، ثُمَّ دعا بِهِ وأدنى مجلسه وقربه حَتَّى صار مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: آجرنا الله وإياك في الحسين بن علي، فو الله لئن كان نقصَك لقد نقصَني ولئن كان أوجعَك فلقد أوجعَني، ولو أني أنا الَّذِي وليت أمره ثُمَّ لم استطع دفع

---

(١) على ما اعتمده خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ١٥٧.

(٢) في«أنساب الأشراف»(٣/ ٢٧٦) ولكن بغير سند، وقد ذكر سنداً قبله، فيه من لم أستطع تحديده .

الموت عَنْهُ إِلا بجز أصابعي أَوْ بذهاب نواظري لفديته بِذَلِكَ، وإن كَانَ قد ظلمني وقطع رحمي!

وَلا أحسبه إِلا قد بلغك أنا نقوم بِهِ فننال منه ونذمه، وأيم الله مَا نفعل ذَلِكَ لئلا تكونوا الأحباء الأعزاء، ولكنا نريد إعلام الناس بأنا لا نرضى إِلا بأن لا ننازع أمرًا خصَّنا الله بِهِ وانتخبَنا الله لَهُ!

فَقَالَ لَهُ ابْن الحنفية: وصلك الله ورحم حُسينًا وغفر له، وقد علمنا أن ما نقصنا فهو لك ناقص، وما عالنا فهو لك عائل، وما حسين بأهل أن تقوم به فتنقصه وتجذبه، وأنا أسألك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أن لا تسمعني فِيهِ شَيْئًا أكرهه. فَقَالَ يزيد: يَا ابْن عم لست تسمع مني فِيهِ شيئا تكرهه. وسأله يزيدعَن دينه فَقَالَ: مَا علي دين. فَقَالَ يزيد لابنه خالد بْن يزيد: يَا بني إن عمك هَذَا بعيد من الخب واللؤم والكذب، ولو كان كبعض هَؤُلاءِ لقال: علي كَذَا وكذا. ثُمَّ أمر له بثلاثمائة ألف درهم فقبضها، ويقال: أنه أمر لَهُ بخمس مائة ألف وعروض بمائة ألف درهم.

وَكَانَ يزيد يتصنع لابن الحنفية ويسأله عَن الفقه والْقُرْآن، فلما جاء ليودعه قَالَ لَهُ: يا أبا القاسم إن كنت رأيت مني خلقا تنكره نزعت عَنْهُ وأتيت الَّذِي تشير بِهِ علي؟!

فقال: والله لو رأيت مُنكرًا مَا وسعني إِلا أن أنهاك عَنْهُ، وأخبرك بالحق لله فِيهِ، لما أخذ الله على أهل العلم ليُبَيِّنُنه للناس ولا يكتمونه، وما رأيت منك إلا خيراً.

وتقدم أن أبا أيوب الأنصاري كان تحت إمرته في عزو القسطنطينية، وأن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»،وقد كان يزيد أمير هذا الجيش، وأوصاه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بوصية نفَّذها له، وما ثبت أنه تكلم فيه أو أخذ عليه شيئاً في إمارته تلك، وأنه لما فَمَرِضَ وَعَلَى الْجَيْشِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَأَتَاهُ يَعُودُهُ فَقَالَ: حَاجَتُكَ. قَالَ: نَعَمْ حَاجَتِي إِذَا أَنَا مُتُّ فَارْكَبْ بِي ثُمَّ سُغْ

بِي فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغًا. فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَادْفِنِّي ثُمَّ ارْجِعْ. فَلَمَّا مَاتَ رَكِبَ بِهِ ثُمَّ سَارَ بِهِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَمَا وَجَدَ مَسَاغًا ثُمَّ دَفَنَهُ ثُمَّ رَجَعَ.

وفي رواية: قال أبو ظِبْيَانَ، قَالَ: غَزَا أَبُو أَيُّوبَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَدْخِلُونِي أَرْضَ الْعَدُوِّ فَادْفِنُونِي تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ حَيْثُ تَلْقَوْنَ الْعَدُوَّ.

قال ابن كثير [1] وقد رَوى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي سَيْفٍ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ صَخْرِ بْنِ جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ...

قَالَ[2]: وَمَشَى عَبْدُ الله بْنُ مُطِيعٍ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَأَرَادُوهُ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ، فَأَبَى، فَقَالَ ابْنُ مُطِيعٍ: إِنَّ يَزِيدَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ وَيَتَعَدَّى حُكْمَ الْكِتَابِ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا تَذْكُرُونَ، وَقَدْ حَضَرْتُهُ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَرَأَيْتُهُ مُوَاظِبًا عَلَى الصَّلَاةِ، مُتَحَرِّيًا لِلْخَيْرِ، يَسْأَلُ عَنِ الْفِقْهِ، مُلَازِمًا لِلسُّنَّةِ. قَالُوا: فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ تَصَنُّعًا لَكَ. فَقَالَ: وَمَا الَّذِي خَافَ مِنِّي أَوْ رَجَا حَتَّى يُظْهِرَ إِلَيَّ الْخُشُوعَ؟ ! أَفَأَطْلَعَكُمْ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ؟ فَلَئِنْ كَانَ أَطْلَعَكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنَّكُمْ لَشُرَكَاؤُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَطْلَعَكُمْ فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا بِمَا لَمْ تَعْلَمُوا. قَالُوا: إِنَّهُ عِنْدَنَا لَحَقٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَأَيْنَاهُ. فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ أَبَى الله ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الشَّهَادَةِ، فَقَالَ: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦] . وَلَسْتُ مِنْ أَمْرِكُمْ فِي شَيْءٍ. قَالُوا: فَلَعَلَّكَ تَكْرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ غَيْرُكَ، فَنَحْنُ نُوَلِّيكَ أَمْرَنَا.

قَالَ: مَا أَسْتَحِلُّ الْقِتَالَ عَلَى مَا تُرِيدُونَنِي عَلَيْهِ تَابِعًا وَلَا مَتْبُوعًا. قَالُوا: فَقَدْ قَاتَلْتَ مَعَ أَبِيكَ. قَالَ جِيئُونِي بِمِثْلِ أَبِي أُقَاتِلُ عَلَى مِثْلِ مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ. فَقَالُوا: فَمُرِ ابْنَيْكَ أَبَا هَاشِمٍ وَالْقَاسِمَ بِالْقِتَالِ مَعَنَا. قَالَ: لَوْ أَمَرْتُهُمَا قَاتَلْتُ.

---

(١) في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٤).

(٢) الظاهر أنه نافع مولى ابن عمر قاله بالإسناد الثابت الصحيح الذي ذكره، والله أعلم .

قَالُوا: فَقُمْ مَعَنَا مَقَامًا تَحُضُّ النَّاسَ فِيهِ عَلَى الْقِتَالِ. قَالَ: سُبْحَانَ الله! آمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا أَفْعَلُهُ وَلَا أَرْضَاهُ؟![1]

إِذَا مَا نَصَحْتُ لله فِي عِبَادِهِ. قَالُوا: إِذًا نُكْرِهُكَ. قَالَ: إِذًا آمُرُ النَّاسَ بِتَقْوَى الله، وَأَلَّا يُرْضُوا الْمَخْلُوقَ بِسَخَطِ الْخَالِقِ. وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ.

وأخرج الفريابي فى«صفة النفاق»[2]بإسنادٍ صحيح عن أبي الشعثاء قال: «دخل نفر على عبد الله بن عمر من أهل العراق فوقعوا فى يزيد بن معاوية فتناولوه، فقال لهم عبد الله: هذا قولكم لهم عندي، أتقولون هذا فى وجوههم؟ قالوا: لا، بل نمدحهم ونثني عليهم، فقال ابن عمر: هذا النفاق عندنا » .

فالظاهر أن هناك ترويجات كاذبة حول الرجل لا مستند لها يعتمد عليها.

قال ابن كثير[3]:

«وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ يَزِيدَ كَانَ قَدِ اشْتَهَرَ بِالْمَعَازِفِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْغِنَاءِ وَالصَّيْدِ وَاتِّخَاذِ الْغِلْمَانِ وَالْقِيَانِ وَالْكِلَابِ وَالنِّطَاحِ بَيْنَ الْكِبَاشِ وَالدِّبَابِ وَالْقُرُودِ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُصْبِحُ فِيهِ مَخْمُورًا، وَكَانَ يَشُدُّ الْقِرْدَ عَلَى فَرَسٍ مُسَرَّجَةٍ بِحِبَالٍ وَيَسُوقُ بِهِ، وَيُلْبِسُ الْقِرْدَ قَلَانِسَ الذَّهَبِ، وَكَذَلِكَ الْغِلْمَانُ، وَكَانَ يُسَابِقُ بَيْنَ الْخَيْلِ، وَكَانَ إِذَا مَاتَ الْقِرْدُ حَزِنَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: إِنَّ سَبَبَ مَوْتِهِ أَنَّهُ حَمَلَ قِرْدَةً وَجَعَلَ يُنَقِّزُهَا فَعَضَّتْهُ. وَذَكَرُوا عَنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالله أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ».

وإلا فالرجل إنما كان أميراً كالأمراء له ما له وعليه ما عليه .

وقد بيَّنه شيخ الإسلام[1] فقال:« يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وُلِدَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عفان

---

(١) ليت شيوخ الضلل الذي يدعون الناس للثورات والخروج على الحكام يتعلَّموا.

(٢) برقم (٦٧) .

(٣) في«البداية والنهاية» (٩/ ٢٧).

ﷺ وَلَمْ يُدْرِكْ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا كَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ؛ وَلَا كَانَ مِنْ الْمَشْهُورِينَ بِالدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَكَانَ مِنْ شُبَّانِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَا كَانَ كَافِرًا وَلَا زِنْدِيقًا؛ وَتَوَلَّى بَعْدَ أَبِيهِ عَلَى كَرَاهَةٍ مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ وَرِضًا مِنْ بَعْضِهِمْ وَكَانَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَكَرَمٌ وَلَمْ يَكُنْ مُظْهِرًا لِلْفَوَاحِشِ كَمَا يَحْكِي عَنْهُ خُصُومُهُ. وَجَرَتْ فِي إمَارَتِهِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ: - أَحَدُهَا مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ ﷺ وَهُوَ لَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ وَلَا أَظْهَرَ الْفَرَحَ بِقَتْلِهِ؛ وَلَا نَكَّتَ بِالْقَضِيبِ عَلَى ثَنَايَاهُ ﷺ وَلَا حَمَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ﷺ إلَى الشَّامِ لَكِنْ أَمَرَ بِمَنْعِ الْحُسَيْنِ ﷺ وَبِدَفْعِهِ عَنْ الْأَمْرِ. وَلَوْ كَانَ بِقِتَالِهِ فَزَادَ النُّوَّابُ عَلَى أَمْرِهِ».

توفي وله من الأولاد: معاوية، وخالد ، وعبد الله وغيرهم.

وأنبه على قول الحافظ أبي الْقَاسِمِ بْن عَسَاكِر: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْعَبْدِيُّ قَاضِي الْبَحْرَيْنِ مِنْ لَفْظِهِ وَكَتَبَهُ لِي بِخَطِّهِ قَالَ: رَأَيْتُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ قَتَلْتَ الْحُسَيْنَ؟ فَقَالَ: لَا. فَقُلْتُ: لَهُ: هَلْ غَفَرَ الله لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. قُلْتُ: فَالْحَدِيثُ الَّذِي يُرْوَى أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى مُعَاوِيَةَ يَحْمِلُ يَزِيدَ فَقَالَ:

«رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَحْمِلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»؟

فَقَالَ: لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

وهو كما قال.بل هو مما أشرنا إليه من قبل ، من ترويج أحد الفريين ، أشياء إلى يزيد .

وقد قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لَمْ يُولَدْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ . وَإِنَّمَا وُلِدَ بَعْدَ الْعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ .

---

(١) في«مجموع الفتاوي» (٥/ ٤١١).

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية أبي ليلى

لم تطل إمارته على ما قال أصحاب السير، إنما كانت أياماً، وكان مريضاً وكان فيه صلاح وخير، فلم يستخلف أحداً.

قال ابن كثير[١]: « إمارةُ معاوية بنِ يزيدَ بن معاوية أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَيُقَالُ أَبُو يَزِيدَ وَيُقَالُ أَبُو يعلى الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، وَأُمُّهُ أُمُّ هَاشِمٍ بِنْتُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، بُويِعَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ - وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ - فِي رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا نَاسِكًا[٢]، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، قِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ شَهْرَيْنِ، وَقِيلَ شَهْرًا وَنِصْفَ شَهْرٍ، وَقِيلَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وعشرون يَوْمًا، وَقِيلَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَالله أَعْلَمُ.

وَكَانَ فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ مَرِيضًا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ».اهـ

قلت«محمد»: تقدَّم بالسند الثابت عن نافع: لما احتضر مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ قِيلَ لَهُ: لَوْ عَهِدْتَ إِلَى رَجُلٍ عَهْدًا وَاسْتَخْلَفْتَ خَلِيفَةً.فَقَالَ:

وَالله مَا نَفَعَتْنِي حَيًّا فَأَتَقَلَّدُهَا مَيِّتًا وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَقَدِ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ آلُ أَبِي سُفْيَانَ. لا تَذْهَبُ بَنُو أُمَيَّةَ بِحَلاوَتِهَا وَأَتَقَلَّدُ مَرَارَتَهَا.وَالله لا يَسْأَلُنِي الله عَنْ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَكِنْ إِذَا مُتُّ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى يَخْتَارُ النَّاسُ لأَنْفُسِهِمْ وَيَقُومُ بِالْخِلافَةِ قَائِمٌ.فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ وَقَامَ بِأَمْرِ النَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ.

---

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٩).

(٢) وقد حكى ابنُ كثيرٍعن أبي زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيِّ قال: مُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَخَالِدٌ إِخْوَةٌ، وَكَانُوا مِنْ صَالِحِي الْقَوْمِ.

فَلَمَّا دُفِنَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ قَامَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ دَفَنْتُمْ؟ قَالُوا: مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ. فَقَالَ: هَذَا أَبُو لَيْلَى. فَقَالَ أَزْنَمُ الْفَزَارِيُّ:

إِنِّي أَرَى فِتَنًا تَغْلِي مَرَاجِلُهَا ... فَالْمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا. (١)

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ بِالشَّامِ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ أُمَرَاءَ الأَجْنَادِ وَدَعَا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بِحِمْصَ وَزُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ بِقِنَّسْرِينَ. ثُمَّ دَعَا الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بِدِمَشْقَ النَّاسَ سِرًّا. ثُمَّ دَعَا النَّاسُ إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَلانِيَةً فَأَجَابَهُ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ وَبَايَعُوهُ لَهُ. وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ إِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بِعَهْدِهِ عَلَى الشَّامِ فَكَتَبَ الضَّحَّاكُ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ مِمَّنْ دَعَا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَتَوْهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ.. (٢)

إمارة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

وَعِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ وَطَائِفَةٍ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ آنَذَاكَ، وهو الصحيح الذي تدل عليه الآثار.

فإنه لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ أَقْلَعَ الْجَيْشُ عَنْ مَكَّةَ وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يحاصرون ابن الزبير وهو عائذ بالبيت فلما رجع حصين بن نمير السكوني بالجيش إلى الشام، استفحل ابن الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ وَمَا وَالَاهَا، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَ يزيد بيعة هناك، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَمَرَهُ بِإِجْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنِ الْمَدِينَةِ فَأَجْلَاهُمْ فَرَحَلُوا إِلَى الشَّامِ، وَفِيهِمْ مَرْوَانُ بن الحكم وَابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ.

---

(١) وهذا يدل على أن بعد معاوية بن يزيد لم يكن أمير، فلم يكن أمراء يوم أن شهر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في أمر الإمارة.

(٢) وهذا أخرجه ابن سعد في«طبقاته » بسند ثابت، وتقدم.

وفي سنن البيهقي[١] بسند ثابت قولُ عبدِ الله بن صفوان لعبد الله بن عمر رضي الله عنه : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَهْلُ الْعَرُوضِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ وَعَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ؟...الأثر وسيأتي في موطنه إن شاء الله.

لقد اسْتَوْثَقَ لَهُ الْمِصْرَانِ جَمِيعًا، وَأَرْسَلَ إِلَى مِصْرَ فَبَايَعُوهُ.

وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جحدر، وَأَطَاعَتْ لَهُ الْجَزِيرَةُ، وَبَعَثَ عَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثَ بن عبد الله بن رَبِيعَةَ، وَبَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ فَبَايَعُوهُ، وَإِلَى خُرَاسَانَ فَبَايَعُوهُ، وَإِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بِالشَّامِ فَبَايَعَ كما قال ابن كثير رحمه الله.

تمكُّن عبدِ الله بنِ الزبير رضي الله عنه من الإمارة وبداية شروع مروان في الحكم وموته

تقدم أن ذكرنا أن ابْن الزُّبَيْرِ لم يُدع له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع: كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى.

فلم يزل ابنُ الزبير لا يدعو بالخلافة، حتى هلك يزيد، فلما هَلَكَ يزيد تقاذفت الإمارة جماعة من الصبيان الذين أخبر عنهم النبي ﷺ فيما تقدم فدعا إلى الأصلح وبايعه الناس.

أخرج ابن سعد[٢] بسندٍ حسن عَنْ نَافِعٍ قَالَ: ضُرِبَ مَرْوَانُ يَوْمَ الدَّارِ ضَرْبَةً جَدَّتْ أُذُنَيْهِ فَجَاءَ رَجُلٌ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَجْهَزَ عَلَيْهِ. قَالَ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: سُبْحَانَ الله تُمَثِّلُ بِجَسِدِ مَيِّتٍ! فَتَرَكَهُ. قَالُوا فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَسَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ

(١) «الكبرى»(٨/ ٣٣٣).

(٢) في«طبقاته» (٥/ ٢٩).

يَطْلُبُونَ بِدَمِ عُثْمَانَ خَرَجَ مَعَهُمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا قِتَالا شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى انْكِشَافَ النَّاسِ نَظَرَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله وَاقِفًا فَقَالَ: وَالله إِنْ دَمُ عُثْمَانَ إِلا عِنْدَ هَذَا. هُوَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ وَمَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ. فَفَوَّقَ لَهُ بِسَهْمٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَتَلَهُ. وَقَاتَلَ مَرْوَانُ أَيْضًا حَتَّى ارْتُثَّ فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ عَنَزَةَ فَدَاوَوْهُ وَقَامُوا عَلَيْهِ. فَمَا زَالَ آلُ مَرْوَانَ يَشْكُرُونَ ذَلِكَ لَهُمْ. وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَتَوَارَى مَرْوَانُ حَتَّى أُخِذَ لَهُ الأَمَانُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَمَّنَهُ. فَقَالَ مَرْوَانُ: مَا تُقِرَّنِي نَفْسِي حَتَّى آتِيَهُ فَأُبَايِعَهُ. فَأَتَاهُ فَبَايَعَهُ. ثُمَّ انْصَرَفَ مَرْوَانُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى وَلِيَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْخِلافَةَ فَوَلَّى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْمَدِينَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ عَزَلَهُ. وَوَلَّى سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ثُمَّ عَزَلَهُ. وَأَعَادَ مَرْوَانَ ثُمَّ عَزَلَهُ.

وَأَعَادَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَعَزَلَهُ. وَوَلَّى الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى مَاتَ مُعَاوِيَةُ.وَمَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ مَعْزُولٌ عَنِ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ وَلَّى يَزِيدُ بَعْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ الْمَدِينَةَ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. فَلَمَّا وَثَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَيَّامَ الْحَرَّةِ أَخْرِجُوا عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَبَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا إِلَى الشَّامِ وَفِيهِمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَأَخَذُوا عَلَيْهِمُ الأَيْمَانَ أَلا يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ وَإِنْ قَدَرُوا أَنْ يَرُدُّوا هَذَا الْجَيْشَ الَّذِي قَدْ وُجِّهَ إِلَيْهِمْ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ أَنْ يَفْعَلُوا. فَلَمَّا اسْتَقْبَلُوا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُسَائِلُهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا فَجَعَلَ مَرْوَانُ يُخْبِرُهُ وَيُحَرِّضُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: مَا تَرَوْنَ؟ تَمْضُونَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ تَرْجِعُونَ مَعِي؟

فَقَالُوا: بل نمضي إلى أمير المؤمنين. وَقَالَ مَرْوَانُ مِنْ بَيْنَهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأَرْجِعُ مَعَكَ. فَرَجَعَ مَعَهُ مُؤَازِرًا لَهُ مُعِينًا لَهُ عَلَى أَمْرِهِ حَتَّى ظُفِرَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقُتِلُوا وَانْتُهِبَتِ الْمَدِينَةُ ثَلاثًا. وَكَتَبَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بِذَلِكَ إِلَى يَزِيدَ. وَكَتَبَ يَشْكُرُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَيُذْكَرُ مَعُونَتَهُ إِيَّاهُ وَمُنَاصَحَتَهُ وَقِيَامَهُ مَعَهُ. وَقَدِمَ مَرْوَانُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الشَّامَ

فَشَكَرَ ذَلِكَ لَهُ يَزِيدُ وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ. فَلَمْ يَزَلْ مَرْوَانُ بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَانَ عَقَدَ لابْنِهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بِالْعَهْدِ بَعْدَهُ. فَبَايَعَ لَهُ النَّاسُ وَأَتَتْهُ بَيْعَةُ الآفَاقِ إِلا مَا كَانَ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَهْلِ مَكَّةَ. فَوَلِيَ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ. وَيُقَالُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَلَمْ يَزَلْ فِي الْبَيْتِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ. كَانَ مَرِيضًا فَكَانَ يَأْمُرُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفِهْرِيَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِدِمَشْقَ.

فَلَمَّا ثَقُلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ قِيلَ لَهُ: لَوْ عَهِدْتَ إِلَى رَجُلٍ عَهْدًا وَاسْتَخْلَفْتَ خَلِيفَةً. فَقَالَ:

وَاللهِ مَا نَفَعَتْنِي حَيًّا فَأَتَقَلَّدُهَا مَيِّتًا وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَقَدِ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ آلُ أَبِي سُفْيَانَ. لا تَذْهَبُ بَنُو أُمَيَّةَ بِحَلاوَتِهَا وَأَتَقَلَّدُ مَرَارَتَهَا. وَاللهِ لا يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَكِنْ إِذَا مُتُّ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى يَخْتَارُ النَّاسُ لأَنْفُسِهِمْ وَيَقُومُ بِالْخِلافَةِ قَائِمٌ. فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ وَقَامَ بِأَمْرِ النَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ. فَلَمَّا دُفِنَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ قَامَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ دَفَنْتُمْ؟ قَالُوا: مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ. فَقَالَ: هَذَا أَبُو لَيْلَى. فَقَالَ أَزْنَمُ الْفَزَارِيُّ:

إِنِّي أَرَى فِتَنًا تَغْلِي مَرَاجِلُهَا ... فَالْمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ بِالشَّامِ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ أُمَرَاءَ الأَجْنَادِ وَدَعَا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بِحِمْصَ وَزُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ بِقِنَّسْرِينَ. ثُمَّ دَعَا الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بِدِمَشْقَ النَّاسَ سِرًّا. ثُمَّ دَعَا النَّاسُ إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَلانِيَةً فَأَجَابَهُ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ وَبَايَعُوهُ لَهُ. وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ إِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بِعَهْدِهِ عَلَى الشَّامِ فَكَتَبَ الضَّحَّاكُ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ مِمَّنْ دَعَا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَتَوْهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مَرْوَانُ خَرَجَ يُرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ لِيُبَايِعَ لَهُ وَيَأْخُذَ مِنْهُ أَمَانًا لِبَنِي أُمَيَّةَ وَخَرَجَ مَعَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ. فَلَمَّا كَانُوا بِأَذْرِعَاتٍ وَهِيَ مَدِينَةُ الْبَثَنِيَّةِ لَقِيَهُمْ عُبَيْدُ اللهِ

بْنُ زِيَادٍ مُقْبِلا مِنَ العراق فقال لمروان: أين تريده؟ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: سُبْحَانَ الله. أَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِهَذَا. تُبَايِعُ لأَبِي خُبَيْبٍ وَأَنْتَ سَيِّدُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! والله لأَنْتَ أَوْلَى بِهَا مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: أَنْ تَرْجِعَ وَتَدْعُو إِلَى نَفْسِكَ وَأَنَا أَكْفِيكَ قُرَيْشًا وَمَوَالِيَهَا وَلا يُخَالِفُكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ: صَدَقَ عُبَيْدُ الله. إِنَّكَ لَجَذْمُ قُرَيْشٍ وَشَيْخُهَا وَسَيِّدُهَا وَمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلا إِلَى هَذَا الْغُلامِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَزَوَّجْ أُمَّهُ فَيَكُونَ فِي حِجْرِكَ وَادْعُ إِلَى نفسك فأنا أكفيك اليمانية فإنهم لا يُخَالِفُونَنِي. وَكَانَ مُطَاعًا عِنْدَهُمْ. عَلَى أَنْ تُبَايِعَ لِي مِنْ بَعْدِكَ. قَالَ: نَعَمْ. فَرَجَعَ مَرْوَانُ وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ وَمَنْ مَعَهُمَا. وَقَدِمَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ دِمَشْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ثُمَّ خَرَجَ فَنَزَلَ بَابَ الْفَرَادِيسِ فَكَانَ يَرْكَبُ إِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ كُلَّ يَوْمٍ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ.

فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: يَا أَبَا أُنَيْسٍ. الْعَجَبُ لَكَ وَأَنْتَ شَيْخُ قُرَيْشٍ تَدْعُو لابْنِ الزُّبَيْرِ وَتَدَعْ نَفْسَكَ وَأَنْتَ أَرْضَى عِنْدَ النَّاسِ مِنْهُ فَادْعُ إِلَى نَفْسِكَ. فَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: أَخَذْتَ بَيْعَتَنَا وَعُهُودَنَا لِرَجُلٍ ثُمَّ تَدْعُو إِلَى خَلْعِهِ عَنْ غَيْرِ حَدَثٍ أَحْدَثَهُ! فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَادَ إِلَى الدُّعَاءِ لابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَغَيَّرَ قُلُوبَهُمْ عَلَيْهِ. فَقَالَ عُبَيْدُ اللهَّ بْنُ زِيَادٍ وَمَكَرَ بِهِ: مَنْ أَرَادَ مَا تُرِيدُ لَمْ يَنْزِلِ الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ. يُبَرَّزُ وَيُجْمَعُ إِلَيْهِ الْخَيْلُ. فَاخْرُجْ عَنْ دِمَشْقَ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ الأَجْنَادَ. فَخَرَجَ الضَّحَّاكُ فَنَزَلَ الْمَرْجَ وَبَقِيَ عُبَيْدُ الله بِدِمَشْقَ وَمَرْوَانُ وَبَنُو أُمَيَّةَ بِتَدْمُرَ وَخَالِدٌ وَعَبْدُ الله ابْنَا يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِالْجَابِيَةِ عِنْدَ خَالِهِمَا حَسَّانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَحْدَلٍ. فَكَتَبَ عُبَيْدُ الله إِلَى مَرْوَانَ أَنِ ادْعُ النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِكَ وَاكْتُبْ إِلَى حَسَّانَ بْنِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِكَ فإنه لَنْ يَرُدَّكَ عَنْ بَيْعَتِكَ. ثُمَّ سِرْ إِلَى الضَّحَّاكِ فَقَدْ أَصْحَرَ لَكَ. فَدَعَا مَرْوَانُ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَوَالِيَهُمْ فَبَايَعُوهُ. وَتَزَوَّجَ أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بْنِ رَبِيعَةَ. وَكَتَبَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَحْدَلٍ يَدْعُوهُ أَنْ يُبَايِعَ لَهُ وَيَقْدَمَ عَلَيْهِ. فَأَبَى. فَأُسْقِطَ فِي يَدَيْ

مَرْوَانَ. فَأَرْسَلَ إِلَى عُبَيْدِ الله فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ الله أَنِ اخْرُجْ إِلَيْهِ فِيمَنْ مَعَكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَبَنُو أُمَيَّةَ جَمِيعًا مَعَهُ وَهُوَ بِالْجَابِيَةِ وَالنَّاسُ بِهَا مُخْتَلِفُونَ فَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْعَةِ فَقَالَ حَسَّانُ: وَالله لَئِنْ بَايَعْتُمْ مَرْوَانَ لَيَحْسِدَنَّكُمْ عَلاقَةُ سَوْطٍ وَشِرَاكُ نَعْلٍ وَظِلُّ شَجَرَةٍ. إِنَّ مَرْوَانَ وَآلَ مَرْوَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ قَيْسٍ. يُرِيدُ أَنَّ مَرْوَانَ أَبُو عَشَرَةٍ وَأَخُو عَشَرَةٍ. فَإِنْ بَايَعْتُمْ لَهُ كُنْتُمْ عَبِيدًا لَهُمْ.

فَأَطِيعُونِي وَبَايِعُوا خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ. فَقَالَ رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ: بَايِعُوا الْكَبِيرَ وَاسْتَشِبُّوا الصَّغِيرَ. فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ لِخَالِدٍ: يَا ابْنَ أُخْتِي هَوَايَ فِيكَ وَقَدْ أَبَاكَ النَّاسُ لِلْحَدَاثَةِ.

وَمَرْوَانُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. قَالَ: بَلْ عَجَزْتَ. قَالَ: كَلا. فَبَايَعَ حَسَّانُ وَأَهْلُ الأَرْدُنِّ لِمَرْوَانَ عَلَى أَنْ لا يُبَايِعَ مَرْوَانُ لأَحَدٍ إِلا لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ. وَلِخَالِدٍ إِمْرَةُ حِمْصَ وَلِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ إِمْرَةُ دِمَشْقَ. فَكَانَتْ بَيْعَةُ مَرْوَانَ بِالْجَابِيَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِلنِّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. وَبَايَعَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَهْلَ دِمَشْقَ وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنْ يُرِدِ الله أَنْ يُتَمَّمَ لِي خِلافَةً لا يَمْنَعَنِيهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ. فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ: صَدَقْتَ. وَسَارَ مَرْوَانُ مِنَ الْجَابِيَةِ فِي سِتَّةِ آلافٍ حَتَّى نَزَلَ مَرْجَ رَاهِطٍ ثُمَّ لَحِقَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الأَجْنَادِ سَبْعَةُ آلافٍ فَكَانَ فِي ثَلاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا أَكْثَرُهُمْ رَجَّالَةٌ. وَلَمْ يَكُنْ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ غَيْرُ ثَمَانِينَ عَتِيقًا. أَرْبَعُونَ مِنْهُمْ لَعَبَّادِ بْنِ زِيَادٍ وَأَرْبَعُونَ لِسَائِرِ النَّاسِ. وَكَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ مَرْوَانَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ. وَكَتَبَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ فَتَوَافَدُوا عِنْدَهُ بِالْمَرْجِ فَكَانَ فِي ثَلاثِينَ أَلْفًا. وَأَقَامُوا عِشْرِينَ يَوْمًا يَلْتَقُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى قُتِلَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَقُتِلَ مَعَهُ مِنْ قَيْسٍ بَشَرٌ كَثِيرٌ. فَلَمَّا قُتِلَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَانْهَزَمَ النَّاسُ رَجَعَ مَرْوَانُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى

دِمَشْقَ وَبَعَثَ عُمَّالَهُ عَلَى الأَجْنَادِ وَبَايَعَ لَهُ أَهْلُ الشَّامِ جَمِيعًا[1]. وَكَانَ مَرْوَانُ قَدْ أَطْمَعَ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ثُمَّ بَدَا لَهُ فَعَقَدَ لابْنَيْهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَيْ مَرْوَانَ بِالْخِلافَةِ بَعْدَهُ فَأَرَادَ أَنْ يَضَعَ مِنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ وَيُقَصِّرَ بِهِ وَيُزَهِّدَ النَّاسَ فِيهِ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَذَهَبَ لِيَجْلِسَ مَجْلِسَهُ الَّذِي كَانَ يُجْلِسُهُ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ وَزُبْرَةُ: تَنَحَّ يَا ابْنَ رَطْبَةَ الاسْتَ وَاللهِ مَا وَجَدْتُ لَكَ عَقْلا. فَانْصَرَفَ خَالِدٌ وَقْتَئِذٍ مُغْضَبًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ: فَضَحْتَنِي وَقَصَّرْتِ بِي وَنَكَسْتِ بِرَأْسِي وَوَضَعْتِ أَمْرِي. قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَزَوَّجْتِ هَذَا الرَّجُلَ فَصَنَعَ بِي كَذَا وَكَذَا. ثُمَّ أَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ فَقَالَتْ لَهُ: لا يَسْمَعُ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ وَلا يَعْلَمُ مَرْوَانُ أَنَّكَ أَعْلَمْتَنِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَادْخُلْ عَلَيَّ كَمَا كُنْتَ تَدْخُلُ وَاطْوِ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى تَرَى عَاقِبَتَهُ فَإِنِّي سَأَكْفِيكَهُ وَأَنْتَصِرُ لَكَ مِنْهُ. فَسَكَتَ خَالِدٌ وَخَرَجَ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَأَقْبَلَ مَرْوَانُ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن رَبِيعَةَ وَهِيَ امْرَأَتُهُ فَقَالَ لَهَا: مَا قَالَ لَكَ خَالِدٌ مَا قُلْتُ لَهُ الْيَوْمَ وَمَا حَدَّثَكَ بِهِ عَنِّي؟ فَقَالَتْ: مَا حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ وَلا قَالَ لِي. فَقَالَ: أَلَمْ يَشْكُنِي إِلَيْكِ وَيَذْكُرْ تَقْصِيرِي بِهِ وَمَا كَلَّمْتُهُ بِهِ؟ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ أَجَلُّ فِي عَيْنِ خَالِدٍ وَهُوَ أَشَدُّ لَكَ تَعْظِيمًا مِنْ أَنْ يَحْكِيَ عَنْكَ شَيْئًا أَوْ يَجِدَ مِنْ شَيْءٍ تَقُولُهُ وَإِنَّمَا أَنْتَ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ لَهُ. فَانْكَسَرَ مَرْوَانُ وَظَنَّ أَنَّ الأَمْرَ عَلَى مَا حَكَتْ لَهُ وَأَنَّهَا قَدْ صَدَقَتْ.

وَمَكَثَ حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَانَتِ الْقَائِلَةُ فَنَامَ عِنْدَهَا فَوَثَبَتْ هِيَ وَجَوَارِيهَا فَغَلَّقْنَ الأَبْوَابَ عَلَى مَرْوَانَ ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَى وِسَادَةٍ فَوَضَعَتْهَا عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ تَزَلْ هِيَ

(١) وقد أخرج أبو زرعة في«تاريخه» (١٠٨) بسندٍ صحيح إلى أبي مسهر قال: بايع مروان أهل الأردن وطائفة من أهل دمشق ، وسائر الناس زبيريون، ثم اقتتل مروان وشيعة ابن الزبيريوم مرج راهط، فظفر مروان وشيعته بشيعة ابن الزبير، واجتمع الناس لمروان.

وَجَوَارِيهَا يُغَمِّمْنَهُ حَتَّى مَاتَ. ثُمَّ قَامَتْ فَشَقَّتْ عَلَيْهِ جَيْبَهَا وَأَمَرَتْ جَوَارِيَهَا وَخَدَمَهَا فَشَقَقْنَ وَصِحْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ: مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجْأَةً. وَذَلِكَ فِي هِلالِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ. وَكَانَ مَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ ابْنَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَكَانَتْ وِلايَتُهُ عَلَى الشَّامِ وَمِصْرَ لَمْ يَعْدُ ذَلِكَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ. وَيُقَالُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. ...

وبايع أهل الشام لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَكَانَتِ الشَّامُ وَمِصْرُ فِي يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَمَا كَانَتَا فِي يَدِ أَبِيهِ. وَكَانَ الْعِرَاقُ وَالْحِجَازُ فِي يَدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. وَكَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا سَبْعَ سِنِينَ. ثُمَّ قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.وَاسْتَقَامَ الأَمْرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَهُ...

مناصحة بعض الناس من أهل العراق لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه

أخرج ابن أبي شيبة[1] بسندٍ صحيح عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حِينَ بُويِعَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِأَهْلِ طَاعَةِ الله، وَلِأَهْلِ الْخَيْرِ عَلَامَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا، وَيُعْرَفُ فِيهِمْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَةِ الله، وَاعْلَمْ أَنَّمَا مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ السُّوقِ يَأْتِيهِ مَا زَكَا فِيهِ، فَإِنْ كَانَ بَرًّا جَاءَهُ أَهْلُ الْبِرِّ بِبِرِّهِمْ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا جَاءَهُ أَهْلُ الْفُجُورِ بِفُجُورِهِمْ.

وقد جرت مآسي في هذه المدة، وأزهقت أنفس بسبب إثناء عبيد الله بن زياد مروان بن الحكم عما أراد من مبايعته لعبد الله بن الزبير وجمع كلمة المسلمين وكف الدماء، فبئس ما عمل، وبئس ما أُشير على مروان من المجرم عبيد الله بن زياد .

أويه لو سلم الأمر لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه

---

(١) في«المصنف»(٦/ ١٨٨).

وفي هذه السنةِ قُتِلَ النعمانُ بنُ بشير رضي الله عنه، كان أولَ مولودٍ ولدَ للأنصارِ بعد الهجرة، فأتي به النبي ﷺ فحنَّكه ودعى له. روى عن النبي ﷺ كثيراً ومن ذلك حديث :«**الحلالُ بينٌ والحَرام بينٌ وبينهما أمورٌ مشتبهات**..» في الصحيحين وغيرهما.

أخرج ابن بجير في«فوائده»[1] بإسناده عن أبي مسهر قال: كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير، فلما تمرون أهل حمص خرج هاربًا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله.

وفيها توفي المسور بن مخرمة رضي الله عنه وهو صحابي صغير، قيل: أصابه حجر المنجيق وهو قائم يصلي عند الكعبة فمات رضي الله عنه.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ- أَعْنَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ- جَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَفِتَنٌ مُنْتَشِرَةٌ بِبِلَادِ الْمُشْرِقِ.[2] والله أعلم.

وقد أرَّخ ابن جرير الطبري رحمه الله أن فيها كان هدم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه **الكعبة وإعادة بنائها على السُّنة فجزاه الله خيراً.**

حتى كانت إمارة عبد الملك فهدمها بعد أن قُتل ابن الزبير رضي الله عنه وبناها كما كانت.

أخرج البخاري[3] عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ، كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ** - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ- **بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ**

---

(١) برقم (٢٠) وفي سنده من لم أعرفه، والأثر متداول في كتب السير.

(٢) كما قال ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٨).

(٣) برقم (١٢٦) ومسلم (١٣٣٣).

يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ» فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ.

وتفصيل ذلك :

كما أخرجه مسلم[1] عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّئَهُمْ - أَوْ يُحَرِّبَهُمْ - عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ، أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِي بِنَاءَهَا؟ أَوْ أُصْلِحُ مَا وَهَى مِنْهَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي قَدْ فُرِقَ لِي رَأْيٌ فِيهَا، أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: « لَوْ كَانَ أَحَدُكُمُ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجِدَّهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيُهُ عَلَى أَنْ يَنْقُضَهَا، فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بِأَوَّلِ النَّاسِ يَصْعَدُ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى صَعِدَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصَابَهُ شَيْءٌ تَتَابَعُوا فَنَقَضُوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمِدَةً، فَسَتَّرَ عَلَيْهَا السُّتُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ، وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يُقَوِّي عَلَى بِنَائِهِ، لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ»، قَالَ:

«فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ، وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ»، قَالَ:« فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ حَتَّى أَبْدَى أُسًّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَبَنَى عَلَيْهِ الْبِنَاءَ وَكَانَ طُولُ الْكَعْبَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا زَادَ فِيهِ اسْتَقْصَرَهُ، فَزَادَ فِي طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ:

---

(١) برقم (١٣٣٣).

أَحَدُهُمَا يُدْخَلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ».

فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَضَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أُسٍّ نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُدُولُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّا لَسْنَا مِنْ تَلْطِيخِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي شَيْءٍ[1]، أَمَّا مَا زَادَ فِي طُولِهِ فَأَقِرَّهُ، وَأَمَّا مَا زَادَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَرُدَّهُ إِلَى بِنَائِهِ، وَسُدَّ الْبَابَ الَّذِي فَتَحَهُ، فَنَقَضَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى بِنَائِهِ.

ندم عبد الملك على هدمها لما بلغه حجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

أخرج أحمد[2] بسندٍ ثابت عَنْ أَبِي قَزَعَةَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ، بَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ قَالَ: قَاتَلَ اللهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَيْثُ يَكْذِبُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ: سَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَبْتُ الْبَيْتَ » قَالَ أَبِي: قَالَ الْأَنْصَارِيُّ «لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ حَتَّى أَزِيدَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرُوا عَنِ الْبِنَاءِ » فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: لَا تَقُلْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا سَمِعْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تُحَدِّثُ هَذَا فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ هَذَا قَبْلَ أَنْ أَهْدِمَهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَى بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ.

إظهار بني أُمية سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر وسبب ذلك

استظهر بنو أمية الطعن في بعض الصحابة رضي الله عنهم، وجعلوا الأمر قضية

---

(١) **قوله** «**إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير**»: يريد بذلك سبَّه وعيب فعل يقال لطَّخته أي رميته بأمر قبيح يعني إنا براء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة.

(٢) برقم (٢٦١٥١).

ليُظهروا شرفاً ومزية لهم عنهم فينجمع الناس عليهم

فأخرج ابن أبي خيثمة[١] بسندٍ قوَّاه الذهبي[٢] عَنْ عَلِيّ بْنِ حُسَيْن؛ قَالَ: قَالَ لِي مَرْوَان ابْنُ الْحَكَمِ: مَا كَانَ فِي الْقَوْمِ أحدٌ أَدْفَعَ عَنْ صَاحِبِنَا- يَعْنِي: عُثْمَان بْنَ عَفَّان - مِنْ صَاحِبِكُمْ- يَعْنِي: عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قُلْتُ: فَمَا بَالُكُمْ تَسُبُّوهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؟ قَالَ: لا يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ إِلاَّ بِذَاكَ .

ولعلَّه لأجل ذلك لما اسْتَخْلَفَ مَرْوَانُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَصَلَّى لَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْجُمُعَةَ، فَقَرَأَ بَعْدَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ، فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ، قَالَ: فَأَدْرَكْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ حِينَ انْصَرَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ قَرَأْتَ بِسُورَتَيْنِ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقْرَأُ بِهِمَا بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقْرَأُ بِهِمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ».[٣] فأراد أبو هريرة الدفاع عن عليّ رضي الله عنه بأسلوب غير مباشر بإظهار استنانه بالنبي ﷺ .

ودخلت سنة خمس وستين

أرَّخ بعضُهم فيها موت مروان في هذه السنة، وأكمل عبد الله بن الزبير بناء الكعبة، وأدخل فيها الحجر، وجعل لها بابين، يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، حكاه ابن كثير عم ابن جرير الطبري رحمهما الله[٤].

وفي هذه السنة أيضاً دعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه مشدِّداً على بعض من لم يبايعه.

---

(١) في«تاريخه»(٣٩٠١) وابن عساكر في«تاريخه»(٢/ ٤٣٨).

(٢) في«تاريخ الإسلام»(٢/ ٢٥٢) .

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٧).

(٤) «البداية والنهاية»(٩/ ٥٣).

فأخرج الأزرقي[١] بسند صحيح عن الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: « أَخَذَنِي ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَحَبَسَنِي فِي دَارِ النَّدْوَةِ فِي سِجْنِ عَارِمٍ، فَانْفَلَتُّ مِنْهُ فِي قُيُودِي، فَلَمْ أَزَلْ أَتَخَطَّى الْجِبَالَ، حَتَّى سَقَطْتُ عَلَى أَبِي بِمِنًى» .

وقد ذكر خليفة بن خياط[٢]أن في هذه السنة دعا ابن الزبير محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية إلى بيعته فأبى، فحبسه في شعب بني هاشم في عدة من أصحابه منهم عامر بن واثلة أبو الطفيل، وأوعدهم وعيداً شديداً.

وهذا مما لا أعلَمُه يصح.

وقد روى ابن سعد في«طبقاته»[٣]شيئاً من ذلك وفيه:لَمَّا جَاءَ نَعْيُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ بِهَا يومئذ الحسين بن علي ومحمد بن الْحَنَفِيَّةِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ.

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ. فَخَرَجَ الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى مَكَّةَ. وَأَقَامَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى سَمِعَ بِدُنُوِّ جَيْشٍ مسرف وأيام الْحَرَّةِ فَرَحَلَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ. فَلَمَّا جَاءَ نَعْيُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَبَايَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِنَفْسِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ دعا ابن عباس ومحمد ابن الْحَنَفِيَّةِ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ فَأَبَيَا يُبَايِعَانِ لَهُ وَقَالا: حَتَّى يَجْتَمِعَ لَكَ الْبِلادُ وَيَتَّسِقَ لَكَ النَّاسُ. فَأَقَامَا عَلَى ذَلِكَ مَا أَقَامَا.

فَمَرَّةً يُكَاشِرُهُمَا وَمَرَّةً يَلِينُ لَهُمَا وَمَرَّةً يُبَادِيهِمَا. ثُمَّ غَلُظَ عَلَيْهِمَا فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ كَلامٌ وَشَرٌّ.

فَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ يَغْلُظُ حَتَّى خَافَا مِنْهُ خَوْفًا شَدِيدًا وَمَعَهُمَا النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ. فَأَسَاءَ جوارهم وحصرهم وآذاهم.

---

(١) في«أخبار مكة» (٢١٦٧).

(٢) في «تاريخه» ص ١٣٦.

(٣) «الطبقات الكبرى»(٥/ ٧٤).

وقصد لمحمد بن الْحَنَفِيَّةِ فَأَظْهَرَ شَتْمُهُ وَعَيْبَهُ وَأَمَرَهُ وَبَنِي هَاشِمٍ أَنْ يَلْزَمُوا شِعْبَهُمْ بِمَكَّةَ.

وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ الرُّقَبَاءَ وَقَالَ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ: وَاللهِ لَتُبَايِعَنَّ أَوْ لأَحْرِقَنَّكُمْ بِالنَّارِ. فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

قَالَ سُلَيْمٌ أبو عامر: فرأيت محمد بن الْحَنَفِيَّةِ مَحْبُوسًا فِي زَمْزَمَ وَالنَّاسُ يُمْنَعُونَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللهِ لأَدْخُلَنَّ عَلَيْهِ. فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ: مَا بَالُكَ وَهَذَا الرَّجُلُ؟

فَقَالَ: دَعَانِي إِلَى الْبَيْعَةِ فَقُلْتُ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيْكَ فَأَنَا كَأَحَدِهِمْ.

ولكن ليس في ذلك إسنادٌ يثبت.

ولا يُظَنُّ بعبد الله بن الزبير أن يفعل ذلك، فإنه كان يحترم الصحابة، وابن عمر وابن عباس لم يبايعوه وامتنع ابن عمر صراحة من مبايعته، بل تكلَّم معه بغلظة، وما عامله عبد الله بن الزبير بالسجن ولا بشئ من ذلك.

سبب عدم مبايعة بعض الصحابة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه مع اعترافهم بفضله

والسبب في عدم مبايعة الصحابة رضي الله عنهم مثل ابن عباس وابن عمر وغيرهما له أنهم كانوا يعتقدون أنها فُرقَة، والبيعةُ في الفُرقة مَذمُومة لأنها عبارة عن مُناصرة فريق من المسلمين على الآخر، وهذا لا يجوز، فقد أمر بعض من كان حول معاوية بن يزيد بعض الشباب، وصارت الإمارة يتقاذفها هذا ويموت عنها ذاك، وأمارات لا تبقى إلا أياماً.

ولذلك لما تغَلَّب عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بايع

الجميع بما فيهم ابن عمر رضي الله عنه، بايعه كتابة له، كما سيأتي في موطنه، إن شاء الله.

كما أن ابن عباس رضي الله عنه امتنع من مبايعته، وهما(أعني ابن عمر وابن عباس) أجل من كان موجوداً في ذلك الزمان.

فقد روى سَعِيدُ بْنُ حَرْبٍ الْعَبْدِيُّ[1] قَالَ:كُنْتُ جَلِيسًا لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ زَمَنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ،وَفِي طَاعَةِابْنِ الزُّبَيْرِ رُءُوسُ الْخَوَارِجِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَنَجْدَةُ فَبَعَثُوا أَوْ بَعْضُهُمْ شَابًّا إِلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ لِعَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟فَرَأَيْتُهُ حِينَ مَدَّ يَدَهُ وَهِيَ تَرْجُفُ مِنَ الضَّعْفِ ، فَقَالَ:«وَالله مَا كُنْتُ لِأُعْطِيَ بَيْعَتِي فِي فُرْقَةٍ، وَلَا أَمْنَعُهَا مِنْ جَمَاعَةٍ»[2].

وفي صحيح البخاري عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه :«أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِى فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ ضُيِّعُوا، وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِىِّ ﷺ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: يَمْنَعُنِى أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِى، فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} ؟ فَقَالَ: قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لله، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ الله».[3]

وهذا ابن عباس رضي الله عنه :

---

(١) فيما أخرجه البخاري فى «الأوسط »(١/ ١٩٣)، والبيهقي (٨/ ١٩٣) بإسنادٍ صحيح عن سعيد ابن حرب العبدي به .

(٢) وهذا هل تراه إلا موافقاً لقولهلحذيفةالما قال:«قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»،قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا،وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ،حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**».

ذاك الذي أخرجه البخاري(٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) ؟

(٣) صحيح.أخرجه البخاري (٥٤١٣).

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ[١]،فَغَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: أَتُرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَتُحِلَّ حَرَمَ الله؟[٢] فَقَالَ:«مَعَاذَ الله، إِنَّ الله كَتَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَبَنِي أُمَيَّةَ مُحِلِّينَ،[٣] وَإِنِّي وَالله لَا أُحِلُّهُ أَبَدًا»،قَالَ: قَالَ النَّاسُ: بَايِعْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقُلْتُ:

«وَأَيْنَ بِهَذَا الأَمْرِ عَنْهُ[٤]، أَمَّا أَبُوهُ:فَحَوَارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ الزُّبَيْرَ - وَأَمَّا جَدُّهُ: فَصَاحِبُ الغَارِ[٥] - يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ - وَأُمُّهُ: فَذَاتُ النِّطَاقِ- يُرِيدُ أَسْمَاءَ-[٦]وَأَمَّا خَالَتُهُ: فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ- يُرِيدُ عَائِشَةَ - وَأَمَّا عَمَّتُهُ: فَزَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ خَدِيجَةَ - [٧]وَأَمَّا عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ:فَجَدَّتُهُ - يُرِيدُ صَفِيَّةَ - ثُمَّ عَفِيفٌ فِي الإِسْلاَمِ[٨]، قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ، وَالله إِنْ وَصَلُونِي وَصَلُونِي مِنْ قَرِيبٍ[٩].....الأثر .

---

(١) **بينهما شيء**:بين ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهما- يعني مما يصدر بين المتخاصمين- .

(٢) **فتحل حرم الله**: أي تذهب حرمته بالقتال فيه.

(٣) **محلِّين**: مبيحين للقتال في الحرم.

(٤) **وأين بهذا الأمر عنه** : أي إنه أجدر الناس بالخلافة وليست بعيدة عنه لما له من المكارم والمزايا.

(٥) **أي**:الذي صحب النبي ﷺ في الهجرة واختبأ معه في الغار، وهو أبو بكر الصديقﷺ.

(٦) **ذات النطاقين**: سميت بذلك لأنها شقت نطاقها وربطت به وعاء زاد النبيﷺ وسقاءه عند الهجرة.

(٧) **عمته**: أي عمة أبيه فهي أخت العوام بن خويلد وأطلق عليها عمَّته تجوزاً.

(٨) **عفيف**: متنزِّه عن الأشياء المشينة ، ومبتعد عن الحرام وسؤال الناس.

(٩) **وصلوني**: من صلة الرحم وهي البر بالأقارب وأراد بهم بني أمية وهو يعتب بذلك على ابن الزبير رضي الله عنهما حيث إنه آثره عليهم وهو مع ذلك فقد جفاه.

فمع هذا الثناء من ابن عباس على عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فلم يبايعه، لماذا؟ لأن الزمن زمن فرقة .

وهكذا كان الصحابة ﷺ اعتزلوا كل هذا، والله أعلم .

ومما ورد في ترجمة مروان بن الحكم

ما أخرجه ابن عساكر[١] من طريق أبي زرعة قال: حدثني أحمد بن شَبَّوَية حدثنا سليمان بن صالح حدثني ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: مَنْ تركت لهذا الأمر من بعدك؟ فقال: أما الْقَارِئُ لِكِتَابِ الله، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللهِ، الشديد في حدود الله، مروان بْنُ الْحَكَمِ.

وسنده صحيح.

وقد أخرج ابن عساكر [٢]من طريق اللَّيث عَنْ يَزِيدَ بن حَبِيبٍ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ أَنَّهُ قَالَ: شَهِدَ مَرْوَانُ جِنَازَةً فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهَا انْصَرَفَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَصَابَ قِيرَاطًا وَحُرِمَ قِيرَاطًا، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجري حتى بَدَتْ رُكْبَتَاهُ، فَقَعَدَ حَتَّى أُذِنَ لَهُ.

ومن المخالفات التي ارتكبها مروان تقديم الصلاة على الخطبة يوم العيد، وخطَّأه الصحابة ﷺ ورد عليه غير واحد منهم.

من قريب: من أجل قرابتي لهم لأن بني أمية من بني عبد مناف وهو من بني هاشم بن عبد مناف.

والمعنى أنه يقول للسائل: لا تظن أني أقاتل معه بني أمية، لوصلهم لي، ولما بيني وبين ابن الزبير- يعني من جفوة كانت-.

(١) في«تاريخه»(٨/ ٢٨٣).

(٢) في«تاريخه» (٨/ ٢٨٣).

ففي صحيح مسلم[١] عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ- وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ- قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

وفي صحيح مسلم[٢] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ، فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ، قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثٍ، ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ، أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ، أَمَرَهُمْ بِهَا، وَكَانَ يَقُولُ:«**تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا**»، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، فَخَرَجْتُ مُخَاصِرًا مَرْوَانَ حَتَّى أَتَيْنَا الْمُصَلَّى، فَإِذَا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ قَدْ بَنَى مِنْبَرًا مِنْ طِينٍ وَلَبِنٍ، فَإِذَا مَرْوَانُ يُنَازِعُنِي يَدَهُ، كَأَنَّهُ يَجُرُّنِي نَحْوَ الْمِنْبَرِ، وَأَنَا أَجُرُّهُ نَحْوَ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، قُلْتُ: أَيْنَ الِابْتِدَاءُ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ:لَا، يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ تُرِكَ مَا تَعْلَمُ، قُلْتُ: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَأْتُونَ بِخَيْرٍ مِمَّا أَعْلَمُ، ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ انْصَرَفَ.

المدة التي تأمَّر فيها مروان على البلاد التي تغلب عليها

وَقَالَ خَلِيفَةُ: حدَّثني الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: مَاتَ مَرْوَانُ بِدِمَشْقَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ الْمُلْكِ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ

(١) برقم (٤٩).

(٢) برقم (٨٨٩)

يَوْمًا، وَقَالَ غَيْرُهُ: عَشَرَةَ أَشْهُرٍ.[١]

الأحاديث التى وردت في شأن لعن مروان

كَانَ أَبُوهُ الْحَكَمُ مِنْ أَكْبَرِ أَعْدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّمَا أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَقَدِمَ الْحَكَمُ الْمَدِينَةَ ثُمَّ طَرَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، وَمَاتَ بِهَا، وَمَرْوَانُ كَانَ أَكْبَرَ الْأَسْبَابِ فِي حِصَارِ عُثْمَانَ لِأَنَّهُ زَوَّرَ عَلَى لِسَانِهِ كِتَابًا إِلَى مِصْرَ بِقَتْلِ أُولَئِكَ الْوَفْدِ، وَلَمَّا كَانَ مُتَوَلِّيًا عَلَى الْمَدِينَةِ لِمُعَاوِيَةَ كَانَ يَسُبُّ عَلِيًّا كُلَّ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: لَقَدْ لَعَنَ اللهُ أَبَاكَ الْحَكَمَ وأنت في صلبه على لسان نبيه.[٢]

ففي «مسند أحمد» (٤/ ٥)، والبزار (٢١٩٧) بإسنادٍ ثابتٍ صحيح عن الشعبي، قال: سمعت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يقول وهو مستند إلى الكعبة: «ورب هذا البيت، لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه ﷺ».

وله شاهد آخر عند البزار فى «البحر الزخار» (٢٢٧٣) - بنحوه.

وصح عن عائشة رضي الله عنها قالت له: «...ولكن الله لعن أباك وأنت فى صُلبه فأنت فضَض من لَعنِه».

أخرجه ابن أبي خيثمة فى «تاريخه» (١٧٨٥) بإسنادٍ صحيح.

وله طرق. وفى رواية (١٧٨٧) قالت لمروان:

«أشهد أن الله لعن أباك على لسان نبيه ﷺ وأنت فى صلب أبيك».

وإسناده صحيح.

---

(١) حكاه عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٥٠).

(٢) قاله ابن كثير في المصدر السالف.

وله شاهد آخر عند ابن أبي خيثمة (١٧٨٦)، والبزار (٢٣٥٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل عليكم رجل لعين**» وقد تركت عمراً يلبس ثيابه فلم أزل مُشفقاً أن يكون أول من يدخل، فدخَل الحَكم ابن أبي العاص- والد مروان بن الحكم-» .

وأخرجه من نفس الطريق باللفظ المذكور ابن عبد البر فى «الاستيعاب» (١/ ١٠٦) بإسنادٍ صحيح.

قال الحافظ فى «الفتح» (١٣/ ١٥):

«قد وردت أحاديث فى لعن الحكم والد مروان وما ولد، أخرجها الطبرانيُ وغيرُه غالبها فيها مقال وبعضها جيد». اهـ

خِلَافَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ فِي ثالث رمضان منها جُدِّدَت له البيعةُ بدمشق ومصر وأعمالهما، فَاسْتَقَرَّتْ يَدُهُ عَلَى مَا كَانَتْ يَدُ أَبِيهِ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بَعَثَ بَعْثَيْنِ أَحَدُهُمَا مَعَ عُبَيْدِ اللهِّ بْنِ زِيَادٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَنْتَزِعهَا مِنْ نُوَّابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ جَيْشَ التَّوَّابِينَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ عِنْدَ عَيْنِ الْوَرْدَةِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا تَقَدَّمَ، مِنْ ظَفَرِهِ بِهِمْ، وَقَتْلِهِ أَمِيرَهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ.

وَالْبَعْثُ الْآخَرُ مَعَ حُبَيْشِ بْنِ دُلَجَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَرْتَجِعَهَا مِنْ نَائِبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَسَارَ نَحْوَهَا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا هَرَبَ نَائِبُهَا جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَجَهَّزَ نَائِبُ الْبَصْرَةِ مِنْ قِبَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ الحارث

ابن عبد الله بن رَبِيعَةَ، جَيْشًا مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ دُجَجَةَ بالمدينة، فلمَّا سمع بهم حُبيش ابْنُ دُجَجَةَ سَارَ إِلَيْهِمْ.(١) كذا ولم أقف على أسانيد ثابتة في ذلك لكنه مشهور.

وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقد سُمّي جَارِفاً لِأَنَّهُ كَانَ ذَرِيعاً، جَرَفَ النّاسَ كَجَرْفِ السَّيل.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ بِالْبَصْرَةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ: كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّمَا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ مُعْظَمُ ذَلِكَ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَمَاتَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ من الثلاثة من أهل سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني منها إحدى وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث منها ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْيَوْمِ الرابع موتى إلا قليل مِنْ آحَادِ النَّاسِ، حَتَّى ذُكِرَ أَنَّ أُمَّ الْأَمِيرِ بِهَا مَاتَتْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَنْ يَحْمِلُهَا، حَتَّى اسْتَأْجَرُوا لَهَا أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ.(٢) فالله أعلم بما كان.

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٥٢).

(٢) حكاه عنه ابن كثير(٩/ ٥٣) وقد وقفت على إسناد أخرجه البلاذري في«أنساب الأشراف»(٥/ ٤٢٧) صحيح إلى مصعب بْن يَزِيد أَن الطاعون الجَارف وقعَ بالبصرة وعُبَيْد الله بْن عُبَيْدِ الله بْن مَعْمَر التيمي عَلَيْهَا، فماتت أمه فَمَا وجدوا من يحملها حَتَّى استأجروا لَهَا أربعة أعلاج فحملوها إِلَى حفرتها، وَهُوَ الأمير يَوْمَئِذٍ.

أخرج أحمد [١] بسندٍ حسن عن عَبْد الله بْن غَالِبٍ: « لَقَدْ ذَهَبَ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ بِبَنِيَّ وَمَا شَبِعْتُ مِنْ حَدِيثِهِمْ، أَمَّا النَّهَارَ فَكَمَا تَرَوْنَ قَالَ: وَكَانَ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ يُسَبِّحُ تَسْبِيحًا كَثِيرًا دَائِمًا، وَأَمَّا اللَّيْلَ فَأَقُولُ: الْحَقُوا بِأُمِّكُمْ».

وأخرج ابن عبد البر [٢] بسندٍ حسن عن الْأَصْمَعِيِّ قَالَ لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ بِالْبَصْرَةِ فَنِيَ أَهْلُهَا وَامْتَنَعَ النَّاسُ مِنْ دَفْنِ مَوْتَاهُمْ فَدَخَلَتِ السِّبَاعُ الْبَصْرَةَ عَلَى رِيحِ الْمَوْتِ وَخَلَتْ سِكَّةٌ بَنِي جَرِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَلَمْ يُبْقِ الله فِيهَا سِوَى جَارِيَةٍ فَسَمِعَتْ صَوْتَ الذِّئْبِ فِي سِكَّتِهِمْ لَيْلًا فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

أَلَا أَيُّهَا الذِّئْبُ الْمُنَادِي بِسَحَرَةٍ ... إِلَيَّ أُنْبِئُكَ الَّذِي قَدْ بَدَا لِيَا
بَدَا لِي أَنِّي قَدْ نعيتُ وأني ... بَقِيَّةُ قَوْمٍ وَرَّثُونِي الْبَوَاكِيَا
وَإِنِّي بِلَا شَكٍّ سَأَتْبَعُ مَنْ مَضَى ... وَيَتْبَعُنِي مِنْ بَعْدُ مَنْ كان تاليا

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ

وُثُوبُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ بِالْكُوفَةِ لِيَأْخُذَ بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، اشتهر هذا المجرم بترويج الكذب، وكان يحتال في استمالة الناس بضروب من الحيل، يظهر التشيع ويبط الكهانة، وأسر إلى خاصته أنه يوحى إليه.

(١) في«الزهد» (١٣٨٦).

(٢) في«التمهيد»(٦/ ٢١٥).

كلام أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما للمختار الثقفي الكذاب

أخرج مسلم [١] خطاب أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج بن يوسف الثقفي بعد قتل ولدها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قالت:«... أَمَا إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا، «**أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا**» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ » .فيذكر شراح الحديث أن المقصود بالكذاب الذي رأوه هو المختار بن أبي عبيد الثقفي كان شديد الكذب.

وقد أخرج أحمد[٢] بإسنادٍ حسن عَنْ رِفَاعَةَ الْفِتْيَانِيِّ، قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى الْمُخْتَارِ، قَالَ: فَأَلْقَى لِي وِسَادَةً، وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ أَخِي جِبْرِيلَ قَامَ عَنْ هَذِهِ لَأَلْقَيْتُهَا لَكَ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنِي بِهِ أَخِي عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَيُّمَا مُؤْمَنٍ أَمَّنَ مُؤْمِنًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ**».

وفي رواية [٣]عنه بإسنادٍ صحيح **قَالَ**: كُنْتُ أَقُومُ عَلَى رَأْسِ الْمُخْتَارِ، فَلَمَّا عَرَفْتُ كَذِبَهُ هَمَمْتُ أَنْ أَسُلَّ سَيْفِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، أُعْطِيَ لِوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

مقدار إفساد المختار وشيعته كثيراً في الناس:

أخرج الجوزجاني[٤] بإسنادٍ رجاله معدَّلون عن صلةَ بن زفر العبسي: قال قاتل

---

(١) برقم (٢٥٤٥).

(٢) برقم (٢٣٧٠٢).

(٣) أحمد(٢١٩٤٨) وأخرجه ابن الجعد في «الجعديات»(٣٣٣٦) وابن أبي شيبة في«المسند» (٨٦٣) .

(٤) في كتابه«أحوال الرجال» ص ٢٧.

الله المختار! أي شعية أفسد وأي حديث شان.

كذبه على أهل الفضل كمحمد بن الحنفية أنه أيَّده

أخرج البلاذري قال حَدَّثَنِي عُمَر بْن شبة حَدَّثَنِي حيان بْن بشر عَنْ يَحْيَى بْن آدم عَنْ عَلِي بْن هِشَام عَنْ أَبِي الجحاف قَالَ: قَالَ لي مُعَاوِيَةُ بْنُ ثعلبة: لما خرج المختار كرهت الخروج مَعَهُ، فأتيت مُحَمَّد ابْن الحنفية فسألته فَقَالَ إني آمرك بِمَا آمر بِهِ نفسي لا تخرج مَعَهُ، فإنا أهل الْبَيْت لا نبتر هذه الأمة أمرها، وإن عليا لَمْ يقاتل حتى كانت له بيعة.[1]

وأخرج ابن أبي شيبة[2] عن أبي أُسَامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْجَحَّافِ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ ثَعْلَبَةٍ قَالَ: أَتَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ الْمُخْتَارِ أَتَانَا يَدْعُونَا، قَالَ: فَقَالَ لِي: «لَا تُقَاتِلْ ، إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَبْتُرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَمْرَهَا أَوْ آتِيهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا».

وفي كتب السير أن المختار بجيشه تتبَّع قتلة الحسين يقتلهم رجلاً رجلاً فقتل الَّذِي قيل إنه قَتَلَ الحسين رضي الله عنه، وهو شَمِر بْن ذِي الْجَوْشَنِ، والأشهر أنه هو الذي قتله، وقيل إن عُمَر بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ هو الذي قتله، وليس بشئ، وَإِنَّمَا كَانَ عُمَرُ أَمِيرَ السَّرِيَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الحسين فقط، كما جزم ابن كثير رحمه الله.

وقتل خَوْلِيَّ بْنَ يَزِيد الْأَصْبَحِيَّ الَّذِي احْتَزَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ.

وقتل عمرَ بن سعد بن أبي قاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين وغيرهم.

وَلَا شكَّ أَنَّ قَتْلَ قَتَلَتِهِ كَانَ مُتَحَتِّمًا،

---

(١) وسنده لا بأس به .أخرجه في«أنساب الأشراف»(٦/ ٤٥٠) .

(٢) في «المصنف»(٦/ ١٩١).

وَالْمُبَادِرَةُ إِلَيْهِ كَانَ مَغْنَمًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَدَّرَهُ الله عَلَى يَدِ الْمُخْتَارِ الْكَذَّابِ الَّذِي صَارَ بِدَعْوَاهُ إِتْيَانَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ كَافِرًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إِنَّ الله لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ** ». (١)

وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مَا يَكْتُبُهُ الْكَاتِبُونَ «وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا » [الأنعام: ١٢٩] .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ الله فَوْقَهَا ..... وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ (٢)

وعاث المختار في دماء المسلمين يمينا وشمالاً، وتبعه على آرائه الفاسدة، وضلاله السافر عدد من سذَّج السلمين، الذي هم في كل زمان وقود الفتن، وقد وردت أشياء في كتب السير لم أر يصح من أسانيدها شيء، فضربت عن ذكرها صفحاً، ونعوذ بالله من الفتن.

بناء عبدِ الملِك بنِ مَروان القبة على صخرة بيت المقدس

قال صاحب مرآت الزَّمَانِ (٣): وَفِيهَا ابْتَدَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِبِنَاءِ الْقُبَّةِ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَعِمَارَةِ الْجَامِعِ الْأَقْصَى، وَكَمَلَتْ عِمَارَتُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبير كَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مَكَّةَ، وَكَانَ يَخْطُبُ فِي أَيَّامِ مِنًى وَعَرَفَةَ، وَمُقَامَ النَّاسِ بِمَكَّةَ، وَيَنَالُ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ (٤) وَيَذْكُرُ

(١) أخرجه البخاري(٣٠٦٢) ومسلم (١٧٩).

(٢) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٦٦) .

(٣) فيما حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٧١).

(٤) وحُق له فإنهم من سلالة مروان الذي خرج على عبد الله بن الزبير خرج عليه كما تقدَّم بيانه.

مَسَاوِئَ بَنِي مَرْوَانَ، وَيَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ الْحَكَمَ وَمَا نَسَلَ[١]، وَإِنَّهُ طَرِيدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَعِينُهُ، وَكَانَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ فَصِيحًا، فَمَالَ مُعْظَمُ أَهْلِ الشَّامِ إِلَيْهِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَمَنَعَ النَّاسِ مِنَ الحج فضجوا، فبنى الْقُبَّةَ عَلَى الصَّخْرَةِ وَالْجَامِعَ الْأَقْصَى لِيَشْغَلَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الْحَجِّ وَيَسْتَعْطِفَ قُلُوبَهُمْ، وَكَانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَيَطُوفُونَ حَوْلَهَا كَمَا يَطُوفُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ.

وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم، ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه، وكان يُشَنِّعُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ وَيَقُولُ: ضَاهَى بِهَا فِعْلَ الْأَكَاسِرَةِ فِي إِيوَانِ كِسْرَى.

وقد ذكر أوصافاً لأبوابها، وما بنيت به مما لم أجد لهذا سنداً.

وبعض ذلك صحيح- أعني جهر عبد الله بن الزبير بأدلة لعنهم- وليس بمستبعد أن يكون أكثره صحيحاً من باب ردَّة فعل بني أمية على ما يجهر به عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه.

وقد أخرج أحمد[٢] والبزار[٣] واللفظ له بإسنادٍ صحيح عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْكَعْبَةِ: «وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ لَقَدْ لَعَنَ اللهُ الْحَكَمَ وَمَا وَلَدَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ».

وقد رواه عن النبي ﷺ غير عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

ولعلَّ هذا قاله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في معرِض الرَّدِّ على من خطَّأه فيما يفعل،

---

(١) ولم ينفرد ابن الزبير رضي الله عنه بنقل ذلك عن النبي ﷺ، بل نقله عنه عائشة وعمرو بن العاص وغيرهما كما تقدَّم.

(٢) برقم(١٦١٢٨).

(٣) في «المسند» برقم(٢١٩٧).

وطلب أن يترك لهم الأمر كعبد الله بن عمر وابن عباس وأبي برزة الأسلمي وغيرهم رضي الله عنهم .

وهنا :

تصحيحُ مفهومٍ ودفعُ إشكالٍ

* قول ابن عمر رضي الله عنه : مَا وَجِدْتُ فِي نَفْسِي مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا وَجِدْتُ فِي نَفْسِي أَنِّي لَمْ أُقَاتِلْ هَذِهِ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ كَمَا أَمَرَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[١]. زَادَ الْقَطَّانُ[٢] فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ حَمْزَةُ: فَقُلْنَا لَهُ: وَمَنْ تَرَى الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: **ابْنُ الزُّبَيْرِ بَغَى** عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَنَكَثَ عَهْدَهُمْ. [٣]

* وقوله رضي الله عنه عن قتال آل مروان وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه :« إن هؤلاء فتيان يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا، والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل بعضهم بعضاً بنعليّ ». [٤]

* وقال رضي الله عنه وقد أَتَاهُ رَسُولُهُمَا- رسول ابن الزبير وعبد الله بن صفوان- فَقَالَ : هَذَا عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ يَدْعُوانِكَ، فَجَاءَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ عَبْدُ الله ابْنُ صَفْوَانَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَهْلُ الْعَرُوضِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ وَعَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ؟ فَقَالَ:«وَالله لَا أُبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ وَاضِعُو سُيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ **تَصَبَّبُ أَيْدِيكُمْ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ**». [٥]

---

(١) كذا يُحَدِّث بالعلم حيث ينفع لا يكتمه، ولكن لا يُحَدِّث به أرباب الفتن.

(٢) هو أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ ، أحد رواة السند .

(٣) أخرجه البيهقي (٨/ ١٧٢) بأسانيد صحيحة.

(٤) أخرجه ابن سعد (١/ ١٧٠) بسندٍ قوي.

(٥) أخرجه البيهقي (٨/ ٣٣٣) بسندٍ صحيح.

* **وكذلك** لما قال عميرُ بنُ هانئ العنسي:[١] قلتُ لابن عمر: كيف تقولُ فينا وفى هؤلاءِ؟ قال: ما أنا لكمْ بحامدٍ، ولا لهمْ بعاذرٍ، أنتم أصحابُ دنيا تنافستموها بينكم، تهافتونَ فى النارِ تهافت الذبابِ فى المرقِ». [٢]

* **وقول عبد الله بن عباس** رضي الله عنه: « إِنَّ الله كَتَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَبَنِي أُمَيَّةَ مُحِلِّينَ، وَإِنِّي وَالله لَا أُحِلُّهُ أَبَدًا». [٣] يعني مستبيحين القتال فى الحرم.

* **ومن ذلك قول أَبِي المِنْهَالِ**، قَالَ: لَمَّا كَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَمَرْوَانُ بِالشَّأْمِ، وَوَثَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، وَوَثَبَ القُرَّاءُ بِالْبَصْرَةِ، قال: فَانْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي إِلَى أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ عُلِّيَّةٍ لَهُ مِنْ قَصَبٍ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَأَنْشَأَ أَبِي يَسْتَطْعِمُهُ الحَدِيثَ فَقَالَ: يَا أَبَا بَرْزَةَ....إلى أن قال :وهذه الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ، وَالله إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَالله إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَالله إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا». [٤]

فهؤلاء ابن عمر وابن عباس وأبو برزة رضي الله عنهم ترى في ظاهر أقوالهم الذمَّ لعبد الله بن الزبير، فهل كانوا يرون عبد الله بن الزبير خارجاً عليهم ظالماً لهم..؟

والجواب:

---

(١) كان عمير هذا نائباً عن الحجاج بالكوفة، وقد وجهه عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بكتب وهو يحاصر ابن الزبير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا فى « الزهد» (٤٩٢)، و «ذم الدنيا»(٤١١)، وأخرجه عبد الجبار الخولاني فى « تاريخ داريا» (ص ٨٤). بإسنادٍ حسنٍ عن عميرِ بنِ هانئ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٦٥).

(٤) أخرجه البخاري(٧١١٢).

أن هؤلاء الثلاث من الصحابة كغيرهم من بعض الصحابة ﷺ كانوا يرون عدم الدخول في أمور السلاطين والأمراء أصلاً[١]، وأن يتركوا الأمر لغيرهم متى رأوا أن في ذلك جمع شمل المسلمين، وصيانة دمائهم.

كما رأى من رأى أن من لوازم عدم فعل ابن الزبير ذلك التهمة بالتسبُّب في إراقة الدماء، وإرادة الدنيا بما يفعل بمقاتلته تلك، حتى يُنَفِّروا الناس من المشاركة في الفتن، وإسالة الدماء والفرقة.

ولذلك ما استمر ابن عمر على ذمِّ عبد الله بن الزبير على الدوام إلى بعد مماته، كلا!

بل أثنى عليه ابن عمر نفسه بعد موته ثناءً عاطراً، بل لا يُعلم أن صحابياً واحد قدح في عبد الله بن الزبير بعد موته، بل لا في حياته ولا بعد مماته ولا يُعلم أن أحداً من الصحابة حتى الذين حاربوه اتهمة بالبغي أو الخروج على الأمراء إلا ما كان مما تقدم من قول عبد الله بن عمر، وسيأتي كلام ابن عمر له بعد قتل الحجاج له، وهو مصلوب سيأتي في موطنه إن شاء الله تعالى.

---

(١) ولعل هذا هو سبب عدم معرفة ابن عمر بحقيقة تغَلُّب عبد الله بن الزبير على الإمارة وتمام المبايعة له قبل بني أمية كما تقدم نقل نافع ذلك مفصلاً في روايته، حتى ذكر أنه ذهب ليبايعه ويأخذ منه أماناً لبني أميَّة، فقابله عبيد الله بن زياد فأثناه عما أراد حتى كان من أمره ما كان من منازعته لعبد الله بن الزبير.

فلمَّا غاب مثل ذلك عن ابن عمر نعت ابن الزبير بالباغي فقال: « ابْنُ الزُّبَيْرِ بَغَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَنَكَثَ عَهْدَهُمْ» .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ

فَفِيهَا كَانَ مَقْتَلُ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ عَلَى يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ[1]، وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ سَائِرٌ لِقَصْدِ ابْنِ زِيَادٍ فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ، فَكَانَ اجْتِمَاعُهُمَا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْخَازِرُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْصِلِ خَمْسَةُ فَرَاسِخَ، فَبَاتَ ابْنُ الْأَشْتَرِ تِلْكَ الليلة ساهراً لا يستطيع النوم، فلما كان قريب الصبح نهض فعبى جَيْشَهُ وكتَّبَ كَتَائِبَهُ، وَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْتٍ، ثُمَّ رَكِبَ فَنَاهَضَ جَيْشَ ابْنِ زِيَادٍ، وَزَحَفَ بِجَيْشِهِ رُوَيْدًا وَهُوَ ماشٍ فِي الرَّجَّالَةِ حَتَّى أَشْرَفَ مِنْ فَوْقِ تلٍ عَلَى جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ، فَإِذَا هُمْ لَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ نَهَضُوا إِلَى خَيْلِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ مَدْهُوشِينَ، فَرَكِبَ ابْنُ الْأَشْتَرِ فَرَسَهُ وَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى رَايَاتِ الْقَبَائِلِ فَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى قِتَالِ ابْنِ زِيَادٍ وَيَقُولُ: هَذَا قَاتِلُ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، قد جَاءَكُمُ الله بِهِ وَأَمْكَنَكُمُ الله مِنْهُ الْيَوْمَ، فَعَلَيْكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ فَعَلَ فِي ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ فِرْعَوْنُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ هَذَا ابْنُ زِيَادٍ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَاءِ الْفُرَاتِ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَنِسَاؤُهُ، وَمَنَعَهُ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى بَلَدِهِ أَوْ يَأْتِيَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ حَتَّى قتله، ويحكم!

اشفوا صدروكم مِنْهُ، وَارْوُوا رِمَاحَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ مِنْ دَمِهِ، هَذَا الَّذِي فَعَلَ فِي آلِ نَبِيِّكُمْ مَا فَعَلَ، قَدْ جَاءَكُمُ الله بِهِ، ثُمَّ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَأَمْثَالِهِ، ثُمَّ نَزَلَ تَحْتَ

---

(١) حيث أرسل المختار الجنود لقتال عبيد الله بن زياد، وكان قد استولى على الموصل، وقدم على الجيش إبراهيم بن الأشتر النخعي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم أصحاب ابن زياد، وقُتل عبيد الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر في المعركة، وأخذ رأسه وأحرق جثته.

رَايَتِهِ، وأقبل ابن زياد في خيله ورجله فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ..[١]

وأخرج أبو الفرج الأصبهاني[٢] وأخبرني إبراهيم بن السري بن يحيى قال حدثني أبي عن شعيب عن سيف قال: لما قتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ويقال إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبته فانهزموا ولقي عبيد الله فضربه فقتله وجاءه إلى أصحابه فقال إني ضربت رجلا فقددته نصفين فشرقت يداه وغربت رجلاه وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة وأومأ لهم إلى موضعه فجاؤوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه كما ذكر وإذا هو ابن زياد..

وقيل الشعر في ذمِّه، عامَله الله بما يستحق.

حادثة بعد موت ابن زياد جزاءً وفاقاً بما فعل في الحسين رضي الله عنه

أخرج الترمذي[٣] بسندٍ صحيح عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ -الثقة الثبت- قَالَ: لَمَّا جِيءَ بِرَأْسِ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ وَأَصْحَابِهِ نُضِّدَتْ فِي الْمَسْجِدِ فِي الرَّحَبَةِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءَتْ قَدْ جَاءَتْ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَدْ جَاءَتْ تَخَلَّلُ الرُّءُوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي مَنْخَرَيْ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ فَمَكَثَتْ هُنَيْهَةً، ثُمَّ خَرَجَتْ فَذَهَبَتْ حَتَّى تَغَيَّبَتْ. ثُمَّ قَالُوا: قَدْ جَاءَتْ، قَدْ جَاءَتْ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا.

وللخبر طريق آخر:

أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي[٤] ثنا يوسف بن موسى عن جرير (وهو بن عبد الحميد الضبي) عن يزيد بن أبي زياد قال: لما جيء برأس ... ابن مرجانة

---

(١) حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٧٣).

(٢) في«الأغاني»(١٨/ ٢٩٤).

(٣) برقم(٣٧٨٠).

(٤) في «المعرفة» (٣/ ٤٢٨).

وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة ثم تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره، ودخلت في منخره، وخرجت من فمه، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرؤوس.

وله طريق آخر:

وأخرجه ابن أبي الدنيا[١] ثنا هاشم بن الوليد قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن أبي الطفيل، قال: عزلنا سبعة أرؤس، وغطينا رأس حصين بن نمير، ورأس عبيد الله بن زياد، فجئت فكشفتُها فإذا حية في رأس ابن زياد ترزز فيه تأكله.

ويزيد بن أبي يزيد ضعيف وكان شيعياً، إلا أن القصة صحيحة كما تقدم.

شيء من ترجمة عبيد الله بن زياد

كَانَتْ فِي ابْنِ زِيَادٍ جُرْأَةٌ وَإِقْدَامٌ وَمُبَادَرَةٌ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ، وَمَا لَا حاجة له به!

فمن ذلك: ردّه على الصحابي فيما أخرجه مسلم[٢] عن عَائِذ بْن عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**»[٣] فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ[٤]، فَقَالَ: «وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ».

---

(١) في كتاب «الأشراف» (٩).

(٢) برقم(١٨٣٠).

(٣) يلقى بعضها على بعض ويعسفها، ضربه مثلا لوالي السوء.

(٤) يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره والنخالة والحثالة والحفالة بمعنى واحد.

وقوله «**فإياك أن تكون منهم**» من كلام عائذ نصيحة لابن زياد وأدرجه في آخر الحديث.

وهذا من سوء الأدب مع الصحاب رضي الله عنهم، سُتِّر عليه سوء أدبه هذا مع الصحابي، وبغير وجه حق. ويا له من سوء ذكر لعبيد الله هذا في تاريخ الإسلام- فيا ويحه-!

ومن ذلك : ما أخرجه البخاري[١] عَنِ الحَسَنِ، أَنَّ عُبَيْدَ الله بْنَ زِيَادٍ، عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ الله رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**».

وفي رواية مسلم[٢]عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ[٣]، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**».

قال ابن كثير: وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّه لَمَّا مَاتَ مَعْقِلٌ صَلَّى عَلَيْهِ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ وَلَمْ يَشْهَدْ دَفْنَهُ، وَاعْتَذَرَ بِمَا لَيْسَ يُجْدِي شَيْئًا وَرَكِبَ إِلَى قَصْرِهِ.

---

(١) برقم (٧١٥٠).

(٢) برقم (١٤٢).

(٣)إنَّما فعل معقل بن يسار هذا الكتمان لأنَّه علم قبل ذلك أن عبيد الله بن زياد ممن لا ينفعه الوعظ كما ظهر منه مع غيره ثم خاف معقل من كتمان الحديث ورأى تبليغه أولى وقيل: كان يخشى في حياته بطشه، فلما نزل به الموت أراد أن يكف بذلك بعض شره عن المسلمين.قاله الشيخ الهرري رحمه الله في«الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢٠/ ٢٦) .

وَمِنْ جَرَاءَتِهِ: إِقْدَامُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِإِحْضَارِ الْحُسَيْنِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ وَإِنْ قُتِلَ دُونَ ذَلِكَ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى سُؤَالِهِ الَّذِي سَأَلَهُ فِيهَا طَلَبَ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى يَزِيدَ أَوْ إِلَى مَكَّةَ، أَوْ إِلَى أَحَدِ الثُّغُورِ، فَلَمَّا أَشَارَ عَلَيْهِ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِأَنَّ الْحَزْمَ أَنْ يُحْضَرَ عِنْدَكَ وَأَنْتَ تُسَيِّرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حَيْثُ شِئْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ أَوْ غَيْرِهَا، فَوَافَقَ شَمِرًا عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ مِنْ إِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَبَى الْحُسَيْنُ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ لِيَقْضِيَ فِيهِ بِمَا يَرَاهُ ابْنُ مَرْجَانَةَ. وقد تقدَّم بيان ما حصل منه قبل.

قال ابن كثير(١): وَقَدْ تَعِسَ وَخَابَ وَخَسِرَ، فليس لابن بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يَحْضُرَ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ مَرْجَانَةَ الْخَبِيثِ.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ بن زيد: وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ قَالُوا فِيهَا قُتِلَ ابن زِيَادٍ وَالْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ، وَلِيَ قَتْلَهُمَا إِبْرَاهِيمُ بن الأشتر وبعث برأسيهما إِلَى الْمُخْتَارِ فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى ابْنِ الزُّبير، فَنُصِبَتْ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

وَهَكَذَا حَكَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ، زَادَ أَبُو أَحْمَدَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَسَكَتَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ ذَلِكَ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وغيره، ولكن بعث الرؤوس إِلَى ابْنِ الزُّبير فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُتَعَذِّرٌ لِأَنَّ الْعَدَاوَةَ كَانَتْ قَدْ قَوِيَتْ وَتَحَقَّقَتْ بَيْنَ المختار وابن الزبير في هذه السنة(٢)، وَعَمَّا قَلِيلٍ أَمَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَخَاهُ مُصْعَبًا أَنْ يَسِيرَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ لِحِصَارِ الْمُخْتَارِ وَقِتَالِهِ وَالله أَعْلَمُ.

---

(١) وفي «البداية والنهاية»(٩/ ٧٧).

(٢) ولعله أرسل الرؤوس إلى محمد بن الحنفية رحمه الله كما في بعض الكتب.

ذكر أمر الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ ومقتله عَلَى يَدَيْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ

أول أمر المختار بن أبي عبيد

أخرج البلاذري[١] بإسنادٍ صحيح عن وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: استعمل عَبْد الله بْن الزُّبَيْر عَبْد اللهَّ بْن مطيع العدوي عَلَى الكوفة، فَقَالَ المختار لابن الزُّبَيْر وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عنده إني لأعلم قوما لو أَن لَهُمْ رجلًا لَهُ رفق وعلم بِمَا يَأْتِي ويذر، لاستخرج لَك مِنْهُم جندًا تقاتل بِهِمْ أهل الشام، قَالَ: من هُمْ؟ قَالَ: شيعة عَلِي وَبَنِي هاشم بالكوفة، قَالَ: فكن أَنْتَ ذَلِكَ الرجل، فبعثه إِلَى الكوفة فنزل ناحية منها، وجعل يبكي عَلَى الْحُسَيْن، ويذكر مصابه حَتَّى ألفوه وأحبوه فنقلوه إِلَى وسط الكوفة، وأتاه مِنْهُم بشر كثير، فلما غلظ أمره وقوي شأنه سار إِلَى ابْن مطيع فأخرجه من الدار.

أول إظهاره الكذب أنه يوحى إليه :

وأخرج البلاذري[٢] بإسناد صحيح إلى وهب عَنْ أَبِيهِ عَنْ عدَّة حدَّثوه: أَن المختار لما غلب عَلَى الكوفة ابتنى لنفسه من بَيْت المال دارًا أنفق عَلَيْهَا مالا عظيما، واتخذ بستانا من بَيْت المال، وأعطى عطايا كثيرة وأنفق نفقات وكتب إِلَى ابْن الزُّبَيْر: إِن سوغتني مَا أنفقت من بَيْت المال فإني فِي طاعتك وإنما حملني عَلَى إخراج ابْن مطيع مَا رَأَيْت من وهنه وضعفه وأنه لَمْ يكن صاحب مَا هُوَ فِيهِ، فأبى ابْن الزُّبَيْر أَن يفعل فخلعه المختار، وكتب إِلَى عَلِي بْن الْحُسَيْن بْن عَلِي يريده عَلَى أَن يبايع لَهُ، وبعث إِلَيْهِ بمال فأبى أن يقبله وأن يجيبه، وخرج إِلَى الْمَسْجِد فشتمه وعابه وذكر

---

(١) في«أنساب الأشراف» (٦/ ٤٥٣).

(٢) في«أنساب الأشراف»(٦/ ٤٥٤).

كذبه، فكتب المختار إِلَى ابْن الحنفية يريده عَلَى ذَلِكَ، فأتاه عَلِي بْن الْحُسَيْن فأشار عَلَيْهِ أَن لا يقبل، وأن يخرج إِلَى النَّاس فيتبرأ منه ويعيبه ويذكر كذبه، فأتاه ابْن عَبَّاس فَقَالَ: لا تفعل فإنك لا تدري عَلَى مَا أَنْتَ من ابْن الزُّبَيْر، فأطاع ابْن عَبَّاس، وسكت عَنْ عيب المختار، وغلظ أمر المختار بالكوفة، وكثرت خشبيته، فجعل يخبرهم أَن جبريل يأتيه وتتبع قتله الْحُسَيْن فقتلهم، وَكَانَ مِمَّن قتل عُمَر بْن سَعْد بْن أَبِي وقاص، وَهُوَ الَّذِي كَانَ لقي الْحُسَيْن فقتله، فازداد أهل الكوفة إعظامًا لَهُ وحبا وطاعة، فخرج النعمان بْن صهبان الراسبي من البصرة، وَكَانَ يرى رأى الشيعة، حَتَّى قدم الكوفة فدخل عَلَى المختار ذَات يَوْم، فَقَالَ لَهُ المختار: هنا مجلس جبريل قام عَنْهُ آنفًا، فخرج النعمان وأَصْحَابه فقاتلوه فقتلوا أجمعين.

وقد ورد بإسنادٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قِيلَ لابْنِ الزُّبَيْرِ إِنَّ الْمُخْتَارَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ قَالَ صَدَقَ ثُمَّ قَرَأَ: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ.

وكذلك بإسنادٍ عن هِشَام بْن عُرْوَةَ:قِيلَ لابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ الْمُخْتَارَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ.فَقَالَ: صَدَقَ إِنَّهُمَا وَحْيَانِ وَحْيُ الله إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَوَحْيُ الشياطين، وقرأ: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُون إلى أَوْلِيَائِهِمْ.

وكذلك من طريق هشام بن السائب الكلبي عن أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي الْمُخْتَارِ: طَلَبَ بِثَأْرِنَا، وَقَتَلَ قَتَلَتَنَا، فَنَهَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَقَالَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ فَلا تَقُلْ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا. (١)

وأخرج ابن أبي حاتم بسندٍ حسن عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمَدَنِيِّ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى الْمُخْتَارِ ، فَأَكْرَمَنِي وَأَنْزَلَنِي عَلَيْهِ حَتَّى كَانَ يَتَعَاهَدُ مَبِيتِي بِاللَّيْلِ، قَالَ: فَقَالَ لِي:

(١) أخرج ذلك عنهما البلاذري في«أنساب الأشراف»(٦/ ٤٤٦) بإسنادين في صحتهما نظر.

اخْرُجْ فَحَدِّثِ النَّاسَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْوَحْيِ؟ قُلْتُ: الْوَحْيُ وَحْيَانِ ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} [يوسف: ٣] وَقَالَ الله: {شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ١١٢] ، قَالَ: فَهَمُّوا بِي أَنْ يَأْخُذُونِي، فَقُلْتُ: مَا لَكُمْ ذَاكَ ، إِنِّي مُفْتِيكُمْ وَضَيْفُكُمْ، فَتَرَكُونِي.(١)

وَإِنَّمَا أَرَادَ عِكْرِمَةُ أَنْ يُعَرِّضَ بِالْمُخْتَارِ وَكَذِبِهِ فِي ادِّعَائِهِ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

تودُّد المختار إلى ابن عمر رضي الله عنه وابن عباس بالهدايا ليكسب ودَّهما فيكسب بهما

أخرج البلاذري(٢) بإسنادٍ صحيح عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: كانت هدايا المختار تأتي ابْن عُمَر وابن عَبَّاس، وابن الحنفية فيقبلونها.

والظاهر أنهما قبلاها لبيان الجواز، فإن النبي ﷺ كان يقبل هدايا المشركين كما بينا ذلك بأدلته في كتابي«جامع أحكام الهبات» فلا ملام عليهما في قبول هدايا هذا الكذاب.

ويظهر لي- والله أعلم-أنه لما خشى من أن يكون في قبوله لها فتنة ردها.(٣)

فأخرج(٤) بإسنادٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ مَا رَدَّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْوُلاةِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في«تفسيره »(٧٧٨٩) بسندٍ صحيح إلى أَبِي يَزِيدَ الْمَدَنِيِّ، وأبو يزيد هذا حسن الحديث على أقل الأحوال خلافاً لقول ابن حجر العسقلاني عنه:«مقبول» كما بينته في كتابي « التعليقات الجياد على تحرير تقريب التهذيب» .

(٢) في«أنساب الأشراف»(٦/ ٤٥١) .

(٣) ولا يخفى أن المختار بن أبي عبيد كان والد صفية زوجة عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(٤) المصدر السالف.

هَدِيَّتَهُ- أَوْ قَالَ: صِلَتَهُ- إِلا الْمُخْتَارَ، فَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَرَدَّهَا.

بيد أني لم يتبين لي هل كان أمر إرساله بالهدايا قبل ظهور أمره أم لا.

تهيئه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أخاه مصعب بن الزبير وتوليته البصرة لقتل المختار

كَانَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ عَزَلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ نِيَابَةِ الْبَصْرَةِ الْحَارِثَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْقُبَاعِ، وَوَلَّاهَا لِأَخِيهِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، لِيَكُونَ رِدْءًا وَقَرْنًا وَكُفُؤًا لِلْمُخْتَارِ...[1]

وقد ذكر بعض العلماء[2] أن مصعب بن الزبير قتل خَلْقًا بِدَارِ الْإِمَارَةِ غَدْرًا بَعْدَ أَنْ أَمَّنَهُمْ، وَقَتَلَ عَمْرَةَ بِنْتَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ امْرَأَةَ الْمُخْتَارِ صَبْرًا، لِأَنَّهَا شَهِدَتْ فِي الْمُخْتَارِ أَنَّهُ عَبْدٌ صَالِحٌ.

وقد أخرج ابن أبي شيبة[3] بإسنادٍ صحيح عن إِسْحَاق بْن سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَى مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ وَهُوَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟»، فَقَالَ: ابْنُ أُخْتِكَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ:«صَاحِبُ الْعِرَاقِ؟»، قَالَ: نَعَمْ، جِئْتُكَ لِأَسْأَلَكَ عَنْ قَوْمٍ خَلَعُوا الطَّاعَةَ وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ وَحَثَوَا الْأَمْوَالَ فَقُوتِلُوا فَغُلِبُوا فَدَخَلُوا قَصْرًا فَتَحَصَّنُوا فِيهِ ثُمَّ سَأَلُوا الْأَمَانَ فَأُعْطُوهُ ثُمَّ قُتِلُوا ؛ قَالَ: «وَكَمِ

---

(١) وذكر ابن كثير حكاية ذات تفاصيل دقيقة في طريقة إخبار الناس، وكيفية مَقتَله، لم أقف على شيء منها مسنداً، فالله أعلم

(٢) الذهبي في«تاريخ الإسلام»(٢/ ٦٠٨) في ذِكْر وَقْعَةِ الْخَازِرِ ويبدوا أنه أخذه من «الأنساب» للبلاذري فقد ذكر ذلك (٦/ ٤٤٣).

(٣) في«المصنف»(٦/ ٢٠٤).

الْعِدَّةُ؟»قَالَ: خَمْسَةُ آلَافٍ، قَالَ: فَسَبَّحَ ابْنُ عُمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ:«وَالله يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَتَى مَاشِيَةً لِلزُّبَيْرِ فَذَبَحَ مِنْهَا فِي غَدَاةٍ خَمْسَةَ آلَافٍ أَكُنْتَ تَرَاهُ مُسْرِفًا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَتَرَاهُ إِسْرَافًا فِي بَهَائِمَ لَا تَدْرِي مَا الله، وَتَسْتَحِلُّهُ مِمَّنْ هَلَّلَ الله يَوْمًا وَاحِدًا؟».

وفي رواية(١) :«...لو أَن رجلاً أتى ماشية لآل الزُّبَيْر فذبح منها خمسة آلاف ألم تكن تراه مسرفًا؟ قَالَ: فسكت فلم يجبه، فَقَالَ: ألم يكن فيهم من تُرجى لَهُ التوبة، ألم يكن فيهم مُستكرَه؟ .

وقد قال له مسافر بْن سَعِيد بْن نمران الناعطي(٢): ما تقول يا بن الزُّبَيْر غداً وَقَدْ قتلت أمة من الْمُسْلِمِينَ حكموك فِي أنفسهم ودمائهم صبرًا .

وأخرج البلاذري (٣)بإسناد تالف عن عوانة بن الحكم قَالَ: لما أراد المصعب قتل أَصْحَاب المختار ونزلوا عَلَى حكمه شاور الأحنف بْن قَيْس فيهم، فَقَالَ: أرى أَن تعفو عَنْهُم فَإِن العفو أَقْرَبُ للتقوى، فَقَالَ أشراف أهل الكوفة: اقتلهم وضجوا فَلَمَّا قتلوا، قَالَ الأحنف: مَا أدركتم بقتلهم ثأرًا فليته لا يَكُون فِي الآخرة وبالا.

وَكَانَ مقتل المختار فِي شَهْر رمضان سنة تسع وستين.

وقيل: وبعث المصعب برأسه ورؤوس وجوه أَصْحَابه إِلَى عَبْد الله بْن الزُّبَيْر بمكة، وسمر المصعب يد المختار عَلَى حائط الْمَسْجِد الجامع، فلم تزل مسمورة حَتَّى قدم الْحَجَّاج الكوفة فأمر بِهَا فانتزعت ثُمَّ دفنت، والله أعلم، فلم أجد في ذلك إسنادًا يثبت.

---

(١) في«أنساب الأشراف »للبلاذري(٦/ ٤٥٢) .

(٢) فيما حكاه عنه البلاذري عنه (٦/ ٤٤٢).

(٣) المصدر السالف.

وَقَالَ الْمَدَائِنِي: بعث المختار برأس ابْن زِيَاد إِلَى عَبْد اللهَّ بْن الزُّبَيْر، فبعث بِهِ عَبْد اللهَّ إِلَى ابْن الحنفية فَقَالَ: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُماتُ قِصَاصٌ قَالَ: ويقال إنه بعث برأس ابْن زِيَاد إِلَى ابْن الحنفية، ويقال: إن مصعبا بعث برأس المختار إِلَى ابْن الزُّبَيْر فبعث بِهِ ابْن الزُّبَيْر إِلَى ابْن الحنفية فتلا ابْن الحنفيّة الآية، وذلك أشبه بالحقّ.(١)

بعد مقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي

أخرج البلاذري(٢) بإسناد صحيح إلى صعب بْن زَيْد قَالَ: كَانَ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر استعمل مصعبا عَلَى البصرة ثُمَّ عزله، واستعمل ابنه حمزة وَذَلِكَ بَعْد قتل المختار، فلما رأى أهل البصرة ضعف حمزة طلبوا إِلَى ابْن الزُّبَيْر أَن يرد إليهم المصعب، وَكَانَ المصعب رجلا لَهُ نجدة وشجاعة وسخاء وبصر بِمَا يَأْتِي ويذر، فلما قدم البصرة جبى خراج الأهواز، وشاطئ دجلة، وجعل يعطي النَّاس العطاء فِي كُل سنة مرتين فِي أولها وآخرها، فلم يزل المصعب بالبصرة إِلَى أَن خرج إلى مسكن.

ولكن الصعب بن زيد مجهول كما قال أبو حاتم وتبعه الحافظ ابن حجر.

وزَالَتْ دَوْلَةُ الْمُخْتَارِ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الدُّوَلِ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِزَوَالِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ فِي نفسه صادقاً، بل كان كاذباً يزعم أنَّ الوحي يأتيه على يد جبريل.

وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة، وأسرّ إلى أخصائه أنه يوحى إليه، وكان ما أدري هلى كَانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ أَمْ لَا؟ وَكَانَ قَدْ وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال، وَيُسْتَرُ بِالْحَرِيرِ، وَيُحْمَلُ عَلَى الْبِغَالِ، وَكَانَ يُضَاهِي بِهِ تَابُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) ذكره البلاذري في«أنساب الأشراف» (٦/ ٤٤٩).

(٢) في «أنساب الأشراف»(٦/ ٤٥٣).

الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، ولا شك أَنَّهُ كَانَ ضَالًّا مُضِلًّا أَرَاحَ الله الْمُسْلِمِينَ منه بعد ما انْتَقَمَ بِهِ مِنْ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ ببعضا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» الأنعام: ١٢٩.(١)

وممن توفي في هذه السنة الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأبو الجهم الصحابي رضي الله عنه صاحب الإنبجانية المذكور التي طلبها النبي ﷺ.(٢)

وفي هذه السنة: مات الأحنف بن قيس بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير، ومشى في جنازته بغير رداء، فيقال: إنه أول من مشى في جنازة بغير رداء.(٣)

ثُمَّ دَخَلَتْ سُنَّةُ ثمان وستين

اشتهر في هذه السنة أن عبد الله بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه اسْتَعْمَلَ جَابِرَ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: لا. حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ. فَضَرَبَهُ سِتِّينَ سَوْطًا. فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يَلُومُهُ وَيَقُولُ: مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ. دَعْهُ.

ولكن مع شهرته لم يصح به سند فيما وقفت عليه، والله أعلم.(٤)

وَتُوُفِّيَ فِي هذه السنة مِنَ الْأَعْيَانِ:

---

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٨٤).

(٢) أعني في حديث عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ع صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلاَمٌ، فَقَالَ: «**شَغَلَتْنِي أَعْلاَمُ هَذِهِ، اذْهَبُوا بِهَا إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ**» أخرجه البخاري(٧٥٢) ومسلم (٥٥٦).

(٣) ذكره خليفة بن خياط في«تاريخه» ص١٦٥.

(٤) فقد أخرج ذلك ابن سعد في«طبقاته الكبرى»(٥/ ٩٢) عن الواقدي حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا: اسْتَعْمَلَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ.. فذكره، وهذا إسنادٌ واه بمرَّة.

عَبْدُ الله بْنُ يَزِيدَ الْأَوْسِيُّ، شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ الخطَّاب الْعَدَوِيُّ، ابْنِ أَخِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ عَنْ نَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً.

وفيها توفي عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ سَعْدِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ، وهو صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، سَكَنَ الْكُوفَةَ ثُمَّ سكن قوميسيا. وزَيْدُ بْنُ أَرَقَمَ بْنِ زَيْدٍ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ.[١]

وقد ذكر خليفة بن خياط[٢] أنه قد مات في هذه السنة: جابر بن عبد الله الأنصاري، وزيد بن خالد الجهني، وأبو واقد الليثي، وأبو شريح العدوي من أصحاب النبي ﷺ.

وذكر ابن كثير[٣] أن ممن توفي في هذه السنة: عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ الفقيه البحر[٤] الذي أعطاه الله الحكمة والتأويل ترجمان القرآن مع صغر سنه فقد توفي ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة عاماً، وأكثر ما قيل في ذلك أن النبي ﷺ توفي وهو ابن خمسة عشر سنة[٥] ومع ذلك روى عن النبي ﷺ كثيراً.

---

(١) ذكر هذا ابن كثير في« البداية والنهاية»(٩/ ٨٧) .

(٢) في«تاريخه» ص ١٦٥.

(٣) في«البداية والنهاية» (٩/ ٨٧) .

(٤) بينما ذكر خليفة بن خيا في«تاريخه»ص ١٦٦ وفاة ابن عباس رضي الله عنه سنة تسعة وستين بالطائف وصلى عليه ابن الحنفية.

(٥) قال ابن كثير(٩/ ٨٨) :« وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ»واستدل له بما رواه الطيالسي وأحمد بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عبَّاست قَالَ: قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مَحْتُونٌ.

وفيه أقوال أخرى، فقيل: مات رسول الله ﷺ وهو ابن عشر سنين، قيل : ثلاثة عشر سنة.

وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأُمَمٌ مِنَ التَّابِعَيْنِ، وَلَهُ مُفْرَدَاتٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ لِاتِّسَاعِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ فَهْمِهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ وَسِعَةِ فَضْلِهِ وَنُبْلِ أَصْلِهِ، رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ.

وَأُمُّهُ أُمُّ الْفَضْلِ لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةُ أُخْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ والد الخلفاء العباسيين، وهو أخو أخوة عشرة ذكور من أمِّ الفضل للعباس، وَهُوَ آخِرُهُمْ مَوْلِدًا.

وكان ذا فطنة وذكاء منذ صِغره، فله مواقف كثيرة تدل على ذلك.

وحُبُّه للعلم وبذله له تعلماً وتعليماً وأدبه وتأديب غيره به مَشهور معروف بين كبار الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، وسُمِّي البحر لكثرة علمه.

ومع ذلك فكان من أسلم الناس قلباً للمسلمين .

فأخرج الطبراني[1] بسندٍ صحيح إلى عبد الله بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: شَتَمَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي وَفِيَّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنِّي لَآتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلِعَلِّي لَا أُقاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِنِ سَائِمَةٍ.

وكان قانتاً عابداً رضي الله عنه .

فأخرج الفسوي ومن طريقه البيهقي بسندٍ لا بأس به عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ:

---

(١) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(١/ ١٥٤الجزء المفقود) والفسوي في«المعرفة»(١/ ٥٢٦) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٦).

صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَإِذَا نَزَلَ قَامَ شَطْرَ اللَّيْلِ وَيُرَتِّلُ الْقُرْآنَ يَقْرَأُ حَرْفًا حَرْفًا وَيُكْثِرُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّشِيجِ، وَالنَّحِيبِ . وَيَقْرَأُ قول الله تعَالَى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ ق. [ق: ١٩].(١)

كان أمَّاراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، دافعاً للناس عن مواطن الفتن، تقدم نهيه الحسين حين أراد الذهاب إلى كربلاء.

أعني أخرجه عبد الرزاق(٢) بسندٍ صحيح عَنْ طَاوُوسٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: اسْتَشَارَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه بِالْخُرُوجِ بِمَكَّةَ قَالَ: فَقُلْتُ: لَوْلَا أَنْ يُزْرَى بِي أَوْ بِكَ لَنَشَبْتُ يَدِي فِي رَأْسِكَ، قَالَ: فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنْ يَسْتَحِيلَ بِي، يَعْنِي مَكَّةَ، قَالَ: يَقُولُ طَاوُوسٌ:وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ تَعْظِيمًا لِلْمَحَارِمِ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَبْكِيَ لَبَكَيْتُ.

وفي الفتنة زمن ابن مطيع تقدم

ما أخرجه خليفة بن خياط(٣)بسندٍ صحيح عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَأَلَ عَنهم وَهُوَ بِالطَّائِف فَقيل لَهُ استعملوا عَبْد الله بْن مُطِيع عَلَى قُرَيْش وَعبد الله بْن حَنْظَلَة عَلَى الْأَنْصَار فَقَالَ أميران! هلك الْقَوْم.

وفي لفظ في رواية ابن عساكر(٤)عن عكرمة أن ابن عباس سأل عنهم يعني أهل

---

(١) أخرجه الفسوي في«المعرفة»(١/ ٥٣٤) والبيهقي في«الشعب»(١٨٩٩) وفي سنده صالح بن رستم.

(٢) في«الأمالي في آثار الصحابة»(١٥٨).

(٣) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» ص ٢١٣.

(٤) في«تاريخ دمشق»(٢٧/ ٤٣١).

الحَرَّة وهو بالطائف .

وفي حديث يعقوب فقالوا له: استعملوا ابن مطيع على قريش، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار، فقال: أميران! هلك القوم، فرضي الله عنه من إمام للمسلمين بحق.

وقد عمي في آخر عمره رضي الله عنه .[1] مات في هذه السنة (سنة ثمان وستين)، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ، وَقِيلَ أربع وَسَبْعِينَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.[2]

وأما قوله في نكاخ المتعة فكان متأولاً مخطئاً له على خطئه أجر واحد.

وَمَعَ هَذَا مَا رَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَمَّا كَانَ يَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنْ إِبَاحَةِ الْحُمُرِ وَالْمُتْعَةِ، أَمَّا النَّهْيُ عَنِ الْحُمُرِ فَتَأَوَّلَهُ بِأَنَّهَا كَانَتْ حَمُولَتَهُمْ، وَأَمَّا الْمُتْعَةُ فَإِنَّمَا كَانَ يُبِيحُهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ فِي الْأَسْفَارِ، وَحَمَلَ النَّهْيَ عَلَى ذَلِكَ فِي حَالِ الرَّفَاهِيَةِ وَالْوِجْدَانِ.[3]

موقف محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رحمه الله

بعد موت ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) ففي صحيح مسلم(١٤٠٦) عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ، قَامَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: « إِنَّ نَاسًا أَعْمَى اللهُ قُلُوبَهُمْ، كَمَا أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، يُفْتُونَ بِالْمُتْعَةِ»..يعرِّض بابن عباس رضي الله عنه لقوله بحل نكاح المتعة، وهي من الآراء الشاذة التي تبنَّاها ابن عباس رضي الله عنه ، وقد استنكرها عليه على بن أبي طالب، وهو الذي روى عن رسول الله ﷺ نسخ ذلك.ففي صحيح مسلم (١٤٠٧) عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يُلَيِّنُ فِي مُتْعَةِ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ ».

(٢) قاله الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية» (٩/ ١٠١).

(٣) قاله ابن كثير في «تاريخه»(٤/ ٢٢٠) ط إحياء التراث.

أخرج ابن سعد[1] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَسِرْنَا مِنَ الطَّائِفِ إِلَى أَيْلَةَ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِزِيَادَةٍ عَلَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ كَتَبَ لِمُحَمَّدٍ عَهْدًا عَلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي أَرْضِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَصْطَلِحَ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ ، فَإِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى رَجُلٍ بِعَهْدٍ مِنَ الله وَمِيثَاقٍ، كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا قَدِمَ مُحَمَّدٌ الشَّامَ بَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِمَّا أَنْ تُبَايِعَنِي، وَإِمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَرْضِي ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ مَعَهُ سَبْعَةُ آلَافٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى أَنْ تُؤَمِّنَ أَصْحَابِي ، فَفَعَلَ ، فَقَامَ مُحَمَّدٌ فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: الله وَلِيُّ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَحَاكِمُهَا. مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَمْ يَكُنْ. كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ. عَجَّلْتُمْ بِالْأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فِي أَصْلَابِكُمْ لَمَنْ يُقَاتِلُ مَعَ آلِ مُحَمَّدٍ مَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ أَمْرُ آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَمْرُ آلِ مُحَمَّدٍ مُسْتَأْخَرٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَعُودَنَّ فِيكُمْ كَمَا بَدَأَ. الْحَمْدُ لله الَّذِي حَقَنَ دِمَاءَكُمْ، وَأَحْرَزَ دِينَكُمْ. مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَأْتِيَ مَأْمَنَهُ إِلَى بَلَدِهِ آمِنًا مَحْفُوظًا فَلْيَفْعَلْ ، فَبَقِيَ مَعَهُ تِسْعُمِائَةِ رَجُلٍ ، فَأَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ ، وَقَلَّدَ هَدْيًا ، فَعَمَدْنَا إِلَى الْبَيْتِ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَدْخُلَ الْحَرَمَ تَلَقَّتْنَا خَيْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَمَنَعَتْنَا أَنْ نَدْخُلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، لَقَدْ خَرَجْتُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُقَاتِلَكَ ، وَرَجَعْتُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُقَاتِلَكَ. دَعْنَا ، فَلْنَدْخُلْ ، وَلْنَقْضِ نُسُكَنَا ، ثُمَّ لَنَخْرُجُ عَنْكَ ، فَأَبَى ، وَمَعَنَا الْبُدْنُ قَدْ قَلَّدْنَاهَا ، فَرَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكُنَّا بِهَا حَتَّى قَدِمَ الْحَجَّاجُ ، فَقَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، فَلَمَّا سَارَ مَضَيْنَا ، فَقَضَيْنَا نُسُكَنَا ، وَقَدْ رَأَيْتُ الْقَمْلَ يَتَنَاثَرُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا قَضَيْنَا نُسُكَنَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ تُوُفِّيَ ».

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ

(١) في «طبقاته» (٥/ ٨٠).

ذكروا أن فيها كان مقتل عمرو بن سعيد بن العاص الأموي.

أحد الأشراف. وكان قد هم بالوثوب على عبد الملك بن مروان، وغلب على دمشق، ثم تحيل عليه عبد الملك إلى أن ظفر به فذبحه صبراً [١].

قال ابن كثير:[٢]:

مَقْتَلُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيِّ الْأَشْدَقِ[٣]، قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ رَكِبَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُنُودِهِ قَاصِدًا قَرْقِيسِيَاءَ ؛ لِيُحَاصِرَ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكِلَابِيَّ الَّذِي أَعَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدَ عَلَى جَيْشِ مَرْوَانَ حِينَ قَاتَلُوهُمْ بِعَيْنِ وَرْدَةَ[٤]، وَمِنْ عَزْمِهِ إِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقْصِدَ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا اسْتَخْلَفَ عَلَى دِمَشْقَ عَمْرَو بْنَ سَعِيدٍ الْأَشْدَقَ، فَتَحَصَّنَ بِهَا وَأَخَذَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ.

وَقِيلَ: بَلْ كَانَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَلَكِنَّهُ انْخَذَلَ عَنْهُ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ وَكَرَّ رَاجِعًا إِلَى دِمَشْقَ فِي اللَّيْلِ، وَمَعَهُ حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثِ بْنِ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ، وَزُهَيْرُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ، فَانْتَهَوْا إِلَى دِمَشْقَ وَعَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ نَائِبًا مِنْ جِهَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ هَرَبَ وَتَرَكَ الْبَلَدَ، فَدَخَلَهَا عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ

---

(١) قاله الذهبي في «الميزان» في ترجمته.

(٢) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٠٣) عن الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا.

(٣) وأرخ خليفة بن خياط وفاته سنة ١٦٦

(٤) وأحداث وقعة عين الوردة هذه التي ذكر أن سليمان بن صرد رضي الله عنه كان على جيش التوابين فيها لم أقف لها على أسانيد ثابتة، وقد احتج الخوارج المعاصرين بما ائتفكوه من أنه صحابي خرج على إمامه، فاستأنسوا بذلك لموافقته لأهوائهم وهو لا يصح سنده، وإنما أحداث عين الوردة أخرجها الطبري في«تاريخه» بإسنادين تالفين من طريق أبي مخنف لوط بن يحيي .

الْأَشْدَقُ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَزَائِنِ، وَخَطَبَ بِالنَّاسِ فَوَعَدَهُمُ الْعَدْلَ وَالنَّصَفَ وَالْعَطَاءَ الْجَزِيلَ وَالثَّنَاءَ الْجَمِيلَ، وَلَمَّا عَلِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِمَا فَعَلَهُ الْأَشْدَقُ، كَرَّ رَاجِعًا مِنْ فَوْرِهِ فَوَجَدَ الْأَشْدَقَ قَدْ حَصَّنَ دِمَشْقَ وَعَلَّقَ عَلَيْهَا السَّتَائِرَ وَالْمُسُوحَ، وَانْحَازَ الْأَشْدَقُ إِلَى حِصْنٍ رُومِيٍّ مَنِيعٍ كَانَ بِدِمَشْقَ فَنَزَلَه...حكى هذا الحافظ بغير ذكر أسانيد.

ولكن الذي يظهر من ترجمة عمرو بن سعيد الأموي الأشدق هذا أنه كان يشارك في الفتن لصالح بني أمية وهو الذي واجهه أبو شريح العدوي الصحابي رضي الله عنه بالنصح وهو يبعث البعوث لمكة لحرب عبد الله ابن الزبير الذي كان متحصِّناً بالحرم المكي، وأساء في القول له وهو ينصحه.

ففي الصحيحين [1] عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ: - وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ - ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ، أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الغَدَ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: « **إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ** » فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ إِن الحرم لاَ يُعِيذُ عَاصِيًا وَلاَ فَارًّا بِدَمٍ وَلاَ فَارًّا بِخَرْبَةٍ.

فلا يبعد أن يقع منه ذلك، وأن يعاقب بمثل ما ذُكر، والله أعلم أي ذلك كان.

---

(١) البخاري(١٠٤) ومسلم (١٣٥٤).

وقد قيل إنه أدرك النبي ﷺ ولا يصح له صحبة فيما علمت، وقد روى أحاديث عن رسول الله ﷺ، ولا يصح حديث في ذلك .

وقد وقع في «البداية والنهاية »[1] لابن كثير في ترجمة عمرو بن سعيد هذا :

« وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ أَيَّام يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَنَهَاهُ أَبُو شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيُّ وَذَكَرَ لَهُ الْحَدِيثَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي تَحْرِيمِ مَكَّةَ، فَقَالَ: نحن أعلم بذلك منك يا شريح، إن الحرام لَا يُعِيذُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فاراً بجزية، الْحَدِيثَ» أهـ

قلت «محمد»: هو غلط فلا يعرف أن عبد الله بن الزبير شهر بجيش في مواجهة جيش ليزيد بن معاوية، وإنما كان ذلك بعد موت يزيد.

وتقدَّم في إمرة يزيد وما كان في أيامه رواية نافع أن ابْن الزُّبَيْرِ لم يُدع له بالخلافة حتى مات يزيد، وقال نافع: كنت تحت منبره يوم دعا إلى نفسه وكان قبل ذلك يدعو إلى الشورى. ورواية بُرد مَولَى آل الزبير قَالَ إنه: لم يزل ابنُ الزبير لا يدعو بالخلافة، حتى هلك يزيد.

وممن تُوفي في هذه السُّنَّة من الأعيان :

أبو الأسود الدُّؤلي وهو تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، نُسِبَ إليه علم النحو وأنه أخذه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قاضي الكوفة، وَاسْمُهُ ظَالِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سفيان قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَ النَّحْوِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ الْكَلَامَ اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ، ثم إن أبا الأسود نحى نَحْوَهُ وَفَرَّعَ عَلَى قَوْلِهِ، وَسَلَكَ طَرِيقَهَ، فَسُمِّيَ هَذَا الْعِلْمُ النَّحْوَ لِذَلِكَ، وَكَانَ الْبَاعِثَ لِأَبِي الأسود على ذَلِكَ تَغَيُّرُ

(١) (٩/ ١٠٧).

لُغَةِ النَّاسِ، وَدُخُولُ اللَّحْنِ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ أَيَّامَ وِلَايَةِ زِيَادٍ عَلَى الْعِرَاقِ، وَكَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ مُؤَدِّبَ بَنِيهِ، فَإِنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمًا إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ: تُوُفِّيَ أَبَانَا وترك بنون، فأمره زياد أن يضع الناس شَيْئًا يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَيُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَا وَضَعَ مِنْهُ بَابُ التَّعَجُّبِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ابْنَتَهُ قَالَتْ لَهُ ليلة: يا أبه ما أحسنُ السماءِ، قال نُجُومُهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْ أَحْسَنِهَا إِنَّمَا تَعَجَّبْتُ مِنْ حُسْنِهَا، فَقَالَ قُولِي: مَا أَحْسَنَ السَّمَاءَ.(١)

وتوفي في هذه السنة جابر بن سمرة رضي الله عنه.

وكذلك أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها قتلت تسعة يوم اليرموك بعمود خيمتها.

فأخرج الطبراني(٢) وغيره بسندٍ حسن عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَاجِرٍ، وَعَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ أَبِيهِمَا، «أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ بِنْتِ عَمِّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَتَلَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ تِسْعَةً مِنَ الرُّومِ بِعَمُودِ فُسْطَاطِهَا ».

---

(١) ذكره ابن كثير في«البداية النهاية»(٩/ ١٠٨).

(٢) في«الكبير»(٢٤/ ١٥) رقم (٤٠٣)وأبو نعيم في«معرفة الصحابة»(٧٥٠٧) أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ نَجْدَةَ الْحَوْطِيُّ، ثنا أَبِي، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَاجِرٍ، وَعَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ به ورجاله مُعدَّلون ليس فيهم أقل ممن يُحَسَّن حديثه. وقد قال الهيثمي في«المجمع»(٩/ ٢٦٠):« رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ » ووالد محمد وعمر حسن الحديث .

وأخرجه ابن أبي عاصم في«المثاني»(٣٣٤٩) عن الحُوطي بنفس السند، ولكن فيه قتلت سبعة لا تسعة.

وهذا يدلُّ على شجاعتِها وقوتِها وجرأتها، وغيرتها على الإسلام.

وممن توفي أيضاً في هذا العام يوسف بن الحكم والد الحجاج بن يوسف الثقفي.

وحج في هذه السنة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وتوفي أيضاً في هذه السنة عبد الرحمن بن الحكم أَخُو مَرْوَانَ، شَهِدَ الدَّارَ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَكَانَ شَاعِرًا مُحْسِنًا. قاله ابن كثير رحمه الله.

وذكر خليفة بن خياط[1]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ

من الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا أن ثَارَتِ الرُّومُ وَاسْتَجَاشُوا عَلَى مَنْ بِالشَّامِ، وَاسْتَضْعَفُوهُمْ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الِاخْتِلَافِ الْوَاقِعِ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَعَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَصَالَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، مَلِكَ الرُّومِ، وَهَادَنَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ خَوْفًا مِنْهُ عَلَى الشَّامِ.

وَفِيهَا وَقْعُ الْوَبَاءُ بِمِصْرَ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الشَّرْقِيَّةِ، فَنَزَلَ حُلْوَانَ وَهِيَ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَاتَّخَذَهَا مَنْزِلًا وَاشْتَرَاهَا مِنَ الْقِبْطِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَبَنَى بِهَا دَارًا لِلْإِمَارَةِ، وَجَامِعًا، وَأَنْزَلَهَا الْجُنْدَ.[1]

وقد توبع إسماعيل بن عياش ، تابعه مِسْكِينُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ أخرجه أبو جعفر محمد بن عمرو بن البختري في«مجموع مصنفات أبي البحتري»(١٦٩)

وتابعه أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْقُدُّوسِ عن محمد بن مهاجر وحده عند أحمد كما في «سؤالات أبي داود»(١٤٧٥) ولكن فيه قَتَلَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينِ بِعَمُودٍ.

(١) في«تاريخه» ص ١٦٦.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَمْ يَرْوِ إِلَّا عَنْ أَبِيهِ حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَذَهَبَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**».(٢)

واسم أُم عاصم: الشموس بنت أبي عَامر:

أخرج ابن بَشكُوال (٣) بسندٍ منقطع عن الْقَاسِم بْنِ مُحَمَّدٍ قال: كَانَتْ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَوَلَدَتْ لَهُ عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ ثُمَّ إِنَّهُ فَارَقَهَا فَجَاءَ عُمَرُ قُبَاءَ فَوَجَدَ ابْنَهُ عَاصِمًا يَلْعَبُ بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِعَضُدِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الدَّابَّةِ فَأَدْرَكَتْهُ جَدَّةُ الْغُلامِ فَنَازَعَتْهُ إِيَّاهُ حَتَّى أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقَالَ عُمَرُ ابْنِي وَقَالَتِ الْمَرْأَةُ ابْنِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ خَلِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ قَالَ فَمَا رَاجَعَهُ عُمَرُ الْكَلامَ.

وممن توفي في هذه السنة: مالك بن يخامر وهو تابعي جليل مخضرم قيل له صحبة روى عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ، سَمِعْتُ مُعَاذًا، يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ.(٤)

---

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ١١٠) بينما ذكر خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ١٦٦ في سنة تسعة ستين كان فيها طاعون الجارف مات فيه أولاد لأنس بن مالك كثير عددهم .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٧٧) وغيره بسندٍ صحيح .

(٣) في« غوامض الأسماء المبهمة »(١/ ٤٢٢) في ترجمة الشموس بنت أبي عَامر.

(٤) وهو في صحيح البخاري(٧٤٦٠).

وذكر خليفة بن خياط[١] أن في هذه السنة قتل نجدة بن عامر الحروري .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ

فيها مَقْتَلُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ [٢] أمير العراق لأخيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وَكان قد وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَاسْتَعْمَلَهُ أَخُوهُ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَقَتَلَ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ أَخُوهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْعِرَاقِ، فَأَقَامَ بِهَا يُقَاوِمُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَيُحَارِبُهُ إِلَى أن قُتِلَ.

وفي كيفية ملاقاة جيش مصعب وجيش عبد الملك بن مروان كلام كثير في كتب التاريخ.

حاصله: ميل كثير ممن كانوا مع مصعب إلى عبد الملك، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُحِبُّ مُصْعَبًا حَبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ خَلِيلًا لَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ، فَقَالَ لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَآمِنْهُ، فَجَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُصْعَبُ قَدْ آمَنُكَ ابْنُ عَمِّكَ عَلَى نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وَمَالِكَ وَأَهْلِكَ، فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْبِلَادِ، وَلَوْ أَرَادَ بِكَ غَيْرَ ذَلِكَ لَكَانَ، فَقَالَ مُصْعَبٌ: قُضِيَ الْأَمْرُ، إِنَّ مِثْلِي لَا يَنْصَرِفُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ إِلَّا غَالِبًا أَوْ مَغْلُوبًا.

وَلَمَّا وُضِعَ رَأْسُ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بَكَى وَقَالَ: وَاللهِ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَصْبِرَ عَلَيْهِ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حُبِّي لَهُ حَتَّى دَخَلَ السَّيْفُ بَيْنَنَا، وَلَكِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ!

وَلَقَدْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ وَالْحُرْمَةُ بَيْنَنَا قَدِيمَةً، مَتَى تَلِدُ النِّسَاءُ مِثْلَ مُصْعَبٍ؟

ثُمَّ أَمَرَ بِمُوَارَاتِهِ، وَدَفَنَهُ هُوَ وَابْنَهُ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ فِي قُبُورٍ بِمَسْكِنٍ بِالْقُرْبِ

---

(١) في «تاريخه» ص ١٦٧.

(٢) كذا أرَّخ وفاته ابن كثير في«تاريخه»(٩/ ١١٢) ولك أرخها خليفة بن خياط في«تاريخه» ص ١٦٧ سنة إحدى وسبعين.

مِنَ الْكُوفَةِ [١].

فالله أعلم بتفاصيل ذلك أي كان .

ومن أعاجيب ما رُوي عن مصعب رحمه الله ما رواه الدينوري[٢] بسنده إلى أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ؛ قَالَا: أَخَذَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ: ايها الْأَمِيرُ! مَا أَقْبَحَ بِكَ أَنْ أَقُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى صُورَتِكَ هَذِهِ الْحَسْنَاءِ وَوَجْهِكَ هَذَا الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ فَأَتَعَلَّقُ بِأَطْرَافِكَ وَأَقُولُ: يارب ! سَلْ مُصْعَبًا فِيمَ قَتَلَنِي! فَقَالَ مُصْعَبٌ: أَطْلِقُوهُ وَأَعْطُوهُ مِئَةَ أَلْفٍ. فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي، أُشْهِدُ اللهَ أَنَّ لِابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ خَمْسِينَ أَلْفًا. فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: ولِمَ؟ قَالَ: حَيْثُ يَقُولُ:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللهِ ... تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ قَالَ:

فَضَحِكَ مُصْعَبٌ وَأَمَرَهُ بِلُزُومِهِ، حَتَّى قُتِلَ.

ومن عجيب كلامه رحمه الله ما رواه ابن أبي الدنيا [٣] قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ الْجُمَحِيُّ قَالَ: كَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَجْلِسُ مَعَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى سَرِيرِهِ فَجَاءَ يَوْمًا وَمُصْعَبٌ مَادٌّ رِجْلَيْهِ فَلَمْ يَقْبِضْهُمَا وَقَعَدَ الْأَحْنَفُ فَزَحَمَ بَعْضَ الزَّحَمِ فَرَأَى ذَلِكَ فِيهِ فَقَالَ: «عَجَبًا لِابْنِ آدَمَ يَتَكَبَّرُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَجْرَى الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ».

ومن العجائب:

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١١٤).

(٢) في«المجالسة وجواهر العلم»(٨٣٣) والخطيب البغدادي في«تاريخه»(١٢/ ١٠٦) .

(٣) في«التواضع والخمول»(١٠٢).

ما أخرجه أبو القاسم السمرقندي[1] بسند ثابت إن شاء الله عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ الْقَصْرَ بِالْكُوفَةِ فَإِذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى تُرْسٍ بَيْنَ يَدَيْ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ، وَعُبَيْدُ الله عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْقَصْرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِينٍ، فَرَأَيْتُ رَأْسَ عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ عَلَى تُرْسٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمُخْتَارِ، وَالْمُخْتَارُ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْقَصْرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِينٍ، فَرَأَيْتُ رَأْسَ الْمُخْتَارِ بَيْنَ يَدَيْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ دَخَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِينٍ، فَرَأَيْتُ رَأْسَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى السَّرِيرِ.

وتقدم أنه قتل من أصحاب المختار بن أبي عبيد خمسة آلاف، واستنكر عليه ابن عمر رضي الله عنه ذلك.

وصول خبر مقتله إلى أخيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

لم أقف على سند صحيح بموقفه

وإنما قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَذَكَرَ أَبُو زَيْدٍ عَنْ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ: لَمَّا انْتَهَى إِلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ قَتْلُ أَخِيهِ مُصْعَبٍ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، بيده الخير وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيء قدير، أَلَا وَإِنَّهُ لَمْ يُذِلَّ الله مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ فَرْدًا وَحْدَهُ، وَلَنْ يُفْلِحَ مَنْ كَانَ وَلِيَّهُ الشَّيْطَانُ وَحِزْبُهُ وَلَوْ كَانَ مَعَهُ الْأَنَامَ طُرَاً، أَلَا وَإِنَّهُ أَتَانَا مِنَ الْعِرَاقِ خَبَرٌ أَحْزَنَنَا وَأَفْرَحَنَا، أَتَانَا قَتْلُ مصعب فأحزننا فَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا فَعِلْمُنَا أَنَّ قَتْلَهُ لَهُ شهادة، وأما الذي أحزننا فإن الحميم لفراقه لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثُمَّ يَرْعَوِي مِنْ بَعْدِهَا، وَذُو الرَّأْيِ جَمِيلُ الصَّبْرِ كَرِيمُ

(١) في«أماليه»(٢١) ومن طريقه ابن عساكر في«تاريخه»(٥٨/ ٢٤٥).

الْعَزَاءِ، وَلَئِنْ أُصِبْتُ بِمُصْعَبٍ فَلَقَدْ أُصِبْتُ بِالزُّبَيْرِ قَبْلَهُ، وَمَا أَنَا مِنَ عُثْمَانَ بِخُلُوٍّ مُصِيبَةٍ، وَمَا مُصْعَبٌ إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ الله وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِي، أَلَا وَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلُ الْغَدْرِ وَالنِّفَاقِ

أَسْلَمُوهُ وَبَاعُوهُ بِأَقَلِّ الثَّمَنِ، فَإِنْ يُقْتَلْ فَإِنَّا وَالله مَا نَمُوتُ عَلَى مَضَاجِعِنَا كَمَا تَمُوتُ بَنُو أَبِي العاص، والله ما قتل منهم رَجُلٌ فِي زَحْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا فِي الْإِسْلَامِ، وَمَا نَمُوتُ إِلَّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ أَوْ تحت ظل السيوف، فإن بني أبي العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات، ثم يقاتلون بهم أعداءهم ممن هو خير منهم وأكرم ولا يقاتلون تابعيهم زحفاً، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَارِيَةٌ مِنَ الْمُلْكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ وَلَا يَبِيدُ مُلْكُهُ، فإن تقبل الدنيا لآخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر لا أبكي عليها بكاء الحزين الأسف الْمُهِينِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ الله لِي وَلَكُمْ .

وهذا في سنده من لا أعرفه ولا يصح به سند مع عدم استبعاده.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ: وَاسْمُ الْأَشْتَرِ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ النَّخَعِيُّ، كَانَ أَبُوهُ الْأَشْتَرَ مِنْ كِبَارِ أُمَرَاءِ عَلِيٍّ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ عَلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ مِمَّنْ قَامَ عَلَى عُثْمَانَ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَلَهُ شَرَفٌ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ عُبَيْدَ الله بْنَ زِيَادٍ كَمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ صَارَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَقُتِلَ مَعَهُ هَذِهِ السَّنَةَ.

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى الْخُزَاعِيُّ ولَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ عَلَى خُرَاسَانَ، وَسَكَنَ الْكُوفَةَ وَوَلِيَهَا مَرَّةً .

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْلَةَ أَبُو عَبْدِ الله الْمُرَادِيُّ الصُّنَابِحِيُّ كَانَ مِنَ الصُّلَحَاءِ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا.

وعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيّ رَبِيبُ النَّبِيِّ ﷺ، وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ عِنْدَ أُمِّهِ ؛ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها . وإن كان الحافظ ابن حجر ذكر أنه توفي سنة ٨٣ هـ ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة: سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ ﷺ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ يَخْدِمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ .

وكان يحمل أمتعة كثيرة.

قال حَشْرَجُ بْنُ نُبَاتَةَ الْعَبْسِيُّ قُلْتُ لِسَعِيدِ بن جمهان: أَيْنَ لَقِيتَ سَفِينَةَ؟ قَالَ: لَقِيتُهُ بِبَطْنِ نَخْلَةَ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَمَانِ لَيَالٍ أَسْأَلُهُ عَنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ، سَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَفِينَةَ. قُلْتُ: وَلِمَ سَمَّاكَ سَفِينَةَ؟ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ مَتَاعُهُمْ، فَقَالَ لِي: «**ابْسُطْ كِسَاءَكَ**» فَبَسَطْتُهُ، فَجَعَلُوا فِيهِ مَتَاعَهُمْ، ثُمَّ حَمَلُوهُ عَلَيَّ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْمِلْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ سَفِينَةٌ**» فَلَوْ حَمَلْتُ يَوْمَئِذٍ، وِقْرَ بَعِيرٍ أَوْ بَعِيرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ أَوْ سَبْعَةٍ مَا ثَقُلَ عَلَيَّ إِلَّا أَنْ تَجْفُو.(١)

وقد اشتهر عنه خبر لا يصح، وهو ما رواه الروياني وغيره عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: قُلْتُ لِسَفِينَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ : لِمَ سُمِّيَتْ سَفِينَةَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَحْمِلُ زَادِي وَزَادَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: «**مَا أَنْتَ إِلَّا مِثْلَ السَّفِينَةِ**» قَالَ: فَمَرَرْتُ بِأَسَدٍ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَلَّى يَعْدُو.

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٢٨)وغيره بسندٍ قوي.

وفي رواية: فَأَقْبَلَ نَحْوِي حَتَّى ضَرَبَنِي بِمَنْكِبِهِ ، ثُمَّ مَشَى مَعِي حَتَّى أَقَامَنِي عَلَى الطَّرِيقِ، قَالَ: ثُمَّ هَمْهَمَ وَضَرَبَنِي بِذَنَبِهِ ، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي. ولا يصح سنده على شهرته.(١)

وممن توفي في هذه السنة : عمر بْنُ أَخْطَبَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَعْرَجُ

قال ابن كثير: غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ عشرة غزوة.(٢)

وأخرج أحمد (٣) بسندٍ صحيح عن عِلْبَاءِ بْنِ أَحْمَر، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : «**ادْنُ مِنِّي**»، قَالَ: فَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَلِحْيَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ، وَأَدِمْ جَمَالَهُ**» ، قَالَ: «فَلَقَدْ بَلَغَ بِضْعًا، وَمِائَةَ سَنَةٍ وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ بَيَاضٌ، إِلَّا نَبْذٌ يَسِيرٌ، وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ، وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ».

وممن توفي في هذه السنة: يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ السَّكُونِيُّ رحمه الله.

كَانَ عَابِدًا زاهداً صالحاً، وَهُوَ مُخْتَلِفٌ فِي صُحْبَتِهِ، وقد كانوا يستسقون به.

عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ أَنَّ السَّمَاءَ قَحَطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَسْتَسْقُونَ فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ: أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ؟ فَنَادَاهُ النَّاسُ فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِخَيْرِنَا، وَأَفْضَلِنَا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِيَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ، يَا يَزِيدُ، ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ فَرَفَعَ يَدَيْهِ،

---

(١) أخرجه الروياني (٦٦٣) والبيهقي ص ٣١٦ وفي سنده أسامة بن زيد ضعيف.

(٢) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٢٢).

(٣) في«المسند» (٢٢٨٨١) وصحح سنده البيهقي.

وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ ثَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ كَأَنَّهَا تُرْسٌ، وَهَبَّ لَهَا رِيحٌ فَسَقَتْنَا حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ.(١)

ثُمَّ دَخَلَتْ سُنَّةُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ

فِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَبَيْنَ الْأَزَارِقَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ، والمهلب بن أبي صفرة كان أمير من قبل عبد الملك، وقد بايع الناس عبد الملك بعد قتل مصعب بن الزبير، وتَوَاقَعَ النَّاسُ فِي دَوْلَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بالأهواز فكسر الناس الخوارج كثرة فظيعة، وهربوا في البلاد لا يلوون على أحد، وَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَخِيهِ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يُمِدَّهُمْ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ فَطَرَدُوا الْخَوَارِجَ كُلَّ مَطْرَدٍ كما هو العادة في الخوارج، لا تقوم لهم قائمة، كلما خرج لهم قرن قطع كما قال ﷺ (٢)، وَلَكِنْ لَقِيَ الْجَيْشُ جُهْدًا عَظِيمًا وَمَاتَتْ خُيُولُهُمْ وَلَمْ يَرْجِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا مُشَاةً إِلَى أَهْلِيهِمْ.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٥٧)، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١) عن أبي اليمان الحكم بن نافع، قال ثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الخبائري: أن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق... الأثر.

وقد عزاه الحافظ في «التلخيص» (٢/ ١٠١) لأبي زرعة في «تاريخه» بسند صحيح، كذا قال الحافظ، وعزاه أيضًا للالكائي في «كرامات الأولياء»، وصحح إسناده أيضًا في «الإصابة» (٦/ ٣٩٧) وهو ثابت.

(٢) أعني ما رواه ابن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**». وهو حديث حسن. أخرجه ابن ماجة (١٧٤)، وصحح إسناده البوصيري.

ذكروا ذلك في كتب التاريخ، فالله أعلم بتفاصيل حقيقة ما كان.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:

وَفِيهَا- هذه السنة- بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ إِلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ لِيُحَاصِرَهُ بِمَكَّةَ، قَالَ: وَكَانَ السَّبَبُ فِي بَعْثِهِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِهِ مُصْعَبًا وَأَخْذِهِ الْعِرَاقَ، نَدَبَ النَّاسَ إِلَى قِتَالِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ، فَقَامَ الْحَجَّاجُ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا لَهُ. وَقَصَّ الْحَجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَنَامًا زَعَمَ أَنَّهُ رَآهُ ؛ قَالَ: رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنِّي أَخَذْتُ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ فَسَلَخْتُهُ، فَابْعَثْ بِي إِلَيْهِ فَإِنِّي قَاتِلُهُ. فَبَعَثَهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ أَمَانًا لِأَهْلِ مَكَّةَ إِنْ هُمْ أَطَاعُوا.

قَالُوا: فَخَرَجَ الْحَجَّاجُ فِي جُمَادَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَمَعَهُ أَلْفَا فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَسَلَكَ طَرِيقَ الْعِرَاقِ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى عَرَفَةَ، وَيُرْسِلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْخُيُولَ فَيَلْتَقِيَانِ، فَتُهْزَمُ خَيْلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَتَظْفَرُ خَيْلُ الْحَجَّاجِ، ثُمَّ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دُخُولِ الْحَرَمِ، وَمُحَاصِرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَلَّتْ شَوْكَتُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَمُدَّهُ بِرِجَالٍ أَيْضًا، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى طَارِقِ بْنِ عَمْرٍو يَأْمُرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ مَعَهُ بِالْحَجَّاجِ، وَكَانَ طَارِقٌ يَتَوَلَّى الْمَدِينَةَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ مُقِيمًا بِوَادِي الْقُرَى بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جَيْشِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ فِي نَحْوِ خَمْسَةِ آلَافٍ، مِنَ الشَّامِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَارْتَحَلَ الْحَجَّاجُ مِنَ الطَّائِفِ، فَنَزَلَ بِئْرَ مَيْمُونٍ، وَحَصَرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِالْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلَ ذُو الْحِجَّةِ حَجَّ بِالنَّاسِ الْحُجَّاجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَعَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ السِّلَاحُ، وَهُمْ وُقُوفٌ بِعَرَفَاتٍ، وَكَذَا فِيمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاعِرِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مَحْصُورٌ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةَ، بَلْ نَحَرَ بُدْنًا يَوْمَ النَّحْرِ، وَهَكَذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ

كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَهُ مِنَ الْحَجِّ، وَكَذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَ الْحَجَّاجِ وَطَارِقِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ، فَبَقُوا عَلَى إِحْرَامِهِمْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمُ التَّحَلُّلُ الثَّانِي، وَالْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ نُزُولٌ بَيْنَ الْحَجُونِ وَبِئْرِ مَيْمُونٍ، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أُخِذَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ نُوَّابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَاسْتَنَابَ فِيهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ طَارِقَ ابْنَ عَمْرٍو الَّذِي كَانَ بَعَثَهُ مَدَدًا لِلْحَجَّاجِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ[1]، فالله أعلم بما كان فلم أجد في ذلك أسانيد تثبت، وإنما هي أخبار متداولة في كتب التاريخ .

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رحمه الله تعالى، قيل: أسلم على عهد النبي ﷺ ودعا له ولم يتفق له رؤيته، ذكر بعض العلماء ذلك استدلالاً بما أخرجه أحمد [2]عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْأَحْنَفِ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَتَذْكُرُ إِذْ بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَى قَوْمِكَ بَنِي سَعْدٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْتَ وَاللهِ مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا أَسْمَعُ إِلَّا حُسْنًا، فَإِنِّي رَجَعْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَقَالَتِكَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَحْنَفِ**»، قَالَ: فَمَا أَنَا بشَيْءٍ أَرْجَى مِنِّي لهَا. ولكن في سنده ضعف من قبل علي بن زيد بن جدعان.

وَكَانَ سَيِّدًا شَرِيفًا مُطَاعًا مُؤْمِنًا،عَلِيمَ اللِّسَانِ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ وَلَهُ أَخْبَارٌ فِي حِلْمِهِ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ.[3]

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٢٣-١٢٤).

(٢) برقم (٢٣١٦١).

(٣) راجع «البداية واالنهاية»(٩/ ١٢٥).

واشتهر عنه أنه قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَاحْتَبَسَنِي عِنْدَهُ حَوْلًا فَقَالَ: يَا أَحْنَفُ إِنِّي قَدْ بَلَوْتُكَ وَخَبَرْتُكَ فَرَأَيْتُ عَلَانِيَتَكَ حَسَنَةً وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُكَ عَلَى مِثْلِ عَلَانِيَتِكَ [١].

قال الْحَسَنِ البصري: مَا رَأَيْتُ شَرِيفَ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الأَحْنَفِ.[٢]

وممن توفي في هذه السنة: البراء بن عازب ﷺ وهو صحابي جليل مشهور معروف.

وممن توفي في هذه السنة من الأعلام عبيدة السلماني.

وقد أخرج ابن أبي خيثمة[٣]عن سفيان بن عُيَيْنَة قال : كان عَبِيْدَة يوازي شُرَيْحًا فِي القضاء والعلم.

وأخرج عقبه بسند صحيح عَنِ ابن سيرين؛ قَالَ: كنت أجلس إِلَى شُرَيْح فيذكرون عَبِيْدَة فيقولون: ذاك رجلٌ عالم؛ لولا أَنَّهُ جريء.

قَالَ: فجلست إِلَى عَبِيْدَة فما رأيت أحدًا أَجْبَن عما لا يعلم مِنْهُ.

وكان عبيدة السلماني أعوراً، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون الناس، وتوفي بالكوفة.

وممَّن توفي فيها أيضاً :عَبْدُ الله بْنُ السَّائِبِ بْنِ صَيْفِيٍّ الْمَخْزُومِيِّ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَقَرَأَ عَلَى أُبي بْنِ كَعْبٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ.

وعَطِيَّةُ بْنُ بشر المازني له صحبة ورواية.

---

(١) ولكن أخرجه الفريابي في«ذم النفاق»(٢٧) وابن سعد في«طبقاته»(٧/ ٦٥) بسندٍ ضعيف .

(٢) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٧/ ٦٦) بسند رجاله ثقات عن الحسن.

(٣) أخرجه ابن أبي خثيمة في كتاب «التاريخ»(٤١٥١).

وأَبُو مُعَاوِيَةَ الْخُزَاعِيُّ الْكُوفِيُّ مُقْرِئُ أَهلِ الْكُوفَةِ، مشهور بالخير والصلاح.

وعبد الله بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ أَحَدُ الشعراء.

وعبد الله بن حمام أبو عبد الرحمن الشاعر السلولي هجا بني أمية .[1]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ

كان فِيهَا كَانَ مَقْتَلُ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، عَلَى يَدَيِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ، الْمُبِيرِ، قَبَّحَهُ الله وَأَخْزَاهُ.

قال ابن كثير[2]:« اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ اسْتَهَلَّتْ وَأَهْلُ الشَّامِ مُحَاصِرُونَ أَهْلَ مَكَّةَ، وَقَدْ نَصَبَ الْحَجَّاجُ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى مَكَّةَ لِيَحْصُرَ أَهْلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى الْأَمَانِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ الملك وكان مع الحجاج الْحَبَشَةِ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ بِالْمَنْجَنِيقِ فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ مَعَهُ خَمْسُ مجانيق فَأَلَحَّ عَلَيْهَا بِالرَّمْيِ من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يَشْرَبُونَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَجَعَلَتِ الْحِجَارَةُ تَقَعُ فِي الْكَعْبَةِ، وَالْحَجَّاجُ يَصِيحُ بِأَصْحَابِهِ: يَا أَهْلَ الشَّامِ الله الله فِي الطَّاعَةِ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُمْ آخِذُوهُ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ، فَيَشُدُّ عَلَيْهِمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، ثُمَّ يَكُرُّونَ عَلَيْهِ فَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ، فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وهو يقول: هذا وَأَنَا ابْنُ الْحَوَارِيِّ.

وَقِيلَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ أَلَا تُكَلِّمُهُمْ فِي الصُّلْحِ!!

فَقَالَ: وَالله لَوْ وَجَدُوكُمْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ لَذَبَحُوكُمْ جَمِيعًا وَاللهِ لَا أَسْأَلُهُمْ صُلْحًا أَبَدًا وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُمْ لَمَّا رُمُوا بِالْمَنْجَنِيقِ جَاءَتِ الصَّوَاعِقُ وَالْبُرُوقُ

---

(١) كما في«البداية والنهاية »(٩/ ١٢٧).

(٢) في«البداية والنهاية»(٢/ ١٢٩).

وَالرُّعُودُ حَتَّى جَعَلَتْ تَعْلُو أَصْوَاتُهَا عَلَى صَوْتِ الْمَنْجَنِيقِ، وَنَزَلَتْ صَاعِقَةٌ فَأَصَابَتْ مِنَ الشَّامِيِّينَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَضَعُفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْمُحَاصَرَةِ، فَلَمْ يَزَلِ الْحَجَّاجُ يُشَجِّعُهُمْ وَيَقُولُ: إِنِّي خَبِيرٌ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، هَذِهِ بُرُوقُ تِهَامَةَ وَرُعُودُهَا وَصَوَاعِقُهَا، وَإِنَّ الْقَوْمَ يُصِيبُهُمْ مِثْلَ الَّذِي يُصِيبُكُمْ، وَجَاءَتْ صَاعِقَةٌ مِنَ الْغَدِ فَقَتَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً أَيْضًا، فَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يَقُولُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّهُمْ يُصَابُونَ مِثْلَكُمْ [وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُمْ عَلَى الْمُخَالَفَةِ».

فالله أعلم بصحة تفاصيل ذلك

وقد حكي عن نَافِعٍ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ- وَكَانَ عَالِمًا بِفِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ - قَالَ: حُصِرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَيْلَةَ هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ سِنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَقُتِلَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، فَكَانَ حَصْرُ الْحَجَّاجِ لَهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، وَسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.(١)

وفي هذه السنة حج الحجاج الثقفي بالناس، وقد أمره عبد الملك أن يأتمَّ بابن عمر.

وملخص الحال كانت:

أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان قد بُوْيِعَ بِالخِلاَفَةِ عِنْدَ مَوْتِ يَزِيْدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ، وَحَكَمَ عَلَى الحِجَازِ، وَاليَمَنِ، وَمِصْرَ، وَالعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ، وَبَعضِ الشَّامِ.

وَلَمْ يَسْتَوسِقْ لَهُ الأَمْرُ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدَّهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ فِي أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَعَدَّ دَوْلَتَهُ زَمَنَ

(١) ولكن هذا بسندٍ ذكره ابن كثير، وفيه الواقدي وهو متروك.

فُرْقَةٍ[١]، لأن مَرْوَانَ غَلَبَ عَلَى الشَّامِ ثُمَّ مِصْرَ، فكانت حروب بينهما، وكان الحق معه، وأهل الشام خوارج عليه كما نص غير واحد من المحققين، فكان خليفة ونازعه مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَهُوَ أَرْشَدُ مِنْ مروان الذي نَازَعَهُ بَعْدَ أَنِ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْبَيْعَةُ لَهُ فِي الْآفَاقِ وَانْتَظَمَ لَهُ الْأَمْرُ ، وقد جزم بنحو ذلك ابن تيمية، والذهبي وابن كثير وابن حجر وأبو العباس القرطبي رحمهم الله وغيرهم[٢].

دعوةُ ابن الزبير ومن معه ابنَ عمر رضي الله عنه لبيعة ابن الزبير رضي الله عنه

حاول عبد الله بن ابن الزبير ومن معه أن يُبايع له كبار الصحابة رضي الله عنهم في هذا الوقت كابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما.

فأخرج البيهقي[٣] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْبَرَاءِ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الله بْنَ صَفْوَانَ، كَانَا ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدَيْنِ فِي الْحِجْرِ، فَمَرَّ بِهِمَا ابْنُ عُمَرَ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتُرَاهُ بَقِيَ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: ادْعُهُ لَنَا إِذَا قَضَى طَوَافَهُ فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، أَتَاهُ رَسُولُهُمَا فَقَالَ: هَذَا عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ يَدْعُوانِكَ، فَجَاءَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَهْلُ الْعَرُوضِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ وَعَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ؟

---

(١) ولذلك لم يبايع ابن عمر ولا ابن عباس لأي أحد في ذلك الوقت، وبايع ابن عمر لما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٢)وقد علَّقت على الأحداث وحرّرت ذلك في كتابي«إلقاء القمامة في أفواه القائلين بخروج الصحابة » ص ٨٣ ما بعدها.

(٣) في «السنن الكبرى»(٨/ ٣٣٣)

فَقَالَ: « وَالله لَا أُبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ وَاضِعُو سُيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَصَبَّبُ أَيْدِيكُمْ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ»[١].

وأخرج البخاري في «التاريخ الأوسط» والبيهقي بسندٍ صحيح إلى سَعِيد بْن حَرْبٍ الْعَبْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ جَلِيسًا لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ زَمَنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَفِي طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رُءُوسُ الْخَوَارِجِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَنَجْدَةُ فَبَعَثُوا أَوْ بَعْضُهُمْ شَابًّا إِلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ لِعَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَرَأَيْتُهُ حِينَ مَدَّ يَدَهُ وَهِيَ تَرْجُفُ مِنَ الضَّعْفِ، فَقَالَ: « وَالله مَا كُنْتُ لِأُعْطِيَ بَيْعَتِي فِي فُرْقَةٍ، وَلَا أَمْنَعُهَا مِنْ جَمَاعَةٍ»[٢].

بل كان ينهى عن المشاركة في هذا المعترك بكلامه كفعاله

فكلامه في نهيه ابن الزبير رضي الله عنه ذكرناه في موطنه وهو معروف.

وأخرج ابن أبي الدنيا وغيره بسندٍ حسن عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَرْشِدْنِي أَرْشَدَكَ الله، فَإِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَإِنِّي جِئْتُ الْحَجَّاجَ[٣] فَقَالَ: «مَا أَنَا لَكُمْ بِحَامِدٍ» قُلْتُ: فَأَصْحَابُنَا الَّذِينَ حَارَبُونَا؟ قَالَ: «مَا أَنَا لَهُمْ بِعَاذِرٍ، أَنْتُمْ تَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ تَهَافُتَ الذُّبَابِ فِي الْمَرَقِ» ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ أَصْلَحَكَ الله، قَالَ: «مَهْ، إِنَّ أَرَأَيْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ» قُلْتُ: اسْمَعْ مِنِّي قَالَ: «أَلَكَ رَحْلٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْحَلْ إِلَى رَحْلِكَ».[٤]

---

(١) وسبب عدم بيعة ابن عمر لابن الزبير مع علمه بأفضليته عن بني أمية، أن من مذهبه أنه لا يبايع في فرقة ولا يمنع بيعته من جماعة كما دلت الآثار على ذلك .

(٢) وقد أخرج البخاري فى «الأوسط»(١/ ١٩٣)، والبيهقي(٨/ ١٩٣).

(٣) وفي رواية: «في وفد الحجاج» لأن عمير كان يقاتل مع الحجاج.

(٤)أخرجه ابن أبي الدنيا في«الزهد»(٤٩٢) وابن مهنا في«تاريخ داريا »ص٨٤ واللفظ له.

وأما ابن عباس رضي الله عنه:

فيبدوا أنه لما تأخَّر ابن عباس عنه وكان بينه وبين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه شيء حتى ظنَّ البعض أنه سيقاتل ابن الزبير مع أهل الشام، وكلَّمه البعض في ذلك.

فأخرج البخاري[1] قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ، فَغَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: أَتُرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَتُحِلَّ حَرَمَ الله؟ فَقَالَ: «مَعَاذَ الله، إِنَّ الله كَتَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَبَنِي أُمَيَّةَ مُحِلِّينَ، وَإِنِّي وَالله لَا أُحِلُّهُ أَبَدًا»، قَالَ: قَالَ النَّاسُ: بَايِعْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقُلْتُ: « وَأَيْنَ بِهَذَا الأَمْرِ عَنْهُ، أَمَّا أَبُوهُ: فَحَوَارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ الزُّبَيْرَ - وَأَمَّا جَدُّهُ: فَصَاحِبُ الغَارِ - يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ - وَأُمُّهُ: فَذَاتُ النِّطَاقِ - يُرِيدُ أَسْمَاءَ - وَأَمَّا خَالَتُهُ: فَأُمُّ المُؤْمِنِينَ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - وَأَمَّا عَمَّتُهُ: فَزَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ خَدِيجَةَ - وَأَمَّا عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ: فَجَدَّتُهُ - يُرِيدُ صَفِيَّةَ - ثُمَّ عَفِيفٌ فِي الإِسْلاَمِ، قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ، وَالله إِنْ وَصَلُونِي وَصَلُونِي مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ رَبُّونِي رَبُّونِي أَكْفَاءٌ كِرَامٌ، فَآثَرَ التُّوَيْتَاتِ وَالْأُسَامَاتِ وَالْحُمَيْدَاتِ يُرِيدُ أَبْطُنًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَنِي تُوَيْتٍ وَبَنِي أُسَامَةَ وَبَنِي أَسَدٍ، إِنَّ ابْنَ أَبِي العَاصِ بَرَزَ يَمْشِي القُدَمِيَّةَ - يَعْنِي عَبْدَ المَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ - وَإِنَّهُ لَوَّى ذَنَبَهُ- يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ-».

بل كان ابن عباس ينهى عن المشاركة في هذا القتال والدخول في معترك هذه الفتن

فأخرج الفاكهي[2] بسندٍ صحيح عن جَمْرَة نَصْرِ بْنِ عِمْرَانَ قَالَ: « لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيقُ الْبَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ أُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَدِمْتُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَأَكْرَمَنِي، وَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَتَّى عَرَفَنِي

(١) برقم (٤٦٦٥).

(٢) في «أخبار مكة» (١٦٦٧).

وَاسْتَأْنَسَ بِي قَالَ: فَأَصَبْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْهُ خَلْوَةً، فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا حَمْزَةَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا أَقْدَمَكَ بَلَدَنَا هَذَا؟» قُلْتُ: بَلَى، قَدِمْتُ أُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: « تَرْجِعُ إِلَى مِصْرِكَ فَتَقْعُدُ عَلَى بَغْلَتِكَ وَتُجَنِّبُ فَرَسَكَ حَتَّى تَأْتِيَ خُرَاسَانَ فَتُقَاتِلَ عَلَى حَظِّكَ مِنَ الله، وَتَدَعَهُمْ يُقَاتِلُونَ عَلَى حَظِّهِمْ مِنَ الدُّنْيَا» قَالَ: فَكَأَنِّي كُنْتُ نَائِمًا فَنَبَّهَنِي فَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ.

بل كان ابن عباس كغيره رضي الله عنه ينهى عن سبِّ الحجاج نفسه

فَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ» ، وَ «الأَوْسَطِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ عَن أَبِي جَمْرَةَ الضّبعِيِّ البَصْرِيِّ قَالَ: « لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيْقُ البَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ، وَاخْتَلَفْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَتَّى عَرَفَنِي وَاسْتَأْنَسَ بِي فَسَبَبْتُ الحَجَّاجَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَا تَكُنْ عَوْناً لِلشَّيْطَانِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى البَصْرَةِ فَخَرَجْتُ إِلَى خُرَاسَانَ فَكُنْتُ بِهَا زَمَاناً» (١).

مدَّة حصار الحجاج لابن الزبير رضي الله عنه

لم أقف على شيء ثابت في تحديد المدَّة التى حاصر الحجاج الثقفي فيها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه اللهم إلا ما

أخرجه ابن سعد(٢) من طريق مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد بن عبد العزى- وكان عالماً بأمر ابن الزبير-. قال: حصر عبد الله بن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين إلى أن قتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين. فكان حصر الحجاج إياه ستة أشهر وسبعة عشر يوماً.

---

(١) أخرجه البخاري فى«التاريخ الكبير» (٨/ ١٠٤)، و «الأوسط» (١/ ١٣٧).

(٢) في«الطبقات الكبرى»الجزء المتمم(٢/ ١١٧).

ولكن في سند هذا الواقدي شيخ ابن سعد وهو متروك.

حَجَّ الحجاج بن يوسف بالناس في هذه السنة

وأمر عبد الملك له بالاقتداء بابن عمر رضي الله عنه

ففي صحيح البخاري[1] عن سالم بن عبد الله بن عمر كَتَبَ عَبْدُ المَلِكِ إِلَى الحَجَّاجِ: أَنْ لاَ يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ فِي الحَجِّ، فَجَاءَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الحَجَّاجِ، فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: «الرَّوَاحَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ»، قَالَ: هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أُفِيضَ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أَخْرُجُ، فَنَزَلَ حَتَّى خَرَجَ الحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَاقْصُرِ الخُطْبَةَ وَعَجِّلِ الوُقُوفَ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ الله فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ الله قَالَ: «صَدَقَ».

تعيير أهل الشام لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه بأمه

ذات النطاقين وجوابها عن ذلك

كثير من أهل الأهواء يستطيلون في أعراض مخالفيهم، بالحق وبالباطل، فإذا لم يجدوا ما يسعفهم في ذلك طعنوا فيه بسخافة، حتى يطعنون فيه بما هو فضيلة، ما دام مثله يروج على الأغرار الأغمار، وهذا واقع في كل زمان.

فأهل الشام لما لم يجدوا في الصوام القوام الوصول للرحم، صاحب الفضائل ابن الأفاضل أمّ وأب، عيَّروه بشيء هو فضيلة في أمه أسماء بنت أبي بكر.

فأخرج البخاري[2] عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الشَّأْمِ

---

(١) برقم (١٦٦٠).

(٢) برقم (٥٣٨٨).

يُعَيِّرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُونَ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، فَقَالَتْ لَهُ أَسْمَاءُ: «يَا بُنَيَّ إِنَّهُمْ يُعَيِّرُونَكَ بِالنِّطَاقَيْنِ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ النِّطَاقَانِ؟ إِنَّمَا كَانَ نِطَاقِي شَقَقْتُهُ نِصْفَيْنِ، فَأَوْكَيْتُ قِرْبَةَ رَسُول الله ﷺ بِأَحَدِهِمَا، وَجَعَلْتُ فِي سُفْرَتِهِ آخَرَ» قَالَ: فَكَانَ أَهْلُ الشَّأْمِ إِذَا عَيَّرُوهُ بِالنِّطَاقَيْنِ، يَقُولُ: إِيهًا وَالإِلَهِ ،تِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا.

قذف أهل الشام الكعبة بالمنجنيق وتحريق الكعبة

أخرج البلاذري [1] بسند فيه ضعف خفيف قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ حَجَرُ الْمَنْجَنِيقِ يَجِيءُ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ فَيُقَالُ لَهُ تَنَحَّ فَيَقُولُ:

سَهِّلْ عَلَيْكَ فَإِنَّ الأُمُورَ ... بِكَفِّ الإِلَهِ مَقَادِيرُهَا

فَلَيْسَ بِآتِيكَ مُنْهِيهَا ... وَلا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا.

وتقدَّم قول أبي جمرة الضبعي لما بلغه تحريق البيت الحرام، وهذا من جرَّاء ما كان يقذفه الحجاج من الحجارة الملتهبة على الكعبة ليفرق الجمع الذين حول الكعبة، والله المستعان.

المدة التي استمر فيها القتال بين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وبين بني أمية

استمرت هذه المدة سبع سنين كما دلَّت على ذلك الروايات.

فقد أخرج ابن سعد [1] بسندٍ حسن عن نافع مولى ابن عمر قال:«.. وبايع أهل الشام لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَكَانَتِ الشَّامُ وَمِصْرُ فِي يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَمَا كَانَتَا فِي يَدِ

(١) في«أنساب الأشراف»(٧/ ١٢١).

أَبِيهِ. وَكَانَ الْعِرَاقُ وَالْحِجَازُ فِي يَدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ. وَكَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا سَبْعَ سِنِينَ. ثُمَّ قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَاسْتَقَامَ الأَمْرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَهُ».

وأخرج ابن أبي شيبة[٢] بسند صحيح إلى حنش بن الحارث في ذكره مدَّة خلافة كل خليفة فقال: «.. وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ سَنَتَيْنِ وَنِصْفَ، وَتُوُفِّيَ مِنْ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ثِنْتَيْ عَشْرَةَ. وَوَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَشْرَ سِنِينَ وَنِصْفَ، وَقُتِلَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ ﷺ. وَوَلِيَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةٍ وَقُتِلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ فِي ذِي الْحِجَّةِ. وَوَلِيَ عَلِيٌّ خَمْسَ سِنِينَ وَقُتِلَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنْ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَمَاتَ لَيْلَةَ الأَحَدِ. وَوَلِيَ مُعَاوِيَةُ عِشْرِينَ إِلَّا شَيْئًا وَمَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ مِنَ الْمُهَاجِرِ. وَوَلِيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ثَلاثَ سِنِينَ وَنِصْفَ، وَكَانَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ سَبْعَ سِنِينَ. وَوَلِيَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَحْوًا مِنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةٍ. وَوَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ...» .

موقف ابن عمر رضي الله عنه في مدَّة الحصار

أخرج ابن أبي شيبة[٣] بسند صحيح عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: «شَهِدْتُ ابْنَ عُمَرَ وَالْحَجَّاجُ مُحَاصِرٌ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ مَنْزِلُ ابْنِ عُمَرَ بَيْنَهُمَا، فَكَانَ رُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ مَعَ هَؤُلَاءِ، وَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ مَعَ هَؤُلَاءِ».

آخر دخوله على أمه رضي الله عنها وعنه وقتله

(١) في «الطبقات الكبرى»(٥/ ٣٢) وقد تقدَّم بطوله في ذكر بيان حقيقة تغلب ابن الزبير واستقامة الأمر له قبل بني أمية، وكيفية منازعة مروان والد عبد الملك..

(٢) في «المصنف»(٧/ ١٩).

(٣) في «المصنف»(٢/ ١٥٢)

اشتهر في هذا المقام عَنْ عَبْدِ الله مَوْلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ قَبْلَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِيَوْمٍ قَالَتْ أُمُّهُ: خَذَلُوهُ وَأَحَبُّوا الْحَيَاةَ وَلَمْ يَنْظُرُوا لِدِينِهِمْ وَلَا لِأَحْسَابِهِمْ ثُمَّ قَامَتْ تُصَلِّي وَتَدْعُو وَتَقُولُ:« اللهُمَّ إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِكَ، كَرِيهٌ إِلَيْهِ أَنْ تُعْصَى، وَقَدْ جَاهَدَ فِيكَ أَعْدَاءَكَ، وَبَذَلَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ لِرَجَاءِ ثَوَابِكَ، اللهُمَّ فَلَا تُخَيِّبْهُ، اللهُمَّ ارْحَمْ طُولَ ذَلِكَ السُّجُودِ وَالنَّحِيبِ، وَطُولَ ذَلِكَ الظَّمَأِ فِي الْهَوَاجِرِ، اللهُمَّ لَا أَقُولُ ذَلِكَ تَزْكِيَةً لَهُ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي أَعْلَمُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللهُمَّ وَكَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ .

قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْنَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ جَاءَ أُمَّهُ فَوَدَّعَهَا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا، فَأَصَابَتْهُ رَمْيَةٌ فَوَقَعَ، فَتَغَاوَرُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ.

ومع شهرة هذا فلم أقف له على إسنادٍ ثابت على شهرته على ألسنة القُصَّاص.(١)

ما دار بشأن عبد الله بن الزبير بين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها والحجاج بن يوسف

أخرج مسلم (٢) عَنْ أَبِي نَوْفَلٍ، رَأَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ، وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، أَبَا خُبَيْبٍ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ أَمَا وَالله لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَالله لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَالله لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَالله إِنْ كُنْتَ، مَا عَلِمْتُ، صَوَّامًا، قَوَّامًا، وَصُولًا لِلرَّحِمِ، أَمَا وَالله لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لَأُمَّةٌ خَيْرٌ، ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ الله

(١) وقد أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٦٤٧) عن الواقدي وهو متروك.

(٢) برقم (٢٥٤٥).

وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ، قَالَ: فَأَبَتْ وَقَالَتْ: وَاللهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي، قَالَ: فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتَيَّ فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ أَنَا، وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ، أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا، «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

وسياق آخر لمناقشة الحجاج لأسماء رضي الله عنها:

أخرجه أحمد[1] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، بَعْدَمَا قُتِلَ ابْنُهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ أَلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ، فَقَالَتْ: كَذَبْتَ، كَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ، صَوَّامًا قَوَّامًا، واللهِ لَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ**».

سياق آخر مشهور للرواية:

(١) برقم (٢٦٩٦٧).

أخرج الحميدي وغيره[١] بسند لا يثبت عن أبي المُحَيَّاةِ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَالَتْ : لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ دَخَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهْ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَانِي بِكِ، فَهَلْ لَكِ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَتْ: مَالِي مِنْ حَاجَةٍ وَلَسْتُ لَكَ بِأُمٍّ وَلَكِنِّي أُمُّ الْمَصْلُوبِ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ وَلَكِنِ انْتَظِرْ أُحَدِّثْكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْنَاهُ يَعْنِي الْمُخْتَارَ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: مُبِيرٌ لِلْمُنَافِقِينَ.

ورواية أخرى في سندها نظر:

أخرجها أحمد[٢] عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَصَلَبَهُ مَنْكُوسًا، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذْ جَاءَتْ أَسْمَاءُ، وَمَعَهَا أَمَةٌ تَقُودُهَا، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهَا، فَقَالَتْ: أَيْنَ أَمِيرُكُمْ؟ فَذَكَرَ قِصَّةً، فَقَالَتْ: كَذَبْتَ، وَلَكِنِّي أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ».

ولكن في سنده هارون بن عنترة، وفيه مَقال، تكلَّم فيه بعض أهل العلم، وراجح القول فيه أنه لا تقبل روايته إذا خالف، وقد خالف هنا فذكر إتيان أسماء رضي الله عنها لولدها عبد الله بن الزبير وهو مصلوب منكس، وأثبتت له الإمارة

---

(١) أخرجه الحميدي (٣٢٨) والبيهقي في«الدلائل»(٦/ ٤٨١) والفاكهي في«أخبار مكة» (١٦٧٤) وغيرهم وفي سنده أم أبي المحيَّاة ولا أعرفها، وكذلك لم يعرفها الألباني في «الصحيحة»(٧/ ١٤٩١) وفي بعض الطرق عن أبيه.

(٢) برقم (٢٦٩٧٤) وغيره .

بعد موته.[١]

ثم الرواية الصحيحة التي رواها مسلم وغيره فيها أنه هو الذي دخل عليها، بعد أن امتنعت من تلبية أمره، ولم تأبه بتهديده .

ما كان بعد صلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

وبلوغ كلمة ابن عمر للحجاج وإنزاله من على جزعه

كلمة عبد الله بن عمر رضي الله عنه لعبد الله بن الزبير لما مر عليه وهو مصلوب، فبلغت كلم ابن عمر الحجاج الثقفي وكان جائراً جريئاً على الدماء[٢] فهم أن يقع بابن عمر رضي الله عنه .

---

(١) فقد قال عمر لابنه حينما طلب منه أن يستأذن من عائشة أن يدفن في الحجرة فقال:« انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ..». أخرجه البخاري(٣٧٠٠).

(٢) **ومما يدل على جرأته** تلك ما أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٦/ ٩٧) بسندٍ حسن عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: مَا أَرْسَلَ إِلَيَّ الْأَمِيرُ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ اسْمِي، قَالَ: مَتَى هَبَطْتَ هَذَا الْبَلَدَ؟ قُلْتُ:لَيَالِي هَبَطَهُ أَهْلُهُ ، قَالَ: كَأَيِّنْ تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ مِنْهُ مَا إِنِ اتَّبَعْتُهُ كَفَانِي. قَالَ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَسْتَعْمِلَكَ عَلَى بَعْضِ عَمَلِنَا قَالَ: قُلْتُ: عَلَى أَيِّ عَمَلِ الْأَمِيرِ قَالَ:السِّلْسِلَةُ، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ السِّلْسِلَةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا رِجَالٌ يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَعْمَلُونَ عَلَيْهَا فَإِنْ تَسْتَعِنْ بِي تَسْتَعِنْ بِشَيْخٍ أَخْرَقَ ضَعِيفٍ يَخَافُ أَعْوَانَ السُّوءِ وَإِنْ يُعْفِنِي الْأَمِيرُ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَإِنْ يُقْحِمْنِي الْأَمِيرُ أَقْتَحِمْ وَايْمُ الله إِنِّي لَأَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَأَذْكُرُ الْأَمِيرَ فَمَا يَأْتِينِي النَّوْمُ حَتَّى أُصْبِحَ وَلَسْتُ لِلْأَمِيرِ عَلَى عَمَلٍ فَكَيْفَ إِذَا كُنْتُ لِلْأَمِيرِ عَلَى عَمَلٍ، وَايْمُ الله مَا أَعْلَمُ النَّاسَ هَابُوا أَمِيرًا قَطُّ

فأخرجه ابن سعد[١] بسندٍ ثابت عن أبي العالية. أنه رأى ابن عمر واقفاً يستغفر لابن الزبير وهو مصلوب. فقال: إن كنت والله ما علمت صواماً قواماً. تحب الله ورسوله. فانطلق رجل إلى الحجاج فقال: هذا ابن عمر واقف يستغفر لابن الزبير. ويقول: إن كنت والله ما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله.

فقال لرجل من أهل الشام: قُم فأتني به. فقام الشامي طويلاً فقال: أصلح الله الأمير. تأذن لي أن أتكلم. فقال: تكلم. قال: إنما أعين الناس كافة إلى هذا الرجل. فأنت إن قتلته خشيت أن تكون فتنة. لا تطفأ. فقال: اجلس. وأرسل إليه مكانه بعشرة آلاف فقال: أرسل بهذه الأمير لتستعين بها. فقبلها ثم سكت عنه. فأرسل إليه: أرسل إلينا بدراهمنا لكي ما ينظر أنفق منها شيئا أم لا؟ فأرسل إليه أنا قد أنفقنا منها طائفة وعندنا طائفة نجمعها لك أحد اليومين ثم نبعث بها. فأرسل إليه انتفع بها فلا حاجة لنا فيها.

وفي رواية أبي نوفل بن أبي عَقرب العُرَيْجيِّ[٢] أن الحجاج بن يوسف لما قتل عبد الله بن الزبير صلبه على عقبة المدينة . ليَرى ذلك قريش المدينة. فلما نفروا. جعلت قريش تمرّ به. والناس لا يقفون عليه. حتى مرَّ به عبد الله بن عمر. فوقف عليه فقال: السلَّام عليك أبا خبيب. السلام عليك أبا خبيب. السلام عليك أبا

هَيْبَتَهُمْ إِيَّاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَالَ: فَأَعْجَبَهُ مَا قُلْتُ قَالَ:أَعِدْ عَلَيَّ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُكَ إِنْ يُعْفِنِي الْأَمِيرُ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَإِنْ يُقْحِمْنِي أَقْتَحِمْ فَإِنَّا إِنْ لَا نَجِدْ غَيْرَكَ نُقْحِمْكَ وَإِنْ نَجِدْ غَيْرَكَ لَا نُقْحِمْكَ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَهَابُوا أَمِيرًا قَطُّ هَيْبَتَهُمْ إِيَّايَ فَإِنِّي وَالله لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ رَجُلًا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ هُوَ أَجْرَى عَلَى دَمٍ مِنِّي وَلَقَدْ رَكِبْتُ أُمُورًا كَانَ هَابَهَا النَّاسُ فَأُفْرِجَ لِي بِهَا.

(١) في«الطبقات الكبرى» الجزء المتمم(٢/ ١٢٠).

(٢) التي أخرجها ابن سعد في«الطبقات الكبرى»الجزء المتمم(٢/ ١٢١) بسندٍ صحيح.

خبيب. لقد كنت نهيتك عن هذا- ثلاثاً- ولقد كنت عن هذا غنياً. ثم قال: أما والله ما علمت إن كنت لصواماً قواماً وصولاً للرَّحم.

وإن أمة تكون أنت شرُّهم لأمَّة صِدق. ثم نفذَ.

فبلغ الحجاج موقف عبد الله بن عمر. فاستنزله فرمى به في مقابر اليهود !

تنبيه:

اشتهر هنا في هذا المقام رواية عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال: دخل عبد الله ابن الزبير على أمِّه حين رأى من الناس ما رأى من خُذلانِهم إياه. فقال: يا أمه. خذلني الناس حتى ولدي وأهلي. فلم يبق معي إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة.

والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا. فما رأيك؟ فقالت أمه: أنت والله يا بني أعلم بنفسك. إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو. فأمض له. فقد قتل عليه أصحابك. ولا تمكن من رقبتك فتلعب بك غلمان بني أمية. وإن كنت إنما أردت الدنيا. فبئس العبد أنت! أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك .

قال: فدنا ابن الزبير فقبل رأسها. فقال: هذا والله رأيي. والذي قمت به داعيا إلى يومي هذا. ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها. وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله. ولكن أحببت أعلم رأيك. فزدتني قوة وبصيرة مع بصيرتي. فانظري يا أمه. فإني مقتول من يومي هذا. لا يشتد جزعك على.

سلمي لأمر الله. فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر.ولا عمل بفاحشة. ولم يجر في حكم. ولم يغدر في أمان. ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد. ولم يبلغني عن عمالي فرضيته بل أنكرته. ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي.اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي. أنت أعلم بي ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو به عني. فقالت له

أمه: إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسنا إن تقدمتني. وإن تقدمتك. ففي نفسي حوجا حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرك. قال: جزاك الله يا أمه خيرًا.

فلا تدعى الدعاء لي بعد قتلي. قالت: لا أدعه. لست بتاركه ذلك أبدا. فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق. وخرج. وقالت أمه: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل. وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة. وبره بأبيه وبي. اللهم إني سلمت فيه لأمرك. ورضيت فيه بما قضيت. فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين والشاكرين [1].

بعضهم يحكيه:

لَمَّا كَانَ قُبَيْلَ مَقْتَلِهِ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ وَخَرَجُوا إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْأَمَانِ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ نَحْوُ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَكَانَ مِمَّنْ فَارَقَهُ ابْنَاهُ حَمْزَةُ وَخُبَيْبٌ، أَخَذَا لِأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِابْنِهِ الزُّبَيْرِ: خُذْ لِنَفْسِكَ أَمَانًا كَمَا فَعَلَ أَخَوَاكَ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ بَقَاءَكُمْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْكَ. فَصَبَرَ مَعَهُ فَقُتِلَ.

وَلَمَّا تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ خَطَبَ الْحَجَّاجُ النَّاسَ وَقَالَ: قَدْ تَرَوْنَ قِلَّةَ مَنْ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالضِّيقِ. فَفَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا، فَتَقَدَّمُوا، فَمَلَئُوا مَا بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الْأَبْوَاءِ. فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ، قَدْ خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدَيَّ وَأَهْلِي، وَلَمْ يَبْقَ مَعِي إِلَّا الْيَسِيرُ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَا رَأْيُكِ؟ فَقَالَتْ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو، فَامْضِ لَهُ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبْ بِهَا غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا، فَبِئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ، أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ وَمَنْ قُتِلَ مَعَكَ، وَإِنْ قُلْتَ: كُنْتُ عَلَى حَقٍّ، فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ -

(١) وهذا أخرجه ابن سعد في«الجزء المتمم»(٢/ ٩٨) عن الواقدي وهو متروك والله أعلم.

فَهَذَا لَيْسَ فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلِ الدِّينِ، كَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا! الْقَتْلُ أَحْسَنُ! فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ، أَخَافُ إِنْ قَتَلَنِي أَهْلُ الشَّامِ أَنْ يُمَثِّلُوا بِي وَيَصْلُبُونِي. قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الشَّاةَ [إِذَا ذُبِحَتْ] لَا تَتَأَلَّمُ بِالسَّلْخِ، فَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ. فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ: هَذَا رَأْيِيٌ وَالَّذِي (قُمْتُ بِهِ دَاعِيًا) إِلَى يَوْمِي هَذَا، مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا، وَمَا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا الْغَضَبُ للهِ، وَأَنْ تُسْتَحَلَّ حُرُمَاتُهُ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكِ، فَقَدْ زِدْتِنِي بَصِيرَةً، فَانْظُرِي يَا أُمَّاهُ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَلَا يَشْتَدَّ حُزْنُكِ، وَسَلِّمِي الْأَمْرَ إِلَى اللهِ، فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِتْيَانَ مُنْكَرٍ، وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ، وَلَمْ يَجُرْ فِي حُكْمِ اللهِ، وَلَمْ يَغْدِرْ فِي أَمَانٍ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهَدٍ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظُلْمٌ عَنْ عُمَّالِي فَرَضِيتُ بِهِ، بَلْ أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آثَرَ عِنْدِي مِنْ رِضَا رَبِّي، اللَّهُمَّ لَا أَقُولُ هَذَا تَزْكِيَةً لِنَفْسِي، وَلَكِنِّي أَقُولُهُ تَعْزِيَةً لِأُمِّي حَتَّى تَسْلُوَ عَنِّي! .

فَقَالَتْ أُمُّهُ: [إِنِّي] لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَزَائِي فِيكَ جَمِيلًا، إِنْ تَقَدَّمْتَنِي احْتَسَبْتُكَ، وَإِنْ ظَفَرْتَ سُرِرْتُ بِظَفَرِكَ، اخْرُجْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُكَ. فَقَالَ: جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا، فَلَا تَدَعِي الدُّعَاءَ لِي. قَالَتْ: لَا أَدَعُهُ لَكَ أَبَدًا، فَمَنْ قُتِلَ عَلَى بَاطِلٍ فَقَدْ قُتِلْتَ عَلَى حَقٍّ. ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ ذَاكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَذَلِكَ النَّحِيبَ وَالظَّمَأَ فِي هَوَاجِرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَبِرَّهُ بِأَبِيهِ وَبِي! اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتُهُ لِأَمْرِكَ فِيهِ، وَرَضِيتُ بِمَا قَضَيْتَ، فَأَثِبْنِي فِيهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ! .

فَتَنَاوَلَ يَدَيْهَا لِيُقَبِّلَهُمَا فَقَالَتْ: هَذَا وَدَاعٌ فَلَا تَبْعَدْ. فَقَالَ لَهَا: جِئْتُ مُوَدِّعًا ؛ لِأَنِّي أَرَى هَذَا آخِرَ أَيَّامِي مِنَ الدُّنْيَا. قَالَتْ : امْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ. فَدَنَا مِنْهَا فَعَانَقَهَا وَقَبَّلَهَا، فَوَقَعَتْ يَدُهَا عَلَى الدِّرْعِ فَقَالَتْ: مَا هَذَا صَنِيعُ مَنْ يُرِيدُ مَا تُرِيدُ. فَقَالَ: مَا لَبِسْتُهُ إِلَّا لِأَشُدَّ مِنْكِ. قَالَتْ: فَإِنَّهُ لَا يَشُدُّ مِنِّي. فَنَزَعَهَا ثُمَّ دَرَجَ كُمَّيْهِ، وَشَدَّ أَسْفَلَ قَمِيصِهِ وُجَبَّةَ خَزٍّ تَحْتَ أَثْنَاءِ السَّرَاوِيلِ، وَأَدْخَلَ أَسْفَلَهَا

تَحْتَ الْمِنْطَقَةِ، وَأُمُّهُ تَقُولُ لَهُ: الْبَسْ ثِيَابَكَ مُشَمَّرَةً. فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرْ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمَهُ الْحُرُّ ذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرْ

فَسَمِعَتْهُ فَقَالَتْ: تَصْبِرُ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَبَوَاكَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ، وَأُمُّكَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ (حَمْلَةً مُنْكَرَةً فَقَتَلَ مِنْهُمْ، ثُمَّ انْكَشَفَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَوْ لَحِقْتَ بِمَوْضِعِ كَذَا. قَالَ: بِئْسَ الشَّيْخُ أَنَا إِذًا فِي الْإِسْلَامِ لَئِنْ أَوْقَعْتُ قَوْمًا فَقُتِلُوا ثُمَّ فَرَرْتُ عَنْ مِثْلِ مَصَارِعِهِمْ. وَدَنَا أَهْلُ الشَّامِ) حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهُمُ الْأَبْوَابُ، وَكَانُوا يَصِيحُونَ بِهِ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، فَيَقُولُ:

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا.

وَجَعَلَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ، فَكَانَ لِأَهْلِ حِمْصٍ الْبَابُ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكَعْبَةِ، وَلِأَهْلِ دِمَشْقَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ، وَلِأَهْلِ الْأُرْدُنِّ بَابُ الصَّفَا، وَلِأَهْلِ فَلَسْطِينَ بَابُ بَنِي جُمَحٍ، وَلِأَهْلِ قِنَّسْرِينَ بَابُ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ وَطَارِقٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمَرْوَةِ، فَمَرَّةً يَحْمِلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَمَرَّةً فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، فَكَأَنَّهُ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ، يَعْدُو فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ، ثُمَّ يَصِيحُ: أَبَا صَفْوَانَ! وَيْلُ أُمِّهِ فَتْحًا لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ: لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ..

وهذا لم أقف عليه بأسانيد ثابتة بهذه السياقات، وما هو ثابت من ذلك قد قيَّدته والله أعلم تفاصيل أي ذلك كان.

كما أنه قد ورد أنهم لما جاؤوا إِلَى الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرُوهُ فَخَرَّ سَاجِدًا قَبَّحَهُ الله، ثُمَّ قَامَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو حَتَّى وَقَفَا عَلَيْهِ وَهُوَ صَرِيعٌ، فَقَالَ طَارِقُ: مَا وَلَدَتِ النِّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: تَمْدَحُ مَنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نعم! هو

أعذر لأنا مُحَاصِرُوهُ وَلَيْسَ هُوَ فِي حِصْنٍ وَلَا خَنْدَقٍ وَلَا مَنَعَةٍ يَنْتَصِفُ مِنَّا، بَلْ يُفَضَّلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ موقفٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الملك ضرب طَارِقًا، وأنه لما أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ارْتَجَّتْ مَكَّةَ بُكَاءً عَلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ الله، فَخَطَبَ الْحَجَّاجُ النَّاسَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إن عبد الله بن الزبير مِنْ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى رَغِبَ فِي الْخِلَافَةِ وَنَازَعَهَا أَهْلَهَا وَأَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ فَأَذَاقَهُ من عذابه الأليم، وَإِنَّ آدَمَ كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللهَّ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَشْرَفُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا خَالَفَ أَمْرَ اللهَّ وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا أَخْرَجَهُ اللهَّ مِنَ الْجَنَّةِ، قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ الله، وقيل أنه قال: يا أهل مكة إِكْبَارُكُمْ وَاسْتِعْظَامُكُمْ قَتْلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّ ابْنَ الزُّبير كَأَنَّ مِنْ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى رَغِبَ فِي الدُّنْيَا وَنَازَعَ الْخِلَافَةَ أَهْلَهَا، فَخَلَعَ طَاعَةَ اللهَّ وَأَلْحَدَ فِي حَرَمِ الله، وَلَوْ كَانَتْ مَكَّةُ شَيْئًا يَمْنَعُ الْقَضَاءَ لَمَنَعَتْ آدَمَ حُرْمَةُ الْجَنَّةِ وَقَدْ خَلَقَهُ الله بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ.

وَعَلَّمَهُ أسماء كل شيء، فَلَمَّا عَصَاهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَآدَمُ أَكْرَمُ عَلَى اللهَّ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ غَيَّرَ كِتَابَ الله.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ كَذَبْتَ لَقَلْتُ، وَاللهَّ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمْ يُغَيِّرْ كِتَابَ الله، بَلْ كَانَ قَوَّامًا بِهِ صَوَّامًا، عَامِلًا بِالْحَقِّ. ثم كتب الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا وَقَعَ، وَبَعَثَ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ رَأْسِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ صَفْوَانَ وَعُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ إِلَى عَبْدِ الملك، ثمَّ أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بِهَا، ثُمَّ يَسِيرُوا بِهَا إِلَى الشَّام، فَفَعَلُوا ما أمرهم به، وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير، عليهم من الله ما يستحقون.

ثُمَّ أَمَرَ الْحَجَّاجُ بِجُثَّةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَصُلِبَتْ على ثنية كدا عِنْدَ الْحَجُونِ، يُقَالُ مُنَكَّسَةً، فَمَا زَالَتْ مَصْلُوبَةً، حَتَّى مرَّ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ.

ولم أقف على هذا مسندًا [١] وما هو ثابت من ذلك مما وقفت عليه بينته، والحمد لله، وقد أخرج يعقوب بن سفيان الفسوي في«المعرفة» (١/ ٥٥٣-٥٥٤) بسنده عن سفيان بن عيينة به، وسنده معضل.

حزُّ رأس عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

والتمثيل بجثَّته رضي الله عنه

الظاهر أن الحجاج - قبَّحه الله- لم يَكتف بصلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بل حزَّ رأسه ومثَّل بجسده.

فأخرج البغوي [٢] بسندٍ حسن عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال: رأيت رأس عبد الله بن الزبير.

وأخرج البخاري في «تاريخه» [٣] بسندٍ صحيح عَن يحيى بن سعيد قَالَ أذكر أَنِّي رَأَيْت ثَلَاثَة أرؤس قدم بهَا الْمَدِينَة رَأس عبد الله بن الزبير وَعبد الله بن صَفْوَان وَعبد الله بن مُطِيع وَهُوَ بن مُطِيع بن الْأسود الْقرشِي الْعَدوي الْمَكِّيّ قَالَ عَليّ قتلوا فِي يَوْم وَاحِد.

وأخرج ابن أبي عاصم [٤] بسندٍ صحيح عَنْ عَوْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الصِّدِّيقِ، أَنَّ الْحَجَّاجَ، «لَمَّا ظَهَرَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ قَتَلَهُ، وَمَثَّلَ بِجَسَدِهِ».

تغسيله رضي الله عنه ودفنه ومَن تولَّى ذلك

---

(١) إنما ذكره ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ١٣٢).

(٢) في «معجم الصحابة» (١٥١٥).

(٣) «التاريخ الأوسط»(١/ ١٦٢) و«الكبير»(٥/ ١٩٩) .

(٤) في«الآحاد والمثاني»(٥٨٣).

تقدم أن الحجاج لما بلغه كلمة ابن عمر أمر بإنزاله عن جزعه ودفنه في مقابر اليهود.

وأخرج ابن أبي شيبة[١] بإسنادٍ صحيح عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: أَتَيْتُ أَسْمَاءَ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَتْ: «بَلَغَنِي أَنَّهُمْ صَلَبُوا عَبْدَ اللهَّ مُنكَّسًا وَعَلَّقُوا مَعَهُ الْهِرَّةَ ، وَاللهَّ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى يُدْفَعَ إِلَيَّ فَأُغَسِّلَهُ وَأُحَنِّطَهُ وَأُكَفِّنَهُ ثُمَّ أَدْفِنَهُ» ، فَمَا لَبِثُوا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يُدْفَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، قَالَ: فَأَتَيْتُ بِهِ أَسْمَاءَ فَغَسَّلَتْهُ وَحَنَّطَتْهُ وَكَفَّنَتْهُ ثُمَّ دَفَنَتْهُ.

ذهاب أسماء رضي الله عنها إلى ولدها عبد الله بن الزبير وهو مصلوب قول ابن عمر مواساة لها

أخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: أَتَيْتُ أَسْمَاءَ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَتْ:«بَلَغَنِي أَنَّهُمْ صَلَبُوا عَبْدَ اللهَّ مُنكَّسًا وَعَلَّقُوا مَعَهُ الْهِرَّةَ ، وَاللهَّ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى يُدْفَعَ إِلَيَّ فَأُغَسِّلَهُ وَأُحَنِّطَهُ وَأُكَفِّنَهُ ثُمَّ أَدْفِنَهُ»، فَمَا لَبِثُوا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يُدْفَعَ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ بِهِ أَسْمَاءَ فَغَسَّلَتْهُ وَحَنَّطَتْهُ وَكَفَّنَتْهُ ثُمَّ دَفَنَتْهُ.

تمزُّق أعضائه رضي الله عنه أثناء التغسيل

أخرج الفاكهي في« أخبار مكة»[٣]بسندٍ صحيح عنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ بَشَّرَ أَسْمَاءَ بِالْإِذْنِ فِي إِنْزَالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَيْهِ، فَمَا تَنَاوَلْنَا

(١) في«المصنف»(٦/ ٢٠٢) .

(٢) في«المصنف»(٦/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في«التاريخ الكبير»(١/ ١٥٦) والفاكهي في«أخبار مكة»(٢/ ٤٦) وابن عبد البر في«الاستيعاب»(٣/ ٩٠٩)

مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا تَابَعَنَا، قَالَ: وَقَدْ كَانَتْ أَسْمَاءُ وُضِعَ لَهَا مِرْكَنٌ فِيهِ مَاءُ زَمْزَمَ، وَشَبٌّ يَمَانِيٌّ، فَجَعَلْنَا نُنَاوِلُهَا عُضْوًا عُضْوًا فَتَغْسِلُهُ، ثُمَّ نَأْخُذُهُ مِنْهَا فَنَضَعُهُ فِي الَّذِي يَلِيهِ، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْهُ أَدْرَجْنَاهُ فِي أَكْفَانِهِ، ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ تَدْعُو: اللهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُوَلِّيَنِي جُثَّتَهُ، فَمَا أَتَتْ عَلَيْهَا جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَتْ وَأَهْلُ مَكَّةَ عَلَى هَذَا إِلَى يَوْمِنَا يُغَسِّلُونَ مَوْتَاهُمْ بِمَاءِ زَمْزَمَ، إِذَا فَرَغُوا مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ وَتَنْظِيفِهِ جَعَلُوا آخِرَ غُسْلِهِ بِمَاءِ زَمْزَمَ تَبَرُّكًا بِهِ.

دفنه رضي الله عنه

وأخرج ابن أبي شيبة[1] بسند صحيح عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: أَتَيْتُ أَسْمَاءَ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَتْ: «بَلَغَنِي أَنَّهُمْ صَلَبُوا عَبْدَ اللهِ مُنَكَّسًا وَعَلَّقُوا مَعَهُ الْهِرَّةَ ، واللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى يُدْفَعَ إِلَيَّ فَأُغَسِّلَهُ وَأُحَنِّطَهُ وَأُكَفِّنَهُ ثُمَّ أَدْفِنَهُ» ، فَمَا لَبِثُوا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يُدْفَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، قَالَ: فَأَتَيْتُ بِهِ أَسْمَاءَ فَغَسَّلَتْهُ وَحَنَّطَتْهُ وَكَفَّنَتْهُ ثُمَّ دَفَنَتْهُ.

وهذا شيء من تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزبير رضي الله عنه

هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، أَبُو بَكْرٍ وَيُقَالُ لَهُ أَبُو خُبَيْبٍ الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ، أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، هاجرت وهي حامل به تم فولدته بقباء أَوَّلَ مَقْدِمِهِمِ الْمَدِينَةَ.[2] وتوفي وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

---

(١) في«المصنف»(٦/ ٢٠٢).

(٢) « البداية والنهاية»(٩/ ١٣٣).

وفي صحيح البخاري[١] عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها: أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ «دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلاَمِ».

كثير المناقب والفضائل صَوام قوام وصول للرحم، مشهود له من أفاضل زمانه، خرج عليه بنو أمية بعد ما استتب الأمر له، فظلموه وخرجوا عليه.

اشتهر أنه شرب دم حجامة النبي ﷺ ولم يصح به سند فيما وقفت عليه.

ترجمته جديرة بالتصنيف.

وَمِمَّنْ قُتِلَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي هذه السنة بِمَكَّةَ مِنَ الْأَعْيَانِ: عَبْدُ الله بن صفوان بن أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ أَبُو صَفْوَانَ الْمَكِّيُّ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِيهِ، قيل: أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، والصواب ألا دليل يُثبت الصحبة له.[٢]

ولكن روى له مسلم[٣] حديثه قال: أَخْبَرَتْنِي حَفْصَةُ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ**» فَقَالَ رَجُلٌ- لعبد الله بن صفوان-: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ

---

(١) برقم (٣٩٠٩).

(٢) وبه جزم الذهبي في«السير»(٤/ ١٥٠) فقال:« لاَ صُحْبَةَ لَهُ. يُقَالُ: وُلِدَ أَيَّامَ النُّبُوَّةِ ».

يُقَالُ: وُلِدَ أَيَّامَ النُّبُوَّةِ.»

(٣)في «صحيحه» برقم(٢٨٨٣).

عَلَى حَفْصَةَ، وَأَشْهَدُ عَلَى حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.[١]

وَرَوَى هو عَنْ عُمَرَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعَيْنِ، وَكَانَ سَيِّدًا شَرِيفًا مُطَاعًا حَلِيمًا يَحْتَمِلُ الْأَذَى، لَوْ سَبَّهُ عَبْدٌ أَسْوَدُ مَا اسْتَنْكَفَ عنه، ولم يقصده أحد في شئ فَرَدَّهُ خَائِبًا، وَلَا سَمِعَ بِمَفَازَةٍ إِلَّا حَفَرَ بها جُبًّا أَوْ عَمِلَ فِيهَا بِرْكَةً، وَلَا عَقَبَةٍ إِلَّا سَهَّلَهَا.[٢]

وقد ذكر أنه سيد قريش بمكة ، وأن عبد الله بن الزبير قال له: إِنِّي قَدْ أَقَلْتُكَ بَيْعَتِي فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ إِنِّي إِنَّمَا قَاتَلْتُ عَنْ دِينِي. ثُمَّ صَبَّرَ نَفْسَهُ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، رحمه الله وأكرمه. والله أعلم بدقائق الأمور.

والذي وقفت عليه من منزلته الرفيعة ما أخرجه خليفة بن خياط نفسه في «تاريخه» بسندٍ صحيح عن أَيُّوب عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَطَبَ مُعَاوِيَةُ، فَذَكَرَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: والله لَيُبَايِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ الله فأخبره، فبكى ابن عمر، فقدم معاوية مكة، فنزل بذي طوى، فخرج إليه عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ تَقْتُلُ عَبْد الله بْنَ عُمَرَ إن لم يبايع ابنك؟ فقال:

---

(١) وفي صحيح مسلم (٢٨٨٣)عَنْ يُوسُف بْنِ مَاهَكَ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ الله ع، قَالَ: «**سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ، وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**»، قَالَ يُوسُفُ: وَأَهْلُ الشَّأْمِ يَوْمَئِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ: أَمَا وَالله مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ. هذا يدل على اعتدال عبد الله بن صفوا إذ التعصُّب يدعو إلى أن يقول: إنه الجيش الذي أخبر عنه ع ، إلا أنه لم يقل بذلك! فرحمه الله .

(٢) وانظر «البداية والنهاية»(٩/ ١٤٧).

أأنا أَقْتُلُ ابْنَ عُمَرَ! والله لا أَقْتُلُهُ. وقد تقدَّم

هذا يدل على منزلته الرفيعة في القوم، وجرأته في الحق رحمه الله.

وممن توفي في هذه السنة عبد الله بن مطيع بن الْأَسْوَدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ الْمَدَنِيُّ:

قيل: إنه ولد في حياة النبي ﷺ وَحَنَّكَهُ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ الْيَوْمِ صَبْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ». [١] والصواب ألا رؤية له، ولا صحبة كما بيته في غير هذا الموطن.[٢]

وقد كان مع الخوارج يوم الحرَّة على يزيد بن معاوية:

أخرج خليفة بن خياط[٣] بسند صحيح عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَأَلَ عَنهم وَهُوَ بِالطَّائِف فَقيل لَهُ استعملوا عَبْد الله بْن مُطِيع عَلَى قُرَيْش وَعبد الله بْن حَنْظَلَة عَلَى الْأَنْصَار فَقَالَ أميران! هلك الْقَوْم.

وأخرج مسلم[٤] عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٢).

(٢) في كتابي«إلقاء القمامة في أفواه القائلين بخروج الصحابة» فراجعه.

(٣)أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه»ص ٢١٣.

(٤) برقم (١٨٥١).

وممن توفي في هذه السنة: عوف بن مالك رضي الله عنه.

صحابي جليل له موقف مع خالد بن الوليد أمام النبي ﷺ.

أخرجه مسلم [١] عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟» قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: «**لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرِعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ**».

وممن توفي في هذا العام أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ماتت بعد ولدها عبد الله بن الزبير بسبع ليال. ذات النطاقين وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ عَامَ الْهِجْرَةِ حِينَ شَقَّتْ نطاقها فربطت بِهِ سُفْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حين خرجا عامدين إلى المدينة.

وقد عمَّرت رضي الله عنها دهراً صالحاً.

أخرج الحاكم [٢] بسند حسن عن مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: «مَاتَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِهَا عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ بِلَيَالٍ، وَكَانَ قَتْلُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ».

وفي رواية ابن عبد البر [٣] المتقدمة:« فَمَا أَتَتْ عَلَيْهَا جُمْعَةٌ حَتَّى مَاتَتْ »

---

(١) برقم (١٧٥٣).

(٢) في«المستدرك» (٤/ ٧٢).

(٣) في«الاستيعاب»(٣/ ٩٠٩).

وفي رواية أبي نعيم[١] من طريق أيوب عن ابن أبي مليكة...قَالَ أَيُّوبُ: فَحَسِبْتُ قَالَ: فَعَاشَتَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

وممن توفي في هذه السنة عَبْدُ الله بْنُ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ.

مَالِكُ بْنُ مِسْمَعِ بْنِ غَسَّانَ الْبَصْرِيُّ كَانَ شَدِيدَ الِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ.

ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْأَنْصَارِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ...

زينب بنت أبي سلمة المخزومي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَدَتْهَا أُمُّهَا بِالْحَبَشَةِ، وَلَهَا رِوَايَةٌ وَصُحْبَةٌ.

وكانت زَيْنَبُ ابْنَةُ أُمِّ سَلَمَةَ، إِذَا ذُكِرَتِ امْرَأَةٌ بِفِقْهٍ ذُكِرَتْ زَيْنَبٌ كما ورد ذلك في أثر لَيْلَى ابْنَةِ الْعَجْمَاءِ الصحيح.[٢]

وقال بكر بن عبد الله المزني أخبرني أبو رافع قال: إذا ذكرت امرأة بالمدينة فقيهة ذكرت زينب بنت أبي سلمة. وقال سليمان، وفي رواية قال:« وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة.

أخرج خليفة بن خياط[٣] بسند صحيح عن الْحسن قَالَ أُصِيب ابْنا زَيْنَب يَوْم الْحَرَّة فحُمِلا إِلَيْهَا فَقَالَت: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، مَا أعظم الْمُصِيبَة عَلَيَّ فيهمَا، ولهي فِي هَذَا أعظم عَلِيّ مِنْهَا فِي هَذَا، أما هَذَا فَبسط يَده فقاتل حَتَّى قُتل، فَأَنا أَخَاف عَلَيْهِ، وَأما هَذَا فَكف يَده حَتَّى قتل فَأَنا أَرْجُو لَهُ.

---

(١) في«الحلية»(٢/ ٥٦).

(٢) الذي أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٠٠٠).

(٣) في «تاريخه» ص ٢١٤.

وهذا تعليق يدل على فقهها وصحة منهجها رضي الله عنها.

وممن مات في هذه السنة تَوْبَةُ بْنُ الْحُمَيِّرِ صَاحِبُ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ، أَحَدُ الْمُتَيَّمِينَ، وَكَانَ لا يَرَى لَيْلَى إِلا مُتَبَرْقِعَةً، وَكَانَ يَشِنُّ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كعب، وكانت بين أرض بني عقيل وبني مُهْرَةَ، فَكَمَنُوا لَهُ وَقَتَلُوهُ.(١)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أربع وسبعين

فِيهَا عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ طَارِقَ بْنَ عَمْرٍو عن إمارة الْمَدِينَةِ وَأَضَافَهَا إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ، فقدمها فأقام بها أشهراً، ثُمَّ خَرَجَ مُعْتَمِرًا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي صَفَرٍ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَبَنَى فِي بَنِي سَلَمَةَ مَسْجِدًا، وَهُوَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَيُقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ فِي هَذِهِ السنة وهذه المدة شتم جَابِرًا وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، وَقَرَّعَهُمَا لِمَ لَا نَصَرَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَخَاطَبَهُمَا خِطَابًا غَلِيظًا قبحه الله وأخزاه.(٢)

قلت «محمد»: ولا يستبعد ذلك على مثل الحجاج، وقد أساء إلى غيرهما رضي الله عنهم.

تغيير الحجاج ما عدَّله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه من بناء الكعبة المشرفة

حكى ابن كثير(٣) عن ابن جَرِيرٍ الطبري قال في هذه السنة: وَفِيهَا نَقَضَ الْحَجَّاجُ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ الَّذِي كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَنَاهُ وَأَعَادَهَا عَلَى بُنْيَانِهَا الْأَوَّلِ.

قُلْتُ(ابن كثير): الْحَجَّاجُ لَمْ يَنْقُضْ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ جَمِيعَهُ: بَلْ إِنَّمَا هَدَمَ الْحَائِطَ الشَّامِيَّ حَتَّى أَخْرَجَ الْحِجْرَ مِنَ الْبَيْتِ ثُمَّ سَدَّهُ وَأَدْخَلَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ مَا فَضَلَ من الأحجار، وبقية الحيطان الثلاثة بحالها، ولهذا بقى البنيان الشَّرْقِيُّ وَالْغَرْبِيُّ وَهُمَا

---

(١) قاله الذهبي في«تاريخ الإسلام» (٢/ ٧٩٦).

(٢) كما في «البداية والنهاية »(٩/ ١٥٠).

(٣) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٥٠).

مُلْصَقَانِ بِالْأَرْضِ كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَكِنْ سَدَّ الْغَرْبِيَّ بِالْكُلِّيَّةِ وَرَدَمَ أَسْفَلَ الشَّرْقِيِّ حَتَّى جَعَلَهُ مُرْتَفِعًا كَمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.(١)

وهذا سياق الحدث المتعلق بالكعبة في هذا:

أخرجه مسلم (٢)عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّئَهُمْ - أَوْ يُحَرِّبَهُمْ - عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ، أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِي بِنَاءَهَا؟ أَوْ أُصْلِحُ مَا وَهَى مِنْهَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي قَدْ فُرِقَ لِي رَأْيٌ فِيهَا، أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: « لَوْ كَانَ أَحَدُكُمُ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجِدَّهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيُهُ عَلَى أَنْ يَنْقُضَهَا، فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بِأَوَّلِ النَّاسِ يَصْعَدُ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى صَعِدَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصَابَهُ شَيْءٌ تَتَابَعُوا فَنَقَضُوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمِدَةً، فَسَتَّرَ عَلَيْهَا السُّتُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ، وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يُقَوِّي عَلَى بِنَائِهِ، لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ**»، قَالَ: «**فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ**

---

(١) وتمام كلامه: «وَلَمْ يَبْلُغِ الْحَجَّاجَ وعبد الْمَلِكِ مَا كَانَ بَلَغَ ابْنَ الزُّبَيْرِ مِنَ الْعِلْمِ النَّبَوِيِّ الَّذِي كَانَتْ أَخْبَرَتْهُ بِهِ خَالَتُهُ عَائِشَةَ عَنْ رَسُولِ الله ع، كَمَا تقدَّم ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: «**لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ** - وَفِي رِوَايَةٍ - **بِجَاهِلِيَّةٍ**...الحديث». وسيأتي.

(٢) برقم (١٣٣٣).

مَا أُنْفِقُ، وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ»، قَالَ: « فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ حَتَّى أَبْدَى أُسًّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَبَنَى عَلَيْهِ الْبِنَاءَ وَكَانَ طُولُ الْكَعْبَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا زَادَ فِيهِ اسْتَقْصَرَهُ، فَزَادَ فِي طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُدْخَلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ » .

فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَضَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أُسٍّ نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُدُولُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّا لَسْنَا مِنْ تَلْطِيخِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي شَيْءٍ، أَمَّا مَا زَادَ فِي طُولِهِ فَأَقِرَّهُ، وَأَمَّا مَا زَادَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَرُدَّهُ إِلَى بِنَائِهِ، وَسُدَّ الْبَابَ الَّذِي فَتَحَهُ، فَنَقَضَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى بِنَائِهِ.

وفي رواية عقبها : وَفَدَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الله عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا أَظُنُّ أَبَا خُبَيْبٍ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ مَا كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهَا، قَالَ الْحَارِثُ: بَلَى أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا، قَالَ: سَمِعْتَهَا تَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّ قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْبَيْتِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِّرْكِ، أَعَدْتُ مَا تَرَكُوا مِنْهُ، فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي لِأُرِيَكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ**»، فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، هَذَا حَدِيثُ عَبْدِ الله بْنِ عُبَيْدٍ، وَزَادَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ فِي الْأَرْضِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا، وَهَلْ تَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكِ رَفَعُوا بَابَهَا؟**»، قَالَتْ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «تَعَزُّزًا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا هُوَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا يَدَعُونَهُ يَرْتَقِي، حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَدْخُلَ دَفَعُوهُ فَسَقَطَ».

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ، لِلْحَارِثِ: أَنْتَ سَمِعْتَهَا تَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَنَكَتَ سَاعَةً بِعَصَاهُ، ثُمَّ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُ وَمَا تَحَمَّلَ.

وفي رواية عَنْ أَبِي قَزَعَةَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ قَالَ: قَاتَلَ اللهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَيْثُ يَكْذِبُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ: سَمِعْتُهَا تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ

الله ﷺ «**يَا عَائِشَةُ لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ حَتَّى أَزِيدَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرُوا فِي الْبِنَاءِ**»، فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: لَا تَقُلْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا سَمِعْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تُحَدِّثُ هَذَا قَالَ: لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَهْدِمَهُ، لَتَرَكْتُهُ عَلَى مَا بَنَى ابْنُ الزُّبَيْرِ.(١)

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان:

رَافِعُ بْنُ خَدِيجِ بْنِ رَافِعٍ الْأَنْصَارِيُّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ شَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعْدَهَا، وصفين مع علي رضي الله عنه. وَكَانَ يَتَعَانَى الْمَزَارِعَ وَالْفِلَاحَةَ،(٢) تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً على ما ذكر ابن كثير رحمه الله ..

وممن توفي في هذه السنة أبو سعيد الخدري وهو سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ مِنْ فُقَهَاءَ الصَّحَابَةِ اسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَشَاهِدِهِ الْخَنْدَقُ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعَيْنِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، كَانَ مِنْ نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم.(٣)

وفي هذه السنة توفي الإمام ابن الإمام أفقه أهل زمانه فيما أعلم

عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن رضي الله عنه. مناقبه جمَّة جداً، ونعم الشخصيات التي يستفاد منها في جميع مراحل حياته رضي الله عنه. وتوفي في هذه السنة

---

(١) وكل ذلك في صحيح مسلم(١٣٣٣).

(٢) فهو القائل: «كُنَّا نُحَاقِلُ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَنُكْرِيهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ... كما في صحيح مسلم (١٥٤٨).

(٣) وانظر«البداية والنهاية»(٩/ ١٥١).

بلا خلاف أعلمه.[١]

أخرج الحاكم[٢] بسندٍ حسن عَنْ سَالِمٍ قَالَ: «أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أَدْفِنَهُ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ، فَلَمْ نَقْدِرٍ، فَدَفَنَّاهُ بِالْحَرَمِ بِفَخٍّ فِي مَقْبَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ».

مرض موته وما جاء في سبب ذلك

أخرج البخاري[٣] عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ حِينَ أَصَابَهُ سِنَانُ الرُّمْحِ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ، فَلَزِقَتْ قَدَمُهُ بِالرِّكَابِ، فَنَزَلْتُ، فَنَزَعْتُهَا وَذَلِكَ بِمِنًى، فَبَلَغَ الحَجَّاجَ فَجَعَلَ يَعُودُهُ، فَقَالَ الحَجَّاجُ: لَوْ نَعْلَمُ مَنْ أَصَابَكَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «أَنْتَ أَصَبْتَنِي» قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «حَمَلْتَ السِّلاَحَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ يُحْمَلُ فِيهِ، وَأَدْخَلْتَ السِّلاَحَ الحَرَمَ وَلَمْ يَكُنِ السِّلاَحُ يُدْخَلُ الحَرَمَ».

وفي رواية إِسْحَاق بْن سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعِيدٍ قَالَ: دَخَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا يَعُودُهُ وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ:« أَجِدُنِي صَالِحًا » ، قَالَ: مَنْ أَصَابَ رِجْلَكَ؟ ، قَالَ: « أَصَابَهَا مَنْ أَمَرَ بِحَمْلِ السِّلَاحِ فِي يَوْمٍ لَا يَحِلُّ حَمْلُهُ فِيهِ » يَعْنِيهِ ، قَالَ: لَوْ عَرَفْنَاهُ لَعَاقَبْنَاهُ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ نَفَرُوا عَشِيَّةَ النَّفْرِ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَحْرَاسِ الْحَجَّاجِ عَارِضٌ حَرْبَتَهُ فَضَرَبَ ظَهْرَ قَدَمِ ابْنِ عُمَرَ فَؤُمِرَّ فِيهَا حَتَّى مَاتَ مِنْهَا.[٤]

---

(١) قال ابن عبد البر في«الاستيعاب»(٣/ ٩٥٢):« مات عَبْد الله بْن عُمَر بمكة سنة ثلاث وسبعين، لا يختلفون فِي ذَلِكَ، بعد قتل ابْن الزُّبَيْر بثلاثة أشهر أو نحوها. وقيل: لستة أشهر. وكان أوصى أن يدفن فِي الحل، فلم يقدر على ذَلِكَ من أجل الْحَجَّاج، ودفن بذي طوى فِي مقبرة المهاجرين».

(٢) في«المستدرك» (٣/ ٦٤٣).

(٣) برقم (٩٦٦).

(٤) أخرجه البيهقي في«الكبرى» (٥/ ٢٥١) بسندٍ صحيح.

وقد كان التابعون يعدون ابن عمر رضي الله عنه أماناً من الفتن لأهل الأرض جميعاً.

فقد أخرج أبو زرعة بسندٍ صحيح عن رجاءِ بن حيوةَ قال :

نُعِيَ إلينا ابنُ عمرَ فى مجلسِ بنِ مُحَيْرِيزٍ، فقالَ ابنُ مُحَيْرِيزٍ: إنْ كنتُ-واللهِ- لأعدُّ بقاءَ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنه أماناً لأهلِ الأرضِ. (١)

من أواخر ما قال ابن عمر قبل موته

أخرج ابن أبي شيبة(٢) بسند صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ: مَا تَرَكْتُ خَلْفِي شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا آسَى عَلَيْهِ غَيْرَ ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ وَغَيْرَ مَشْيٍ إِلَى الصَّلَاةِ.

وأخرج ابن سعد(٣)- عن ابن عمر قال فى مرضه الذى مات فيه: «ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية » .

وأخرجه ابن عبد البر(٤) وغيره بإسنادٍ حسن عن ابن عمر، قال: « ما آسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي ». اهـ

وكان زاهداً في المناصب والإمارات

أخرجه ابن سعد (٥) بسندٍ صحيح عن سَلام بْن مِسْكِينٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يُحَدِّثُ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَالُوا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: إِنَّكَ سَيِّدُ النَّاسِ وَابْنُ

---

(١)أخرجه أبو زرعة فى «تاريخه» ص ٣٢ والفسوي في«المعرفة» (٢/ ٣٦٦) بإسنادٍ حسن عن رجاء.

(٢) في «المصنف» (٧/ ٢٣٠).

(٣) فى «طبقاته» (٤/ ١٨٦) بإسنادٍ منقطع- على ما رجحه الدارقطني فى «العلل» (١٢/ ٤٢٩).

(٤) فى «الاستيعاب»(١/ ٢٩١) .

(٥) في «طبقاته» (٤/ ١١٣) وأخرجه أحمد في «الفضائل» (١٧٠٤)

سَيِّدٍ فَاخْرُجْ نُبَايِعْ لَكَ النَّاسَ. قَالَ: إِنِّي وَاللهِ لَئِنِ اسْتَطَعْتُ لا يُهْرَاقُ فِي سَبَبِي مِحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ. فَقَالُوا: لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ عَلَى فِرَاشِكَ. فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ قَوْلِهِ الأَوَّلِ. قَالَ الْحَسَنُ: فَأَطْمَعُوهُ وَخَوَّفُوهُ فَمَا اسْتَقْبَلُوا منه شيئا حتى لحق بالله.

وأخرج ابن سعد [١] بسندٍ صحيح عن ابْن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّمَا كَانَ مَثَلُنَا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى جَادَةٍ يَعْرِفُونَهَا ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ وَظُلْمَةٌ، فَأَخَذَ بَعْضُنَا يَمِينًا وَبَعْضُنَا شِمَالًا، فَأَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ، وَأَقَمْنَا حَيْثُ أَدْرَكْنَا ذَلِكَ، حَتَّى تَجَلَّى عَنَّا ذَلِكَ حَتَّى أَبْصَرَنَا الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ، فَعَرَفْنَاهُ، فَأَخَذْنَا فِيهِ. إِنَّمَا هَؤُلَاءِ فِتْيَانٌ يَتَقَاتَلُونَ عَلَى هَذَا السُّلْطَانِ وَعَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، وَاللهِ مَا أُبَالِي أَلَّا يَكُونَ لِي مَا يَقْتُلُ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِنَعْلَيَّ .

ما كان يشارك في الفتن ويعتزل الخلافات

فروى سَعِيدُ بْنُ حَرْبٍ الْعَبْدِيُّ [٢] قَالَ: كُنْتُ جَلِيسًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ زَمَنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَفِي طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رُءُوسُ الْخَوَارِجِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَنَجْدَةُ فَبَعَثُوا أَوْ بَعْضُهُمْ شَابًّا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَرَأَيْتُهُ حِينَ مَدَّ يَدَهُ وَهِيَ تَرْجُفُ مِنَ الضَّعْفِ، فَقَالَ:

«وَاللهِ مَا كُنْتُ لِأُعْطِيَ بَيْعَتِي فِي فُرْقَةٍ، وَلَا أَمْنَعُهَا مِنْ جَمَاعَةٍ». [٣]

---

(١) في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٧١).

(٢) فيما أخرجه البخاري فى «الأوسط»(١/ ١٩٣)والبيهقي (٨/ ١٩٣) بإسنادٍ صحيح عن سعيد ابن حرب العبدي به.

(٣) وهذا هل تراه إلا موافقاً لقوله ﷺ لحذيفة تلما قال: «قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»،قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا،**

والحديث عن ابن عمر رضي الله عنه له شجون.

وممن توفي في هذه السنة عبيد بن عمير التابعي مجمع على ثقته، وهو الذي روى ابن حبان [١] بسندٍ حسن عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» ....إلخ.

وفي هذه السنة توفي أَبُو جُحَيْفَةَ وَهْبُ بْنُ عَبْدِ الله السُّوائي، صَحَابِيٌّ رَأَى النَّبيّ ﷺ وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبيّ ﷺ لَكِنْ رَوَى عَنْهُ عِدَّةَ أَحَادِيثَ.

وفيها توفي سلمة بن الأكوع ابن عَمْرِو بْنِ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ أَحَدُ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجرة، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ عُلَمَائِهِمْ، كَانَ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ، وَلَهُ مَشَاهِدُ مَعْرُوفَةٌ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ سَنَةً.

وفيها توفي مَالِكُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ الْمَدَنِيُّ وَهُوَ جَدُّ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، رَوَى عنه جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ فَاضِلًا عَالِمًا، توفي بالمدينة.[٢]

وفيها توفي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ مُقْرِئُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِلَا مُدَافَعَةٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ الله بْنُ حَبِيبٍ، قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَابْنِ مسعود، وسمع مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ بِالْكُوفَةِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ

وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » ذاك الذي أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

(١) برقم (٦٢٠).

(٢) ذكره ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٩/ ١٥٥).

[١]، قَرَأَ عَلَيْهِ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ وَخَلْقٌ غَيْرُهُ، تُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ. وقد كان رحمه الله ينصح بمنهج أهل السنة، ويأمر بتجَنُّب المنحرفين عن نهج أهل السنة.

ففي مقدمة صحيح مسلم[٢] بسندٍ صحيح عن عَاصِم بن أبي النجود الكوفي ، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا: «لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا»، قَالَ: «وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ». فهو إمام في القراءآت وفي المنهج والعقيدة، يأمر بتجنُّب أهل الفتن

وفي هذه السنة توفي بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ الْأُمَوِيُّ أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلِي إِمْرَةَ الْعِرَاقَيْنِ لِأَخِيهِ عَبْدِ الملك، وله دار بدمشق عند عقبة اللباب، وَكَانَ سَمْحًا جَوَادًا.

ولم تطل إمارته:

فقد قال خليفة بن خياط[٣] قال حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: ولي بشر بن مروان العراق سنة أربع وسبعين، ومات في أول سنة خمس وسبعين وهو ابن نيف وأربعين سنة.

ومن مناقب بشر بن مروان أن عمارة بن رؤيبة رضي الله عنه عَنَّفه فاحتمله لفضله

فأخرج مسلم [١]عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: رَأَى عُمَارَةُ بْنُ رُوَيْبَةَ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ، وَهُوَ يَدْعُو فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَقَالَ عُمَارَةُ: قَبَّحَ الله هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ، قَالَ زَائِدَةُ: قَالَ

(١) في صحيح البخاري(٥٠٢٧) عن سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

(٢) (١/ ٢٠).

(٣) في«تاريخه» ص ١٧١.

حُصَيْنٌ: حَدَّثَنِي عُمَارَةُ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ» يَعْنِي السَّبَّابَةَ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ.(٢)

وقد ورد أن عبد الملك هو أول من رفع يديه في الجمعة وقنت فيها.(٣)

وَكَانَ يُجِيزُ عَلَى الشِّعْرِ بِأُلُوفٍ، وَقَدِ امْتَدَحَهُ الْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ، وَالْجَهْمِيَّةُ تَسْتَدِلُّ عَلَى الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ بِأَنَّهُ الِاسْتِيلَاءُ ببيت الأخطل:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ** مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ .

وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ، فَإِنَّ هَذَا اسْتِدْلَالٌ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا.

وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِ بِشْرٍ أنه وقعت القرحة في عينه فقيل له يقطعها من المفصل فجزع فما أحس حَتَّى خَالَطَتِ الْكَتِفَ، ثُمَّ أَصْبَحَ وَقَدْ خَالَطَتِ الْجَوْفَ ثُمَّ مَاتَ، وَلَمَّا احْتَضَرَ جَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ عَبْدًا أَرْعَى الْغَنَمَ فِي الْبَادِيَةِ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ وَلَمْ أَلِ مَا وُلِيتُ، فَذُكِرَ قَوْلُهُ لِأَبِي حَازِمٍ - أَوْ لسعيد بن المسيب -، فقال: الحمد الله الَّذِي جَعَلَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ يَفِرُّونَ إِلَيْنَا وَلَمْ يَجْعَلْنَا نَفِرُّ إِلَيْهِمْ، إِنَّا لَنَرَى فِيهِمْ عِبَرًا، وَقَالَ الْحَسَنُ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ يَتَمَلْمَلُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ، وَالْأَطِبَّاءُ حَوْلَهُ.

---

(١) برقم(٨٧٤) وأبو داود (١١٠٤) واللفظ له.

(٢) وقد علَّقت على من يذكر ذلك في معرض الاستدلال به على الدعاء على الحكام، في كتابي«غصة الخوارج المارقين في بيان منزلة الدُّعاء للأمراء والسلاطين».

(٣) أخرج ذلك الفسوي في«المعرفة»(٢/ ٤٧٩)ولكن أخرج ابن أبي شيبة في«المصنف» (١/ ٤٧٥) بسندٍصحيح عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: « أَوَّلُ مَنْ رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الْجُمُعَةِ عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِالله بْنِ مَعْمَرٍ» فالله أعلم.

مَاتَ بِالْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَهُوَ أَوَّلُ أَمِيرٍ مَاتَ بِهَا، وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ مَوْتُهُ حَزِنَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ الشُّعَرَاءَ أَنْ يَرْثُوهُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.(١)

ثمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خمس وسبعين

فَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ- أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ وَالِدُ مَرْوَانَ الْحِمَارِ- صَائِفَةَ الرُّومِ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ مَرْعَشٍ، وفيها ولى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَهُوَ عَمُّهُ، وَعَزَلَ عَنْهَا الْحَجَّاجَ. وَفِيهَا وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّاجَ بْنَ يوسف نيابة العراق والبصرة وَالْكُوفَةِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ، وذلك بعد موت أخيه بشر، فَرَأَى عَبْدَ الْمَلِكِ أَنَّهُ لَا يَسُدُّ عَنْهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَيْرُ الْحَجَّاجِ لِسَطْوَتِهِ وَقَهْرِهِ وَقَسْوَتِهِ وشهامته، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية الْعِرَاقِ، فَسَارَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي اثنى عشر راكباً، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم النَّجَائِبِ، فَنَزَلَ قَرِيبَ الْكُوفَةِ فَاغْتَسَلَ وَاخْتَضَبَ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَأَلْقَى عَذَبَةَ الْعِمَامَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ سَارَ فَنَزَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ، وَذَلِكَ يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ طَوِيلًا، وَقَدْ شَخَصُوا إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ وَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ وَتَنَاوَلُوا الحصى ليحذفوه بِهَا، وَقَدْ كَانُوا حَصَبُوا الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَلَمَّا سَكَتَ أَبْهَتَهُمْ وَأَحَبُّوا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ يَا أَهْلَ الشِّقَاقِ والنفاق، ومساوى الْأَخْلَاقِ، وَاللهِ إِنْ كَانَ أَمْرُكُمْ لَيَهُمُّنِي قَبْلَ أَنْ آتَى إِلَيْكُمْ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَدْعُو الله أن يبتليكم بى، ولقد سقط منى البارحة سوطي الّذي أؤدبكم بِهِ، فَاتَّخَذْتُ هَذَا مَكَانَهُ- وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ-، ثم قال: والله لآخذن صغيركم

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٥٥).

بكبيركم، وحركم بعبدكم، ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدة، والخباز العجينة. فَلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَهُ جَعَلَ الْحَصَى يَتَسَاقَطُ مِنْ أيديهم...ولم أقف على سند بهذا.

وما وقفت عليه بسندٍ في هذا الباب:

ما أخرجه القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا[1] ومن طريقه ابن عساكر مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْغَلابِيُّ قَالَ حدثنَا مُحَمَّد، يَعْنِي ابْن عُبَيْد اللَّهَّ بْن عَبَّاس، عَن عَطاء، يَعْنِي ابْن مُصعب، عَن عَاصِم قَالَ: خطب الْحجَّاج أهل الْعرَاق بعد دير الجماجم، فَقَالَ: يَا أهل الْعرَاق إِن الشَّيْطَان قد استبطنكم فخالط اللَّحْم وَالدَّم والعصب والمسامع والأطراف، ثُمَّ أفْضى إِلَى الأصماخ والأمخاخ، ثُمَّ ارْتَفع فعشش، ثُمَّ باض وفرخ، ثُمَّ دب ودرج، فحشاكم نفَاقًا وشقاقًا، وأشعركم خلافًا، اتخذتموه دَلِيلا تتبعونه، وَقَائِدًا تطيعونه، ومؤامراً تشاورونه، فَكيف تنفعكم تجربة أَو ينفعكم بَيَان؟ ألستم أَصْحَابِي بالأهواز حَيْثُ رمتم الْمَكْر وأجمعتم على الْكفْر، وظننتم أَن الله عز وَجل يخذل دينه وخلافته، وَأَنا أرميكم بطرفي وَأَنْتُم تتسللون لِوَاذًا وتنهزمون سرَاعًا يَوْم الزاوية بِمَا كَانَ من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وَبَرَاءَة الله مِنْكُم ونكوص وَلِيكُم، إِذا وليتم كَالْإِبِلِ الشاذة عَن أوطانها النوازع، لَا يسْأَل الْمَرْء عَن أَخِيه، وَلَا يلوي الشَّيْخ على بنيه، حِين عضكم السِّلَاح وتجشمتكم الرماح يَوْم ير الجماجم، وَمَا يَوْم دير الجماجم، بهَا كَانَت المعارك والملاحم :

ضربٍ يزِيل الْهَام عَن مقِيله ... وَيذْهل الْخَلِيل عَن خَلِيله.

يَا أهل الْعرَاق: الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات، إِن بعثناكم إِلَى ثغوركم غللتم وجبنتم، وَإِن أمنتم أرجفتم وَإِن خِفْتُمْ

(١) في« الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» ص ٥٥٦ وابن عساكر في«تاريخه» (١٢/ ١٣٢).

نافقتم، لَا تتذكرون نعْمَة، وَلَا تشكرون مَعْرُوفاً. هَل استخفكم ناكث أَو استغواكم غاوٍ أَو استفزكم عاصٍ أَو استنصركم ظَالِم أَو استعضدكم خَالع إِلَّا لبيتم ثُمَّ دَعوته وأجبتم صيحته، ونفرتم إِلَيْهِ خفافاً وثقالاً وفرساناً ورجالا؟!

يَا أهل الْعرَاق: هَل شغب شاغب أَو نعب ناعب أَو زفر زَافِر إِلَّا كُنْتُم أَتْبَاعه وأنصاره؟! يَا أهل الْعرَاق: ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ألم يشدد الله عَلَيْكُم وطأته ويذقكم حر سَيْفه وأليم بأسه ومثلاته؟! ثمَّ الْتفت إِلَى أهل الشَّام فَقَالَ: يَا أهل الشَّام، إِنَّمَا أَنا لكم كالظليم الرامح عَن فِرَاخه يَنْفِي عَنْهَا القذر، ويباعد عَنْهَا الْحجر، ويكنها من الْمَطَر، ويحميها من الضباب ويحرسها من الذُّبَاب. يَا أهل الشَّام أَنْتُم الْجنَّة والرداء، وانتم الملاءة والحذاء، أَنْتُم الْأَوْلِيَاء وَالْأَنْصَار، والشعار دون الثار، بكم يذب عَن الْبَيْضَة والحوزة، وبكم ترمي كتائب الْأَعْدَاء ويهزم من عاند وَتَوَلَّى.

ولكن في سنده أبو جعفر الإخباري محمد بن زكريا الغلابي متهم بالوضع، وقد تكلَّم فيه غير واحد من أهل العلم .

وقد ذكر خليفة بن خياط[١] أن في هذه السنة قدم الحجاج العراق، ثم خرج عن الكوفة، واستحثَّ الناس في قتال الأزارقة[٢]، وخرج فنزل رستق أباذ، فخلعوه وبايعوا عبد الله بن الجارود، واقتتلوا فقُتل ابن الجارود وعبد الله بن حكيم المُجاشعي، وهرب من هرب... والله أعلم بتفاصيل ما كان، فلم أجد أسانيد في ذلك والله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة:

---

(١) في «تاريخه» ص ١٧٠.

(٢) وهي طائفة من الخوارج أتباع نافع بن الأزرق.

العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه وكان من البكائين المذكورين في سورة التوبة في قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ التوبة .٩٢ كما قال ابن كثير رحمه الله.

وفي شأنه ما أخرجه الطبراني[1] بإسناد رجاله معدلون عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُقْبَضَ إِلَيْهِ كَانَ يَدْعُو: «**اللهُمَّ كَبِرَتْ سِنِّي، وَوَهَنَ عَظْمِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ**»، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، إِذَا فَتًى شَابٌّ مِنْ أَجْمَلِ الرِّجَالِ، وَعَلَيْهِ دَوَّاحٌ أَخْضَرُ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي تَدْعُو بِهِ؟ فَقُلْتُ: «كَيْفَ أَدْعُو يَا ابْنَ أَخِي؟» قَالَ: قُلْ: اللهُمَّ أَحْسِنِ الْعَمَلَ، وَبَلِّغِ الْأَجَلَ، قُلْتُ: «مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟» قَالَ: أَنَا رِيبَائِيلُ الَّذِي يَسلُّ الْحُزْنَ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

وهو رضي الله عنه القائل وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ:

إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ الله؟

قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ[2].

وممن توفي في هذه السنة: أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ شَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَغَزَا حُنَيْنًا وَكَانَ مِمَّنْ نَزَلَ الشَّامَ بِدَارَيَّا غَرْبِيِّ دِمَشْقَ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَقِيلَ بِبَلَاطِ

(١) في«الكبير»(١٨/ ٢٤٥) إسناده حسن إن كان سمع عُرْوَةَ بْن رُوَيْمٍ من العرباض بن سارية رضي الله عنه

(٢) أخرجه الترمذي(٢٦٧٦) بسندٍ جيد .

قَرْيَةٍ شَرْقِيِّ دِمَشْقَ فَالله أَعْلَمُ.[١]

مات ساجداً رضي الله عنه:

فقد قال أبو الزَّاهِرِيَّةِ: سَمِعْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، رضي الله عنه يَقُولُ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَخْنُقَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ كَمَا أَرَاكُمْ تُخْنَقُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ قُبِضَ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَأَتِ ابْنَتُهُ أَنَّ أَبَاهَا مَاتَ فَاسْتَيْقَظَتْ فَزِعَةً فَنَادَتْ أُمَّهَا أَيْنَ أَبِي؟ قَالَتْ فِي مُصَلَّاهُ. فَنَادَتْهُ فَلَمْ يُجِبْهَا فَأَتَتْهُ فَوَجَدْتُهُ سَاجِدًا فَحَرَّكَتْهُ فَوَقَعَ لِجَنْبِهِ مَيِّتًا.[٢]

وفي هذه السنة توفي الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ صَاحِبُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخعيّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ عَيْنُهُ مِنْ كَثْرَةِ الصَّوْمِ، وَقَدْ حَجَّ الْبَيْتَ ثَمَانِينَ حَجَّةً وَعُمْرَةً.

وقد أخرج أبو نعيم[٣] بسندٍ ضعيف عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، قَالَ: انْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ كَانَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ يَصُومُ حَتَّى يَخْضَرَّ جَسَدُهُ وَيَصْفَرَّ وَكَانَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ لَهُ: لِمَ تُعَذِّبُ هَذَا الْجَسَدَ؟

قَالَ: رَاحَةُ هَذَا الْجَسَدِ أُرِيدُ فَلَمَّا احْتُضِرَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ قَالَ: مَا لِي لَا أَجْزَعُ وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي وَالله لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُهُ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرُ فَيَعْفُو عَنْهُ فَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيِيًا مِنْهُ وَلَقَدْ حَجَّ الْأَسْوَدُ ثَمَانِينَ حَجَّةً.

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في«المثاني» (٢٦٢٨)ومن طريقه أبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٣٠) بسندٍ حسن. وله طريق آخر عند أبي نعيم في«الحلية»(٢/ ٣١) .

(٣) في«الحلية»(٢/ ١٠٣).

وممن توفي في هذه السنة حُمْرَانُ بْنُ أَبَانٍ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ كَانَ مِنْ سَبْيِ عين النمر اشتراه عثمان، وهو الذي كان يأذن النَّاس عَلَى عُثْمَانَ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.(١)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ

كان فِي أَوَّلِهَا فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ مِنْهَا لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ اجْتِمَاعُ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ أَمِيرِ الصُّفْرِيَّةِ، وَشَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ أَحَدِ شُجْعَانِ الْخَوَارِجِ، فَقَامَ فِيهِمْ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ فَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى الله وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ(٢)، وَأَنْ لَا يُقَاتِلُوا أَحَدًا حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُمْ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى دَوَابِّ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ نَائِبِ الْجَزِيرَةِ. فأخذوها فنفروا بها، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر لَيْلَةً، وَتَحَصَّنَ مِنْهُمْ أَهْلُ دَارَا وَنَصِيبِينَ وَسِنْجَارَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ عَلَيْهِمْ عَدِيُّ بْنُ عَدِيِّ بْنِ عُميرة، ثُمَّ زَادَهُ خَمْسَمِائَةٍ أُخْرَى فَسَارَ فِي ألف من حران إليهم، وكأنما يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وهم ينظرون، لما يعلموا مِنْ جَلَدِ الْخَوَارِجِ وَقُوَّتِهِمْ وَشِدَّةِ بأسهم، فَلَمَّا التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هَزِيمَةً شَنِيعَةً بَالِغَةً، وَاحْتَوَوْا عَلَى مَا فِي معسكرهم، وَرَجَعَ فَلّهم إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، فَغَضِبَ وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ جعونة، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وَقَالَ لَهُمَا: أَيُّكُمَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى النَّاسِ، فَسَارُوا إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَالْخَوَارِجُ فِي نَحْوٍ مِنْ مِائَةِ نَفْسٍ وَعَشَرَةِ أَنْفُسٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى آمِدَ تَوَجَّهَ صالح في شطر الناس إلى خالد بن الحر ووجه شبيباً في الباقي إلى الحارث بن جعونة، فاقتتل الناس قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ انكشف كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنِ الْآخَرِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْوَ

---

(١)«البداية والنهاية» (٩/ ١٦١).

(٢) يعنون الخروج على الحكام، فإنهم يسمونه جهاداً.

السَّبْعِينَ وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَرْوَانَ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ، وَهَرَبَتِ الْخَوَارِجُ فِي اللَّيْلِ فَخَرَجُوا مِنَ الْجَزِيرَةِ وَأَخَذُوا فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ وَمَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا الدَّسْكَرَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمِ الْحَجَّاجُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ، فَسَارَ نَحْوَهُمْ حَتَّى لَحِقَهُمْ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ... [1] والله أعلم بتفاصيل أيِّ ذلك كان.

وفي هذه السنة: وُلِدَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَهُوَ مَرْوَانُ الْحِمَارُ آخِرُ من تولى الخلافة من بني أمية، ومنه أخذها بنو العباس [2].

وَفِي هذه السنة: حَجَّ بِالنَّاسِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عفان نائب المدينة، وعلى إِمْرَةِ الْعِرَاقِ الْحَجَّاجُ وَعَلَى خُرَاسَانَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الله وَالله أَعْلَمُ.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ: أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ الْقُضَاعِيُّ اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلٍّ أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَزَا جَلُولَاءَ والقادسية وتستر، ونهاوند، وأذربيجان وغيرهما، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، وكان زَاهِدًا عَالِمًا يَصُومُ النَّهَارَ ويقوم الليل، توفي وعمره مائة وثلاثين سَنَةً بِالْكُوفَةِ.

وممن توفي في هذه السنة: صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ الْعَدَوِيُّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَوَرَعٍ وَعِبَادَةٍ وَزُهْدٍ، كُنْيَتُهُ أَبُو الصَّهْبَاءِ كَانَ يُصَلِّي حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ الْفِرَاشَ إِلَّا حَبْوًا، وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ جِدًّا:

---

(١) حكاه عنهم ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ١٦٢).

(٢) **قِيلَ لَهُ:** مَرْوَانُ الْحِمَارِ فَإِنَّهُ كَانَ لا يُخْفِ لَهُ لَبِدٌ فِي مُحَارَبَةِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ. كَانَ يَصِلُ السَّرَى بِالسَّيْرِ وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الْحَرْبِ. وَقِيلَ: سُمِّيَ بِالْحِمَارِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ مِائَةِ سَنَةٍ حِمَارًا، فَلَمَّا قَارَبَ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ مِائَةَ سَنَةٍ لَقَّبُوا مَرْوَانَ بِالْحِمَارِ لِذَلِكَ، وَأَخَذُوهُ مِنْ قَوْلِهِ تعالى فِي مَوْتِ حمار العزير. {وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ}. ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٧٣٢).

مِنْهَا : ما رواه ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ قَالَ: كَانَ صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ يَخْرُجُ إِلَى الْجَبَّانَةِ فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا فَكَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِ شُبَّانٌ يَلْهَوْنَ وَيَلْعَبُونَ قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي عَنْ قَوْمٍ أَرَادُوا سَفَرًا فَحَادَوْا النَّهَارَ عَنِ الطَّرِيقِ وَبَاتُوا بِاللَّيْلِ مَتَى يَقْطَعُونَ سَفَرَهُمْ؟

قَالَ: فَكَانَ كَذَلِكَ يَمُرُّ بِهِمْ فَيَعِظُهُمْ قَالَ: فَمَرَّ بِهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، فَقَالَ شَابٌّ مِنْهُمْ: يَا قَوْمُ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَعْنِي بِهَذَا غَيْرَنَا نَحْنُ بِالنَّهَارِ نَلْهُو وَبِاللَّيْلِ نَنَامُ، ثُمَّ اتَّبَعَ صِلَةَ فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِفُ مَعَهُ إِلَى الْجَبَّانَةِ وَيَتَعَبَّدُ مَعَهُ حَتَّى مَاتَ.(١)

وعَنْ ثَابِتٍ، أَنَّ صِلَةَ بْنَ أَشْيَمَ، وَأَصْحَابَهُ أَبْصَرُوا رَجُلًا قَدْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فَأَرَادَ أَصْحَابُهُ أَنْ يَأْخُذُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَقَالَ صِلَةُ: « دَعُونِي أَكْفِيكُمُوهُ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا عَمِّ؟ قَالَ: تَرْفَعُ إِزَارَكَ قَالَ: نَعَمْ وَنُعْمَةُ عَيْنٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَذَا كَانَ أَمْثَلَ، لَوْ أَخَذْتُمُوهُ قَالَ: لَا أَفْعَلُ وَفَعَلَ».(٢)

واشتهر ما أخرجه الحسين المروزي(٣) بسندٍ لا يصح عن جَعْفَرِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي غَزْوَةٍ إِلَى كَابُلَ، وَفِي الْجَيْشِ صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ، قَالَ: فَنَزَلَ النَّاسُ عِنْدَ الْعَتَمَةِ، فَقُلْتُ: لَأَرْمُقَنَّ عَمَلَهُ؛ فَأَنْظُرَ مَا يَذْكُرُ النَّاسُ مِنْ عِبَادَتِهِ، فَصَلَّى الْعَتَمَةَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَالْتَمَسَ غَفْلَةَ النَّاسِ حَتَّى إِذَا قُلْتُ: قَدْ هَدَأَتِ الْعُيُونُ وَثَبَ، فَدَخَلَ غَيْضَةً قَرِيبًا مِنَّا، وَدَخَلْتُ فِي إِثْرِهِ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: وَجَاءَ أَسَدٌ حَتَّى دَنَا مِنْهُ فَصَعِدْتُ فِي شَجَرَةٍ، أَفَتَرَاهُ عَذَّبَهُ حَرِدًا حَتَى سَجَدَ؟ فَقُلْتُ: الْآنَ يَفْتَرِسُهُ، فَلَا شَيْءَ، فَجَلَسَ، ثُمَّ سَلَّمَ، وَقَالَ: أَيُّهَا السَّبُعُ، اطْلُبِ الرِّزْقَ مِنْ مَكَانٍ

---

(١) أخرجه عبد الله في«زوائد الزهد»(١١٥٨) والبيهقي في«الزهد»(٧٧٣) وأبو نعيم في« الحلية» (٢/ ٢٣٨) بسند ثابت .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في«التواضع والخمول»(٢٤٢) بسندٍ ثابت .

(٣)في«زوائد الزهد»(٨٦٣) وأبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٢٤٠) .

آخَرَ، فَوَلَّى وَإِنَّ لَهُ لَزَئِيرًا، أَقُولُ: تَصَدَّعُ الْجِبَالُ مِنْهُ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ يُصَلِّي، حَتَّى لَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ، جَلَسَ، فَحَمِدَ اللهَ بِمَحَامِدَ لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهَا إِلَّا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ، أَوَ مِثْلِي يَجْتَرِئُ أَنْ يَسْأَلَكَ الْجَنَّةَ؟ ثُمَّ رَجَعَ فَأَصْبَحَ كَأَنَّهُ بَاتَ عَلَى الْحَشَايَا، وَأَصْبَحْتُ وَبِي مِنَ الْفَتْرَةِ شَيْءٌ، اللهُ بِهِ أَعْلَمُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ، قَالَ الْأَمِيرُ: لَا يَشُذَّنَّ أَحَدٌ مِنَ الْعَسْكَرِ، فَذَهَبَتْ بَغْلَتُهُ بِثِقَلِهَا فَأَخَذَ يُصَلِّي، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَهَبُوا ، فَمَضَى، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: دَعُونِي أُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَهَبُوا، قَالَ: إِنَّهُمَا خَفِيفَتَانِ، فَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ بَغْلَتِي وَثِقَلَهَا، فَجَاءَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا لَقِينَا الْعَدُوَّ، حَمَلَ هُوَ وَهِشَامُ بْنُ عَامِرٍ، فَصَنَعْنَا بِهِمْ صَنِيعًا ضَرْبًا، وَقَتْلًا، فَكَسَرَا ذَلِكَ الْعَدُوَّ، وَقَالُوا: رَجُلَانِ مِنَ الْعَرَبِ صَنَعَا بِنَا هَذَا، فَكَيْفَ لَوْ قَاتَلُونَا؟ فَأَعْطُوا الْمُسْلِمِينَ حَاجَتَهُمْ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ - وَكَانَ يُجَالِسُهُ - أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَأُخْبِرَ خَبَرَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «كَلَّا، وَلَكِنَّهُ الْتَمَسَ هَذِهِ الْآيَةَ {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاة الله وَالله رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} »

وأخرج ابن سعد بسندٍ صحيح عن ثابت أَنَّ صِلَةَ بْنَ أَشْيَمَ كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ تَقَدَّمْ فَقَاتِلْ حَتَّى أَحْتَسِبَكَ. فَحَمَلَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ. فَاجْتَمَعَتِ النِّسَاءُ عِنْدَ امْرَأَتِهِ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ فَقَالَتْ: مَرْحَبًا بِكُنَّ إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ تُهَنِّئْنَنِي. وَإِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَارْجِعْنَ. (١)

قَالُوا: وَكَانَ صِلَةُ قُتِلَ شَهِيدًا فِي بَعْضِ الْمَغَازِي فِي أَوَّلِ إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ عَلَى الْعِرَاقِ.

---

(١) أخرجه أحمد في«الزهد»(١١٥٥) وابن سعد في«طبقاته الكبرى»(٧/ ٩٩) وأبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٢٣٩) .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ

فِيهَا من الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَت أن الْحَجَّاجَ أَخْرَجَ مُقَاتِلَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَانْضَافَ عَلَيْهِمْ عَشَرَةُ آلَافٍ، فَصَارُوا خَمْسِينَ أَلْفًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْصِدَ لِشَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ أَيْنَ كَانَ[1]، وَأَنْ يُصَمِّمَ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَنْ مَعَهُ، وَكَانُوا قَدْ تَجَمَّعُوا أَلْفَ رَجُلٍ، وَأَنْ لَا يَفْعَلُوا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ قَبْلَهَا مِنَ الْفِرَارِ وَالْهَزِيمَةِ.

وَلَمَّا بَلَغَ شَبِيبًا مَا بَعَثَ بِهِ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْجُنُودِ، لَمْ يَعْبَأْ بِهِمْ شَيْئًا، بَلْ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ خَطِيبًا، فَوَعَظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَمُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ...[2]

وثم صولات وجولات في خلافة عبد الملك بينه وبين الخوارج، وما أعلم لها أسانيد فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال ابن كثير[1]: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَفَاةُ شبيب بن يزيد ..، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِثْلَهُ، وَمِثْلَ الْأَشْتَرِ وَابْنِهُ

---

(١) شبيب بن يزيد هوالخارجي أبو الضحاك بن يزيد بن نعيم الشيباني، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان بالموصل فبعث إليه الحجاج من العراق خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد ثم خرج يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريدها أيضا فدخلها قبله سنة ٧٧ وتحصن في قصر الإمارة ودخل شبيب وزوجته غزالة عند الصباح وكانت نذرت إن دخلت الكوفة أن تخطب على منبرها وتصلي ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران ففعلت وكانت تقاتل في الحروب بنفسها وقد هرب الحجاج في بعض الوقائع مع شبيب من غزالة فَعَيّره بعض الناس وكانت أشجع امرأة نفخ الله فيها الروح ترجمته في«سير أعلام النبلاء»(٤/ ١٤٦)

(٢) «البداية والنهاية»(٩/ ١٦٧).

إِبْرَاهِيمَ ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ومن يُنَاطُ بِهَؤُلَاءِ فِي الشَّجَاعَةِ مِثْلَ قَطَرِيِّ بْنِ الفجاءة من الأزارقة والله أعلم.

وَفِيهَا تُوُفِّيَ مِنَ الْأَعْيَانِ: كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيُّ، كَانَ كَبِيرًا مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ، وَلَهُ بِالْمَدِينَةِ دَارٌ كَبِيرَةٌ بِالْمُصَلَّى، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ كَاتِبَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الرَّسَائِلِ، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ.

وفيها توفي من الأعيان: مُحَمَّدُ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِّ كَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَلَّاهُ سِجِسْتَانَ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا قِيلَ لَهُ إِنَّ شَبِيبًا فِي طَرِيقِكَ وَقَدْ أَعْيَا النَّاسَ فَاعْدِلْ إِلَيْهِ لَعَلَّكَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَيَكُونَ ذِكْرُ ذَلِكَ وَشُهْرَتُهُ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ، فَلَمَّا سَارَ لَقِيَهُ شَبِيبٌ فَاقْتَتَلَ مَعَهُ فَقَتَلَهُ شبيب.

ثُمَّ دَخَلَتْ سنة ثمان وسبعين

فَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الرُّومِ افتتحوا إِرْقِلِيَّةَ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَصَابَهُمْ مَطَرٌ عَظِيمٌ وَثَلْجٌ وَبَرَدٌ، فَأُصِيبَ بِسَبَبِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وَفِيهَا: وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ غَزْوَ بِلَادِ المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل عَلَى مُقَدِّمَتِهِ طَارِقًا فَقَتَلُوا مُلُوكَ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَبَعْضُهُمْ قَطَعُوا أَنْفَهُ وَنَفَوْهُ. .على ما قال ابن كثير رحمه الله .فالله أعلم .

وقدذكر خليفةُ بنُ خَياط[٢] أن فيها قدم المهلب بن أبي صفرة على الحجاج وقد نفى الأزارقة، فبعث الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي، فقتل قطري بن الفجاءة.

وفيها ولى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان، وولى المهلب خراسان.

---

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٧١).

(٢) في«تاريخه» ص ١٧٣.

وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ: جَابِرُ بْنُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَبُو عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيُّ السُّلَمِيَّ، صَاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ وله رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ وَأَرَادَ أَنْ يَشْهَدَ بدراً فمنعه أبوه وخلَّفه على إخوانه وأخواته، وَكَانُوا تِسْعَةً، وَقِيلَ إِنَّهُ ذَهَبَ بَصَرُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.

تُوُفِّيَ جَابِرٌ بِالْمَدِينَةِ وَعُمْرُهُ أَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ سنة، وأسند إليه ألف وخمسمائة وأربعين حديثاً. .[1]

وفيها توفي شريح بن هاني الحارثي، وزيد بن خالد الجهني، وعمرو بن حريث رضي الله عنهم .كما قال خليفة بن خياط.[2]

ابن قَيْسٍ أَبُو أُمَيَّةَ الْكِنْدِيُّ، وَهُوَ قَاضِي الْكُوفَةِ، وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ لِعُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَلِيٌّ، ثُمَّ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةُ ثُمَّ اسْتَقَلَّ فِي الْقَضَاءِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وأخرج ابن سعد وغيره بسندٍ صحيح[3] عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ شُرَيْحًا كَانَ إِذَا خَرَجَ لِلْقَضَاءِ قَالَ: سَيَعْلَمُ الظَّالِمُ حَظَّ مَنْ نَقَصَ. إِنَّ الظَّالِمَ يَنْتَظِرُ الْعِقَابَ وَالْمَظْلُومَ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ.

وأخرج [4]بسندٍ صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ رَجُلا اسْتَعْدَى عَلَى رَجُلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شُرَيْحٍ نَسَبٌ فَأَمَرَ بِهِ شُرَيْحٌ فَحُبِسَ إِلَى سَارِيَةٍ. فلما قام شريح ذهب بكلمة فَأَعْرَضَ عَنْهُ شُرَيْحٌ فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَحْبِسْكَ إِنَّمَا حَبَسَكَ الْحَقُّ.

---

(١) وقد بينت هذا في كتابي«صحيح السيرة النبوية» وقد أفردته بالكلام في مباحث خاصة.

(٢) في«تاريخه »ص ١٧٤ .

(٣)في«طبقاته»(٦/ ١٨٥) وهو عند ابن أبي سيبة(٤/ ٥٤٢) بسندٍ صحيح.

(٤)المصدر السابق.

وعدله في القضاء وورعه مشهور.

وَقِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ قَاضِيًا نَحْوَ سَبْعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ إِنَّهُ اسْتُعْفِيَ مِنَ الْقَضَاءِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ فالله أَعْلَمُ. وَأَصْلُهُ مِنْ أَوْلَادِ الْفَرَسِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْيَمَنِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، توفى بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين.[١]

وأخرج أبو نعيم [٢] بسندٍ حسن عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: اشْتَكَى شُرَيْحٌ رِجْلَهُ فَطَلَاهَا بِالْعَسَلِ وَجَلَسَ فِي الشَّمْسِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُوَّادُهُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: «صَالِحٌ»، فَقَالُوا: أَلَا أَرَيْتَهَا الطَّبِيبَ، فَقَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ». فَقَالُوا: مَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: « وَعَدَ خَيْرًا».

أخرج ابن سعد في طبقاته[٣] بسندٍ صحيح عَنْ مَيْمُونٍ قَالَ: لَبِثَ شُرَيْحٌ فِي الْفِتْنَةِ تِسْعَ سِنِينَ لا يُخْبِرُ وَلا يَسْتَخْبِرُ. فَقِيلَ لَهُ: قَدْ سَلِمْتَ. قَالَ: فكيف بالهوى.

وقد رواه أبو نعيم [٤] من طريق شقيق بن سلمة ، قَالَ: قَالَ شُرَيْحٌ فِي الْفِتْنَةِ: « مَا اسْتُخْبِرْتُ وَلَا أُخْبِرْتُ، وَلَا ظَلَمْتُ مُسْلِمًا وَلَا مُعَاهَدًا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَوْ كُنْتُ عَلَى حَالِكَ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ مُتُّ. قَالَ: فَأَوْمَأَ إِلَى قَلْبِهِ فَقَالَ: كَيْفَ بِهَذَا؟

وفي رواية[٥]: «كيف بما في صدري تلتقي الفتيتان وإحداهما أحب إلى من الأخرى.

---

(١) كما قال ابن كثير في«البداية والنهاية»

(٢) في«الحلية»(٤/ ١٣٢) وسنده حسن.

(٣) «طبقاته الكبرى»(٦/ ١٩٠)

(٤) في«الحلية» (٤/ ١٣٣)

(٥) كما في«تاريخ ابن عساكر»

وقال الْأَعْمَش[١]: مَرَّ شُرَيْحٌ بِقَوْمٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، فَقَالَ: « مَالَكُمْ؟ قَالُوا: فَرَغْنَا يَا أَبَا أُمَامَةَ. قَالَ: مَا بِهَذَا أُمِرَ الْفَارِغُ.

وعن الْعَلَاءِ بْن جَرِيرٍ الْعَنْبَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمٌ أَبُو عَبْدِ الله، قَالَ: «شَهِدْتُ شُرَيْحًا وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَائِطِ. فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. فَقَالَ: بَعِيدٌ سَحِيقٌ. قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً. قَالَ: بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ. قَالَ: إِنِّي اشْتَرَطْتُ لَهَا دَارَهَا. قَالَ: الشَّرْطُ أَمْلَكُ. قَالَ: اقْضِ بَيْنَنَا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ».

عَنْ شُرَيْحٍ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ:«بِمُقَاوَمَةِ الْعُلَمَاءِ، آخُذُ مِنْهُمْ وَأُعْطِيهِمْ».[٢]

وروى عثمان بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ محمد بن سالم عن إِبْرَاهِيم بْن يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إسحاق عَنْ هُبَيْرَةَ، سَمِعَ عَلِيًّا، رضي الله عنه يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، يَأْتُونِي فُقَهَاؤُكُمْ يَسْأَلُونِي وَأَسْأَلُهُمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْنَا إِلَيْهِ حَتَّى امْتَلَأَتِ الرَّحَبَةُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُمْ مَا كَذَا مَا كَذَا، وَيَسْأَلُونَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَذَا، فَيخْبِرُهُمْ، حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَتَصَدَّعُوا غَيْرَ شُرَيْحٍ جَاثٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ لَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَسْأَلُهُ شُرَيْحٌ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُ بِهِ، فَسَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: قُمْ يَا شُرَيْحُ، فَأَنْتَ أَقْضَى الْعَرَبِ .[٣]

وفي هذه السنة توفي: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقِيلَ:

---

(١) فيما رواه أبو نعيم في«الحلية»(٤/ ١٣٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في«الحلية» (٤/ ١٣٤) وفي إسناده رجل مبهم.

(٣) أخرجه أبو نعيم في«الحلية».

إِنَّ لَهُ صُحْبَةٌ وَقَدْ بَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ لِيُفَقِّهَ أَهْلَهَا فِي الدِّينِ وكان من العباد الصالحين.

وفي هذه السنة: جنادة بن أُمَيَّةَ الْأَزْدِيُّ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى غَزْوِ الْبَحْرِ لِمُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْخَيْرِ، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

وفيها توفي الْعَلَاءُ بن زياد البصري

كان من العباد الصالحين مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَوْفِ وَالْوَرَعِ، وَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي بَيْتِهِ وَلَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ، لَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى عَمِيَ، وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ فِي هذه السنة.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ

فِيهَا وَقَعَ طَاعُونٌ عَظِيمٌ بِالشَّامِ حَتَّى كَادُوا يَفْنُونَ مَنْ شِدَّتِهُ، وَلَمْ يَغْزُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لِضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، وَوَصَلَتِ الرُّومُ فِيهَا أَنْطَاكِيَّةَ فَأَصَابُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا لِعِلْمِهِمْ بِضَعْفِ الْجُنُودِ وَالْمُقَاتِلَةِ.

وَفِيهَا غَزَا عُبَيْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرَةَ رُتْبِيلَ مَلِكَ التُّرْكِ حَتَّى أَوْغَلَ فِي بِلَادِهِ، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

وَفِيهَا قَتَلَ عَبْدُ الملك بن مروان الحارث بن سعيد المتنبي الْكَذَّابَ وَيُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ الدِّمَشْقِيُّ، مَوْلَى أَبِي الْجُلَاسِ الْعَبْدَرِيِّ، وَيُقَالُ مَوْلَى الْحَكَمِ بْنِ مروان، كان أصله من الجولة فَنَزَلَ دِمَشْقَ وَتَعَبَّدَ بِهَا وَتَنَسَّكَ وَتَزَهَّدَ ثُمَّ مكربه ورجع القهقرى على عقبيه، وَانْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللهَّ تَعَالَى، وَفَارَقَ حِزْبَ الله المفلحين، واتبع الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْطَانُ يزج فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْسَرَهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، وَأَخْزَاهُ وأشقاه.

فإنا لله وَحَسْبُنَا الله وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

أخرج ابن عساكر [١] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: كَانَ الْحَارِثُ الْكَذَّابُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ، وَكَانَ مولى لأبي الجلاس، وكان له أب بالحولة، فَعَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَعَبِّدًا زَاهِدًا لو لبس جبة من ذهب لرؤيت عليه الزهادة والعبادة، وكان إذا أخذ بالتحميد لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ مِثْلَ تَحْمِيدِهِ وَلَا أَحْسَنَ من كلامه، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة: يَا أَبَتَاهُ أَعْجِلْ عليَّ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَشْيَاءَ أَتَخَوَّفُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ قَدْ عَرَضَ لِي، قَالَ فَزَادَهُ أَبُوهُ غيًّا عَلَى غَيِّهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ أَقْبِلْ عَلَى ما أمرت بِهِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى ما تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] وَلَسْتَ بِأَفَّاكٍ وَلَا أَثِيمٍ، فَامْضِ لِمَا أمرت به، وكان يجيء إِلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ رَجُلًا رَجُلًا فَيُذَاكِرُهُمْ أَمْرَهُ وَيَأْخُذُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ إِنْ هُوَ يَرَى ما يرضى وَإِلَّا كَتَمَ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَكَانَ يُرِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ.

كَانَ يَأْتِي إِلَى رُخَامَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَيَنْقُرُهَا بِيَدِهِ فَتُسَبِّحُ تَسْبِيحًا بَلِيغًا حَتَّى يَضِجَّ مِنْ ذَلِكَ الْحَاضِرُونَ.

قُلْتُ: وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْعَلَّامَةَ أبا العبَّاس بن تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: كَانَ يَنْقُرُ هَذِهِ الرُّخَامَةَ الْحَمْرَاءَ الَّتِي فِي الْمَقْصُورَةِ فَتُسَبِّحُ، وَكَانَ زنديقاً.

قال ابن أبي خيثمة [٢] أنبأنا عبدا لوهاب بن نجدة الحوطي نبأنا محمد بن مبارك نبأنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال وَكَانَ الْحَارِثُ يُطْعِمُهُمْ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: اخرجوا أُرِيكُمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَخْرُجُ بِهِمْ إِلَى دَيْرِ الْمُرَّانِ فيريهم رجلا على خيل فيتبعه عَلَى ذَلِكَ بَشْرٌ

(١) في «تاريخه» (١١/ ٤٢٨).

(٢) كما قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٤٢٨) ومابرز من الإسناد هكذا حسن.

كَثِيرٌ، وَفَشَا أَمَرُهُ فِي الْمَسْجِدِ وَكَثُرَ أَصْحَابُهُ وَأَتْبَاعُهُ، حَتَّى وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيْمِرَةَ، قَالَ فَعَرَضَ عليَّ القاسم أمره وأخذ عليه العهد إِنْ هُوَ رَضِيَ أَمْرًا قَبِلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ كتم عَلَيْهِ، قَالَ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي نَبِيٌّ، فَقَالَ الْقَاسِمُ: كَذَبْتَ يَا عدوَ الله، مَا أَنْتَ نَبِيٌّ ، وَفِي رِوَايَةٍ وَلَكِنَّكَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ الدَّجَّالِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله**»[1] وأنت أحدهم ولا عهد لك.

ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ إِلَى أَبِي إِدْرِيسَ- وَكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ بِدِمَشْقَ- فَأَعْلَمَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْحَارِثِ فَقَالَ أَبُو إِدْرِيسَ نَعْرِفُهُ، ثُمَّ أَعْلَمَ أَبُو إِدْرِيسَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِذَلِكَ، وَفِي رِوَايَةٍ أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن زائدة دَخَلَا عَلَى الْحَارِثِ فَدَعَاهُمَا إِلَى نُبُوَّتِهِ فَكَذَّبَاهُ وَرَدَّا عَلَيْهِ مَا قَالَ، وَدَخَلَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَعْلَمَاهُ بِأَمْرِهِ، فَتَطَلَّبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ طَلَبًا حثيثاً، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت الْمَقْدِسِ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ سِرًّا وَاهْتَمَّ عَبْدُ الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية مِمَّنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْحَارِثِ وَهُوَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَعْلَمَهُ بِأَمْرِهِ وَأَيْنَ هُوَ، وَسَأَلَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْجُنْدِ الْأَتْرَاكِ لِيَحْتَاطَ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ طَائِفَةً وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِ الْقُدْسِ لِيَكُونَ فِي طَاعَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَيَفْعَلَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ، فلمَّا وصل الرجل إلى النصرية ببيت الْمَقْدِسِ بِمَنْ مَعَهُ انْتَدَبَ نَائِبَ الْقُدْسِ لِخِدْمَتِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْمَعَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الشموع ويجعل مع كل رجل شمعته، فَإِذَا أَمَرَهُمْ بِإِشْعَالِهَا فِي اللَّيْلِ أَشْعَلُوهَا كُلُّهُمْ فِي سَائِرِ الطُّرُقِ وَالْأَزِقَّةِ حَتَّى لَا يَخْفَى أَمْرُهُ، وَذَهَبَ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ فَدَخَلَ الدَّارَ الَّتِي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن عَلَى نَبِيِّ الله، فَقَالَ: فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لا يؤذن عليه حتى يصبح، فصاح النصري سرجوا، فأشعل النَّاسُ شُمُوعَهُمْ حَتَّى صَارَ اللَّيْلُ كَأَنَّهُ النَّهَارُ، وهمَّ النصري عَلَى الْحَارِثِ فَاخْتَفَى مِنْهُ فِي

(١) أخرجه البخاري(٣٦٠٨).

سِرْبٍ هُنَاكَ فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إِلَى نَبِيِّ الله، إِنَّه قَدْ رُفِعَ إِلَى السماء، قال فأدخل النصري يَدَهُ فِي ذَلِكَ السِّرْبِ فَإِذَا بِثَوْبِهِ فَاجْتَرَّهُ فأخرجه، ثم قال للفرعانين من أتراك الخليفة قال: فأخذوه فَقَيَّدُوهُ، فَيُقَالُ: إِنَّ الْقُيُودَ وَالْجَامِعَةَ سَقَطَتْ مِنْ عنقه مراراً ويعيدونها، وجعل يقول: «قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فيما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ)[سبأ: ٥٠] وَقَالَ لِأُولَئِكَ الْأَتْرَاكِ (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله) [المؤمن: ٢٨] ؟

فَقَالُوا لَهُ بِلِسَانِهِمْ وَلُغَتِهِمْ: هَذَا كُرَانُنَا فَهَاتِ كُرَانَكَ، أَيْ هَذَا قُرْآنُنَا فَهَاتِ قُرْآنَكَ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ بِصَلْبِهِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَمَرَ رَجُلًا فَطَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ فَانْثَنَتْ فِي ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَيْحَكَ أَذَكَرْتَ اسْمَ الله حِينَ طَعَنْتَهُ ؟

فَقَالَ: نَسِيتُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ سَمِّ الله ثُمَّ اطْعَنْهُ، قَالَ فَذَكَرَ اسْمَ الله ثُمَّ طَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَبَسَهُ قَبْلَ صلبه وأمر رجالاً من أهل الفقه والعلم أَنْ يَعِظُوهُ وَيُعْلِمُوهُ أَنَّ هَذَا الَّذِي بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ فَصَلَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْعَدْلِ وَالدِّينِ.

وأخرجه اللالكائي[1] بسنده عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ نَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ اللَّجْلَاجِ، يَقُولُ لِغَيْلَانَ: وَيْحَكَ يَا غَيْلَانُ أَلَمْ يَأْخُذْكَ فِي شَبِيبَتِكَ تَرَامِي النِّسَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِالتُّفَاحِ، ثُمَّ صِرْتَ حَارِثِيًّا تَحْجُبُ امْرَأَةً وَتَزْعُمُ أَنَّهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَحَوَّلْتَ مِنْ ذَلِكَ فَصِرْتَ قَدَرِيًّا زِنْدِيقًا.

وفي هذه السنة : قُتِلَ قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ التَّمِيمِيُّ أَبُو نَعَامَةَ الْخَارِجِيُّ، وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشَاهِيرِ، وَيُقَالُ إِنَّهُ مَكَثَ عِشْرِينَ سَنَةً يُسَلِّمُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ

(١) في«شرح أصول السنة»(١٣٢٩) وابن عساكر .

جَرَتْ لَهُ خُطُوبٌ وَحُرُوبٌ مَعَ جَيْشِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ جِهَةِ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا مِنْهَا طَرَفًا صَالِحًا فِي أَمَاكِنِهِ، وَكَانَ خُرُوجُهُ فِي زَمَنِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبير، وَتَغَلَّبَ عَلَى قلاعٍ كَثِيرَةٍ وَأَقَالِيمَ وَغَيْرِهَا، وَوَقَائِعُهُ مَشْهُورَةٌ وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ جُيُوشًا كبيرة فَهَزَمَهَا.[1]

وتوفي في هذه السنة: تُوُفِّيَ عُبَيْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرَةَ رَحِمَهُ الله وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ الَّذِي دَخَلَ بِلَادَ التُّرْكِ وَقَاتَلُوا رُتْبِيلَ مَلِكَ التُّرْكِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ جَيْشِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ.

وقد ذكر خليفة بن خياط[2] أن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود توفي فيها.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّة

ففيها كان السيل الجحاف بمكة لانه جحف على كل شئ فذهب به، وحمل الحجاج من بطن مكةٍ الجمال بِمَا عَلَيْهَا، وَالرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْهُ، وَبَلَغَ الْمَاءُ إِلَى الْحَجُونِ، وَغَرِقَ خلقٌ كَثِيرٌ، وَقِيلَ إِنَّهُ ارْتَفَعَ حتَّى كَادَ أَنْ يُغَطِّيَ الْبَيْتَ وَالله أَعْلَمُ.

وممَّن توفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ أَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ أَبُو زَيْدِ بْنُ أَسْلَمَ أَصْلُهُ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ اشْتَرَاهُ عُمَرُ بِمَكَّةَ لَمَّا حَجَّ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَتُوُفِّيَ وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَرَوَى عَنْ عُمَرَ عِدَّةَ أَحَادِيثَ، وَرَوَى عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ

أَيْضًا وَلَهُ مَنَاقِبُ كثيرة رحمه الله.

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٧٧)

(٢) في«تاريخه» ص١٧٥.

وفيها توفي جبير بن نفير بن مَالِكٍ الْحَضْرَمِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّام وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ تُوُفِّيَ بِالشَّامِ وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَقِيلَ أَكْثَرُ وَقِيلَ أَقَلُّ.

وفيها توفي عَبْدُ الله بنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبيّ ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفَاةً ، سَكَنَ الْمَدِينَةَ، وَلَمَّا اسْتُشْهِدَ أَبُوهُ جَعْفَرٌ بِمُؤْتَةَ أَتَى النَّبيّ ﷺ إِلَى أُمِّهِمْ.

فأخرج مسلم[1] عن جَابِرَ بْن عَبْدِ الله، قال: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «**مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ**» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ:«**ارْقِيهِمْ**» قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**ارْقِيهِمْ**».

وَقَدْ بَايَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَبْدَ الله بْنَ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ وَعُمْرُهُمَا سَبْعُ سِنِينَ، وَهَذَا لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِمَا، وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ، يُعْطِي الْجَزِيلَ الْكَثِيرَ وَيَسْتَقِلُّهُ.[2]

وفيها توفي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ واسْمُهُ عَائِذُ الله بْنُ عَبْدِ الله، لَهُ أَحْوَالٌ وَمَنَاقِبُ، كَانَ يَقُولُ: قَلْبٌ نَقِيٌّ فِي ثِيَابٍ دَنِسَةٍ خَيْرٌ مِنْ قَلْبٍ دَنِسٍ فِي ثِيَابٍ نَقِيَّةٍ، وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا تَرْجَمَتَهُ فِي كِتَابِنَا التَّكْمِيلِ.

وفيها توفي مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ الْقَدَرِيُّ أول قائل على الله بالقدر قبَّحها الله من بدعة فكانت قيلة، وضل بسببها أقوام.

---

(١) برقم (٢١٩٨).

(٢) «البداية والنهاية»(٩/ ١٨١).

فأخرج مسلم[١] عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

وكان إذا عوتب في مقولته تلك، أو رأى أهل العلم من أهل السنة يُظهِرْ خلاف مَقولته تلك ويكذب كعادة أهل البدع قديماً وحديثاً.

وَأخرج الفريابي بسندٍ صحيح عَنْ أبي الزُّبيرِ أَنَّهُ كانَ مَعَ طاووسٍ يطوفُ بالبيتِ فمرَّ بمعبدٍ الجُهَنِيِّ، فقالَ قائلٌ لطاووسٍ: هذا مَعْبَدٌ الجهنيُّ، فعدلَ إليهِ فقالَ: أنتَ المفتري على اللهِ، القائلُ ما لا يعلمُ قال؟! قالَ: إنه يكذبُ عليّ.[٢]

وأخرج اللالكائي[٣] بسندٍ ثابت عن عَمْرِو بن دينار قَالَ: بَيْنَا طَاوُوسٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَقِيَهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَقَالَ لَهُ طَاوُوسٌ:أَنْتَ مَعْبَدٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ طَاوُسٌ فَقَالَ: هَذَا مَعْبَدٌ فَأَهِينُوهُ .

---

(١) برقم (٨).

(٢) صحيح أخرجه الفريابي فى«القدر» (٢٦٢).

(٣) في«شرح أصول الاعتقاد» (١١٤١) وأخرجه ابن عساكر في«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٣٢٣).

فأخرج الآجري[١] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: قَالَ لَنَا طَاوُسٌ: أَخِّرُوا مَعْبَدًا الْجُهَنِيَّ فَإِنَّهُ كَانَ قَدَرِيًّا.

وأخرج اللالكائي[٢] بسندٍ فيه ضعف عن الحسن البصري أنه كان ينهى عَنْ مُجَالَسَةِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ وَيَقُولُ: لَا تُجَالِسُوهُ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ.

وروى يعقوب بن شيبة[٣] بسندٍ منقطع عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: اجْتَمَعَتِ الْقُرَّاءُ إِلَى مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ مَوْضِعَ الْحَكَمَيْنِ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ طَالَ أَمْرُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَلَوْ لَقِيتَهُمَا فَسَأَلْتَهُمَا عَنْ بَعْضِ أَمْرِهِمَا، فَقَالَ: لا تُعَرِّضُونِي لِأَمْرٍ أَنَا لَهُ كَارِهٌ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ كَهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ أُقْفِلَتْ بِأَقْفَالِ الحديد، وأنا صائر إِلَى مَا سَأَلْتُمْ، قَالَ مَعْبَدٌ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: صحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فكنت من صَالِحِي أَصْحَابِهِ، وَاسْتَعْمَلَكَ، وَقُبِضَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَقَدْ وُلِّيتَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَانْظُرْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، فَقَالَ: يَا مَعْبَدُ غَدًا نَدْعُو النَّاسَ إِلَى رَجُلٍ لا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَزَلَ صَاحِبَهُ، فَطَمِعْتُ فِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ بَغْلَتَهُ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ، فَأَخَذْتُ بعنانه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، إِنَّكَ قَدْ صحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَكُنْتُ مِنْ صَالِحِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: بِحَمْدِ الله .

قُلْتُ: وَاسْتَعْمَلَكَ، وَقُبِضَ رَاضِيًا عَنْكَ.

---

(١) في«الشريعة»(٥٤٨) وعبد الله في «السنة» (٨٤٧) واللالكائي في«شرح أصول الإعتقاد» (١٢٧٣).

(٢) برقم(١١٤٢) والفريابي(٣٤٥) وعبد الله بن أحمد في«السنة»(٨٤٩) والآجري في«الشريعة» (٥٥٨).

(٣) كما قال الذهبي في« تاريخ الإسلام» (٢/ ١٠٠٦).

قَالَ: بِمَنٍّ الله. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ شَزَرًا، فَقُلْتُ: قَدْ وُلِّيتَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَانْظُرْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، فَنَزَعَ عَنَانَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: إِيهًا تَيْسَ جُهَيْنَةَ، مَا أَنْتَ وَهَذَا؟ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ السِّرِّ وَلا الْعَلانِيَةِ، وَالله مَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ وَلا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ[1]، فاسكت فإنّ الظّلف لا يجري مع الخفّ. فَأَنْشَأَ مَعْبَدُ يَقُولُ:

إِنِّي لَقِيتُ أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرَنِي ... بِمَا أَرَدْتُ وَعَمْرُو ضَنَّ بِالْخَبَرِ

شَتَّانَ بَيْنَ أَبِي مُوسَى وَصَاحِبِهِ ... عَمْرٍو لَعَمْرِكَ عِنْدَ الْفَضْلِ وَالْخَطَرِ

هَذَا لَهُ غَفْلَةٌ أَبْدَتْ سَرِيرَتَهُ ... وَذَاكَ ذُو حَذَرٍ كَالْحَيَّةِ الذَّكَرِ.

وقد ذكر خليفة بن خياط[2] أن في هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد، فلم يكن لهم ذلك العام غزو.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ

وَفِيهَا أَوَّلُ فِتْنَةِ ابْنِ الأَشْعَثِ: وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ شَدِيدُ الْبُغْضِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ الْكِنْدِيِّ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ إِلا أَرَدْتُ قَتْلَهُ .

ثُمَّ إِنَّهُ أَبْعَدَهُ عَنْهُ وَأَمَّرَهُ عَلَى سِجِسْتَانَ فِي هَذَا الْعَامِ بَعْدَ مَوْتِ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، فَسَارَ إِلَيْهَا فَفَتَحَ فُتُوحًا، وَسَارَ يَنْهَبُ بِلادَ رُتْبِيلَ وَيَأْسُرُ وَيُخَرِّبُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ مَعَ هَذَا كُتُبًا يَأْمُرُهُ بِالْوُغُولِ فِي تِلْكَ الْبِلادِ وَيُضْعِفُ هِمَّتَهُ وَيُعَجِّزُهُ، فَغَضِبَ ابْنُ الأَشْعَثِ وَخَطَبَ النَّاسَ، وَكَانَ مَعَهُ رُءُوسُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَكُمْ كَتَبَ إِلَيَّ بِتَعْجِيلِ الْوُغُولِ بِكُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، وَهِيَ الْبِلادُ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا إِخْوَانُكُمْ

---

(١)قال ابن كثير في: «البداية والنهاية»(٩/ ١٨٢) معقباً على هذا الموطن:« وَهَذَا تَوَسُّمٌ فِيهِ مِنْ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ، وَلِهَذَا كَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ» .

(٢) في«تاريخه»ص ١٧٦.

بِالأَمْسِ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، أَمْضِي إِذَا مَضَيْتُمْ وَآبَى إِنْ أَبَيْتُمْ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالُوا: لا بَلْ تَأْبَى عَلَى عَدُوِّ الله وَلا نَسْمَعُ لَهُ وَلا نُطِيعُ[١]

عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: شَهِدْتُ الْحَسَنَ، وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ حِينَ أَقْبَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ، فَكَانَ الْحَسَنُ يَنْهَى عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحَجَّاجِ، وَيَأْمُرُ بِالْكَفِّ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ يُحَضِّضُ، ثُمَّ قَالَ سَعِيدٌ فِيمَا يَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ الشَّامِ إِذَا لَقِينَاهُمْ غَدًا، فَقُلْنَا: وَالله مَا خَلَعْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا نُرِيدُ خَلْعَهُ، وَلَكِنَّا نَقَمْنَا عَلَيْهِ اسْتِعْمَالَهُ الْحَجَّاجَ، فَاعْزِلْهُ عَنَّا فَلَمَّا فَرَغَ سَعِيدٌ مِنْ كَلَامِهِ تَكَلَّمَ الْحَسَنُ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ وَالله مَا سَلَّطَ الله الْحَجَّاجَ عَلَيْكُمْ إِلَّا عُقُوبَةً، فَلَا تُعَارِضُوا عُقُوبَةَ الله بِالسَّيْفِ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ وَالتَّضَرُّعَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ ظَنِّي بِأَهْلِ الشَّامِ فَإِنَّ ظَنِّي بِهِمْ أَنْ لَوْ جَاؤُوا، فَأَلْقَمَهُمُ الْحَجَّاجُ دُنْيَاهُ لَمْ يَحْمِلْهُمْ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا رَكِبُوهُ، هَذَا ظَنِّي بِهِم».[٢]

موقف مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله:

أخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ صحيح عَنِ أَبِي الْعَلاَءِ ، قَالَ : قالَوا لِمُطَرِّفٍ :

---

(١)«تاريخ الإسلام»(٥/ ٣٤٣) وعنه نقل ابن كثير في«البداية والنهاية»والله أعلم بصحة أسانيد التفصيل في ذلك، فلم أجدها مسندة.

وقد ذكر خليفة بن خياط في«تاريخه» ص١٧٦ أن في هذه السنة خلع ابن الأشعث بسجستان، وأقبل يريد الحجاج، قال: فحدثني أبو الحسن وأبو اليقظان: أن ابن الأشعث لما أجمع المسير إلى العراق دعا ذراً أبا عمر بن ذر الهمداني، فكساه، ووصله وأمره أن يحضض الناس، فكان يقصُّ كل يوم وينال من الحجاج، ثم ساروا وقد خلعوا الحجاج، ولا يذكرون خلع عبد الملك.

(٢)أخرجه ابن سعد فى «طبقاته» (٧/ ١٦٤) بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة(١١/ ١٤٤) ط عوامة.

هَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَشْعَثِ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ مُطَرِّفٌ: وَالله لَقَدْ نَزَى بَيْنَ أَمْرَيْنِ، لَئِنْ ظَهَرَ لاَ يَقُومُ لله دِينٌ، وَلَئِنْ ظُهِرَ عَلَيْهِ لاَ تَزَالُون أَذِلَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وحصلت أمورٌ وإبلاغ عبد الملك والحجاج بذلك.

وَأَنْفَقَ الْحَجَّاجُ عَلَى جَيْشِهِ وَهُوَ بِهَذَا الْمَكَانِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَخَنْدَقَ حَوْلَ جَيْشِهِ خَنْدَقًا، وَجَاءَ أَهْلُ الْعِرَاقِ فَدَخَلُوا الْبَصْرَةَ وَاجْتَمَعُوا بِأَهَالِيهِمْ وَشَمُّوا أَوْلَادَهُمْ، وَدَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ البصرة فخطب الناس بهم وَبَايَعَهُمْ وَبَايَعُوهُ عَلَى خَلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَائِبِهِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، وَقَالَ لَهُمُ ابْنُ الْأَشْعَثِ: ليس الحجاج بشئ، وَلَكِنِ اذْهَبُوا بِنَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لِنُقَاتِلَهُ، ووافقه على خلعهما جميع من في البصرة مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَالشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ، ثُمَّ أَمَرَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِخَنْدَقٍ حَوْلَ الْبَصْرَةِ فَعَمِلَ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هذه السنة.[1]

وحصل مآسي قتل فيها كثير من المسلمين، على ما هو متواتر في كتب السير والتاريخ، حتى روى خليفة [2] عن أبي عوانة قال: كانت بينهم بالجماجم إحدى وثمانين وقيعة كلها على الحجاج إلا آخر وقعة كانت على ابن الأشعث فانهزم وقتل من القراء بدير الجماجم .

ومن شؤمِه: أن الخوارج يحتجون به إلى الآن، فصارت فتنتهم فتنة لكل لعوب أتى بعدهم إلى يوم الناس هذا، والله المستعان .

وَلما أن بَلَغَ الْمُهَلَّبَ خَبَرُ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ إِلَى ذَلِكَ فَأَبَى

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٨٥).

(٢) في «تاريخه» ص ١٧٨.

عَلَيْهِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، وَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى ابن الأشعث يقول له: إنك يا بن الْأَشْعَثِ قَدْ وَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي رِكَابٍ طَوِيلٍ، ابق على أمة محمد ﷺ، انظر إلى نفسك فَلَا تُهْلِكْهَا، وَدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْفِكْهَا، وَالْجَمَاعَةِ فَلَا تُفَرِّقْهَا، وَالْبَيْعَةِ فَلَا تَنْكُثْهَا، فَإِنْ قُلْتَ أَخَافُ النَّاسَ عَلَى نَفْسِي فَالله أَحَقُّ أَنْ تَخَافَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تُعَرِّضْهَا لله فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، أَوِ اسْتِحْلَالِ مُحَرَّمٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.(١)

وأخرج خليفة بن خياط(٢) بسندٍ صحيح عن عمر بن مرة قال: أتى القراء يوم دير الجماجم أبا البختري الطائي يؤمِّرونه عليهم فقال: أنا رجل من الموالي، فأمِّروا رجلاً من العرب، فأمروا جهم بن زحر بن قيس.

وفي هذه السنة توفي سُوِيدُ بْنُ غَفْلَةَ بْنِ عَوْسَجَةَ بْنِ عَامِرٍ أَبُو أُمَيَّةَ الْجَعَفِيُّ الْكُوفِيُّ، شَهِدَ الْيَرْمُوكَ وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُخَضْرَمِينَ وَيُقَالُ إِنَّهُ رَأَى النَّبِيّ ﷺ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ عَامَ وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَلَّى مَعَهُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يره، وَقِيلَ إِنَّهُ وُلِدَ بَعْدَهُ بِسَنَتَيْنِ، وَعَاشَ مِائَةً وعشرين سنة لم ير يوماً محتنياً ولا متسانداً، وافتض بكراً عام وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وفيها توفي عَبْدُ الله بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ كَانَ مِنَ الْعُبَّادِ الزهاد، والعلماء، وَلَهُ وَصَايَا وَكَلِمَاتٌ حِسَانٌ، وَقَدْ رَوَى عِدَّةَ أحاديث عن الصحابة وعن خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ.

وفيها توفي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو الْقَاسِمِ وَأَبُو عَبْدِ الله أيضاً، وهو المعروف بابن الحنفية، وكانت سوداء سندية من بَنِي حَنِيفَةَ اسْمُهَا خَوْلَةُ.

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٨٥).

(٢) في «تاريخه» ص ١٧٨.

وقد وُلِدَ مُحَمَّدٌ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقَدْ صَرَعَ مَرْوَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ وَأَرَادَ قَتْلَهُ فَنَاشَدَهُ مَرْوَانُ بِاللهِ وَتَذَلَّلَ لَهُ فَأَطْلَقَهُ، فَلَمَّا وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ذَكَّرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ عَفْوًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَعَفَا عَنْهُ وَأَجْزَلَ لَهُ الْجَائِزَةَ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، وَمِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ، وَمِنَ الْأَقْوِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وَلَمَّا بُويِعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ يُبَايِعْهُ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا شَرٌّ عَظِيمٌ حَتَّى هَمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِهِ وَبِأَهْلِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ، فلما قتل ابن الزبير وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَايَعَهُ ابْنُ عُمَرَ تَابَعَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَمَاتَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقِيلَ فِي الَّتِي قَبْلَهَا أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. كذا قال ابن كثير.[1]

ولكن الأسانيد بتفصيل ذلك غير صحيحة فيما وقفت عليه، والله أعلم .

وقال ابن كثير[2]:

وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ إِلَى إِمَامَتِهِ، وَأَنَّهُ يُنْتَظَرُ خُرُوجُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا يَنْتَظِرُ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمُ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيَّ، الَّذِي يَخْرُجُ فِي زَعْمِهِمْ مِنْ سِرْدَابِ سَامَرَّا، وَهَذَا مِنْ خُرَافَاتِهِمْ وَهَذَيَانِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَبُهْتَانِهِمْ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ

قال ابن كثير: وَفيها كانت وقْعَةُ الزَّاوِيَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ.

فَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا كَانَتْ وَقْعَةُ الزَّاوِيَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ فِي آخِرِهِ، وَكَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ تَوَاقَعُوا يَوْمًا آخَرَ، فَحَمَلَ سُفْيَانُ بْنُ

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ١٨٦) .

(٢)المصدر السالف

الْأَبْرَدِ - أَحَدُ أُمَرَاءِ أَهْلِ الشَّامِ - عَلَى مَيْمَنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَهَزَمَهَا، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَخَرَّ الْحَجَّاجُ للهِ سَاجِدًا بَعْدَمَا كَانَ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَسَلَّ شَيْئًا مِنْ سَيْفِهِ، وَجَعَلَ يَتَرَحَّمُ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَيَقُولُ: مَا كَانَ أَكْرَمَهُ حِينَ صَبَرَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ: أَبُو الطُّفَيْلِ بْنُ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ[1]. وَلَمَّا فَرَّ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ رَجَعَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَعَمَدَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَبَايَعُوهُ، فَقَاتَلَ الْحَجَّاجَ خَمْسَ لَيَالٍ أَشَدَّ الْقِتَالِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحِقَ بِابْنِ الْأَشْعَثِ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَاسْتَنَابَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْبَصْرَةِ أَيُّوبَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ، وَدَخَلَ ابْنُ

---

(١) ولو وقف عليها من يجمعون للخوارج القشاشات التي لم يُحسِنوا أن يحتجوا بها لطاروا بذلك طرباً، فهم يعدون كل من مات في هذا العام، أو من قيل إنه مات مع ابن الأشعث، يعدونه خارجاً، وإن لم يثبت سند أنه خرج على حاكمه، ورحمة الله على التحقيق العلمي.

ولكن يا فرحة ما تمت، فقد اختلف العلماء فى وفاته ومحلها، فقيل سنة مائة، وقيل سنة اثنتين ومائة، وقيل سنة عشر ومائة، وكانت وفاته بمكة.

وقال ابن عبد البر في«الاستيعاب»(٤/ ١٦٩٦): صحب عليّا رضي الله عنه فى مشاهده كلها، فلما قتل انصرف إلى مكة فأقام بها حتى مات، ويقال إنه أقام بالكوفة ومات بها، والأول أصح. قال: وكان فاضلاً عاقلاً حاضر الجواب فصيحاً، وكان يتشيع فى علىٍّ رضي الله عنه ويفضله، ويثنى على الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ويترحم على عثمان رضي الله عنه.

وسيأتي أنه آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ بالدليل أنه قال:« رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ رَآهُ غَيْرِي» إن شاء الله. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن حجر وغيره أنه توفي سنة ١١٠ هـ وهو الصواب.

الْأَشْعَثِ الْكُوفَةَ، فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَى خَلْعِ الْحَجَّاجِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَكَثُرَ مُتَابِعُو ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى ذَلِكَ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ جِدًّا، وَعَظُمَ الْخَطْبُ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ.

وقد حصلت مخاطبات مرسلة ومواجهات، ومراسلات بين جيش ابن الأشعث في العراق وجيش الشام لعبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج الثقفي حتى عرض عبد الملك عليهم عزل الحجاج عنهم.

والنَّاسَ كَانَ يَبْرُزُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فيقتتلون قتالاً شديداً في كل حين، حتى أصيب من رؤوس النَّاس خَلْقٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يُرْضِيهِمْ مِنْكَ أَنْ تَعْزِلَ عَنْهُمُ الْحَجَّاجَ فَهُوَ أَيْسَرُ مِنْ قِتَالِهِمْ وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ، فَاسْتَحْضَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ عِنْدَ ذَلِكَ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَمَعَهُمَا جُنُودٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا إِلَى أهل الْعِرَاقِ يَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ مِنِّي عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم، وبعثت عَلَيْكُمْ أُعْطِيَّاتِكُمْ مِثْلَ أَهْلِ الشَّامِ، وَلْيَخْتَرِ ابْنُ الْأَشْعَثِ أَيَّ بَلَدٍ شَاءَ يَكُونُ عَلَيْهِ أَمِيرًا مَا عَاشَ وَعِشْتُ، وَتَكُونُ إِمْرَةُ الْعِرَاقِ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقَالَ فِي عَهْدِهِ هَذَا: فَإِنْ لم تجب أَهْلُ الْعِرَاقِ إِلَى ذَلِكَ فَالْحَجَّاجُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ إِمْرَةُ الْحَرْبِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي طاعة الحجاج وَتَحْتَ أَمْرِهِ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ رَأْيِهِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَّاجَ مَا كَتَبَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ عَزْلِهِ إِنْ رَضُوا بِهِ شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ مَشَقَّةً عَظِيمَةً جِدًّا وَعَظُمَ شَأْنُ هَذَا الرَّأْيِ عِنْدَهُ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَئِنْ أَعْطَيْتَ أَهْلَ الْعِرَاقِ نَزْعِي عَنْهُمْ لَا يَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يُخَالِفُوكَ وَيَسِيرُوا إِلَيْكَ، وَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْكَ.

أَلَمْ تَرَ وَتَسْمَعْ بِوُثُوبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ عَلَى ابْنِ عَفَّانَ؟ فَلَمَّا سَأَلَهُمْ مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نَزْعَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَلَمَّا نَزَعَهُ لَمْ تَتِمَّ لَهُمُ السَّنَةُ حَتَّى سَارُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ؟ وَإِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفلَح، كَانَ اللهُ لَكَ فِيمَا ارْتَأَيْتَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

قَالَ: فَأَبَى عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَّا عَرْضَ هَذِهِ الْخِصَالِ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ كَمَا أَمَرَ، فَتَقَدَّمَ عَبْدُ اللهَّ وَمُحَمَّدٌ فَنَادَى عَبْدُ اللهَّ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، أَنَا عَبْدُ اللهَّ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَذَكَرَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُوهُ مَعَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ: وَأَنَا رَسُولُ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ، فَقَالُوا: نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا غَدًا وَنَرُدُّ عَلَيْكُمُ الْخَبَرَ عَشِيَّةً، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا وَنَدَبَهُمْ إِلَى قَبُولِ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَزْلِ الْحَجَّاجِ عَنْهُمْ وَبَيْعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَإِبْقَاءِ الْأُعْطِيَّاتِ وَإِمْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ بَدَلَ الْحَجَّاجِ، فَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَقَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَقْبَلُ ذَلِكَ، نَحْنُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَعُدَدًا، وَهُمْ فِي ضِيقٍ مِنَ الْحَالِ وَقَدْ حَكَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَذَلُّوا لَنَا، وَاللهِ لَا نُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا.

ثُمَّ جَدَّدُوا خَلْعَ عَبْدِ الْمَلِكِ ونائبه ثَانِيَةً، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ كُلُّهُمْ .

فَلَمَّا بَلَغَ عبد الله بن عبد الملك وعمه محمداً الْخَبَرُ قَالَا لِلْحَجَّاجِ: شَأْنُكَ بِهِمْ إِذًا، فَنَحْنُ فِي طَاعَتِكَ كَمَا أَمَرَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَا إِذَا لَقِيَاهُ سَلَّمَا عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ وَيُسَلِّمُ هُوَ أَيْضًا عَلَيْهِمْ بِالْإِمْرَةِ، وَتَوَلَّى الْحَجَّاجُ أَمْرَ الْحَرْبِ وَتَدْبِيرَهَا كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَرَزَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِلْقِتَالِ وَالْحَرْبِ وكان فيهم سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَامِرٌ الشَّعْبِيُّ [1] وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَكُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ - وَكَانَ شُجَاعًا فَاتِكًا عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيُّ وَغَيْرُهُمْ، وَجَعَلُوا يَقْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ

(١) وكون الشعبي فيهم فيه نظر

تَأْتِيهِمُ الْمِيرَةُ مِنَ الرَّسَاتِيقِ وَالْأَقَالِيمِ، من العلف والطعام، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أضيق حال مِنَ الْعَيْشِ، وَقِلَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَقَدْ فَقَدُوا اللَّحْمَ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يَجِدُونَهُ، وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَالدَّائِرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ..

وأخرج خليفة بن خياط[1] بسندٍ صحيح عن حصين قال: رأيت ابن أبي ليلى يُحضِّض الناس ليالي الجماجم.

من خطة عبد الرحمن بن الأشعث في تجميع الناس

وموقف الحسن البصري

أخرج ابن سعد[2] بسند صحيح عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: قِيلَ لابْنِ الأَشْعَثِ إِنْ سَرَّكَ أَنْ يُقْتَلُوا حَوْلَكَ كَمَا قُتِلُوا حَوْلَ جَمَلِ عَائِشَةَ فَأَخْرِجِ الْحَسَنَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَكْرَهَهُ.

وأخرج عقبه بسندٍ صحيح عن ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: اسْتَبْطَأَ النَّاسُ أَيَّامَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالُوا لَهُ: أَخْرِجْ هَذَا الشَّيْخَ. يَعْنِي الْحَسَنَ. قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بَيْنَ الْجِسْرَيْنِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. قَالَ: فَغَفَلُوا عَنْهُ. فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَنْهَارِ حَتَّى نَجَا مِنْهُمْ وَكَادَ يَهْلِكُ يَوْمَئِذٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَفَاةُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَهُوَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ظَالِمٌ أَبُو سَعِيدٍ الْأَزْدِيُّ أَحَدُ أَشْرَافِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَوُجُوهِهِمْ وَدُهَاتِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ وَكُرَمَائِهِمْ، وُلِدَ عَامَ الْفَتْحِ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ فِيمَا بَيْنَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَقَدِ ارْتَدَّ قَوْمُهُ

(١) في «تاريخه» ص ١٨١.

(٢) في «طبقاته» (٧/ ١٢٠).

فَقَاتَلَهُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَظَفِرَ بِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الصِّدِّيقِ وَفِيهِمْ أَبُو صُفْرَةَ وَابْنُهُ الْمُهَلَّبُ غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغِ الْحِنْثَ، ثُمَّ نَزَلَ الْمُهَلَّبُ الْبَصْرَةَ وَقَدْ غَزَا فِي أَيَّام مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الْهِنْدِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَوَلِيَ الْجَزِيرَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، ثُمَّ وَلِيَ حَرْبَ الْخَوَارِجِ أَوَّلَ دَوْلَةِ الْحَجَّاجِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي وَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، فَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الْحَجَّاجِ.

وَكَانَ فَاضِلًا شُجَاعًا كَرِيمًا يُحِبُّ الْمَدْحَ، وَلَهُ كَلَامٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ: نِعْمَ الْخَصْلَةُ السَّخَاءُ تَسْتُرُ عَوْرَةَ الشَّرِيفِ وَتَلْحَقُ خَسِيسَةَ الْوَضِيعِ، وَتُحَبِّبُ الْمَزْهُودَ فِيهِ، وَقَالَ: يُعْجِبُنِي فِي الرَّجُلِ خَصْلَتَانِ أَنْ أَرَى عَقْلَهُ زَائِدًا عَلَى لِسَانِهِ، وَلَا أَرَى لِسَانَهُ زَائِدًا عَلَى عَقْلِهِ.(١)

وفيها توفي أسماء بن خارجة الفزاري.

وفيها توفي مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ كَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَعْقَلِهِمْ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

وفيها توفي عَبْدُ الله بن أبي طلحة بن أبي الْأَسْوَدِ وَالِدُ الْفَقِيهِ إِسْحَاقَ حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ أُمُّ سُلَيْمٍ لَيْلَةَ مَاتَ ابْنُهَا فَأَصْبَحَ أَبُو طلحة فأخبر النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ :« «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا**» » .(٢) وَلَمَّا وُلِدَ حَنَّكَهُ بِتَمَرَاتٍ.

وفيها توفي عَبْدُ الله بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِيَ.

وفيها توفي كميل بن زياد بن نهيك بن خيثم النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ.

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٨٩) والأثر الأخير أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»(٦١/ ٢٩٩).

(٢) والقصة بذلك في«صحيح مسلم» (١٩٠٩) .

رَوَى عَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ صِفِّينَ، وَكَانَ شُجَاعًا فَاتِكًا، وَزَاهِدًا عَابِدًا، قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ عَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ قَتَلَهُ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ: وَإِنَّمَا نَقَمَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْقِصَاصَ مِنْ لَطْمَةٍ لَطَمَهَا إِيَّاهُ.

فَلَمَّا أَمْكَنَهُ عُثْمَانُ مِنْ نَفْسِهِ عَفَا عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: أَوَ مِثْلُكَ يَسْأَلُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الْقِصَاصَ؟ ثمَّ أَمَرَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.(١)

وَفِيهَا تُوُفِّيَ زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَائِشَةَ، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

وفيها توفي شقيق بْنُ سَلَمَةَ أَبُو وَائِلٍ، أَدْرَكَ مِنْ زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَأَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وفي هذه السنة توفيت أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى اسْمُهَا هُجَيْمَةُ وَيُقَالُ جُهَيْمَةُ تَابِعِيَّةٌ عَابِدَةٌ عَالِمَةٌ فقيهة كان الرجال يقرأون عَلَيْهَا وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَتِهَا مَعَ الْمُتَفَقِّهَةِ يَشْتَغِلُ عَلَيْهَا وَهُوَ خَلِيفَةٌ، رضي الله عنها.

وَلَيْسَ لَهَا صُحْبَة وَلَا سَماع من رَسُول الله، فَأَما أم الدَّرْدَاء الْكُبْرَى فاسْمهَا خيرة بنت أبي حَدْرَد زَوْجَة أبي الدَّرْدَاء لَهَا صُحْبَة وَرِوَايَة عَن النَّبِي ﷺ فالله أعلم بتفاصيل ذلك.

---

(١) ذكره ابن كثير في «تاريخه»(٩/ ١٩٤).

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وثمانين

استهلت هذه السنة والناس متوافقون لِقِتَالِ الْحَجَّاجِ وَأَصْحَابِهِ بِدَيْرِ قُرَّةَ، وَابْنُ الْأَشْعَثِ وَأَصْحَابُهُ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ، وَالْمُبَارَزَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَاقِعَةٌ، وَفِي غَالِبِ الْأَيَّامِ تَكُونُ النُّصْرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ أَصْحَابَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ كَسَرُوا أَهْلَ الشَّامِ وَهُمْ أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ مَرَّةً يَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَمَعَ هَذَا فَالْحَجَّاجُ ثَابِتٌ فِي مَكَانِهِ صَابِرٌ وَمُصَابِرٌ لَا يَتَزَحْزَحُ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، بَلْ إِذَا حَصَلَ لَهُ ظَفَرٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ يتقدم بجيشه إلى نحو عَدُوِّهِ، وَكَانَ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْحَرْبِ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهُ وَدَأْبَهُمْ حَتَّى أَمَرَ بِالْحَمْلَةِ عَلَى كَتِيبَةِ الْقُرَّاءِ، لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا تَبَعًا لَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَصَبَرَ الْقُرَّاءُ لِحَمْلَةِ جَيْشِهِ، ثُمَّ جَمَعَ الرُّمَاةَ مِنْ جَيْشِهِ وَحَمَلَ بِهِمْ، وَمَا انفكَّ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ حَمَلَ على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَذَهَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَهَرَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَعَهُ فَلٌّ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فَأَتْبَعُهُ الْحَجَّاجُ جَيْشًا كثيفاً.[1]

والتقي يزيد بن المهلب عامل عبدالملك بن مروان ببعض الفارين مع ابن الأشعث يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَمَعَ كل جموع فاقْتَتَلُوا غَيْرَ كَثِيرٍ ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ الذي كان الناس بايعوه بعد ابن الأشعث، وَقَتَلَ يَزِيدُ مِنْهُمْ مقتلة كبيرة، واحتاز ما في معسكره، وَبَعَثَ بِالْأُسَارَى وَفِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍّ إِلَى الْحَجَّاجِ، وَيُقَالُ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ: أَسْأَلُكَ بِدَعْوَةِ أَبِي لِأَبِيكَ لَمَا أَطْلَقْتَنِي، فَأَطْلَقَهُ

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ١٩٦).

[١]، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ

يَوْمَ ظَهَرَ على ابن الأشعث نَادَى مُنَادِيهِ فِي النَّاسِ: مَنْ رَجَعَ فَهُوَ آمن، ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالري فهو آمن، فلحق بمسلم خَلْقٌ كَثِيرٌ ممَّن كَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَأَمَّنَهُمُ الْحَجَّاجُ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِ شَرَعَ الْحَجَّاجُ فِي تَتَبُّعِهِمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا [٢].

حتَّى كان آخر من قتل منهم سعيد بْنُ جُبَيْرٍ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ. فالله أعلم.[٣]

ولكن كل هذا بأسانيد من طريق الواقدي وهو متروك.وأيضاً من ذلك أن الحجاج تتبع كل من كان من أتباع ابن الأشعث حتى قتل بعضهم وعفا عن بعضهم.

هروب سعيد بن جبير بعد هزيمة ابن الأشعث

أخرج أبو نعيم [٤] بسندٍ ثابت عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، قَالَ: أَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ بِمَكَّةَ

---

(١) والذي وقفت عليه من ذلك ما أخرجه ابن أبي الدنيا في« الإشراف في منازل الأشراف »(٤١٩) بسندٍ حسن عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَمَاجِمِ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: كَيْفَ وَجَدْتَ غِبَّ السَّفَرِ يَا ظِلَّ الشَّيْطَانِ؟ قَالَ: غِبَّ سُوءٍ. قَالَ: اذْبَحْهُ اذْبَحْهُ.!

(٢) وَقد حكى ابن كثير قال:«قِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَتَلَ خَمْسَةَ آلَافِ أَسِيرٍ مِمَّنْ سَيَّرَهُمْ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ». وسيأتي بيان جرأته على الدماء عن أي أحد غيره وبيان اعترافه بذلك لأبي وائل شقيق بن سلمة، كما سيأتي.

وأخرج الترمذي(٢٢٢٠) بسندٍصحيح عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ.

(٣) انظر «البداية والنهاية»(٩/ ١٩٧).

(٤) في«الحلية»(٤/ ٢٧٤).

فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَادِمٌ، يَعْنِي خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الله، وَلَا آمَنُهُ عَلَيْكَ، فَأَطِعْنِي وَاخْرُجْ. فَقَالَ: «وَالله لَقَدْ فَرَرْتُ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنَ الله». قُلْتُ: وَالله إِنِّي لَأَرَاكَ كَمَا سَمَّتْكَ أُمُّكَ سَعِيدًا. قَالَ: فَقَدِمَ مَكَّةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ.

قَالَ واصل بن عبد الأعلى: فَأَخْبَرَنِي يَزِيدُ أَبُو عَبْدِ الله قَالَ: أَتَيْنَا سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ حِينَ جِيءَ بِهِ فَإِذَا هُوَ طَيِّبُ النَّفْسِ، وَبُنَيَّةٌ لَهُ فِي حِجْرِهِ، فَنَظَرَتْ إِلَى الْقَيْدِ فَبَكَتْ، قَالَ: فَتَبِعْنَاهُ إِلَى بَابِ الْجِسْرِ، فَقَالَ لَهُ الْحَرَسُ: أَعْطِنَا كُفَلَاءَ، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ تُغْرِقَ نَفْسَكَ. قَالَ يَزِيدُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ تَكَفَّلَ بِهِ.

وسيأتي تتمة ما دار بين سعيد بن جبير والحجاج عند ظفره به وقتله إن شاء الله في ذكر أحداث سنة ٩٤ هـ .

وقد اختفى سعيد فطال اختفاؤه من بعد سنة ٨٢ هـ حتى ظفر به الحجاج في سنة ٩٤ هـ كما سيأتي في ذكر وفاته .

قال الذهبي[1]: « طَالَ اخْتِفَاؤُهُ، فَإِنَّ قِيَامَ الْقُرَّاءِ عَلَى الحَجَّاجِ كَانَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ، وَمَا ظَفِرُوا بِسَعِيْدٍ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ؛ السَّنَةِ الَّتِي قلع الله فيها الحجاج».

موقف الشعبي من الحجاج والقول بأنه أُتي به مقيَّداً

قد اشتهر أن الشَّعْبِيُّ كَانَ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ الْقُرَّاءِ عَلَى الْحَجَّاجِ وَشَهِدَ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ، وَكَانَ فِيمَنْ أَفْلَتَ فَاخْتَفَى زَمَانًا وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ أَنْ يُكَلِّمَ فِيهِ الْحَجَّاجَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِنِّي وَالله مَا أَجْتَرِئُ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ تَحَيَّنْ جُلُوسَهُ لِلْعَامَّةِ ثُمَّ ادْخُلْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمْثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَتَكَلَّمَ بِعُذْرِكَ ، وَأَقِرَّ بِذَنْبِكَ وَاسْتَشْهِدْنِي

(١) في«سير أعلام النبلاء»(٤/ ٣٣٧).

عَلَى مَا أَحْبَبْتَ أَشْهَدْ لَكَ. قَالَ: فَفَعَلَ الشَّعْبِيُّ فَلَمْ يَشْعُرِ الْحَجَّاجُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: الشَّعْبِيُّ؟ قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ. قَالَ: أَلَمْ أَقْدِم الْبَلَدَ وَعَطَاؤُكَ كَذَا وَكَذَا فَزِدْتُكَ فِي عَطَائِكَ وَلَا يُزَادُ مِثْلُكَ؟ قَالَ: بَلَى، أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ. قَالَ: أَلَمْ آمُرْ أَنْ تَؤُمَّ قَوْمَكَ وَلَا يَؤُمُّ مِثْلُكَ؟ قَالَ: بَلَى أَصْلَحَ الله الْأَمِيرَ. قَالَ: أَلَمْ أُعَرِّفْكَ عَلَى قَوْمِكَ وَلَا يُعَرَّفُ مِثْلُكَ؟ قَالَ: بَلَى أَصْلَحَ الله الْأَمِيرَ. قَالَ: أَلَمْ أُوفِدْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُوفَدُ مِثْلُكَ؟ قَالَ: بَلَى أَصْلَحَ الله الْأَمِيرَ. قَالَ: فَمَا أَخْرَجَكَ مَعَ عَدُوِّ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: أَصْلَحَ الله الْأَمِيرَ، خَبَطَتْنَا فِتْنَةٌ فَمَا كُنَّا فِيهَا بِأَبْرَارٍ أَتْقِيَاءَ، وَلَا فُجَّارٍ أَقْوِيَاءَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ أُعْلِمُهُ نَدَامَتِي عَلَى مَا فَرَطَ مِنِّي ، وَمَعْرَفَتِي بِالْحَقِّ الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُخْبِرَ بِذَلِكَ الْأَمِيرَ وَيَأْخُذَ لِي مِنْهُ أَمَانًا فَلَمْ يَفْعَلْ فَالْتَفَتَ الْحَجَّاجُ إِلَى يَزِيدَ فَقَالَ: أَكَذَلِكَ يَا يَزِيدُ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَصْلَحَ الله الْأَمِيرَ، قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِكِتَابِهِ. قَالَ: الشُّغْلُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْأَمِيرُ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَوَّلًا انْصَرِفْ. فَانْصَرَفَ الشَّعْبِيُّ إِلَى مَنْزِلِهِ آمِنًا.

وفي رواية البيهقي[1] عَنْ عَبَّادِ بْنِ مُوسَى، عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ أَتَى بِهِ الْحَجَّاجُ مُوثَقًا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ الْقَصْرِ قَالَ: لَقِيَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَالَ: إِنَّا لله يَا شَعْبِيُّ لِمَا بَيْنَ دَفَّتَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَيْسَ بِيَوْمِ شَفَاعَةٍ بُؤْ لِلْأَمِيرِ بِالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ عَلَى نَفْسِكَ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ تَنْجُوَ ثُمَّ لَقِيَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَةِ يَزِيدَ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْحَجَّاجِ قَالَ: وَأَنْتَ يَا شَعْبِيُّ مِمَّنْ خَرَجَ عَلَيْنَا وَكَثَّرَ، فَقُلْتُ:«أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ، أَحْزَنَ بِنَا الْمَنْزِلُ، وَأَجْدَبَ الْجَنَابُ، وَضَاقَ الْمَسْلَكُ، وَاكْتَحَلْنَا السَّهَرَ، وَاسْتَحْلَسْنَا الْخَوْفَ، وَوَقَعْنَا فِي خِزْيَةٍ، لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَرَةً أَتْقِيَاءَ، وَلَا فَجَرَةً أَقْوِيَاءَ » ، قَالَ: صَدَقْتَ وَاللهِ، مَا بَرُّوا بِخُرُوجِهِمْ عَلَيْنَا، وَلَا قَوَوْا عَلَيْنَا حَيْثُ فَجَرُوا، أَطْلَقْنَا عَنْهُ. ثُمَّ احْتَاجَ إِلَيَّ فِي فَرِيضَةٍ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي أُمٍّ وَأُخْتٍ وَجَدٍّ؟ فَقُلْتُ: « قَدِ

(١) في«السنن الكبرى»(٦/ ٤١٢).

اخْتَلَفَ فِيهَا خَمْسَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَزَيْدٌ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وفي رواية أبي نعيم [1] عَنْ عَبَّادِ بْنِ مُوسَى، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَتَى بِيَ الْحَجَّاجُ مَوْثَقًا، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ لَقِيَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَ: إِنَّا للهِ يَا شَعْبِيُّ لِمَا بَيْنَ دَفَّتَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَيْسَ بِيَوْمِ شَفَاعَةٍ، بُؤْ لِلْأَمِيرِ بِالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ عَلَى نَفْسِكَ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ تَنْجُوَ. ثُمَّ لَقِيَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَةِ يَزِيدَ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «وَأَنْتَ يَا شَعْبِيُّ فِيمَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا وَكَثَّرَ». قُلْتُ: «أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ، أَحْزَنَ بِنَا الْمَنْزِلُ، وَأَجْدَبَ الْجَنَابُ، وَضَاقَ الْمَسْلَكُ، وَاكْتَحَلَنِي السَّهَرُ، وَاسْتَحْلَسْنَا الْخَوْفَ، وَدُفِعْنَا فِي خَرِبَةٍ خَرِبَةٍ، لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَرَةً أَتْقِيَاءَ، وَلَا فَجَرَةً أَقْوِيَاءَ». قَالَ: صَدَقَ وَاللهِ....

وفي رواية ابن أبي الدنيا [2] عَنِ عباد بن موسى عن الشَّعْبِيِّ، قَالَ: « أَتَى بِيَ الْحَجَّاجُ مُوثَقًا، فَإِنِّي لَعِنْدَهُ إِذَ جَاءَ الْحَاجِبُ فَقَالَ: إِنَّ بِالْبَابِ رُسُلًا، فَقَالَ: ائْذَنْ، فَدَخَلُوا، وَعَمَائِمُهُمْ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، وَكُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ سِيَابَةُ بْنُ عَاصِمٍ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: مِنَ الشَّامِ. قَالَ: كَيْفَ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ كَيْفَ حَشَمُهُ؟ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: هَلْ كَانَ وَرَاءَكَ مِنْ غَيْثٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَصَابَتْنِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثُ سَحَائِبَ، قَالَ: فَانْعَتْ لِي كَيْفَ كَانَ وَقْعُ الْمَطَرُ؟ وَكَيْفَ كَانَ أَثَرُهُ وَتَبَاشِيرُهُ؟ قَالَ: أَصَابَتْنِي سَحَابَةٌ بِحُورَانَ، فَوَقَعَ قَطْرٌ صِغَارٌ وَقَطْرٌ كِبَارٌ، فَكَانَ الصِّغَرُ لُحْمَةً لِلْكِبَارِ، وَوَقْعٌ بَسِيطٌ مُتَدَارَكٌ...

---

(١) في «الحلية» (٤/ ٣٢٥)

(٢) في كتابه «المطر والرعد والبرق» (١٣).

وفي رواية البلاذري[١] حَدَّثَنِي عمر بْن شبة، ثنا حفص بْن إسماعيل عَن عيسى الحناط [٢] قَالَ:

لما ظهر الحجاج عَلَى ابْن الأشعث، جعل يؤتى بالناس فأتي بالشعبي فَقَالَ:

هيه يَا شعبي. قَالَ: أصلح اللهَّ الأمير، أجدب الجناب واعترانا السهر، وامتلأنا رعبا، وأتينا فتنة لم نكن فيها أبرارا أتقياء ولا فجارا أقوياء. قَالَ:

صدق الشَّعْبِيّ، خلو سبيله.

وجميع هذه الطرق التي وقفت عليها فيها عبَّاد بن موسى سوى الأخير فيه عيسى الحناط وهو متروك.

وقد قال العلائي في«جامع التحصيل»:

«عباد بن موسى روى عيسى بن يونس عنه عن الشعبي حديثه مع الحجاج واعتذاره إليه ومجيء الرُّسل إليه ووصفهم المطر قال بن معين لم يسمع عباد بن موسى هذا الحديث من الشعبي إنما سمعه من أبي بكر الهذلي عنه ».

قلت «محمد»: أبو بكر الهُذلي متروك أيضاً.

فأين الأثر الثابت أن الشعبي خرج على حاكمه أصلاً ؟

وقد أخرج أيضاً خليفة بن خياط[٣] بسنده عن عثمان الشحام قال: لما أتى الحجاجُ بالشعبي عاتبه، فقال الشعبي: أجدب بنا الجناب، وأحزن بنا المنزل، واستحلَسْنا الخوف، خبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فقال لله

(١) في«أنساب الأشراف»(٧/ ٣٦٠).

(٢) وعيسى الحناط متروك.

(٣) في«تاريخه»ص ١٨١.

أبوك.

ولكن كما تري فالسند معلَّق ضعيف.

وأخرج ابن معين[1] بسندٍ صحيح عن أبي كبران قَالَ سَمِعت الشّعبِيّ يَقُول حِبّ أهل بَيت نبيِّك وَلَا تَكُنْ رَافِضِيًّا واعمَل بِالْقُرْآنِ وَلَا تكُنْ حَروريا، وَاعْلَم أَن مَا أَتَاك من حَسَنَة فَمن الله، وَمَا أَتَاك من سَيِّئَة فَمن نَفسك، وَلَا تكن قدرياً، وأطع الإِمَام وَإِن كَانَ عبداً حَبَشِيًّا.

فهل الذي صح عنه ذلك يخرج عن الإمام؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!

وسيأتي موقف سعيد بن جبير رحمه الله من هذه الفتنة حينما يوقفه الحجاج الثقفي في ذكر قتله إن شاء الله.

وفي هذه السنة : توفي طَارِقُ بْنُ شِهَابِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَحْمَسِيُّ وهو مِمَّنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، وَغَزَا فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا بِضْعًا وَأَرْبَعِينَ غَزَاةً، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ هَذِهِ السَّنَةَ.

وفيها توفي: عُبَيْدُ الله بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ

وقد أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ قُرَيْشٍ وَعُلَمَائِهِمْ، وَأَبُوهُ عَدِيٌّ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا.

عَبْدُ الله بْنُ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَكَانَ قَاضِي الْمَدِينَةِ، وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وفيها توفِّي: مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ الله أَبُو الْخَيْرِ، الْيَزَنِيُّ

(١) في «تاريخه»رواية الدوري(١١٦٣) وأبو كبران هو الْحَسَنُ بْنُ عقبة، أبو كبران الْمُراديُّ الكوفيُّ وثقه ابن معين.

وَفِيهَا: فُقِدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ؛ مِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُسِرَ فَضَرَبَ الْحَجَّاجُ عُنُقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَتَبَّعَهُ الْحَجَّاجُ حَتَّى قَتَلَهُ.

وممن توفي وَمِنْ أَعْيَانِ مَنْ قَتَلَ الْحَجَّاجُ عِمْرَانُ بْنُ عِصَامٍ الضُّبَعِيُّ، وَالِدُ أَبِي حجزة، كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ صَالِحًا عَابِدًا، أُتِيَ بِهِ أَسِيرًا إِلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ لَهُ: اشْهَدْ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكُفْرِ حَتَّى أُطْلِقَكَ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي مَا كَفَرْتُ باللهَّ مُنْذُ آمنت به، فأمر به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

وتوفي فيها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلِأَبِيهِ أَبِي لَيْلَى صُحْبَةٌ. أَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْقُرْآنَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، خَرَجَ مَعَ ابْنِ الأشعث فأتى به الحجاج فَضُرِبَ عُنُقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا.[1]

وَقَدْ سَمَّى مِنْهُمْ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْيَانِ؛ فَمِنْهُمْ:

مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ الْمُزَنِيُّ، وَأَبُو مَرَّانَةَ الْعِجْلِيُّ قُتِلَ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ قُتِلَ، وَعُقْبَةُ بْنُ وَسَّاجٍ قُتِلَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ غَالِبٍ الْجَهْضَمِيُّ قُتِلَ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ الرَّبَعِيُّ قُتِلَ، وَالنَّضِرُ بْنُ أَنَسٍ، وَعِمْرَانُ وَالِدُ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيُّ، وَأَبُو الْمِنْهَالِ سَيَّارُ بْنُ سَلَامَةَ الرِّيَاحِيُّ، وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، وَمُرَّةُ بْنُ دِبَابٍ الْهَذَادِيُّ، وَأَبُو نُجَيْدٍ الْجَهْضَمِيُّ، وَأَبُو شَيْخٍ الْهَنَائِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ، وَأَخُوهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ.

ندم كل من خرج في فتنة ابن الأشعث

أخرج ابن سعد[2] بسندٍ صحح عن سليمان بن عَلِيٍّ الرَّبْعِيُّ قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْفِتْنَةُ

(١) «البداية النهاية»(٩/ ٢٠٠).

(٢) في«طبقاته»(٧/ ١٢٠) .

فِتْنَةُ ابْنِ الأَشْعَثِ إِذْ قَاتَلَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ انْطَلَقَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ غَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ نُظَرَائِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَى الْحَسَنِ فَقَالُوا: يَا أبا سعيد ما تقول في قتال هذه الطَّاغِيَةِ الَّذِي سَفْكَ الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَخَذَ الْمَالَ الْحَرَامَ وَتَرَكَ الصَّلاةَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ؟ قَالَ: وَذَكَرُوا مِنْ فِعْلِ الْحَجَّاجِ. قَالَ:

فَقَالَ الْحَسَنُ: أَرَى أَنْ لا تُقَاتِلُوهُ فَإِنَّهَا إِنْ تَكُنْ عُقُوبَةً مِنَ الله فَمَا أَنْتُمْ بِرَادِّي عُقُوبَةِ الله بِأَسْيَافِكُمْ. وَإِنْ يَكُنْ بَلاءً «فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ الله وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» الأعراف: ٨٧. قَالَ: فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: نُطِيعُ هذا العلج! قال: وهم قوم عرب. قالوا: وَخَرَجُوا مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ. قَالَ: فَقُتِلُوا جَمِيعًا.

قَالَ سُلَيْمَانُ: فَأَخْبَرَنِي مُرَّةُ بْنُ ذُبَابٍ أَبُو الْمُعَذَّلِ قَالَ: أَتَيْتُ عَلَى عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ وَهُوَ صَرِيعٌ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ: يَا أبا الْمُعَذَّلِ لا دُنْيَا وَلا آخِرَةَ.

وأخرج خليفة بن خياط[1] بسندٍ صحيح عن أيوب قال: ما صرع مع ابن الأشعث أحدٌ إلا رُغبَ له عن مصرعه، ولا نجا منهم أحدٌ إلا حمد الله الذي سلمة.

وأخرج ابن أبي شيبة[2] بسندٍ صحيح عَنِ الْعَلاءِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ سَمِعَنِي طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ، ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا أَضْحَكُ فَقَالَ: «إِنَّكَ تَضْحَكُ ضِحْكَ رَجُلٍ لَمْ يَشْهَدْ الْجَمَاجِمَ».

وفي رواية[3]:عَنِ الْعَلاءِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: ضَحِكْتُ، فَقَالَ لِي طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ:«إِنَّكَ لَتَضْحَكُ ضَحِكَ رَجُلٍ لَمْ يَشْهَدِ الْجَمَاجِمَ، فَسَأَلَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ،

---

(١) في«تاريخه»ص ١٨١.

(٢) في«المصف»(٧/ ٥١٠) والبلاذري في«أنساب الأشراف»(٧/ ٣٩٢).

(٣) عند أبي نعيم في «الحلية»(٥/ ١٧) وسندها غير ثابت.

وَشَهِدْتَهَا؟ قَالَ: وَرَمَيْتُ فِيهَا بِأَسْهُمٍ وَلَوَدِدْتُ أَنَّ يَدِي قُطِعَتْ إِلَى هَاهُنَا- وَأَشَارَ إِلَى مِرْفَقِهِ - وَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْهَا».

وأخرج البخاري في«التاريخ الأوسط»[1] بسندٍ حسن عن مَالك بن دِينَار قَالَ لقِيت معبدًا الْجُهَنِيّ بِمَكَّة بعد ابن الْأَشْعَث وَهُوَ جريح وَقد قَاتل الْحجَّاج فِي المواطن كلهَا فَقَالَ لقِيت الْفُقَهَاء وَالنَّاس لم أر مثل الْحسن، يَا ليتنا أطعناه كَأَنَّهُ نادم على قِتَاله الْحجَّاج.

وأخرج ابن سعد [2] بسندٍ صحيح عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أبي قِلابَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ صَحِبَهُ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لِي وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ:

إِنِّي أَحْمَدُ الله إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرْمِ فِيهَا بِسَهْمٍ وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمْحٍ وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أبا عَبْدِ الله فَكَيْفَ بِمَنْ رَآكَ وَاقِفًا فِي الصَّفِّ؟ فَقَالَ هَذَا مُسْلِمُ بن يسار، والله مَا وَقَفْتُ هَذَا الْمَوْقِفَ إِلا وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ. فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. قَالَ: فَبَكَى وَبَكَى حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا.

قَالُوا: وَكَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً فَاضِلا عَابِدًا وَرِعًا أَرْفَعَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ. حَتَّى خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ فَوَضَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ عَنْهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ

وَفِيهَا توفى عتبة بن منذر السلمي صحابى جليل، كان يعد في أهل الصفة.

وفيها توفي عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ الْخَارِجِيُّ، كَانَ أَوَّلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْخَوَارِجِ حَسَنَةً جَمِيلَةً جِدًّا فَأَحَبَّهَا، وَكَانَ هُوَ دَمِيمَ الشَّكْلِ، فَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّهَا

(١) (١/ ٢٠٤) ومن طريقة ابن عساكر في«تاريخه» (٥٩/ ٣٢٤).

(٢) في«الطبقات الكبرى»(٧/ ١٤٠).

إِلَى السُّنَّةِ فَأَبَتْ فَارْتَدَّ مَعَهَا إِلَى مَذْهَبِهَا. وَقَدْ كَانَ مِنَ الشعراء، كذا قيل في كتب الرجال والتاريخ.

وقد أخرج ابن عساكر(١) عن محمد بن أبي رجاء أخبرني رجل من أهل الكوفة قال تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج ليردها عن دين الخوارج فغيرته إلى رأي الخوارج وكانت من أجمل الناس وأحسنهم عقلا وكان عمران من أسمج الناس وأقبحهم وجها فقالت له ذات يوم إني نظرت في أمري وأمرك فإذا أنا وأنت في الجنة قال وكيف فقالت لأني أعطيت مثلك فصبرت وأعطيت مثلي فشكرت فالصابر والشاكر في الجنة قال فمات عنها عمران فخطبها سويد بن منجوف فأبت أن تزوجه وكان في وجهها خال كان عمران يستحسنه ويقبله فشدت عليه فقطعته وقالت والله لا ينظر إليه أحد بعد عمران وما تزوجت حتى ماتت.

وأخرج(٢)عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال: تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج فقيل له فيها فقال أردها فذهبت به.

وَفِيهَا كَانَ مَهْلِكُ عَبْدُ الرحمن بن الأشعث الْكِنْدِيُّ وَقِيلَ فِي الَّتِي بَعْدَهَا فاللهَّ أَعْلَمُ. وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَتَبَ إِلَى رُتْبِيلَ مَلِكِ الترك الّذي لجأ إليه ابن الأشعث يَقُولُ لَهُ: وَاللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَئِنْ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِابْنِ الْأَشْعَثِ لَأَبْعَثَنَّ إِلَى بِلَادِكَ أَلْفَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَلِأُخَرِّبَنَّهَا. فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْوَعِيدُ مِنَ الْحَجَّاجِ اسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ ابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُخَرِّبَ الْحَجَّاجُ دِيَارَهُ وَيَأْخُذَ عَامَّةَ أَمْصَارِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقَاتِلَ عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنْ لَا يُؤَدِّيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْهَا إِلَّا مِائَةَ أَلْفٍ مِنَ الْخَرَاجِ، فَأَجَابَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى ذَلِكَ، وَقِيلَ إِنَّ

(١) في«تاريخه»(٤٣/ ٤٩٠).

(٢) في«تاريخ دمشق»(٤٣/ ٤٨٩)

الْحَجَّاجَ وَعْدَهُ أَنْ يُطْلِقَ لَهُ خَرَاجَ أَرْضِهِ سَبْعَ سِنِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ غَدَرَ رُتْبِيلُ بِابْنِ الْأَشْعَثِ فَقِيلَ إِنَّهُ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، **وَقِيلَ**: بَلْ كَانَ ابْنُ الْأَشْعَثِ قَدْ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَقَتَلَهُ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى ثَلَاثِينَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ فَقَيَّدَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ وَبَعَثَ بِهِمْ مَعَ رُسُلِ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطريق بمكان يقال له الرجح، صَعِدَ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ إِلَى سَطْحِ قَصْرٍ وَمَعَهُ رَجُلٌ مُوَكَّلٌ بِهِ لِئَلَّا يَفِرَّ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ وَسَقَطَ مَعَهُ الْمُوَكَّلُ بِهِ فَمَاتَا جَمِيعًا، فَعَمَدَ الرَّسُولُ إِلَى رَأْسِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَاحْتَزَّهُ، وَقَتَلَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْحَجَّاجِ فَأَمَرَ فَطِيفَ بِرَأْسِهِ فِي الْعِرَاقِ، ثم بعثه إلى عَبْدِ الْمَلِكِ فَطِيفَ.

كذا ذكر ابن كثير [١] هذا في هذه السنة، وقد ذكر خليفة بن خياط [٢] مختصراً وأرَّخ وفاته في سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وأما ابن جرير فأرَّخ وفاته سنة خمسة وثمانين للهجرة، فالله أعلم.

وقد روى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَيْسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: اشْتَرَى الْأَشْعَثُ رَقِيقًا مِنْ رَقِيقِ الْخُمْسِ، مِنْ عَبْدِ الله بِعِشْرِينَ أَلْفًا فَأَرْسَلَ عَبْدُ الله – يعني ابن مسعود–إِلَيْهِ فِي ثَمَنِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذْتُهُمْ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ: فَاخْتَرْ رَجُلًا يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، قَالَ الْأَشْعَثُ: أَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِكَ، قَالَ عَبْدُ اللهَّ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ:

«إِذَا اخْتَلَفَ الْبَيِّعَانِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ فَهُوَ مَا يَقُولُ رَبُّ السِّلْعَةِ، أَوْ يَتَتَارَكَانِ

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٠٣).

(٢) في«تاريخه»ص ١٨٢.

»[1].

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا هُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَيْسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، الْكِنْدِيُّ الْكُوفِيُّ.

قال ابن كثير في استنكاره واستغرابه من خروج ابن الأشعث على عبدالملك بن مروان وهو من صلب قريش، وقد بايع له الصحابة رضي الله عنهم واستتب الأمر له، قال[2]:«وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ بِالْإِمَارَةِ، وَلَيْسَ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا هُوَ كِنْدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، وَقَدِ اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى أَنَّ الْإِمَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي قُرَيْشٍ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمُ الصِّدِّيقُ بِالْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ الْأَنْصَارَ سَأَلُوا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ مَعَ أَمِيرِ الْمُهَاجِرِينَ، فَأَبَى الصِّدِّيقُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ ضَرَبَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - الَّذِي دَعَا إِلَى ذَلِكَ أَوَّلًا، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ - كَمَا قَرَّرْنَا ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ[3]، فَكَيْفَ يَعْمِدُونَ إِلَى خَلِيفَةٍ قَدْ بُويِعَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سِنِينَ، فَيَعْزِلُونَهُ وَهُوَ مِنْ صَلِيبَةِ قُرَيْشٍ، وَيُبَايِعُونَ لِرَجُلٍ كِنْدِيٍّ بَيْعَةً لَمْ يَتَّفِقْ عَلَيْهَا أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ؟ وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ زَلَّةً وَفَلْتَةً نَشَأَ بِسَبَبِهَا شَرٌّ كَثِيرٌ هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

وفي هذه السنة توفي أيوب بن الْقِرِّيَّةِ وَهِيَ أُمُّهُ وَاسْمُ أَبِيهِ يَزِيدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ زُرَارَةَ ابْنِ مُسْلِمٍ النَّمِرِيُّ الْهِلَالِيُّ، كَانَ أَعْرَابِيًّا أُمِّيًّا، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي فَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ

---

(١) أخرجه أبو داود(٣٥١١)والنسائي(٤٦٤٨) وقوى بعص العلماء بعض ألفاظه، ولكن في ألفاظه اختلاف، وتمام تخريجه وذكر طرقه في تحقيقي لـ « البداية والنهاية»(٩/ ٢٠٣) وكنت قلت هناك:«في طرقه مقال» .

(٢) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٠٣).

(٣) والقصة بذلك في«صحيح البخاري»(٣٦٦٧).

وَبَلَاغَتِهِ، صَحِبَ الْحَجَّاجَ وَوَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ بَعَثَهُ رَسُولًا إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ: لَئِنْ لَمْ تَقُمْ خَطِيبًا فَتَخْلَعُ الْحَجَّاجَ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَفَعَلَ وَأَقَامَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْحَجَّاجُ اسْتَحْضَرَهُ وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُ مَقَامَاتٌ وَمَقَالَاتٌ فِي الْكَلَامِ.

ومن أقواله قال:« أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِجْلَالِ ثَلَاثَةٌ: الْعُلَمَاءُ ، وَالْإِخْوَانُ، وَالسُّلْطَانُ ، فَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ أَفْسَدَ دِينَهُ ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ أَفْسَدَ مُرُوءَتَهُ ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالسُّلْطَانِ أَفْسَدَ دُنْيَاهُ، وَالْعَاقِلُ لَا يَسْتَخِفُّ بِأَحَدٍ قَالَ: «وَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ ، وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ ، وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ».(١)

وممن توفي في هذه السنة :رَوْحٌ بن زنباع وكان عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَالْوَزِيرِ؛ لَا يَكَادُ يُفَارِقُهُ، وَكَانَ مَعَ أَبِيهِ مَرْوَانَ يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ وَقَدْ أَمَّرَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى جُنْدِ فِلَسْطِينَ. وَزَعَمَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ أَنَّ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، وَلَمْ يُتَابَعْ مُسْلِمٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ تَابِعِيٌّ وَلَيْسَ بِصَحَابِيٍّ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ

وفيها عَزَلَ الْحَجَّاجُ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَخَاهُ الْمُفَضَّلَ ابْنَ الْمُهَلَّبِ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ وَفِدَ مَرَّةً عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ بِدَيْرٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ فِيهِ شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَالِمًا. فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ: يَا شَيْخُ، هَلْ تَجِدُونَ فِي كُتُبِكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَهُ: فَمَا تَجِدُونَ صِفَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَجِدُهُ مَلِكًا أَقْرَعَ مَنْ يَقُمْ بِسَبِيلِهِ يُصْرَعُ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْوَلِيدُ. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ رَجُلٌ اسْمُهُ اسْمُ نَبِيٍّ، يَفْتَحُ بِهِ عَلَى النَّاسِ. قَالَ: أَفَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: قَدْ أُخْبِرْتُ بِكَ. قَالَ: أَفَتَعْرِفُ مَا أَلِي؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:

(١) أخرجه ابن عبد البر في«الجامع»(٩٩٦) معلقاً. فالله أعلم.

فَمَنْ يَلِي الْعِرَاقَ بَعْدِي؟ قَالَ: رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ. قَالَ: أَفِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدَ مَوْتِي؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. قَالَ: أَفَتَعْرِفُ صِفَتَهُ؟ قَالَ: يَغْدِرُ غَدْرَةً لَا أَعْرِفُ غَيْرَهَا.(١)

وأن الحجاج بدأ يُمَهِّد لعزله ثم عزله، وولى مكانه أخاه الفضل بن المهلَّب، فالله أعلم بحقيقة هذا فلم أقف على سند ثابت بهذا.

موت عبد العزيز بن مروان أخي أمير المؤمنين عبد الملك

وفي هذه السنة توفي عبد العزيز بن مروان أخو أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى عَزْلِ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ إِمْرَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَحَسَّنَ لَهُ ذَلِكَ رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ الْجُذَامِيُّ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ فِي اللَّيْلِ، وَكَانَ لَا يُحْجَبُ عَنْهُ أَيَّ سَاعَةٍ جَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَعَزَّاهُ فِي أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْعَزْمِ عَلَى عَزْلِهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى إِرَادَةِ عَزْلِهِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْهَدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِأَوْلَادِهِ؛ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ ثُمَّ يَزِيدَ ثُمَّ هِشَامٍ، وَذَلِكَ عَنْ رَأْيِ الْحَجَّاجِ وَتَرْتِيبِهِ ذَلِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ أَبُوهُ مَرْوَانُ عَهِدَ بِالْأَمْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يُنَحِّيَهُ عَنِ الْإِمْرَةِ مِنْ بَعْدِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَجْعَلَ الْأَمْرَ فِي أَوْلَادِهِ وَعَقِبِهِ، وَأَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ بَاقِيَةً فِيهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.(٢)

وقد روى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَان، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «**شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ**».(٣)

---

(١) قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٠٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥١١) بسندٍ صحيح.

وعبد العزيز وإن كان قليل الحديث، إلا أنه ثقة قصَّر به الحافظ في التقريب فقال: «صدوق» وقد وثقه النسائي وابن سعد.

وقال ابن كثير [١]:«مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ، كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، وَهُوَ وَالِدُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» أهـ ولا أعلم فيه جرحاً.

ويبدوا أنه رحمه الله كان قد انتفع بالحديث الذي رواه عن النبي ﷺ فيما تقدم.

فأخرج أحمد [٢] بسندٍ جيد عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، أَنِ ارْفَعْ إِلَيَّ حَاجَتَكَ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ يَقُولُ:«**إِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ شَيْئًا، وَلَا أَرُدُّ رِزْقًا رَزَقَنِيهِ اللهُ مِنْكَ**» .

وأخرج ابن عساكر [٣] من طريق يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ [٤]، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: بَعَثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بِأَلْفِ دِينَارٍ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُهُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ، فَقَالَ: أَيْنَ الْمَالُ؟ فَقُلْتُ: حَتَّى أَصْبَحَ. فَقَالَ: لا والله، لا أبيت الليلة وَلِي أَلْفَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهُ بِهَا فَفَرَّقَهَا رضي الله عنه .

وأخرج ابن أبي الدنيا [٥]عن عَبْد الْعَزِيزِ بْن مَرْوَانَ قال: «مَا نَظَرَ إِلَيَّ رَجُلٌ قَطُّ فَتَأَمَّلَنِي، فَاشْتَدَّ تَأَمُّلُهُ إِيَّايَ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْ حَاجَتِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ مِنْ وَرَائِهَا، فَإِذَا تَعَارَّ مِنْ وَسَنِهِ، مُسْتَطِيلًا لِلَيْلِهِ، مُسْتَبْطِئًا لِصُبْحِهِ، مُتَأَرِّقًا لِلِقَائِي، ثُمَّ غَدَا إِلَيَّ أَنَا، تِجَارَتُهُ فِي

---

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٠٨).

(٢) برقم(٤٤٧٤).

(٣) في«تاريخه»(٣٦/ ٣٥٥).

(٤) وهو الغافقي.

(٥) في« قضاء الحوائج» (١٠٧).

نَفْسِهِ، وَغَدَا التُّجَّارُ إِلَى تِجَارَتِهِمْ، أَلَّا يَرْجِعَ مِنْ غَدْوِهِ إِلَيَّ فَأُرْبِحُ مَنْ تَجَرَهُ، عَجَبًا لِمُؤْمِنٍ مُوقِنٍ يُؤْمِنُ بِالله، أَنَّ الله يَرْزُقُهُ، وَيُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ يُخْلِفُ عَلَيْهِ، كَيْفَ يَحْبِسُ مَالًا عَنْ عَظِيمِ أَجْرٍ، أَوْ حُسْنِ سَمَاعٍ؟»

بَيْعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ ثمَّ مِنْ بعده لولده سليمان

كَانَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، بُويِعَ لَهُ بِدِمَشْقَ ثُمَّ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ ثُمَّ لِسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ لَمَّا انْتَهَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ امْتَنَعَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنْ يُبَايِعَ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَحَدٍ.

فَأَمَرَ بِهِ هِشَامَ بن إسماعيل نائب المدينة فضربه سِتِّينَ سَوْطًا، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابًا مِنْ شَعْرٍ وَأَرْكَبَهُ جَمَلًا وَطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى ثَنِيَّةِ ذُبَابٍ - وَهِيَ الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقيلون - فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا رَدُّوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَوْدَعُوهُ السَّجْنَ، فَقَالَ لَهُمْ: وَالله لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لا تقتلوني لم أليس هذا الثياب.

ثُمَّ كَتَبَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ بِمُخَالَفَةِ سَعِيدٍ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعَنِّفُهُ فِي ذَلِكَ وَيَأْمُرُهُ بِإِخْرَاجِهِ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ سَعِيدًا كَانَ أَحَقَّ مِنْكَ بِصِلَةِ الرَّحِمِ مِمَّا فَعَلْتَ بِهِ، وَإِنَّا لِنَعْلَمُ أَنَّ سَعِيدًا لَيْسَ عِنْدَهُ شِقَاقٌ وَلَا خِلَافٌ، وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: مَا يَنْبَغِي إِلَّا أَنْ يُبَايِعَ، فَإِنْ لَمْ يُبَايِعْ ضَرَبْتَ عُنُقَهُ أَوْ خَلَّيْتَ سَبِيلَهُ.(١)

ولم أر في ذلك شيء يصح به سند على كثرة ترداده في الكتب وشهرته، والله أعلم.

---

(١) وكل هذا قد أخرج بعضه أو نحو منه الفسوي في«المعرفة» (١/ ٤٧٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٩٥) وقد تعرَّضت لسنده ومتنه نقداً في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» ص٢٥١

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الْعَشَرَةِ، قاله يحيى بن القطان.(١)

وفيها توفي عبد الله بن عامر بن ربيعة، عمرو بن حريث، وعمرو بن سلمة.

وواثلة بن الأسقع رضي الله عنه وهو آخر من توفي من الصحابة بدمشق.

وهو الذي قَالَ: كُنْتُ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ فَأَتَى رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدِي إِذَا شَبِعْتُمْ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ وَالزَّيْتِ فَأَكَلْتُمْ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَلَبِسْتُمْ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَمْ ذَاكَ؟**» قَالَ: قُلْنَا: ذَاكَ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ**».

قَالَ وَاثِلَةُ: فَمَا ذَهَبَتْ بِنَا الْأَيَّامُ حَتَّى أَكَلْنَا أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَلَبِسْنَا أَنْوَاعَ الثِّيَابِ وَرَكِبْنَا الْمَرَاكِبَ».(٢)

وفيها توفي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ وكَانَ أَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِفُنُونِ الْعِلْمِ، وَلَهُ يَدٌ طُولَى فِي الطِّبِّ، وَكَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْكِيمْيَاءِ وَكَانَ قَدِ اسْتَفَادَ ذَلِكَ مِنْ رَاهِبٍ اسْمُهُ مَرْيَانُسُ، وَكَانَ خَالِدٌ فَصِيحًا بَلِيغًا شَاعِرًا مُطْبِقًا كَأَبِيهِ.

وذكر ابن كثير له قصة فقال: دَخَلَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِحَضْرَةِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، فَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّ ابْنَهُ الْوَلِيدَ يَحْتَقِرُ أَخَاهُ عَبْدَ الله بْنَ يَزِيدَ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل:

---

(١) حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢١٠) عن الإمام الذهبي رحمه الله.

(٢) أخرجه خيثمة بن سليمان في «جزئه»ص ١٩٠ ومن طريقه أبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٢٣) والبيهقي في «الشعب» (٩٨٤٠) عن سليمان بن حيان ثنا واثلة رضي الله عنه به وهو أثر حسن إن شاء الله.

٣٤] (النَّمْلِ: ٣٤) فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦] (الْإِسْرَاءِ: ١٦) . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَاللهِ لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ أَخُوكَ عَبْدُ اللهَّ، فَإِذَا هُوَ لَا يُقِيمُ اللَّحْنَ. فَقَالَ خَالِدٌ: وَالْوَلِيدُ لَا يُقِيمُ اللَّحْنَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ لَا يَلْحَنُ. فَقَالَ خَالِدٌ: وَأَنَا أَخُو عَبْدِ اللهَّ لَا أَلْحَنُ. فَقَالَ الْوَلِيدُ - وَكَانَ حَاضِرًا - لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ: اسْكُتْ، فَوَاللهِ مَا تُعَدُّ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ. فَقَالَ خَالِدٌ: اسْمَعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى الْوَلِيدِ فَقَالَ: وَيْحَكَ، وَمَا هُوَ الْعِيرُ وَالنَّفِيرُ غَيْرُ جِدِّي أَبِي سُفْيَانَ صَاحِبِ الْعِيرِ، وَجَدِّي عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ صَاحِبِ النَّفِيرِ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتَ: غُنَيْمَاتٌ وَحُبَيْلَاتٌ وَالطَّائِفُ، وَرَحِمَ اللهُ عُثْمَانَ. لَقُلْنَا: صَدَقْتَ. - يَعْنِي أَنَّ الْحَكَمَ كَانَ مَنْفِيًّا بِالطَّائِفِ يَرْعَى غَنَمًا، وَيَأْوِي إِلَى حَبَلَةِ الْكَرَمِ، حَتَّى آوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ حِينَ وَلِيَ، فَسَكَتَ الْوَلِيدُ وَأَبُوهُ، وَلَمْ يُحِيرَا جَوَابًا.[1]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وثمانين

ذكر أن فِيهَا كَانَ طَاعُونٌ بِالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطٍ وَيُسَمَّى طَاعُونَ الْفَتَيَاتِ، لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِالنِّسَاءِ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ.

وَفِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ وَسَلِمَ وَافْتَتَحَ حِصْنَ بِوَلْقَ وَحِصْنَ الْأَخْرَمِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ.

وَفِيهَا: عَقَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ عَلَى مِصْرَ وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَدَخَلَهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَعُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

وَفِيهَا: هَلَكَ مَلِكُ الروم الأخرم لورى لَا رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٢١١).

وَفِيهَا: حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ.

وفي هذه السنة توفى أبو أمامة الْبَاهِلِيُّ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أَوْفَى، وَعَبْدُ الله بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ فِي قَوْلٍ ثلاثتهم صحابة رضي الله عنهم، والأخير شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَسَكَنَهَا وَهُوَ آخِرُ من مات من الصحابة رضي الله عنهم بمصر.[1]

وفيها توفي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَالِدُ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ:

وَهُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ أَبُو الْوَلِيدِ الْأُمَوِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عفان، وشهد الدار مع أبيه وهو ابن عَشْرُ سِنِينَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَارَ بِالنَّاسِ فِي بِلَادِ الرُّومِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلَهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَلَّاهُ إِيَّاهَا مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ يُجَالِسُ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْعُبَّادَ وَالصُّلَحَاءَ وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ وَجَابِرٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَمُعَاوِيَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَبَرِيرَةَ مَوْلَاةِ عَائِشَةَ..

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ مِنَ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ الْفُقَهَاءِ الْمُلَازِمِينَ لِلْمَسْجِدِ التَّالِينَ لِلْقُرْآنِ[2]

وكَانَتْ وِلايَتُهُ مِنْ يَوْمِ بُويعَ إِلَى يَوْمِ تُوُفِّيَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَنِصْفًا. وَكَانَ تِسْعُ سِنِينَ مِنْهَا يُقَاتِلُ فِيهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالْخِلافَةِ بِالشَّامِ ثم بالعراق بَعْدَ مَقْتَلِ مُصْعَبٍ. وَبَقِيَ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ

(١) وهذا فيما حكاه ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٩/ ٢١٢).

(٢) حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢١٢) ونحوه أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٥/ ١٨٢) بسندٍ فيه الواقدي وهو متروك، ولكن المعنى صحيح كما سيأتي .

ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ إلا سَبْعَ لَيَالٍ.[١]

وقد كان يعتني بالعلماء فيقدمهم رحمه الله

فأخرج البخاري[٢] عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ عَبْدَ المَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، كَتَبَ إِلَى الحَجَّاجِ أَنْ يَأْتَمَّ بِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فِي الحَجِّ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ، جَاءَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا وَأَنَا مَعَهُ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ أَوْ زَالَتْ، فَصَاحَ عِنْدَ فُسْطَاطِهِ أَيْنَ هَذَا؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:«الرَّوَاحَ» فَقَالَ: الآنَ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أَنْظِرْنِي أُفِيضُ عَلَيَّ مَاءً، فَنَزَلَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا حَتَّى خَرَجَ، فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُصِيبَ السُّنَّةَ اليَوْمَ فَاقْصُرِ الخُطْبَةَ وَعَجِّلِ الوُقُوفَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ «صَدَقَ».

وأخرج ابن سعد[٣] بسندٍ صحيح عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَمَا بِالْمَدِينَةِ شَابٌّ أَشَدُّ تَشْمِيرًا وَلا أَطْلَبُ لِلْعِلْمِ مِنْهُ، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَلا أَشَدُّ اجْتِهَادًا.

وهذا يؤيِّد ما تقدم من شأنه في العلم قبل الخلافة.

وقد أخرج الفسوي والخطيب البغدادي[٤] بسندٍ صحيح عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ قَالَ: قِيلَ لابْنِ عُمَرَ: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ أَشْيَاخِ قُرَيْشٍ تُوشِكُونَ أَنْ تَنْقَرِضُوا، فَمَنْ نَسْأَلُ بَعْدَكُمْ؟ فَقَالَ: إِنَّ لِمَرْوَانَ ابنا فقيها فسلوه.

---

(١) قاله ابن سعد في«طبقاته»(٥/ ١٨٢)

(٢) برقم (١٦٦٣).

(٣) في«طبقاته» (٥/ ١٨٢) و ابن عساكر في«تاريخ دمشق» (٣٧/ ١١٩)

(٤) أخرجه الفسوي في«المعرفة»(١/ ٥٦٣) في «تاريخ بغداد»(١٢/ ١٢٦) وابن عساكر في«تاريخ دمشق»(٣٧/ ١١٩)

وقال أبو الزناد: وَكَانَ يُعَدُّ فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةً سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.(١)

ومن عدله رحمه الله :

ما أخرجه معمر(٢) بسندٍ صحيح عَنِ الزُّهْرِيِّ «أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ(٣): إِنَّ ابْنَ هُرْمُزَ ظَلَمَنِي، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، ثُمَّ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ فِي التَّوْرَاةِ: أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَشْرَكُ فِي ظُلْمٍ وَلَا جَوْرٍ حَتَّى يُرْفَعَ إِلَيْهِ، فَإِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ فَلَمْ يُغَيِّرْ شَرِكَ فِي الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، قَالَ: فَفَزِعَ لَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ هُرْمُزَ فَنَزَعَهُ».

بل أخرج ابن عساكر(٤) بسنده عن الشَّعْبِيِّ قال: مَا جَالَسْتُ أَحَدًا إِلَّا وَجَدْتُ لِي الْفَضْلَ عَلَيْهِ إِلَّا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني منه، وَلَا شِعْرًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ.

وقد كان وقافاً عند النصوص:

---

(١) أخرجه الفسوي في«المعرفة»(، ٥٦٣، ٣٥٤)ابن عساكر (٤٩/ ٢٦١) بسندٍ صحيح.

(٢) في«الجامع»(٢٠٦٦٩ مصنف) والبيهقي في«الكبرى»(٨/ ٢٨١) وفي«الشعب»(٧٠١٢) وغيرهم.

(٣) وعند الفسوي في«المعرفة» (١/ ٣٥٩) « عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ، قَالَ: « قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...» ويبدوا أنه قد سقط من عند معمر في«جامعه» ومن «شعب الإيمان»:«عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ، قَالَ: « قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...»

(٤) في«تاريخه»(٣٧/ ١٢٤)

فأخرج الفسوي وأبو نعيم [١] بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: « أَصَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ حَاجَةٌ زَمَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَعَمَّتْ أَهْلَ الْبَلَدِ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يُصِبْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَذَلِكَ لِخِبْرَتِي بِأَهْلِي، فَتَذَكَّرْتُ هَلْ مِنْ أَحَدٍ أَمُتُّ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ أَوْ مَوَدَّةٍ أَرْجُو إِنْ خَرَجْتُ إِلَيْهِ أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ شَيْئًا، فَمَا عَلِمْتُ مِنْ أَحَدٍ أَخْرُجُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللهِ، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ دِمَشْقَ، فَوَضَعْتُ رَحْلِي ثُمَّ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَعَمَدْتُ إِلَى أَعْظَمِ مَجْلِسٍ رَأَيْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَكْثَرِهِ أَهْلًا، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَأَجْسَمِ الرِّجَالِ وَأَجْمَلِهِمْ وَأَحْسَنِهِمْ هَيْئَةً، فَأَقْبَلَ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي أَنَا فِيهِ، فَتَحَثْحَثُوا لَهُ، أَيْ أَوْسَعُوا، فَجَلَسَ فَقَالَ: لَقَدْ جَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ كِتَابٌ مَا جَاءَهُ مِثْلُهُ مُنْذُ اسْتَخْلَفَهُ اللهُ، قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَامِلُهُ بِالْمَدِينَةِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ يَذْكُرُ أَنَّ ابْنًا لِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ابْنِ أُمِّ وَلَدٍ مَاتَ، فَأَرَادَتْ أُمُّهُ أَنْ تَأْخُذَ مِيرَاثَهَا فِيهِ، فَمَنَعَهَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا مِيرَاثَ لَهَا، فَتَوَهَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، يَذْكُرُهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ، لَا يَحْفَظُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَنَا أُحَدِّثُكُمْ، فَقَامَ إِلَيَّ قَبِيصَةُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي حَتَّى دَخَلَ الدَّارَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ مُجِيبًا: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ: أَنَدْخُلُ؟ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: ادْخُلْ. فَدَخَلَ قَبِيصَةُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، وَقَالَ: هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ الَّذِي سَمِعْتَ مِنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِيهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ يَذْكُرُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَمَرَ لِأُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ أَنْ يُقِمْنَ فِي أَمْوَالِ أَبْنَائِهِنَّ بِقِيمَةِ عَدْلٍ، ثُمَّ يُعْتَقْنَ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ صَدْرًا مِنْ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ

(١) «المعرفة والتاريخ» (١/ ٦٢٦ -٦٢٩) وأبو نعيم في«الحلية» (٣/ ٣٦٧).

تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ لَهُ ابْنٌ مِنْ أُمٍّ وَلَدٍ، كَانَ عُمَرُ يُعْجَبُ بِذَلِكَ الْغُلَامِ، فَمَرَّ ذَلِكَ الْغُلَامُ عَلَى عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ بِلَيَالٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا فَعَلْتَ يَا ابْنَ أَخِي فِي أُمِّكَ؟ قَالَ: فَعَلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا، خَيَّرُونِي بَيْنَ أَنْ يَسْتَرِقُّوا أُمِّي أَوْ يُخْرِجُونِي مِنْ مِيرَاثِي مِنْ أَبِي، فَكَانَ مِيرَاثِي مِنْ أَبِي أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَرِقُّوا أُمِّي، قَالَ عُمَرُ: أَوَ لَسْتُ إِنَّمَا أَمَرْتُ فِي ذَلِكَ بِقِيمَةِ عَدْلٍ، مَا أَرَى رَأَيًا، وَلَا آمُرُ أَمْرًا، إِلَّا قُلْتُمْ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ بِأَمْرٍ قَدْ عَلِمْتُمُوهُ، ثُمَّ قَدْ حَدَثَ لِي رَأْيٌ غَيْرُ ذَلِكَ، فَأَيُّمَا امْرِئٍ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمُّ وَلَدٍ فَمَلَكَهَا بِيَمِينِهِ مَا عَاشَ، فَإِذَا مَاتَ فَهِيَ حُرَّةٌ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَمَ وَاللهِ إِنْ كَانَ لَكَ لَأَبٌ يَغَارُ فِي الْفِتْنَةِ مُؤْذِيًا لَنَا فِيهَا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قُلْ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ قَالَ: أَجَلْ، لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، افْرِضْ لِي؛ فَإِنِّي مُقْطَعٌ مِنَ الدِّيوَانِ، قَالَ: إِنَّ بَلَدَكَ لَبَلَدٌ مَا فَرَضْنَا لِأَحَدٍ فِيهَا مُنْذُ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَبِيصَةَ، وَإِنِّي وَهُوَ قَائِمَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَأَنَّهُ أَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ افْرِضْ لَهُ، قَالَ: قَدْ فَرَضَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: قُلْتُ: وَصِلَةٌ تَصِلُنَا بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي وَاللهِ لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّ فِيهِمْ لَحَاجَةً مَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَلَقَدْ عَمَّتِ الْحَاجَةُ أَهْلَ الْبَلَدِ، قَالَ: قَدْ وَصَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَادِمٌ تَخْدِمُنَا؛ فَإِنِّي وَاللهِ قَدْ تَرَكْتُ أَهْلِي مَا لَهُمْ خَادِمٌ إِلَّا أُخْتِي، إِنَّهَا الْآنَ تَخْبِزُ لَهُمْ، وَتَعْجِنُ لَهُمْ، وَتَطْحَنُ لَهُمْ، قَالَ: وَقَدْ أَخْدَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ مَعَ مَا قَدْ عَرَفَ مِنْ حَدِيثِي أَنِ ابْعَثْ إِلَى ابْنِ الْمُسَيَّبِ فَاسْأَلْهُ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي سَمِعْتُ يُحَدِّثُ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ بِمِثْلِ حَدِيثِي، مَا زَادَ عَنْهُ حَرْفًا، وَلَا نَقَصَ مِنْهُ حَرْفًا ».

وكان يحترم الصحابة ﷺ:

فقد أخرج ابن عساكر[1] عن الْأَعْمَش قال: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشْكُو الْحَجَّاجَ وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لَوْ أَنَّ رجلا خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصارى أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة، وَلَعَرَفُوا لَهُ ذَلِكَ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا، وَإِنِّي خَادِمُ رَسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبُهُ ورأيته وأكلت معه، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه، وَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَفَعَلَ وَفَعَلَ، قال: أخبرنى مَنْ شَهِدَ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَهُوَ يَبْكِي وَبَلَغَ بِهِ الْغَضَبُ مَا شَاءَ الله، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِكِتَابٍ غَلِيظٍ، فَجَاءَ إلى الحجاج فقرأه فتغير ثُمَّ قَالَ إِلَى حَامِلِ الْكِتَابِ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَتَرَضَّاهُ.

وقد ورد عن الْأَعْمَش قال: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشْكُو الْحَجَّاجَ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ عِيسَى لَيْلَةً وَاحِدَةً، أَوْ خَدَمَهُ فَعَرَفَتْهُ النَّصَارَى لَنَزَلَ عِنْدَهُمْ، وَلَعَرَفُوا لَهُ ذَلِكَ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ مُوسَى أَوْ رَآهُ فَعَرَفَتْهُ الْيَهُودُ فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَإِنِّي خَادِمُ رَسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبُهُ، وَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَفَعَلَ وَفَعَلَ. قَالَ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَهُوَ يَبْكِي، وَبَلَغَ بِهِ الْغَضَبُ مَا شَاءَ الله، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِكِتَابٍ غَلِيظٍ، فَجَاءَ إِلَى الْحَجَّاجِ، فَقَرَأَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ إِلَى اِمِلِ الْكِتَابِ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَتَرَضَّاهُ.

ولكن لم أقف له على إسنادٍ ثابت على شهرته.[2]

---

(١) في «تاريخه»(٣٧/ ١٤١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في«تاريخ دمشق»(٣٧/ ١٤١) وفي إسناده من لم أعرفه.

وقد وردت موعظته للحجاج الثقفي :

فقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْأَشْعَثِ: إِنَّكَ أَعَزُّ مَا تَكُونُ بالله أحوج ما تكون إليه، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم، وَإِذَا عَزَزْتَ بالله فَاعْفُ لَهُ، فَإِنَّكَ بِهِ تَعِزُّ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ.(١)

وكَانَ جُمْلَةُ أَوْلَادِهِ تِسْعَةَ عَشَرَ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، مِنْهَا تِسْعُ سِنِينَ مُشَارِكًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَنَصِفٌ مُسْتَقِلًّا بِالْخِلَافَةِ وَحْدَهُ.(٢)

وممن مات في هذه السنة الإمام الزاهد الورع الفاضل مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ رحمه الله. الثقةُ العابدُ الفاضلُ ، أحدُ الأعلامِ

كَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ يَقُولُ مَا أُوتِيَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، وَعُقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ زَمَانِهِمْ. وَقَالَ: إِذَا اسْتَوَتْ سريرة العبد وَعَلَانِيَتُهُ قَالَ الله هَذَا عَبْدِي حَقًّا.

وله أعمال حسنة وكلام في الزهد كثير .

وفي هذا الباب مما اشتهر، وهو ما رواه الحاكم(٣/ ٦٦٣) عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: رَأَيْتُ أَنَسَ ابْنَ مَالِكٍ مَخْتُومًا فِي عُنُقِهِ خَتَمَهُ الْحَجَّاجُ أَرَادَ أَنْ يُذِلَّهُ بِذَلِكَ.

ولكن سنده واه لضعف بعض رجاله، وفيه أيضاً محمد بن عمر الواقدي وهو متروك، ثم إن وقوع مثل هذا مستبعد، ذلك أن أنساً رضي الله عنه كان يحكي عن كبار الصحابة رضي الله عنهم ما هو في صالح الأمراء، وليس في قوله تأنيب للأمراء، ولا تعنيف لهم، ولا منازعة لهم، ولا تأليب عليهم، فكيف يأتيه مثل هذا من قِبَل الحجاج ؟!

(١) وأخرجه ابن عساكر أيضا(٣٧/ ١٤٢) وفي سنده من لم أقف على ترجمته.

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٠).

ومن فطنته وفراسته:

ما رواه قتادة رحمه الله قال: حَدَّثنا مطرفٌ قال: كُنا نأتي زيدَ بنَ صُوحان [١]، وكانَ يقولُ: «يَا عِبَادَ الله! أَكْرِمُوا وَأَجْمِلُوا فَإِنَّمَا وَسِيلَةُ الْعِبَادِ إِلَى الله بِخَصْلَتَيْنِ الْخَوْفِ وَالطَّمِعِ» فَأَتَيْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ كَتَبُوا كِتَابًا فَنَسَقُوا كَلَامًا مِنْ هَذَا النَّحْوِ: إِنَّ اللهَ رَبُّنَا وَمُحَمَّدًا نَبِيُّنَا وَالْقُرْآنَ إِمَامُنَا وَمَنْ كَانَ مَعَنَا كُنَّا وَكُنَّا لَهُ [٢]وَمَنْ خَالَفَنَا كَانَتْ يَدُنَا عَلَيْهِ وَكُنَّا وَكُنَّا قَالَ: فَجَعَلَ يَعْرِضُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُونَ: «أَقْرَرْتَ يَا فُلَانُ؟» حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيَّ فَقَالُوا: «أَقْرَرْتَ يَا غُلَامُ؟» قُلْتُ: لَا قَالَ: «لَا تَعْجَلُوا عَلَى الْغُلَامِ، مَا تَقُولُ يَا غُلَامُ؟» قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَخَذَ عَلَيَّ عَهْدًا فِي كِتَابِهِ[٣]فَلَنْ أُحْدِثَ عَهْدًا سِوَى الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ .

---

(١) وكان فاضلاً ديِّناً خيِّراً سيِّداً فى قومه، وهو مختلفٌ فى صحبته.

(٢) وهذه هي أصول الحزبية التي جعلت الناس فريقان في كل قرية وزقاق، وتنازعوا وذهبت ريحهم، الناس عنهم فريقان.

(٣) **ومقصوده بالعهد:** إما العهد الذي أمر الله به في قوله **تَعَالَى:** ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴿١٠٣﴾﴾ آل عمران. وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى.

وإما قصده بالعهد: الذي أمر به رسول الله ﷺ بطاعة ولاة الأمور، ولزوم جماعتهم التي أمر به الله ورسوله ﷺ، مما ذكرنا، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ القصص.

أو أن مُطرِّفاً رحمه الله رأى أنهم بهذا الانضمام لإنشاء حزب مستقبلي يزكون أنفسهم على غيرهم، وقد قال تعالى:«فلا تزكوا أنفسكم»، و يرون أن من كان معهم كان على الحق، ويده على غيره، ومن لم يكن

قَالَ: فَرَجَعَ الْقَوْمُ عِنْدَ آخِرِهِمْ مَا أَقَرَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَالَ: قُلْتُ لِمُطَرِّفٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا،قَالَ قَتَادَةُ:وَكَانَ مُطَرِّفٌ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ نَهَى عَنْهَا وَهَرَبَ» (١).

خلافة الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان

بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ

كَانَ صَيِّنًا فِي نَفْسِهِ حَازِمًا فِي رَأْيِهِ، يُقَالُ إِنَّهُ لَا تُعْرَفُ لَهُ صَبْوَةٌ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَحَاسِنِهِ مَا صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَوْلَا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكراً كان يَأْتِي ذَكَرًا كَمَا تُؤْتَى النِّسَاءُ، وهو باني مسجد جَامِعِ دِمَشْقَ الَّذِي لَا يُعْرَفُ فِي الْآفَاقِ أَحْسَنُ بِنَاءً مِنْهُ، وَقَدْ شَرَعَ فِي بِنَائِهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي بِنَائِهِ وَتَحْسِينِهِ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ وَهِيَ عَشْرُ سِنِينَ، فَلَمَّا أَنْهَاهُ انْتَهَتْ أَيَّامُ خِلَافَتِهِ، وَقَدْ كَانَ مَوْضِعُ هَذَا الْمَسْجِدِ كَنِيسَةً يُقَالُ لَهَا كَنِيسَةُ يُوحَنَّا، فَلَمَّا فَتَحَتِ الصَّحَابَةُ دِمَشْقَ جَعَلُوهَا مُنَاصَفَةً، فَأَخَذُوا مِنْهَا الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ فَحَوَّلُوهُ مَسْجِدًا، وَبَقِيَ الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ كَنِيسَةً بِحَالِهِ مِنْ لَدُنْ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ، فَعَزَمَ الْوَلِيدُ على أخذ بقية الْكَنِيسَةِ مِنْهُمْ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا كَنِيسَةَ مَرْيَمَ لِدُخُولِهَا فِي جَانِبِ السَّيْفِ، وَقِيلَ عَوَّضَهُمْ عَنْهَا كَنِيسَةَ تُومَا، وَهَدَمَ بَقِيَّةَ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ وَأَضَافَهَا إِلَى مَسْجِدِ الصَّحَابَةِ، وَجَعَلَ الْجَمِيعَ مَسْجِدًا وَاحِدًا عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ لَا يَعْرِفُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزينات والآثار والعمارات، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.(٢)

معهم كان على الباطل وكانت يد غيره عليه، ألا ترى أن هذا هو المنصوص عليه في الكلام الذي نسقوه ؟

(١) صحيح عن قتادة. أخرجه أبو نعيم فى« الحلية» (٢/ ٢٠٤) وابن عساكر (٥٨/ ٣١٣) .

(٢) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٢٣).

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وثمانين

فِيهَا عَزَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَ عَمِّهِ وَزَوْجَ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الملك عمر بن عبد العزيز، فدخلها على ثَلَاثِينَ بَعِيرًا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا، فَنَزَلَ دَارَ مَرْوَانَ وَجَاءَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَعَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ دَعَا عَشَرَةً مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَهُمْ عُرْوَةُ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بن عتبة، وأبو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، وَأَخُوهُ عُبَيْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ الله بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ.

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَجَلَسُوا فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ تُؤْجَرُونَ عَلَيْهِ وَتَكُونُونَ فِيهِ أَعْوَانًا عَلَى الْحَقِّ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ أَمْرًا إِلَّا بِرَأْيِكُمْ أَوْ بِرَأْيِ مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا يَتَعَدَّى أَوْ بَلَغَكُمْ عَنْ عَامِلٍ لِي ظُلَامَةٌ، فأحرِّج عَلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ إِلَّا أَبْلَغَنِي.

فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ يَجْزُونَهُ خَيْرًا، وَافْتَرَقُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِأَنْ يُوقِفَ هِشَامَ بْنَ إسماعيل للناس عند دار مروان- وكان يسيء الرأي فيه- لأنه أساء إلى أهل المدينة فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَلَا سِيَّمَا إِلَى سَعِيدِ بْنِ المسيب وعلي بن الحسين.

فِيهَا عَزَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَ عَمِّهِ وَزَوْجَ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الملك عمر بن عبد العزيز، فدخلها على ثَلَاثِينَ بَعِيرًا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا، فَنَزَلَ دارَ مَرْوَانَ وَجَاءَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ،

وَعَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.(١)

وفي هذه السنة توفي من الأعيان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم:

منهم: عُتْبَةُ بْنُ عَبْدٍ السُّلَمِيُّ صحابي جليل، نزل حمص.

وهو القائل اسْتَكْسَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَكَسَانِي خَيْشَتَيْنِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا أَكْسَى أَصْحَابِي (٢).

وهو راوي حديثَ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ، هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ الله، لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».(٣)

إلا أن الصواب فيه الوقف(٤) من قول مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ، إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللهِ، لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ ».

وممن تُوُفِّي في هذه السنة :

الْمِقْدَامُ بْنُ مَعْدِ يَكْرِبَ رضي الله عنه:

وهو صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، نَزَلَ حِمْصَ أَيْضًا، لَهُ أَحَادِيثُ، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ وَالْفَلَّاسُ وَأَبُو عُبَيْدٍ: تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ: تُوُفِّيَ بَعْدَ التِّسْعِينَ، فَالله أَعْلَمُ (٥).

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٣٢) بسندٍ صحيح.

(٣) وقد أخرجه أحمد (١٧٦٤٩).

(٤) وهو عند أحمد (١٧٦٥٠) بسندٍ صحيح كما بينت في تحقيقي لـ«البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٦).

(٥) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٢٦).

ومنهم أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه وَاسْمُهُ صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ:

راوي حديث تلقين الميت بعد الدفن [١]. وأحاديث أخرى كثيرة.

وفي هذه السنة توفي قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ أَبُو سُفْيَانَ الْخُزَاعِيُّ الْمَدَنِيُّ:

وُلِدَ عَامَ الْفَتْحِ، وَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ لِيَدْعُوَ لَهُ. رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الْحَرَّةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ إِذَا وَرَدَتْ مِنَ الْبِلَادِ، ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَيُخْبِرُهُ بِمَا وَرَدَ مِنَ الْبِلَادِ فِيهَا، وَكَانَ صَاحِبَ سِرِّهِ.

قاله ابن كثير [٢] تبعًا لغيره ولم أقف عليه بسندٍ ثابت.

وممن توفي في هذه السنة:

عروة بن المغيرة بن شعبة، ويحيي بن يعمر وهو راوي كلام ابن عمر رضي الله عنه في بدعة القدرية وقول معبد الجهني وذلك في الحديث الأول في صحيح مسلم.

وممن توفي في هذه السنة:

شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ الْقَاضِي:

أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَاسْتَقْضَاهُ عُمَرُ عَلَى الْكُوفَةِ، فَمَكَثَ بِهَا قَاضِيًا خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ عَالِمًا عَادِلًا كَثِيرَ الْخَيْرِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، فِيهِ دُعَابَةٌ كَثِيرَةٌ [٣].

---

(١) وهو حديث ضعيف جداً كما بينت في كتابي «جامع أحكام الميت» الجزء الأول.

(٢) في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٨).

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ

فِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَافْتَتَحَا بِمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِصْنَ طُوَانَةَ فِي جُمَادَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ حِصْنًا مَنِيعًا اقْتَتَلَ النَّاسُ عِنْدَهُ قِتَالًا عَظِيمًا، ثُمَّ حَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى النَّصَارَى، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمُ الْكَنِيسَةَ، ثُمَّ خَرَجَتِ النَّصَارَى فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مَوْقِفِهِ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَمَعَهُ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ الْجُمَحِيُّ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِابْنِ مُحَيْرِيزٍ: أَيْنَ قُرَّاءُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: نَادِهِمْ يَأْتُوكَ. فَنَادَى: يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ. فَتَرَاجَعَ النَّاسُ، فَحَمَلُوا عَلَى النَّصَارَى فَكَسَرُوهُمْ، وَلَجَأُوا إِلَى الْحِصْنِ، فَحَاصَرُوهُمْ حَتَّى فَتَحُوهُ.

وفي هذه السنة:

تم توسيع المسجد النبوي توسعة كبيرة حتى دخلت حجرة عائشة رضي الله عنها – وفيها الأقبر الثلاثة– في المسجد ، وكذا دخلت في سائر حُجَر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وَرُوِّينَا أَنَّهُمْ لَمَّا حَفَرُوا الْحَائِطَ الشَّرْقِيَّ مِنْ حُجْرَةِ عَائِشَةَ بَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَخَشُوا أَنْ تَكُونَ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ حتى تحققوا أنها قدم عمر رضي الله عنه .(١)

وَيُحْكَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ أَنْكَرَ إِدْخَالَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فِي الْمَسْجِدِ– كَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ الْقَبْرُ مَسْجِدًا– وَالله أَعْلَمُ.(٢)

وقد روى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي ﷺ لما انهدم أيام خلافة الوليد بن

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٢٨).

(٢) وهذا مما لا يُتوقَّع من سعيد وغيره غير هذا .

عبد الملك بن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة، بدت لهم قدم فخافوا أن تكون قدم النبي فجزع الناس حتى روى لهم سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن أجساد الأنبياء لا تُقِيم في الأرض أكثر من أربعين يوماً ثم ترفع[١] وجاء سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب فعرف أنها قدم جده عمر رضي الله عنه، وكان رحمه الله قتل شهيداً[٢].

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان:

عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني رضي الله عنه أبو صفوان:

هو الذي روى فيه الْحَسَن بْنُ أَيُّوب الْحَضْرَمِيّ قَالَ:« أَرَانِي عَبْد الله بْنُ بُسْر الْمَازِنِي شَامَةً فِي قرنهِ فَقَالَ: وَضَعَ النَّبِيُّ يدَهُ عَلَيْهِا وَقَالَ: لَتُدْرِكَنَّ قَرْنًا» فَكَانَ عَبْد الله بن بُسْر يرجل شعره.[٣]

وكان صدَّاعاً بالحق لا يخشى في الله لومة لائم:

---

(١) لكن هذا أخرجه عبد الرزاق في«المصنف»(٦٧٢٥) بسندٍ عن سعيد بن المسيب وَرَأَى، قَوْمًا يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **مَا مَكَثَ نَبِيٌّ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا** » مرسلاً .

وراجع تتمة تخريجه في كتابي«الفوائد النيرة»(٣٨٣) .

(٢) كذا قال القرطبي في«التذكرة» ص ٤٤٨ وقد خرَّجته وبينت أني لم أقف له على سندٍ يثبت في كتابي «الفوائد النيرة» (٣٨٣) وكذلك هذا الوارد عن سالم بن عبد الله بن عمر رحمه الله.

(٣) أخرجه البزار في(٢٧٤٧ كشف الأستار) حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ بُسْرٍ- قَالَ الْبَزَّارُ: رَأَيْتُهُ فِي كِتَابِي فِي مَوْضِعٍ آخَرَ- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الطَّائِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ بُسْرٍ. ورجاله معدَّلون.

أخرج الدولابي[١] بسندٍ حسن عن عَنِ الْأَزْهَرِ بْنِ عَبْدِ الله الْحَرَازِيُّ، أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ سُلَيْمٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَزْيِينِ مَسْجِدِ حِمْصَ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَنْ أَحْضِرْهُ أُنَاسًا مِنْ قُدَمَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ، فَلْيَدْعُوا لِلْأَمِيرِ بِالصَّلَاحِ وَالْعَافِيَةِ وَالْبَقَاءِ، فَدَعَا أُنَاسًا مِنَ الْجُنْدِ فِيهِمْ عَبْدُالله بْنُ بُسْرٍ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: يَا أَبَا صَفْوَانَ كَيْفَ تَرَى هَذَا الْمَسْجِدَ؟ قَالَ: «أَرَاهُ حَسَنًا مُلْهِيًا» .

وقد ذكروا في ترجمة هذا الأمير أنه كان فيه عسف وتبختر.

ولكن ذكر ابن كثير: أنه كَانَ صَيِّنًا فِي نَفْسِهِ حَازِمًا فِي رَأْيِهِ، يُقَالُ إِنَّهُ لَا تُعْرَفُ لَهُ صَبْوَةٌ، فالله أعلم .

وذكر ابن كثير أيضاً: أن الوليد بن عبد الملك هو باني مسجد جَامِعِ دِمَشْقَ الَّذِي لَا يُعْرَفُ فِي الْآفَاقِ أَحْسَنُ بِنَاءً مِنْهُ، وَقَدْ شَرَعَ فِي بِنَائِهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي بِنَائِهِ وَتَحْسِينِهِ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ وَهِيَ عَشْرُ سِنِينَ، فَلَمَّا أَنْهَاهُ انْتَهَتْ أَيَّامُ خِلَافَتِهِ،

قلت« **محمد** »: وفي هذا نظر لأن عبد الله بن بسر رضي الله عنه دخله بعد تزيينه وقال ما قد تقدم ذكره، ومات هذا الصحابي رضي الله عنه في هذه السنة قبل أن يموت بنحو ست سنوات، إلا أن يكون ابتدأ تزيينه قبل موت عبد الله بن بسر رضي الله عنه .

وممن توفي الصحابي الجليل عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه صحابي جليل:

وهو الذي روى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ**»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**».[٢]

---

(١) في«الكنى»(٤١١).

(٢) أخرجه البخاري(١٤٩٧) ومسلم(١٠٧٨).

كف بصره في آخر عمره:

قال سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُوَ مَحْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلَتْهُ الْأَزَارِقَةُ، قَالَ: لَعَنَ الله الْأَزَارِقَةَ، لَعَنَ الله الْأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ**»، قَالَ: قُلْتُ: الْأَزَارِقَةُ وَحْدَهُمْ أَمِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: «بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدِي فَغَمَزَهَا بِيَدِهِ غَمْزَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ يَا ابْنَ جُمْهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلَّا فَدَعْهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ». (١)

وَفِيهَا:

تُوُفِّيَ هِشَامُ بن إسماعيل ابن هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ، وَكَانَ حَمَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَنَائِبَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ.

اشتهر في هذا الموطن قصة فيها نكارة في المعنى، أنه ضَرَبَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ كَمَا ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فَمَاتَ بِهَا ولم أقف على سندٍ صحيح بهذا.

أخرجها أبو نعيم (٢) من طريق رَجَاء بْن جَمِيلٍ الْأَيْلِيِّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدٍ الْقَارِئُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ حِينَ قُدِّمَتِ الْبَيْعَةُ لِلْوَلِيدِ، وَسُلَيْمَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِيهِمَا: إِنِّي مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِخِصَالٍ ثَلَاثٍ قَالَ: «وَمَا هِيَ؟» قَالَ: تَعْتَزِلُ مَقَامَكَ فَإِنَّكَ هُوَ وَحَيْثُ يَرَاكَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: «مَا كُنْتُ لِأُغَيِّرَ مَقَامًا قُمْتُهُ مُنْذُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٤١٥) وغيره بسندٍ قوي.

(٢) في «الحلية»(٢/ ١٧٠) بسنده إلى رَجَاء بْن جَمِيلٍ الْأَيْلِيِّ به. ومن نفس الطريق أخرجه الفسوي في «المعرفة»(٣/ ٤٧٦).

أَرْبَعِينَ سَنَةً» قَالَ: تَخْرُجُ مُعْتَمِرًا قَالَ: «مَا كُنْتُ لِأُنْفِقَ مَالِي وَأُجْهِدَ بَدَنِي فِي شَيْءٍ لَيْسَ لِي فِيهِ نِيَّةٌ»، وَقَالَ: فَمَا الثَّالِثَةُ؟ قَالَ: تَبَايِعُ قَالَ: « أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ اللهُ أَعْمَى قَلْبَكَ كَمَا أَعْمَى بَصَرَكَ، قَالَ: فَمَا عَلَيَّ؟ » قَالَ وَكَانَ أَعْمَى قَالَ رَجَاءٌ: فَدَعَاهُ هِشَامٌ إِلَى الْبَيْعَةِ فَأَبَى فَكَتَبَ فِيهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا لَكَ وَلِسَعِيدٍ مَا كَانَ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ نَكْرَهُهُ، فَأَمَّا إِذْ فَعَلْتَ فَاضْرِبْهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَأَلْبِسْهُ تُبَّانَ شَعْرٍ وَأَوْقِفْهُ لِلنَّاسِ لِئَلَّا يَقْتَدِيَ بِهِ النَّاسُ. فَدَعَاهُ هِشَامٌ فَأَبَى وَقَالَ: «لَا أُبَايِعُ لِاثْنَيْنِ» قَالَ: فَضَرَبَهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَأَلْبَسَهُ تُبَّانَ شَعْرٍ وَأَوْقَفَهُ لِلنَّاسِ.

قَالَ رَجَاءٌ: حَدَّثَنِي الْأَيْلِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الشُّرَطِ بِالْمَدِينَةِ قَالُوا: عَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يَلْبَسُ التُّبَّانَ طَائِعًا قُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ الْقَتْلُ فَاسْتُرْ عَوْرَتَكَ قَالَ: فَلَبِسَهُ فَلَمَّا ضُرِبَ قُلْنَا لَهُ: إِنَّا خَدَعْنَاكَ قَالَ:« يَا مُعَجِّلَةَ أَهْلِ أَيْلَةَ لَوْلَا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْقَتْلُ مَا لَبِسْتُهُ ».

ورَجَاء بْن جَمِيلٍ الْأَيْلِيُّ– أحد رجال إسناده – مجهول كما بينته في غير هذا الموطن.(١)

وفي متنه عن سعيد بن المسيب غرابة، إذ كيف يمتنع سعيد بن المسيب – وهو من أجلة التابعين وهو من العلم بمكان– كيف يمتنع من مبايعة عبد الملك بن مروان، ثم لولده الوليد من بعده– وقد استُخلف من أبيه – وقد بايع ابن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم لعبد الملك كتابة بعد مقتل ابن الزبير رضي الله عنه.

وكان الواجب عليه أن يدخل فيما دخل فيه الناس من مبايعة الإمام المتغلِّب، ومتابعة الإجماع على إقرار الصحابة بإمامة المتغلِّب، لكونه منعقدة؟!

ومن هنا احتج أهل الأهواء ممن تأثَّر بمنهج الخوارج على طريقتهم في جمع

(١) وتمام تخريجه والتعليق على القصة في كتابي«نصح الحكام بين الغلو والتفريط» ص ٢٤٩ فما بعدها

الشُّبه، احتج بهذه القصة على معارضة الأمراء وعصيانهم إذا لم يكونوا عدولاً .[١]

وفي هذه السنة توفي :

توفي حَكِيمُ بْنُ عُمَيْرٍ الْعَنْسِيُّ الشَّامِيُّ، لَهُ رِوَايَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الشَّامِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيبَ الْحَجَّاجَ عَلَانِيَةً إلا هو وابن محيريز أبو الأبيض، قُتِلَ فِي غَزْوَةِ طُوَانَةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ في هذه السنة.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ

ودَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ

فِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَتَلَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَفَتَحَا حُصُونًا كَثِيرَةً؛ مِنْهَا حِصْنُ سُورِيَّةَ وَعَمُّورِيَّةَ وَهِرَقْلَةَ وَقَمُودِيَّةَ، وَغَنِمَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَأَسَرَا جَمًّا غَفِيرًا.

وَفِيهَا غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِلَادَ الصُّغْدِ ..[٢]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ

فِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ، فَفَتَحَا حُصُونًا،

---

(١) ذكرها وحيد بن عبد السلام بالي المنحرف في كتابه « علماء وأمراء» برقم (٣) وقام – هداه الله– بالتطبيق العملي حينما سنحت له الفرصة في الميادين، خرج من جحره، فخرج مؤيِّدوه من سراديب الخوارج التي كانوا يؤلِّبون ويُهيِّئون فيها قبل لمثل هذا بأساليبهم المختلفة، خرج إلى الميادين حيث الأصوات العالية بلا خوف، والجماهير الكادحة حوله حيث يأمن بوجودهم، يثبتهم ويأمرهم بأن لا يبرحوا أماكنهم، فكانت النتيجة المزرية، ولا حول ولا قو إلا بالله، ولا عجب فمَن أمِن العِقاب أساء الأدب.

(٢) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٣٠).

وَقَتَلَا خَلْقًا مِنَ الرُّومِ، وَغَنِمَا وَأَسَرَا خَلْقًا كَثِيرًا. وَفِيهَا أَسَرَتِ الرُّومُ خَالِدَ بْنَ كَيْسَانَ صَاحِبَ الْبَحْرِ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَأَهْدَاهُ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْوَلِيدُ أَخَاهُ عَبْدَ الله بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ مِصْرَ[1].

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَأَخَوَاهُ الْمُفَضَّلُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ سِجْنِ الْحَجَّاجِ، فَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّنَهُمْ مِنَ الْحَجَّاجِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ قَدِ احْتَاطَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ وَعَاقَبَهُمْ عُقُوبَةً عَظِيمَةً، وَأَخَذَ مِنْهُمْ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفٍ .

وكتب الحجاج في قتله إلى الوليد، فلم يزل سليمان بن عبد الملك وعبد العزيز ابن الوليد يكلمانه فيه، فقال: لابد من أن تسلموه إلي، ففعل سليمان ذلك، ووجه معه بأيوب ابنه، فقال: لا تفارق يدك يده، فإن أريد بسوءٍ فادفع عنه حتى تقتل دونه، فالله أعلم بتفصيل ذلك.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا[2] بسندٍ صحيح إلى أبي سُفْيَان الْحِمْيَرِيِّ، قَالَ: لَمَّا هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِالرَّمْلَةِ فَمَرَّ فِي طَرِيقِ الشَّامِ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: اسْتَسْقِنَا هَؤُلَاءِ لَبَنًا فَأَتَاهُ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ، فَقَالَ: أَعْطِهِمْ أَلْفَ دِرْهَمٍ، قَالَ الْغُلَامُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْرِفُونَكَ، قَالَ:لَكِنَّنِي أَعْرِفُ نَفْسِي، أَعْطِهِمْ أَلْفًا.

وأخرج الزبير بن بكار[3] بسنده قال حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ، عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ، قَالَ: لَمَّا هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتُهُ مِنْ حَبْسِ الْحَجَّاجِ اسْتَجَارُوا سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ بِفِلَسْطِينَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ، فَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ آلَ

(١) « البداية والنهاية» (٩/ ٢٣٢).

(٢) في«منازل الأشراف»(٢٧٤).

(٣) في«الأخبار الموفقيات» ص١٩١.

الْمُهَلَّبِ خَانُوا مَالَ اللهِ، وَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ.

وَقَدْ كَانَ بَلَغَ الْوَلِيدَ هَرَبُ يَزِيدَ وَإِخْوَتِهِ، فَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ يَزِيدُ خُرَاسَانَ، فَيَنْقُضَهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَكَانُهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ.

وَكَتَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْوَلِيدِ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَإِخْوَتَهُ لَجَئُوا إِلَيَّ، وَقَدْ أَمَّنْتُهُمْ، وَخَفِرْتُهُمْ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ أَغْرَمَهُمْ سِتَّةَ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَدَّوْا مِنْهَا ثَلاثَةَ آلافِ أَلْفٍ، وَبَقِيَتْ ثَلاثَةُ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَهِيَ عَلَيَّ، وَالسَّلامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللهِ لا أُؤَمِّنُ يَزِيدَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى تَبْعَثَ بِهِمْ إِلَيَّ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّكَ إِنْ حَمَلْتَنِي عَلَى أَنْ أَبْعَثَ بِهِمْ، قَدِمْتُ عَلَيْكَ مَعَهُمْ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: وَاللهِ لَئِنْ قَدِمْتَ عَلَيَّ مَعَهُمْ لا أُؤَمِّنُهُمْ أَبَدًا، فَابْعَثْ بِهِمِ إِلَيَّ فِي وِثَاقٍ.

قَالَ: فَبَعَثَ بِهِمْ سُلَيْمَانُ مَعَ ابْنِهِ أَيُّوبَ.

وَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ عَلَى عَمِّكَ فَادْخُلْ أَنْتَ وَيَزِيدُ، فِي سِلْسِلَةٍ، وَاقْرِنْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ فَفَعَلَ أَيُّوبُ ذَلِكَ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَى الْوَلِيدُ ابْنَ أَخِيهِ مَعَ يَزِيدَ فِي سِلْسِلَةٍ، قَالَ: لَقَدْ بَلَغْنَا مَبْلَغًا شَاقًّا، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ، لا تُخْفِرْ ذِمَّةَ أَخِيكَ، فَإِنَّكَ أَحَقُّ مَنْ مَنَعَهَا، وَلا تَقْطَعْ رَجَاءَ مَنْ رَجَا السَّلامَةَ فِي جِوَارِهِ لِمَكَانِهِ مِنْكَ، وَلا تُذِلَّ مَنْ أَمَّلَ الْعِزَّ فِي الِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ بِعِزَّةٍ مِنْكَ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ سُلَيْمَانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ لَوِ اسْتَجَارَ بِي عَدُوٌّ قَدْ نَابَذَكَ، وَجَاهَدَكَ، فَأَنْزَلْتُهُ، وَأَجَرْتُهُ، أَنَّكَ لا تُذِلُّ جَارِي، وَلا تُخْفِرُ جِوَارِي، عَلَى أَنِّي لَمْ أُجِرْ إِلا امْرَأً مُسْلِمًا، سَامِعًا مُطِيعًا، حَسَنَ الْبَلاءِ وَالأَثَرِ فِي الْإِسْلامِ، وَفِي طَاعَتِنَا، هُوَ وَأَبُوهُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ،

فَإِنْ كُنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا تَغْزُو قَطِيعَتِي، وإِلا خَفَارِ بِذَمَّتِي، وإِلَّا بَلاغٍ فِي مَسَاءَتِي، فَقَدْ قَدَرْتَ إِنْ فَعَلْتَ، وَأَنَا أُعِيذُكَ بِالله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ احْتِرَازِ قَطِيعَتِي، وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِي، وَتَرْكِ بِرِّي وَصِلَتِي، فَوَالله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَدْرِي مَا بَقَاؤُكَ وَلا بَقَائِي، وَلا مَتَى يُفَرِّقُ الْمَوْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لا يَأْتِيَ عَلَيْنَا أَجَلُ الْوَفَاةِ إِلا وَهُوَ لِي وَاصِلٌ، وَلِحَقِّي مُؤَدٍّ، وَلِقَرَابَتِي حَافِظٌ، وَعَنْ مَسَاءَتِي نَازِعٌ، فَلْيَفْعَلْ، فَوَالله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَصْبَحْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا بَعْدَ تَقْوَى الله أَسَرَّ مِنِّي بِرِضَاكَ وَسُرُورِكَ، وَإِنَّ رِضَاكَ مِمَّا أَلْتَمِسُ بِهِ رِضْوَانَ الله، فَإِنْ كُنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُرِيدُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ صِلَتِي وَمَبَرَّتِي وَإِعْظَامَ حَقِّي، فَتَجَاوَزْ لِي عَنْ يَزِيدَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَكُلُّ مَا طَالَبْتُمْ بِهِ فَهُوَ عَلَيَّ، وَالسَّلامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْوَلِيدُ الْكِتَابَ، قَالَ: لَقَدْ شَقَقْنَا عَلَى أَبِي أَيُّوبَ.

ثُمَّ دَعَا أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَلاءَكُمْ عِنْدَنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، أَحْسَنُ الْبَلاءِ، فَمَنْ يَنْسَ ذَلِكَ فَلَسْنَا نَاسِيهِ، وَمَنْ يَكْفُرْهُ فَلَسْنَا كَافِرِيهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ بَلائِنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، فِي طَاعَتِكُمْ، وَالطَّعْنِ فِي أَعْدَائِكُمْ فِي الْمَوَاطِنِ الْعِظَامِ، وَفِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، مَا الْمِنَّةُ فِيهِ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ.

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، فَآمَنَهُ وَكَفَّ عَنْهُ، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَرَدَّهُمْ إِلَى سُلَيْمَانَ.

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَصِلْ إِلَى يَزِيدَ وَإِخْوَتِهِ مَعَ سُلَيْمَانَ، فَلا تَعْرِضْ لَهُمْ، وَلا تُرَاجِعْنِي فِيهِمْ، وَالسَّلامُ.

وفي هذه السنة:

توفي تَيَاذُوقُ الطَّبِيبُ كَانَ بَارِعًا فِي الطِّبِّ، ذَكِيًّا عَالِمًا، وَكَانَ عَزِيزًا عِنْدَ الْحَجَّاجِ وَلَهُ أَلْفَاظٌ فِي الْحِكْمَةِ.

وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ تلميذ الصحابة رضي الله عنهم.

وفيها توفي وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ أَخُو الْحَجَّاجِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْيَمَنِ وَكَانَ يَلْعَنُ عَلِيًّا عَلَى الْمَنَابِرِ. قِيلَ: إِنَّهُ أَمَرَ حُجْرًا الْمَدَرِيَّ أَنْ يَلْعَنَ عَلِيًّا. فَقَالَ: بَلْ لَعَنَ الله مَنْ يَلْعَنُ عَلِيًّا، وَلَعْنَةُ الله عَلَى مَنْ لَعَنَهُ الله. وَقِيلَ: إِنَّهُ وَرَّى فِي لَعْنِهِ. فَالله أَعْلَمُ.

وفيها توفي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، أَبُو هَاشِمٍ الْأُمَوِيُّ الدِّمَشْقِيُّ وهو صدوق مذكور بالعلم.

وَكَانَتْ دَارُهُ بِدِمَشْقَ تَلِي دَارَ الْحِجَارَةِ، وَكَانَ عَالِمًا شَاعِرًا، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِ الْكِيمْيَاءِ، وَكَانَ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ عُلُومِ الطَّبِيعَةِ.

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ: وَهُوَ وَأَخَوَاهُ مِنْ صَالِحِي القَوْمِ.

وَكَانَ مِنْ نُبَلاَءِ الرِّجَالِ، ذَا عِلْمٍ، وَفَضْلٍ، وَصَوْمٍ، وَسُؤْدُدٍ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي تَرْجَمَتِهِ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ قُرَيْشٍ بِفُنُوْنِ العِلْمِ.

قَالَ: وَكَانَ بَصِيْراً بِهَذَيْنِ العِلْمَيْنِ:الطِّبِّ وَالكِيْمِيَاءِ، وَلَهُ نَظْمٌ رَائِقٌ.[1]

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ: وَقَدْ ذُكِرَ لِلْخِلاَفَةِ بَعْدَ أَخِيهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ، وَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ مَرْوَانَ، فَلَمْ يَلْتَئِمْ لَهُ الْأَمْرُ، وَكَانَ مَرْوَانُ زَوْجَ أُمِّهِ[2]، وَمِنْ كَلاَمِهِ: أَقْرَبُ شَيْءٍ الْأَجَلُ، وَأَبْعَدُ شَيْءٍ الْأَمَلُ، وَأَرْجَى شَيْءٍ الْعَمَلُ.

---

(١) حكاه الذهبي في «السير»(٩/ ٤١٢).

(٢) وقد تقدم بيان تفصيل ذلك وخالد صغير في ذكر خروج مروان بن الحكم على عبد الله بن الزبيرت. .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ

في هذه السنة تُوُفِّيَ السَّائب بْنُ يَزِيدَ بن سعد بن ثمامة، وَقَدْ حَجَّ بِهِ أَبُوهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَ عُمْرُ السَّائِبِ سَبْعَ سِنِينَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فَلِهَذَا قَالَ الْوَاقِدِيُّ: إِنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَتُوُفِّيَ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: سَنَةَ سِتٍّ وقيل ثمان وثمانين، فالله أَعْلَمُ.

قلت«محمد» حج به أبوه مع النبي ﷺ حجة الوداع وهو ابن سبع سنين.

فأخرج البخاري[1] عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: «حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ.

بل أخرج البخاري[2] عن السَّائِب بْن يَزِيدَ رضي الله عنه: ذَهَبْنَا نَتَلَقَّى رَسُولَ الله ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

ومع أنه لم يمكث مع النبي ﷺ كثيراً في صغره قبل وفاته ﷺ، إلا أنه حمل عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً في أبواب العلم المختلفة عن النبي ﷺ.

وفي هذه السنة:

توفي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ صَحَابِيٌّ مَدَنِيٌّ جَلِيلٌ، تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هُوَ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله فِي يَدِهِ، لِيُذِلَّهُمْ كَيْلَا يَسْمَعَ النَّاسُ مِنْ رَأْيِهِمْ.[3]

---

(١) برقم (١٨٥٨).

(٢) برقم (٣٠٨٣).

(٣) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٣٧).

قلت «محمد» الذي وقفت عليه في ذلك ما أخرجه الحاكم[١] عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: «رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ مَخْتُومًا فِي عُنُقِهِ خَتَمَهُ الْحَجَّاجُ أَرَادَ أَنْ يُذِلَّهُ بِذَلِكَ».

ولكنْ سنده واهٍ لضعف بعض رجاله، وفي سنده أيضاً محمد بن عمر الواقدي وهو متروك، ثم إنَّ وقوعَ مثل هذا مُستبعد في شأن أنس رضي الله عنه، ذلك أن أنساً كان يحكي عن كبار الصحابة رضي الله عنهم ما هو في صالح الأمراء، وليس في قوله تأنيب للأمراء، ولا تعنيف لهم، ولا منازعة لهم، ولا تأليب عليهم، فكيف يأتيه مثل هذا من قِبَل الحجاج ؟! هذا مما يُستبعد صحَّته [٢].

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ وَابْنُ أَخِيهِ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ فَفَتَحَا حُصُونًا كَثِيرَةً وَغَنِمَا شَيْئًا كَثِيرًا وَهَرَبَتْ مِنْهُمُ الرُّومُ إِلَى أَقْصَى بِلَادِهِمْ

وَتُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بن الحدثان النضري، أبو سعيد المدني، مختلف في صحبته، قال بَعْضُهُمْ: رَكِبَ الْخَيْلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأَى أَبَا بَكْرٍ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: رَأَى رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ ابْنُ مَعِينٍ وَالْبُخَارِيُّ

---

(١) في«المستدرك»(٣/ ٦٦٣).

(٢) فهو الذي صح عنه أنه قال:« نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ:« لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغِشُّوهُمْ، وَلَا تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا الله وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ».

أخرجه ابن أبي عاصم في« السنة»(١٠١٥) بسندٍ قوي.

وهو الذي لما جاءوا يشكون إليه ظلم الحجاج أي شيء قالوا؟

قال الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ:« **اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

أخرجه البخاري(٧٠٦٨).

وَأَبُو حَاتِمٍ، وَقَالُوا: لَا تَصِحُّ لَهُ صُحْبَةٌ، وهو رأي الجمهور، وَاللهُ أَعْلَمُ.[١]

وفي هذه السنة توفي طُوَيْسٌ الْمُغَنِّي

واسْمُهُ عِيسَى بْنُ عَبْدِ الله، أَبُو عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْمَدَنِيُّ، مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ، كَانَ بَارِعًا فِي صِنَاعَتِهِ، وَكَانَ طَوِيلًا مُضْطَرِبًا أَحْوَلَ الْعَيْنِ، وَكَانَ مَشْئُومًا؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، وَفُطِمَ يَوْمَ تُوُفِّيَ الصِّدِّيقُ، وَاحْتَلَمَ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ، وَتَزَوَّجَ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ، وَوُلِدَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ. وَقِيلَ: وُلِدَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيٌّ.

حَكَاهُ ابْنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ.[٢]

وفيها توفي الْأَخْطَلُ

كَانَ شَاعِرًا مُطْبِقًا، فَاقَ أَقْرَانَهُ فِي الشِّعْرِ.

وفي هذه السنة قدم أنس بن مالك على الوليد:

فأخرج أحمد[٣] بسندٍ صحيح عن إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللهَّ، قَالَ: قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَسَأَلَهُ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَذْكُرُ بِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «**أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**».

قال ابن كثير[٤]:« وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عُمَرَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قَدِمَ أَنَسٌ عَلَى الْوَلِيدِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ فَذَكَرَهُ. »

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٣٩) و« جامع التحصيل» للعلائي.

(٢) ذكره ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٣٩).

(٣) في«المسند»(١٣٣٣٦)

(٤) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٤٤).

وَفِيهَا ضَرَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ خُبَيْبَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ خَمْسِينَ سَوْطًا بأمر الوليد له في ذلك، وَصَبَّ فَوْقَ رَأْسِهِ قِرْبَةً مِنْ ماءٍ باردٍ، في يوم شتاءٍ باردٍ، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله.

وكان عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ مَوْتِ خُبَيْبٍ شَدِيدَ الْخَوْفِ لَا يَأْمَنُ، وَكَانَ إِذَا بُشِّرَ بشئ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ يَقُولُ: وَكَيْفَ وَخُبَيْبٌ لِي بِالطَّرِيقِ؟ وَفِي رِوَايَةٍ يَقُولُ هَذَا إِذَا لَمْ يكن خبيب في الطريق، ثُمَّ يَصِيحُ صِيَاحَ الْمَرْأَةِ الثَّكْلَى، وَكَانَ إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ يَقُولُ: خُبَيْبٌ وَمَا خُبَيْبٌ إِنْ نَجَوْتُ مِنْهُ فَأَنَا بِخَيْرٍ.

وَمَا زَالَ عَلَى الْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ ضَرَبَ خُبَيْبًا فَمَاتَ فَاسْتَقَالَ وَرَكِبَهُ الْحُزْنُ وَالْخَوْفُ مِنْ حِينَئِذٍ، وَأَخَذَ فِي الِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْبُكَاءِ، وَكَانَتْ تِلْكَ هَفْوَةً مِنْهُ وَزَلَّةً، وَلَكِنْ حَصَلَ لَهُ بِسَبَبِهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، مِنْ عِبَادَةٍ وَبُكَاءٍ وَحُزْنٍ وَخَوْفٍ وَإِحْسَانٍ وَعَدْلٍ وَصَدَقَةٍ وَبِرٍّ وَعِتْقٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.[1]

والذي وقفت عليه أخرجه البخاري في«التاريخ الأوسط»[2] بسندٍ صحيح عَن الزُّهْرِيّ كتب الْوَلِيد إِلَى عمر بن عبد الْعَزِيز وَهُوَ على الْمَدِينَة أَن يضْرب خبيب بن عبد الله فَضَربهُ أسواطا وأقامه فِي الْبرد فَمَاتَ فَسمِعت سَالم بن عبد الله يَقُول عَابَ الله على مُوسَى قتل نفس كَافِرَة.

قال ابن أبي خيثمة [3] قال مُصْعَبٌ؛ قَالَ: حَمْزَة وخُبَيْب وعَبَّاد أُمّهم تُمَاضِرُ ابْنَةُ مَنْظُورِ بْنِ زَبَّان بْنِ سَيَّارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَابِرٍ، فَأَمَّا خُبَيْب: فَلا وَلَد لَهُ، وَكَانَ يَعْلَمُ عِلْمًا كَثِيرًا، مَعَ فضلٍ وصلاحٍ، وهو الَّذِي ضَرَبَهُ عُمَر بْنُ عَبْد الْعَزِيْز وَهُوَ أَمِيرُ

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٤٢).

(٢) (١/ ٢١٧).

(٣)في«تاريخه»(٢/ ٩٢٠).

الْمَدِيْنَة فِي وِلايَةِ الْوَلِيْد بْنِ عَبْد الْمَلِك فَمَاتَ فِي ضَرْبِه، وَكَانَ يُقال لعُمَر بْنِ عَبْد الْعَزِيْز: أَبْشِرْ فقَدْ صَنَعْتَ خَيْرًا؛ فَيَقُولُ: فَكَيْفَ بخُبَيْب؟

ذكر ابن كثير[1] أن في هذه السنة: افتتاح مُحَمَّد بْن الْقَاسِم - وَهُوَ ابْن عم الحجاج بن يوسف الثقفي[2]- مدينة الديبل وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَكَانَ قَدْ وَلَّاهُ الْحَجَّاجُ غَزْوَ الْهِنْدِ وَعُمْرُهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَسَارَ فِي الْجُيُوشِ فَلَقُوا الْمَلِكَ دَاهِرَ - وَهُوَ ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وَعِشْرُونَ فِيلًا مُنْتَخَبَةً، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَهُمُ الله وَهَرَبَ الْمَلِكُ دَاهِرُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَقْبَلَ الْمَلِكُ ومعه خلقٌ كثيرٌ جداً فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَقُتِلَ الْمَلِكُ دَاهِرُ وَغَالِبُ مَنْ مَعَهُ، وَتَبِعَ الْمُسْلِمُونَ مَنِ انْهَزَمَ مِنَ الْهُنُودِ فَقَتَلُوهُ.

ثُمَّ سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ فافتتح مدينة الكيرج وَبَرَّهَا وَرَجَعَ بِغَنَائِمَ كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ لَا تُحْصَى كثرة، من الجواهر والذهب وغير ذلك.

والله أعلم بحقيقة ذلك.

وممَّن توفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ:

أنس بن مالك بن النَّضْرِ رضي الله عنه خَادِمُ رَسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبُهُ، رَوَى عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَحَادِيثَ جَمَّةً، وَأَخْبَرَ بِعُلُومٍ مُهِمَّةٍ، وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمْ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ.

قَالَ أَنَسٌ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَتُوُفِّيَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ

(١) في المصدر السالف.

(٢) هو محمد بن القاسم بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي يجتمع هو والحجاج في الحكم.

سَنَةً.[١]

وقد ذكرتُ إتيان أمه به النبيَّ ﷺ ليخدُمه في غير هذا الموطن، وأن النبي ﷺ دعا له أن يكثر ماله وولده.

وقد دعا له النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ**».[٢]

وفي صحيح مسلم[٣] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا، وَأُمِّي، وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي، فَقَالَ: «قُومُوا فَلِأُصَلِّيَ بِكُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ»، فَصَلَّى بِنَا، فَقَالَ رَجُلٌ لِثَابِتٍ: أَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا مِنْهُ؟ قَالَ: «جَعَلَهُ عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ دَعَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ الله خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللهَ لَهُ، قَالَ: «فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ» أَنْ قَالَ: «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ».

ومن هذه البركة:

ما رواه الترمذي[٤] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي خَلْدَةَ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي العَالِيَةِ، سَمِعَ أَنَسٌ، مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي السَّنَةِ الفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ فِيهَا رَيْحَانٌ يَجِدُ مِنْهُ رِيحَ الْمِسْكِ.

وفي رواية مسلم (٥) وغيره عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ، فَسَمِعَتْ أُمِّي، أُمُّ سُلَيْمٍ صَوْتَهُ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ

(١) أخرجه البخاري(٥١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري(٦٣٣٤).

(٣) برقم (٦٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي(٣٨٣٣).

(٥) برقم(٢٤٨١).

الله أُنَيْسٌ، «فَدَعَا لِي رَسُولُ الله ﷺ، ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ» قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ. ولكنها من طريق جعفر بن سليمان الضبعي .

ومن ذلك ما رواه البخاري[١] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ**» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي خُوَيِّصَةً، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ.[٢]

وفي رواية الفسوي[٣] :«.. **اللهم ارزقه المال وبارك له فيه- أظنه قال- وأطل عمره** ». وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

وقال الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ أَنَسٌ صَاحِبَ نَعْلِ رَسُولِ الله ﷺ وَإِدَاوَتِهِ.[٤]

وفي صحيح مسلم[٥] قال أَنَسٌ، قَالَ: جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ،

---

(١) برقم (١٩٨٢).

(٢) وفي رواية ابن سعد في«طبقاته»(٧/ ١٤) بسندٍ حسن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ تيَقُولُ: ذَهَبَتْ بِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله.خُوَيْدِمُكَ ادْعُ الله لَهُ.قَالَ:« **اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِلْ عُمُرَهُ. وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ**».قَالَ أَنَسٌ: فَقَدْ دَفَنْتُ مِنْ صُلْبِي مِائَةً غَيْرَ اثْنَيْنِ.أَوْ قَالَ مِائَةً وَاثْنَيْنِ.وَإِنَّ ثَمَرَتِي لَتَحْمِلُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ وَلَقَدْ بَقِيتُ حَتَّى سَئِمْتُ الْحَيَاةَ وَأَنَا أَرْجُو الرَّابِعَةَ.

(٣) في«المعرفة والتاريخ»(٢/ ٥٣٢)

(٤) أخرجه ابن سعد(١/ ٣٧٤) بسندٍ قوي.

(٥) برقم (٢٤٨١).

وَقَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا، وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ فَادْعُ اللهَ لَهُ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ**» قَالَ أَنَسٌ: فَوَالله إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ.

وأخرج ابن سعد[١] بسند صحيح عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ كَرْمُ أَنَسٍ يَحْمِلُ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ.

وكان ﷺ يتألَّم لحال الناس غيرة على الدين:

فأخرج البخاري[٢] من طريق الزُّهْرِيِّ،قال: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: «لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلاَةَ وَهَذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ ضُيِّعَتْ».

وفي رواية[٣] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، قِيلَ: الصَّلاَةُ؟ قَالَ: أَلَيْسَ ضَيَّعْتُمْ مَا ضَيَّعْتُمْ فِيهَا».

يَعْنِي مَا كَانَ يَفْعَلُهُ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا الْمُوَسَّعِ كَانُوا يُوَاظِبُونَ عَلَى التَّأْخِيرِ إِلَّا عُمَرَ بن عبد العزيز أَيَّامِ خِلَافَتِهِ[٤].

وكان ﷺ يرى النبي ﷺ في النوم كثيراً:

فأخرج ابن سعد[٥] بسندٍ صحيح عن أَنَس بْن مَالِكٍ قال: مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلا وَأَنَا

---

(١) في«طبقاته»(٧/ ١٤)

(٢)برقم (٥٣٠).

(٣) في صحيح البخاري(٥٢٩).

(٤) قاله ابن كثير في «البداية النهاية» (٩/ ٢٤٤).

(٥) في«طبقاته»(٧/ ١٥) .

أَرَى فِيهَا حَبِيبِي. ثُمَّ يَبْكِي.

وفي وصفه للنبيﷺ

ما أخرجه أحمد[١] بسندٍ صحيح عن ثابت قال:قَالَ أَنَسٌ: «مَا شَمِمْتُ شَيْئًا عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًا قَطُّ، وَلَا شَيْئًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ، دِيبَاجًا، وَلَا حَرِيرًا، أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ ثَابِتٌ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ: أَلَسْتَ كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، وَكَأَنَّكَ تَسْمَعُ إِلَى نَغَمَتِهِ ؟

فَقَالَ: بَلَى، وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَقُولَ: يَا رَسُولَ الله، خُوَيْدِمُكَ قَالَ:«خَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنَا غُلَامٌ لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ يَكُونَ مَا قَالَ لِي فِيهَا: أُفٍّ، وَمَا قَالَ لِي: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا، أَوْ أَلَا فَعَلْتَ هَذَا ».

وقد سأل النبي ﷺ عن مكانه يوم القيامة:

فأخرج الترمذي[٢] بسندٍ حسن قال النَّضْرُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: « **أَنَا فَاعِلٌ** »قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ:« **اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ** » . قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ:« **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ** ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ**» .

تأخرت وفاته رضي الله عنه

(١) برقم (١٣٣١٧).

(٢) برقم (٢٤٣٣).

حتى قال ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِمَّنْ صَلَّى القِبْلَتَيْنِ غَيْرِي».[١]

ولما مات كان عنده عصا أوصى أن تدفن معه:

فأخرج البزار[٢] بسندٍ يقوَى عَن أَنَس بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ كَانَتْ عِنْدَهُ عُصَيَّةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ فَمَاتَ فَدُفِنَتْ مَعَهُ بَيْنَ جَنْبِهِ وَبَيْنَ قَمِيصِهِ.

وتوفي ﷺ عن مائة عام

فأخرج أحمد[٣] بسندٍ صحيح عَنْ حُمَيْدٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَمَّرَ مِائَةَ سَنَةٍ غَيْرَ سَنَةٍ.

والجمهور على أن وفاته كانت سنة ثلاث وتسعين.[٤]

فيا لله كم من علم ضاع بموت أنس بن مالك ﷺ!

فأخرج البخاري في«تاريخه»والطبراني[٥] بسندٍ حسن عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ: «ذَهَبَ الْيَوْمَ نِصْفُ الْعِلْمِ»فَقِيلَ:وَكَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ فَقَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِذَا خَالَفَنَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قُلْنَا لَهُ: تَعَالَ إِلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فِيهَا غَزَا العبَّاس بْنُ الْوَلِيدِ أَرْضَ الرُّومِ، فقيل إنه فتح أنطاكية، وَغَزَا أَخُوهُ عَبْدُ

(١) أخرجه البخاري(٤٤٨٩).

(٢) في«المسند»(٦٧٤٠).

(٣) في«المسند»(١٢٢٥٠).

(٤) عزاه إليهم الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٤٨).

(٥) أخرجه البخاري في«تاريخه الكبير»(٢/ ٢٨) والطبراني في«الكبير»(١/ ٢٥٠)رقم (٧١٩).

الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَلَغَ غَزَالَةَ، وَبَلَغَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ الْمُعَيْطِيُّ أَرْضَ بُرْجِ الْحَمَامِ، وَبَلَغَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي كَبْشَةَ أرض سُورِيَّةَ.

وَفِيهَا كَانَتِ الرَّجْفَةُ بِالشَّامِ، وَفِيهَا افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنْدَرَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ.

وَفِيهَا فَتَحَ الله عَلَى الْإِسْلَامِ فُتُوحَاتٍ عَظِيمَةً فِي دَوْلَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَلَى يَدَيْ أَوْلَادِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَأُمَرَائِهِ حَتَّى عَادَ الْجِهَادُ شَبِيهًا بِأَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَفِيهَا افْتَتَحَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ أَرْضَ الْهِنْدِ وَغَنِمَ أَمْوَالًا لَا تُعَدُّ وَلَا تُوصَفُ[1].

مَقْتَلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ الله

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ قَدْ جَعَلَهُ عَلَى نَفَقَاتِ الْجُنْدِ حِينَ بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك، فَلَمَّا خَلَعَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ خَلَعَهُ مَعَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْحَجَّاجُ بِابْنِ الْأَشْعَثِ وَأَصْحَابِهِ هَرَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِلَى أَصْبَهَانَ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى نَائِبِهَا أَنْ يَبْعَثَهُ إِلَيْهِ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منْهَا، ثُمَّ كَانَ يَعْتَمِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَيَحُجُّ، ثُمَّ إِنَّهُ لَجَأَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ وَلِيَهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الله الْقَسْرِيُّ، فَأَشَارَ مَنْ أَشَارَ عَلَى سَعِيدٍ بِالْهَرَبِ مِنْهَا فَقَالَ سَعِيدٌ: وَالله لَقَدِ اسْتَحْيَيْتُ من الله مما أَفِرُّ وَلَا مَفَرَّ مِنْ قَدَرِهِ؟

وَتَوَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بَدَلَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَجَعَلَ يَبْعَثُ مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أصحاب ابن الأشعث من الْعِرَاقِ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي الْقُيُودِ، فَتَعَلَّمَ مِنْهُ خالد بن الوليد الْقَسْرِيُّ فَعَيَّنَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ مَكَّةَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ثم ما كان مما سيأتي

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٤٩).

بتخريجه.[١]

ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وحجة الحجاج في قتله وذكر ما ورد في حواره معه

أخرج ابن أبي شيبة [٢] بسندٍ صحيح عن ابْنِ عُلَيَّةَ قَالَ: قَالَ لِي الْحَسَنُ: «أَلَا تَعْجَبُ مِنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ دَخَلَ عَلَيَّ فَسَأَلَنِي عَنْ قِتَالِ الْحَجَّاجِ وَمَعَهُ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ» - يَعْنِي أَصْحَابَ ابْنِ الْأَشْعَثِ -.

وأخرج البلاذري [٣] بسندٍ حسن عَن الأعمش قَالَ: قلت لإبراهيم: مالك لا تخرج، قد خرج ابْن أَبِي ليلى، وسعيد بْن جبير، وَأَبُو البختري. وعددت عَلَيْهِ، فَقَالَ: إني رجل جبان- يقول عما أقدموا عَلَيْهِ.

وأخرج ابن سعد[٤] بسندٍ صحيح عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ مَطَرُ بْنُ نَاجِيَةَ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الأَشْعَثِ عَلَى مَأْصِرَيِ الْكُوفَةِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْعُشُورِ.

قَالَ حَبِيبٌ: فَرَكِبَ وَرَكِبْتُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَأْصِرِ أَتَانَا رَجُلٌ كَانَ يَنْحَتُ السُّفُنَ قَبْلَ ذَلِكَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَمَعَهُ مِحَسَّةٌ. فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ. فَأَخْرَجَهُ. ثُمَّ نَظَرَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَا رَكِبَ إِلَيْهِ فَمَنْ تَقَدَّمَ لَهُ يَوْمَئِذٍ بِيعَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَلَمْ يَرْزِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ يَرَى أَنَّ عَلَيْهِمْ عُشُورًا. وَنَظَرَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ فَأَخَذَ مِنْهُمْ صَدَقَةَ مَا كَانَ مَعَهُمْ

(١) « البداية والنهاية» (٩/ ٢٥٠).

(٢) في« المصنف» (٦/ ١٨٧).

(٣) في« أنساب الأشراف» (٧/ ٣٩٢) .

(٤) في« الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٧٣) .

أخرج البلاذري [١] بسندٍ صحيح عن سَلم بْن قُتَيْبَة قال: كنت عند الحجاج فَقَالَ لسعيد: أخرجت عليَّ؟ قَالَ: كانت للرجل فِي عنقي بيعة. قَالَ: أتفي لعدو الله ولا تفي لأَمِير الْمُؤْمِنِينَ؟. اضرب عنقه، فضربت عنقه فسال منه دم كثير.

وأخرج ابن سعد [٢] بسندٍ يحسن عن الْفَضْلَ بْنَ سُوَيْدٍ يُحَدِّثُ. وَكَانَ فِي حِجْرِ الْحَجَّاجِ وَكَانَ أَبُوهُ أَوْصَى إِلَى الْحَجَّاجِ. قَالَ: بَعَثَنِي الْحَجَّاجُ فِي حَاجَةٍ فَقِيلَ قَدْ جِيءَ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. فَرَجَعْتُ لأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ بِهِ. فَقُمْتُ عَلَى رَأْسِ الْحَجَّاجِ. فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: يَا سَعِيدُ أَلَمْ أَسْتَعْمِلْكَ؟ أَلَمْ أُشْرِكْكَ فِي أَمَانَتِي؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُخَلِّي سَبِيلَهُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ خَرَجْتَ عَلَيَّ؟ قَالَ: عُزِمَ عَلَيَّ. قَالَ فَطَارَ الْحَجَّاجُ شِقَّتَيْنِ غَضَبًا. قَالَ: هِيهِ أَفَرَأَيْتَ لِعَزِيمَةِ عَدُوِّ الرَّحْمَنِ عَلَيْكَ حَقًّا وَلَمْ تَرَ لله وَلا لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ حَقًّا؟ اضْرِبَا عُنُقَهُ. [٣]

---

(١) في«أنساب الأشراف»(٧/ ٣٦٨).

(٢) في«طبقاته»(٦/ ٢٧٥) .

(٣) ولا شك أن سعيد رحمه الله هنا مخطئ شرعاً وعقلاً.

وهذا الخطأ هو الذي ارتكن عليه الحجاج لقتله

وقد أخرج مسلم(١٨٥٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا**». وفي صحيح مسلم(١٨٥٢) أيضاً عن عَرْفَجَة، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**». وإن كان الذي ينبغي على الحجاج أن يدفعه بالأسهل، وقد مر على الذنب أكثر من عشر سنوات، وقد ندم سعيد قبل أن يقدر عليه والندم توبة كما قال ﷺ ، وينبغي أن يدفع الخارج على الحاكم ويكف ضرره بالأسهل متى أمكن، وكان على سعيد ألا يثير غضب الحجاج، لا سيما وسعيد رحمه الله هو المخطئ وقد عُلم أن الحجاج من أجرأ الناس على الدماء- كما صرَّح

فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ. قَالَ فَنَدَرَ رَأْسُهُ فِي قَلَنْسِيَّةٍ بَيْضَاءَ لاطية كانت على رأسه.

وأخرج البلاذري[١] بسندٍ ثابت صحيح عَن عَبْد الله بْن مروان قَالَ: لما أمر الحجاج بقتل سعيد بْن جبير جاءت خالة لَهُ فدفع إليها يده فقبلتها، وَقَالَ لَهُ الحجاج حين أدخل عَلَيْهِ: أنت شقي بْن كسير. قَالَ: لا بل سعيد بْن جبير. قَالَ: ألم أصنع بك؟ ألم أكرمك، ألم أولك ألم أأتمنك؟. قَالَ: بلى. قال: فوالله لأقتلنك.

قَالَ: إذا أخاصمك غداً. قَالَ: إذاً أخصمك يَا عدو الله. فضحك سعيد، فَقَالَ: مَا يضحكك؟ قَالَ: التعجب من جرأتك عَلَى الله.

أخرج ابن أبي شيبة[٢] بسنده عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَلَى الْحَجَّاجِ قَالَ: أَنْتَ الشَّقِيُّ بْنُ كُسَيْرٍ؟ قَالَ: «لَا، أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ»، قَالَ: إِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: «لَئِنْ قَتَلْتَنِي لَقَدْ أَصَابَتْ أُمِّي اسْمِي».

وعَن ابْن عياش قَالَ: قَالَ الحجاج لسعيد:أكفرت بخروجك؟ قَالَ: مَا كفرت مذ آمنت.قَالَ: اختر أي قتلة أقتلك. قَالَ: اختر أنت لنفسك أي القصاص شئت فإن القصاص أمامك، فقتله، فما قتل أحداً بعده [٣].

وأخرج أبو نعيم[٤] بسندٍ حسن عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: لَمَّا أَتَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ الْحَجَّاجَ قَالَ: أَنْتَ شَقِيُّ بْنُ كُسَيْرٍ. قَالَ: «أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ».قَالَ: لَأَقْتُلَنَّكَ.

نفسه بلسانه لأبي وائل شقيق بن سلمة، واعترف على نفسه كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله، وإذا كان تجرَّأ على الصحابة ﷺ ، أفيرعوي عن التجرُّؤ على التابعين؟!

(١) في«أنساب الأشراف» (٧/ ٣٦٥).

(٢) في« المصنف»(٦/ ١٨٦) .

(٣) أخرجه البلاذري في« أنساب الأشراف» (٧/ ٣٦٨).

(٤) في «الحلية»(٤/ ٢٩٠).

قَالَ: «أَنَا إِذًا كَمَا سَمَّتْنِي أُمِّي». ثُمَّ قَالَ: «دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ». قَالَ: وَجِّهُوهُ إِلَى قِبْلَةِ النَّصَارَى. قَالَ: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله} [البقرة: ١١٥]. ثُمَّ قَالَ: « إِنِّي أَسْتَعِيذُ مِنْكَ بِمَا عَاذَتْ بِهِ مَرْيَمُ». قَالَ: وَمَا عَاذَتْ بِهِ مَرْيَمُ. قَالَ: قَالَتْ: {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} [مريم: ١٨] قَالَ سُفْيَانُ: «لَمْ يَقْتُلْ بَعْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا ».

وأخرج عبد الغني بن سعيد [١] وغيره بسند يحسن إن شاء الله عَن سَالم الْأَفْطَس قَالَ أَتَى سعيد بن جُبَير إِلَى الْحجَّاج وَفِي رجله قيود فَلَمَّا دخل عَلَيْهِ أَمر بِضَرْب عُنُقه فَمَا قَامَ الْحجَّاج من مَجْلِسه حَتَّى خلط وَجعل يَقُول قيودنا قيودنا.

وله طريق آخر [٢]

عَن يونس النحوي قَالَ: لما أتي بسعيد بْن جبير قَالَ الحجاج: لعن اللهَّ ابْن النصرانية- يعني خالد بْن عَبْد اللهَّ- والله لقد كنت أعرف مكانه ولوددت أنه بعث بغيره ولم يبعث بِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا أخرجك علي؟. فَقَالَ: أنا رجل من النَّاس أخطئ وأصيب. قَالَ: ألم أكرمك؟. قَالَ: بلى. قَالَ: فما حملك علي مَا فعلت؟ قَالَ: كانت للرجل فِي عنقي بيعة. فاستشاط الحجاج غضباً وَقَالَ:

أفلم تكن لأَمِير الْمُؤْمِنِينَ فِي عنقك بيعة ثُمَّ، أخذتها عليك بالكوفة؟. قَالَ: بلى. قَالَ: فنكثت بيعة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ ووفيت ببيعة ابْن الحائك. اضربا عنقه.

---

(١) في كتابه« المتوارين الذين اختفوا خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي» (١٣)وابن عساكر(١٢/ ١٨٣)

(٢) أخرجه البلاذري في«أنساب الأشراف»(٧/ ٣٧٠)

فذلك قول جرير بْن عطية:

يَا رب ناكثِ بَيْعَتَيْنِ تركتَه ... وخضاب لحيته دم الأوداج .

وَقَالَ أَبُو عبيدة: أتي الحجاج بسعيد بْن جبير وهو يريد الركوب، فَقَالَ: والله لا أركب حَتَّى تتبوأ مقعدك من النار، اضربوا عنقه. فضربت عنقه، فخولط والتبس عقله مكانه فجعل يقول: قيودنا قيودنا. فظنوا أنه يقول: القيود التي عَلَى سعيد، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود.

استنكار جماعة من السلف فعل سعيد بن جبير

تقدم قول الْحَسَنِ: «أَلَا تَعْجَبُ مِنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ دَخَلَ عَلَيَّ فَسَأَلَنِي عَنْ قِتَالِ الْحَجَّاجِ وَمَعَهُ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ» - يَعْنِي أَصْحَابَ ابْنِ الْأَشْعَثِ -

يعني أنه يستنكر عليه.

ولا شك أن الحسن موافقٌ فيما رأى لقول شيخ سعيد وهوابن ابن عباس رضي الله عنه .

فأَخْرَجَ سَعِيْدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «سُنَنِهِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: آمُرُ إِمَامِي بِالمَعْرُوفِ؟ قَالَ: إِنْ خَشِيْتَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَلَا، فَإِنْ كُنْتَ وَلَابُدَّ فَاعِلاً فَفِيمَا بَيْنَك وَبَيْنَهُ ، وَلَا تَغْتَبْ إِمَامَكَ». (١)

وَعِنْدَ البَيْهَقِيِّ:«وَلَا تَعِبْ إِمَامَكَ»، **وفي رواية**: «ولا تعنف إمامك».

وفي رواية : «إِنْ خِفْتَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَلَا تُؤَنِّبِ الْإِمَامَ ، فَإِنْ كُنْتُ لَا بُدَّ فَاعِلًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ».(٢)

---

(١) **حسن**. أخرجه سعيد بن منصور فى « سننه » (٧٩٨ تفسير) .

(٢) أخرجها ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٠) .

ومأخذ ابن عباس هو من حديث رسول الله ﷺ كما ذكرناه في غير هذا الموطن [١].

لا سيما وقد خالف أيضاً شيخه أنس بن مالك خادم النبي ﷺ.

فأخرج البخاري[٢] عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

وكذا ابن سيرين رحمه الله:

أخرج ابن أبي شيبة[٣] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ حَائِنًا[٤] إِنَّهُ فَعَلَ مَا فَعَلَ ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ يُفْتِي النَّاسَ.

ما حصل للحجاج بعد قتله سعيد بن جبير رحمه الله

أخرج أحمد [٥] وغيره بسندٍ حسن عن عُمَيْر بْن هَانِئٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُنْقِذٌ صَاحِبُ الْحَجَّاجِ : أَنَّ الْحَجَّاجَ لَمَّا قَتَلَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ مَكَثَ ثَلاَثَ لَيَالٍ يَقُولُ : مَالِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

---

(١) **منها** : ما أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(١٠٩٦) قوله ع « **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**» وهو صحيح خرَّجته في غير هذا الموطن.

(٢) برقم (٧٠٦٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٦/ ٢٧٤) .

(٤) حائناً : أي أحمقاً.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٢٠٠) وأحمد في«العلل»(٥٨٢٣) .

ولم يلبث الحجاج بعد قتله سعيد بن جبير رحمه الله طويلاً ، ثم هلك.

وقد أخرج البلاذري[١] ثني عمر بن شبة عن محمد بن أبى حَاتِمٍ: ثَنَا عَن عَبْد الْمَلِكِ بْن عَبْد الله القطان عن هلال بن خَبَّابٍ، قَالَ: جِيءَ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ إِلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ: كَتَبْتَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزبير؟ فقال: بلى كتبت إلى مصعب، قال: لا وَالله لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ: إِنِّي إِذًا لَسَعِيدٌ كَمَا سَمَّتْنِي أُمِّي. قَالَ فَقَتَلَهُ، فَلَمْ يَلْبَثِ الْحَجَّاجُ بعده إلا أربعين يوما، وكان إِذَا نَامَ يَرَاهُ فِي الْمَنَامِ يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وَيَقُولُ: يَا عَدُوَّ الله فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ فَيَقُولُ الْحَجَّاجُ: مَا لِي وَلِسَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ، مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟

سنُّ سعيد بن جبير رحمه الله حين قتله الحجاج

أخرج البلاذري[٢] بسندٍ صحيح عَن عَبْد الله بْن سعيد بْن جبير قَالَ: قتل أَبِي وله تسع وأربعون سنة.

وقوله أولى من قول غيره، وهو أعرف ممن خالفه من ذلك- هذا إن صح سند بغير ذلك-.

وإلا فقد أخرج أبو نعيم[٣] بسندٍ ضعيف من طريق أَبُي حُذَيْفَةَ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: دَعَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ابْنَهُ حِينَ دُعِيَ لِيُقْتَلَ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ، مَا بَقَاءُ أَبِيكَ بَعْدَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً».

وقد اعتمد الذهبي على هذا الضعيف فقال:

« وَكَانَ قَتْلُهُ: فِي شَعْبَانَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَاشَ تِسْعاً وَأَرْبَعِيْنَ

---

(١) في«أنساب الأشراف»(٧/ ٣٧٢) ورجاله معدلون إلا أن عبد الملك بن عبد الله لم أعرفه.

(٢) في«أنساب الأشراف»(٧/ ٣٦٦).

(٣) في«الحلية »(٤/ ٢٧٥).

سَنَةً لَمْ يَصْنَعْ شَيْئاً، وَقَدْ مَرَّ قَوْلُهُ لابْنِهِ: مَا بَقَاءُ أَبِيْكَ بَعْدَ سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ .

فَعَلَى هَذَا يَكُوْنُ مَوْلِدُهُ فِي خِلاَفَةِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ![1]

فهذا سعيد بن جبير كان من أجمع الناس لعلم عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقد كان رحمه الله وعفا عنه من أكابر أصحابه.

وقد قال عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: قَالَ: لَيْسَ فِي أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلُ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ. قِيْلَ: وَلاَ طَاوُوْسٌ؟ قَالَ: وَلاَ طَاوُوْسٌ، وَلاَ أَحَدٌ، فكم من مسلم كان محتاجاً إلى علم سعيد.

وقد قال الإمام أحمد:« قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ- أَوْ قَالَ مُفْتَقِرٌ- إِلَى عِلْمِهِ».

كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَأَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَكَثْرَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، رَحِمَهُ الله، وَقَدْ رَأَى خَلْقًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ، وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ.

وأخرج أبو نعيم [2] بسندٍ قوي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ بن مهران، عَنْ أَبِيهِ، تلميذ الصحابة رضي الله عنهم قَالَ: « لَقَدْ مَاتَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى عِلْمِهِ».

وقد كان ابن عباس يعتني به في التعليم ويراعيه:

فأخرج ابن سعد[3] بسندٍ صحيح عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِسَعِيدِ بْنِ

---

(١) «سير أعلام النبلاء»(٤/ ٣٤٢).

(٢) في«الحلية»(٤/ ٢٧٣).

(٣) في«الطبقات الكبرى»(٦/ ٢٦٨).

جُبَيْرٍ: حَدِّثْ. فَقَالَ: أُحَدِّثُ وَأَنْتَ هَاهُنَا؟ فَقَالَ: أَوَلَيْسَ مِنْ نِعْمَةِ الله عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ وَأَنَا شَاهِدٌ فَإِنْ أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك؟.

وأخرج ابن سعد [١] بسندٍ حسن عن يَعْقُوب الْقُمِّيِّ عَنْ جَعْفَرِ بن أبي المغيرة قال: كان ابن عباس بعد ما عَمِيَ إِذَا أَتَاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ يَسْأَلُونَهُ قَالَ:

تَسْأَلُونِي وَفِيكُمُ ابْنُ أُمِّ دَهْمَاءَ؟.

قَالَ يَعْقُوبُ: يعني سعيد بن جبير.

وكم شُغِل رحمه الله بسبب خروجه على الحجاج عن بَثِّ العِلم في الناس:

وذلك بسبب دخوله في هذا المعترك، وخرجه مع ابن الأشعث على الحجاج بل شغل الناس عن علمه وعلم غيره بسبب ركوبهم ما ركب هو والقُرَّاء،عفا الله عنهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قال مَالِكٌ بْنَ دِينَارٍ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، مَنْ كَانَ حَامِلَ رَايَةِ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: **كَأَنَّكَ رَخِيُّ الْبَالِ**، فَغَضِبْتُ وَشَكَوْتُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ قُلْتُ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ سَعِيدٍ؟

إِنِّي سَأَلْتُهُ: مَنْ كَانَ حَامِلَ رَايَةِ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: إِنَّكَ لَرَخِيُّ الْبَالِ، قَالُوا: أَرَأَيْتَ حِينَ تَسْأَلُهُ وَهُوَ خَائِفٌ مِنَ الْحَجَّاجِ قَدْ لَاذَ بِالْبَيْتِ، كَانَ حَامِلَهَا عَلِيٌّ. [٢]

والعاقل عليم بمفاسد ذلك، ولو لم يباشر ما باشره وسمع لنصيحة ابن عباس له لنفع نفسه وانتُفع به، بل صار قتيل السلطان ، وقد تقدم ندم كل من خرج مع

---

(١) في«طبقاته»(٦/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه أحمد في« فضائل الصحابة»(١١٦٣) بسندٍ حسن.

ابن الأشعث على ما فعل.

فقد أخرج خليفة بن خياط[1] بسندٍ صحيح عن أيوب قال: ما صُرع مع ابن الأشعث أحدٌ إلا رُغب له عن مصرعه، ولا نجا منهم أحدٌ إلا حمد الله الذي سلَّمة.

وأما مقلوب الحال المتعثِّر في أيامنا، ذاك الجمَّاع للزلات والشُّبه ليتشبَّثَ بها، فإنه يستأنس بفعل مثل سعيد بن جبير والذي ندم عليه صاحبه لتمشية مذهبه الخارجي ، أو لمدح من يتعصَّب لهم المتأثِّرين به ليمنع من تبديعهم، وإن ضَلَّلوا أُمماً من البشر! قاتل الله التعصُّب.

فمن يهن الله فما له من مكرم، ومن يهدي من أضل الله؟ والله المستعان.

ذِكْرُ مَنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ غير سعيد بن جبير:

سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ بْنُ حَزْنِ .

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَدَنِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، سَيِّدُ التَّابِعِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ مَضَتَا - وَقِيلَ: بَقِيَتَا- مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وَقِيلَ: لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْهَا. وَقَوْلُ الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ الله: أَنَّهُ أَدْرَكَ الْعَشَرَةَ. وَهْمٌ مِنْهُ.وَالله أَعْلَمُ. وَلَكِنْ أَرْسَلَ عَنْهُمْ كَمَا أَرْسَلَ كَثِيرًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ كَثِيرًا، فَقِيلَ: سَمِعَ مِنْهُ. وَقِيلَ: لَمْ يَسْمَعْ. وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَانَ سَعِيدٌ أَحَدَ الْمُفْتِينَ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: جَالَسْتُهُ سَبْعَ حِجَجٍ، وَأَنَا

(١) في«تاريخه» ص ١٨١.

لَا أَظُنُّ عِنْدَ أَحَدٍ عِلْمًا غَيْرَهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: طُفْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَمَا لَقِيتُ أَعْلَمَ مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: سُئِلَ الزُّهْرِيُّ وَمَكْحُولٌ: مَنْ أَفْقَهُ مَنْ لَقِيتُمَا؟ قَالَا: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنْهُ. وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا أَشْهَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَتَبَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ. وَقَالَ غَيْرُهُ كَانَ يُقَالُ لَهُ: فَقِيهُ الْفُقَهَاءِ.

قَالَ مَالِكٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يُرْسِلُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ يَسْأَلُهُ عَنْ قَضَايَا عُمَرَ وَأَحْكَامِهِ.(١)

وممن توفي في هذه السنة طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ الْعَنَزِيُّ

تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ، وَجَابِرٍ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، وَالْأَعْمَشُ وَطَاوُسٌ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي قِرَاءَتِهِ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَلَكِنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِالْإِرْجَاءِ.(٢)

---

(١) وكله في كتب الرجال مسطور.

(٢) وكان جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وسعيد بن جبير يحذران الناس منه:

وأخرج الطبري في«تفسيره»(١/ ٨٠) وغيره بسندٍ صحيح عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: جَاءَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ، إِلَى جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَّا قُمْتَ عَنِّي أَوْ قَالَ: أَنْ تُجَالِسَنِي .

وأخرج الدارمي (٣٩٢) بسندٍ صحيح عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ قَالَ: رَآنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ جَلَسْتُ إِلَى طَلْقِ ابْنِ حَبِيبٍ فَقَالَ لِي: أَلَمْ أَرَكَ جَلَسْتَ إِلَى طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ؟ لَا تُجَالِسْهُ. وفي رواية عند البخاري

وهذا من التناقض الذي لم يسلم منه مبتدع ذو هوى، أنه كَانَ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ.

ومن عجيب كلامه:

ما أخرجه ابن أبي شيبة ابن المبارك واللفظ له [(١)] بسندٍ صحيح عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: لَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ طَلْقٌ: «اتَّقُوهَا بِالتَّقْوَى» ، قَالَ بَكْرٌ: أَجْمِلْ لَنَا التَّقْوَى، قَالَ: «التَّقْوَى عَمَلٌ بِطَاعَةِ الله، عَلَى نُورٍ مِنَ الله، رَجَاءَ رَحْمَةِ الله، وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعْصِيَةِ الله عَلَى نُورٍ مِنَ الله، خِيفَةَ عِقَابِ الله ». [(٢)]

إنه ليذكرنا:

بما أخرجه ابن أبي شيبة [(٣)] بسندٍ صحيح عَنِ الْحَسَنِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)} الأنفال. قَالَ: لَقَدْ نَزَلَتْ وَلَا نَدْرِي مَنْ يُخْلَفُ لَهَا ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَبَا عَبْدِ الله فَلِمَ جِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّا نُبْصِرُ وَلَكِنَّا لَا نَصْبِرُ».

في«التاريخ الأوسط»(١/ ٢٢٦) و«الكبير»(٤/ ٣٥٩) عَنه قَالَ: مَا رَأَيْت أحداً أعبد من طلق بن حبيب فرآني سعيد ابن جُبَير مَعَه فَقَالَ لَا تجَالس طلقا وَكَانَ يرى الإرجاء .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في«الإيمان»(٩٩) وابن المبارك في«الزهد»(١٣٤٣) وغيرهما.

(٢) فالذي يرى الإرجاء لا يدخل العمل في مسمى الإيمان، وترك العمل لا يضر فيه، فعلام يقحم نفسه مع الخوارج الذين يرون ترك العمل كفراً على عكس المرجئة ؟!

وبسبب تخطيه الحدود وقع في أم الفتن، نسأل الله العافية المغفرة.

(٣) في «المصنف» (٦/ ١٩٥).

وبما أخرجه أحمد والبزار[١] بسندٍ صحيح عَنْ مُطَرِّفٍ بن عبد الله بن الشخير، قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، مَا جَاءَ بِكُمْ ضَيَّعْتُمُ الْخَلِيفَةَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: « إِنَّا قَرَأْنَاهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ: قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)} الأنفال

لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ».

ومن أقوال طلق بن حبيب أيضاً:

ما رواه ابن المبارك و أبو نعيم[٢] واللفظ له بسندٍ صحيح عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كُنَّا إِذَا لَقِينَا طَلْقًا لَمْ نَفْتَرِقْ حَتَّى يَقُولَ: اللهُمَّ أَبْرِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا رَشِيدًا، تُعِزُّ فِيهِ وَلِيَّكَ، وَتُذِلُّ بِهِ عَدُوَّكَ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَتِكَ، وَيُتَنَاهَى فِيهِ عَنْ سَخَطِكَ، قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ حُقُوقَ الله تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعَمَ الله أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَكِنِ أَصْبِحُوا تَائِبِينَ وَأَمْسُوا تَائِبِينَ .

والخلاصة: أنه صدوق في الرواية لكنه يرى رأي المرجئة المبتدعة.

قَالَ مَالِكٌ: قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ وَجَمَاعَةً مِنَ الْقُرَّاءِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِيمَا سَبَقَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الله الْقَسْرِيَّ بَعَثَ مِنْ مَكَّةَ ثَلَاثَةً إِلَى الْحَجَّاجِ، وَهُمْ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَطَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ، فَمَاتَ طَلْقٌ فِي الطَّرِيقِ وَحُبِسَ مُجَاهِدٌ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ سَعِيدٍ مَا كَانَ وَالله أَعْلَمُ.[٣]

---

(١) أخرجه أحمد (١٤١٤) والبزار في «المسند» (٩٧٦).

(٢) أخرجه الحسين المروزى في«زوائد الزهد»لابن المبارك(٣٠٢) وأبو نعيم في«الحلية»(٣/ ٦٥).

(٣) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٥٤-٢٥٥).

وممن توفي في هذه السنة:

عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ، أَبُو عَبْدِ الله الْمَدَنِيُّ.

تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَعَنِ الْعَبَادِلَةِ، وَمُعَاوِيَةَ، وَالْمُغِيرَةِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأُمِّهِ أَسْمَاءَ، وَخَالَتِهِ عَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَخَلْقٌ مِمَّنْ سِوَاهُمْ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ عُرْوَةُ ثِقَةً، كَثِيرَ الْحَدِيثِ، عَالِمًا مَأْمُونًا ثَبْتًا.

وَقَالَ الْعِجْلِيُّ: مَدَنِيٌّ، تَابِعِيٌّ، رَجُلٌ صَالِحٌ، لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفِتَنِ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ فَقِيهًا، عَالِمًا، حَافِظًا، ثَبَتًا، حُجَّةً، عَالِمًا بِالسِّيَرِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْمَغَازِيَ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الْمَعْدُودِينَ، وَلَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَسْأَلُونَهُ.

كَانَ رحمه الله بَحْرًا فِي العلم لَا يُنْزَفُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِمْ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِمْ فِي زَمَنِ وِلَايَتِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ.

وقد أخرج ابن أبي خيثمة وأبو نعيم واللفظ له[1] – وهو صحيح – عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ، قَالَ: «كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَقْرَأُ رُبُعَ الْقُرْآنِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمُصْحَفِ وَيَقُومُ بِهِ لَيْلَهُ» قَالَ: «فَمَا تَرَكَهُ إِلَّا لَيْلَةَ قَطْعِ رِجْلِهِ» قَالَ: «ثُمَّ عَاوَدَ حِزْبَهُ مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ» قَالَ: «كَانَ وَقَعَتْ فِي رِجْلِهِ الْأَكِلَةُ» قَالَ: «فَنَشَرَهَا».

وقد أخرجه أبو نعيم[2] من طريق هِشَام بْن عُرْوَةَ، قَالَ: خَرَجَ أَبِي إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢٢٣٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٨).

(٢) في «الحلية» (٢/ ١٧٩).

عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَقَعَ فِي رِجْلِهِ الْأَكِلَةُ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله أَرَى لَكَ قَطْعَهَا قَالَ: فَقُطِعَ وَإِنَّهُ لَصَائِمٌ فَمَا تَضَوَّرَ وَجْهُهُ قَالَ: وَدَخَلَ ابْنٌ لَهُ أَكْبَرُ وَلَدِهِ اصْطَبْلَ الدَّوَابِّ فَرَفَسَتْهُ دَابَّتُهُ فَقَتَلَتْهُ فَمَا سُمِعَ مِنْ أَبِي فِي ذَلِكَ شَيْءٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ: «اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثَةً فَلَكَ الْحَمْدُ وَكَانَ لِي بَنُونَ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثَةً فَلَكَ الْحَمْدُ وَايْمُ الله لَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ وَلَئِنْ أَبْلَيْتَ طَالَمَا عَافَيْتَ».

وسنده بهذا السياق غير ثابت إلى هشام فيما أعلم، والله أعلم .

وأخرج أبو نعيم[1] عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: وَقَعَتْ فِي رِجْلِ عُرْوَةَ الْأَكِلَةُ قَالَ: فَصَعِدَتْ فِي سَاقِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ إِلَيْهِ الْأَطِبَّاءَ فَقَالُوا: لَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ إِلَّا الْقَطْعُ قَالَ «فَقُطِعَتْ فَمَا تَضَوَّرَ وَجْهُهُ».

وممن توفي في هذه السنة:

عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، الْمَشْهُورُ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ.

وَكَانَ مَعَ أَبِيهِ بِكَرْبَلَاءَ، فَاسْتُبْقِيَ لِصِغَرِهِ، وَقِيلَ: لِمَرَضِهِ. فَإِنَّهُ كَانَ ابْنَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ هَمَّ بِقَتْلِهِ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ، ثُمَّ صَرَفَهُ اللهُ عَنْهُ. وَأَشَارَ بَعْضُ الْفَجَرَةِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِقَتْلِهِ أَيْضًا، فَمَنَعَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، ثُمَّ كَانَ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَيُجْلِسُهُ مَعَهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ مُكَرَّمِينَ، وَكَانَ عَلِيٌّ بِالْمَدِينَةِ مُحْتَرَمًا مُعَظَّمًا.[2]

---

(١) في «الحلية» (٢/ ١٧٩).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٥٦ وما بعدها).

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: كَانَ أَكْثَرُ مُجَالَسَتِي مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمَا رَأَيْتُ أَفْقَهَ مِنْهُ، وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَحْسَنِهِمْ طَاعَةً، وَأَحَبِّهِمْ إِلَى مَرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ يسمى زَيْنَ الْعَابِدِينَ.

وله ترجمة حافلة طيبة في كتب الرجال، رحمه الله.

وأخرج ابن سعد [١] بسندٍ رجاله ثقات عَنِ الْعَيْزَارِ بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَتَاهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ ابْنِ الْحَبِيبِ.

وقد روى في ترجمته حديث: أنه دَخَلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى رَسُولُ الله ﷺ فَضَمَّهُ وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ. فَقَالَ: يُولَدُ لابْنِي هَذَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ: عَلِيٌّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ. أَلا لِيَقُمْ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ. فَيَقُومُ هُوَ، وَيُولَدُ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ إِذَا رَأَيْتَهُ يَا جَابِرُ فَأَقْرِأْ عَلَيْهِ السَّلامَ. وَاعْلَمْ أَنَّ بَقَاءَكَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَلِيلٌ، فَمَا لَبِثَ جَابِرٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلا بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا حَتَّى تُوُفِّيَ.

وفي إسناده: محمد بن زكريا الغلابي، وهو المتهم به، وقال ابن الجوزي: موضوع.[٢] وقد حكم غير واحد من أهل العلم بوضعه.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ[٣]: ثَنَا عَبْدُ الله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جلس قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَذَكَرُوا أَبَا بَكْرٍ

---

(١) في«طبقاته»(٥/ ٢١٣) .

(٢) قاله الشوكاني في«الفوائد المجموعة»(١٨٦).

(٣) كما أخرجه ابن عساكر في«تاريخه»(٤١/ ٣٨٩) قال أخبرنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله قالوا أنا أبو جعفر بن المسلمة أنا أبو طاهر الذهبي أنا أبو عبد الله الطوسي أنا الزبير بن بكار..به.

وعمر فنالوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان فقال لهم: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الَّذِينَ (أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهَّ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) [الحشر: ٨] ؟ قالوا: لا قال: فأنتم من الذين (تبوأ والدار وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) [الحشر: ٩] ؟ قالوا: لا! فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْفِرْقَةِ الثَّالِثَةِ الذين قال الله عزوجل فيهم (والذين جاؤوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولا خواننا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمنوا) [الحشر: ١٠] الآية، فقوموا عَنِّي لَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، وَلَا قَرَّبَ دُورَكُمْ، أَنْتُمْ مُسْتَهْزِئُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَلَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهِ.

وهذا وإن كان في سنده من لم أعرفه إلا أن هذه الحجة القرآنية مُلزمة لهؤلاء الخبثاء الطاعنين في بعض الخلفاء الراشدين قبحهم الله.

وممن توفي في هذه السنة:

أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ ابن هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْقُرَشِيُّ الْمَدَنِيُّ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، قِيلَ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَقِيلَ اسْمُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ اسْمَهُ وَكُنْيَتَهُ وَاحِدٌ، وَلَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْإِخْوَةِ كَثِيرٌ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ.[1]

وفيها توفي أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري : كان أحد فقهاء المدينة، وكان إماماً عالماً، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان واسع العلم. توفي بالمدينة.

وتوفي فيها عبد الرحمن بن عائذ الأزدي، له روايات كثيرة، وكان عالماً، وخلف

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٢٦٦).

كتباً كثيرةً من علمه، روى عن جماعة من الصحابة، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج.

وتوفي فيها عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمة، قاضي مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته كان عالماً فاضلاً، روى الحديث وعنه جماعة.

ففي هذه السنة مات كثير من أكبر الفقهاء أو قتل كما رأيت:

قتل سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب.

ومات عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، عبد الرحمن بن عائذ الأزدي. فكانت سنة موت الفقهاء

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فِيهَا غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ أَرْضَ الرُّومِ، فقيل إنه فتح انطاكية، وَغَزَا أَخُوهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَلَغَ غَزَالَةَ، وَبَلَغَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ الْمُعَيْطِيُّ أَرْضَ بُرْجِ الْحَمَامِ، وَبَلَغَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَرْضَ سُورِيَّةَ. وَفِيهَا كَانَتِ الرَّجْفَةُ بِالشَّامِ، وَفِيهَا افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنْدَرَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ. وَفِيهَا فَتَحَ اللهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فُتُوحَاتٍ عَظِيمَةً فِي دَوْلَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَلَى يَدَيْ أَوْلَادِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَأُمَرَائِهِ حَتَّى عَادَ الْجِهَادُ شَبِيهًا بِأَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

وفي هذه السنة هلك الحجاج بن يوسف الثقفي

وهو الذي نعتته أسماء بنت أبي بكر الصديق بالمفتري[1]، ووصفه خالد بن

(١) تقدم قول أسماء رضي الله عنها: أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا، «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا». أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

سمير بالفاسق.[١]

ومما أُثر مِن مواعظ الحجاج ولم يصح سنده :

ما رواه مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: خَطَبَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ فَذَكَرَ الْقَبْرَ فَمَا زَالَ يَقُولُ: إِنَّهُ بَيْتُ الْوَحْدَةِ وَبَيْتُ الْغُرْبَةِ حَتَّى بَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ مَرْوَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: خَطَبَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «**مَا نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَبْرٍ وَلَا ذَكَرَهُ إِلَّا بَكَى**».[٢]

وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان ينظر للقبر مِراراً ولا يبكي، وصح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ .[٣]

وليس فيه المداومة، وفارق.

وما رواه أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا سيار عن جعفر عن مالك بن دينار قال: دخلت يوما على الحجاج فقال لي: يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله ﷺ ، فقلت: بلى، فقال: حدثني أبو بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ : من كانت له الى الله حاجة فليدع بها دبر كل صلاة مفروضة.[٤]

---

(١) أخرج ابن سعد في«طبقاته»(٤/ ١٣٩) بسندٍ صحيح خَالِدُ بْنُ سُمَيْرٍ قَالَ:خَطَبَ الْحَجَّاجُ الْفَاسِقُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَرَّفَ كِتَابَ الله... الأثر .

(٢) أخرجه تمام في « مسند المقلين من الأمراء والسلاطين » (٧) وابن عساكر(١٢/ ١١٤) قال تمام: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بْنُ أَيُّوبَ الْحَافِظُ، حَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُزَوَزِيُّ ،ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِكَ، ثنا مُصْعَبُ بْنُ بِشْرٍ، ثنا الْمُغِيرَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثنا مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ به.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٤) أخرجه عنه ابن العديم في«تاريخ حلب» (٥/ ٢٠٣٨).

وإسناده غير سالم إلى الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد أورد ابن كثير في هذا الموطن أَشْيَاءَ مِمَّا وَقَعَ للحجاج مِنَ الْأُمُورِ وَالْجَرَاءَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَالتَّهَوُّرِ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ، مِمَّا يُمْدَحُ عَلَى مِثْلِهِ، وَمِمَّا يُذَمُّ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، مِمَّا سَاقَهُ له الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُه، لكنى هنا أكتفي بإيراد الصحيح منه مما لم يتقدم ذكره، فإن الحجاج حظى بالكذب عليه وترويج البلايا عنه بسبب عسفه وظلمه وعدم رفقه بالرعية، وإقدامه بجرأة على دماء بعض الأفاضل، وهذه من طبيعة كثير من البشر.

فقد تقدَّمت روايه مسلم لما دخل على أسماء بنت أبي بكر وقالت له: أَمَا إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا،« **أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا** » فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

وأخرج أحمد[1] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، بَعْدَمَا قُتِلَ ابْنُهَا عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ أَلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ، فَقَالَتْ: كَذَبْتَ، كَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ، صَوَّامًا قَوَّامًا، وَالله لَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ :

---

(١) في«المسند»(٢٦٩٦٧).وأنبه إلى نكارة رواية هَارُون بْنِ عَنْتَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ التي في «المسند»(٢٦٩٧٤) قَالَ: لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَصَلَبَهُ مَنْكُوسًا، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذْ جَاءَتْ أَسْمَاءُ، وَمَعَهَا أَمَةٌ تَقُودُهَا، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهَا، فَقَالَتْ:أَيْنَ أَمِيرُكُمْ؟ فَذَكَرَ قِصَّةً، فَقَالَتْ: كَذَبْتَ، وَلَكِنِّي أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: « **يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ** » فإن هارون بن عنترة في بعض الكلام وروايته هذه منكرة، ففيه أن أسماء هي التي أتت الحجاج بخلاف رواية مسلم وغيرها ففيها أنه هو الذي جاءها، ولا يليق بأسماء أن تأتيه هي.

«أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ».

وأما ما رواه عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ارْتَجَّتْ مَكَّةُ بِالْبُكَاءِ، فَأَمَرَ بالنَّاسِ فَجُمِعُوا فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللهَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، بَلَغَنِي إِكْبَارُكُمْ قَتْلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، أَلَا وَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ مِنْ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَتَّى رَغِبَ فِي الْخِلَافَةِ وَنَازَعَ فِيهَا أَهْلَهَا، فَنَزَعَ طَاعَةَ اللهَّ وَاسْتَكَنَّ بِحَرَمِ اللهَّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ مَانِعَ الْعُصَاةِ لَمَنَعَتْ آدَمَ حُرْمَةُ اللهَّ؛ إِنَّ اللهَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ وَأَبَاحَ لَهُ كَرَامَتَهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، فَلَمَّا أَخْطَأَ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِخَطِيئَتِهِ، وَآدَمُ أَكْرَمُ عَلَى اللهَّ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْجَنَّةُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ، اذْكُرُوا اللهَّ يَذْكُرْكُمْ.(١)

ففي إسناده من لم أقف عليه بهذا السياق مع عدم استبعاد وقوعه.

وإنما الذي وقفت عليه في هذا الباب ما أخرجه ابن سعد (٢) بسندٍ صحيح عن خَالِدِ بْنِ سُمَيْرٍ قَالَ: خَطَبَ الْحَجَّاجُ الْفَاسِقُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَرَّفَ كِتَابَ الله. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: كَذَبْتَ كَذَبْتَ كَذَبْتَ. مَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَلا أَنْتَ مَعَهُ.

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ. يُوشِكُ شَيْخٌ أَنْ يُؤْخَذَ فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فَيُجَرَّ قَدِ انْتَفَخَتْ خُصْيَتَاهُ يَطُوفُ به صبيان أهل البقيع.

وكذلك لا يصح ما رواه عبد الْحَكَم بْن ذَكْوَانَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَابْنُ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَخَطَبَ النَّاسَ حَتَّى أَمْسَى ، فَنَادَاهُ ابْنُ عُمَرَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّلَاةَ فَاقْعُدْ، ثُمَّ نَادَاهُ الثَّانِيَةَ: فَاقْعُدْ، ثُمَّ نَادَاهُ الثَّالِثَةَ: فَاقْعُدْ، فَقَالَ لَهُمْ فِي الرَّابِعَةِ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ نَهَضْتُ أَتَنْهَضُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَنَهَضَ، فَقَالَ:

(١) أخرجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق»(١٢/ ١٢٠).

(٢) في«طبقاته»(٤/ ١٤٠).

الصَّلَاةَ فَإِنِّي لَا أَرَى لَكَ فِيهَا حَاجَةً، فَنَزَلَ الْحَجَّاجُ، فَصَلَّى، ثُمَّ دَعَا بِهِ ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا نَجِيءُ لِلصَّلَاةِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلِّ بِالصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا، ثُمَّ بَقْبِقْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ مِنْ بَقْبَقَةٍ.(١)

ففي سنده جهالة عبد الحكم بن رافع، وشهر بن حوشب فيه كلام أيضاً.

ومن بغض الناس للحجاج مع هيبتهم له وخوفهم منه:

ما أخرجه أحمد والنسائي(٢) بسندٍ قوي من طريق عبد الرحمن بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ، أَنَّهُ زَوَّجَ ابْنَتَهُ مِنَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَقَالَ لَهَا: إِذَا دَخَلَ بِكِ فَقُولِي: «لَا إِلَهَ إِلا الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ». وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ هَذَا. قَالَ حَمَّادٌ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَمْ يَصِلْ الَيْهَا ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ(٣): لَمَّا تَزَوَّجَ الْحَجَّاجُ بِنْتَ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَتُمَكِّنُهُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: وَمَا بَأْسٌ بِذَلِكَ؟ قَالَ: أَشَدُّ الْبَأْسِ وَالله. قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: وَالله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ذَهَبَ مَا فِي صَدْرِي عَلَى آلِ الزُّبَيْرِ مُنْذُ تَزَوَّجْتُ رَمْلَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ. قَالَ: فَكَأَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فَأَيْقَظَهُ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي طَلَاقِهَا فَطَلَّقَهَا.

ومن جرأته على الدِّمَاء ما اعترف به:

في مرويات دخول أبي وائل شقيق بن سلمة عليه

---

(١) أخرجه ابن سعد في«طبقاته» (٤/ ١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٦٢) والنسائي في«الكبرى» (١٠٤٠٧)ولنا تعقيب على بعض رجاله في كتابنا « التعليقات الجياد على تحرير تقريب التهذيب» لابن حجر.

(٣) فيما أخرجه من طريقه ابن عساكر في«تاريخه»(١٢/ ١٢٥).

وأخرج العجلي [١] وغيره بسندٍ صحيح عَن إِبْرَاهِيم مولى صخير عَن أبي وَائِل قَالَ أرسل إِلَيّ الْحجَّاج فَدخلت عَلَيْهِ فَقَالَ اسْمك قلت مَا بعثت إِلَيّ إِلَّا وَقد عرفت اسْمِي قَالَ إِنِّي أُرِيد أَن أستعملك على بعض عَمَلي قَالَ قلت أما وَالله إِنِّي لأَذْكُرك فِي بعض اللَّيْل فأوورق بك سَائِر لَيْلَتي، فَكيف أَلِي لَك عملا قَالَ أما لَئِن قلت ذَاك إِنَّا لنقتل الرِّجَال على شَيْء قد كَانَ من قبلنَا يهاب الْقَتْل على مثله.

وفي رواية [٢] وسندها صحيح عن حُسَيْن بْن عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: دَخَلَ شَقِيقٌ عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟»، قَالَ: مَا بَعَثَ إِلَيَّ الْأَمِيرُ حَتَّى عَلِمَ اسْمِي قَالَ: «أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعِينَ بِكَ عَلَى بَعْضِ عَمَلِي»، قَالَ: فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ نَفْسِي، فَاسْتَعْفَاهُ فَأَعْفَاهُ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَامَ وَهُوَ يَقُولُ: هَكَذَا انْبِعَاثُنَا، قَالَ: فَقَالَ الْحُجَّاجُ: «سَدِّدُوا الشَّيْخَ سَدِّدُوا الشَّيْخَ».

وفي رواية [٣] عَنْ أَبِي وَائِلٍ؛ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ فَقُلْتُ: مَا بَعَثَ إِلَيَّ الأَمِيرُ إلا وَقَدْ عَرَفَ اسْمِي. فَقَالَ: مَتَى نَزَلْتَ هَذَا الْبَلَدَ؟ قُلْتُ: لَيَالِي نَزَلَهُ أَهْلُهُ. قَالَ: إِنِّي مُسْتَعْمِلُكَ. قُلْتُ: عَلَى مَاذَا أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ؟ قَالَ: على السِّلْسِلَةَ. قلت: إِنَّ السِّلْسِلَةَ لا تَصْلُحُ إِلا بِرِجَالٍ يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا، و (أما) أَنَا؛ فَرَجُلٌ شَيْخٌ ضَعِيفٌ أَخْرَقُ، أَخَافُ بِطَانَةَ السُّوءِ، فَإِنْ يُعْفِنِي الأَمِيرُ؛ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَإِنْ يُقْحِمْنِي أَقْتَحِمْ. وَاللهِ إِنِّي لأَتَعَارَ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَذْكُرُ الأَمِيرَ فَلا يَأْتِينِي النَّوْمُ حَتَّى

(١) في «الثقات» ص٧٣٧ وابن عساكر في «تاريخه» (٢٣/ ١٨٠).

(٢) صحيحة أخرجها ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٥) قال حدثني الحسين بن على، وهو الجعفي به.

(٣) أخرجها أحمد بن مروان الدينوري في«المجالسة» (٢٧٣٠) وابن عساكر في«تاريخة»(٢٣/ ١٨٥) من طريق إِبْرَاهِيم بْن فَهْدٍ، نا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ، نا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، وإبراهيم بن فهد ضعفه غير واحد من أهل العلم، وبقية رجاله معدَّلون.

أُصْبِحَ، وَلَسْتُ لِلأميرَ عَلَى عَمَلٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا كُنْتُ لَهُ عَلَى عَمَلٍ؟ ! وَاللهِ! مَا رَأَيْتُ النَّاسَ هَابُوا أَمِيرًا قَطُّ هَيْبَتَهُمْ لَكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ. فَأَطْرَقَ سَاعَةً، فَقَالَ: أَمَّا قَوْلُكَ: مَا رَأَيْتُ النَّاسَ هَابُوا أَمِيرًا هَيْبَتَهُمْ لَكَ؛ فَإِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الأرض رجلا أجرأ عَلَى دَمٍ مِنِّي، وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ يُعْفِنِي الأَمِيرُ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَإِنْ يُقْحِمْنِي أَقْتَحِمْ؛ فَإِنَّا إِنْ وَجَدْنَا غَيْرَكَ أَعْفَيْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ غَيْرَكَ أَقْحَمْنَاكَ. ثُمَّ قَالَ: انْصَرِفْ. قَالَ: فَمَضَيْتُ، فَغَفَلْتُ عَنِ الْبَابِ يُمْنَةً، فَقَالَ: سَدِّدُوا الشَّيْخَ.[1]

ومن بلاغته في مواعظه:

ما أخرجه ابن أبي الدنيا[2] بإسنادٍ حسن عن مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، يَخْطُبُ وَيَقُولُ: «امْرَأً وَزَنَ نَفْسَهُ، امْرَأً اتَّخَذَ نَفْسَهُ عَدُوًّا، امْرَأً حَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ الْحِسَابُ إِلَى غَيْرِهِ، امْرَأً أَخَذَ بِعِنَانِ عَمَلِهِ فَنَظَرَ أَيْنَ يُرِيدُ؟ امْرَأً نَظَرَ فِي مِكْيَالِهِ، امْرَأً نَظَرَ فِي مِيزَانِهِ، فَمَا زَالَ يَقُولُ امْرَأً حَتَّى أَبْكَانِي» .

وأخرج[3] بسندٍ يحسن عن شهاب بن خراش {وتصحف فى الكتاب إلى خداش وهي خطأ}، عن سَيَّار أَبِي الْحَكَمِ قال: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ، عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:«يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ رَجُلٌ خَطَمَ نَفْسَهُ وَذَمَّهَا فَقَادَهَا

---

(١) ولكن قال البلاذري: وروي عن جرير عن عثمان بْن شبرمه قَالَ: دخل أَبُو وائل عَلَى الحجاج فَقَالَ لَهُ: مَتَى هبطت إلى هَذَا البلد؟ فَقَالَ: حين هبط أهله. قَالَ: ما تحسن من القرآن؟ قَالَ: ما إن عملت بِهِ كفاني. قَالَ: أستعملك؟ قَالَ: إن تعفيني أحب إلي. فلما خرج جعل يحيد عن الطريق فَقَالَ الحجاج: سَدّدوا الشَّيْخ.

فهذا مشعر بالمتابعة على بعض المتن، والله أعلم .

(٢) فى«محاسبة النفس» (١١).

(٣) برقم (١٥) ومن طريقه ابن عساكر(١٢/ ١٤٠).

بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ الله وَعَنَجَهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعَاصِي الله عَزَّ وَجَلَّ ».

ومن مواعظه البليغة أيضاً:

ما أخرجه الزبير بن بكار[1] بسندٍ حسن عن الشَّعْبِيِّ قال: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَ الله كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ، وَعَلَى الآخِرَةِ الْبَقَاءَ، فَلا فَنَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ، وَلا بَقَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ، فَلا يَغُرَّنَّكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الآخِرَةِ، وَاقْهَرُوا طُولَ الأَمَلِ بِقِصَرِ الأَجَلِ حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لا تَهْتِكُوا سِتْرًا فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ تَقُولُ: هَتَكَ الله سِتْرَ امْرَأَةٍ تَخُونُ زَوْجَهَا بِالْغَيْبِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا يَوْمًا سَمَكَةً، ثُمَّ قَامَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَتْ: هَتَكَ الله سِتْرَ امْرَأَةٍ تَخُونُ زَوْجَهَا بِالْغَيْبِ، فَقَهْقَهَتِ السَّمَكَةُ وَاضْطَرَبَتْ حَتَّى سَقَطَتْ مِنَ الْخِوَانِ فَأَعَادَهَا فِي الْقَصْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَهَا أَعِيدِي كَلامَكَ فَأَعَادَتْ، فَقَهْقَهَتِ السَّمَكَةُ حَتَّى سَقَطَتْ مِنَ الْقَصْعَةِ، فَعَلَتْ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ تُقَهْقِهُ السَّمَكَةُ وَتَضْطَرِبُ حَتَّى تَسْقُطَ مِنَ الْخِوَانِ، فَأَتَى عَالِمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: انْطَلِقْ فَاذْكُرْ رَبَّكَ، وَكُلْ طَعَامَكَ، وَاخْسَأِ الشَّيْطَانَ عَنْكَ.

فَقَالَ لَهُ أَخِفَّاءُ النَّاسِ: انْطَلِقْ إِلَى ابْنِهِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَانْطَلَقَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِكُلِّ مَنْ فِي دَارِكَ مِمَّنْ لَمْ تَرَ عَوْرَتَهُ.

فَأَتَاهُ بِهِمْ، فَنَظَرَ فِي وُجُوهِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: اكْشِفْ عَنْ هَذِهِ الْحَبَشِيَّةِ، قَالَ: فَكَشَفَ عَنْهَا فَإِذَا مَعَهَا ذِرَاعَ الْبِكْرِ، فَقَالَ: مِنْ هَذَا أَتَيْتُ، فَمَاتَ أَبُو الْفَتَى الْعَالِمِ، وَهُتِكَ بِهَتْكِهِ ذَلِكَ السِّتْرَ، وَاحْتَاجَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَأَتَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: وَيْحَكَ أَنْتَ كُنْتَ أَعْلَمُنَا وَأَمْلُنَا.

---

(١) في كتابه« الأخبار الموفقيات » (٤٨).

فَلَمَّا كَثِرُوا عَلَيْهِ هَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى أَقْصَى مَوْضِعٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ: الرُّبَّةُ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، فَأُتِيحَ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ تَسْتَفْتِيهِ.

فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ أَنْ تُمَكِّنِينِي مِنْ نَفْسِكِ، وَأَهَبَ لَكِ مَائَتَيْ دِينَارٍ؟ قَالَتْ: وَخَيرٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَجِيءَ إِلَى أَهْلِي فَتَزَوَّجْنِي، وَأَكُونَ لَكَ حَلالا أَبَدًا.

قَالَ: فَأَيْنَ مَنْزِلُكِ؟ فَوَصَفَتْهُ لَهُ، فَطَالَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ، فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِكَلْبَةٍ تَنْبَحُ فِي بَطْنِهَا جِرَاؤُهَا، فَقَالَ: مَا أَعْجَبَ هَذَا! قِيلَ لَهُ: امْضِ، لا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبَرُ هَذَا. مَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حِجَارَةً، كُلَّمَا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ زَادَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ لا تَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ هَذَا، تَزِيدُ عَلَيْهِ! قِيلَ لَهُ: امْضِ، لا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيَكَ خَبَرُ هَذَا، فَمَضَى، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَسْتَقِي مِنْ بِئْرٍ، وَيَصُبُّهُ فِي حَوْضٍ، إِلَى جَانِبِ الْبِئْرِ، وَفِي الْحَوْضِ نَقْبٌ، فَالْمَاءُ يَرْجِعُ فِي الْبِئْرِ، قَالَ لَهُ: لَوْ سَدَدْتَ الْجُحْرَ اسْتَمْسَكَ لَكَ الْمَاءُ.

قِيلَ لَهُ: امْضِ، لا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبَرُ هَذَا.

فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِظَبْيَةٍ، وَرَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَيْهَا، وَآخرُ يَحْلِبُهَا، وَآخَرُ يُمْسِكُ بِقَرْنَيْهَا، وَآخَرُ يُمْسِكُ بِذَنَبِهَا، وَآخَرُونَ يُمْسِكُونَ بِقَوَائِمِهَا، قَالَ: مَا أَعْجَبَ هَذَا! قِيلَ لَهُ: امْضِ، لا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبَرُ هَذَا، فَمَضَى، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَبْذُرُ بِذَارًا، فَلا يَقَعُ فِي الأَرضِ حَتَّى يَنْبُتَ. . .، قَالَ: ثُمَّ مَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعَهُ مِنْجَلٌ يَحْصِدُ مَا بَلَغَ وَمَا لَمْ يَبْلُغْ، قَالَ لَهُ: لَوْ حَصَدْتَ مَا قَدْ بَلَغَ وَتَرَكْتَ مَا لَمْ يَبْلُغْ، قَالَ لَهُ: امْضِ، لا تَكُونَنَّ مُكَلَّفًا، فَسَوْفَ يَأْتِيكَ خَبَرُ هَذَا، فَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِالْقَصْرِ الَّذِي وَعَدْتُهُ، وَإِذَا دُونَهُ نَهْرٌ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ، وَقَدْ رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي أَعَاجِيبَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ كَلْبَةً تَنْبَحُ فِي بِطْنِهَا جِرَاؤُهَا.

قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَثِبُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْوَضِيعُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالسَّفِيهُ عَلَى الْحَلِيمِ.

قَالَ: فَإِنِّي مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حِجَارةً، فَإِذَا لَمْ يُطِقْهَا وَسَقَطَتْ مِنْهُ زَادَ عَلَيْهَا.

قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ الأَمَانَةُ فَلا يَقْدِرُ يُؤَدِّيهَا، فَيُزِيدَ عَلَيْهَا.

قَالَ: فَإِنِّي مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَسْتَقِي مِنْ بِئْرٍ، وَيَصُبُّهُ فِي حَوْضٍ إِلَى جَنْبِ الْبِئْرِ، وَفِي الْحَوْضِ جُحْرٌ، فَالْمَاءُ يَرْجِعُ إِلَى الْبِئْرِ.

قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ لا يَتَزَوَّجُهَا لِدِينٍ، وَلا حَسَبٍ، وَلا جَمَالٍ، إِنَّمَا يُرِيدُ مَالَهَا، وَتَكُونُ مِمَّنْ لا تَلِدُ، فَيَكُونُ كُلُّ شِيءٍ مِنْهَا يَرْجِعُ فِيهَا.

قَالَ: فَإِنِي مَرَرْتُ بِظَبْيَةٍ، فَقَصَّ قِصَّتَهَا.

فَقَالَ: أَمَّا الظَّبْيَةُ، فَالدُّنْيَا، وَأَمَّا الرَّاكِبُ عَلَيْهَا، فَالْمَلِكُ، وَأَمَّا الَّذِي يَحْلِبُهَا فَمِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَمَّا الَّذِي يُمْسِكُ بِقَرْنِهَا فَمِنْ أَبْأَسِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَمَّا الَّذِي يُمْسِكُ بِذَنَبِهَا، فَالَّذِي لا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ إِلا قُوتًا، وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِقَوَائِمِهَا فَسَفَلَةُ النَّاسِ.

قَالَ: فَإِنِّي مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَبْذُرُ بِذَارًا فَلا يَقَعُ فِي الأَرْضِ حَتَّى يَنْبُتَ.

قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَدْرِي مَتَى يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ، وَمَتَى يُولَدُ الْمَوْلُودُ، وَمَتَى يَبْلُغُ.

قَالَ: فَإِنِّي مَرَرتُ بِرَجُلٍ يَحْصِدُ مَا قَدْ بَلَغَ وَمَا لَمْ يَبْلُغْ.

قَالَ: ذَلِكَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَحْصِدُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَأَنَا هُوَ، بَعَثَنِي الله إِلَيْكَ لأَقْبِضَ رَوْحَكَ عَلَى أَسْوَأِ أَحْوَالِكَ.

وقد أُثرت عنه مقالة له عند موته :

أخرجها ابن أبي الدنيا [١] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: « كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُبْغِضُ الْحَجَّاجَ، فَنُفِسَ عَلَيْهِ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ » .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابن أبي الدنيا[٢]: فَحَدَّثَنِي غَيْرُ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ أَنَّ ذَلِكَ بَلَغَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ فَقَالَ: أَقَالَهَا، قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: عَسَى » .

قال ابن كثير [٣]:

وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ مَعَ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ يَلْحَنُ فِي حُرُوفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْكَرَهَا يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ؛ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يُبْدِلُ « إِنِ » الْمَكْسُورَةَ بِـ « أَنِ » الْمَفْتُوحَةِ، وَعَكْسُهُ، وَكَانَ يَقْرَأُ: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ} [التوبة: ٢٤] إِلَى قَوْلِهِ: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ} [التوبة: ٢٤] (التَّوْبَةِ: ٢٤) فَيَقْرَؤُهَا بِرَفْعِ « أَحَبَّ » .

وما أثر عنه إنكاره أن يكون الحسين من ذرية النبي ﷺ.

فأخرج الحاكم وعنه البيهقي [٤] عن عَاصِم بْنِ بَهْدَلَةَ، قَالَ: اجْتَمَعُوا عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَذَكَرَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: لَمْ يَكُنْ مِنْ ذُرِّيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، فَقَالَ لَهُ: «كَذَبْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ»، فَقَالَ: لَتَأْتِيَنِّي عَلَى مَا قُلْتَ بِبَيِّنَةٍ وَمِصْدَاقٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ لَأَقْتُلَنَّكَ قَتْلًا، فَقَالَ: « {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى} إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ} [الأنعام:

---

(١) في«حسن الظن»(١١٥) و«المحتضرين»(١١٩).

(٢) في«حسن الظن».

(٣) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٧٧).

(٤) في«المستدرك»(٣/ ١٩٥) و«السنن الكبرى» للبيهقي(٦/ ٢٧٤).

٨٥] فَأَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ عِيسَى مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بِأُمِّهِ وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأُمِّهِ » ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَكْذِيبِي فِي مَجْلِسٍ، قَالَ: « مَا أَخَذَ الله عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ١٨٧] » قَالَ: فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ.

ولكن في سنده صالح بن موسى الطلحي وهو متروك، وله طريق آخر في نفس المصدر، ولكن في سنده شريك النخعي وهو سيء الحفظ .

وقد أخرجه ابن أبي حاتم[١] بسنده عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ ، قَالَ: أَرْسَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ ، فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْحَسَنَ ، وَالْحُسَيْنَ ، مِنْ ذُرِّيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، تَجِدُهُ فِي كِتَابِ الله ، وَقَدْ قَرَأْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ؟ قَالَ: أَلَيْسَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَنْعَامِ: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ} حَتَّى بَلَغَ: {وَيَحْيَى وَعِيسَى} [الأنعام: ٨٥] ؟ قَالَ: بَلَى ، قَالَ أَلَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ؟ قَالَ: صَدَقْتَ.

ولكن في سنده على بن عابس الأسدى الأزرق الكوفى الملائى (بياع الملاء) وهو ضعيف.

ثم لماذا ينفيه بعد أن أتاه بالحجة الصحيح المُلزمة؟

وما أظن يخفى على مثل الحجاج مثل هذا.

وأصرح من هذا في الدلالة قوله ﷺ الصريح عن أحدهما {الحسن} .

ما رواه البخاري[٢] عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ

---

(١) في «تفسيره» (٧٥٥٤).

(٢) برقم (٢٧٠٤).

وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ:« **إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**».(١)

ومما أثر من كلامه الناقص الجرأة إضافة إلى ما تقدم مفرَّقاً(٢):

ما أخرجه أبو داود (٣) بسندٍ صحيح عَنْ الأعمش عن عَاصِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: « اتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالله لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ الله حَلَالًا، وَيَا عَذِيرِي مِنْ عَبْدِ هُذَيْلٍ يَزْعُمُ أَنَّ قِرَاءَتَهُ مِنْ عِنْدِ الله، وَالله مَا هِيَ إِلَّا رَجَزٌ مِنْ رَجَزِ الْأَعْرَابِ مَا أَنْزَلَهَا الله عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَام، وَعَذِيرِي مِنْ هَذِهِ الْحَمْرَاءِ يَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرْمِي بِالْحَجَرِ فَيَقُولُ: إِلَى أَنْ يَقَعَ الْحَجَرُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، فَوَالله لَأَدَعَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الدَّابِرِ » قَالَ: فَذَكَرْتُهُ لِلْأَعْمَشِ فَقَالَ: أَنَا وَالله سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

قال القرطبي(٤):« قلت: وَقَدْ تَغَلْغَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْحَجَّاجُ حِينَ تَلَاهَا وَقَصَرَهَا

---

(١) ويؤيِّده أيضاً ما أخرجه البخاري في «صحيحه»(٥٩٩٤)عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا**». ولم ينكر عليه منكر أن سماه ابن النبي ﷺ.

(٢) ككلامه في الإنكار على ابن عمر استهجان دعواه أن ابن الزبير حرف القرآن، وسوء خطابه مع أسماء بنت أبي بكر، ونحو ذلك مما تقدَّم في ثنايا عشرين سنة مدَّة إمرته.

(٣) برقم (٤٦٤٣).

(٤) في«تفسيره»(١٢/ ١٤٦).

عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مروان فقال: فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا هِيَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِينُ اللهَّ وَخَلِيفَتُهُ، لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ، والله لَوْ أَمَرْتُ رَجُلًا أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ مِنْ غَيْرِهِ لَحَلَّ لِي دَمُهُ. وَكَذَبَ فِي تَأْوِيلِهَا بَلْ هِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوَّلًا ثُمَّ لِأُولِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ. دَلِيلُهُ وأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ».

وفي رواية ابن عساكر[(١)]:«والله ولو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلَّت لي دماؤكم ولا أجد أحداً يقرأ علي قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه، ولأخلينها من المصحف ولو بضلع خنزير.

قال أبو بكر بن عياش: فذكرت ذلك للأعمش فقال وأنا قد سمعته يقول ذلك فقلت والله لأقرأنها على رغم أنفك وذلك في نفسي قال أبو بكر بن عياش وأتى بشهادين يعني: الأعمش وعاصماً.

قال الذهبي[(٢)]:« قَاتَلَ اللهُ الْحَجَّاجَ مَا أَجْرَأَهُ عَلَى الله، كَيْفَ يَقُولُ هَذَا فِي الْعَبْدِ الصَّالِحِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ! ».

وقال ابن كثير[(٣)]: «وَهَذَا مِنْ جَرَاءَةِ الْحَجَّاجِ - قَبَّحَهُ الله - وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْكَلَامِ السَّيِّئِ وَالدِّمَاءِ الْحَرَامِ. وَإِنَّمَا نَقَمَ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه لِكَوْنِهِ خَالَفَ الْقِرَاءَةَ عَلَى الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، الَّذِي جَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَجَعَ

(١) في«تاريخه»(١٢/ ١٦٠).

(٢) في«تاريخ الإسلام»(٦/ ٣٢٠).

(٣) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٧٩-٢٨٠).

إِلَى قَوْلِ عُثْمَانَ وَمُوَافِقِيهِ، وَالله أَعْلَمُ ».(١)

قلت«محمد» تأمَّل ما وقع من هذا المغرور من سوء أدبه وجهله بأقدار الخلق وقدر نفسه وما وقوع ذلك منه ببعيد وقد تقدَّم حمله الآية القرآنيه على غير وجهها الصحيح!

رسول الله ﷺ يقول: « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ** ».(٢)

و ابن مسعود رضي الله عنه يقول عن نفسه:

« وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ الله، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ ».

قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيبُهُ ».(٣)

والحجاج يصدر منه ما صدر؟

---

(١) وهذا هو الحق الذي لا يقال غيره أن ابن مسعود رجع إلى المصحف الإمام الذي كتبه عثمان ومعه الصحابة، وقد رويت مرويات مفادها ذلك، وبوب لها أبو بكر بن أبي داود في كتابه«المصاحف» (٦٦ بتحقيقي) بباب {رضا عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف}. ولكن أخرجها ابن أبي داود بأسانيد فيها مقال فراجع تحقيقي لها هناك.

ولكن أخرج أبو عبيد في«الفضائل» ص٣٠٧ بسندٍ صحيح عن عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبَيْنِ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ، وَتَعَالَ. والناظر في سياق ما حصل سكت، وهذا لا يكون إلا عن رضا.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٨) وغيره بسندٍ حسن .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٦٢) .

فقبَّحه الله وقبحه إن كان حصل منه ذلك تجاه ابن مسعود الحَبر المُعَلَّم.

وإلا فبعض ذلك لا يصح به سند فيما نعلم.

فقد أخرج ذلك الخلال[١] من طريق الصَّلْتِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، عَلَى مِنْبَرِ وَاسِطٍ يَقُولُ:عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ، لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَسَقَيْتُ الأَرْضَ مِنْ دَمِهِ. ولكن الصلت متروك .

وأخرج ابن عساكر[٢] من طريق الصلت بن دينار قال: سَمِعْتُهُ عَلَى مِنْبَرِ وَاسِطٍ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} قَالَ: وَالله إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ لَحَسُودًا.

وهذا إن صح سنده فإنه يفضي به إِلَى الْكُفْرِ، والعياذ بالله، ولكن في سنده الصلت بن دينار هو متروك كما قلنا.

ومن ذلك ما أخرجه أبو داود[٣] عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَالِدٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، يَخْطُبُ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: « رَسُولُ أَحَدِكُمْ فِي حَاجَتِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ أَمْ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لله عَلَيَّ أَلَّا أُصَلِّيَ خَلْفَكَ صَلَاةً أَبَدًا، وَإِنْ وَجَدْتُ قَوْمًا يُجَاهِدُونَكَ لَأُجَاهِدَنَّكَ مَعَهُمْ » وفي رواية قَالَ: «فَقَاتَلَ فِي الْجَمَاجِمِ حَتَّى قُتِلَ».

فهذا إن صَحَّ هَذَا عَنْهُ، فهي طامَّة كما قال ابن كثير رحمه الله.

فَظَاهِرُهُ كُفْرٌ إِنْ أَرَادَ تَفْضِيلَ مَنْصِبَ الْخِلَافَةِ عَلَى الرِّسَالَةِ، أَوْ أَرَادَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الرَّسُولِ!

---

(١) في«السنة»(٨٥٥) وابن عساكر في«تاريخه» (١٢/ ١٦١)

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٢/ ١٦١).

(٣) في«السنن»برقم (٤٦٤٢).

إلا أن في سنده عنه الربيع بن خالد الضبيِّ وهو مجهول لم يرو عنه إلا المغيرة بن مقسم الضبي ولم يوثقه معتبر، وقد أخطأ الحافظ ابن حجر إذ وثقه، وليس له سالف في ذلك، بل يبدوا أنه غير معروف إلا بهذا الخبر، والله أعلم.

ومن ذلك :ما أخرجه أبو الفضل البغدادي[١] عَنِ الْأَجْلَحَ، قَالَ: اخْتَلَفْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ قَيْسٍ الْمَاصِرُ، فِي الْحَجَّاجِ، فَقُلْتُ أَنَا: الْحَجَّاجُ، كَافِرٌ - وَقَالَ عُمَرُ: الْحَجَّاجُ الْمُؤْمِنُ ضَالٌّ - قَالَ: فَأَتَيْنَا الشَّعْبِيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنِّي قُلْتُ: إِنَّ الْحَجَّاجَ كَافِرٌ، وَإِنَّ هَذَا قَالَ: الْحَجَّاجُ مُؤْمِنٌ ضَالٌّ قَالَ: فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «يَا عُمَرُ، شَمَّرْتَ ثِيَابَكَ ، وَحَلَلْتَ إِزَارَكَ ، وَقُلْتَ: إِنَّ الْحَجَّاجَ مُؤْمِنٌ ضَالٌّ، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي رَجُلٍ إِيمَانٌ وَضَلَالٌ، الْحَجَّاجُ مُؤْمِنٌ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، كَافِرٌ بِالله الْعَظِيمِ.

وسنده واه بمرَّة من قبل الأجلح، وفي سنده عمار بن أبي مالك وقد ضعَّفه الأزدي.

ومن ذلك ما رواه هِشَامُ بْنُ مُحَمَّد بْن السّائب الْكَلْبِيّ[٢] عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: دَخَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ إِيهًا يَا أُنَيْسُ، يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ، وَالله لأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ، وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ، فَقَالَ أَنَسٌ: إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ أَصْلَحَهُ الله؟ فَقَالَ: إِيَّاكَ سَكَّ الله سَمْعَكَ، قَالَ أَنَسٌ: إنّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَالله لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ مَا بَالَيْتُ أَيَّ قتلةٍ قُتِلْتُ وَلا أَيَّ ميتةٍ مِتُّ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ،

---

(١) في حديث الزهري(٢٧٥).

(٢) فيما أخرجه المعافى بن زكريا في كتابه« الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» ص ٤٨٩.

فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابَ أَنَسٍ اسْتَشَاطَ غَضَبًا وَصَفَّقَ عَجَبًا، وَتَعَاظَمَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَجَّاجِ. وَكَانَ كِتَابُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لِي هَجْرًا، وَأَسْمَعَنِي نُكْرًا، وَلَمْ أَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلا، فَخُذْ لِي عَلَى يَدَيْهِ فَإِنِّي أَمُتُّ بِخِدْمَتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصُحْبَتِي إِيَّاهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَكَانَ مُصَادِقًا لِلْحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُ: دُونَكَ كِتَابِي هَذَيْنِ فَخُذْهُمَا وَارْكَبِ الْبَرِيدَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَادْفَعْ كِتَابَهُ إِلَيْهِ وَأَبْلِغْهُ مِنِّي السَّلامَ وَقُلْ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ الْمَلْعُونِ كِتَابًا إِذَا قَرَأَهُ كَانَ أَطْوَعَ لَكَ مِنْ أَمَتِكَ.

وَكَانَ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَكَاتِكَ لِلْحَجَّاجِ، وَمَا سَلَّطْتُهُ عَلَيْكَ وَلا أَمَرْتُهُ بِالإِسَاءَةِ إِلَيْكَ، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِذَلِكَ أُنْزِلْ بِهِ عُقُوبَتِي، وَتَحْسُنْ لَكَ مَعُونَتِي، وَالسَّلامُ، فَلَمَّا قَرَأَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ كِتَابَهُ وَأُخْبِرَ بِرِسَالَتِهِ قَالَ: جَزَى اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي خَيْرًا وَعَافَاهُ وَكَافَأَهُ عَنِّي بِالْجَنَّةِ، فَهَذَا كَانَ ظَنِّي بِهِ وَالرَّجَاءَ مِنْهُ. فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ لأَنَسٍ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ الْحَجَّاجَ عَامِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ بِكَ عَنْهُ غِنًى وَلا بِأَهْلِ بَيْتِكَ، وَلَوْ جُعِلَ لَكَ فِي جامعةٍ ثُمَّ دُفِعَ إِلَيْكَ لِقَدَرٍ أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعَ، فَقَارِبْهُ وَدَارِهُ، فَقَالَ أَنَسٌ: أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ. ثُمَّ خَرَجَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا رَآهُ الْحَجَّاجُ قَالَ: مَرْحَبًا برجلٍ أُحِبُّهُ وَكُنْتُ أحب لقاءه، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ: وَأَنَا وَاللهِ كُنْتُ أُحِبُّ لِقَاءَكَ فِي غَيْرِ مَا أَتَيْتُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا أَتَيْتَنِي بِهِ؟ قَالَ: فَارَقْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكَ غَضَبًا وَمِنْكَ بُعْدًا، قَالَ: فَاسْتَوَى الْحَجَّاجُ جَالِسًا مَرْعُوبًا فَرَمَى إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ بِالطُّومَارِ، فَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يَنْظُرُ

فِيهِ مَرَّةً وَيَعْرِقُ وَيَنْظُرُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ أُخْرَى، فَلَمَّا نَفَضَهُ قَالَ: قُمْ بِنَا إِلَى أَبِي حَمْزَةَ نَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَنَتَرَضَّاهُ، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ: لَا تَعْجَلْ، قَالَ: كَيْفَ لَا أَعْجَلُ وَقَدْ أَتَيْتَنِي بآبدةٍ؟ وَكَانَ فِي الطُّومَارِ: إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَتْ بِكَ الأُمُورُ فَسَمَوْتَ فِيهَا وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ، وَجَاوَزْتَ قَدْرَكَ، وَرَكِبْتَ دَاهِيَةً إِدًّا، وَأَرَدْتَ أَنْ تَبُورَنِي، فَإِنْ سَوَّغْتَكَهَا مَضَيْتَ قُدُمًا، وَإِن لم أسوغها رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى، فَلَعَنَكَ اللهُ عَبْدًا أَخْفَشَ الْعَيْنَيْنِ مَنْقُوصَ الْجَاعِرَتَيْنِ، أَنَسِيتَ كاسب آبَائِكَ بِالطَّائِفِ وَحَفْرَهُمُ الآبَارِ وَنَقْلَهُمُ الصُّخُورِ عَلَى ظُهُورِهِمْ فِي الْمَنَاهِلِ يَا ابْن المستفرمة بعجم الزَّبِيب؟! وَاللهِ لأَغْمِزَنَّكَ غَمْزَ اللَّيْثِ الثَّعْلَبِ وَالصَّقْرِ الأَرْنَبِ، وَثَبْتَ عَلَى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَلَمْ تَقْبَلْ لَهُ إِحْسَانَهُ وَلم تجاوز لَهُ إساءته، جرْأَة مِنْكَ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِخْفَافًا مِنْكَ بِالْعَهْدِ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى رَأَتْ رَجُلا خَدَمَ عُزَيْرِ بْنِ عَزْرَةَ وَعِيسَى بن مَرْيَمَ لَعَظَّمَتْهُ وَشَرَّفَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ، فَكَيْفَ وَهَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ خَادِمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَدَمَهُ ثَمَانِي سِنِينَ يُطْلِعُهُ عَلَى سِرِّهِ وَيُشَاوِرُهُ فِي أَمْرِهِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا أَصْحَابِهِ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَكُنْ أَطْوَعَ لَهُ مِنْ خُفِّهِ وَنَعْلِهِ، وَإِلا أَتَاكَ مِنِّي سَهْمٌ مُثْكِلٌ بحتفٍ قاضٍ وَ «لِكُلِّ نبأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تعلمُونَ». الْأَنْعَام:٦٧.

وفي سنده هشام بن محمد بن السائب الكلبي متروك الحديث، غير مقبول الرواية.

ومن ذلك: ما أخرجه الدينوري[1] من طريق عَبَّاس الْأَزْرَق، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى؛ قَالَ: مَرَّ الْحَجَّاجُ فِي يَوْمِ جُمْعَةٍ، فَسَمِعَ اسْتِغَاثَةً، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: أَهْلُ

(١) في «المجالسة» (١٩٨٤).

السُّجُونِ يَقُولُونَ: قَتَلَنَا الْحَرُّ. قَالَ: قُولُوا لَهُمْ: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)» [المؤمنون: ١٠٨] . قَالَ: فَمَا عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَقَلَّ مِنْ جُمْعَةٍ حَتَّى مَاتَ.

وفي سنده عباس بن الفضل الأزرق، وهو ضعيف، وقد كذبه ابن معين.

ومن ذلك ما أخرجه ابن المبارك وابن أبي الدنيا[١] من طريق سُفْيَان الثوري قَالَ: قَدِمَ الْحَجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَافِدًا، وَمَعَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ، فَسَأَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُعَاوِيَةَ عَنِ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «إِنْ صَدَقْنَاكُمْ قَتَلْتُمُونَا، وَإِنْ كَذَبْنَاكُمْ خَشِينَا اللهَّ» ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَا تَعْرِضْ لَهُ، فَنَفَاهُ الْحَجَّاجُ إِلَى السِّنْدِ، وَكَانَ يُذْكَرُ مِنْ بَأْسِهِ.

وهذا مع ثقة رجاله إلا أن سنده منقطع، فإن الثوري لم يدرك الحجاج، إلا أن يكون سمعه من معاوية بن قرة، لكنه لم يذكر، فالسند منقطع.

وبالجملة: قد أورد الحافظ ابن كثير عدَّة آثار في تبشير عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب بالحجاج، وورد عن عاصم بن بي النجود أنه قال:ما بقيت لله حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج، ولم أقف على أسانيد بصحة ذلك.[٢]

ولكن أخرج البيهقي[٣] بإسناد صحيح إلى هِشَام بْن يحيى بن يَحْيَى الْغَسَّانِيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ:لَوْ جَاءَتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِخَبِيثِهَا وَجِئْنَا بِالْحَجَّاجِ لَغَلَبْنَاهُمْ.

ولا ينكر أنه قد روُّجت على الحجاج روايات في تحقيره وذمِّه وذكر مثالب له، مع ثبوت بعض ذلك عليه كما تقدَّم، فما هو من الظالمين ببعيد.

---

(١) في«الزهد» (١٣٥٤) وابن أبي الدنيا في« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(١١٤) والبلاذري في«أنساب الأشراف» (٧/ ٢٢٦) .

(٢) وقد تكلَّمت على بعض أسانيدها في تحقيقي لـ «البداية والنهاية »(٩/ ٢٨١) .

(٣) في« دلائل النبوة »(٦/ ٤٨٩).

وأعجبتي كلمة متَّزنة في أمره للحافظ ابن كثير رحمه الله:[١]

« أما المُبِيرُ فَهُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ هَذَا، وَقَدْ كَانَ نَاصِبِيًّا يُبْغِضُ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ فِي هَوَى آلِ مَرْوَانَ بَنِي أُمَيَّةَ[٢]، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا مِقْدَامًا عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ بِأَدْنَى شُبْهَةٍ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَلْفَاظٌ بَشِعَةٌ شَنِيعَةٌ ظَاهِرُهَا الْكُفْرُ كَمَا قَدَّمْنَا، فَإِنْ كَانَ قَدْ تَابَ مِنْهَا وَأَقْلَعَ عَنْهَا، وَإِلَّا فَهُوَ بَاقٍ فِي عُهْدَتِهَا، وَلَكِنْ قَدْ يُخْشَى أَنَّهَا رُوِيَتْ عَنْهُ بِنَوْعٍ مِنْ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الشِّيعَةَ كَانُوا يُبْغِضُونَهُ جِدًّا لِوُجُوهٍ، وَرُبَّمَا حَرَّفُوا عَلَيْهِ بَعْضَ الْكَلِمِ، وَزَادُوا فِيمَا يَحْكُونَهُ عَنْهُ بَشَاعَاتٍ وَشَنَاعَاتٍ » أ.هـ

وقال:[٣]« وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ نِقْمَةً عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ بِمَا سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْخُرُوجِ عَلَى الْأَئِمَّةِ، وَخُذْلَانِهِمْ لَهُمْ، وَعِصْيَانِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ، وَالِافْتِيَاتِ عَلَيْهِمْ».

---

(١) في«البداية والنهاية» (٩/ ٢٨١-٢٨٢) .

(٢) وقد تقدَّم في أحداث سنة تسعين في ذكر الوفيات أن أخاه مُحَمَّد بْن يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ أَخَا الْحَجَّاجِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْيَمَنِ وَكَانَ يَلْعَنُ عَلِيًّا عَلَى الْمَنَابِرِ. قِيلَ: إِنَّهُ أَمَرَ حُجْرًا الْمَدَرِيَّ أَنْ يَلْعَنَ عَلِيًّا. فَقَالَ: بَلْ لَعَنَ الله مَنْ يَلْعَنُ عَلِيًّا، وَلَعْنَةُ الله عَلَى مَنْ لَعَنَهُ الله. وَقِيلَ: إِنَّهُ وَرَّى فِي لَعْنِهِ. فَالله أَعْلَمُ.

وقد أخرج البلاذري في«أنساب الأشراف» (٢/ ١٨٤) بسنده عن عُمَر بْن عَلِيِّ بْن الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ مروان: مَا كان في القوم أدفع عَنْ صاحبنا من صاحبكم- يعني عليًّا- عَنْ عثمان، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا بالُكُم تسُبُّونه على المنابر! قَالَ: لَا يستقيم الأمر إلّا بذلك.

قال الذهبي في عدَّة كتب له منها «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٥٢) :

« رواه ابن أبي خَيْثَمَة بإسناد قويٍّ، عَنْ عُمَر».قلت «محمد»:«وهو كذلك رجاله لا يقل أحد منهم عن درجة من يحسن حديثه».

(٣) في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٨٠).

قلت «محمد»: ولعلَّها دعوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهل الكوفة .

فقد أخرج الفسوي[١] بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي صالح الحنفي، قال: رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى لأرى ورقه يتقعقع، ثم قال: «اللهم إنهم منعوني أن أقوم فى الأمة بما فيه، فأعطني ثواب ما فيه» .

ثم قال: «اللهم إني قد مللتهم وملُّوني، وأبغضتُهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبيعتي وخُلقي، وأخلاق لم تكن تُعرف لي، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم أمت قلوبهم ميت الملح فى الماء» .

قال إبراهيم بن سعد- راوي الحديث عن شعبة، عن أبي عون الثقفي، عن أبي صالح الحنفي - يعني: أهل الكوفة .

القول بتكفير الحجاج بن يوسف الثقفي

لم أقف على قول من أهل العلم يعتبر قال بتكفير الحجاج بن يوسف الثقفي مع أنه شبه إطباق على فسقه، ولربما كان بعض من خرج عليه رأى كفره، لكن ما أعلم أحداً صرَّح بذلك، مع بيان ما تقدَّم من جرأته في الباطل ، وعجلته في سفك الدماء المحرمة والإساءة إلى الأفاضل بعض الصحابة رضي الله عنهم وبعض خيار التابعين وغيرهم.وقد قتل عدداً كثيراً.

فقد أخرج الترمذي[٢] بإسنادٍ صحيح عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ.

ومع ذلك ما كفَّره العلماء فيما أعلم.

---

(١) فى «المعرفة» (٢/ ٧٥١).

(٢) في«سننه»(٢٢٢٠).

وقد أخرج ابن عساكر (١) عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: خَرَجْتَ عَلَى الْحَجَّاجِ؟ قَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا خَرَجْتُ عَلَيْهِ حَتَّى كَفَرَ.

ولكن سنده عن قتادة لا يصح، وقد تقدَّم أن الحجاج واجهه، وكان شجاعاً رحمه الله فلو كان يرى تكفيره ما تواني عن ذكر ذلك ولانتشر عنه بثابت الأسانيد بقدر شهرة سعيد بن جبير وخروجه عليه.

وقد كان للحجاج مزايا تقدم بعضها في ثنايا ذكر فترته .

وقد أخرج أبو نعيم(٢) بسندٍ حسن عن إِبْرَاهِيم بْن هِشَامِ بْنِ يَحْيَى، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: قَالَ عُمَرُ: « مَا حَسَدْتُ الْحَجَّاجَ عَدُوَّ اللهِ عَلَى شَيْءٍ حَسَدِي إِيَّاهُ عَلَى حُبِّهِ الْقُرْآنَ وَإِعْطَائِهِ أَهْلَهُ، وَقَوْلِهِ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: اللَهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ.

وسنده حسن ليس في سنده رجل هو دون من يُحَسَّن حديثه

بل جزم الشيخ ابن باز بعدم كفر الحجاج بما فعل.(٣)

وفي كتابه«أقوال ابن باز في الرجال»(٤) قال عنه:«من أفسق الناس» .

وبنحوه قال الشيخ الألباني. (٥)

---

(١) في«تاريخه» (١٢/ ١٨٣)

(٢) في«الحلية»(٥/ ٣٤٥) .

(٣) كذا قال فى شريطه «الدمعة البازية» فى لقاء بينه وبين سلمان بن فهد العودة وهو على «موقع ملتقى العقيدة» قسم الملتقى المغربي.

(٤) ص ١٠.

(٥) كما فى «فتاوى المدينة والإمارات» جمع عمرو عبد المنعم سليم (ص ١٨٧).

وقال الإمام الخلال [١]:مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَنَّ أَبَا الْحَارِثِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله قُلْتُ: الرَّجُلُ يُذْكَرُ عِنْدَهُ الْحَجَّاجُ فَيَقُولُ: كَافِرٌ؟ قَالَ: لَا يُعْجِبُنِي، قُلْتُ: فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ يَلْعَنُهُ؟ قَالَ: يَقُولُ: {أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨]

قال أحمد رحمه الله: قَدْ كَانَ رَجُلَ سُوءٍ، يَرْوِي عَنْهُ ابْنُ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ:

« الْمِسْكِينُ أَبُو مُحَمَّدٍ » .

قَالَ: وَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لَهُ: وَمَنْ يَرْعَ عَنْ ذِكْرِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ كَانَ كَافِرًا لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَسَكَتَ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا.

وقد أخرج البلاذري[٢] بسندٍ صحيح عن عامر بْن حَفْص قَالَ: قيل لمالك بْن دينار: يا أبا يَحيى أعلى الكفر قوتل الحجاج؟ قَالَ: ليتنا لم نشهد، وليت من قُتل منا ينجو.

قلت«محمد»: فهذا امتناع من تكفيره من إمامٍ معاصر له، وهو على غير طريقته، ومع علمه بالعدد الذي قتله الحجاج ومن أساء إليهم.

وقد كان يحضر أحياناً مجالس العلم ويمكن لأهلها كما تقدَّم في موقفه من سعيد بن جبير قبل أن يخرج مع ابن الأشعث، فيحضر مجلس الحسن البصري

فقد أخرج الدينوري[٣] بسندِ حسن عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ؛ قَالَ: رُبَّمَا دَخَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى دَابَّتِهِ حَتَّى يَقِفَ عَلَى حَلَقَةِ الْحَسَنِ؛ فَيَسْتَمِعَ إِلَى كَلامِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ؛

---

(١)فى كتاب «السنة» (٨٥٢) .

(٢) في« أنساب الأشراف»(١٣/ ٣٦٤).

(٣) في«المجالسة»(٣٠٣٩) وعنه ابن العديم في«بغية الطلب»(٥/ ٢٠٨٨) وابن عساكر(١٢/ ١٦٤).

يَقُولُ: يَا حَسَنُ! لا تَمَلَّ النَّاسَ. قَالَ: فَيَقُولُ الْحَسَنُ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ لا حَاجَةَ لَهُ.

فيظهر لي والله أعلم: أن القول بكُفره جسارة يُخشى على صاحبها، ومنهج أهل السُّنة في ذلك معروف أنه لا يكفر الإنسان بالذنب كالقتل وغيره مهما كان عدد من قتلهم، فتنبه.

وأما ما ورد :

عن الْقَاسِم بْن مُخَيْمِرَةَ قال:كَانَ الْحَجَّاجُ يَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ، وَذَكَرَ حِكَايَةً.

وعن أبي بَكْرِ بْن عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمٍ قال: لَمْ يُبْقِ لله حُرْمَةً إِلَّا ارْتَكَبَهَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ.

وعن يَحْيَى بْن عِيسَى الرَّمْلِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ قال : اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَّاجِ فَسَأَلُوا مُجَاهِدًا فَقَالَ: تسألون عَنِ الشَّيْخِ الْكَافِرِ.

عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الْحَجَّاجُ مُؤْمِنٌ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، كَافِرٌ بِالله الْعَظِيمِ.

وعن الثوري عن معمر، عن ابن طاووس عَنْ أَبِيهِ قَالَ: عَجَبًا لِإِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُسَمُّونَ الْحَجَّاجَ مُؤْمِنًا؟ !

وعن الثَّوْرِيِّ عَنْ منصور قال: سألت إبراهيم عن الْحَجَّاجِ أَوْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ فَقَالَ: أَلَيْسَ الله يَقُولُ (أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: ١٨.

وعن إِبْرَاهِيم قال: وَكَفَى بِالرَّجُلِ عَمًى أَنْ يَعْمَى عَنْ أَمْرِ الْحَجَّاجِ.

فكل هذا مما لم أقف له على أسانيد ثابتة، والأصل في الحجاج أنه مسلم ناطق بالشهادتين بيقين، ولد بين مسلمين في الظاهر، فلا يزال عنه اسم الإسلام إلا بيقين.

وقد أخرج أبو القاسم البغوي[١] بسندٍ صحيح عن أبي أُسَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِسُفْيَانَ: أَشْهَدُ عَلَى الْحَجَّاجِ، وَعَلَى أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ قَالَ: «لَا، إِذَا أَقَرَّا بِالتَّوْحِيدِ».

وأخرج ابن العديم وابن عساكر[٢] بسندٍ حسن إن شاء الله عن أبي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ قال: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا إِلَّا ذَكَرَ فِيهِ الْحَجَّاجَ فَدَعَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَرَآهُ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْحَجَّاجُ؟ قَالَ: أَنَا الْحَجَّاجُ، قَالَ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: قُتِلْتُ بِكُلِّ قَتِيلٍ قَتَلْتُهُ ثُمَّ عُزِلْتُ مَعَ الْمُوَحِّدِينَ.

قَالَ: فَأَمْسَكَ الْحَسَنُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ شَتْمِهِ.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ رحمه الله.

وقد ورد بسندٍ ثابت عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ النَّخْعِيَّ ، كَانَ يَقُولُ : كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا جِنَازَةً أَوْ سَمِعْنَا بمَيِّتَ عُرِفَ ذَلِكَ فِينَا أَيَّامًا ؛ لأَنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ صَيَّرَهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ قَالَ : فَإِنَّكُمْ فِي جَنَائِزِكُمْ تَحَدَّثُونَ بِأَحَادِيثِ دُنْيَاكُمْ.[٣]

وعنه رحمه الله قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالتَّكْبِيرَةِ الْأُولَى فَاغْسِلْ يَدَكَ مِنْهُ

---

(١) في«الجعديات»(١٩٠٥) ومن طريقه ابن عساكر(١٢/ ١٩٠).

(٢) انظر«بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم(٥/ ٢٠٩٩) و«تاريخ دمشق»لابن عساكر (١٢/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في«الزهد»(٢١٢٧) وأبو نعيم في«الحلية» (٤/ ٢٢٧)من طريقين عن حُسَيْن بْن عَلِيٍّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ به .

»[1].

وفي هذه السنة توفي الحسن بن محمد بن الحنفية.

وفيها توفي حميدبن عبد الرحمن بن عوف، ومطرف بن عبد الله بن الشخير رحمهم الله تعالى.

ثُمَّ دَخَلَتْ سنة ست وتسعين

وَفِيهَا فَتَحَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ الله تَعَالَى كَاشْغَرَ مِنْ أَرْضِ الصِّينِ وَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الصِّينِ رُسُلًا يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيُقْسِمُ بِالله لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَطَأَ بِلَادَهُ وَيَخْتِمَ مُلُوكَهُمْ وَأَشْرَافَهُمْ، وَيَأْخُذَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ أَوْ يَدْخُلُوا فِي الإسلام.

فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم، وَهُوَ فِي مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ، يُقَالُ إِنَّ عَلَيْهَا تِسْعِينَ بَابًا فِي سُورِهَا الْمُحِيطِ بِهَا يُقَالُ لَهَا خَانُ بَالِقَ، مِنْ أَعْظَمِ الْمُدُنِ وَأَكْثَرِهَا رَيْعًا وَمُعَامَلَاتٍ وَأَمْوَالًا، حَتَّى قِيلَ إِنَّ بِلَادَ الْهِنْدِ مَعَ اتِّسَاعِهَا كَالشَّامَةِ فِي مُلْكِ الصِّينِ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يُسَافِرُوا فِي مُلْكِ غَيْرِهِمْ لِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ، وَغَيْرُهُمْ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمْ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَتَاعِ وَالدُّنْيَا الْمُتَّسِعَةِ، وَسَائِرُ مُلُوكِ تِلْكَ الْبِلَادِ تُؤَدِّي إِلَى مَلِكِ الصِّينَ الْخَرَاجَ، لِقَهْرِهِ وَكَثْرَةِ جُنْدِهِ وَعُدَدِهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرُّسُلَ لَمَّا دَخَلُوا عَلَى مَلِكِ الصِّينِ وَجَدُوا مملكة عظيمة حَصِينَةً ذَاتَ أَنْهَارٍ وَأَسْوَاقٍ وَحُسْنٍ

وَبَهَاءٍ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي قَلْعَةٍ عَظِيمَةٍ حَصِينَةٍ، بِقَدْرِ مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ، فَقَالَ لَهُمْ مَلِكُ الصِّينِ: مَا أَنْتُمْ؟ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةِ رَسُولٍ عَلَيْهِمْ هُبَيْرَةُ - فَقَالَ الْمَلِكُ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ وَمَا تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ رُسُلُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَهُوَ يَدْعُوكَ إِلَى

---

(١) أخرجه أأبو نعيم في«الحلية»(٤/ ٢٣٢).

الْإِسْلَامِ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَالْجِزْيَةُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَالْحَرْبُ.

فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَأَمَرَ بِهِمْ إِلَى دَارٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ تَكُونُونَ فِي عِبَادَةِ إِلَهِكُمْ؟ فَصَلَّوُا الصَّلَاةَ عَلَى عَادَتِهِمْ فَلَمَّا رَكَعُوا وَسَجَدُوا ضَحِكَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: كَيْفَ تَكُونُونَ فِي بُيُوتِكُمْ؟ فَلَبِسُوا ثِيَابَ مِهَنِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: كَيْفَ تَدْخُلُونَ عَلَى مُلُوكِكُمْ؟ فَلَبِسُوا الْوَشْيَ وَالْعَمَائِمَ وَالْمَطَارِفَ وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا فَرَجَعُوا، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ، كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا، هَذِهِ أَشْبَهُ بِهَيْئَةِ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَهُمْ أُولَئِكَ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ: أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ كَيْفَ تَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ؟ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ وَلَبِسُوا الْمَغَافِرَ وَالْبَيْضَ وَتَقَلَّدُوا السُّيُوفَ ونكبوا القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِبَالِ مُقْبِلَةً، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْهُ رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ مُشَمِّرِينَ، فَقِيلَ لَهُمْ: ارْجِعُوا - وَذَلِكَ لِمَا دَخَلَ قُلُوبَ أَهْلِ الصِّينِ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُمْ - فَانْصَرَفُوا فَرَكِبُوا خُيُولَهُمْ وَاخْتَلَجُوا رِمَاحَهُمْ ثُمَّ سَاقُوا خُيُولَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ بِهَا، فَقَالَ الْمَلِكُ لأصحابه: كيف ترونهم؟ فقالوا: ما رأينا كهؤلاء قَطُّ.

فَلَمَّا أَمْسَوْا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ أَنِ ابْعَثُوا إِلَيَّ زَعِيمَكُمْ وَأَفْضَلَكُمْ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ: قَدْ رَأَيْتُمْ عِظَمَ مُلْكِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي، وَأَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَفِّي، وَأَنَا سَائِلُكَ عن أمر فإن تصدقني وإلا قَتَلْتُكَ، فَقَالَ: سَلْ!

فَقَالَ الْمَلِكُ: لِمَ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ مِنْ زِيِّ أَوَّلَ يَوْمٍ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ؟ فَقَالَ: أَمَّا زِيُّنَا أَوَّلَ يَوْمٍ فَهُوَ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا وَنِسَائِنَا وَطِيبُنَا عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا مَا فَعَلْنَا ثَانِيَ يَوْمٍ فَهُوَ زِيُّنَا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى مُلُوكِنَا، وَأَمَّا زِيُّنَا ثَالِثَ يَوْمٍ فَهُوَ إِذَا لَقِينَا عَدُوَّنَا.

فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا أحسن ما دبرتم دهركم، فانصرفوا إِلَى صَاحِبِكُمْ -يَعْنِي قُتَيْبَةَ - وَقُولُوا لَهُ يَنْصَرِفُ رَاجِعًا عَنْ بِلَادِي، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ، وَإِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مَنْ يُهْلِكُكُمْ عَنْ آخِرِكُمْ.

فَقَالَ لَهُ هُبَيْرَةُ: تَقُولُ لِقُتَيْبَةَ هَذَا ؟!

فَكَيْفَ يَكُونُ قَلِيلَ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلُ خَيْلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرُهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مَنْ خَلَّفَ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا، وَغَزَاكَ فِي بِلَادِكَ؟ وَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا أَجَلًا إِذَا حَضَرَ فَأَكْرَمُهَا عِنْدَنَا الْقَتْلُ، فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ.

فَقَالَ الْمَلِكُ: فَمَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكُمْ؟ فَقَالَ: قَدْ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَطَأَ أَرْضَكَ وَيَخْتِمَ مُلُوكَكَ وَيَجْبِيَ الْجِزْيَةَ مِنْ بلادك، فقال أَنَا أَبَرُّ يَمِينَهُ وَأُخْرِجُهُ مِنْهَا، أُرْسِلُ إِلَيْهِ بِتُرَابٍ مِنْ أَرْضِي، وَأَرْبَعِ غِلْمَانٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَأُرْسِلُ إِلَيْهِ ذَهَبًا كَثِيرًا وَحَرِيرًا وَثِيَابًا صينيةً لا تقوم ولا يدرى قَدْرَهَا، ثُمَّ جَرَتْ لَهُمْ مَعَهُ مُقَاوَلَاتٌ كَثِيرَةٌ، ثمَّ اتَّفق الْحَالُ عَلَى أَنْ بَعَثَ صِحَافًا مَنْ ذَهَبٍ مُتَّسِعَةً فِيهَا تُرَابٌ مِنْ أَرْضِهِ لِيَطَأَهُ قُتَيْبَةُ، وَبَعَثَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ الْمُلُوكِ لِيَخْتِمَ رِقَابَهُمْ، وَبَعَثَ بِمَالٍ جَزِيلٍ لِيَبَرَّ بِيَمِينِ قُتَيْبَةَ، وَقِيلَ إِنَّهُ بَعَثَ أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ الْمُلُوكِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قُتَيْبَةَ مَا أَرْسَلَهُ مَلِكُ الصِّينِ قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدِ انْتَهَى إِلَيْهِ خَبَرُ مَوْتِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْكَسَرَتْ هِمَّتُهُ لِذَلِكَ، وَقَدْ عَزَمَ قُتَيْبَةُ بْنُ مسلم الباهلي على ترك مُبَايَعَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَرَادَ الدَّعْوَةَ إِلَى نَفْسِهِ لِمَا تَحْتَ يَدِهِ مِنَ الْعَسَاكِرِ، وَلِمَا فَتَحَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قُتِلَ فِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ رَحِمَهُ الله تَعَالَى، فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ مَا كُسِرَتْ لَهُ رَايَةٌ، وَكَانَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ

الله، وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِغَيْرِهِ.(١)

وَفِيهَا تَكَامَلَ بِنَاءُ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقَ عَلَى يَدِ بَانِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً، وَكَانَ أَصْلُ مَوْضِعِ هَذَا الْجَامِعِ قَدِيمًا مَعْبَدًا بنته اليونان الكلدا نيون الَّذِينَ كَانُوا يَعْمُرُونَ دِمَشْقَ، وَهُمُ الَّذِينَ وَضَعُوهَا وَعَمَرُوهَا أَوَّلًا، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا، وَقَدْ كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة، وَهِيَ الْقَمَرُ فِي السَّماء الدُّنيا، وَعُطَارِدُ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَالزُّهْرَةُ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَالشَّمْسُ فِي الرَّابِعَةِ، وَالْمِرِّيخُ فِي الْخَامِسَةِ، وَالْمُشْتَرِي فِي السادسة، وزحل في السابعة.

وقد كانوا صَوَّرُوا عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ هَيْكَلًا لِكَوْكَبٍ مِنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، وَكَانَتْ أَبْوَابُ دِمَشْقَ سَبْعَةً وَضَعُوهَا قَصْدًا لِذَلِكَ، فَنَصَبُوا هَيَاكِلَ سَبْعَةً لِكُلِّ كَوْكَبٍ هَيْكَلٌ، وَكَانَ لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ عِيدٌ فِي السَّنَةِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ وَضَعُوا الْأَرْصَادَ وَتَكَلَّمُوا عَلَى حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ وَاتِّصَالَاتِهَا وَمُقَارَنَتِهَا، وَبَنَوْا دِمَشْقَ وَاخْتَارُوا لَهَا هَذِهِ الْبُقْعَةَ إِلَى جَانِبِ الْمَاءِ الْوَارِدِ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، وَصَرَّفُوهُ أَنْهَارًا تَجْرِي إِلَى الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ وَالْمُنْخَفِضَةِ، وَسَلَكُوا الْمَاءَ فِي أَفْنَاءِ أَبْنِيَةِ الدُّورِ بِدِمَشْقَ، فَكَانَتْ دِمَشْقُ فِي أَيَّامِهِمْ مِنْ أَحْسَنِ الْمُدُنِ، بَلْ هِيَ أَحْسَنُهَا، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّصَارِيفِ الْعَجِيبَةِ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جِهَةِ الْقُطْبِ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ، وكانت محاريبهم إلى جهته، وَكَانَ بَابُ مَعْبَدِهِمْ يُفْتَحُ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، خَلْفَ الْمِحْرَابِ الْيَوْمَ، كَمَا شَاهَدْنَا ذَلِكَ عِيَانًا، وَرَأَيْنَا مَحَارِيبَهُمْ إِلَى جِهَةِ الْقُطْبِ، وَرَأَيْنَا الْبَابَ وَهُوَ بَابٌ حَسَنٌ مَبْنِيٌّ بِحِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ، وَعَلَيْهِ كِتَابٌ بِخَطِّهِمْ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ بَابَانِ صَغِيرَانِ بِالنِّسْبَةِ

(١) حكى هذا ابن كثير في«البداية النهاية»(٩/ ٢٩٠ وما بعدها).

إِلَيْهِ، وَكَانَ غَرْبِيَّ الْمَعْبَدِ قَصْرٌ مُنِيفٌ جِدًّا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْأَعْمِدَةُ الَّتِي بِبَابِ الْبَرِيدِ، وَشَرْقِيَّ الْمَعْبَدِ قَصْرُ جَيْرُونَ الْمُلْكِ، الَّذِي كَانَ مَلِكَهُمْ، وَكَانَ هُنَاكَ دَارَانِ عَظِيمَتَانِ مُعَدَّتَانِ لِمَنْ يتملك دمشق قديما منهم، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَعَ الْمَعْبَدِ ثَلَاثُ دُورٍ عَظِيمَةٍ.[1] لِلْمُلُوكِ، وَيُحِيطُ بِهَذِهِ الدُّورِ وَالْمَعْبَدِ سُورٌ وَاحِدٌ عَالٍ مُنِيفٌ، بِحِجَارَةٍ كِبَارٍ مَنْحُوتَةٍ.

قال ابن كثير رحمه الله[2]:

«وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْجَامِعَ الْأُمَوِيَّ لَمَّا كَمُلَ بِنَاؤُهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِنَاءٌ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَبْهَى وَلَا أَجَلَّ مِنْهُ، بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا نَظَرَ النَّاظِرُ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ مِنْهُ أَوْ إِلَى أَيِّ بُقْعَةٍ أَوْ مَكَانٍ مِنْهُ، تَحَيَّرَ فِيمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ لِحُسْنِهِ جَمِيعِهِ، وَلَا يَمَلُّ نَاظِرُهُ، بَلْ كُلَّمَا أَدْمَنَ النَّظَرَ، بَانَتْ لَهُ أُعْجُوبَةٌ لَيْسَتْ كَالْأُخْرَى». ...

وَمَا زَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْمَلُ فِي تَكْمِلَةِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ مُدَّةَ وِلَايَتِهِ، وَجُدِّدَتْ لَهُ فِيهِ الْمَقْصُورَةُ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَزَمَ عَلَى أن يجرده مما فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ، وَيَقْلَعُ السَّلَاسِلَ وَالرُّخَامَ وَالْفُسَيْفِسَاءَ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال، ويجعل مكان ذلك كله طيناً، فَشَقَّ

ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ وَاجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ إِلَيْهِ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ: أنا أكمله لكم، فقال له: يا أمير المؤمنين بلغنا عنك كَذَا وَكَذَا، قَالَ: نَعَمْ! فَقَالَ خَالِدٌ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عُمَرُ: ولم يابن الْكَافِرَةِ؟- وَكَانَتْ أُمُّهُ نَصْرَانِيَّةً رُومِيَّةً أُمَّ وَلَدٍ- فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَتْ كَافِرَةً فَقَدْ وَلَدَتْ رَجُلًا مُؤْمِنًا، فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَاسْتَحْيَا عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: فَلِمَ قُلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» فالله أعلم بتفصيل ذلك.

(٢) في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٩٩).

غَالِبَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّخَامِ إِنَّمَا حَمَلَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، وَلَيْسَ هُوَ لِبَيْتِ المال، فأطرق عمر.

قَالُوا: وَاتَّفَقَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قُدُومُ جَمَاعَةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ رُسُلًا مِنْ عِنْدِ مَلِكِهِمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ بَابِ الْبَرِيدِ وَانْتَهَوْا إِلَى الْبَابِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَحْتَ النَّسْرِ، وَرَأَوْا مَا بهر عقولهم من حسن الْجَامِعِ الْبَاهِرِ، وَالزَّخْرَفَةِ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا، صَعِقَ كَبِيرُهُمْ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَحَمَلُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِمْ، فَبَقِيَ أَيَّامًا مُدْنِفًا، فَلَمَّا تَمَاثَلَ سَأَلُوهُ عَمَّا عَرَضَ لَهُ فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَبْنِيَ الْمُسْلِمُونَ مِثْلَ هَذَا الْبِنَاءِ، وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ مُدَّتَهُمْ تَكُونُ أَقْصَرَ مِنْ هَذَا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قال: أو إن الغيظ أهلك الْكُفَّارِ، دَعُوهُ.

وَسَأَلَتِ النَّصَارَى فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَعْقِدَ لَهُمْ مَجْلِسًا فِي شَأْنِ مَا كَانَ أَخَذَهُ الْوَلِيدُ مِنْهُمْ وَكَانَ عُمَرُ عَادِلًا، فَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ أَخَذَهُ الْوَلِيدُ مِنْهُمْ فَأَدْخَلَهُ فِي الْجَامِعِ، ثُمَّ حَقَّقَ عُمَرُ الْقَضِيَّةَ، ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا الْكَنَائِسُ الَّتِي هِيَ خَارِجُ الْبَلَدِ لَمْ تَدْخُلْ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُمُ الصَّحَابَةُ؛ مِثْلَ كَنِيسَةِ دَيْرِ مُرَّانَ، وَكَنِيسَةِ الرَّاهِبِ، وَكَنِيسَةِ تُومَا، خَارِجَ بَابِ تُومَا، وَسَائِرِ الْكَنَائِسِ الَّتِي بِقُرَى الْحَوَاجِزِ، فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ رَدِّ مَا سَأَلُوهُ، وَتَخْرِيبِ هَذِهِ الْكَنَائِسِ كُلِّهَا، أَوْ تَبْقَى تِلْكَ الْكَنَائِسُ وَيَطِيبُوا نَفْسًا لِلْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ، فَاتَّفَقَتْ آرَاؤُهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عَلَى إِبْقَاءِ تِلْكَ الْكَنَائِسِ، وَيَكْتُبُ لَهُمْ كِتَابَ أَمَانٍ بِهَا، وَيَطِيبُوا نَفْسًا بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابَ أَمَانٍ بِهَا.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْجَامِعَ الْأُمَوِيَّ كَانَ حِينَ تَكَامَلَ بِنَاؤُهُ لَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا نَظِيرٌ فِي حُسْنِهِ وَبَهْجَتِهِ. فالله أعلم بتفاصيل ذلك أيه كان.

فَصْلٌ فِيمَا رُوِيَ فِي جَامِعِ دِمَشْقَ مِنَ الْآثَارِ

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّادَةِ الْأَخْيَارِ ولكنها كلها أخبار إسرائيلية، ولم يثبت منها شيء عن أحد من أصحاب النبي ﷺ.

قد ورد من ذلك عدة أخبار منها قول كعب الأخبار: لَيُبْنَيَنَّ فِي دِمَشْقَ مَسْجِدٌ يَبْقَى بَعْدَ خَرَابِ الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ عَامًا:

ومنها: قول الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَوْحَى الله تَعَالَى إِلَى جَبَلِ قَاسِيُونَ أَنْ هَبْ ظِلَّكَ وَبَرَكَتَكَ إِلَى جَبَلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَفَعَلَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَمَا إِذْ فَعَلْتَ فَإِنِّي سَأَبْنِي لِي فِي حِضْنِكَ بَيْتًا أُعْبَدُ فِيهِ بَعْدَ خَرَابِ الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْكَ ظِلَّكَ وَبَرَكَتَكَ. قَالَ: فَهُوَ عِنْدَ اللهِ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ الضَّعِيفِ الْمُتَضَرِّعِ.

ومنها قول دُحَيْمٌ: حِيطَانُ الْمَسْجِدِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ بِنَاءِ هُودٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا كَانَ مِنَ الْفُسَيْفِسَاءِ إِلَى فَوْقَ فَهُوَ مِنْ بِنَاءِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْنِي أَنَّهُ رَفَعَ الْجِدَارَ فَعَلَّاهُ مِنْ حَدِّ الرُّخَامِ وَالْكَرْمَةِ إِلَى فَوْقَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا بَنَى هُودٌ الْجِدَارَ الْقِبْلِيَّ فَقَطْ.

وأخرج أبو الحسن الربعي في« فضائل الشام ودمشق » وغيره بإسناده عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ قَالَ: كَانَ خَارِجَ بَابِ السَّاعَاتِ صَخْرَةٌ يُوضَعُ عَلَيْهَا الْقُرْبَانُ، فَمَا تُقُبِّلَ مِنْهُ جَاءَتْ نَارٌ فَأَكَلَتْهُ، وَمَا لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ. وكان هابيل صاحب غنم وكان منزله في مقرى وكان قابيل في قينية وكان صاحب زرع وكان آدم في بيت أبيات وكانت حواء في بيت لهيا قال فجاء هابيل بكبش سمين من غنمه فجعله على الصخرة فأخذته النار.

قال : وجاء قابيل بقمح من غلته فوضعه على الصخرة فبقي على حاله فحسده قال وتبعه في هذا الجبل قال فأراد قتله فلم يدر كيف يقتله قال فجاء إبليس فأخذ حجراً فضرب رأس نفسه قال فأخذ هو حجراً فضرب رأس أخيه فقتله قال:

فصاحت حواء فقال لها آدم عليك وعلى بناتك لا علي ولا على بني.[١]

قال ابن كثير«قلت»: « وَهَذِهِ الصَّخْرَةُ نُقِلَتْ إِلَى دَاخِلِ بَابِ السَّاعَاتِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ إِلَى الْآنَ، وَبَعْضُ الْعَامَّةِ يَزْعُمُ أَنَّهَا الصَّخْرَةُ الَّتِي وَضَعَ عَلَيْهَا ابْنَا آدَمَ قُرْبَانَهُمَا، فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ. فَالله أَعْلَمُ.[٢]

وما ورد عن الحسن بن يحيى الخشني أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال:ليلة أسري بي صلي في موضع مسجد دمشق.فهو لا يثبت .[٣]

وقد قال حديث لا يصح لانقطاعه الذي نبه عليه ابن عساكر.

وقال ابن كثير:

« قُلْتُ» : «مُنْكَرٌ جِدًّا، وَلَا يَثْبُتُ أَيْضًا لَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ ».

وأخرج أبو الحسن الربعي في«فضائل الشام» وغيره[٤]من طريق أبي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيم بْن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ تَقَدَّمَ إِلَى الْقُوَّامِ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ اللَّيْلَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَا تَتْرُكُوا فِيهِ أَحَدًا حَتَّى أُصَلِّيَ اللَّيْلَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى بَابَ السَّاعَاتِ، فَاسْتَفْتَحَ الْبَابَ فَفُتِحَ لَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ بَيْنَ بَابِ السَّاعَاتِ، وَبَابِ الْخَضْرَاءِ الَّذِي يَلِي الْمَقْصُورَةَ يُصَلِّي، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى بَابِ الْخَضْرَاءِ مِنْهُ إِلَى بَابِ السَّاعَاتِ، فَقَالَ لِلْقُوَّامِ: أَلَمْ آمُرْكُمْ أَنْ لَا تَتْرُكُوا أَحَدًا اللَّيْلَةَ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا الْخَضِرُ

---

(١) أخرجه أبو الحسن الربعي في«فضائل الشام ودمشق»(٩٧) ومن طريقه ابن عساكر في«تاريخه» (٢/ ٢٣٧، ٦٤/ ٥) وفي سنده أحمد بن إبراهيم بن ملاس ولم أقف له على جرح أو تعديل.

(٢) في «البداية والنهاية»(٩/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه أبو الحسن الربعي في «فضائل الشام ودمشق»(٦٨) وابن عساكر (٢/ ٢٣٨).

(٤) برقم (٥٥) وابن عساكر في« تاريخه»(١٦/ ٤٠٢) .

عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُصَلِّي كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ.

وتعقبه ابن كثير فقال:« فِي إِسْنَادِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ وَصِحَّتِهَا نَظَرٌ، وَلَا يَثْبُتُ بِمِثْلِهَا وُجُودُ الْخَضِرِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا صَلَاتُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمَذْكُورِ. وَاللهُ أَعْلَمُ ».

وقال ابن كثير:[1] وَقَدِ اشْتُهِرَ فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ أَنَّ الزَّاوِيَةَ الْقِبْلِيَّةَ عِنْدَ بَابِ الْمِئْذَنَةِ الْغَرْبِيَّةِ تُسَمَّى زَاوِيَةَ الْخَضِرِ، وَمَا أَدْرِي مَا سَبَبُ ذَلِكَ، وَالَّذِي ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ صَلَاةُ الصَّحَابَةِ فِيهِ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى فِيهِ إِمَامًا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِيرُ الْأُمَرَاءِ بِالشَّامِ، وَأَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَصَلَّى فِيهِ خَلْقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يُغَيِّرَهُ الْوَلِيدُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَأَمَّا بَعْدَ أَنْ غُيِّرَ إِلَى هَذَا الشَّكْلِ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ وَرَدَ دِمَشْقَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ، وَهُوَ يَبْنِي فِي هَذَا الْجَامِعِ، فَصَلَّى فِيهِ أَنَسٌ وَرَاءَ الْوَلِيدِ، وَأَنْكَرَ أَنَسٌ عَلَى الْوَلِيدِ تَأْخِيرَ الصَّلَاةِ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا.اهـ

وأما قول ابن كثير رحمه الله:« الَّذِي ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ صَلَاةُ الصَّحَابَةِ فيه، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التي صلوا فيها، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى فِيهِ إِمَامًا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِيرُ الْأُمَرَاءِ بِالشَّامِ، وَأَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يُغَيِّرَهُ الْوَلِيدُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَأَمَّا بَعْدَ أَنْ غُيِّرَ إِلَى هَذَا الشَّكْلِ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ » !

وأما كون يحيي عليه السلام مدفون في هذا المسجد فمفتقر إلى صحة نقل، وأنى ذلك ولا يوجد عند بني إسرائيل أنفسهم أسانيد لأصل كتبهم حتى يكون لديهم أسانيد لقصة دفن يحيي عليه السلام في الجامع الأموي.

---

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٠٤).

وأقول «محمد»: إن أخذ ابن كثير صلاة الصحابة رضي الله عنهم في المسجد من أن بعضهم كان موجوداً في تلك البلاد ولم يظهر من أحد منهم اعتراض يُعلَم فهو وجه.

وإلا فأنا لا أعلم بالأسانيد الصحيحة أن فلاناً بعينه من الصحابة رضي الله عنهم صلى في هذا المسجد لا أنس ولا غيره، وأنا أستعظم أصلاً أن صحابياً يصلي في هذا المسجد وفيه هذه الزخرفة، ثم صلاتهم في المسجد والحالة هذه مع وجود القبر فيه- إن كان- وهم يعلمون النهي النبوي عن اتخاذ القبور مساجد، هذا بعيد.[1]

وقد نهى عمر رضي الله عنه أنسًا نفسه عن الصلاة جهة القبر على ملأ من الناس وما أنكر أحد

ففي مصنف ابن أبي شيبة[2] بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:رَآنِي عُمَرُ وَأَنَا أُصَلِّي إِلَى قَبْرٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ:«يَا أَنَسُ الْقَبْرَ»، فَجَعَلْتُ أَرْفَعُ رَأْسِي أَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا هُوَ يَقُولُ:«**الْقَبْرَ**».

وفي روايه البخاري[3]:وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «القَبْرَ القَبْرَ..

---

(١) وذلك في حديث عَائِشَة، وَعَبْدِ اللهّ بْن عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهع طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهَّ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.أخرجه البخاري(٤٣٥) ومسلم (٥٣١) وغير هذا من الحديث.

(٢) في«المصنف»(٢/ ١٥٥) وتمام تخريجه في كتابي«سنن غائبة وتجاوزات خاطئة في مقابر المسلمين» ص ٤٠.

(٣) المعلَّقة.

وفي روايه عبد الرزاق[١] بسندٍ رجاله ثقات: قَالَ: فَجَعَلْتُ أَرْفَعُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْظُرُ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَقُولُ الْقَبْرُ لَا تُصَلِّ إِلَيْهِ». قَالَ ثَابِتٌ: فَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَأْخُذُ بِيَدِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ فَيَتَنَحَّى عَنِ الْقُبُورِ.

وأخرجه الحافظ[٢] عَنْ أَنَسٍ قَالَ كنت يَوْمًا أُصَلِّي وَبَيْنَ يَدِي قَبْرٌ لَمْ أَشْعُرْ بِهِ فَنَادَانِي عُمَرُ الْقَبْرَ الْقَبْرَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي الْقَمَرَ فَقَالَ لِي بَعْضُ مَنْ يَلِينِي إِنَّمَا يَعْنِي الْقَبْرَ فَتَنَحَّيْتُ عَنهُ.

وفي رواية: قَالَ: «قُمْتُ يَوْمًا أُصَلِّي، وَبَيْنَ يَدَيَّ قَبْرٌ لَا أَشْعُرُ بِهِ، فَنَادَانِي عُمَرُ: الْقَبْرَ الْقَبْرَ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي الْقَمَرَ، فَقَالَ لِي بَعْضُ مَنْ يَلِينِي: إِنَّمَا يَعْنِي الْقَبْرَ فَتَنَحَّيْتُ عَنْهُ»[٣]

وهذا دال على عدم معرفته قبل بالقبر، ولم يشعر به، والأثر مشعر باستفاضة الحكم بعدم الصلاة عند القبورعندهم، فكيف باتخاذهم لها مساجد؟

وقوله: القبر القبر: أي احذره واجتنب الصلاة إليه، فاستجاب أنس رضي الله عنه فتنحَّى.

وهذا دال من أنس رضي الله عنه على ما كان مشتهراً عندهم من حرمة الصلاة إلى جهة القبور وبينها، ودالٌ على أن مذهب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً المنع من الصلاة عند

---

(١) في «المصنف»(١٥٨١).

(٢) في «تغليق التعليق» (٢/ ٢٣٠) بسنده .

(٣) أخرجه البيهقي في«الكبرى» (٢/ ٦١٠) وغيره بسندٍ صحيح.

القبور مطلقاً. [١] فكيف يصلون في الجامع الأموي– ولا فضيلة له وإنما هو كبقية المساجد– وبلا نكير منهم، لا سيما وقد روى أنس نفسه رضي الله عنه قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ بَيْنَ الْقُبُورِ». [٢]

وورد عن قتادة أن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، مَرَّ عَلَى مَقْبَرَةِ رَمَادٍ وَهُمْ يَبْنُونَ مَسْجِدًا فَقَالَ أَنَسٌ: «كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يُبْنَى مَسْجِدٌ فِي وَسَطِ الْقُبُورِ». [٣]

وكيف وعبد الله بن بسر الصحابي المازني رضي الله عنه يُدعى ليصلي في مسجد حمص بعد أن زيَّنه الوليد بن عبد الملك نفسه، فأنكر تزيينه.

فقد أخرج الدولابي [٤] بسندٍ حسن عَنِ الْأَزْهَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَرَازِيِّ، أَنَّ مُسْلِمَ ابْنَ سُلَيْمٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَزْيِينِ مَسْجِدِ حِمْصَ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَنْ أَحْضِرْهُ أُنَاسًا مِنْ قُدَمَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ، فَلْيَدْعُوا لِلْأَمِيرِ بِالصَّلَاحِ وَالْعَافِيَةِ وَالْبَقَاءِ، فَدَعَا أُنَاسًا مِنَ الْجُنْدِ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُسْرٍ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: يَا أَبَا صَفْوَانَ [٥] كَيْفَ تَرَى هَذَا الْمَسْجِدَ؟ قَالَ: «أَرَاهُ حَسَنًا مُلْهِيًا».

---

(١) قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان»(١/ ٣٣٨) عقبه: « وهذا يدل على أنه كان من المُسْتَقرِّ عند الصحابة رضي الله عنهم: ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور، وفعلُ أنس لا يدل على اعتقاد جوازه؛ فإنه لعلَّه لم يَرَهُ، أو لم يعلم أنه قبر، أو ذَهل عنه، فلما نبَّهه عمر تنبَّه. اهـ.

وهنا إشكال على من يصحح الصلاة في المسجد المقبور استدلالاً بأثر أنس كما جنح البخاري. لأن أنس بن مالك رضي الله عنه لم يكن يشعر بالقبر، بخلاف مَن يصلي متعمداً وهو يعلم أن المسجد به القبر، ثم ينبَّه فلا يتنبَّه ولا يقبل، هل يعذر وتُصحح صلاته، استدلالاً بهذا الأثر؟

(٢) أخرجه البزار في «المسند»(٧٣٤٠) وابن حبان (٢٣١٨) بسندٍ صححه الألباني .

(٣) أخرجها البيهقي في «الشعب»(٢٦٧٩)

(٤) في «الكنى» (٤١١).

(٥) هو عبد الله بن بسر، كُنْيَتُهُ أَبُو صَفْوَانَ.

فأيهما أولى بالإنكار اتخاذ المساجد وفيها القبر الذي هو ذريعة الغلو والشرك، أم تزين المسجد؟

فالظن بالصحابة ﷺ أنهم لا يصلون في المسجد الجامع وفيه القبر، ولو كان القبر لنبي عليهم الصلاة والسلام.

كيف يُصَلُّون في مسجد مقبور- ولا فضيلة لهذا المسجد- وقد سمعوا النبي ﷺ ينهى عن اتخاذ القبور مساجد، ونقله عنه غير واحد منهم من غير نكير من أيهم ؟

هذا مما لا أعتقد حصوله من الصحابة ﷺ أصلاً، فضلاً عن نقل ابن كثير تواتره !

وإلا فأين الأسانيد الصريحة الناقلة ذلك عنهم أبو عبيدة بن الجراح أو غيره؟[1]

أما كونهم لم يأت عنهم إنكار وجود قبر النبي يحيي عليه السلام في المسجد الأموي، فعندي- والله أعلم - لعدم اعتقادهم وجوده أصلاً، بل كثير من المساجد

---

(١) ثم ظهر لي أن يكون أخذ ذلك من قول ابْنِ عُمَرَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ع فِينَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ .. الحديث. أخرجه الترمذي(٢١٦٥) بسندٍ صحيح.

والجابية هذه: قرية من أعمال دمشق كما قال ياقوت الحموي في«معجم البلدان»(٢/ ٩١) .

ومن المفترض أن يكون كبار المسلمين مع عمر بن الخطاب ﷺ . فكيف يسكت عمر، وهم معه على وجود القبر في الجامع الأموي يفسد صلاة الناس أو لحقهم الإثم ولم يبينوا على الأقل، فضلاً عن محاولة إزالة بنيان المسجد عنه، وكانوا مهرة- لا سيما أميرهم عمر- في أبواب سدِّ الذرائع، وهو الذي نهى أنس ﷺ عن الصلاة تجاه القبر فيما تقدم، والله أعلم .

والحاصل: أنه يستنكر وجود قبر في المسجد في زمن الصحابة ﷺ ، ولس بمستبعد أن يكون القبر أحدث بعد ونسب إلى يحيي عليه السلام كما نسب قبر المشهد الذي في القاهرة للحسين ﷺ وما صنع إلا بعد موت الحسين ﷺ بمائة عام.

المقبورة بأسماء أُناس في هذه الأمة مكذوبة وليس في قبورهم موتى أصلاً كما هو معلوم، والله أعلم.

وقد أورد ابن كثير[١] فصلاً مما ورد عن السلف بشأن رأس يحيي عليه السلام فقال:« الْكَلَامُ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِرَأْسِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » .

وبعد هذا ما يقال إلا أن هذا المسجد الأموي في زمانهم لم يكن قبر أصلاً.

وذكر فيه عدَّة رُوايات تتعلَّق بالرأس لم أر يُعتمد على شيء منها أصلاً، وقد نبه رحمه الله على بعض ذلك.

ومن أغربها ما أخرجه ابن عساكر [٢]عَنْ رَجُلٍ أَنَّ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ خَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ الَّذِي يَلِي بَابَ جَيْرُونَ فَلَقِيَهُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ وَاثِلَةُ: أُرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. فَقَالَ: تَعَالَ حَتَّى أُرِيَكَ مَوْضِعًا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، مَنْ صَلَّى فِيهِ فَكَأَنَّمَا صَلَّى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَذَهَبَ بِهِ فَأَرَاهُ مَا بَيْنَ الْبَابِ الْأَصْفَرِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ الْوَالِي إِلَى الْحَنِيَّةِ يَعْنِي الْقَنْطَرَةَ الْغَرْبِيَّةَ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ فَكَأَنَّمَا صَلَّى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَقَالَ وَاثِلَةُ: إِنَّهُ لَمَجْلِسِي وَمَجْلِسُ قَوْمِي. قَالَ كَعْبٌ: هُوَ ذَاكَ.

قال ابن كثير عقبه:

وَهَذَا أَيْضًا غَرِيبٌ جِدًّا وَمُنْكَرٌ، وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَى مِثْلِهِ.

نعم هو قد قُتِلَ عليه السلام وحزَّ رأسه وأُهديت رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.[٣]

---

(١) في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٠٥).

(٢) فيما ذكره ابن كثير رحمه الله.

(٣) فقد أخرج ابن أبي شيبة(٦/ ٣٤٥) بسندٍ صحيح عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ الْمَسْجِدَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ مَصْلُوبٌ فَقَالُوا:«هَذِهِ أَسْمَاءُ، قَالَ: فَأَتَاهَا فَذَكَّرَهَا وَوَعَظَهَا وَقَالَ لَهَا: إِنَّ

لكن أين الدليل على أن رأسه أو جسده دفن في هذا المسجد الأمو الجامع؟

ويؤكِّد عدم وجود قبر ليحيي عليه السلام في هذا المسجد أن في آخر الزمان سيصلي عيسى ابن مريم عليه السلام في هذا المسجد ذي المنارة البيضاء، وعيسى عليه السلام هوابن خالة يحيي عليهما السلام.(١)

وَإِذَا نَزَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ، فإِنَّمَا يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.(٢)

وفي شريعة محمد ﷺ تحريم الصلاة في المساجد المقبورة، مع قولٍ وجيه لبعض العلماء قالوا ببطلان الصلاة في المساجد المقبورة، فكيفَّ يصلي فيها عيسى عليه السلام والشريعة التي يحكم بها تحرِّم ذلك؟!

ومما يدل على صلاة عيسى ﷺ في هذا المسجد:

الْحِيفَةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ الله فَاصْبِرِي وَاحْتَسِبِي، قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الصَّبْرِ وَقَدْ أُهْدِيَ رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

(١) ودليل كونهما أولاد خالة فلما أخرجه البخاري(٣٨٨٧) قوله ﷺ في حديث الإسراء:« **فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ** ».

(٢) دل على هذا حديث أبي هُرَيْرَةَ تقال: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».أخرجه أخرجه البخاري(٢٢٢٢) كتاب البيوع؛ باب: قتل الخنزير، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان ؛ باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا ﷺ واللفظ له -.

وفي «صحيح مسلم» لفظ آخر عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:«**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**».وفي رواية: « **فإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ** » قال ابن أبي ذئب : تدري ما « **إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»؟ قلت: تخبرني؟ قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل، وسنة نبيكم.

ما ورد في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عنه ﷺ في ذكر الدجال، قال:«... **فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ**[1]**، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ**[2]**، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ**...الحديث.[3]

قال ابن كثير: هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ بِدِمَشْقَ، وَهُوَ هَذَا الْجَامِعُ.

قال[4]:« سَيُصَلِّي فِيهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ وَعَمَّتِ الْبَلْوَى بِهِ، وَانْحَصَرَ النَّاسُ مِنْهُ بِدِمَشْقَ، فَيَنْزِلُ مَسِيحُ الْهُدَى فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ، وَيَكُونُ نُزُولُهُ عَلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ وَقْتَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَيَأْتِي وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ النَّاسِ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ الله.

فَيَقُولُ: إِنَّمَا أُقِيمَتْ لَكَ. فَيُصَلِّي عِيسَى تِلْكَ الصَّلَاةَ خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. يُقَالُ إِنَّهُ الْمَهْدِيُّ ».

وقد وردت روايات تتعلَّق ببناء الجامع الأموي .

منها: ما رواه أحمد فى«الزهد»[5] قال بَعْضُ الْمَشْيَخَةِ، أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، دَخَلَ مَسْجِدَ دِمَشْقٍ، فَرَأَى نَقْشًا فِي حَجَرٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: مَا نَعْرِفُهُ فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْعَثْ إِلَى وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ؛ فَإِنَّهُ يَقْرَأُ الْكُتُبَ كُلَّهَا فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَعَرَفَ الْكِتَابَ، وَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: «ابْنَ آدَمَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ، لَزَهِدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ، وَإِنَّمَا تَلْقَى نَدَمَكَ، وَقَدْ زَلَّتْ قَدَمُكَ؛ فَأَسْلَمَكَ الْحَبِيبُ، وَوَدَّعُكَ

---

(١) وهذه المنارة في هذا الجامع الأموي.

(٢) ومعناه: لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) في «البداية والنهاية»(٩/ ٣٠٤).

(٥) رقم (٥١١) .

الْقَرِيبُ، فَلَا أَنْتَ إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ، وَلَا فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ، فَاعْمَلْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ» .

وفي سنده إبهام، وقد تناول ابن كثير بعض هذه الروايات مما يتعلَّق بساعات الجامع وبعض زخارفه، وقبابه، وبعض ما يتعلَّق ببنيانه، وطلاسم في زخرفته، وأشكال زواياه.(١)

وقد وقفت على تحرر جيد للشيخ الألباني رحمه الله (٢) بشأن وجود قبر يحيي عليه السلام فرد علةى منطق من قال:« كذا مسجد بني أمية دخل المسلمون دمشق من الصحابة وغيرهم، والقبر ضمن المسجد لم ينكر أحد ذلك »قال:

إن منطق هؤلاء عجيب غريب، إنهم ليتوهَّمون أن كل ما يُشاهدونه الآن في مسجد بني أمية كان موجودًا في عهد مُنشئه الأول الوليد بن عبد الملك بن مروان، فهل يقول بهذا عاقل؟

كلا لا يقول ذلك غير هؤلاء ونحن نقطع ببطلان قولهم، وأن أحدًا من الصحابة والتابعين لم ير قبراً ظاهراً في مسجد بني أمية أو غيره، بل غاية ما جاء فيه بعض الروايات عن زيد بن أرقم بن واقد أنهم في أثناء العمليات وجدوا مغارة فيها صندوق فيه سفط (وعاء كامل) وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام مكتوب عليه: هذا رأس يحيى عليه السلام، فأمر به الوليد فرُدَّ إلى المكان وقال:اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة فجعل عليه عمود مِسبك بسفط الرأس.

رواه أبو الحسن الربعي في فضائل الشام(٣٣) [(١)] ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٢/ ٢٤١) وإسناده ضعيف جداً فيه إبراهيم بن هشام الغسَّاني كذبه أبو

(١) « البداية والنهاية» (٩/ ٣٠٦) وما بعدها.

(٢) في«تحذير الساجد» ص ٦٣ .

حاتم وأبو زرعة وقال الذهبي« متروك ». ومع هذا فإننا نقطع أنه لم يكن في المسجد صورة قبر حتى أواخر القرن الثاني لما أخرجه الربعي وبن عساكر[٢]عن الوليد بن مسلم أنه سئل أين بَلَغَك رأس يحيى بن زكريا؟

قال: بلغني أنه ثم، وأشار بيده إلى العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي فهذا يدل على أنه لم يكن هناك قبر في عهد الوليد بن مسلم وقد توفي سنة أربع وتسعين ومائة

وأما كون ذلك الرأس هو رأس يحيى عليه السلام فلا يمكن إثباته، ولذلك اختلف المؤرخون اختلافًا كثيراً وجمهورهم على أن رأس يحيى عليه السلام مدفون في مسجد حلب ليس في مسجد دمشق كما حققه شيخنا في الإجازة العلامة محمد راغب الطباخ في بحث له نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ج ١ ص ٤١ ١٤٨٢) تحت عنوان « رأس يحيى ورأس زكريا » فليراجعه من شاء » .

ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ السُّبْعِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ

(١) والذي وقفت عليه في«فضائل الشام» (٦١)من طريق أحمد بن إبراهيم الغساني حدثنا أبي، عن أبيه عن زيد بن واقد قال وكلني الوليد على العُمال في بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مَغارة فعرَّفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع [في ثلاثة أذرع] وإذا فيها صندوق ففتح الصندوق فإذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد فرُدَّ إلى المكان وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيرًا من الأعمدة فجعلوا عليه عمودًا مسقط الرأس.

وفيه فصل من ص ٣١ إلى ص ٣٣ باب ذكر الموضع الذي فيه رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام في المسجد ولا يصلح الاحتجاج بشيء مما ذكر.

(٢) في«فضائل الشام»(٥٦- ٥٧) و«تاريخ ابن عساكر» (٢/ ٢٤١).

أخرج ابن عساكر عن أبي عمر الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ حَسَّان بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: الدِّرَاسَةُ مُحْدَثَةٌ أَحْدَثَهَا هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ، فِي قدمة قدمها عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَحَجَبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَجَلَسَ بَعْدَ الصُّبْحِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَسَمِعَ قِرَاءَةً فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَأُخْبِرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقْرَأُ فِي الْخَضْرَاءِ، فَقَرَأَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقْرَأُ بِقِرَاءَةِ هِشَامٍ، فَقَرَأَ بِقِرَاءَتِهِ مَوْلًى لَهُ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مَنْ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ فَقَرَءُوا بِقِرَاءَتِهِ. (١)

قال ابن كثير(٢):« قُلْتُ: هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ هَذَا كَانَ نَائِبًا عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ لَمَّا امْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ أَبُوهُ،(٣) ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا الْوَلِيدُ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَمَا ذَكَرْنَا » .

وقال ابْنُ عَسَاكِرَ: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَرِهَ اجْتِمَاعَهُمْ وَأَنْكَرَهُ، وَلَا وَجْهَ لِإِنْكَارِهِ ». (٤)

فَصْلٌ فِي ابْتِدَاءِ عِمَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ

كَانَ ابْتِدَاءُ عِمَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ فِي أَوَاخِرَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ؛ هُدِمَتِ الْكَنِيسَةُ الَّتِي كَانَتْ مَوْضِعَهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْهَدْمِ، شَرَعُوا فِي الْبِنَاءِ، وَتَكَامَلَ فِي عَشْرِ سِنِينَ، فَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، أَعْنِي سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»(٢/ ٢٨٢) بسندٍ رجاله كلهم ثقات إلا أن محمد بن سويد بن يعقوب بن إسحاق الصيدلاني لا أعرفه، وأظن أنه قد وقع في اسمه تصحيفاً.

(٢) في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٠٩).

(٣) وقد تقدم أحداث سنة ٨٥هـ بيان أن القصة المنسوبة لهشام بن إسماعيل أنه ضرب سعيد بن المسيب بسبب امتناعة من البيعة في سندها نظر، وقد علَّقت عليها في كتاب«نصح الحكام بن الغلو والتفريط» ص٢٤٩ وما بعدها . ولقصة الضرب أسانيد كثيرة بقصة الضرب.

(٤) والصواب أن ذلك لا يكون بدعة إلا إذا داوم صاحبه عليه، والله أعلم .

وَفِيهَا تُوُفِّيَ بَانِيهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَدْ بَقِيَتْ فِيهِ بَقَايَا، فَكَمَّلَهَا أَخُوهُ سُلَيْمَانُ.

قال ابن كثير(١): فَأَمَّا قَوْلُ يَعْقُوبَ بْنِ سُفْيَانَ: سَأَلْتُ هِشَامَ بْنَ عَمَّارٍ عَنْ قِصَّةِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَهَذِهِ الْكَنِيسَةِ قَالَ: كَانَ الْوَلِيدُ قَالَ لِلنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ: مَا شِئْتُمْ، إِنَّا أَخَذْنَا كَنِيسَةَ تُومَا عَنْوَةً وَكَنِيسَةَ الدَّاخِلَةِ صُلْحًا، فَأَنَا أَهْدِمُ كَنِيسَةَ تُومَا؟ قَالَ هِشَامٌ: وَتِلْكَ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الدَّاخِلَةِ، قَالَ: فَرَضُوا أَنْ أَهْدِمَ كَنِيسَةَ الدَّاخِلَةِ، وَأُدْخِلَهَا فِي الْمَسْجِدِ. قَالَ: وَكَانَ بَابُهَا قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ الْيَوْمَ، وَهُوَ الْمِحْرَابُ الَّذِي يُصَلَّى فِيهِ قَالَ: وَهَدْمُ الْكَنِيسَةِ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْوَلِيدِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، وَمَكَثُوا فِي بِنَائِهِ سَبْعَ سِنِينَ، حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ، وَلَمْ يُتِمَّ بِنَاءَهُ، فَأَتَمَّهُ هِشَامٌ مِنْ بَعْدِهِ. فَفِيهِ فَوَائِدُ، وَفِيهِ غَلَطٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّهُمْ مَكَثُوا فِي بِنَائِهِ سَبْعَ سِنِينَ. وَالصَّوَابُ: عَشْرَ سِنِينَ، فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَقَدْ حَكَى أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعَ أَهْلِ السِّيَرِ. وَقَوْلُهُ: لَمْ يَتِمَّ بِنَاؤُهُ فِي زَمَنِ الْوَلِيدِ. بَلْ قَدْ تَمَّ، وَلَكِنْ بَقِيَتْ بَقِيَّاتٌ مِنَ الزَّخْرَفَةِ، فَأَكْمَلَهَا أَخُوهُ سُلَيْمَانُ لَا هِشَامٌ.

تَرْجَمَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَذِكْرُ وَفَاتِهِ
بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ

هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعاصِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأُمَوِيُّ، بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ بِعَهْدٍ مِنْهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِهِ وَالْوَلِيَّ مِنْ بَعْدِهِ .

وقد ورد عنه كثرة قراءة القرآن ولم أقف على سند صحيح بذلك.

(١) في «البداية والنهاية» (٩/ ٣٠٩-٣١٠).

فقد أخرج الطبراني وأبو نعيم[١] من طريق ضَمْرَة بن ربيعة قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ: قَالَ لِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: « فِي كَمْ تَخْتِمُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: فِي كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى شُغْلِهِ يَخْتِمُ فِي كُلِّ سَبْعٍ أَوْ ثَلَاثٍ » .

وعن كرمه ومدحه:

أخرج أبو موسى المديني وغيره من طريق إِبْرَاهِيم بْن أَبِي عَلْبَةَ قال: رَحِمَ الله الْوَلِيدَ ، وَأَيْنَ مِثْلُ الْوَلِيدِ؟ افْتَتَحَ الْهِنْدَ وَالأَنْدَلُسَ، رَحِمَ الله الْوَلِيدَ ، وَأَيْنَ مِثْلُ الْوَلِيدِ؟ هَدَمَ كَنِيسَةَ دِمَشْقَ، وَبَنَى مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، رَحِمَ الله الْوَلِيدَ ، وَأَيْنَ مِثْلُ الْوَلِيدِ؟ كَانَ يُعْطِينِي قِصَاعَ الْفِضَّةِ أَقْسِمُهَا عَلَى قُرَّاءِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.[٢]

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِر[٣] بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ[٤] عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:خَرَجَ الْوَلِيدُ يَوْمًا مِنَ الْبَابِ الأَصْغَرِ فَرَأَى رَجُلًا عِنْدَ الْمِئْذَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ يَأْكُلُ شَيْئًا، فَأَتَاهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَتُرَابًا، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: الْقُنُوعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَذَهَبَ إِلَى مَجْلِسِهِ ثُمَّ اسْتَدْعَى بِهِ فَقَالَ: إِنْ

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»(٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٣)وابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ٤٣٥) وغيرهم وفي سنده عندهم جميعاً مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ آدَمَ وهو واه الحديث تفرد بخبر باطل.

(٢) أخرجه أبو موسى بن المديني في«منتهى رَغَبَات السامعين في عوالي أحاديث التابعين »ص٥ وأبو نعيم في«الحلية»(٥/ ٢٤٤) ومن طريقه ابن عساكر في«تاريخه»(٦٣/ ١٧٦)ومداره على عبد الله ابن هانئ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ المقدسي، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في«الجرح والتعديل»(٥/ ١٩٤) :« سمعت أبي يقول: قدمت الرملة فذكر لي أن في بعض القرى هذا الشيخ وسألت عنه فقيل: هو شيخ يكذب، فلم أخرج إليه ولم أسمع منه ».

(٣) في«تاريخه» (٦٣/ ١٧٧).

(٤) كما قال ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٣١١).

لَكَ لَشَأْنًا فَأَخْبِرْنِي بِهِ وَإِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ، فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كنت رجلا حمالا، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مِنْ مَرْجِ الصُّفَّرِ قَاصِدًا إلى الكسوة، إذ زرمنى الْبَوْلُ فَعَدَلْتُ إِلَى خَرِبَةٍ لِأَبُولَ، فَإِذَا سَرَبٌ فَحَفَرْتُهُ فَإِذَا مَالٌ صَبِيبٌ، فَمَلَأْتُ مِنْهُ غَرَائِرِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَقُودُ بِرَوَاحِلِي وَإِذَا بِمِخْلَاةٍ مَعِي فِيهَا طَعَامٌ فَأَلْقَيْتُهُ مِنْهَا، وَقُلْتُ: إِنِّي سَآتِي الْكُسْوَةَ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْخَرِبَةِ لِأَمْلَأَ تِلْكَ الْمِخْلَاةَ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ فَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى الْمَكَانِ بَعْدَ الْجَهْدِ فِي الطَّلَبِ، فَلَمَّا أَيِسْتُ رَجَعْتُ إِلَى الرَّوَاحِلِ فَلَمْ أَجِدْهَا وَلَمْ أَجِدِ الطَّعَامَ، فَآلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنِّي لَا آكُلُ إِلَّا خُبْزًا وَتُرَابًا. قَالَ: فَهَلْ لَكَ عِيَالٌ؟ قَالَ نَعَمْ، فَفَرَضَ لَهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ.

وكانت همَّته في البناء، شأنه شأن غيره له وعليه.

قال ابن كثير[1]:« بَنَى الْوَلِيدُ الْجَامِعَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَا، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الدُّنْيَا نَظِيرٌ، وَبَنَى صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَقَدَ عَلَيْهَا الْقُبَّةَ، وَبَنَى مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَسَّعَهُ، حَتَّى دَخَلَتِ الْحُجْرَةُ الَّتِي فِيهَا الْقَبْرُ فِيهِ، وَلَهُ آثَارٌ حِسَانٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ السِّيَرِ» .

وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَالله أَعْلَمُ.

وفي هذه السنة: توفي زِيَادُ بْنُ جَارِيَةَ التَّمِيمِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ صُحْبَةً، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ تَابِعِيٌّ كما قال ابن كثير والذهبي والحافظ في« الإصابة».

وقد سئل عنه أبو حاتم فقال:« شَيْخٌ مَجْهُولٌ» وقد وثقه النسائي، واكتفى الحافظ بقوله في «التقريب» وقال الذهبي في«تاريخ الإسلام»:« دِمَشْقِيٌّ فَاضِلٌ مِنْ قُدَمَاءِ التَّابِعِينَ»فهو معدَّل، وقول من علم حجَّة على قول من لم يعمل.

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٣١٢).

وأخرج ابن عساكر[1] من طريق الْهَيْثَم بْن مَرْوَانَ الْعَنْسِيِّ قال: دَخَلَ زِيَادُ بْنُ جَارِيَةَ مَسْجِدَ دِمَشْقَ وَقَدْ تَأَخَّرَتْ صَلاتُهُمْ بِالْجُمُعَةِ، فَقَالَ: وَالله مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَمَرَكُمْ بِهَذِهِ الصَّلاةِ. قَالَ: فَأُخِذَ فَأُدْخِلَ الْخَضْرَاءَ، فَقُطِعَ رَأْسُهُ، وَذَلِكَ فِي زَمَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

خِلَافَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِك

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ يَوْمَ مَاتَ، وَكَانَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ بِالرَّمْلَةِ، وَكَانَ وَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَخِيهِ عَنْ وَصِيَّةِ أَبِيهِمَا عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ قَدْ عَزَمَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى خَلْعِ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ، وَأَنْ يَجْعَلَ وِلَايَةَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ طَاوَعَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَانْعَقَدَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى سُلَيْمَانَ، فَخَافَهُ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ وَعَزَمَ عَلَى أَنْ لَا يُبَايِعَهُ، فَعَزَلَهُ سُلَيْمَانُ، وَوَلَّى عَلَى إِمْرَةِ الْعِرَاقِ ثُمَّ خُرَاسَانَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ؛ فَأَعَادَهُ إِلَى إِمْرَتِهَا بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ، وَأَمَرَهُ بِمُعَاقَبَةِ آلِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ هُوَ الَّذِي عَزَلَ يَزِيدَ عَنْ خُرَاسَانَ.

وقد ذكروا في سَبَبِ مَقْتَلِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ جَمَعَ الْجُنْدَ وَالْجُيُوشَ، وَعَزَمَ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ، وَذَكَرَ لَهُمْ هِمَّتَهُ وَفُتُوحَهُ وَعَدْلَهُ فِيهِمْ، وَدَفْعَهُ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ، لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى مَقَالَتِهِ، فَشَرَعَ فِي تَأْنِيبِهِمْ وَذَمِّهِمْ، قَبِيلَةً قَبِيلَةً، وَطَائِفَةً طَائِفَةً، فَغَضِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ وَنَفَرُوا عَنْهُ وَتَفَرَّقُوا، وَعَمِلُوا عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَسَعَوْا فِي قَتْلِهِ...في قصة فها كيفية مقتله.. فالله أعلم أي تفاصل ذلك كان.

---

(١) في«تاريخ دمشق»(١٩/ ١٦) .

وَقَدْ كَانَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُصَيْنِ بْنِ رَبِيعَةَ أَبُو حَفْصٍ الْبَاهِلِيُّ، مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ وَخِيَارِهِمْ، وَكَانَ مِنَ الْقَادَةِ النُّجَبَاءِ الْكُبَرَاءِ، وَالشُّجْعَانِ وَذَوِي الْحُرُوبِ وَالْفُتُوحَاتِ السَّعِيدَةِ، وَالْآرَاءِ الْحَمِيدَةِ، وَقَدْ هَدَى الله عَلَى يَدَيْهِ خَلْقًا لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا الله، فَأَسْلَمُوا وَدَانُوا لله عَزَّ وَجَلَّ، وَفَتَحَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ وَالْمُدُنِ الْعِظَامِ شَيْئًا كَثِيرًا، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ مُفَصَّلًا مُبَيَّنًا، وَالله سُبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ سَعْيَهُ، وَلَا يُخَيِّبُ تَعَبَهُ وَجِهَادَهُ.

وَلَكِنْ زَلَّ زَلَّةً كَانَ فِيهَا حَتْفُهُ، وَفَعَلَ فَعْلَةً رَغِمَ فِيهَا أَنْفُهُ، وَخَلَعَ الطَّاعَةَ فَبَادَرَتْ إِلَيْهِ الْمَنِيَّةُ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، لَكِنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا قَدْ يُكَفِّرُ الله بِهَا عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، وَيَمْحُو بِهَا عَنْهُ مِنْ خَطِيَّاتِهِ، وَالله يُسَامِحُهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُ مَا كَانَ يُكَابِدُهُ مِنْ مُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِفَرْغَانَةَ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ خُرَاسَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو صَالِحٍ مِمَّنْ قُتِلَ مَعَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ عَلَى خُرَاسَانَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاسْتَفَادَ وَأَفَادَ فِيهَا خَيْرًا كَثِيرًا. (١)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ

فِيهَا جَهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجُيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. وَفِيهَا أَمَّرَ ابْنَهُ دَاوُدَ عَلَى الصَّائِفَةِ، فَفَتَحَ حِصْنَ الْمَرْأَةِ.

وفي هذه السنة: توفي الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وكان سليم المعتقد رحمه الله هو وابنه كبقية آل البيت في أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) حكى أكثر ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٣١٣- ٣١٤).

فأخرج ابن معين ومن طريقه ابن عساكر[١] بسندٍ حسن عن فُضَيْل بن مَرْزُوق قَالَ سَمِعت عبد الله بن الْحسن بن الْحسن يَقُول لرجل من الرافضة وَالله ان قَتلك لقربة لَوْلَا حق الْجوَار.

وأخرج أبو الفضل الزهري عَنْ فُضَيْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ بن علي رضي الله عنه يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ: وَالله إِنَّ قَتْلَكَ لَقُرْبَةٌ إِلَى الله تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنَّكَ تَمْزَحُ، فَقَالَ: «وَالله مَا هَذَا بِمِزَاحٍ، وَلَكِنَّهُ مِنِّي الْجِدُّ».[٢]

ومن ذلك: ما أخرجه البيهقي[٣] بسندٍ حسن عن فُضَيْلٍ بْنِ مَرْزُوقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ، أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[٤] ، قَالَ لِي: بَلَى وَالله لَوْ يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ

---

(١) أخرجه ابن معين في«تاريخه»(١١٦٢) من طريقه ابن عساكر في«تاريخه» (٢٧/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه أبو الفضل الزهري في«جزئه» (٣٢٢) ومن طريقه ابن العديم في« بغية الطلب في«تاريخ حلب» (٥/ ٢٣٢٢) عن عبد الله بن إسحاق المدائني عن الحسن عن يزيد بن هارون عن فضيل ابن مرزوق عن الحسن بن الحسن به.والحسن شيخ المدائني هو ابن عرفة صدوق وبقية رجاله لا يقل أحد منهم عن رتبة من يحسَّن حديثه، فالسند حسن إن شاء الله.

وله طريق آخر أخرجه ابن العشاري الحنبلي في«فضائل الصديق»(٤٨) وابن عساكر(١٣/ ٦٧) ولكن من طريق وضاح بن حسان عن فضيل بن مرزوق به.بلفظ« وَالله إِنَّ قَتْلَكَ لَقُرْبَةٌ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ».

(٣) ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٤) أخرجه أحمد(٢٣١٠٧) وغيره وهو حديث صحيح. يَعْنِي بِذَلِكَ وَلَاءَ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ .

ونحوه من استدلال الرافضة قبَّحهم الله استدلالهم بما أخرجه البخاري(٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤)عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي

لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ أَنْصَحَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكِمْ وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَالله لَئِنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ اختارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَجَعَلَهُ الْقَائمَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ مَا أَمَرَ الله وَرَسُولُهُ لَكانَ عَلِيٌّ أَوَّلَ مِنْ تَرَكَ أَمْرَ الله وَرَسُولِهِ».

وأخرج البيهقي(١) أيضاً بسندٍ حسن عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ أَخَا عَبْدِ الله بْنِ الْحَسَنِ وَهُوَ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَتَولَّاهُمْ، فَذَكَرَ قِصَّةً ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولونَ أَنَّ الله وَرَسُولَهُ اختارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ

الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ:«أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» وفي رواية أخرجها أبو يعلى(٧٣٩):« **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَعِي نَبِيٌّ**» وسندها صحيح وهي صريحة في تفسيره أنها في الاستخلاف على المدينة عند خروجه لغزوة تبوك. فَلَم يَعْنِ بِهِ استخلَافَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ استخلَافَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ كَمَا اسْتَخْلَفَ مُوسَى هَارُونَ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الطُّورِ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُرَادُ بِهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَقَدْ مَاتَ هَارُونُ قَبْلَ مُوسَى؟ فكفاهم-قبحهم الله- ازدراء بعلي رضي الله عنه !

وقد أخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل»(٤٨٤) بسندٍ حسن عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ هَذَا الْمِنْبَرَ فَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَذَكَرَهُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَذْكُرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أُنَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي الله فِيهَا مَا أَحَبَّ، ثُمَّ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا. فماذا يفعل بقول علي رضي الله عنه هذا إن قيل أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

(١) ص ٥٠٠.

وَللقيَامِ بِهِ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِنْ كَانَ عَلِيٌّ لِأَعْظَمَ النَّاسِ خَطِيَّةً وَجُرْمًا فِي ذَلِكَ؛ إِذْ تَرَكَ أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا أَمَرَهُ أَوْ يَعْذِرُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ قَالَ: فَقَالَ الرَّافِضِيُّ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، فَقَالَ أَمَا وَالله إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِنْ كَانَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمْرَةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْقِيَامَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ لِأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ كَمَا أَفْصَحَ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَلقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا فَمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا شَيْءٌ فَإِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ رَسُولُ الله ﷺ.

ومن أقواله التي نسبها إليه ابن كثير[1] ولم أقف عليها مسندة أنه قال للرافضة:

« وَالله لَئِنْ وُلِّينَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا لَنُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ، ثُمَّ لَا نَقْبَلُ لَكُمْ تَوْبَةً، وَيْلَكُمْ غَرَرْتُمُونَا مِنْ أَنْفُسِنَا، وَيْلَكُمْ لَوْ كَانَتِ الْقَرَابَةُ تَنْفَعُ بِلَا عَمَلٍ لَنَفَعَتْ أَبَاهُ وَأُمَّهُ. فَلَوْ كَانَ مَا تَقُولُونَ فِينَا حَقًّا لَكَانَ آبَاؤُنَا إِذْ لَمْ يُعْلِمُونَا بِذَلِكَ قَدْ ظَلَمُونَا وَكَتَمُوا عَنَّا أَفْضَلَ الْأُمُورِ، وَالله إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يُضَاعَفَ لِلْعَاصِي مِنَّا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، كَمَا إِنِّي لَأَرْجُوَ لِلْمُحْسِنِ مِنَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، وَيْلَكُمْ أَحِبُّونَا إِنْ أَطَعْنَا الله، وَأَبْغِضُونَا إِنْ عَصَيْنَا الله».

وفي هذه السنة توفي مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخْمِيُّ أحد الأبطال المجاهدين كم فتح الله على يدية من بلاد الكفر دول، وجلب غنائم كثيرة.

قال ابن كثير[2]:« وَقَدْ كَانَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ هَذَا يَفْتَحُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَقُتَيْبَةُ يَفْتَحُ فِي بِلَادِ الْمَشْرِقِ، فَجَزَاهُمَا الله خَيْرًا، فَكِلَاهُمَا فَتَحَ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَكِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ حَظِيَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَحْظَ بِهَا قُتَيْبَةُ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا فَتَحَ

(١) في «البداية والنهاية»(٩/ ٣١٨).

(٢) في«البداية والنهاية»(٩/ ٣١٩).

الْأَنْدَلُسَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: ابْعَثْ مَعِي رِجَالًا حَتَّى أَدُلَّكَ عَلَى كَنْزٍ عَظِيمٍ، فَبَعَثَ مَعَهُ رِجَالًا فَأَتَى بِهِمْ إِلَى مَكَانٍ، فَقَالَ: احْفِرُوا. فَحَفَرُوا فَأَفْضَى بِهِمُ الْحَفْرُ إِلَى قَاعَةٍ عَظِيمَةٍ ذَاتِ لَوَاوِينَ حَسَنَةٍ، فَوَجَدُوا هُنَاكَ مِنَ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ وَالزَّبَرْجَدِ مَا أَبْهَتَهُمْ، وَأَمَّا الذَّهَبُ فَشَيْءٌ لَا يُعَبَّرُ عَنْهُ، وَوَجَدُوا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الطَّنَافِسَ، الطِّنْفِسَةُ مِنْهَا مَنْسُوجَةٌ بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ، مَنْظُومَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ الْغَالِي الْمُفْتَخِرِ، وَالطِّنْفِسَةُ مَنْظُومَةٌ بِالْجَوْهَرِ الْمُثَمَّنِ، وَالْيَوَاقِيتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ فِي شَكْلِهَا»

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِغَزْوِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَرَاءَ الْجَيْشِ الَّذِينَ هُمْ بِهَا، فَسَارَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ الْتَفَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْجَيْشُ الَّذِينَ هُمْ هُنَاكَ، وَقَدْ أَمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْجَيْشِ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ مُدَّيْنِ مِنْ طَعَامٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا جَمَعُوا ذَلِكَ، فَإِذَا هُوَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَقَالَ لَهُمْ مَسْلَمَةُ: اتْرُكُوا هَذَا الطَّعَامَ وَكُلُوا مِمَّا تَجِدُونَهُ فِي بِلَادِهِمْ، وَازْرَعُوا فِي أَمَاكِنِ الزَّرْعِ وَاسْتَغِلُّوهُ، وَابْنُوا لَكُمْ بُيُوتًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنَّا لَا نَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدِ حَتَّى نَفْتَحَهَا إِنْ شَاءَ الله.

وفي هذه السنة: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَخَذَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَهْدَ لِوَلَدِهِ أَيُّوبَ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَعَدَلَ عَنْ وِلَايَةِ أَخِيهِ يَزِيدَ إِلَى وِلَايَةِ وَلَدِهِ أَيُّوبَ، وَتَرَبَّصَ بِأَخِيهِ الدَّوَائِرَ فَمَاتَ أَيُّوبُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، فَبَايَعَ سُلَيْمَانُ لِابْنِ عَمِّهِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَنِعْمَ مَا فَعَلَ.(١)

وفي هذه السنة توفي عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ

(١) قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٢٢).

وقد كَانَ إِمَامًا حُجَّةً، وَكَانَ مُؤَدِّبَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَلَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ جَمَاعَاتٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ

فِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ وَقِيلَ: بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْهَا، عَنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: عَنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يُجَاوِزِ الْأَرْبَعِينَ. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَزَعَمَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ أَنَّهُ تُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَأَنَّهُ اسْتَكْمَلَ فِي خِلَافَتِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وَالصَّحِيحُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وقد التقى سليمان بن عبد الملك بعبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وقد أخرج ابن عبد البر[1] بسندٍ حسن عَنْ يُونُسَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هُبَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، رَكِبَ الْغَابَةَ فَمَرَّ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ: «أَلَا تَرْكَبُ مَعَنَا؟» فَرَكِبْتُ مَعَهُ حِمَارًا فَسِرْنَا قَالَ: فَسَكَتُّ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: «مَالَكَ؟» قُلْتُ: سَكَتُّ أَتَمَنَّى قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «لَوْ كَانَ عِنْدِي أُحُدٌ ذَهَبًا أَعْلَمُ عَدَدَهُ وَأُخْرِجُ زَكَاتَهُ مَا كَرِهْتُ ذَلِكَ أَوْ مَا خَشِيتُ أَنْ يَضُرَّنِي».

أول ما قال لما تولى الخلافة:

أخرج ابن أبي الدنيا[2] ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَنَزِيُّ الْكُوفِيُّ، عَنْ

(١) في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣١٨).

(٢) في «ذم الدنيا» (٦٧) والزهد (١٥٧) ومن طريقه البيهقي في «الزهد» (٥٤٦).

جَابِرِ بْنِ عَوْنٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: أَوَّلُ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ قَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ، وَمَا شَاءَ رَفَعَ، وَمَا شَاءَ وَضَعَ، وَمَا شَاءَ أَعْطَى، وَمَنْ شَاءَ مَنَعَ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ، وَمُنْزِلٌ بَاطِلٌ، وَزِينَةٌ تَتَقَلَّبُ، تُضْحِكُ بَاكِيًا وَتُبْكِي ضَاحِكًا، وَتُخِيفُ آمِنًا، وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا، تُفْقِرُ مُثْرِيهَا، وَتُثْرِي فَقِيرَهَا، مَيَّالَةٌ لَاعِبَةٌ بِأَهْلِهَا. يَا عِبَادَ الله اتَّخِذُوا كِتَابَ الله إِمَامًا وَارْضُوا بِهِ حُكْمًا، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا، فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَلَنْ يَنْسَخَهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ، اعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَضَغَائِنَهُ، كَمَا يَجْلُو ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِدْبَارَ اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ.

وفي إسناده من لم أعرفه.

وأُثر وَعَنِ ابْنِ سِيْرِيْنَ،قَالَ: يَرْحِمُ اللهُ سُلَيْمَانَ، افْتَتَحَ خِلاَفَتَهُ بِإِحْيَاءِ الصَّلاَةِ، وَاخْتَتَمَهَا بَاسْتِخْلاَفِهِ عُمَرَ بن عبد العزيز.

وهذا بكل حال صحيح، رحمه الله بصرف النظر عن تحرير إسناده.

وَكَانَ سُلَيْمَانُ بن عبد الملك يَنْهَى النَّاسَ عَنِ الغِنَاءِ.وكان يلقب بالمهدي بِالله الدَّاعِي إِلَى الله فرحمه الله رحمة واسعة.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا[1] عَنْ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: «الصَّمْتُ مَنَامُ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقُ يَقَظَتُهُ، وَلَا يَتِمُّ حَالٌ إِلَّا بِحَالٍ». ولكن سنده منقطع.

وقد كان يستشير أهل الفضل في أموره:

(١) في«الصمت»(٦٩٦).

فأخرج ابن عبد الحكم[١] بسندٍ حسن أن سُلَيْمان بن عبد الْملك شاور عمر بن عبد الْعَزِيز فِي رجل سبّ سُلَيْمان.

فَقَالَ: مَا ترى فِيهِ فَقَالَ من حوله اكْتُبْ بِضَرْب عُنُقه وَعمر بن عبد الْعَزِيز سَاكِت فَقَالَ مَا لَك لَا تَتَكَلَّم يَا عمر فَقَالَ أما إِذا سَأَلتنِي فَلَا أعلم سبة أحلّت دم مُسلم إلا سبة نَبِي قَالَ فَقَامُوا وَقَامَ فَقَالَ سُلَيْمَان لله بلادك يَا عمر لَو قرشي طبخت فِي مرقته لأنضجتها.[٢]

وقد ورد أن آخر ما تكلم به سليمان هو ما قاله أبوبكر بكر بن أبي الدنيا[٣] قال: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ سُلَيْمَانُ أَنْ قَالَ: أَسْأَلُكَ مُنْقَلَبًا كَرِيمًا. ثُمَّ قَضَى.

وصحح ابن كثير[٤] أن هذا آخر ما تكلم به وقت الاحتضار.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ،[٥]عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ وَكَانَ وَزِيرَ صِدْقٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ قَالَ : اسْتَشَارَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ أَنْ يُوَلِّيَ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ مِمَّا يَحْفَظُ الْخَلِيفَةَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ الرَّجُلَ الصَّالِحَ، ثُمَّ شَاوَرَنِي فِي وِلَايَةِ ابْنِهِ دَاوُدَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ غَائِبٌ عَنْكَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَلَا تَدْرِي أَحَيٌّ هُوَ أَمْ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَمَنْ تَرَى؟ فَقُلْتُ: رَأْيُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.قَالَ:كَيْفَ تَرَى فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟

---

(١) في«سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ١١٦

(٢) يعني أنه يأتي بحل المعضلات رحمه الله.

(٣) في كتابه«المحتضرين»(٨٥).

(٤) في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٢٨).

(٥) في «البداية والنهاية»

فَقُلْتُ: أَعْلَمُهُ وَالله خَيِّرًا فَاضِلًا مُسْلِمًا. فَقَالَ: هُوَ وَالله عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَتَخَوَّفُ إِخْوَتِي لَا يَرْضُونَ بِذَلِكَ. فَأَشَارَ رَجَاءٌ أَنْ يَجْعَلَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيُرْضِيَ بِذَلِكَ بَنِي مَرْوَانَ، فَكَتَبَ:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ الله سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، وَمِنْ بَعْدِهِ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَاتَّقُوا اللهَّ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُطْمَعَ فِيكُمْ.

وَخَتَمَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ حَامِدٍ الْعَبْسِيِّ صَاحِبِ الشُّرَطِ، فَقَالَ لَهُ: اجْمَعْ أَهْلَ بَيْتِي، فَمُرْهُمْ فَلْيُبَايِعُوا عَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مَخْتُومًا، فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، فَاجْتَمَعُوا وَدَخَلَ رِجَالٌ مِنْهُمْ فَسَلَّمُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا الْكِتَابُ عَهْدِي إِلَيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَبَايِعُوا مَنْ وَلَّيْتُ فِيهِ. فَبَايَعُوا رَجُلًا رَجُلًا.

قَالَ رَجَاءٌ: فَلَمَّا تَفَرَّقُوا جَاءَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللهَّ وَحُرْمَتِي وَمَوَدَّتِي إِلَّا أَعْلَمْتَنِي إِنْ كَانَ كَتَبَ لِي ذَلِكَ حَتَّى أَسْتَعْفِيَهُ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ حَالٌ لَا أَقْدِرُ فِيهَا عَلَى مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ السَّاعَةَ! فَقُلْتُ: وَالله لَا أُخْبِرُكَ حَرْفًا وَاحِدًا. قَالَ: وَلَقِيَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: يَا رَجَاءُ، إِنَّ لِي بِكَ حُرْمَةً وَمَوَدَّةً قَدِيمَةً، فَأَخْبِرْنِي هَذَا الْأَمْرَ، فَإِنْ كَانَ إِلَيَّ عَلِمْتُ، وَإِنْ كَانَ إِلَى غَيْرِي تَكَلَّمْتُ، فَمَا مِثْلِي قُصِّرَ بِهِ. فَقُلْتُ: وَالله لَا أُخْبِرُكَ حَرْفًا وَاحِدًا مِمَّا أَسَرَّ إِلَيَّ.

قَالَ رَجَاءٌ: وَدَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ، فَإِذَا هُوَ يَمُوتُ، فَجَعَلْتُ إِذَا أَخَذَتْهُ السَّكْرَةُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ أَحُرِّفُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، فَإِذَا أَفَاقَ يَقُولُ: لَمْ يَأْنِ لِذَلِكَ بَعْدُ يَا رَجَاءُ. فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قَالَ: مِنَ الْآنَ يَا رَجَاءُ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ شَيْئًا، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَحَرَّفْتُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ وَمَاتَ، فَغَطَّيْتُهُ بِقَطِيفَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ عَلَيْهِ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ

حَامِدٍ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ دَابِقٍ فَقُلْتُ: بَايِعُوا لِمَنْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. فَقَالُوا: قَدْ بَايَعْنَا. فَقُلْتُ: بَايِعُوا ثَانِيَةً. فَفَعَلُوا، ثُمَّ قُلْتُ: قُومُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقَدْ مَاتَ. وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، تَغَيَّرَتْ وُجُوهُ بَنِي مَرْوَانَ، فَلَمَّا قَرَأْتُ: وَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ، تَرَاجَعُوا بَعْضَ الشَّيْءِ، وَنَادَى هِشَامٌ: لَا نُبَايِعُهُ أَبَدًا. فَقُلْتُ: أَضْرِبُ وَاللهِ عُنُقَكَ، قُمْ فَبَايِعْ. وَنَهَضَ النَّاسُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَلَمْ تَحْمِلْهُ رِجْلَاهُ حَتَّى أَخَذُوا بِضَبْعَيْهِ، فَأَصْعَدُوهُ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَسَكَتَ حِينًا، فَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ: أَلَا تَقُومُونَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتُبَايِعُوهُ! فَنَهَضَ الْقَوْمُ فَبَايَعُوهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ هِشَامٌ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ لِيُبَايِعَ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَقَالَ عُمَرُ: نَعَمْ! إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، الَّذِي صِرْتُ أَنَا وَأَنْتَ نَتَنَازَعُ هَذَا الْأَمْرَ. ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً.

بَلِيغَةً وَبَايَعُوهُ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَإِنَّ مَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ إِنْ هُمْ أَطَاعُوا كَمَا أَطَعْتُمْ فَأَنَا وَالِيكُمْ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَلَسْتُ لَكُمْ بِوَالٍ. ثُمَّ نَزَلَ فَشَرَعُوا فِي جِهَازِ سُلَيْمَانَ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهُ حَتَّى دَخَلَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ، فَصَلَّى عُمَرُ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ثُمَّ صَلَّى عَلَى سُلَيْمَانَ وَدُفِنَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عُمَرُ أُتِيَ بِمَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ فَلَمْ يَرْكَبْهَا، وَرَكِبَ دَابَّتَهُ، ثُمَّ سَارَ مَعَ النَّاسِ حَتَّى أَتَوْا دِمَشْقَ فَمَالُوا بِهِ نَحْوَ دَارِ الْخِلَافَةِ فَقَالَ: لَا أَنْزِلُ إِلَّا فِي مَنْزِلِي حَتَّى تَفْرُغَ دَارُ أَبِي أَيُّوبَ، فَاسْتُحْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالْكَاتِبِ، فَجَعَلَ يُمْلِي عَلَيْهِ نُسْخَةَ الْكِتَابِ الَّذِي يُبَايِعُ عَلَيْهِ الْأَمْصَارَ قَالَ رَجَاءٌ: فَمَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْهُ.

وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. فَقَدْ حَكَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَهُوَ غَرِيبٌ جِدًّا وَقَدْ خَالَفَهُ الْجُمْهُورُ فِي كُلِّ

مَا قَالَهُ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ فَقِيلَ: بِثَلَاثٍ. وَقِيلَ: بِخَمْسٍ. وَالله أَعْلَمُ.[1]

خِلَافَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ وَقِيلَ: بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ يَوْمَ مَاتَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَهْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْ عُمَرَ كَمَا قَدَّمْنَا وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْوَرَعِ وَالدِّينِ وَالتَّقَشُّفِ وَالصِّيَانَةِ وَالنَّزَاهَةِ مِنْ أَوَّلِ حَرَكَةٍ بَدَتْ مِنْهُ؛ حَيْثُ أَعْرَضَ عَنْ رُكُوبِ مَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ، وَهِيَ الْخُيُولُ الْحِسَانُ الْجِيَادُ الْمُعَدَّةُ لَهَا وَالِاجْتِزَاءُ بِمَرْكُوبِهِ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ، وَسُكْنَى مَنْزِلِهِ رَغْبَةً عَنْ مَنْزِلِ الْخِلَافَةِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَّاقَةً لَا تُعْطَى شَيْئًا إِلَّا تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَإِنِّي لَمَّا أُعْطِيتُ الْخِلَافَةَ تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا وَهِيَ الْجَنَّةُ؛ فَأَعِينُونِي عَلَيْهَا يَرْحَمْكُمُ الله.[2]

قَالَ وأتى رجل إِلَى عمر بن عبد الْعَزِيز حِين هلك سُلَيْمَان فَقَالَ لَهُ ارْض بِقَضَاء الله وَسلم لأَمره وارج مَا عِنْده فَإِن عِنْد الله الْخَيْر الدَّائِم والعوض من المصائب انْظُر إِلَى الَّذِي كنت تخشاه على سُلَيْمَان فاخشه على نَفسك ثمَّ قَامَ الرجل فَقَالَ عمر عَليّ بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ لَهُ عمر لأي شَيْء قلت لي هَذَا قَالَ الرجل إِن أمنتني حدثتك قَالَ أَنْت آمن قَالَ رَأَيْتُك بِالْمَدِينَةِ تذيل إزارك وترخي شعرك وتعصف رِيحك فَكنت أعجب كَيفَ يدعك الله فِي سكان أرضه فَلَمَّا جَاءَت حالتك هَذِه رَأَيت عَليّ من الْحق تعزيتك وَأَدَاء حَقك فَقَالَ لَهُ عمر يَا أخي إِن كنت مُقيما مَعنا بأرضنا فتعاهدنا

(١) حكى ذلك ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) هذا قاله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٢٣١) وبعضه ثابت بالأسانيد كما سأتي.

وَإِن خرجت فَفِي حفظ الله.[١]

وَلما قدم أنس بن مَالك خَادِم النَّبِي ﷺ من الْعرَاق إِلَى الْمَدِينَة كَانَت تعجبه صَلَاة عمر بن عبد الْعَزِيز وَكَانَ عمر أميرها فصلى أنس خَلفه فَقَالَ مَا صليت خلف إِمَام بعد رَسُول الله ﷺ أشبه صَلَاة بِصَلَاة رَسُول الله ﷺ من إمامكم هَذَا وَكَانَ عمر بن عبد الْعَزِيز رضي الله عنه يتم الرُّكُوع وَالسُّجُود ويخفف الْقعُود وَالْقِيَام.[٢]

وكانت خلافته خلافة طيبة راشدة قام فيها بحق الله رحمه الله رحمة واسعة، وسيأتي طرف منها، وشخصيَّته حريَّة بالتأليف رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وفي هذه السنة تُوفي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ – على قول أنه توفي في هذا العام.

وهو التَابِعِيُّ الجَلِيلُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ قَالَ: تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ. وَذَكَرَ خَلِيفَةُ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي الْأَعْلَامِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ هَذَا الْعَامَ.[٣]

وفيها توفي عَبْدُ الله بْنُ مُحَيْرِيزِ بْنِ جُنَادَةَ بْنِ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ الْمَكِّيُّ، نَزِيلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ زَوْجِ أُمِّهِ أَبِي مَحْذُورَةَ الْمُؤَذِّنِ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي سَعِيدٍ وَمُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وأخرج الفسوي[٤] بسندٍ صحيح قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ: إِنْ يَفْخَرَ عَلَيْنَا أَهْلُ

---

(١) هذا رواه ابن عبد الحكم في«سيرة عمر بن عبد العزيز» ص٢٦. وقد ذكر سنداً في مقدمة الكتاب لكل ما ضمَّه فيه.

(٢) أخرجه ابن عبد الحكم في«سيرة عمر بن عبد العزيز»ص ٣٣ بسندٍ ثابت.

(٣) حكاه عنه ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٣٢) .

(٤) في«المعرفة والتاريخ»(٢/ ٣٣٥).

الْمَدِينَةِ بِعَابِدِهِمْ عبد الله بْنِ عُمَرَ، فَإِنَّا نَفْخَرُ عَلَيْهِمْ بِعَابِدِنَا عَبْدِ الله بْنِ مُحَيْرِيزٍ.

ومن ورعه ما أخرجه الفسوي والبيهقي[١] بسنده عَنْ بَشِيرِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ حَانُوتًا بِدَانِقٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ ثَوْبًا، فَقَالَ رَجُلٌ لِصَاحِبِ الْحَانُوتِ: هَذَا ابْنُ مُحَيْرِيزٍ، فَأَحْسِنْ بَيْعَهُ، فَغَضِبَ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ وَخَرَجَ وَقَالَ: « إِنَّا نَشْتَرِي بِأَمْوَالِنَا، وَلَسْنَا نَشْتَرِي بِدِينِنَا ».

وكان مبجلاً في قومه رحمه الله قد أَثْنَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ:

قالَ رجاءُ بنُ حيوةَ : « نُعِيَ إلينا ابنُ عمرَ فى مجلسِ بنِ مُحَيْرِيزٍ، فقالَ ابنُ مُحَيْرِيزٍ: إنْ كنتُ- واللهِ - لأعدُّ بقاءَ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ أماناً لأهلِ الأرضِ ، فقالَ رجاءُ : وإنْ كنتُ- واللهِ لأَعدُّ بقاءَ ابنِ مُحَيْرِيزٍ أَماناً لأهلِ الأرضِ » .[٢]

وقد ورد عن الْأَوْزَاعِيِّ: مَنْ كَانَ مُقْتَدِيًا فَلْيَقْتَدِ بِمِثْلِهِ، فَإِنَّ الله لَا يُضِلُّ أُمَّةً فِيهَا مِثْلُهُ.[٣]

وممن توفي في هذه السنة محمود بن لبيد بن عقبة أبو نعيم. وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَ، لَكِنْ حُكْمُهَا الْإِرْسَالُ.

وفيها مات نافع بن جبير بن مطعم، وأخوه محمد بن جبير بن مطعم- من علما قريش، وكريب مولى ابن عباس، ومحمود بن الربيع صاحب المجة التي مجَّها النبي

---

(١) في«المعرفة»(٢/ ٣٦٤) و«شعب الإيمان»(٤٩٢٠) وابن عساكر في«تاريخه»(٣٣/ ١٩) ورجال السند معدَّلون إلا أن بشير بن صالح في سنده لم أقف فيه على جرح أو تعديل.

(٢) أخرجه أبو زرعة فى« تاريخه » ص٣٢ والفسوي في«المعرفة» (٢/ ٣٦٦) بإسنادٍ حسن عن رجاء رحمه الله .

(٣) أخرجه ابن عساكر في«تاريخه»(٣٣/ ١٧) بسندٍ غير سالم.

ﷺ فعقلها وهو ابن خمس سنين، قَالَ: «عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ»[١] وتوفي وسنُّه ثلاثة وتسعون عاماً.

وتوفي أيضاً في هذه السنة حنش بن عبد الله بن عمرو الصنعاني كان والي أفريقية توفي غازياً.

وفيها توفي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنُ الضَّحَّاكِ، الْأَنْصَارِيُّ الْمَدَنِيُّ الْفَقِيهُ، كَانَ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَائِهَا الْمَعْدُودِينَ، كَانَ عَالِمًا بِالْفَرَائِضِ وَتَقْسِيمِ الْمَوَارِيثِ، وَهُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ مَدَارُ الْفَتْوَى عَلَى قَوْلِهِمْ.

وفيها توفي مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ أَبُو عَبْدِ الله الْبَصْرِيُّ، الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ،

كَانَ لَا يُفَضَّلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ عَابِدًا وَرِعًا زَاهِدًا كَثِيرَ الْخُشُوعِ إلا أنه استُخف فخرج مع الخارجين على الحكام فحطَّ منزلته عند الناس.

وقد أخرج ابن سعد[٢] بإسنادٍ ثابتٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أبي قِلابَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ صَحِبَهُ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لِي وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ:

إِنِّي أَحْمَدُالله إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرْمِ فِيهَا بِسَهْمٍ وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمْحٍ وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أبا عَبْدِ الله فَكَيْفَ بِمَنْ رَآكَ وَاقِفًا فِي الصَّفِّ؟ فَقَالَ هَذَا مُسْلِمُ بن يسار. والله مَا وَقَفَ هَذَا الْمَوْقِفَ إِلا وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ. فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. قَالَ: فَبَكَى وَبَكَى حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا، قَالُوا: وَكَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً فَاضِلا عَابِدًا وَرِعًا أَرْفَعَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ. حَتَّى خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ فَوَضَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ عَنْهُ».

---

(١) أخرجه البخاري(٧٧) ومسلم(٣٣).

(٢) فى « طبقاته» (٧/ ١٨٧)

وكان مسلم بن يسار خامس خمسة من فقهاء البصرة، كما قال قتادة ، هذا مع أنه ندم كما ندم جميع الذين خرجوا، فقد قال حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: ذَكَرَ أَيُّوبُ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالَ: لا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ إِلا قَدْ رُغِبَ لَهُ عَنْ مَصْرَعِهِ وَلا نَجَا فَلَمْ يُقْتَلْ إِلا قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ! (١)

سَنَةُ مِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

ومن الْأَحْدَاثُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا أن جماعة من الخوارج قد خرجوا على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله فردَّ عليهم بأبلغ الردود، وكان عادلاً حاسماً في أموره رحمه الله تعالى.

أخرج عبد الله بن وهب(٢) بسندٍ صحيح عن اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: خَرَجَ أَرْبَعُونَ حَرُورِيًّا فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ خِلافًا لِلْحَقِّ وَالسُّنَّةِ، وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ أَذِلَّةٌ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ جَوَابًا أَبْلَغُوا فِيهِ فَقَالُوا: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قِلَّتِنَا وَذِلَّتِنَا فَإِنَّ الله قَالَ لأَصْحَابِ رَسُولِ الله عَلَيْهِ السَّلامُ: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} [الأنفال: ٢٦] ، فَنَحْنُ نَرْجُو ذَلِكَ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَوْنَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيُّ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ قَالَ لَهُمْ: قَاتَلْتُمْ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَلَمَّا جَاءَ رَأْيُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ، وَقَالَ النَّاسُ: هَذَا، وَالله، رَأْيُهُمْ، كُنْتُمْ أَوَّلُ مَنْ نَفَرَ عَنْهُ،

---

(١) أخرج ذلك الفسوي فى « المعرفة »(٢/ ٥٢) وابن سعد في«طبقاته»(٧/ ١٤٠) بإسنادٍ صحيح .

(٢) في«الموطأ» في كتاب المحاربة ص١٦.

قَالُوا: وَالله ، لَقَدْ صَدَقْتَ مَا كُنَّا نَطْلُبُ إِلا الَّذِي عَمِلَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، وَلَمْ يَلْعَنْهُمْ ، فَقُلْتُ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَمَّا أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ، فَقَالُوا: نَعَمْ، لَمْ تَسْأَلْنَا عَنْ شَيْءٍ إِلا صَدَقْنَاكَ، فَقُلْتُ: مَتَى عَهْدُكُمْ بِلَعْنِ هَامَانَ؟ فَقَالُوا: مَا لَعَنَّاهُ قَطُّ فَقُلْتُ لَهُمْ: أَفَيَسَعُكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا وَزِيرَ فِرْعَوْنَ الْمُنَفِّذَ لأَمْرِهِ، وَلا يَسَعُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَعْمَلَ بِالْحَقِّ وَيَكُفَّ اللَّعْنَ عَنْ أَهْلِ قِبْلَتِهِ إِنْ كَانُوا أَخْطَئُوا فِي شَيْءٍ وَعَمِلُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ.

فَرَجَعَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنِّي بَعَثْتُ إِلَيْهِمْ غَيْرَكَ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ فَطِنْتَ لِهَامَانَ، فَقَالَ: تَخَوَّفْتُ إِنْ ذَكَرْتُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَقُولُوا قَدْ لَعَنَّاهُ فَإِنَّهُ مُلْعَنٌ خَبِيثٌ.

قَالَ: وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى يَحْيَى بْنِ يَحْيَى الْغَسَّانِيِّ وَكَانَ عَلَى الْمَوْصِلِ أَنْ أَقْرِرْهُمْ مَا لَمْ يَسْفِكُوا دَمًا أَوْ يَقْطَعُوا سَبِيلا أَوْ يُخِيفُوا مُعَاهِدًا، فَإِنْ فَعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُمُ الْعَدُوُّ، فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

ثُمَّ خَرَجُوا فِي خِلافَةِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقُتِلُوا.

وأخرج ابن وهب أيضاً بسندٍ حسن عَنْ يَزِيد بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ رَجُلا مِنَ الْحَرُورِيَّةِ قَالَ لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ: إِنَّكَ كَافِرٌ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ: كَذَبْتَ، ثُمَّ لَقِيَ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، فَقَرَأَهَا حَتَّى خَتَمَهَا: قَالَ الْحَرُورِيُّ: قَالَ الله: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: ٥٨]

وأخرج ابن وهب بسندٍ صحيح عن أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَنَا مَعَهُ: مَاذَا تَرَى فِي هَؤُلاءِ الْقَدَرِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ: أَسْتَتِيبُهُمْ، فَإِنْ قَبِلُوا

ذَلِكَ وَإِلا فَأَعْرِضُهُمْ عَلَى السَّيْفِ، قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ.

قَالَ مَالِكٌ: وَرَأْيِي عَلَى ذَلِكَ.

كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج

وأخرج ابن عبد الحكم [١] بسندٍ حسن قَالَ وَكتب عمر بن عبد الْعَزِيز من عبد الله عمر أَمِير الْمُؤمنِينَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْعِصَابَة الَّذين خَرجُوا أما بعد فَإِنِّي أدعوكم إِلَى كتاب الله وَسنة نبيه ﷺ فَإِن الله تبَارك وَتَعَالَى يَقُول {وَمن أحسن قولا مِمَّن دَعَا إِلَى الله وَعمل صَالحا وَقَالَ إِنَّنِي من الْمُسلمين} وَقَالَ {ادْع إِلَى سَبِيل رَبك بالحكمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة وجادلهم بِالَّتِي هِيَ أحسن إِن رَبك هُوَ أعلم بِمن ضل عَن سَبيله وَهُوَ أعلم بالمهتدين} وَإِنِّي أذكركم الله فِي دمائكم أَن تَفعلُوا فعل كبرائكم {كَالَّذِين خَرجُوا من دِيَارهمْ بطرا ورئاء النَّاس ويصدون عَن سَبِيل الله وَالله بِمَا يعْملُونَ مُحِيط} فَبِأَي ذَنْب تخرجُونَ من دينكُمْ فتستحلون الدَّم الْحَرَام وتصيبون المَال الْحَرَام فَلَو كَانَت ذنُوب أبي بكر وَعمر رضوَان الله عَنْهُمَا مخرجة رعيتهما من دينهم فقد كَانَ لأبي بكر وَعمر ذنُوب قد كَانَت آباؤكم فِي جَمَاعَتهمْ فَلم يخرجُوا فِيهَا بشوكتكم على الْجُنُود وَإِنَّمَا عدتكم بضعَة وَأَرْبَعُونَ رجلا أقسم بِالله لَو كُنْتُم أبكاري من أَوْلَادِي ورغبتم عَمَّا فرشنا للعامة فِيمَا ولينا لدفقت دماءكم أَبْتَغِي بذلك وَجه الله وَالدَّار الْآخِرَة فَإِنَّهُ يَقُول {تِلْكَ الدَّار الْآخِرَة نَجْعَلهَا للَّذين لَا يُرِيدُونَ علوا فِي الأَرْض وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَة لِلْمُتقين} فَهَذَا النصح إِن أَحْبَبْتُم وَإِن تستغشوني فقديما مَا استغش الناصحون وَالسَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته.

وهذا كتاب آخر من عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج

---

(١) في «سيرة عمر بن عبد العزيز» ص٧٥.

أخرج ابن عبد الحكم [١] بسندٍ حسن قال: كتب عمر بن عبد الْعَزِيز من عبد الله عمر أَمِير الْمُؤمنِينَ إِلَى هَذِه الْعِصَابَة أما بعد أوصيكم بتقوى الله فَإِنَّهُ {وَمن يتق الله يَجْعَل لَهُ مخرجا وَيَرْزقهُ من حَيْثُ لَا يحْتَسب وَمن يتوكل على الله فَهُوَ حَسبه إِن الله بَالغ أمره قد جعل الله لكل شَيْء قدرا} أما بعد فقد بَلغنِي كتابكُمْ وَالَّذِي كتبتم فِيهِ إِلَى يحيى بن يحيى وَسليمَان بن دَاوُد وقدوم صاحبيكم وَالَّذِي أَتَى إِلَيْهِمَا وَإِن الله تبَارك وَتَعَالَى يَقُول {وَمن أظلم مِمَّن افترى على الله الْكَذِب وَهُوَ يدعى إِلَى الْإِسْلَام وَالله لَا يهدي الْقَوْم الظَّالِمين} وَقَالَ {ادْع إِلَى سَبِيل رَبك بالحكمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة وجادلهم بِالَّتِي هِيَ أحسن إِن رَبك هُوَ أعلم بِمن ضل عَن سَبيله وَهُوَ أعلم بالمهتدين} وَقَالَ {فَلَا تهنوا وَتَدعُوا إِلَى السّلم وَأَنْتُم الأعلون وَالله مَعكُمْ وَلنْ يتركم أَعمالكُم} وَإِنِّي أدعوكم إِلَى الله وَإِلَى الْإِسْلَام وَإِقَامَة الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر إِن شَاءَ الله وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ وأدعوكم أَن تدعوا مَا كَانَت تهراق عَلَيْهِ الدِّمَاء قبل يومكم هَذَا فِي غير قُوَّة وَلَا تشنيع وأذكركم بِاللَّهِ أَن تشبهوا علينا كتاب الله وَسنة نبيه وَنحن ندعوكم إِلَيْهِمَا هَذِه نصيحة منا نصحنا لكم فِيهَا فَإِن تقبلوها فَذَلِك بغيتنا وَإِن تردوها على من جَاءَ بهَا فقديما مَا استغش الناصحون ثمَّ لم نر ذَلِك وضع شَيْئا من حق الله وَقد قَالَ العَبْد الصَّالح لِقَوْمِهِ {وَإِن تولّوا فَإِنِّي أَخَاف عَلَيْكُم عَذَاب يَوْم كَبِير} وَقَالَ الله عز وَجل {قل هَذِه سبيلي أَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة أَنا وَمن اتبعني وَسُبْحَان الله وَمَا أَنا من الْمُشْركين}.

مناظرة عمر بن عبد الْعَزِيز أَصْحَاب شَوْذَب الحروري

[١] في «سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ٨٠.

أخرج ابن عبد الحكم [١] بسندٍ حسن بعث عمر بن عبد الْعَزِيز مُحَمَّد بن الزبير الْحَنْظَلِي إِلَى شَوْذَب الحروري وَأَصْحَابه حِين خَرجُوا بالجزيرة قَالَ فَكتب مَعنا إِلَيْهِم كتابا فأتيناهم فأبلغناهم رسَالَته وَكتابه فبعثوا مَعنا رجلَيْنِ مِنْهُم أَحدهمَا من بني شَيبَان وَالْآخر فِي حبشية وَهُوَ أَسد الرجلَيْن حجَّة وَلِسَانًا فقدمنا بهما إِلَى عمر ابن عبد الْعَزِيز وَهُوَ بخناصرة فصعدنا إِلَيْهِ فِي غرفَة مَعَه فِيهَا ابْنه عبد الْملك وكاتبه مُزَاحم فأعلمناه مكانهما فَقَالَ ابحثوهما أَن لَا يكون مَعَهُمَا حَدِيدَة ثمَّ أدخلوهما فَفَعَلْنَا فَلَمَّا دخلا قَالَا السَّلَام عَلَيْكُم ثمَّ جلسا فَقَالَ لَهما عمر أخبراني مَا أخرجكما مخرجكما هَذَا وَأي شَيْء نقمتم علينا فَقَالَ الَّذِي فِي حبشية وَالله مَا نقمنا عَلَيْك فِي سيرتك فَإِنَّك لتجري الْعدْل وَالْإِحْسَان وَلَكِن بَيْننَا وَبَيْنك أَمر إِن أعطيتناه فَأَنت منا وَنحن مِنْك وَإِن منعتنا فلست منا ولسنا مِنْك قَالَ عمر وَمَا هُوَ قَالَ رَأَيْتُك خَالَفت أَعمال أهل بَيْتك وسلكت غير طريقهم وسميتها مظالم فَإِن زعمت أَنَّك على هدى وهم على ضلال فابرأ مِنْهُم والعنهم فَهُوَ الَّذِي يجمع بَيْننَا وَبَيْنك أَو يفرق قَالَ فَتكلم عمر عِنْد ذَلِك فَقَالَ إِنِّي قد عرفت أَو ظَنَنْت أَنكُمْ لم تخْرجُوا لطلب الدُّنْيَا وَلَكِنَّكُمْ أردتم الْآخِرَة فأخطأتم سَبِيلهَا وَأَنا سَائِلكُمْ عَن أَمر فبالله لتصدقاني عَنهُ فِيمَا بلغه علمكما قَالَا نَفْعل قَالَ أَرَأَيْتُم أَبَا بكر وَعمر أليسا من أسلافكم وَمِمَّنْ تتولون وتشهدون لَهما بالنجاة قَالَا بلَى فَقَالَ هَل تعلمُونَ أَن الْعَرَب ارْتَدَّت بعد رَسُول الله ﷺ فَقَاتلهُمْ أَبُو بكر فسفك الدِّمَاء وسبى الذَّرَارِي وَأخذ الْأَمْوَال قَالَا قد كَانَ ذَلِك قَالَ فَهَل تعلمان أَن عمر لما قَامَ بعده رد تِلْكَ السبايا إِلَى عَشَائِرهمْ قَالَ قد كَانَ ذَلِك قَالَ فَهَل برِئ أَبُو بكر من عمر أَو عمر من أبي بكر قَالَا لَا قَالَ فَهَل تبرأون من وَاحِد مِنْهُمَا قَالَا لَا قَالَ أخبراني عَن أهل النهروان أَلَيْسُوا من أسلافكم وَمِمَّنْ تتولون وتشهدون لَهُم بالنجاة قَالَا بلَى قَالَ فَهَل تعلمُونَ أَن أهل الْكُوفَة حِين

(١) في «سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ١١٤.

خَرجُوا إِلَيْهِم كفوا أَيْديهم فَلم يخيفوا آمنا وَلم يسفكوا دَمًا وَلم يَأْخُذُوا مَالا قَالَا قد كَانَ ذَلِك قَالَ فَهَل تعلمُونَ أَن أهل الْبَصْرَة حِين خَرجُوا إِلَيْهِم مَعَبد الله بن وهب الرَّاسِبِي استعرضوا النَّاس فَقَتَلُوهُمْ وعرضوا لعبد الله بن خباب صَاحب النَّبِي ﷺ فَقَتَلُوهُ وَقتلُوا جَارِيَته ثمَّ صبحوا حَيا من الْعَرَب يُقَال لَهُم بَنو قطيعة فاستعرضوهم فَقتلُوا الرِّجَال وَالنِّسَاء والولدان حَتَّى جعلُوا يلقون الْأَطْفَال قي قدور الأقط وَهِي تَفُور بهم قَالَا قد كَانَ ذَلِك قَالَ فَهَل برِئ أهل الْكُوفَة من أهل الْبَصْرَة أَو أهل الْبَصْرَة من أهل الْكُوفَة قَالَا لَا قَالَ فَهَل تبرأون من طَائِفَة مِنْهُمَا قَالَا لَا قَالَ عمر أخبراني أَرَأَيْتُم الدّين وَاحِدًا أم اثْنَيْنِ قَالَا بل وَاحِد قَالَ فَهَل يَسعكُمْ فِيهِ شَيْء يعجز عني قَالَا لَا قَالَ فَكيف وسعكم أَن توليتم أَبَا بكر وَعمر وَتَوَلَّى كل وَاحِد مِنْهُمَا صَاحبه وَقد اخْتلفت سيرتهما أم كَيفَ وسع أهل الْكُوفَة أَن توَلّوا أهل الْبَصْرَة وَأهل الْبَصْرَة أهل الْكُوفَة وَقد اخْتلفُوا وَكَيف وسعكم أَن توليتموهم جَمِيعًا وَقد اخْتلفُوا فِي أعظم الْأَشْيَاء فِي الدِّمَاء والفروج وَالْأَمْوَال وَلَا يسعني بزعمكما إِلَّا لعن أهل بَيْتِي والبراءة مِنْهُم فَإِن كَانَ لعن أهل الذُّنُوب فَرِيضَة مَفْرُوضَة لَا بُد مِنْهَا فَأَخْبرنِي عَنْك أَيهَا الْمُتَكَلّم مَتى عَهْدك بلعن أهل فرعون وَيُقَال بلعن هامان قَالَ مَا أذكر مَتى لعنته قَالَ وَيحك فيسعك ترك لعن فرعون وَلَا يسعني بزعمك إِلَّا لعن أهل بَيْتِي والبراءة مِنْهُم وَيحكم إِنَّكُم قوم جهال أردتم أمرا فأخطأتموه فَأَنْتم تقبلون من النَّاس مَا رد عَلَيْهِم رَسُول الله ﷺ وتردون عَلَيْهِم مَا قبل مِنْهُم ويأمن عنْدكُمْ من خَافَ عِنْده وَيخَاف عنْدكُمْ من أَمن عِنْده قَالَا مَا نَحن كَذَلِك قَالَ بلَى تقرون بذلك الْآن هَل علمْتُم أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بعث إِلَى النَّاس وهم عَبدة أوثان فَدَعَاهُمْ إِلَى أَن يخلعوا الْأَوْثَان وَأَن يشْهدُوا أَن لَا إِلَه إلاالله وَأَن مُحَمَّدًا رَسُول الله فَمن فعل ذَلِك حقن دَمه وَأمن عِنْده وَكَانَ أُسْوَة الْمُسلمين وَمن أَبى ذَلِك جاهده قَالَا بلَى قَالَ أفلستم أَنْتُم الْيَوْم تبرأون مِمَّن يخلع الْأَوْثَان وَمِمَّنْ يشْهد أَن لَا إِلَه إلاالله وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله وتلعنونه وتقتلونه وتستحلون دَمه وتلقون

من يَأْبَى ذَلِك من سَائِر الْأُمَم من الْيَهُود وَالنَّصَارَى فتحرمون دَمه ويأمن عنْدكُمْ فَقَالَ الَّذِي فِي حبشية مَا رَأَيْت حجَّة أبين وَلَا أقرب مأخذا من حجتك أما أَنا فَأشْهد أَنَّك على الْحق وأنني بَرِيء مِمَّن خالفك وَقَالَ للشيباني فَأَنت مَا تَقول قَالَ مَا أحسن مَا قلت وَأحسن مَا وصفت وَلَكِن أكره أَن افتات على الْمُسلمين بِأَمْر لَا أَدْرِي مَا حجتهم فِيهِ حَتَّى أرجع إِلَيْهِم فَلَعَلَّ عِنْدهم حجَّة لَا أعرفهَا قَالَ فَأَنت أعلم قَالَ فَأمر للحبشي بعطائه وَأقَام عِنْده خمس عشرَة لَيْلَة ثمَّ مَاتَ وَلحق الشَّيْبَانِيّ بقَوْمه فَقتل مَعَهم.

مناصحة عمر بن عبد العزيز لرجلين من الخوارج

أخرج ابن عبد الحكم[1] بسندٍ ثابت دخل رجلَانِ من الْخَوَارِج على عمر بن عبد الْعَزِيز فَقَالَا السَّلَام عَلَيْك يَا إِنْسَان فَقَالَ وعليكما السَّلَام يَا إنسانان قَالَا طَاعَة الله أَحَق مَا اتبعت قَالَ من جهل ذَلِك ضل قَالَا الْأَمْوَال لَا تكون دولة بَين الْأَغْنِيَاء قَالَ قد حرموها قَالَا مَال الله يقسم على أَهله قَالَ الله بَين فِي كِتَابه تَفْصِيل ذَلِك قَالَا تُقَام الصَّلَاة لوَقْتهَا قَالَ هُوَ من حَقّهَا قَالَا إِقَامَة الصُّفُوف فِي الصَّلَوَات قَالَ هُوَ من تَمام السّنة قَالَا إِنَّا بعثنَا إِلَيْك قَالَ بلغا وَلَا تهابا قَالَا ضع الْحق بَين النَّاس قَالَ الله أَمر بِهِ قبلكما قَالَا لَا حكم إِلَّا لله قَالَ كلمة حق إِن لم تَبْتَغُوا بهَا بَاطِلا قَالَا ائْتمن الْأُمَنَاء قَالَ هم أعواني قَالَا احذر الْخِيَانَة قَالَ السَّارِق مَحْذُور قَالَا فالخمر وَلحم الْخِنْزِير قَالَ أهل الشّرك أَحَق بِهِ قَالَا فَمن دخل فِي الْإِسْلَام فقد أَمن قَالَ لَوْلَا الْإِسْلَام مَا أمنا قَالَا أهل عهود رَسُول الله ﷺ قَالَ لَهُم عهودهم قَالَا لَا تكلفهم فَوق طاقتهم قَالَ {لَا يُكَلف الله نفسا إِلَّا وسعهَا} قَالَا خرب الْكَنَائِس قَالَ هِيَ من صَلَاح رعيتي قَالَا ذكرنَا بِالْقُرْآنِ قَالَ {وَاتَّقوا يَوْمًا ترجعون فِيهِ إِلَى الله} قَالَا تردنَا إِلَى من أرسلنَا

(١) في«سيرة عمر بن عبد العزيز»ص ١٤٧.

قَالَ مَا أحبسكما قَالَا فَمَا نقُول لإِخْوَانِنَا قَالَ مَا رَأَيْتُمَا وسمعتما قَالَا تردنَا على دَوَاب الْبَرِيد قَالَ لَا هُوَ من مَال الله لَا نطيبه لَكمَا قَالَا فَلَيْسَ مَعنا نَفَقَة قَالَ أَنْتُمَا إِذن ابْنا سَبِيل عَليّ نفقتكما.(١)

من مناصحات عمر بن عبد العزيز للحرورية بالعراق في زمنه

أخرج ابن زمنين وابن سعد وغيرهما بسندٍ حسن عن اِبْن أَبِي اَلزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَتْ حَرُورِيَّةٌ بِالْعِرَاقِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِالْعِرَاقِ مَعَ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ اَلْخَطَّابِ، فَكَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَأْمُرُنَا أَنْ نَدْعُوَهُمْ إِلَى اَلْعَمَلِ بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَلَمَّا أَعْذَرَ فِي دُعَائِهِمْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ قَاتِلَهُمْ فَإِنَّ الله وَلَهُ اَلْحَمْدُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ سَلَفًا يَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيْنَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الْحَمِيدِ جَيْشًا فَهَزَمَتْهُمْ الْحَرُورِيَّةُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي جَيْشٍ مِنْ أَهْلِ اَلشَّامِ وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي مَا فَعَلَ جَيْشُكَ اَلسُّوءَ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ فَخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَلَقِيَهُمْ مَسْلَمَةُ فَأَظْفَرَهُ اَلله عَلَيْهِمْ وَأَظْفَرَهُ بِهِمْ.(٢)

إنذار عمر ملك الرّوم ليرسل إِلَيْهِ رجلا من المُسلمين

وَمَا فعله ملك الرّوم حِين بلغه نعي عمر

أخرج ابن عبد الحكم بسندٍ ثابت أن عمر بن عبد الْعَزِيزأرْسل إِلَى صَاحب الرّوم رَسُولاً فَأَتَاهُ وَخرج من عِنْده يَدُور فَمر بِموضع فَسمع فِيهِ رجلا يقْرَأ الْقُرْآن ويطحن فَأَتَاهُ فَسلم عَلَيْهِ فَلم يرد عَلَيْهِ السَّلَام مرَّتَيْنِ أَو ثَلَاثًا ثمَّ سلم عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ

(١) وقد تعرَّضت لشرح شيء من ألفاظ الأثر في كتابي«مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم» ص١٥٤.

(٢) أخرجا ابن زمنين في«أصول السنة»(٢٤٢) وابن سعد في«طبقاته»(٥/ ٢٧٧) والبلاذري في «أنساب الأشراف»(٨/ ١٨٩) به.

وأنى بِالسَّلَام فِي هَذَا الْبَلَد فَأعلمهُ أَنه رَسُول عمر إِلَى صَاحب الرّوم فَقَالَ لَهُ مَا شَأْنك فَقَالَ إِنِّي أسرت من مَوضِع كذاوكذا فَأتي بِي إِلَى صَاحب الرّوم فَعرض عَليّ النَّصْرَانِيَّة فأبيت فَقَالَ لي إِن لم تفعل سملت عَيْنَيْك فاخترت ديني على بَصرِي فسمل عَيْني وصيرني إِلَى هَذَا الْموضع يُرْسل إِلَيّ كل يَوْم بحنطة فأطحنها وبخبزه فآكلها فَلَمَّا سَار الرَّسُول إِلَى عمر بن عبد الْعَزِيز فَأخْبرهُ خبر الرجل قَالَ فَمَا فرغت من الْخَبَر حَتَّى رَأَيْت دموع عمر قد بلت مَا بَين يَدَيْهِ ثمَّ أَمر فَكتب إِلَى صَاحب الرّوم أما بعد فقد بَلغنِي خبر فلَان بن فلَان فوصف لَهُ صفته وَأَنا أقسم بِالله لَئِن لم ترسله إِلَيّ لَأَبْعَثَن إِلَيْك من الْجُنُود جُنُودا يكون أَولهَا عنْدك وَآخرهمْ عِنْدِي فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُول قَالَ مَا أسْرع مَا رجعت فَدفع إِلَيْهِ كتاب عمر بن عبد الْعَزِيز فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ مَا كُنَّا لنحمل الرجل الصَّالح على هَذَا بل نبعث إِلَيْهِ بِهِ فأقمت أنْتَظر مَتى يخرج بِهِ فَأَتَيْته ذَات يَوْم فَإِذا هُوَ قَاعد قد نزل عَن سَرِيره أعرف فِيهِ الكآبة فَقَالَ تَدْرِيلما فعلت هَذَا فَقلت لَا وَقد أنْكرت مَا رَأَيْت فَقَالَ إِنَّه قد أَتَانِي من بعض أطرافي أَن الرجل الصَّالح قد مَاتَ فَلذَلِك فعلت مَا رَأَيْت ثمَّ قَالَ إِن الرجل الصَّالح إِذا كَانَ بَين الْقَوْم السوء لم يتْرك بَينهم إِلَّا قَلِيلا حَتَّى يخرج من بَين أظهرهم فَقلت لَهُ أتأذن لي أَن أنصرف وأيست من بَعثه الرجل معي فَقَالَ مَا كُنَّا لنجيته إِلَى مَا أَمر فِي حَيَاته ثمَّ نرْجِع فِيهِ بعد مماته فَأرْسل مَعَه بِالرجلِ.[1]

والمقصود أن زمن عمر بن عبد العزيز زمن رخاء وسعة لا سيما بداية من سنة المائة، وهو ما أرشد إليه النبي ﷺ.

فأخرج أحمد[2] بسندٍ صحيح عَنْ نُعَيْمِ بْنِ دِجَاجَةَ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلَ أَبُو مَسْعُودٍ

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في«سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ١٤٩.

(٢) في«المسند» (٧١٤). وأصل متنه في الصحيحين.

عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ: لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ؟ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ مِمَّنْ هُوَ حَيٌّ الْيَوْمَ**» والله إِنَّ رَخَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ.

وكان رحمه الله إماماً في الدعوة إلى الإيمان والسنن:

أخرج ابن أبي شيبة والبخاري معلقاً عن عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ فَرَائِضُ، وَشَرَائِعُ، وَحُدُودٌ، وَسُنَنٌ، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَنَا مِتُّ قَبْلَ ذَلِكَ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ »[1]

وفي رواية[2] عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: « سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ شَرَائِعُ وَسُنَنٌ وَحُدُودٌ، مَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فِيكُمْ أُبَيِّنْهَا لَكُمْ، حَتَّى تَعْمَلُوا بِهِ، أَوْ قَالَ: بِهَا إِنْ شَاءَ الله، وَإِنْ أَمُتْ، فَوَالله مَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ» .

وفي هذه السنة توفي سالم بن أبي الجعد ، وأَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِيُّ الأَوْسِيُّ الْمَدَنِيُّ، وَاسْمُهُ أَسْعَدُ.

وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ وَرَآهُ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في«الإيمان» (١٣٥) وعلقه البخاري وهو صحيح.

(٢) أخرجها الخلال في«السنة»(١١٦٢) .

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي أَبُو أُمَامَةَ وَكَانَ مِنْ عِلِّيَّةِ الأَنْصَارِ وَعُلَمَائِهِمْ وَمِنْ أَبْنَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا.

وفيها توفي أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ رضي الله عنه

وهوابْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو اللَّيْثِيُّ الْكِنَانِيُّ صَحَابِيٌّ وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَفَاةً بِالْإِجْمَاعِ(١).

وَكَانَ مِنْ أَنْصَارِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ شَهِدَ مَعَهُ حُرُوبَهُ كُلَّهَا لَكِنْ نَقِمَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ كَوْنَهُ كَانَ مَعَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ .

وقد أخرج الزبير بن بكار(٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ الْجُمَحِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَمْدَانِيُّ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ الْكِنَانِيُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَبَا الطُّفَيْلِ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَلَسْتَ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ؟ ، قَالَ: لا، وَلَكِنَّنِي مِمَّنْ حَضَرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ.

قَالَ: وَمَا مَنَعَكَ مِنْ نَصْرِهِ؟ قَالَ: لَمْ يَنْصُرْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ.

قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَمَا لَقَدْ كَانَ حَقُّهُ وَاجِبًا، وَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصُرُوهُ.

قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصْرِهِ، وَمَعَكَ أَهْلُ الشَّامِ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَمَا طَلَبِي بِدَمِهِ نُصْرَةٌ لَهُ؟ فَضَحِكَ الطُّفَيْلُ، وَقَالَ: أَنْتَ وَعُثْمَانُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

لا أَلْفَيَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي ... وَفِي حَيَاتِيَ مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي.

---

(١) حكاه ابن كثير في«البداية النهاية»(٩/ ٣٣٨).

(٢) في« الأخبار الموفقيات »(٧٧) ومن طريقه ابن عساكر في«تاريخه»(٢٦/ ١١٦)

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، مَا أَبْقَى الدَّهْرُ مِنْ ثَكْلِكَ عَلِيًّا ؟ قَالَ: ثَكْلُ الْعَجُوزِ الْمِقْلاتِ، وَالشَّيْخِ الرَّقُودِ.

قَالَ: كَيْفَ حُبُّكَ لَهُ؟ قَالَ: حُبُّ أُمِّ مُوسَى لِمُوسَى، وَإِلَى اللهِ أَشْكُو التَّقْصِيرَ».

ورجاله ثقات إلا أن عبد الرحمن الهمداني لم أستطع تحديده، فالله أعلم .

وفي هذه السنة توفي أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلٍّ الإِمَامُ، الحُجَّةُ، شَيْخُ الوَقْتِ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلٍّ - وَقِيْلَ: ابْنُ مَلِيٍّ - ابنِ عَمْرِو بنِ عَدِيٍّ البَصْرِيُّ.

مُخَضْرَمٌ، مُعَمَّرٌ، أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ وَالإِسْلاَمَ.

وَغَزَا فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ وَبَعْدَهَا غَزَوَاتٍ..

وَكَانَ أَبُو عُثْمَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا؛ يَسْرُدُ الصَّوْمَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ لَا يَتْرُكُهُ وَكَانَ يُصَلِّي حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ. وَحَجَّ سِتِّينَ مَرَّةً مَا بَيْنَ حِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ.

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ يَفْضُلُ عَلَى وَالِدِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالِانْقِطَاعِ عَنِ النَّاسِ، وَلَهُ كَلِمَاتٌ حِسَانٌ مَعَ أَبِيهِ وَوَعْظِهِ إِيَّاهُ.[1]

أخرج أبو نعيم [2]عَنْ جَعْوَنَةَ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، جَعَلَ عُمَرُ يُثْنِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ بَقِيَ كُنْتَ تَعْهَدُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلِمَ وَأَنْتَ تُثَنِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ زُيِّنَ فِي عَيْنِي مِنْهُ مَا زُيِّنَ فِي عَيْنِ الْوَالِدِ مِنْ وَلَدِهِ.

وأخرج الخلال[3]عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ،

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٣٣٩) .

(٢) في«الحلية»(٥/ ٢٦٧).

(٣) في«الأمر بالمعروف»ص ٢٦ وفي سنده من لم أعرفه.

قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَمْضِيَ لِمَا تُرِيدُهُ مِنَ الْعَدْلِ؟ فَوَاللهِ مَا كُنْتُ أُبَالِي لَوْ غَلَتْ بِي وَبِكَ الْقُدُورُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: «يَا بُنَيَّ، إِنِّي إِنَّمَا أُرَوِّضُ النَّاسَ رِيَاضَةَ الصَّعْبِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْيِيَ الْأَمْرَ مِنَ الْعَدْلِ، فَأُؤَخِّرُ ذَلِكَ حَتَّى أُخْرِجَ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا، فَيَنْفِرُوا مِنْ هَذِهِ، وَيَسْكُنُوا لِهَذِهِ». وفي سنده نظر.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَمِائَةٍ

فِيهَا كَانَ هَرَبُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ مِنَ السِّجْنِ حِينَ بَلَغَهُ مَرَضُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوَاعَدَ غِلْمَانِهِ يَلْقَوْنَهُ بِالْخَيْلِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ وَقِيلَ: بِإِبِلٍ لَهُ. ثُمَّ نَزَلَ مِنْ مَحْبَسِهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ وَامْرَأَتُهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْفُرَاتِ الْعَامِرِيَّةُ فَلَمَّا جَاءَهُ غِلْمَانُهُ رَكِبَ رَوَاحِلَهُ وَسَارَ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنِّي وَاللهِ مَا خَرَجْتُ مِنْ سِجْنِكَ إِلَّا حِينَ بَلَغَنِي مَرَضُكَ وَلَوْ رَجَوْتُ حَيَاتَكَ مَا خَرَجْتُ وَلَكِنِّي خَشِيتُ مِنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ؛ فَإِنَّهُ يَتَوَعَّدُنِي بِالْقَتْلِ. وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ: لَئِنْ وُلِّيتُ لَأَقْطَعَنَّ مِنْ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ طَائِفَةً. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِّيَ الْعِرَاقَ عَاقَبَ أَصْهَارَهُ آلَ أَبِي عَقِيلٍ، وَهُمْ بَيْتُ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُزَوَّجًا بِبِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ أَخِي الْحَجَّاجِ، وَلَهُ مِنْهَا ابْنُهُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْفَاسِقُ الْمَقْتُولُ.

وَلَمَّا بَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ هَرَبَ مِنَ السِّجْنِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ يُرِيدُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ سُوءًا فَاكْفِهِمْ شَرَّهُ، وَارْدُدْ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ.

ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْمَرَضُ يَتَزَايَدُ بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ بِخُنَاصِرَةَ مِنْ دَيْرِ سَمْعَانَ بَيْنَ حَمَاةَ وَحَلَبَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ. وَقِيلَ: فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ عَنْ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ.

ومن عدل عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما أشار إليه داود بن أبي هند:

أخرج ابن أبي خيثمة[١] بسندٍ حسن عَنْ دَاود بْنُ أَبِي هِنْدٍ؛ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنا عُمَرُ بْنُ عَبْد الْعَزِيْز مِن هَذَا الْبَابِ - يَعْنِي: بَابًا مِن أَبْوَابِ مسجدِ رسولِ اللهَّ عَلَيْهِ السَّلاَم، فَقَالَ رجلٌ: بَعَثَ إِلَيْنَا الفاسقُ بابنِهِ هَذَا يَتَعَلَّمُ الفرائضَ والسُّنَنَ، ويزعُمُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يكونَ خَلِيفَةً ويسيرُ بسيرةِ عُمَر بْنِ الْخَطَّاب؟!

فَقَالَ لَنَا دَاوُدُ: فَوَاللهَّ مَا مَاتَ حَتَّى رَأَيْنَا ذلكَ فِيهِ.

ولقد صلى أنس بن مالك رضي الله عنه خلفه وأثنى على صلاته

فأخرج أحمد[٢] بسندٍ حسن عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الظُّهْرَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ نَسْأَلُ عَنْهُ، وَكَانَ شَاكِيًا، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ سَلَّمْنَا قَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ» ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «يَا جَارِيَةُ هَلُمِّي لِي وَضُوءًا، مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ الله ﷺ، مِنْ إِمَامِكُمْ هَذَا» . قَالَ زَيْدٌ: وَكَانَ عُمَرُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَيُخَفِّفُ الْقُعُودَ وَالْقِيَامَ.

وكان ورِعاً متجهِّزاً للآخرة رحمه الله:

قال مالك[٣]: بلغني أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُزَاحِمُ، أَتَخْشَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتِ الْمَدِينَةُ ؟

وأخرج ابن عساكر[٤] من طريق أبي زرعة نا أبو مسهر نا سعيد بن عبد العزيز قال: سمع عمر بن عبد العزيز فاطمة بنت عبد الملك أو جاريتها وهي بين الباب والستر تقول: أراحنا الله منك. قال: آمين. فعجل.

---

(١) في «تاريخه» (٢/ ٨٩٣).

(٢) في «المسند» (١٣٣٥١)

(٣) ص ٨٨٩.

(٤) في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٤٨).

وأخرج البيهقي [١] بسندٍ صحيح إلى عَبْد الله بْن دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: يَا عَجَبًا يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ الدُّنْيَا لَنْ تَنْقَضِيَ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ آلِ عُمَرَ يَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِ عُمَرَ.

قَالَ: فَكَانُوا يَرَوْنَهُ بِلَالَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: وَكَانَ بِوَجْهِهِ أَثَرٌ، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ هُوَ، وَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأُمُّهُ ابْنَةُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

قَالَ وَلما ولي عمر بن عبد الْعَزِيز قَامَ النَّاس بَين يَدَيْهِ فَقَالَ يَا معشر النَّاس إِن تقوموا نقم وَإِن تقعدوا نقعد فَإِنَّمَا يقوم النَّاس لرب الْعَالمين إِن الله فرض فَرَائض وَسن سننا من أَخذ بهَا لحق وَمن تَركهَا محق وَمن أَرَادَ أَن يصحبنا فليصحبنا بِخمْس يُوصل إِلَيْنَا حَاجَة من لَا تصل إِلَيْنَا حَاجته ويدلنا من الْعدْل إِلَى مَا لَا نهتدي إِلَيْهِ وَيكون عونا لنا على الْحق وَيُؤَدِّي الْأَمَانَة إِلَيْنَا وَإِلَى النَّاس وَلَا يغتب عندنَا أحدا وَمن لم يفعل فَهُوَ فِي حرج من صحبتنا وَالدُّخُول علينا.[٢]

أخرج الفسوي وأبو نعيم [٣] بسندٍ صحيح عن عَبْد الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: «إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَهْدِيٌّ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

آخر خطبة له عمر بن عبد العزيز:

أخرج الفسوي وأبو نعيم [٤] بسندٍ صحيح عن يَعْقُوب بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ

---

(١) في«دلائل النبوة»(٦/ ٤٩٢).

(٢) «سيرة عمر بن عبد العزيز»لابن عبد الحكم ص ٣٩. وقد عزاها ابن كثير في«البداية والنهاية» (٩/ ٣٤٦-٣٤٧) قال:« وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَكَانَ أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا حَمِدَ الله وأثنى عليه..»

(٣) أخرجه الفسوي في«المعرفة » (١/ ٦١٣) وأبو نعيم في«الحلية» (٥/ ٢٥٤) .

(٤) «المعرفة والتاريخ»(١/ ٦١١-٦١٢) و«حلية الأولياء»(٥/ ٢٩٥).

أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذِهِ الْخُطْبَةَ وَكَانَ آخِرَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، حَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، وَلَمْ تَتْرُكُوا سُدًى، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللهُ فِيهِ لِيحْكُمَ بَيْنَكُمْ، وَيفْصِلَ بَيْنَكُمْ، وَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَحُرِمَ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذِرَ اللهَ الْيَوْمَ وَخَافَهُ، وَبَاعَ نَافِدًا بِبَاقٍ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ، وَسَتَصِيرُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ، وَكَذَلِكَ حَتَّى تُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ تُشَيِّعُونَ كُلَّ يَوْمٍ غَادِيًا وَرَائِحًا، قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، وَانْقَضَى أَجَلُهُ، حَتَّى تُغَيِّبُوهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ، فِي شِقِّ صَدْعٍ، ثُمَّ تَتْرُكُوهُ غَيْرَ مُمَهَّدٍ وَلَا مُوَسَّدٍ، فَارَقَ الْأَحْبَابَ، وَبَاشَرَ التُّرَابَ، وَوُجِّهَ لِلْحِسَابِ، مُرْتَهَنٌ بِمَا عَمِلَ، غَنِيٌّ عَمَّا تَرَكَ، فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ، فَاتَّقُوا اللهَ وَمُوَافَاتِهِ، وَحُلُولَ الْمَوْتِ بِكُمْ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِمَّا عِنْدِي، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُبَلِّغُنَا حَاجَتَهُ لَا يَسَعُ لَهُ مَا عِنْدَنَا إِلَّا تَمَنَّيْتُ أَنْ يَبْدَأَ بِي وَبِخَاصَّتِي، حَتَّى يَكُونَ عَيْشُنَا وَعَيْشُهُ وَاحِدًا، أَمَا وَاللهِ لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنْ غَضَارَةِ الْعَيْشِ لَكَانَ اللِّسَانُ بِهِ ذَلُولًا، وَكُنْتُ بِأَسْبَابِهِ عَالِمًا، وَلَكِنْ سَبَقَ مِنَ اللهِ كِتَابٌ نَاطِقٌ، وَسُنَّةٌ عَادِلَةٌ، دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيتِهِ، ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ».

وذِكر محاسنه وفضائله ومآثره على الاستقصاء يطول شرحه، وقد استوعب ذلك محرَّرًا الشيخ الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله - في «سيرة العُمَرَين».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ، وَأَحَدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ. وَذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي الْأَئِمَّةِ الِاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ جَاءَ فِيهِمُ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «**لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ**

مِنْ قُرَيْشٍ».[١]

وَقَدِ اجْتَهَدَ رَحِمَهُ الله فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ مَعَ قِصَرِهَا حَتَّى رَدَّ الْمَظَالِمَ، وَصَرَفَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَكَانَ مُنَادِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي: أَيْنَ الْغَارِمُونَ؟ أَيْنَ النَّاكِحُونَ؟ أَيْنَ الْمَسَاكِينُ؟ أَيْنَ الْيَتَامَى؟ حَتَّى أَغْنَى كُلًّا مِنْ هَؤُلَاءِ. وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ هُوَ أَوْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَفَضَّلَ بَعْضُهُمْ عُمَرَ لِسِيرَتِهِ وَمَعْدَلَتِهِ وَزُهْدِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَفَضَّلَ آخَرُونَ مُعَاوِيَةَ لِسَابِقَتِهِ وَصُحْبَتِهِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: لَيَوْمٌ شَهِدَهُ مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَيَّامِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ».[٢]

وقد أخرج أبو داود [٣] بسند صحيح عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِيمَا أَعْلَمُ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: « **إِنَّ الله يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**».

قال ابن كثير:« قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ جَدَّدَ الله بِهِ أَمْرَ الدِّينِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى، وَإِنْ كَانَ هُوَ أَوْلَى مَنْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ وَأَحَقَّ ؛ لِإِمَامَتِهِ، وَعُمُومِ وِلَايَتِهِ، وَاجْتِهَادِهِ وَقِيَامِهِ فِي تَنْفِيذِ الْحَقِّ، فَقَدْ كَانَتْ سِيرَتُهُ شَبِيهَةً بِسِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَشَبَّهُ بِهِ» .[٤]

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٢) .

(٢) من كلام الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٩/ ٣٤٩).

(٣) برقم (٣٢٩١) وقد علقت على شك علقمة في الرواية وما يتعلَّق كقول أَبُي دَاوُدَ: «رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ، لَمْ يَجُزْ بِهِ شَرَاحِيلَ ».في تحقيقي لكتاب«البداية والنهاية» (٩/ ٣٣٥).

(٤) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٥٥).

وقال[١] :« وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَحِمَهُ الله يُعْطِي مَنِ انْقَطَعَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، مِنْ بَلَدِهِ وَغَيْرِهَا، لِلْفِقْهِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فِي كُلِّ عَامٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مِائَةَ دِينَارٍ، وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَأْخُذُوا النَّاسَ بِالسُّنَّةِ، وَيَقُولَ: إِنْ لَمْ تُصْلِحْهُمُ السُّنَّةُ فَلَا أَصْلَحَهُمُ الله . وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ أَنْ لَا يَرْكَبَ ذِمِّيٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ عَلَى سَرْجٍ، وَلَا يَلْبَسُ قَبَاءً وَلَا طَيْلَسَانًا وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا يَمْشِيَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِزُنَّارٍ مِنْ جِلْدٍ، وَهُوَ مَقْرُونُ النَّاصِيَةِ، وَمَنْ وُجِدَ مِنْهُمْ فِي مَنْزِلِهِ سِلَاحٌ أُخِذَ مِنْهُ، وَكَتَبَ أَيْضًا أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَعْمَالِ إِلَّا أَهْلُ الْقُرْآنِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَهُ خَيْرٌ. وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ: اجْتَنِبُوا الْأَشْغَالَ عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَوَاتِ، فَإِنَّ مَنْ أَضَاعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَشَدُّ تَضْيِيعًا. وَقَدْ كَانَ يَكْتُبُ الْمَوْعِظَةَ إِلَى الْعَامِلِ مِنْ عُمَّالِهِ فَيَنْخَلِعُ بِهَا قَلْبُهُ، وَرُبَّمَا عَزَلَ بَعْضُهُمْ نَفْسَهُ عَنِ الْعِمَالَةِ مِنْ شِدَّةِ مَا تَقَعُ مَوْعِظَتُهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ الْوَاعِظِ دَخَلَتْ قَلْبَ الْمَوْعُوظِ. وَقَدْ صَرَّحَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِأَنَّ كُلَّ مَنِ اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثِقَةٌ » .

كان قمة في التواضع رحمه الله:

فأخرج الفسوي وابن عساكر[٢] بسندٍ صحيح عَنْ أَيُّوبَ قَالَ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَتَيْتَ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ قَضَى ينكثُ مَوْتًا دفنت في القبر الرابع مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فقال: والله لأن يعذبني الله بِكُلِّ عَذَابٍ، إِلَّا النَّارَ فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِي عَلَيْهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِنْ يَعْلَمِ الله مِنْ قَلْبِي أَنِّي لِذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَهْلٌ.

---

(١) المصدر السابق(٩/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه الفسوي في«المعرفة»(١/ ٦٠٨) وابن عساكر في«تاريخه»(٤٥/ ٢٥٣).

وأخرج ابن أبي الدنيا[١] من طريق عن لَيْث بْن أَبِي رُقَيَّةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: « لَمَّا كَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ: أَجْلِسُونِي. فَأَجْلَسُوهُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ، وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَأَحَدَّ النَّظَرَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرًا شَدِيدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: إِنِّي لَأَرَى حَضَرَةً، مَا هُمْ إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ. ثُمَّ قُبِضَ.

والحاصل:

أنه كان من الشخصيات الطيبة الفريدة علماً وورعاً وعدلاً وإنصافاً، خليفة راشد لم يُختلف عليه رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وكل شخصية بهذا المستوى على مدار التاريخ يُنسَج حَولها هالة منهم من يكذب له ويبالغ فيما يتعلَّق به من مدائح، وفي نفس الوقت تجد مجرمين من من مثل الخوارج وغيرهم من سفلة القوم لا يعجبهم هذا النوع من الناس فيحُطُّون عليه ويقدحون فيه، ويسخرون منه[٢] ويكذبون عليه، فشخصيَّته تحتاج إلى تنقيح المعتَدلين ليُبَيِّنوا ما للرجل وما عليه.

عُمْرُ عُمَرِ بنِ عبد العزيز يوم مات رحمه الله

أخرج ابن المقرئ[٣] بسندٍ حسن صَفْوَان بْن عَمْرٍو قَالَ: مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ

---

(١) في« المحتضرين »(٩٠) وفي إسناده نظر.

(٢) وقد تقدم في مناصحته رحمه الله لرجلين من الخوارج، وقد دخل رجلَانِ من الْخَوَارِج على عمر بن عبد الْعَزِيز فَقَالَا: السَّلَام عَلَيْك يَا إِنْسَان. فَقَالَ: وعليكما السَّلَام يَا إنسانان .

(٣) في«المعجم»(٨٨٥).

الْعَزِيزِ ابْنَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَشْهُرٍ لَمْ يَبْلُغْ أَرْبَعِينَ». (١)

خِلَافَةُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

بُويِعَ لَهُ بِعَهْدٍ مِنْ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ بَايَعَهُ النَّاسُ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ، وَعُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَعَزَلَ فِي رَمَضَانَ مِنْهَا عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ أَبَا بَكْرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، فَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، مُنَافَسَاتٌ وَضَغَائِنُ، حَتَّى آلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنِ اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ حُكُومَةً فَحَدَّهُ حَدَّيْنِ فِيهَا.

وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ، وَهُمْ أَصْحَابُ بِسِطَامٍ الْخَارِجِيِّ، وَبَيْنَ جُنْدِ الْكُوفَةِ وَكَانَتِ الْخَوَارِجُ جَمَاعَةً قَلِيلَةً، وَكَانَ جَيْشُ الْكُوفَةِ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَكَادَتِ الْخَوَارِجُ أَنْ تَكْسِرَهُمْ، فَتَذَامَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَطَحَنُوا الْخَوَارِجَ طَحْنًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُبْقُوا مِنْهُمْ ثَائِرًا.

وَفِيهَا خَرَجَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَخَلَعَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَذَلِكَ بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ طَوِيلَةٍ وَقِتَالٍ طَوِيلٍ، فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهَا بَسَطَ الْعَدْلَ فِي أَهْلِهَا، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ، وَحَبَسَ عَامِلَهَا عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ حَبَسَ آلَ الْمُهَلَّبِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْبَصْرَةِ، حِينَ هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ مَحْبَسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ، وَبَعَثَ نُوَّابَهُ فِي النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ، وَاسْتَنَابَ فِي الْأَهْوَازِ، وَأَرْسَلَ أَخَاهُ مُدْرِكَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى نِيَابَةِ خُرَاسَانَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ

---

(١) **وقد ذكر البلاذري في«أنساب الأشراف»(٨/ ٢٩٥)** معلقاً عن سفيان بن عيينة قال: قال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: مات عمر ابن تسع وثلاثين سنة، قلت: ابن تسع وثلاثين؟ قال: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ الله من فضله»

مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُهُ الْخَلِيفَةَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ جَهَّزَ ابْنَ أَخِيهِ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، مُقَدَّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمِّهِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ فِي جُنُودِ الشَّامِ قَاصِدِينَ الْبَصْرَةَ لِقِتَالِهِ، وَلَمَّا بَلَغَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ مَخْرَجُ الْجُيُوشِ قَاصِدَةً إِلَيْهِ، خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ وَاسِطًا، وَاسْتَشَارَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي مَاذَا يَعْتَمِدُهُ؟ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ فِي الرَّأْيِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ يَسِيرَ إِلَى الْأَهْوَازِ لِيَتَحَصَّنَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ فَقَالَ: إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُونِي طَائِرًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ. وَأَشَارَ عَلَيْهِ رِجَالُ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ فَيَنْزِلَهَا، وَيَتَحَصَّنَ بِأَجْوَدِ حِصْنٍ فِيهَا، وَيُبَعِّضَ عَلَيْهِ رِجَالَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ فَيُقَاتِلُ بِهِمْ أَهْلَ الشَّامِ.

وَانْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ نَازِلٌ بِوَاسِطٍ، وَجَيْشُ الشَّامِ قَاصِدُهُ. (١)

وفي هذه السنة توفي رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ، وَمُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ.

وَأَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ وَكَانَ عَابِدًا صَادِقًا ثَبْتًا.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وَمِائَةٍ

فِيهَا كَانَ اجْتِمَاعُ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَذَلِكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ رَكِبَ مِنْ وَاسِطٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنَهُ مُعَاوِيَةَ، وَسَارَ هُوَ فِي جَيْشٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَخُوهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَتَّى بَلَغَ مَكَانًا يُقَالُ لَهُ: الْعَقْرُ. وَانْتَهَى إِلَيْهِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي جُنُودٍ لَا قِبَلَ لِيَزِيدَ بِهَا، وَقَدِ الْتَقَتِ الْمُقَدَّمَتَانِ أَوَّلًا، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَهَزَمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَهْلَ الشَّامِ ثُمَّ تَذَامَرَ أَهْلُ الشَّامِ فَحَمَلُوا عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَشَفُوهُمْ، فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً مِنَ الشُّجْعَانِ

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٣٦١).

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مَسْلَمَةُ، وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ خَطَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ النَّاسَ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ يَعْنِي عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ وَكَانَ مَعَ يَزِيدَ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَعَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ،(١) وَعَلَى أَنْ لَا تَطَأَ الْجُنُودُ بِلَادَهُمْ، وَعَلَى أَنْ لَا تُعَادَ عَلَيْهِمْ سِيرَةُ الْفَاسِقِ الْحَجَّاجِ، وَمَنْ بَايَعَنَا عَلَى ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ، وَمَنْ خَالَفَنَا قَاتَلْنَاهُ.

قلت «محمد»: وقد هبَّ العلماء في زمانه للإنكار عليه، ووصفوه بأنه صاحب فتنة، وذموا من معه، كما سلف عن سلفهم من الصحابة فمن بعدهم لما أنكروا على الخارجين

فأخرج البلاذري (٢) بسندٍ صحيح عن شعبة عن الحسن أنه قال في فتنة يزيد بن

(١) سبحان الله هذا العدد الكثير شق عصا الطاعة وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم وعن التابعين رحمهم الله فيما تواتر عنهم، ولم يتعظوا بما مضى في آيام عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى قتلوه فكانت فرقة ، ثم خرجوا على عليت فكانت فرقة حتى قتل، ثم على معاوية رضي الله عنه ، ثم على يزيد ولده فكانت وقعة الحرة، وكان فيها من المآسي ما فيها، ثم في زمن عبد الرحمن ين الأشعث، ثم اليوم مع يزيد بن المهلَّب اليوم، ثم بعد، وما من خروج إلا ويجني الناس عقبه الحنظل، ولا يتعظ الحاضر بما حصل لغيره فيما مضي!

وذلك بسبب الانقطاع عن الماضي والنظر فيه بعين الاعتبار والعظة!

فيا لله ! كلما نسي الناس أو افتُعل لهم ما يُنسيهم، جدَّدُوا الفعل الذي يورثهم الذلَّ، والسعيد من وعظ بغيره والتعيس من وعظ بنفسه، فقد والله ظهر أقوام ماتت قلوبهم، وتاهت عقولهم، فلا يتعظون حتى بأنفسهم! والعلماء يدعونهم ويحذِّرونهم ولا مجيب كما سيأتي.فلله الأمر من قبل ومن بعد .

(٢) في«أنساب الأشراف»(٨/ ٣٠٩).

المهلب: كلما نعر لهم ناعر اتبعوه، هذا عدو الله ابن المهلب.

وأخرج عقبه بسندٍ حسن عن جويرية بن أسماء قال: ذكر ابن المهلب عند الحسن قال: فاسق قاتل الناس مع هؤلاء على غير هدى، ثم غضب غضبة، فعقد خِرقاً على قصب، ثم نعق بأعلاج وطغام فاتبعوه، فهو يزعم أنه يدعوهم إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسيره الخلفاء الراشدين، ألا وإن من سيرة الخلفاء الراشدين أن يوضع في رجله قيد ويرد إلى حبس عمر.[١]

وقد أورد الذهبي[٢] الأثر السالف قبل هذا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الهُذَلِيِّ: أَنَّ يَزِيْدَ بن المهلب قَالَ: أَدْعُوْكُم إِلَى سُنَّةِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ.

فَخَطَبَ الحَسَنُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اصْرَعْ يَزِيْدَ بنَ المُهَلَّبِ صَرْعَةً تَجْعَلُهُ نَكَالاً، يَا عَجَباً لِفَاسِقٍ غَيَّرَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، يَنْتَهِكُ المَحَارِمَ، يَأْكُلُ مَعَهُم مَا أَكَلُوا، وَيَقْتُلُ مَنْ قَتَلُوا، حَتَّى إِذَا مُنِعَ شَيْئاً، قَالَ: إِنِّي غَضْبَانُ فَاغْضَبُوا، فَنَصَبَ قَصَباً عَلَيْهَا خِرَقٌ، فَاتَّبَعَهُ رِجْرِجَةٌ وَرَعَاعٌ، يَقُوْلُ: أَطْلُبُ بِسُنَّةِ عُمَرَ، إِنَّ مِنْ سُنَّةِ عُمَرَ أَنْ تُوْضَعَ رِجْلاَهُ فِي القَيْدِ، ثُمَّ يُوْضَعَ حَيْثُ وَضَعَهُ عُمَرُ (٣) .

علَّق الذهبي عليه فقال:« قُلْتُ: قُتِلَ عَنْ تِسْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَلَقَدْ قَاتَلَ قِتَالاً عَظِيْماً، وَتَفَلَّلَتْ جُمُوْعُهُ، فَمَا زَالَ يَحْمِلُ بِنَفْسِهِ فِي الأُلُوْفِ لاَ لِجِهَادٍ، بَلْ شَجَاعَةً وَحَمِيَّةً، حَتَّى ذَاقَ حِمَامَهُ - نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ القِتْلَةِ الجَاهِلِيَّةِ -» .

وأخرج البلاذري[٣] بإسناد صحيح عن عمر بن يزيد قال: سمعت الحسن أيام ابن المهلب يقول: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا لم يلبثوا أن

---

(١) يعني عمر بن عبد العزيز رحمه الله، لكونه كان قد هرب منه.

(٢) في «السير»(٤/ ٥٠٦).

(٣) في«أنساب الأشراف»(٨/ ٣٠٩)

يفرج الله عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيكلهم الله إليه، فو الله ما جاء الجازع إلى السيف بيوم خير قط .

وقد علَّق الذهبي على قتله فقال:

«قُتِلَ عَنْ تِسْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَلَقَدْ قَاتَلَ قِتَالاً عَظِيْماً، وَتَفَلَّلَتْ جُمُوْعُهُ، فَمَا زَالَ يَحْمِلُ بِنَفْسِهِ فِي الأُلُوْفِ لاَ لِجِهَادٍ، بَلْ شَجَاعَةً وَحَمِيَّةً، حَتَّى ذَاقَ حِمَامَهُ- نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ القِتْلَةِ الجَاهِلِيَّةِ -.

بلوغ يزيد بن المهلب تثبيط الناس عنه

تقدم أن الحسن الْبَصْرِيَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْكَفِّ وَتَرْكِ الدُّخُولِ فِي الْفِتْنَةِ، وَيَنْهَاهُمْ أَشَدَّ النهى، وذلك لما وقع من القتال الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَمَا قتل بسبب ذَلِكَ مِنَ النُّفُوسِ الْعَدِيدَةِ، وَجَعَلَ الْحَسَنُ يَخْطُبُ الناس ويعظهم في ذلك، ويأمرهم بالكف، فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الملك بْنَ الْمُهَلَّبِ، فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَأَمَرَهُمْ بالجد والجهاد، والنفر إِلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ الضَّالَّ الْمُرَائِيَ- وَلَمْ يُسَمِّهِ-يُثَبِّطُ الناس، أَمَا وَالله لَيَكُفَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ، وَتَوَعَّدَ الْحَسَنَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنَ قَوْلُهُ قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا أَكْرَهُ أَنْ يُكْرِمَنِي الله بِهَوَانِهِ، فَسَلَّمَهُ الله مِنْهُ حَتَّى زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ.(١)

وذكروا مبارزات كانت بين الفريقين انتهت بقتل يزيد بن المهلب، وهزيمة من كان معه من جيش يزيد بن عبد الملك بقيادة أخيه مسلمة هزيمة ساحقة.

وولَّى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة العراق وخراسان .

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ: عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيُّ

---

(١) «البداية والنهاية»(٩/ ٣٦٣).

وهو نَائِبُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْبَصْرَةِ وَهُوَ الَّذِي قَبَضَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَبَعَثَ بِهِ مُقَيَّدًا إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِسَجْنِهِ، فَلَمَّا مَرِضَ عُمَرُ هَرَبَ مِنَ السِّجْنِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ ظَهَرَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَنَصَبَ رَايَاتٍ سُودًا، وَطَلَبَ الْبَصْرَةَ وَمَلَكَهَا، وَجَرَتْ لَهُ فُصُولٌ قَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ جَرِيرٍ ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ أَبِيهِ أَخْرَجَ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ هَذَا مِنَ الْحَبْسِ وَقَتَلَهُ، وَقَتَلَ مَعَهُ جَمَاعَةً نَحْوَ ثَلَاثِينَ إِنْسَانًا.

وفي هذه السنة توفي أيضاً يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ

وكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ، وَلَهُ فُتُوحَاتٌ كَثِيرَةٌ،وَكَانَ جَوَادًا مُمَدَّحًا، لَهُ أَخْبَارٌ فِي الْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَآخِرُ أَمْرِهِ أَنَّهُ قُتِلَ، وَقُتِلَ مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَوْلَادِهِ جَمَاعَةٌ، وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُ وَنِسَاؤُهُ وَأَوْلَادُهُ، وَزَالَ مَا كَانَ فِيهِ، وَقَدْ كَانُوا نَحْوَ ثَمَانِينَ نَفْسًا آلَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَقَدْ جَمَعُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ، فَمَا أَفَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا بَلْ سُلِبُوا ذَلِكَ جَمِيعَهُ.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ وَالسَّادَةِ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْهِلَالِيُّ

وهو إمام ثقة إمام مفسر، قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ:« خُذُوا التَّفْسِيرَ عَنْ أَرْبَعَةٍ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ ».(١)

وفيها توفي أبو المتوكل علي بن داود الناجي تلميذ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ

فِيهَا عَزَلَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ – وَهُوَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ – سَعِيدًا الْمُلَقَّبُ خُذَيْنَةَ، عَنْ نِيَابَةِ خُرَاسَانَ وَوَلَّى عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ، بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ سَعِيدٌ هَذَا

(١) أخرجه أبو نعيم في«الحلية»(٣/ ٣٢٨) وغيره بسندٍ يحسن إن شاء الله.

مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ، انْزَعَجَ لَهُ التُّرْكُ، وَخَافُوهُ خَوْفًا شَدِيدًا، وَتَقَهْقَرُوا مِنْ بِلَادِ الصُّغْدِ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ وَغَيْرِهَا.

وَفِيهَا جَمَعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بَيْنَ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَإِمْرَةِ مَكَّةَ، وَوَلَّى عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ عَبْدِ اللهِ النَّضْرِيَّ نِيَابَةَ الطَّائِفِ.

وفي هذه السنة توفي عطاء بن يسار الهلالي، ومجاهد بن جبر أبو الحجاج ومنزلته من ابن عباس وأخذه عنه وعرضه القرآن عليه مشهور.

وتوفي أيضاً فيها مُصْعَبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

وهو تَابِعِيٌّ ثِقَةٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ.

ومُوسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيُّ كَانَ يُلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ لِصَلَاحِهِ، وكَانَ تَابِعِيًّا جَلِيلَ الْقَدْرِ، مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ

فِيهَا قَاتَلَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْحَرَشِيُّ نَائِبُ خُرَاسَانَ أَهْلَ الصُّغْدِ، وَحَاصَرَ أَهْلَ خُجَنْدَةَ، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَخَذَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَسَرَ رَقِيقًا كَثِيرًا جِدًّا، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْعِرَاقِ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِذْ لَمْ يَكْتُبْ إِلَيْهِ فَيَكْتُبَ هُوَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَلَّاهُ.

وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ الْحَرَمَيْنِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّهُ خَطَبَ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ، فَامْتَنَعَتْ مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ، فَأَلَحَّ عَلَيْهَا وَتَوَعَّدَهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى يَزِيدَ تَشْكُوهُ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّضْرِيِّ نَائِبِ الطَّائِفِ، فَوَلَّاهُ الْمَدِينَةَ، وَأَنْ يَضْرِبَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الضَّحَّاكِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى فِرَاشِهِ بِدِمَشْقَ وَأَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ رَكِبَ إِلَى دِمَشْقَ فَاسْتَجَارَ بِمَسْلَمَةَ

بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَدَخَلَ عَلَى أَخِيهِ فَقَالَ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقَالَ:

كُلُّ حَاجَةٍ تَقُولُهَا فَهِيَ لَكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ ابْنَ الضَّحَّاكِ. فَقَالَ: هُوَ وَاللهِ حَاجَتِي. فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَقْبَلُهَا وَلَا أَعْفُو عَنْهُ. فَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَتَسَلَّمَهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَضَرَبَهُ وَأَخَذَ مَالَهُ حَتَّى تَرَكَهُ فِي جُبَّةِ صُوفٍ، فَسَأَلَ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ قَدْ بَاشَرَ نِيَابَةَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا، وَكَانَ الزُّهْرِيُّ قَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ سَدِيدٍ؛ وَهُوَ أَنْ يَسْأَلَ الْعُلَمَاءَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرٌ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَلَمْ يَفْعَلْ، فَأَبْغَضَهُ النَّاسُ، وَذَمَّهُ الشُّعَرَاءُ، ثُمَّ كَانَ هَذَا آخِرَ أَمْرِهِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وُلِدَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ الْمُلَقَّبُ بِالسَّفَّاحِ أَوَّلُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَقَدْ بَايَعَ أَبَاهُ فِي الْبَاطِنِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي هذه السنة مِنَ الْأَعْيَانِ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانِ الْكَلَاعِيُّ رحمه الله.

وَعَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، ثِقَةٌ مَشْهُورٌ.

وَفيها توفي عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ رحمه الله .

وفيها توفي وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رحمه الله.

وقد تَوَلَّى قَضَاءَ الْكُوفَةِ قَبْلَ الشَّعْبِيِّ؛ فَإِنَّ الشَّعْبِيَّ تَوَلَّى فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَأَمَّا أَبُو بُرْدَةَ فَإِنَّهُ كَانَ قَاضِيًا فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ، ثُمَّ عَزَلَهُ الْحَجَّاجُ وَوَلَّى أَخَاهُ أَبَا بَكْرٍ وَكَانَ أَبُو بُرْدَةَ فَقِيهًا حَافِظًا عَالِمًا، لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ. (١)

وفيها توفي أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ رحمه الله .

---

(١) على ما ذكر ابن كثير في«تاريخه »(١٠/ ٣) والله أعلم.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَمِائَةٍ

وَفِيهَا لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْهَا تُوُفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِأَرْبَدَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَعُمْرُهُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ.(١)

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ ابْنِ جَابِرٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ مَكْحُولٍ إِذْ أَقْبَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَهَمَمْنَا أَنْ نُوَسِّعَ لَهُ، فَقَالَ مَكْحُولٌ: دَعُوهُ يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، يَتَعَلَّمُ التَّوَاضُعَ.(٢)

وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ هَذَا يُكْثِرُ مِنْ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ، فَلَمَّا وَلِيَ عَزَمَ أَنْ يَتَأَسَّى بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَمَا تَرَكَهُ قُرَنَاءُ السُّوءِ، وَحَسَّنُوا لَهُ الظُّلْمَ، كَمَا قَالَ حَرْمَلَةُ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: لَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: سِيرُوا بِسِيرَةِ عُمَرَ. فَمَكَثَ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَأُتِيَ بِأَرْبَعِينَ شَيْخًا، فَشَهِدُوا لَهُ أَنَّهُ مَا عَلَى الْخُلَفَاءِ مِنْ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.(٣)

وقد ورد عن سَالِمِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: سَلامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لا أُرَانِي إِلا لِمَا بِي وَلا أَرَى الأَمْرَ إِلا سَيُفْضِي إِلَيْكَ. وَاللهِ اللهَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ فَتَدَعُ الدُّنْيَا لِمَنْ لا يَحْمَدُكَ وَتُفْضِي إِلَى مَنْ لا يَعْذُرُكَ. وَالسَّلامُ عَلَيْكَ.(٤)

قال ابن كثير(٥) :وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَشَهْرًا عَلَى الْمَشْهُورِ، وَقِيلَ: أَقَلُّ

---

(١) حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية»(١٠/ ٥).

(٢) أخرجه ابن عساكر في«تاريخه»(٦٥/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه من هذا الطريق ابن عساكر (٦٥/ ٦٠٤)، فالله أعلم .

(٤) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٥/ ٣١٧) بسند فيه نظر.

(٥) «البداية والنهاية»(١٠/ ٧).

مِنْ ذَلِكَ. وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: خَمْسًا - وَقِيلَ: سِتًّا. وَقِيلَ: ثَمَانِيًا. وَقِيلَ: تِسْعًا - وَثَلَاثِينَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ. فَالله أَعْلَمُ.

خِلَافَةُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنِي سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ - وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَأَشْهَرٌ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ لَمَّا قَتَلَ أَبُوهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، فَسَمَّاهُ مَنْصُورًا تَفَاؤُلًا، ثُمَّ قَدِمَ فَوَجَدَ أُمَّهُ قَدْ أَسْمَتْهُ بِاسْمِ أَبِيهَا هِشَامٍ فَأَقَرَّهُ.

وفي هذه السنة توفي: أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِمْ. قَالَ عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ: مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ: فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ عَشَرَةٌ. فَذَكَرَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ أَحَدَهُمْ وَخَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَسَالِمَ بْنِ عَبْدِ الله، وَسَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ، وَعُبَيْدَ الله بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ، وَعُرْوَةَ، وَالْقَاسِمَ، وَقَبِيصَةَ بْنَ ذُؤَيْبٍ، وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وفيها توفي أبو رجاء العطاردي. (١)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَمِائَةٍ

فَفِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ عَبْدِ الله النَّضْرِيَّ.

وتوفي في هذه السنة :سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى الله عن أبيه وجده أحد الفقهاء والأئمة المعروفين.

---

(١) المصدر السالف.

وفيها: توفي طاووس بن كيسان اليماني التابعي من أكبر تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَمِائَةٍ

قال ابن كثير : فِيهَا خَرَجَ بِالْيَمَنِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبَّادٌ الرُّعَيْنِيُّ. فَدَعَا إِلَى مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ، وَاتَّبَعَهُ فِرْقَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَحَكَمُوا، فَقَاتَلَهُمْ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ، وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ. وَلله الْحَمْدُ.

والمقصود: عَبَّادُ الرُّعَيْنِيُّ الحَرُورِيُّ قُتِلَ في أَصْحَابِهِ باليَمَنِ وَهُم ثَلَاثُمائَةَ، قَتَلَهُم يُوسُفُ بنُ [عُمَرَ] ، وَهُو وَالِي هِشَامٍ عَلَى اليَمَنِ.(١)

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَحَدُ التَّابِعِينَ.

وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ،

أَحَدُ التَّابِعِينَ، وَالْمُفَسِّرِينَ الْمُكْثِرِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَالرَّحَّالِينَ الْجَوَّالِينَ.

وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ. وكان أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ.

وَكُثَيِّرُ عَزَّةَ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، وَهُوَ كُثَيِّرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ، أَبُو صَخْرٍ الْخُزَاعِيُّ الْحِجَازِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي جُمُعَةَ وَعَزَّةُ هَذِهِ - الْمَشْهُورُ بِهَا الْمَنْسُوبُ إِلَيْهَا، لِتَغَزُّلِهِ فِيهَا - هِيَ أُمُّ عَمْرٍو عَزَّةُ - بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ - بِنْتُ جَمِيلِ بْنِ حَفْصٍ مِنْ بَنِي حَاجِبِ بْنِ غِفَارٍ وَإِنَّمَا صُغِّرَ اسْمُهُ فَقِيلَ: كُثَيِّرٌ. لِأَنَّهُ كَانَ دَمِيمَ الْخَلْقِ

---

(١) وهذا مصدق قوله ﷺ فيما رواه ابن ماجة(١٧٤) بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ» وصحح إسناده البوصيري.

قَصِيرًا، طُولُهُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ.[١] فالله أعلم.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمانٍ وَمِائَةٍ

فِيهَا افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَفَتَحَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِصْنًا مِنْ حُصُونِ الرُّومِ أَيْضًا. وَفِيهَا غَزَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ خُرَاسَانَ فَكَسَرَ الْأَتْرَاكَ كَسْرَةً فَاضِحَةً...

وَفِيهَا: تُوُفِّيَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ. وَرَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ الْمُقْرَائِيُّ الْحِمْصِيُّ. وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ فِي قَوْلٍ. وَأَبُو نَضْرَةَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَالِكٍ ...

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَمِائَةٍ

فِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْدَمَ إِلَى الْحَجِّ، فَأَقْبَلَ مِنْهَا فِي رَمَضَانَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى خُرَاسَانَ الْحَكَمَ بْنَ عَوَانَةَ الْكَلْبِيَّ، وَاسْتَنَابَ هِشَامٌ عَلَى خُرَاسَانَ أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ الله السُّلَمِيَّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَاتِبَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ الله الْقَسْرِيَّ وَكَانَ أَشْرَسُ فَاضِلًا خَيِّرًا، وَكَانَ يُسَمَّى الْكَامِلَ لِذَلِكَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الْمُرَابِطَةَ بِخُرَاسَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ دِثَارٍ الْبَاهِلِيَّ وَتَوَلَّى هُوَ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا، فَفَرِحَ بِهِ أَهْلُهَا.[٢]

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

فِيهَا قَاتَلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَلِكَ التُّرْكِ الْأَعْظَمَ خَاقَانَ فِي جُمُوعٍ عَظِيمَةٍ، فَتَوَاقَفُوا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ، ثُمَّ هَزَمَ اللهُ خَاقَانَ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، وَرَجَعَ مَسْلَمَةُ سَالِمًا غَانِمًا، فَسَلَكَ عَلَى مَسْلَكِ ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي رُجُوعِهِ إِلَى الشَّامِ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْغَزْوَةُ

---

(١) قاله ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(١٠/ ٩).

(٢) على ما ذكره تابن كثير في«البداية والنهاية»(١٠/ ١٤- ١٥).

غُزَاةُ الطِّينِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَلَكُوا عَلَى مَغَارِقَ وَمَوَاضِعَ غَرَقٍ فِيهَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ، وَتَوَحَّلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَمَا نَجَوْا حَتَّى قَاسَوْا شَدَائِدَ وَأَهْوَالًا صِعَابًا وَشِدَادًا عِظَامًا.

وَفِيهَا دَعَا أَشْرَسُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ السُّلَمِيُّ نَائِبُ خُرَاسَانَ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِسَمَرْقَنْدَ وَمَنْ وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، عَلَى أَنْ يَضَعَ عَنْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَسْلَمُوا غَالِبُهُمْ، ثُمَّ طَالَبَهُمْ بِالْجِزْيَةِ، فَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ وَقَاتَلُوهُ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التُّرْكِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ، أَطَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بَسْطَهَا وَشَرْحَهَا فَوْقَ الْحَاجَةِ.

وَفِيهَا أَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامٌ، عُبَيْدَةَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ مُتَوَلِّيًا عَلَيْهَا، فَلَمَّا وَصَلَ جَهَّزَ ابْنَهُ وَأَخَاهُ فِي جَيْشٍ، فَالْتَقَوْا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرُوا بِطْرِيقَهُمْ، وَانْهَزَمَ بِاقِيهِمْ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَفِيهَا فَتَحَ مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ حِصْنَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَغَنِمَ غَنَائِمَ جَمَّةً.

وَأَسَرُوا بِطْرِيقَهُمْ، وَانْهَزَمَ بِاقِيهِمْ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَفِيهَا فَتَحَ مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ حِصْنَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَغَنِمَ غَنَائِمَ جَمَّةً. (١)

وفي هذه السنة توفي جماعة من الكبار المشهورين منهم :

وَاسْمُهُ يَسَارٌ، أَبُو سَعِيدٍ الْبَصْرِيُّ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَيُقَالُ: مَوْلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَأُمُّهُ خَيْرَةُ مُوَلَّاةُ أُمِّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَرُبَّمَا أَرْسَلَتْهَا فِي الْحَاجَةِ فَتَشْتَغِلُ عَنْ وَلَدِهَا الْحَسَنِ وَهُوَ رَضِيعٌ، فَتُشَاغِلُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِثَدْيِهَا، فَيَدُرُّ عَلَيْهِ فَيَرْتَضِعُ مِنْهَا، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَالْعُلُومَ الَّتِي أُوتِيَهَا الْحَسَنُ مِنْ بَرَكَةِ تِلْكَ الرَّضَاعَةِ مِنَ الثَّدْيِ الْمَنْسُوبِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ كَانَ وَهُوَ صَغِيرٌ تُخْرِجُهُ أُمُّهُ

(١) «البداية والنهاية»(١٠/ ١٥).

إِلَى الصَّحَابَةِ فَيَدْعُونَ لَهُ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ يَدْعُو لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ. فالله أعلم.

وفيها توفي الإمام محمد بن سيرين رحمه الله ،وهو إمام مشهور معروف تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه وغييره من الصحابة رضي الله عنهم .

وفيها توفي وهب بن منبه الإمام رحمه الله أخو همام بن منبه تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ

فِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى، وَغَزَا سَعِيدُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى، حَتَّى بَلَغَ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ.

وَفِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ الله السُّلَمِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ وَوَلَّى عَلَيْهَا الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ وَوَلَّى الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ الْحَكَمِيَّ إِرْمِينِيَّةَ.

وَفِيهَا قَصَدَتِ التُّرْكُ بِلَادَ أَذْرَبِيجَانَ فَلَقِيَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو فَهَزَمَهُمْ، وَلَمَّا وَصَلَ الْجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى خُرَاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا، تَلَقَّتْهُ خُيُولُ الْأَتْرَاكِ مُنْهَزِمِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ، فَتَصَافُّوا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَطَمِعُوا فِيهِ وَفِيمَنْ مَعَهُ لِقِلَّتِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَمَعَهُمْ مِلْكُهُمْ خَاقَانُ، فَكَادَ الْجُنَيْدُ أَنْ يَهْلَكَ، ثُمَّ أَظْفَرَهُ الله بِهِمْ، فَهَزَمَهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَأَسَرَ ابْنَ أَخِي مَلِكِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ وَهُوَ أَمِيرُ الْحَرَمَيْنِ وَالطَّائِفِ، وَأَمِيرُ الْعِرَاقِ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ.

وختاماً أسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا إلى أن ينفع في العاجل والآجل، وأن يجيرنا من الكذب.

هذا وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. والحمد لله أولاً وآخرا.

الفهرس

مقدمة ٣

توضيح الألباني حقيقة مهمة ١٠

وقد سبقه إليها المعلمي اليماني فقال: ١١

السنة الحادية عشرة للهجرة للنبوية ١٤

إجماع من يعتدُّ به على بيعة أبي بكر الصديق بما فيهم علي بن أبي طالب ١٦

تجميع عمر قلوب الناس على أبي بكر رضي الله عنهما ١٧

فشو الكذب على علي بن أبي طالب أنه كان الوصي بعد رسول الله ١٨

إنكار عليٍّ رضي الله عنه على من يفضله على أبي بكر ونعته بالمفتري ١٩

دليل آخر أن علياً بايع أبا بكر الصديق مع من بايع الناس أول الأمر ١٩

سبب تأخر علي والزبير رضي الله عنهما عن وقت بيعة الناس العامة ٢٠

تلخيصُ ما تقدَّم ٢٣

إرضاء أبي بكر فاطمةَ رضي الله عنهما وتطييب خاطرها ٢٦
ردَّة جماعة من المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ ٢٧
مناقشة عمر لأبي بكر في قتال مانعي الزكاة ٢٨
تنفيذ أبي بكر جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه ٢٩
ظهور الأسود العنسي المتنبئ الكذاب الكاهن ٣١
قتل فيروز الديلمي رضي الله عنه الأسودَ العنسيّ ٣٣
ظهور مسيلمة الكذاب الذي كان قد قدم على رسول الله ﷺ ٣٣
وقد تبع مسيلمة الكذاب خلقٌ كثيرٌ على هذا الضُّلال. ٣٤
مقتل مسيلمة بن حبيب الحنفي اليمامي الكذاب لعنه الله ٣٤
مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٣٦
استخلاف أبي بكر الصديق عمرَ من بعده ٣٦
نعم الخَلف عمر لأبي بكر رضي الله عنهما ٣٨
وبدأت خلافة عمر بن الخطاب ٣٨
عزل عمر بن الخطاب خالدَ بن الوليد رضي الله عنهما ٣٩
السنة الرابعة عشرة للهجرة النبوية ٤٠
موقعة القادسية ٤١
توجيه عمر الناس في هذه الغزوة ٤٢
عدد المسلمين وما كان بين المسلمين والمشركين في هذه المعركة ٤٢
من المواقف العجيبة التي حصلت في هذه الموقعة ٤٥
قصة أبي محجن الثقفي ٤٥

مبارزة كانت يوم القادسية ٤٦
تبليغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمن قتل في وقعة نهاوند ٤٦
توسعة الله على الناس في زمن عمر ٤٧
موقف عمر بن الخطاب مع ولده عبد الله بن عمر ٤٧
وقعة اليرموك ٤٩
بعض ما كان في هذه الموقعة من الأحداث ٤٩
موقف لأسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها ٥١
إرسال عمر النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه إلى أصبهان ٥٢
فتح بيت المقدس ووقوع طاعون عمواس وما كان فيه ٥٤
وَقْعَةُ جَلُولَاءَ ٥٤
عمرت في الطريق إلى فتح بيت المقدس ٥٦
موقف لعمر بن الخطاب مع أبي عبيدة رضي الله عنهما وهم بالطريق ٥٦
وهذا موقف آخر ٥٨
موقف آخر ٥٨
وقوع الوباء والناس مع أمير المؤمنين إلى الشام سنة ثمان عشرة ٥٩
وقعة غريبة وهي رَميُ المغيرةِ بنِ شُعبةَ رضي الله عنه بالزنى ٦٠
خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية ٦٢
عام الرمادة وشدة الحاجة بالناس ٦٣
وما كان من عمر رضي الله عنه ٦٣

استسقاءُ عمر رضي الله عنه بالعباس عمِّ النبي ﷺ ٦٤
خبر غريب عزى إلى هذا الزمان زمن القحط ٦٤
فَتْحُ تُسْتَرَ، المَرَّةُ الْأُولَى صُلْحًا ٦٥
أحداث يوم فتح تستر ٦٥
موقفٌ غريبٌ ٦٧
فتح تكريت من أرض العراق سنة تسع عشر ٦٨
وفي نفس السنة أرَّخ خليفة بن خياط خبر أسر عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، ولكن لم أقف لها على سند ثابت. ٦٩
فتح مصر سنة عشرين من الهجرة ٧٠
ومما لا يصح في فضل مصر ٧١
فمنه تُرويجُ رواية عن نيل مصر غير صحيحة على شهرتها ٧٣
ومما ورد في فتح الإسكندرية ٧٤
ثم دخلت السنة العشرون للهجرة النبوية ٧٦
وفي هذه السنة من الأحداث ٧٧
ما كان في سنة إحدى وعشرين للهجرة ٧٨
ذكر بعض من توفي في هذه السنة (سنة إحدى وعشرين) ٨٠
وقد كان شجاعاً مقداماً رضي الله عنه ٨٠
وفاته رضي الله عنه ٨١
دخلت سنة ثنتين وعشرين للهجرة النبوية ٨٢
أواخر خلافة عمر ت ٨٤

دعاء عمر رضي الله عنه بالشهادة في سبيل الله ٨٦
والموت في المدينة المنورة ٨٦
رؤيا عمر قبل موته بالبشارة بالشهادة ٨٨
مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما تبع ذلك حتى تأمَّر عثمان رضي الله عنه ٩٢
أواخر ما قال عمر بعد طعنه رضي الله عنه ٩٥
سِنُّه يوم مات رضي الله عنه ٩٥
مجموع زوجاته وأولاده الذين تُوفِّيَ عنهن ٩٥
ذكر من مات في هذه السنة ٩٦
ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ ٩٧
سبب عدم تعيين عمر رضي الله عنه لواحد بعينه من الستة أصحاب الشورى ١٠٢
سبب عدم إدخاله سعيد بن زيد رضي الله عنه ١٠٣
وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة في أصحاب الشورى ١٠٣
مسير ابن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة لجمع قلوب الناس على عثمان رضي الله عنه ١٠٤
ردُّ فرية عن عثمان رضي الله عنه ١٠٤
أول حكومة حكم فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٠٥
ثم دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ، إلى سنة سبعٍ وعشرين ١٠٧
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ١٠٨
قصة غريبة لأبي الدرداءت ١٠٩
ثم دخلت سنة تسع وعشرين ١١٢

توسعة عثمانت للمسجد النبوي ١١٣
دخلت سنة ثلاثين من الهجرة النبوية ١١٤
خروج أبي ذر رضي الله عنه وقصده أمير المؤمنين عثمانت ١١٧
ما حصل لأبي ذر رضي الله عنه لما خرج من عند الأمير ١١٧
وفي هذه السنة سنة ثلاثين ١١٨
ثم دخلت سنةُ إحدى وثلاثين ١٢٠
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ١٢١
ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وثلاثين للهجرة ١٢٣
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين للهجرة ١٢٤
ثم دخلت سنةُ خمسٍ وعشرينَ ١٢٧
بداية اشتدادِ التأليبِ على عثمان وعيبه على الملأِ والنيل منه رضي الله عنه ١٢٧
الْحَرَكَةُ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ تواَوَّلُ الْوُثُوبِ عَلَيْهِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِ ١٢٨
قطعهم عليه الخطبة- قبَّحهم الله- وهو يخطب ١٢٨
ثم دخلت سنةُ خمسٍ وثلاثين- والتي فيها مقتلُ عثمانُ رضي الله عنه ١٢٩
موقف عبد الله بن سلامت ١٢٩
موقف جَهجَاه- قبَّحهُ اللهُ- ١٣٠
انتصاب الصحابة رضي الله عنهم للدفاع عن عثمان رضي الله عنه ١٣٠
١- موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه في الدفاع عن عثمان ١٣٠
٢- دفاع عثمان رضي الله عنه عن نفسه ١٣١

٣- عبد الله بن سلام رضي الله عنه ١٣١

٤- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ١٣٢

٥- موقف الحسن بن علي رضي الله عنه ١٣٣

٦- وهذا موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٣٣

٧- إنكار جابر بن عبد الله ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما على الخارجي المحتج بالقرآن. ١٣٤

وهذا يدل على أن عثمان رضي الله عنه كان يبعث البعوث لمناصحة الخوارج، ولكن دون جدوى، والله المستعان.

..... ١٣٤

٨- موقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ١٣٤

٨- موقف أم المؤمنين صفية رضي الله عنها ١٣٥

٩- وموقف أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها ذكرته في غير هذا الموطن. ١٣٥

ترويج الخوارج وكذبهم على عائشة رضي الله عنها ١٣٥

ترويجُهُم الكذبَ على عليِّ بن أبي طالبت. ١٣٦

شهادة الأفاضل لعثمان رضي الله عنه ١٣٧

تهديدهم لعثمان رضي الله عنه بالقتل ١٣٧

لقاء من لقاءات الخوارج مع عثمان رضي الله عنه ١٣٨

سبب امتناع عثمان رضي الله عنه عن مطاوعة الخوارج في خلع نفسه من الإمارة ١٤٥

وضوح الحق من كونه مع عثمان ت ١٤٧

سبب منع عثمان رضي الله عنه من حمل السلاح للدفاع عنه. ١٤٨

إشاعة أن محمد بن أبي بكر الصديق قتل عثمان رضي الله عنه أو أساء إليه. ١٥٠

الوارد في قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ١٥٣
مدَّة حصارهم لعثمان وتحديد الأيام التي قتل فيها وبعض ما حصل فيها ١٥٥
فراسة حذيفة ت بشأن عثمان رضي الله عنه وقتلته ١٥٧
وقتل عثمان رضي الله عنه والله المستعان ١٥٧
أول معرفة على بن أبي طالب رضي الله عنه بقتله: ١٥٧
أول معرفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بقتله ١٥٨
نهب الخوارج مال عثمانت بعدما قتلوه- قبَّحهم الله- ١٥٨
قول عليٍّ وعائشة رضي الله عنهما ١٥٩
وهذا حذيفة رضي الله عنه ١٦٠
وهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه ١٦١
وقوع ما حذَّر منه أصحاب الفراساتي من الفُرقة ١٦١
ودارت رحى الإسلام كما قال النبيﷺ ١٦٥
كيفية مقتله ١٦٦
الاستنكار على من كان يتكلَّم في حق عثمان رضي الله عنه ١٦٧
والظاهر أن بعض الأفاضل كانوا يأخذون على عثمان مآخذ، وبعضهم يود أن يخلع نفسه، وبعضهم كان ينهى عن ذلك ١٦٨
دفن عثمانت ١٦٩
كَيْفَ وَقَعَ قَتْلُ عُثْمَانَ تبِالْمَدِينَةِ وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ت؟ ١٧١
وقد كان حسن السيرة في الرعيَّة ينظر في مصالحهات ١٧٤
خِلَافَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ١٧٥

ذِكْرُ بَيْعَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بالخلافة ١٧٦
ثُمَّ دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة ١٨٠
وفي هذه السنة توفي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ١٨٠
سبب النزاع والخلاف بين طائفة علي وطائفة معاوية رضي الله عنهما ١٨٠
من احتجاجات معاوية فى عدم مبايعته لعلي رضي الله عنه ١٨١
وقد اعتزل هذه الفتن كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم ١٨٣
عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الطريق إلى البصرة ١٨٦
إرسال على بن أبي طالب رضي الله عنه لاستفزاز أهل الكوفة وغيرهم للقتال ١٨٧
نهي الحسن بن علي رضي الله عنه والده عن الذهاب والقتال ١٨٨
موقف أخيه محمد بن على بن أبي طلب ابن الحنفية مع أبيه ١٨٨
ذِكْرُ مَسِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ١٨٨
مِنْ المدينة إلى البصرة (العراق) ١٨٨
ندم الزبير بن العوام رضي الله عنه على قتاله ومشاركته تلك ١٩١
رؤيا عائشة رضي الله عنها بشأن موقعة الجمل ١٩٢
لقد كان أصحاب الفراسات كحذيفة رضي الله عنه يوضِّحُون الحق الواضح لهم ١٩٣
اشتداد القتال حول الجَمل وسُقوط القتلى من الفريقين ١٩٤
موقف عظيم لعمران بن حصين ت يوم الجمل ١٩٦
قتل طلحة بن عبيد الله الصحابي المبشَّر بالجنة رضي الله عنه ١٩٧
تأول مروان في قتله لطلحة رضي الله عنه ١٩٨

معاتبة ابن عباس لعلي وابن الزبير رضي الله عنهم ٢٠١
بيان سلامة نيَّة الزُّبَير وعائشة وطلحة رضي الله عنه في هذه المواقف ٢٠١
وصيَّة الزبير رضي الله عنه إلى ولده عبد الله بن الزبير وما جرى فيها ٢٠٤
عُذْرُ بَعْضِ الصحابة لبعضهم رضي الله عنهم ٢٠٩
وَخُلاَصَةُ حُكْم سبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ عمَا قَالَهُ شيخُ الإسْلاَمِ ٢١٣
سكون القتال بين الطائفتين ٢١٤
إرجاع عائشة رضي الله عنها إلى المدينة ٢١٦
موقفها مع الأشتر النخعي وهي راجعه من وقعة الجمل ٢١٦
الأشتر هذا هو الذي تفرَّس فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ صغره! ٢١٦
قِلَّةٌ من حضر هذه الوقعة من الصحابة رضي الله عنه ٢١٦
ذكر من قتل في هذه الموقعة ٢١٨
فِي ذِكْرِ وَقْعَةِ صِفِّينَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ ٢١٩
أحداث سنة سبع وثلاثين للهجرة ٢٢١
إنصاف عائشة رضي الله عنه فيمن قتله ٢٢٣
احتدام القتال وكثرة القتلى بين الفريقين والله المستعان ٢٢٤
موقف عمار بن ياسر في القتال ومنزلته ٢٢٥
وهو في صفوف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٢٥
موقف عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه من الفريقين ٢٢٦
محاولة الفريقين للإصلاح ٢٢٦

تلهُّف عمار بن ياسر رضي الله عنه للموت بعدما رأى ما رأى ٢٢٨
قَتلُ عمار بن ياسر رضي الله عنه ٢٢٩
قاتل عمار رضي الله عنه ٢٣١
قصة رفع المصاحف وتحكيم كتاب الله ٢٣٣
قِصَّةُ التَّحْكِيمِ ٢٣٤
ذِكْرُ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ وبعض ما كان في وصفهم ٢٣٦
عدد الخوارج الذين مرقوا على عليٍّ رضي الله عنه وماذا صنعوا ٢٣٨
ومناظرات الصحابة رضي الله عنه لهم ٢٣٨
سياق آخر في إرسال في نصح عدد من الأفاضل للخوارج ينصحونهم ٢٤١
اعتزال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أمر التحكيم وغيره ٢٤٣
كلام أبي موسى حين تفرَّق الحكمان ٢٤٨
تسلل الناس بالليل إلى معاوية رضي الله عنه ٢٤٨
عدم معاجلة علي رضي الله عنه للخوارج بالقتل ٢٥٠
مناظرة ابن عباس رضي الله عنه الكبرى للخوارج ٢٥٢
فعل الخوارج مع عبد الله بن خباب بن الأرت رضي الله عنه ٢٥٤
ذِكْرُ مَسِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه إِلَى الْخَوَارِجِ ٢٥٤
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أخبر الناس بهم ٢٥٧
سجود عليٍّ رضي الله عنه لما رأى العلامة في الخوارج ٢٥٨
إشارة النبي ﷺ بمدح عليٍّ رضي الله عنه لقتاله الخوارج ٢٥٨

ذكر بعض من توفي في هذه السنة من الأعيان ٢٥٩

عدد قتلى المسلمين يوم صفين ٢٦١

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وثلاثين ٢٦١

ذكر من توفي في هذه السنة ٢٦٣

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ٢٦٤

ثم دخلت سَنَةُ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ٢٦٥

قصه إرسال معاوية بُسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز وهروب عبيد الله بن العباس، وقتل ولديه، فوسوست أمهما. ٢٦٥

ذِكْرُ مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ٢٧٠

صِفَةُ مَقْتَلِ عليٍّ رضي الله عنه ٢٧٣

سياقٌ آخر لرواية في ضربِ علي رضي الله عنه وانتقال الخبر ٢٧٧

مدح الخوارج لقاتل عليت ابن ملجم- قبَّحه الله – ٢٧٨

فراسة محمد بن الحنفية ابن علي في ابن ملجم لا رحمه الله ٢٧٩

مكان دفن علي رضي الله عنه ٢٧٩

ذكر سنِّ أمير المؤمنين ٢٨٠

سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية ٢٨١

إثبات أن الحسن بن علي ت آخر الخلفاء الراشدين ٢٨٢

بعد تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية رضي الله عنهما ٢٨٣

من معارضته رضي الله عنه لمن أنكر عليه ٢٨٥

أيام معاوية بن أبي سفيانت وَمُلْكِهِ ٢٨٦

تزكية مُلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ٢٨٧
ثُمَّ دَخَلَتْ سُنَّةُ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ٢٩٣
ثم دخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ٢٩٣
وممن توفي في هذه السنة من الأعيان : ٢٩٤
عمرو بن العاص، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما. ٢٩٤
ثم دخلت سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ ٢٩٨
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ٣٠٣
ثم دخلت سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ..... ٣٠٤
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ ٣٠٥
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِين..... ٣٠٥
وصيته رضي الله عنه ودفنه..... ٣٠٧
ومن فقهه العالي رضي الله عنه ٣٠٧
وقد رأى رؤيا قبل وفاته رضي الله عنه ٣١٠
مقتل الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما بالسُّم..... ٣١٠
وصيته رضي الله عنه بمكان دفنه..... ٣١١
الوارد في تعيين من وضع السُّمَّ للحسن رضي الله عنه ٣١٢
ثُمَّ دَخَلتْ سَنَةُ خَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ٣١٣
ثم دخلت سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ..... ٣١٤
استشارة معاوية لأهل العلم والفضل ٣١٦
في قتل حجر بن عدي وأصحابه ٣١٦

قتل حجر بن عدي بن الأدبر ٣١٩

حُجَة معاوية ت في قتلهم مع ندمه بعد رضي الله عنه ٣٢٠

حزن بعض الصحابة رضي الله عنهم وبعض التابعين على قتل حجر بن عدي ٣٢٢

ثُمَّ دَخَلَتْ سُنَّةُ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ ٣٢٨

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ٣٣٥

وفيها توفيت سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ الْقُرَشِيَّةُ الْعَامِرِيَّةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَب. ٣٣٧

ثمَّ دخلت سنةُ خمسٍ وَخمسينَ ٣٣٨

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ ٣٣٩

وقد أرخ خليفة بن خياط وفاة جويرية بنت الحارث المصطلقية أم المؤمنين ب. ٣٤٠

توطيد معاوية تالبيعة من بعده لولده يزيد ٣٤٠

وما كان في ذلك من الأحداث أول فعل معاوية رضي الله عنه في ذلك ٣٤٠

استقرارُ أمرِ مُعاوية ت على أن يكون الأمرُ بعده لابنه يزيدَ رضي الله عنه ٣٤١

محاولةُ أخذِ البَيعةِ من الكبارِ ليزيد ٣٤٥

رأي الثلاثة: عبد الرحمن بن أبي بكر ٣٤٥

وعبد الله بن الزبير وابن عمر في استخلاف يزيد ٣٤٥

إشاعة غريبة عجيبة ٣٤٧

ثم دخلت سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ ٣٤٩

ثم دخلت سنةُ ثمانٍ وخمسين ٣٥٠

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ٣٥٣

تنبيه على خبر بشأنه رضي الله عنه لا يثبت: ٣٥٤

دخلت سنة ستين من الهجرة النَّبوِّية ٣٥٧

بعض ما كان في هذه السنة من الأحداث ٣٥٩

وصية معاويةت رضي الله عنه ٣٦٠

وفاة معاوية رضي الله عنه ٣٦١

بشارة هند بنت عتبة رضي الله عنه ٣٦٢

تلخيص حياةِ معاوية رضي الله عنه في الإمارات ٣٦٥

حلم معاوية توعلاقته الطيبةُ بالحسين رضي الله عنه ٣٦٨

من أواخر ما قال معاوية تقبل موته ٣٦٩

إمارة يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ ٣٧١

من الحوادث والفتن ٣٧١

بلوغ الخبر ابن عمر بتأمير يزيد بن معاوية وقوله ٣٧١

تصحيح ٣٧٢

حقيقة ما حصل أول ما تَولَّى يزيد بن معاوية ٣٧٣

سبب دعوى البعض خروج عبد الله بن الزبير على يزيد ٣٧٤

تصحيح ٣٧٦

قِصَّةُ الحسين بن علي وسبب خروجه ٣٧٨

من مكة وكيفية مقتله ٣٧٨

الوارد في فرح بعض الصحابة بخروج الحسين تإلى العراق ٣٨٧

من الأدلة على أن الحسين لم يكن ذاهباً لقتال أصلاً، ولا لخروج على حاكم، ولا سعياً في فتن تروق فيها الدماء، كما هو لازم كلام الجهال ٣٨٨

كراهية الحسين ت للفتن والبلايا ٣٩٣
الوارد عن الحسينت آخر ما قال ٣٩٣
كلام شيخ الإسلام في براءة يزيد بن معاوية من دم الحسين ٣٩٥
ثم دخلت سنة إحدى وستين ٣٩٧
تفصيل مقتله رضي الله عنه ٣٩٧
عدد من قتل مع الحسين رضي الله عنه ٤٠١
ما حدث بعد قتله رضي الله عنه ٤٠٢
الوارد عن النبي ﷺ أنه أخبر بقتل الحسين في تربة معيَّنة ٤٠٣
رؤيا ابن عباس رضي الله عنه فيها حزن النبي ﷺ على قتل ولده ٤٠٤
نُوَاحُ الجنِّ على الحُسَين رضي الله عنه ٤٠٤
مبالغات الشيعة في عاشوراء قتل الحسين رضي الله عنه ٤٠٥
مكان قبر الحسين رضي الله عنه ٤٠٦
تصحيح مفهوم خاطئ أن مكان قبر الحسين في مصر ٤٠٦
أما رأسه رضي الله عنه ٤٠٩
حزنُ الصحابةِ وتبكيتهم أهل بلدٍ قُتل الحسينت فيهم ٤٠٩
ذكر بعض من تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٤١٠
وممن توفي في هذه السنة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ٤١١
أخو عثمان لأمه ت ٤١١
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وستين ٤١٢

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ٤١٤
سرد بعض ما جاء في حرمة المدينة وحرمة أهلها، وبالله التوفيق ٤١٦
استدلال من يلعن يزيد بن معاوية ٤١٨
وضع الأخبار في الطعن على يزيد بن معاوية ٤١٨
عدّ ابن كثير عبد الله بن حنظلة من الصحابة رضي الله عنه ٤٢١
تبرئة عبد الله بن زيد الصحابتمشاركته يوم الحَرَّة ٤٢٣
مبايعة ابن حنظلة كان يبايع الناس على الموت ٤٢٣
تحذير الصحابة ي من الخروج على يزيد وخلعه ٤٢٣
نخبة مما صح سنده مما ورد في ذلك ٤٢٣
* عبد الله بن عمر رضي الله عنه ٤٢٣
موقف يسير- ويقال أسير- بن جابر تحين استُخلف يزيد ٤٢٥
* وأيضاً من النساء زينب بنت أم سلمة ربيبة النبي ﷺ ٤٢٨
تحرك جيش الشام بتوجيه يزيد بن معاوية وبقيادة مسلم بن عقبة المرِّي إلى المدينة ٤٢٨
من المفاسد التي حصلت بالمدينة من جرَّاء خلع يزيد بن معاوية ٤٣٠
وقوعُ الغلاءِ وقلَّة الأقوات واشتدَّ الأمرُ ٤٣٠
ودخلت سنة أربع وستين ٤٣١
فكُّ الحصار عن عبد الله بن الزبيرتوانشقاق الخوارج عنه ٤٣٢
موقفهم المخزي كالعادة المستمرة فيهم ٤٣٢
نبذه عن يزيد بن معاوية صاحب الإمارة من سنة ٦٠ إلى ٦٤ هـ ٤٣٤
كانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر ٤٣٤

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية أبي ليلى ٤٣٩

إمارة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ٤٤٠

ندم عبد الملك على هدم الكعبة حين بلغه حجة عبد الله بن الزبير ٤٥٠

دخلت سنة خمس وستين ٤٥١

سبب عدم مبايعة بعض الصحابة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه ٤٥٣

مع اعترافهم بفضله ٤٥٣

ومما ورد في ترجمة مروان بن الحكم ٤٥٦

المدة التي تأمَّر فيها مروان على البلاد التي تغلب عليها ٤٥٧

الأحاديث التى وردت في شأن لعن مروان ٤٥٨

خِلَافَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ٤٥٩

دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ ٤٦١

كلام أسماء بنت أبي بكرب للمختار الثقفي الكذاب ٤٦٢

مقدار إفساد المختار وشيعته كثيراً في الناس ٤٦٣

كذبه على أهل الفضل كمحمد بن الحنفية أنه أيَّده ٤٦٣

بيان أن المختار بجيشه تتبَّع قتلة الحسين يقتلهم رجلاً رجلاً ٤٦٣

قتل خَوْلِيّ بْنَ يَزِيد الْأَصْبَحِيَّ الَّذِي احْتَزَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ٤٦٤

قتل عمرَ بن سعد بن أبي قاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين وغيرهم ٤٦٤

خوض المختار لا رحمه الله في دماء المسلمين يمينا وشمالاً، وتبعه على آرائه الفاسدة، وضلاله السافر عدد من سذَّج المسلمين، الذين هم في كل زمان وقود الفتن ٤٦٤

بناء عبدِ الملِك بنِ مَروان القبة على صخرة بيت المقدس ٤٦٤

لعن النبي ﷺ الحكم وما ولد ٤٦٥
بيان أنه قد رواه عن النبي ﷺ غير عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ٤٦٦
تصحيحُ مفهومٍ ودفعُ إشكالٍ ٤٦٦
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ ٤٦٩
قول الشعر في ذمِّ عبيد الله بن زياد ، عامَله الله بما يستحق. ٤٧٠
حادثة بعد موت ابن زياد جزاءً وفاقاً بما فعل في رأس الحسين رضي الله عنه ٤٧٠
شيء من ترجمة عبيد الله بن زياد ٤٧١
من سوء أدبه مع الصحابة لا جزاه الله خيرا- فيا ويحه-! ٤٧٢
ذكر أمر المُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ ومقتله عَلَى يَدَيْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ٤٧٤
أول أمر المختار بن أبي عبيد ٤٧٤
أول إظهاره الكذب أنه يوحى إليه ٤٧٤
تودُّد المختار إلى ابن عمر رضي الله عنه وابن عباست بالهدايا ليكسب وودَّهما فيكسب بهما ٤٧٦
تهيئه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أخاه مصعب بن الزبيروتوليته البصرة لقتل المختار ٤٧٧
مقتل المختار فِي شَهْر رمضان سنة تسع وستين. ٤٧٨
بعد مقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي ٤٧٩
موت الأحنف بن قيس بالكوفة وصلاة مصعب بن الزبير عليه ٤٨٠
دَخَلَتْ سُنَّةُ ثمان وستين ٤٨٠
موقف محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رحمه الله بعد موت ابن عباس ٤٨٤
دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ٤٨٥
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ٤٩٠

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٤٩١
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ٤٩٢
ومن العجائب ٤٩٣
وصول خبر مقتل مصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير ٤٩٤
دَخَلَتْ سُنَّةُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ ٤٩٨
دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ٥٠٢
ملخص الحال في هذه الأيام ٥٠٣
دعوةُ ابن الزبير ومن معه ابنَ عمر لبيعة ابن الزبير رضي الله عنه ٥٠٤
نهي ابن عباس عن المشاركة في هذا القتال والدخول في معترك هذه الفتن ٥٠٦
بل كان ابن عباس كغيره ينهى عن سبِّ الحجاج نفسه ٥٠٧
مدَّة حصار الحجاج لابن الزبير ٥٠٧
حَجَّ الحجاج بن يوسف بالناس في هذه السنة ٥٠٨
وأمر عبد الملك الحجاج بالاقتداء بابن عمر ٥٠٨
تعيير أهل الشام لعبد الله بن الزبير بأمه ٥٠٨
قذف أهل الشام الكعبة بالمنجنيق وتحريق الكعبة ٥٠٩
المدة التي استمر فيها القتال بين عبد الله بن الزبير ٥٠٩
وبين بني أمية ٥٠٩
موقف ابن عمر في مدَّة الحصار ٥١٠
آخر دخول ابن الزبير على أمه وقتله ٥١١
ما دار بشأن عبد الله بن الزبير بين أسماء بنت أبي بكر والحجاج بن يوسف ٥١١

سياق آخر لمناقشة الحجاج لأسماء ٥١٢
ما كان بعد صلب عبد الله بن الزبير ٥١٤
وبلوغ كلمة ابن عمر للحجاج وإنزاله من على جزعه ٥١٤
كلمة عبد الله بن عمر لعبد الله بن الزبير لما مر عليه وهو مصلوب. ٥١٤
حزُّ رأس عبد الله بن الزبير والتمثيل بجثَّته ٥٢١
تغسيله ودفنه ومَن تولَّى ذلك ٥٢٢
ذهاب أسماء إلى ولدها عبد الله بن الزبير وهو مصلوب ٥٢٢
قول ابن عمر مواساة لها ٥٢٢
تمزُّق أعضائه أثناء التغسيل ٥٢٣
دفنه ٥٢٣
شيء من تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الله بْنِ الزبير ٥٢٣
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أربع وسبعين ٥٢٩
تغيير الحجاج ما عدَّله عبد الله بن الزبير تمن بناء الكعبة المشرفة ٥٣٠
مرض موته وما جاء في سبب ذلك ٥٣٣
من أواخر ما قال ابن عمر قبل موته ٥٣٤
وكان زاهداً في المناصب والإمارات ٥٣٥
ما كان يشارك في الفتن ويعتزل الخلافات ٥٣٥
ومن مناقب بشر بن مروان أن عمارة بن رؤيبة ت عَنَّفه فاحتمله لفضله ٥٣٨
ثمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خمس وسبعين ٥٣٩
وما وقفت عليه بسندٍ في هذا الباب: ٥٤٠

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ٥٤٤
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ٥٤٨
ثُمَّ دَخَلَتْ سنة ثمان وسبعين ٥٥٠
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ ٥٥٤
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّة ٥٥٨
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ ٥٦٢
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ ٥٦٦
من خطة عبد الرحمن بن الأشعث في تجميع الناس ٥٧٠
وموقف الحسن البصري ٥٧٠
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وثمانين ٥٧٣
هروب سعيد بن جبير بعد هزيمة ابن الأشعث ٥٧٤
وقد اختفاء سعيد فطال اختفاؤه من بعد سنة ٨٢ هـ حتى ظفر به الحجاج ٥٧٥
موقف الشعبي من الحجاج والقول بأنه أُتي به مقيَّداً ٥٧٥
ظهور الحجاج عَلَى ابْن الأشعث ٥٧٨
الرواية بظفر الحجاج بالشعبي وحال سند الخبر بذلك ٥٧٨
وفاة طَارِق بْن شِهَابِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَحْمَسِيُّ ٥٧٩
وفاه عُبَيْد الله بْن عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ ٥٧٩
وفاة عَبْد الله بْن قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ كَانَ قَاضِي الْمَدِينَةِ، وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ٥٧٩
وفاة مَرْثَد بْن عَبْدِ الله أَبُو الْخَيْرِ، الْيَزَنِيُّ ٥٧٩
فقد جَمَاعَة مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ٥٨٠

ندم جميع من خرج في فتنة ابن الأشعث ٥٨٠
دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ٥٨٢
وفاة عتبة بن منذر السلمي صحابى جليل وكان يعد في أهل الصفة ٥٨٢
وفاة عِمْرَان بْن حِطَّانَ الْخَارِجِيُّ ٥٨٢
قول ابن كثير في استنكاره واستغرابه من خروج ابن الأشعث على عبدالملك بن مروان وهو من صلب قريش،
وقد بايع له الصحابة رضي الله عنهم واستتب الأمر له ٥٨٥
وفاة أيوب بن الْقِرِّيَّةِ ٥٨٥
ومن أقواله الحسان رضي الله عنه ٥٨٦
وفاة رَوْح بن زنباع وكان عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَالْوَزِيرِ ٥٨٦
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ٥٨٦
عَزَل الْحَجَّاج عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَخَاهُ الْمُفَضَّلَ ابْنَ الْمُهَلَّبِ ٥٨٦
موت عبد العزيز بن مروان أخي أمير المؤمنين عبد الملك ٥٨٧
بَيْعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ ثمَّ مِنْ بعده لولده سليمان ٥٨٩
وفاة أَبَان بْن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، وكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الْعَشَرَةِ، ٥٩٠
وفاة عبد الله بن عامر بن ربيعة ٥٩٠
وفاة واثلة بن الأسقعت وهو آخر من توفي من الصحابة بدمشق. ٥٩٠
وفاة خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ وكَانَ أَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِفُنُونِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ خَالِدٌ فَصِيحًا بَلِيغًا شَاعِرًا ٥٩٠
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وثماني سنة الطاعون ٥٩١
هلاك مَلِك الروم الأخرم لورى لَا رَحِمَهُ الله ٥٩١

حَبَسَ الْحَجَّاج يَزِيد بْنَ الْمُهَلَّبِ. ٥٩٢

وفاة أبي أمامة الْبَاهِلِيّ وَعَبْد الله بْنُ أَبِي أَوْفَى، وجماهة من أعيان الصحابة ي..... ٥٩٢

وفاة عَبْد الْمَلِكِ بْن مَرْوَانَ وَالِدُ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ ٥٩٢

من عدله رحمه الله ٥٩٤

وقد كان وقافاً عند النصوص..... ٥٩٤

وكان يحترم الصحابة رضي الله عنهم ٥٩٧

موعظته للحجاج الثقفي..... ٥٩٨

موت الإمام الزاهد الورع الفاضل مُطَرِّف بْن عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ رحمه الله. الثقةُ العابدُ الفاضلُ ٥٩٨

وله أعمال حسنة وكلام في الزهد كثير ٥٩٨

ومن فطنته وفراسته..... ٥٩٩

خلافة الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان بانِي جَامِعِ دِمَشْقَ ٦٠٠

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وثمانين..... ٦٠١

وفاة جماعة من الصحابة في هذه السنة توفي من الأعيان ٦٠٢

وممن تُوُفِّيَ في هذه السنة الْمِقْدَامُ بْنُ مَعْدِ يَكْرِبَ ٦٠٢

وتوفي أبو أمامة الباهليت وَاسْمُهُ صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ وبعض الأعيان ٦٠٣

توسيع المسجد النبوي توسعة كبيرة حتى دخلت حجرة عائشة ب- وفيها الأقبر الثلاثة- في المسجد ، وكذا دخلت في سائر حُجَر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. ٦٠٤

وما ورد أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ أَنْكَرَ إِدْخَالَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فِي الْمَسْجِدِ- كَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ الْقَبْرُ مَسْجِدًا- وَالله أَعْلَمُ. ٦٠٤

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازنيت أبو صفوان ٦٠٥

وممن توفي الصحابي الجليل عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه صحابي جليل ٦٠٦

وهو الذي روى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلاَنٍ»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» ٦٠٦

وفاة هِشَام بن إسماعيل ابن هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ ٦٠٧

قصة ضرب سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ ٦٠٧

وفاة حَكِيم بْن عُمَيْرٍ الْعَنْسِيّ الشَّامِيِّ، لَهُ رِوَايَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الشَّامِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيبَ الْحَجَّاجَ عَلَانِيَةً إلا هو ٦٠٩

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ٦٠٩

ودَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ٦٠٩

وَفِيهَا غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِلَادَ الصُّغْدِ ٦٠٩

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ٦٠٩

فِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ، فَفَتَحَا حُصُونًا، وَقَتَلَا خَلْقًا مِنَ الرُّومِ، وَغَنِمَا وَأَسَرَا خَلْقًا كَثِيرًا. وَفِيهَا أَسَرَتِ الرُّومُ خَالِدَ بْنَ كَيْسَانَ صَاحِبَ الْبَحْرِ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَأَهْدَاهُ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. ٦١٠

وَفِيهَا عَزَلَ الْوَلِيدُ أَخَاهُ عَبْدَ الله بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ مِصْرَ ٦١٠

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَأَخَوَاهُ الْمُفَضَّلُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ سِجْنِ الْحَجَّاجِ، فَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ٦١٠

وفي هذه السنة توفي تَيَاذُوقُ الطَّبِيبُ كَانَ بَارِعًا فِي الطِّبِّ، ذَكِيًّا عَالِمًا، وَكَانَ عَزِيزًا عِنْدَ الْحَجَّاجِ وَلَهُ أَلْفَاظٌ فِي الْحِكْمَةِ. ٦١٢

وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ تلميذ الصحابة رضي الله عنهم ٦١٣

وفيها توفي وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ أَخُو الْحَجَّاجِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْيَمَنِ وَكَانَ يَلْعَنُ عَلِيًّا عَلَى الْمَنَابِرِ ٦١٣

وفيها توفي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، أَبُو هَاشِمٍ الْأُمَوِيُّ الدِّمَشْقِيُّ وهو صدوق مذكور بالعلم. ٦١٣

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ٦١٤

في هذه السنة تُوُفِّيَ السَّائب بْنُ يَزِيدَ بن سعد بن ثمامة، وَقَدْ حَجَّ بِهِ أَبُوهُ مَعَ رَسُولِ الله ع وَكَانَ عُمْرُ السَّائِبِ سَبْعَ سِنِينَ، ..... ز..٦١٤

وفي هذه السنة توفي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ صَحَابِيٌّ مَدَنِيٌّ جَلِيلٌ ٦١٤

التعليق على ختم الحجاج لجماعة من أعيان الصحابة ليزلهم ٦١٥

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ٦١٥

فِيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ وَابْنُ أَخِيهِ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ فَفَتَحَا حُصُونًا كَثِيرَةً وَغَنِمَا شَيْئًا كَثِيرًا وَهَرَبَتْ مِنْهُمُ الرُّومُ إِلَى أَقْصَى بِلَادِهِمْ ٦١٥

وَتُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بن الحدثان النضري ٦١٥

وفي هذه السنة توفي طُوَيْسٌ الْمُغَنِّي ٦١٦

وفاة الْأَخْطَلِ الشاعر الذي فاق أقرانة في نظم الشعر ٦١٦

قدوم أنس بن مالك على الوليد ٦١٦

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ٦١٦

وَفِيهَا ضَرَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ خُبَيْبَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ خَمْسِينَ سَوْطًا بأمر الوليد له في ذلك، وَصَبَّ فَوْقَ رَأْسِهِ قِرْبَةً مِنْ ماءٍ باردٍ، في يوم شتاءٍ باردٍ، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله. ٦١٧

وَمَا زَالَ عَلَى الْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ ضَرَبَ خُبَيْبًا فَمَاتَ فَاسْتَقَالَ وَرَكِبَهُ الْحُزْنُ وَالْخَوْفُ مِنْ حِينِئِذٍ، وَأَخَذَ فِي الِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْبُكَاءِ، وَكَانَتْ تِلْكَ هَفْوَةً مِنْهُ وَزَلَّةً ٦١٧

مِمَّن توفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ أنس بن مالك بن النَّضْرِ تخَادِمُ رَسُولِ الله وَصَاحِبُهُ ٦١٨

قَالَ أَنَسٌ: قَدِمَ رَسُولُ الله الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً ٦١٨
وكان أنس رضي الله عنه يرى النبي في النوم كثيراً ٦٢١
سؤال أنس النبيَّ عن مكانه يوم القيامة ٦٢٢
تأخر وفاته رضي الله عنه حتى قال: لَمْ يَبْقَ مِمَّنْ صَلَّى القِبْلَتَيْنِ غَيْرِي ٦٢٢
وصية أنس رضي الله عنه بعصاه أن تدفن معه ٦٢٣
وفاته عن مائة عام رضي الله عنه ٦٢٣
دخلت سنة أربع وتسعين ٦٢٣
وَفِيهَا كَانَتِ الرَّجْفَةُ بِالشَّامِ، وَفِيهَا افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنْدَرَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ. ٦٢٤
استنكار جماعة من السلف فعل سعيد بن جبير حين خرج على الحجاج في فتنة ابن الأشعث ٦٢٩
ما حصل للحجاج بعد قتله سعيد بن جبير رحمه الله ٦٣٠
ولم يلبث الحجاج بعد قتله سعيد بن جبير رحمه الله طويلاً، ثم هلك. ٦٣١
سنُّ سعيد بن جبير رحمه الله حين قتله الحجاج ٦٣١
وقد كان ابن عباس رضي الله عنه عتني به في التعليم ويراعيه ٦٣٢
وكم شُغِل رحمه الله بسبب خروجه على الحجاج عن بَثِّ العِلم في الناس وهم في حاجة إليه ٦٣٣
ذِكْرُ مَنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ غير سعيد بن جبير ٦٣٤
سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ بْنُ حَزْنٍ ٦٣٤
وممن توفي في هذه السنة طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ الْعَنَزِيُّ ٦٣٥
وهذا من التناقض الذي لم يسلم منه مبتدع ذو هوى، أنه كَانَ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ. ٦٣٦
من عجيب كلامه ٦٣٦
ومن أقوال طلق بن حبيب أيضاً ٦٣٧

وممن توفي في هذه السنة عرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ، ٦٣٨
وممن توفي في هذه السنة عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، الْمَشْهُورُ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ .. ٦٣٩
وممن توفي في هذه السنة ٦٤١
أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ ابن هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْقُرَشِيُّ الْمَدَنِيُّ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ وبعض الأعيان.٦٣٩
وتوفي فيها عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمة، قاضي مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان و.....٦٤٢
ففي هذه السنة مات كثير من أكبر الفقهاء أو قتل كما رأيت ٦٤٢
قتل سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب. ٦٤٢
وموت عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، عبد الرحمن بن عائذ الأزدي. فكانت سنة موت الفقهاء..... ٦٤٢
ثم دخلت سنة خمس وتسعين ٦٤٢
وفي هذه السنة هلك الحجاج بن يوسف الثقفي ٦٤٢
ومما أُثر مِن مواعظ الحجاج ولم يصح سنده ٦٤٣
من بغض الناس للحجاج مع هيبتهم له وخوفهم منه ٦٤٦
ومن جرأته على الدِّمَاء ما اعترف به ٦٤٦
في مرويات دخول أبي وائل شقيق بن سلمة عليه..... ٦٤٦
دخول أبي وائل على الحجاج ٦٤٧
من بلاغة الحجاج في مواعظه ٦٤٨
من مواعظه البليغة أيضاً..... ٦٤٩
المقولة التي أُثرت عن الحجاج عند موته ٦٥٢
ما أثر عنه إنكاره أن يكون الحسين من ذرية النبيﷺ ٦٥٢

ما أثر من كلامه الناقص إضافة إلى ما تقدم ٦٥٤
ما أثر من جرأة الحجاج مقوله قالها في ابن مسعود..... ٦٥٥
فهذا إن صَحَّ هَذَا عَنْهُ، فهي طامَّة كما قال ابن كثير رحمه الله..... ٦٥٧
ولا ينكر أنه قد روُّجت على الحجاج روايات في تحقيره وذمِّه وذكر مثالب له، مع ثبوت بعض ذلك عليه كما تقدَّم، فما هو من الظالمين ببعيد..... ٦٦١
كلمة متَّزنة في أمره للحافظ ابن كثير رحمه ٦٦٢
القول بتكفير الحجاج بن يوسف الثقفي..... ٦٦٣
عدد بعض من قتلهم الحجاج صبرًا ٦٦٣
عدم تكفير العلماء للحجاج ٦٦٣
مزايا للحجاج تقدم بعضها في ثنايا ما قيدنا ٦٦٤
جزم الشيخ ابن باز بعدم كفر الحجاج بما فعل وبنحوه قال الشيخ الألباني..... ٦٦٤
القول بكُفر الحجاج جسارة يُخشى على صاحبها، ومنهج أهل السُّنة في ذلك معروف أنه لا يكفر الإنسان بالذنب..... ٦٦٦
وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:..... ٦٦٧
إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ رحمه الله. ٦٦٧
وفي هذه السنة توفي الحسن بن محمد بن الحنفية..... ٦٦٨
وفيها توفي حميدبن عبد الرحمن بن عوف، ومطرف بن عبد الله بن الشخير رحمهم الله تعالى. ٦٦٨
ثُمَّ دَخَلَتْ سنة ست وتسعين ٦٦٨
تَكَامَلَ بِنَاءُ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقَ عَلَى يَدِ بَانِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الملك بن مروان رحمه الله تعالى٦٧١
التعقيب على صلاة الصحابة في هذا المسجد مع وجود القبر فيه..... ٦٧٧

ما يدل على صلاة عيسى ﷺ في هذا المسجد ٦٨٣
وقد وردت روايات تتعلَّق ببناء الجامع الأموي ٦٨٣
تحرر جيد للشيخ الألباني رحمه الله بشأن وجود قبر يحيي عليه السلام في هذا المسجد ٦٨٤
ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ السُّبْعِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ ٦٨٦
فَصْلٌ فِي ابْتِدَاءِ عِمَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ ٦٨٧
تَرْجَمَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَذِكْرُ وَفَاتِهِ بانِي جَامِعِ دِمَشْقَ ٦٨٨
خِلَافَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِك ٦٩٠
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ٦٩١
فِيهَا جَهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجُيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. وَفِيهَا أَمَّرَ ابْنَهُ دَاوُدَ عَلَى الصَّائِفَةِ، فَفَتَحَ حِصْنَ الْمَرْأَةِ.
..... ٦٩١
وفي هذه السنة: توفي الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. كان سليم المعتقد رحمه الله هو وابنه كبقية آل البيت في أصحاب النبيﷺ ٦٩٢
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ ٦٩٥
فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِغَزْوِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ٦٩٥
وفي هذه السنة توفي عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ ٦٩٦
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ٦٩٦
فِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ٦٩٦
وقد التقى سليمان بن عبد الملك بعبد الله بن عمر رضي الله عنه ٦٩٦
أول ما قال لما تولى الخلافة: ٦٩٧

وَكَانَ سُلَيْمَانُ بن عبد الملك يَنْهَى النَّاسَ عَنِ الغِنَاءِ.وكان يلقب بالمهدي بِالله الدَّاعِي إِلَى الله فرحمه الله رحمة واسعة..... ٦٩٧

وقد كان يستشير أهل الفضل في أموره..... ٦٩٨

آخر ما تكلم به وقت الاحتضار..... ٦٩٨

خِلَافَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله..... ٧٠١

وكانت خلافته خلافة طيبة راشدة قام فيها بحق الله رحمه الله رحمة واسعة، وسيأتي طرف منها، وشخصيَّته حريَّة بالتأليف رحمه الله تعالى رحمة واسعة..... ٧٠٢

وفي هذه السنة تُوفِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ – على قول أنه توفي في هذا العام..... ٧٠٢

وهو التَابِعِيٌّ الجَلِيلُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ قَالَ: تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ. وَذَكَرَ خَلِيفَةُ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي الْأَعْلَامِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ هَذَا الْعَامَ..... ٧٠٢

وفيها توفي عَبْدُ الله بْنُ مُحَيْرِيزِ بْنِ جُنَادَةَ بْنِ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ الْمَكِّيُّ، نَزِيلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ زَوْجِ أُمِّهِ أَبِي مَحْذُورَةَ الْمُؤَذِّنِ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي سَعِيدٍ وَمُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ..... ٧٠٢

وممن توفي في هذه السنة محمود بن لبيد بن عقبة أبو نعيم. وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ع وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَ، لَكِنْ حُكْمُهَا الْإِرْسَالُ..... ٧٠٤

وفيها مات نافع بن جبير بن مطعم، وأخوه محمد بن جبير بن مطعم- ٧٠٤

وتوفي أيضاً في هذه السنة حنش بن عبد الله بن عمرو الصنعاني كان والي أفريقية توفي غازياً..... ٧٠٤

وفيها توفي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنُ الضَّحَّاكِ، الْأَنْصَارِيُّ الْمَدَنِيُّ الْفَقِيهُ، كَانَ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْ الْمَعْدُودِينَ، كَانَ عَالِمًا بِالْفَرَائِضِ وَتَقْسِيمِ الْمَوَارِيثِ، وَهُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ مَدَارُ الْفَتْوَى عَلَى قَوْلِهِمْ..... ٧٠٤

وفيها توفي مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ أَبُو عَبْدِ الله الْبَصْرِيُّ، الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ، ٧٠٤

سَنَةُ مِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ..... ٧٠٥

ومن الْأَحْدَاثُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا أن جماعة من الخوارج قد خرجوا على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله فردَّ عليهم بأبلغ الردود، رحمه الله تعالى..... ٧٠٥

كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج ٧٠٧

وهذا كتاب آخر من عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج..... ٧٠٨

مناظرة عمر بن عبد الْعَزِيز أَصْحَاب شَوْذَب الحروري..... ٧٠٩

مناصحة عمر بن عبد العزيز لرجلين من الخوارج ٧١١

من مناصحات عمر بن عبد العزيز للحرورية بالعراق في زمنه..... ٧١٢

إنذار عمر ملك الرّوم ليرسل إِلَيْهِ رجلا من الْمُسلمين ٧١٢

وَمَا فعله ملك الرّوم حِين بلغه نعي عمر بن عبد العزيز ٧١٣

وكان رحمه الله إماماً في الدعوة إلى الإيمان والسنن..... ٧١٤

وفي هذه السنة توفي سالم بن أبي الجعد ، وأَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِيُّ الأَوْسِيُّ الْمَدَنِيُّ، وَاسْمُهُ أَسْعَدُ. ٧١٥

وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ وَرَآهُ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ. ٧١٥

وفيها توفي أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ رضي الله عنه ٧١٥

وَكَانَ مِنْ أَنْصَارِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ شَهِدَ مَعَهُ حُرُوبَهُ كُلَّهَا ٧١٥

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ يَفْضُلُ عَلَى وَالِدِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالِانْقِطَاعِ عَنِ النَّاسِ، وَلَهُ كَلِمَاتٌ حِسَانٌ مَعَ أَبِيهِ وَوَعْظِهِ إِيَّاه ٧١٦

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَمِائَةٍ ٧١٧

من عدل عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما أشار إليه داود بن أبي هند..... ٧١٨

ولقد صلى أنس بن مالك تخلفه وأثنى على صلاته ٧١٨

آخر خطبة له عمر بن عبد العزيز ٧٢٠
وذِكر محاسنه وفضائله ومآثره على الاستقصاء ٧٢٠
كان قمة في التواضع رحمه الله: ٧٢٢
عُمْرُ عُمَرِ بنِ عبد العزيز يوم مات رحمه الله ٧٢٣
خِلَافَةُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ٧٢٤
وَانْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ نَازِلٌ بِوَاسِطٍ، وَجَيْشُ الشَّامِ قَاصِدُهُ. ٧٢٥
وفي هذه السنة توفي رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ، وَمُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ ٧٢٥
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثِنْتَيْنِ وَمِائَةٍ ٧٢٥
اجْتِمَاعُ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، ٧٢٥
بلوغ يزيد بن المهلب تثبيط الناس عنه ٧٢٨
تولية يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة العراق وخراسان ٧٢٩
وفي هذه السنة تُوُفِّيَ: عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيُّ ٧٢٩
وفي هذه السنة توفي أيضاً يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ٧٢٩
وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ وَالسَّادَةِ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْهِلَالِيُّ ٧٢٩
وفيها توفي أبو المتوكل علي بن داود الناجي تلميذ أبي سعيد الخدريت. ٧٢٩
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ ٧٢٩
وفي هذه السنة توفي عطاء بن يسار الهلالي، ومجاهد بن جبر أبو الحجاج ومنزلتته من ابن عباس وأخذه عنه و ٧٣٠
وتوفي أيضاً فيها مُصْعَبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ٧٣٠

ومُوسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله التَّيْمِيُّ كَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُهْدِيِّ لِصَلَاحِهِ، وكَانَ تَابِعِيًّا جَلِيلَ الْقَدْرِ، مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، رَحِمَهُ الله تَعَالَى. ٧٣٠

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ ٧٣٠

ومِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي هذه السنة مِنَ الْأَعْيَانِ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانِ الْكَلَاعِيُّ رحمه الله. ٧٣١

وَفيها توفي عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ رحمه الله ٧٣١

وفيها توفي وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رحمه الله. ٧٣١

وفيها توفي أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ رحمه الله ٧٣٢

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ٧٣٢

خِلَافَةُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ٧٣٣

وفي هذه السنة توفي: أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِمْ ٧٣٣

وفيها توفي أبو رجاء العطاردي. ٧٣٣

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَمِائَةٍ ٧٣٣

فَفِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ عَبْدِ الله النَّضْرِيَّ. ٧٣٤

وتوفي في هذه السنة :سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى الله عن أبيه وجده أحد الفقهاء والأئمة المعروفين. ٧٣٤

وفيها: توفي طاووس بن كيسان اليماني التابعي من أكبر تلاميذ ابن عباس ت. ٧٣٤

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ٧٣٤

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَحَدُ التَّابِعِينَ. وعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ٧٣٤

وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ. وكان أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ ٧٣٤

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ ٧٣٥

وَفِيهَا: تُوُفِّيَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الله الْمُزَنِيُّ. وَرَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ الْمُقْرَائِيُّ الْحِمْصِيُّ. وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ فِي قَوْلٍ. وَأَبُو نَضْرَةَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَالِكٍ ٧٣٥

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَمِائَةٍ ٧٣٥

فِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، ٧٣٥

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ..... ٧٣٦

وَفِيهَا فَتَحَ مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ حِصْنَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَغَنِمَ غَنَائِمَ جَمَّةً. ٧٣٦

وَأَسَرُوا بِطْرِيقَهُمْ، وَانْهَزَمَ بِاقِيهِمْ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا..... ٧٣٦

وَفِيهَا فَتَحَ مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ حِصْنَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَغَنِمَ غَنَائِمَ جَمَّةً. ٧٣٦

وفي هذه السنة توفي جماعة من الكبار المشهورين منهم ٧٣٦

وفيها توفي الإمام محمد بن سيرين رحمه الله ،وهو إمام مشهور معروف تلميذ أبي هريرةت وغييره من الصحابة رضي الله عنهم ٧٣٧

وفيها توفي وهب بن منبه الإمام رحمه الله أخو همام بن منبه تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه ٧٣٧

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ٧٣٧

فِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى، وَغَزَا سَعِيدُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى، حَتَّى بَلَغَ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ. ٧٣٧

وَفِيهَا عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ الله السُّلَمِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ ٧٣٧

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ وَهُوَ أَمِيرُ الْحَرَمَيْنِ وَالطَّائِفِ، وَأَمِيرُ الْعِرَاقِ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ. ٧٣٨

وختاماً أسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا إلى أن ينفع في العاجل والآجل، وأن يجيرنا من الكذب. ٧٣٨

هذا وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.والحمد لله أولاً وآخرا. ٧٣٨

الفهرس ٧٣٨